



المركز الدولي للإستراتيجيات
التربوية والأسرية
The International Center for Educational
and Family Strategies



الأوراق البحثية المقدمة للمؤتمر الدولي الثاني

منظومة القيم وأثرها في تنمية الحوار وتعزيز الإرشاد التربوي والوساطة الأسرية

المنظم من طرف

المركز الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية

بشراكة مع

كلية الدراسات الإسلامية نوفي بازار بصربيا



يومي 8-9 أبريل / نيسان 2019

بمدينة نوفي بازار / جمهورية صربيا

**المؤتمر الدولي الثاني:
منظومة القيم وأثرها في تنمية الحوار
وتعزيز الإرشاد التربوي والوساطة الأسرية
نوفي بازار-صربيا : 9-8 أبريل / نيسان 2019**

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

المؤتمر الدولي الثاني

منظومة القيم وأثرها في تنمية الحوار

وتعزيز الإرشاد التربوي والوساطة الأسرية

2019-8-9 / نيسان / أبريل

نوفي بازار - صربيا

الأوراق البحثية المقدمة



منشورات المركز الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية (ICEFS)

■ بيانات الفهرسة:

الأوراق البحثية المقدمة للمؤتمر الدولي الثاني: منظومة القيم وأثرها في تنمية الحوار وتعزيز الإرشاد التربوي والوساطة الأسرية

2019

تنسيق: د.مصطفى الحكيم / د.رشيد كهوس

الطبعة الأولى: أكتوبر 2019 - المركز الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية (ICEFS) / المملكة المتحدة

الرقم الدولي المعياري (ردمك): 978-1-9160489-1-1

ملحوظة: جميع الحقوق محفوظة للمركز الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية، ويمنع نسخ أو إنتاج المواد الواردة في الكتاب كله أو بعضه بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو أية وسيلة أخرى من وسائل النشر إلا بموجب إذن كتابي من المركز.

وتبقى الأفكار والآراء المعبّر عنها في الكتاب وجهة نظر أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن سياسة المركز.

البريد الإلكتروني: www.info@icefs.net

الهاتف: 00447470188659

الموقع الرسمي للمركز: www.icefs.net

العنوان: United Kingdom , London , 27 Old Gloucester Street , WC1N3AX

كلمة الدكتور مصطفى بن أحمد الحكيم

رئيس المؤتمر

رئيس مجلس إدارة المركز الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية

تمثل منظومة القيم في تاريخ المجتمعات الروح السارية، والجوهر الأصيل، والأسس المتبين الذي تتأسس عليه العلاقات الإنسانية، والروابط الاجتماعية، وتشكل الحصن الحصين من التأثيرات السلبية الوافدة، والضابط للتصرفات والمواقف والقرارات، فضلاً عن عوائدها التنموية والحضارية. وقد حوت رسالة الإسلام قيماً بانية، ومبادئ سامية، كانت الموجه لحضارته، والمحرك لنهضته، والمحصن لمجتمعه، في إطار منظومة قيمية شاملة تتتنوع إلى قيم تربوية، وحقوقية، واجتماعية، واقتصادية، وبيئية، وسلوكية... .

وقد تأسست ثقافة الحوار في الإسلام على قيم ثابتة، ومبادئ راسخة في إطار منظومة قيمية منسجمة ومتکاملة يرتبط بعضها ببعضها، ولا يجوز إخضاعها للمقاربة التجزئية والنظرية الضيق، لذلك كان طموح هذا المؤتمر استحضار هذه القيم المؤسسة ووصل أجزائها، والوعي بعناصرها ومكوناتها، وإدراك تأثيراتها وفوائدها على الفرد والأسرة والمجتمع والأمة.

وقد اقتضت إرادة الله جل وعلا أن يختلف البشر ويتباينوا منهجاً وفكراً وطريقة ووجهة، وأن تتفاوت قدراتهم، وأفهامهم ومداركهم، وتتعدد مشاريدهم ورواددهم، وتختلف شعوبهم وقبائلهم وألسنتهم وألوانهم وهيئاتهم؛ وهي إرادة ناجزة، وأمر واقع ما له من دافع.

مما يستلزم البحث عن قواعد ناظمة، وضوابط حاكمة تساعده على تنظيم العلاقة بين المختلفين وفق مبادئ التعايش والتتساكن والتواصل، حتى لا تحول ساحات الوجود الإنساني إلى ساحات قتل وحرب ومصادرة واعتداء بسبب الاختلاف والتغاير. فهل من سبيل إلى تدبير سليم يضبط العلاقة بين المختلفين بضابط الاحترام المتبادل والتقدير المشترك، وتسخير لهذه العلاقة على مدارج الخدمة والتتسخير والتعاون؟

لذا كان الحوار في منظومة القيم الإسلامية معلماً راسخاً، وأساساً مهماً، ومبدأ ثابتاً، فالنظر للقرآن يجده قد أحلَّ الحوار مقاماً أثيراً، ومنزلة رفيعاً، حيث تبرز شواهدُه ومشاهدُه في كثير من الآيات والسور التي تجلِّي فيها الحوار بين المُختلفين على قدم التواصُل والتَّعايش تجلياً ظاهراً، حيث حفظ لنا القرآن حوارات عديدة في سياقات مختلفة يُستفاد منها، ويُعتمد عليها في بناء قواعد ناظمة للاجتماع الإنساني.

كما يطمح هذا المؤتمر إلى إبراز أثر منظومة القيم الإسلامية في تعزيز الإرشاد التربوي والوساطة الأسرية؛ بالنظر لما غشى مجتمعاتنا المسلمة من أمراض نفسية، وآفات اجتماعية، وأعراض مرضية، وما يشهده عصرنا من اضطرابات نفسية، وتشوهات حُلُقية، وانحرافات سلوكية أنتجت علاً شتى وظواهر جمة غريبة.

في هذا الواقع الذي اشتدتْ أزماته، وتتسارعتْ متغيراته، وازدادتْ مشاكله، وتعاظمتْ إكراهاته ومتطلباته؛ ثمسي معه الحاجة ملحَّة إلى إرساء منظومة توجيهية إرشادية، والاستفادة من الحكمة البشرية، والاستمداد من الإرث التربوي من داخل نسقنا المعرفي، ومنظومتنا القيمية، وتراثنا الفكري والتربوي للبحث عن أدوية شافية، وأحوجة كافية، وحلول منقذة لشبابنا من الواقع في براثن الانحراف، ومصابيد الإدمان، وخنادق التخريب والتدمير للطاقات الفتية التي عليها المعمول في نهضة أمتنا، ورفعه بلداننا، ومناعة مجتمعاتنا.

كلمة الدكتور أنور غيتسيتش

رئيس اللجنة العليا للمؤتمر

عميد كلية الدراسات الإسلامية نوفي بازار بصربيا

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته:

أصحاب الفضيلة الباحثون الأجلاء

أحمد الله سبحانه وجل جلاله وأصلي وأسلم على خاتم النبئين محمدًا وعلى سائر أنبياء الله ورسله والآل والصحب الكرام وبعد؛

اسمحوا لي باسمي واسم كلية الدراسات الإسلامية في نوفي بازار جمهورية صربيا أن أحياكم جميعاً وأرجوكم في هذا المؤتمر الدولي.

أولاً أتوجه من هذا المكان بأطيب التحيات والشكر الجليل إلى الدكتور مصطفى بن أحمد الحكيم الذي أحببناه قبل أن نراه، فهو رئيس مجلس إدارة المركز الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية ومنسق هذا المؤتمر مع كلية الدراسات الإسلامية في نوفي بازار - صربيا، ونشكره على تعاونه معنا في إقامة هذا المؤتمر القيم، وفي هذا المكان المبارك.

كما نرحب هنا في تقديم الشكر والتقدير لأعضاء الهيئة العليا للمؤتمر، وأعضاء اللجنة التنظيمية، وأعضاء اللجنة العلمية في هذا المؤتمر المبارك، نشكركم جميعاً على حضوركم ومساهمتكم الهامة في هذا المؤتمر.

ينعقد مؤتمrnنا الذي هو بعنوان "منظومة القيم وأثرها في تنمية الحوار وتعزيز الإرشاد الأسري والوساطة التربوية" المنظم من طرف المركز الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية بمشاركة مع كلية الدراسات الإسلامية في نوفي بازار - صربيا - ونحن في وقت الناس بحاجة ماسة لمن يضيء لهم الطريق وينقى لهم الماء الذي يشربونه عنيث به الفكر وفهم النصوص وجلب المصلحة ودرء المفسدة.

أيها العلماء :

العالم متغير، وبتغير الأحوال تتغير الأحكام وكذا المكان، طبيعة المجتمع الذي يعيش الناس فيه فلا يمكن لمن لم يشاهد الحدث ويعيش في المحيط والبيئة وصف علاج وتفسير مفاهيم كما أن الفرق شاسع بين من بيدهم مقاليد الأمور ومن يفت إلهم مهاجراً من بيته مغایرة ونمط حياة مختلف يحمل في مشاعره ووجدانه إرثاً سمع عنه الكثير

9-8 أب 2019 -نوفمبر - بازار - جمهورية مصر

لكنه موجود في مُضطربٍ تناحرٍ وتباطٍ في مختلف ضروب مركبات مجتمعه السياسية والاجتماعية مما جعل فضاءه أدكناً وبيئته يعتورها التخلف والإهمال .

إن هذا الواقع، منغصات عيش في مسقط الرأس والمصدر وعدم تكيف في الملاذات التي ارتحل إليها المتعuben أو من انكشف سقفهم عقب التحولات التي حدثت في زمن بعيد بمقاييس الزمن إلا أنه لازال مركوزاً في الوجдан وتفاقم تداعياته الفتنة ومفردات أحقاد التاريخ وعدم توفر علماء أصحاب خبرة يضئون المصابيح ويرشدون إلى أسهل الطرق وأسلم السبل .

–والىوم في جمهورية صربيا وفي مدينة نوفي بازار حيث نجد نحن وشركائنا في الجيرة والعبيش معاً لبلورة حياة يت天涯س فيها الجميع لصياغة منهج حياة يُكرم إنسانية الإنسان بالتفاعل مع الحاضر الذي هو حصيلة الماضي بكل سلبياته وإيجابياته يتم البناء على الحسن منها وتجنب كل أخطاء ارتكبناها لبناء صرح جديد تحفه ورودٌ ويلوٌ في فضائه أريج العطر والعنبر وتفرج الأجيال القادمة بفجر جديد .

أيها الذين سهروا الليلالي وهم ينهلون من العلم ويفكرون بحال المجتمع الذي يعيشون فيه بالتأكيد وقف كل واحدٍ منكم أمام قول الله تعالى: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْفَرْسَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَوْنَ مُحْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذِلِكَ حَلَقُهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَانَ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) سورة هود: 117-119.

إِنَّ الشَّرُكَ لَا يَمْنَعُ بَقَاءَ الْعُمَرَانَ إِذَا وُجِدَ الْمُصْلِحُونَ وَلَيْسَ الصَّالِحِينَ

إنَّ أَغْلَبَ الْجَهُودِ تُرْكَ عَلَى تَرْبِيَةِ إِنْسَانٍ صَالِحٍ وَنَادِرًا مِنْ يُفْكِرُ بِالْمُصْلَحِ كَمَا أَنَّ مَفَاهِيمَ تُنْشَرَ يُحْسَبُ أَصْحَابَهَا
أَنَّهَا إِصْلَاحِيَّةٌ فَتَكُونُ نَتْيَاجُهَا عَكْسُ ذَلِكَ لِفَقَارُهُمْ لِفَهْمِ الظَّاهِرَةِ.

إن أُسس الشريعة الإسلامية التعدد تلك هي صبغة الله عز وجل والمفاصلة في الإيمان وليس في التجاوز والسكنى والعمل ((لكم دينكم ولهم دين)) سورة الكافرون.

ويتلون الجو العام بالزهر والجمال إذا كان صانعوه زراع ورد وترية متألقين: الطبيب الأفضل، المهندس الثاقب الرؤية والمرأة الحس المتعشق للمناظر الخلابة، المربي الخير الذي يستشعر نعمة الله الرحمن الرحيم من يتربى ويشرب من كأس علمه ومحبته ويهنا الأهل بأبنائهم ويستقر المجتمع بأدائهم، العامل الشريف الأمين، الجندي المشبع بالرفافة والمودة، الحجار الذي يطمئن بقريبه ولا يتنازل عن التقىء بحسن معشره وغيرته، ورحم الله تعالى القائل: لا يمكنك أن تعيش أمنا وجيرانك لا يفيدون منك.

وباختصار عندما تكون الأجمل عمر المطاحن حولك ويقصدك الناس وتبارك في نظرهم ثربة الأرض في محيط أنت شاغله.

8-أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

فهذا المؤتمر له أهمية كبيرة في حياتنا ومجتمعاتنا، حيث أن الإنسان يُكَوِّنُ القيم الخاصة به من خلال المواقف التي تقابله والتجارب التي يمر بها، حيث أن الإنسان العاقل هو من يخرج من كل تجربة بدرس يفيده في حياته. وبذلك فإن أهمية القيم في حياتنا وتأثيرها هي دليل على تقدم الإنسان ورفعته.

عندما تنتشر القيم والأخلاق الحميدة في البلاد يعلو شأنها بين الأمم وتحقق النجاح في كافة المجالات.

يجب على أفراد المجتمع تبني نشر القيم بين الأفراد، خاصة إذا كانت تلك القيم هي قيم ديننا الإسلامي الحنيف، حيث أن ذلك سيساهم في نشر الخير وإعمار المجتمع.

فلنا في شريعة الإسلام درراً تحتاج إلى من يظهرها؛ هذا دوركم ولبيارك الله مؤتمركم ولتسعدون بالالتقاء بأشقاء لكم ولينفع الله تبارك وتعالى بجهودكم واجتهاداتكم وسلامة فهمكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة الدكتور رشيد كهوس

منسق المجلس الأكاديمي الاستشاري للمؤتمر الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية

الحمد لله رب العالمين خالق الخلق أجمعين، والصلوة والسلام الأorman الأكملان على سيدنا وحبيبنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فإن القيم ضرورة للإنسان ضرورة للأسرة ضرورة للمجتمع والأمة.. وهي اللبننة الأساس في حفظ التماسك الاجتماعي والروح التي تمد المجتمع والأسرة والحضارة بالحياة..

فما شرعت منظومة القيم التي نزلت بها الكتب السماوية إلا ليتحلى بها الإنسان في سلوكه، وتضبط علاقاته الخاصة والعامة. إذ ترسيختها في النفوس وتربية الإنسان عليها ضرورة شرعية وواجب ديني واجتماعي وحضاري. لكونها تسعى إلى تنمية الإنسان في حركته داخل الأسرة والمجتمع والارتقاء به مراتب الكمال العقلي والخلقي.

وليس منظومة القيم في الإسلام شرطا لقوة الأسرة والمجتمع والحضارة فحسب؛ ولكنها أيضا ضرورة لتنمية الحوار الديني والحضاري والاجتماعي والأسري وتعزيز الإرشاد التربوي والوساطة الأسرية وبناء الأسرة الآمنة والمجتمع الآمن والأمة الشامخة والعمان الأخوي الإنساني ..

من أجل ذلك جاء هذا المؤتمر الدولي الذي نظمه المركز الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية، وكلية الدراسات الإسلامية بنوفي - بازار - صربيا، في موضوع: "منظومة القيم وأثرها في تنمية الحوار وتعزيز الإرشاد التربوي والوساطة الأسرية". إسهاما منها في تقديم منظومة القيم المرجعية المؤطرة للإنسان والأسرة والمجتمع والعمان في صياغة جديدة، قائمة على التأصيل وبيان طائق التنزيل، وبمنهجية قائمة على الإفادة من علوم الوحي وعلوم الكون. هذا فضلا عن تحليل القيم التي فقدت أبعادها ودلائلها في الوعي الجماعي والفردي المعاصر؛ والحمد لله رب

العالمين

ورقة تعریفیة بالجهتين المنظمتين

المركز الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية [ICEFS]: مؤسسة بحثية استشارية مسجلة في المملكة المتحدة؛ ذات مجلس إدارة، وهيئتين تحكميتين دوليتين هما: المجلس الأكاديمي الاستشاري، والهيئة العلمية؛ واللتين تضمنان أكثر من 30 شخصية علمية وأكاديمية مرموقة من أكثر من 20 بلدا من ثلاث قارات، ولها شراكات واتفاقيات تعاون مع جامعات رسمية، ومؤسسات علمية دولية. ويهدف إلى تحديد الوظائف المشتركة، والمسؤوليات المتبادلة بين مؤسسات التربية والتعليم ومؤسسة التنمية الأسرية، ومواجهة المخاطر التي تستهدف أبناءنا وبناتنا، كما يروم تقديم المقترنات الناجعة، وسبل العلاج الكفيلة بتخفيف حدة التأثيرات السلبية لهذا الواقع، وبناء قواعد واستراتيجيات تساعد على التحصين والحماية.

الموقع الإلكتروني:

www.icefs.net

الصفحة الرسمية في الفايسبوك:

<https://www.facebook.com/internationalcenter.icefs>

قناة المركز على يوتوب:

<https://www.youtube.com/channel/UCRtT8x9YjdCINnOxFzz96iQ>

صفحة المركز على تويتر:

<https://twitter.com/icefscenter>

- كلية الدراسات الإسلامية: مؤسسة علمية أكاديمية تمنح شواهد بكالوريوس، وماجستير، ودكتوراه؛ وتقع في مدينة نوفي بازار عاصمة إقليم السنجق في جمهورية صربيا.

الموقع الإلكتروني: <http://fis.edu>.

أرضية المؤتمر

الإشكالية، الأهداف، المحاور، والضوابط:

تمثل منظومة القيم في تاريخ المجتمعات الروح السارية، والجوهر الأصيل، والأساس المتبين الذي تتأسس عليه العلاقات الإنسانية، والروابط الاجتماعية، وتشكل الحصن الحصين من التأثيرات السلبية الوافدة، والضابط للتصرفات والموافق والقرارات، فضلاً عن عوائلها التنموية والحضارية.

وتقوم القيم بوظيفة محورية في حياتنا البشرية؛ فهي التي تبني سلوكنا، وعلاقتنا، وحياتنا، وحتى شعورنا بمن نحن؟ وكلما زادت الإيجابية في قيمنا زادت الإيجابية في أفعالنا أيضاً. ويأخذ الحوار موقعاً متميزاً ضمن مجموعة القيم الإنسانية والحضارية المعاصرة؛ وذلك بسبب تحول المجتمعات البشرية إلى قرية كونية صغيرة، وبعد أن تهافت الأسوار والحدود الجغرافية، وفتحت أبواب الاتصال على مصراعيها، حيث صار من غير الممكن لأي مجتمع أن يعزل نفسه، ويقع داخل ثقافته الخاصة... وسواء تعلق الأمر بتمدين المجتمع أو افتتاحه على المجتمعات الأخرى، والثقاف معها، سوف يبقى الحوار هو أحد المداخل الأساسية لتحقيق هذا الهدف.

وتشهد الحوارات القرآنية والنبوية على نجاح الحوار البناء في كشف الحقائق، وتدبير الاختلاف، وتحقيق الوساطة، والرقى بالإنسان إلى أعلى المراتب من أجل بناء عالم أفضل. ويشهد التاريخ أيضاً بالنجاح الباهر -في كثير من الأحيان- في تحقيق هذه القيم على أرض الواقع عن طريق نماذج مضيئة للحوار؛ كما يشهدان أيضاً على ما أنتجه النكوص عنها من مصادماتٍ دائمةٍ، وطمسٍ للحقائق، ونقضٍ لحقوق الإنسان.

ولقد مثّلَ الرسُلُ الكرام -عليهم الصلاة والسلام- النموذج الأعلى للوساطة التربوية، حيث سعوا لتحقيق هذه القيم الحوارية على أرضية الواقع المتغيرة، بتطبيقاتٍ متنوعةٍ ومُتعددةٍ في أشكالها، متاحةٍ في قيمها، كشجرة طيبةٍ أصلها ثابتٌ وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ومن فروع تلك الشجرة الأسرة المسلمة البانية، والمسجد القرآني المعلم والمربى، والمدرسة الراعية والموجهة.

ولذلك فالحاجة ماسةٌ إلى بعث قيم الحوار، وتنمية مهارة استثمارها، وتطوير مخرجاتها، ليظهر بعدها الكوني المتجاوز للزمان والمكان؛ ولتتخلص من التجارب التاريخية السلبية؛ والتفسيرات النمطية الضيقة -والتوظيفات

التجزئية الانتقائية، والانهازية الدنيوية الساقطة. واستشراف آفاق تحقيقها على الواقع المعاصر عبر الوساطة التربوية والاجتماعية، من أسرة ومدرسة ومسجد ووسائل إعلام.

كما يضطلع الإرشاد التربوي والوساطة الأسرية بوظائف مهمة، وأدوار حاسمة من شأنها تحصين مجتمعاتنا، وتقوية منظومة الأمن القومي، والحفاظ على السلم الاجتماعي الذي يعد الأطفال والشباب لبنيته الأساسية، ولحمته الرئيسة، وبنيته التكوينية باعتباره ضامنا لاستمرارية الوجود الإنساني، ورافعة للاقتصاد المنتج، وليد العاملة المدرية، والعقول المفكرة.

وتبرز أهميتها وضرورتها وال الحاجة إليها بالنظر لما غشى مجتمعاتنا المسلمة من أمراض نفسية، وآفات اجتماعية، وأعراض مرضية، وما يشهده عصرنا من اضطرابات نفسية، وتشوهات ُحلقية، وانحرافات سلوكية أنتجت علا شتى وظواهر جمة غريبة.

انطلاقاً مما تقدم، يسعى هذا المؤتمر إلى تحقيق الأهداف الآتية:

أهداف المؤتمر:

- إبراز أهمية الحوار وقيمه في تعزيز الإرشاد الأسري والوساطة التربوية في ضوء المتغيرات والتحديات العالمية والمحلية المعاصرة.

- إبراز القيم الحوارية (العدل، التسامح، المساواة، الحرية، التواضع...) ومقاصدها الكلية.

- استشراف وسائل استثمار القيم الحوارية وتطوير مُخرجاتها، وتجليّة مظاهر راهنيتها وكونيتها.

- تقديم نماذج تاريخية للتطبيق السليم للقيم الحوارية، وإبراز عناصر تميزها ونجاحها.

- تحديد دور المؤسسات الاجتماعية والتربوية (الأسرة، المدرسة، المسجد، والإعلام) في تمثل القيم الحوارية وغرسها وتنميتها في الناشئة والشباب لخلق جيل مؤمن بالحوار قناعة وممارسة.

- تقييم الواقع الحالي لمدى قيام المؤسسات الاجتماعية والتربوية بدورها في نشر قيم وثقافة الحوار والمعوقات التي تواجهها، وكيفية تفعيل هذا الدور.

- تحديد دور المؤسسات والأوساط التربوية في التصدي لظاهرة التعصب والانغلاق.

- بعث قيم الحوار واستثمار مخرجاته خدمة للبعد الكوني فيه.

- إبراز وظيفة القيم في تعزيز الإرشاد الأسري، والوساطة التربوية.

محاور المؤتمر:

- 1 ثقافة الحوار وقيمه ودواعي الاهتمام به في ضوء التحديات والمتغيرات المعاصرة .
- 2 القيم الحوارية الدينية والاجتماعية والإنسانية (العدل، التسامح، المساواة، الحرية، التواضع، قبول الرأي الآخر، التعايش، التفاهم...): مضامينها، ومقاصدها، وأبعادها.
- 3 القيم الحوارية الدينية والاجتماعية والإنسانية: نماذج تطبيقية، واستنباطات منهجية .
- 4 موقع التواصل الاجتماعي كوسائل للتواصل وال الحوار وآثارها الإيجابية والسلبية.
- 5 أدوار المؤسسات التربوية والاجتماعية (الأسرة / المسجد / المدرسة / وسائل الإعلام) في غرس وتنمية القيم الحوارية في الأجيال الناشئة: الواقع – المعوقات – آفاق التفعيل.
- 6 الوساطة التربوية: المفهوم والوظائف.
- 7 الوساطة الأسرية: المفهوم والوظائف .
- 8 الوساطة التربوية: التجارب العربية والإسلامية والدولية.
- 9 دور القيم الدينية والاجتماعية في تعزيز الإرشاد التربوي والوساطة الأسرية: مقاربات شرعية ونفسية واجتماعية...

أعضاء الهيئة العليا للمؤتمر:

- رئيس اللجنة العليا للمؤتمر: د.أنور غيتسيتش
- رئيس المؤتمر: د.مصطففي بن أحمد الحكيم
- المشرف العام: د.ماجد بن عبد الله العصيمي
- نائب المشرف العام: د.حمادي نait شريف
- رئيس اللجنة التنظيمية: د.رشيد كهوس

أعضاء اللجنة التنظيمية

▪ د. عادل مطرب /المغرب	▪ د. آدم موراتويتش /صربيا
▪ د. سهام موعد /صربيا	▪ ذ.مصطففي الشيكر / المغرب
▪ ذ. محمد البدوي /المغرب	▪ ذ. نجاد إسماعيل رجبوفيتش/صربيا
▪ ذ. سناد ساراتوتش /صربيا	▪ د. محمد الشاوي /المغرب
▪ ذة. زهدية زوكورلتش /صربيا	▪ ذ. سيد حاجتش /صربيا
▪ د. المير برامنكونوفيتش /صربيا	▪ د. خير الدين باليتش /صربيا

أعضاء اللجنة العلمية الذين حكموا الملخصات والأوراق البحثية

الدولة	مؤسسة الانتساب	الاسم
الأردن	جامعة اليرموك	د.سميرة الرفاعي (رئيسة اللجنة العلمية)
العراق / قطر	جامعة قطر	د.حسن غرباوي (النائب الأول)
المغرب	جامعة المولى إسماعيل	د.إدريس جويلل (النائب الثاني)
صربيا	كلية الدراسات الإسلامية نوفي بازار	د.سهام موعد
مصر/السعودية	جامعة نجران	د.هشام العربي
مصر/ماليزيا	جامعة المدينة العالمية	د.محمود سعد مهدي
صربيا	كلية الدراسات الإسلامية	د.نizar عمران
المغرب	جامعة عبد المالك السعدي-تطوان	د.أحمد الفراك
المغرب	مركز ابن غازي للأبحاث والدراسات	د.عبد الحق دادي
العراق	جامعة البصرة	د.حيم حلو البهادلي
العراق	جامعة ميسان	د.نجم عبد الله الموسوي
المغرب	المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين	د.إبراهيم بورشاشن
البحرين	جامعة البحرين	د.رقية طه جابر العلواني
المغرب	جامعة محمد بن عبد الله-فاس	د.محمد البنعيادي
السعودية	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية	د.محمد عبد اللطيف البنا
لبنان	الهيئة الإدارية للمؤسسة العالمية للبحث العلمي	د.علي لاغا
النمسا	معهد العلوم الإسلامية بفينينا	د.أمير زيدان

الاسم	مؤسسة الانتساب	الدولة
د.بلخير عمراني	مركز البحث العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط	الجزائر
د.أحمد شطة	مركز البحث العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط	الجزائر
د.علي عدلاوي	جامعة عمار ثليجي الأغواط	الجزائر
د.خالد وزاني	جامعة سيدى محمد بن عبد الله -فاس	المغرب
د.فؤاد بلمودن	جامعة شعيب الدكالي- الجديدة	المغرب
د.أحمد مرادي	جامعة الشافعية الإسلامية	أندونيسيا
د.أشرف سالم	عضو الهيئة العلمية للمركز الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية	مصر
د.محمد بوشركة	جامعة الحسن الثاني-الدار البيضاء	المغرب
د.محمد سكحال	رابطة العالم الإسلامي	الجزائر/السعودية
د.إبراهيم الكاروري	جامعة أم درمان الإسلامية	السودان
د.عبد الباسط المستعين	جامعة محمد الأول-وجدة	المغرب
د.إبراهيم أوزدمير	About Åbo Akademi University Finland	فنلندا
د.إبراهيم رحماني	جامعة الوادي	الجزائر
د.قويدر قيطون	جامعة الوادي	الجزائر
د.عبد الحق حنشي	جامعة المولى إسماعيل-مكناس	المغرب
د.حسن بنعبو	جامعة ابن زهر-أكادير	المغرب
د.عبد العظيم صغيري	جامعة قطر	المغرب/قطر
د.محمد رفيع	جامعة محمد بن عبد الله-فاس	المغرب
د.أحمد عبد الرحيم	مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان	مصر/قطر

الدولة	مؤسسة الانتساب	الاسم
المغرب	جامعة محمد بن عبد الله-فاس	د.حسن حمدوشي
المغرب	جامعة محمد بن عبد الله-فاس	د.عبد الرزاق الصالحي
المغرب	جامعة عبد المالك السعدي-تطوان	د.يوسف بنلمهدي
المغرب	جامعة عبد المالك السعدي-تطوان	د.أحمد الفقيري
المغرب	جامعة محمد الأول-وجدة	د.لخضر بن يحيى زحوط
الجزائر/قطر	جامعة حمد بن خليفة	د.بدران بن مسعود الحسني
المغرب	مركز تدبير الاختلاف للدراسات والأبحاث	د.محمد الصادقي العماري
المغرب	وزارة التربية	د.وفاء توفيق
ألمانيا	جامعة توبنجن	د.محمود عبد الله
ألمانيا	المجلس الأعلى للمسلمين بألمانيا	د.عبد الحق الكوانبي
اليمن	المنظمة اليمنية لحوار الأديان والثقافات	د.أحمد الصباري
موريطانيا	جامعة نواكشوط	د.ولد الزين الإمام
السودان	جامعة أم درمان الإسلامية-الخرطوم	د.عثمان النظيف
المغرب	جامعة المولى إسماعيل-مكناس	د.العربي لخنيك
السودان	جامعة الجزيرة	د.عبد الله محمد الأمين

مجموع الأوراق البحثية المحكمة

المجازة من طرف اللجنة العلمية

دور القرآن الكريم في تفعيل ثقافة التسامح وترسيخها بين أبناء المجتمع

د. أحمد عبد الكريم شوكيه الكبيسي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك ورئيس قسم أصول الدين

بكلية الشريعة / جامعة الشارقة - الإمارات العربية المتحدة

مقدمة:

الحمد لله ، والصلوة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ..

وبعد: فإنَّ من بين المشكلات والمعضلات الكبيرة التي تواجهنا اليوم، قلةَ فهم ثقافة التسامح وتجلُّ الآخر ومقاطعته وذلك خوفاً من مواجهته عقدياً أو ثقافياً أو سياسياً؛ حتى حرص بعضُهم على استمرار توجيه التهم إليه بالتأمر والابتعاد عنه من غير تفاهُم أو تقارب وهو مرضٌ فكريٌّ يؤثُر سلباً على نقاوة هذا الدين وافتتاحه، مما يقف حائلاً تجاه بُثِّ روح التسامح والتفاعل بين الأجيال ولا سيما بين الأسرة الواحدة؛ حتى أمسى سبباً واضحاً وجلياً في نشر ظاهرة التشدد والتطرف وإيقاد فتيل العنف. وإذا ما نظرنا إلى منهج القرآن الكريم وجدناه قد تميَّز بالبعد عن هذا كله، بل قد تميَّز منذ فجر دعوته بالتوسط والاعتدال والسماحة واليُسُرِّ ودفع الحرج والمشقة في الأحكام الصالحة لـكُلِّ زمان ومكان. لذا اجتذب هذا الدين السَّمْحَ أنظار الناس المعتدلين في المشارق والمغارب ولا يزال ينمو بقوَّته الذاتية وسيظل شرع الله تعالى ملذاً للمجتمعات عامةً والأسر خاصةً، وملجاً العقلاء، كلما احتدمت الأزمات، وكثُرت الخلافات، واستحکمت المشكلات وتکاثرت الهموم والقلق والاضطرابات.

ففي الإسلام السَّمْح العلاج والإنقاذ، وبه تصلح البشرية ويعمُّ الرَّحْمَاء والخير والاستقرار والسلام والأمان، ومن خلاله يتحقق التقدُّم والازدهار، وهذا من أهمِّ الأساليب في القضاء على ضعف ثقافة التسامح ، مما يدعونا إلى إلقاء الضوء على أهمِّ معطيات القرآن وخصائصه وأبرز مزاياه، ألا وهو بُثُّ روح التسامح في الأسرة والمجتمع.

شكلة البحث : تحتاج المجتمعات والأسر العربية والإسلامية إلى تخطيط وتنظيم علمي مقنن لتعزيز ثقافة التسامح بينها وبين الآخرين أسوة بالعصور الذهبية الإسلامية المتقدمة، إذ الملاحظ حالياً ضعف تلك الثقافة ونشر الأحقاد والضغينة، مما يؤدي إلى منشأ الكراهية والعنف بأنواعه، ذلك لأنَّ من ضمن أسباب هذا الضعف عدم توظيف رسالة القرآن توظيفاً فاعلاً إيجابياً، على الرَّغم من أنَّ المسلمين هم الأوَّلُ والأمثل لتطبيق روح التسامح. وقناعة الكثير من الناس اليوم بأهمية نشر وفهم ثقافة التسامح بين الشعوب ودور ذلك في استقرار المجتمع وأمنه، إلا أنه لا توجد استراتيجية فاعلة لبُثِّ روح التسامح لرفع الضغينة والأحقاد والابتعاد عن العنف أو الصراعات. لذا فإنَّ دراسة هذا الموضوع والوقوف عنده أصبح من أكثر الأولويَّات إلحااحاً، ومن أكبر القضايا التي تستدعي اهتماماً خاصاً ورعاياً فائقة؛ لما يحتله من موقع ودور حاسم في التطلع إلى حفظ الأمن والاستقرار والتواصل السِّلْمي بين الناس فضلاً عن استنهاض أمِّتنا وتوجيه طاقاتها نحو ميادين الخير والصلاح.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

.. من هذه المنطلقات نبعت مشكلة الدراسة، وتمثل في أن بعض الكتابات تتسم بالتقليدية والمحاكاة دون اللجوء إلى التفعيل والاهتمام المباشر بقضايا المجتمع، الأمر الذي أدى إلى عزل المسلمين عن محظوظ الواقع.

هدف البحث: يهدف هذا البحث إلى إحياء ثقافة التسامح، وتعزيز آليات التواصل، واحترام الآخرين

ومراعاة خصوصياتهم، والتتبّع على ما يتربّط من تفريطٍ في ضعف ثقافة التسامح مع الآخرين وعدم الالتفات إليها من نتائج عكسيّة تودي بضعف النفوذ من المسلمين وغير المسلمين إلى التهجم والتنطع على نقاوة الإسلام وشمولية دعوته، فضلاً عن التأكيد على أنَّ غاية التسامح، هي ترسیخ قيم التفاهم ونشر روح التعايش ونبذ التطرف بجميع أشكاله، والتأكيد على أنَّ القرآن الكريم لا يغمس ثقافة الآخرين ومعارفهم وتجاربهم وخبراتهم، بل يُصحّح المعوج منها أو الضار ويوجه الناس إلى الخير دون إجبار.

.. وانطلاقاً من هذا الشعور يحيى هذا البحث، والذي يرجع الفضل في تحديده وتلمسه أهبيته واستشعار فائدته بعد الله جلَّ وعلا إلى الذين قاموا بإعداد هذا المؤتمر الدولي، والسباقين إلى كلِّ خيرٍ، وفي مقدمتهم بالقطع القائمين على المركز الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية، وكلية الدراسات الإسلامية وكافة رعاة ومنظمي المؤتمر في جمهورية صربيا، ذات الجهد المشكور وال الأعمال الفاضلة.

منهج البحث: ولتحقيق الأهداف المرسومة سلفاً لهذه الدراسة، يستخدم الباحث المنهج الوصفي، مع التركيز على

منهج التحليل ليُسْهم في تقديم صورة صادقة عن الوضع الراهن لقضية ضعف ثقافة التسامح؛ بعد استقراء مجموعةٍ من الآيات القرآنية، ومراجعة كتب التفسير ذات الصيّلة بالموضوع. ومحاولة إبراز مفاسد هذا الضعف وعلاقته بنشأة الخلاف السُّلبي وتأثيره على الأفراد والمجتمع، مع معالجة ذلك.

خطة البحث: انتظمت خطة البحث في ثلاثة مطالب يتقدّمها مقدمة وتمهيد، ويقفوها خاتمة:

* التمهيد: ويشمل التعريف بعنوان مصطلح البحث.

* المطلب الأول: ويتضمن الحديث فيه عن دور القرآن في إحياء ثقافة التسامح وترسيخها بين أبناء المجتمع.

* وعقدت المطلب الثاني: للتعرّف على إشارات القرآن حول ضعف ثقافة التسامح وأثر ذلك في تكرّيس ظاهرة التقطّع والتناحر.

* وتحدّث في المطلب الثالث: عن أسباب ضعف ثقافة التسامح في تغذية العنف ومعالجة ذلك.

.. وفي الأخير تبعَت هذه المطالب خاتمةً يذكر الباحث فيها ملخصاً ما سيتوصلُ إليه من نتائج خلال جولته لدراسة هذا الموضوع بحول الله وقوته.

تمهيد

جرت المنهجية العلمية عند أهل الاختصاص من الباحثين أن يبدؤا بتوسيع مفهوم ما يُريدون البحث فيه، ومعناه من حيث المصطلح للعلم .. ومن هنا وجّب على إيضاح مفردتين غالبتين على مصطلح عنوان بحثي هذا، هما:

أولاً: تعريف التسامح، ففي اللغة: مأخذ من السماحة والسامحة. والسامحة وهي المساهلة وتسامحوا أي: تساهلوا وجادوا بما لديهم.⁽¹⁾

وفي الاصطلاح: فهو التساهل والابتعاد عن التضييق والشدة، وقبول الآخر، وبذل الاحترام للتنوع الثقافي ولأشكال التعبير والصفات الإنسانية المختلفة، ويمكن أن يكون على مستوى الأفراد والجماعات والدول .

وهو صفة تدل على سلامة الفكر ونقاء الوجدان. أما التعصب فيكاد يكون مرضًا نفسياً يقيّد العقل ويحول بين الإنسان وفطرته، وبينه وبين مجتمعه فيتفرب وينفرد منكمشاً شاكاً في كل ما حواليه، يستضعف كل رأي غير رأيه، فيفقد الثقة بغيره ويرفض التعايش والتعاون. والتسامح وسيلة الانسجام، عملية تصفية لعرض الأفكار، وفهم آراء الآخرين، وبذلك يتنازل الإنسان عمّا علق برأيه من أنايّة ويصحّح أخطاءه ليحقق الانسجام العادل .

فالتسامح بعد هذا كله حُلْقٌ مكتسبٌ ويكاد يكون في الإسلام خلقاً طبيعياً؛ لأنَّ الإسلام دين التسامح يمد الإنسان المسلم بهذه الشحنة فيصبح متسامحاً وتسمو نفسه وترتفع عن الضغائن والصَّاغير ، ويسعد بالتحاور الذي هو: "مراجعة للكلام وتداؤله بين طرفين أو أكثر ، دون وجود خصومةٍ بينهم بالضرورة ".⁽²⁾ فهو ضرب من الأدب الرفيع وأسلوب من أساليبه وبه يُقضى على الانفرادية والتطوّف⁽³⁾ .

ومن هذا المفهوم يمكن أن يطلق التسامح على تقبّل وtolerance الثقافات بين بعضها الآخر وما يحصل من جراء ذلك من تلاقي وتفاعل وتأثير وتصويب بعضهم البعض ، والتخلص من المنازعات في البيان وشدّة الكلام والتشاجر، والابتعاد عن التمسُّك بالرأي والتعصُّب له. وعلى الرَّغم من الطبيعة المتشعبَة للتسامح، فإنَّه ليس دعوة في بعض الأحيان، ولا مجادلة ولكنَّه صيغة جامعة وأسلوب من أساليب التقارب والتعايش والتفاعل .. ومن هنا

1- ينظر: تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت370هـ) ، تحر. محمد عوض ، ط1 دار إحياء التراث العربي – بيروت 2001 م : مادة (سمح) : 200/4 ؛ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : إسماعيل بن حماد الجوهري (ت393هـ) ، تحر. أحمد عبد الغفور عطار ، ط4 دار العلم للملايين – بيروت 1407هـ - 1987م : مادة (سمح) : 386/1 ، معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس (ت395هـ) ، تحر. عبد السلام هارون، ط دار الفكر – بيروت 1399هـ - 1979م : مادة (سمح) : محمد بن مكرم بن منظور (ت711هـ) ، ط1 دار صادر – بيروت : مادة: (سمح) : 489/2.

2- ينظر: التعريفات للجرجاني: علي بن محمد ، المعروف بـ(الشريف الجرجاني ت816هـ) ، تحر. إبراهيم الأبياري ، ط1 دار الكتاب العربي – بيروت 1405هـ : 106،287 ، التوقيف على مهمات التعاريف : محمد عبد الرؤوف المناوي (ت1390هـ) ، تحر. د. محمد رضوان الداية ط1 دار الفكر – بيروت ، ودمشق 1410هـ : 299/1 ، آداب البحث والمناقشة : للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، ط الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة : 3.

3- وهي كلمة تطلق على المخالف لقواعد الشرع ، والتسامح من الشعور . ويكون التطرف في الدين ، كما يكون في الفكر والسياسة ، والأخلاق والسلوك، وهو إثبات غاية الشيء ومتناهه . ينظر: حقيقة موقف الإسلام من التطرف والإرهاب : د. سليمان بن عبد الرحمن الحبيل ، ط1 الحميضي، 1422هـ-2001 م : 9 .. هنا وينشأ التطرف بسبب التباغض والتناقض الحاد بين التصورات والمثل الذهني ، وبين الواقع الفعلي الذي يستحيل على الفرد ، أو الأفراد التوافق معه .

9-8 نوفي بزار، جمهورية صربيا

فسيكون منطلق حديسي في هذا البحث -إن شاء الله تعالى- ما يعني التساهل والابتعاد عن التضييق والشدة ، وقبول الآخر ومصالحته ، وضعف بـ تلك الثقافة وما يقول إليه من تبعات خطيرة.

أشكال التسامح: للتSAMAH عدة أشكال تتعلق بالعLACATs الاجتماعية بين الأفراد والجماعات والعLACATs بين

الدول، ومن أبرزها:

* **التسامح الديني:** قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: 8] وهذا مُنتهي التسامح في الدين، إذ قد أباح الإسلام بـ المخالف في الدين، والعدل والقسط في معاملته. وعليه فإن ثقافة التسامح الديني ضرورة ملحة لترصين وحدة المجتمع، إذ التسامح هو انسجام في الاختلاف القائم على العدل ونبذ الظلم.

* **التسامح في المعاملات:** قال تعالى: ﴿إِذْ أَدْفَعْتَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: 96]. أي: إذا أساء إليك أعداؤك بالقول والفعل، فلا تقابلهم بالإساءة، مع أنه يجوز معاقبة المسيء بمثل إساءته، ولكن ادفع إساءتهم إليك بالإحسان منك إليهم، فإن ذلك فضل منك على المسيء، ومن مصالح ذلك، أنه تحف الإساءة عنك، في الحال وفي المستقبل، وأنه أدعى لجلب المسيء إلى الحق، وأقرب إلى ندمه وأسفه، ورجوعه بالتوبة عمما فعل، ولি�تصف العافي بصفة الإحسان ويقهر بذلك عدوه الشيطان وليس وجوب التواب من الرّب ، قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: 40].⁽¹⁾

* **التسامح العربي:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَعَثُ؟... ».⁽²⁾

* **التسامح السياسي:** وهو الاعتراف بالآخر وممارسة حقوقه السياسية بعيداً عن الإكراه والعنف. وثقافة التسامح في السياسة تعطي الحق للجميع أغلبية وأقلية للمشاركة في كل شيء كمواطنين متساوين في الحقوق والواجبات ، مما يفتح آفاقاً جديدة في فهم حقوق الآخرين وواجباتهم تجاه الغير ، وعدم فرض قيود على الآخرين، وهذا ما ينتج تحول الأفراد والجماعات إلى التمدن، ويسهم بجدية في تكريس الأطر الديمقراطية المنشورة .

* **التسامح الثقافي:** ولكل مجتمع ثقافة ، والتي من حقه أن يعتز بها .

شروط التسامح: لا يمكن أن يكون التسامح مشرماً وفعلاً إلا إذا توفرت الشروط الآتية :

1) أن يكون تقبل الآخر ومحاورته منهجاً أصيلاً يفوق العصبيات ، ولا يمكن أن ينجح أي تلاقٍ ما لم يقم على أساس سليمة راسخة وعلى قاعدة العدالة والتسامح .

1- سورة غافر : 40 . تفسير السعدي : 558 .

2- مسند الإمام أحمد بن حنبل : ط مؤسسة قرطبة - القاهرة ، (من حديث أبي نضرة عن رجل من الصحابة) : رقم الحديث: 411/5 (23536) : قال عنه الشيخ الألباني: (إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم ، غير من سمع خطبه صلى الله عليه وسلم ، فإنه لم يسم ، و ذلك مما لا يضر ، لأنه صحابي ، و الصحابة كلهم عدول) . **السلسلة الصحيحة:** للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ط مكتبة المعرف - الرياض : برقم : (2700) : 6 / 203 .

2) الوعي بثقافة التسامح ، والاستعداد لممارسته مع الآخرين .

3) تحكيم العدالة الإنسانية ، من أجل الوصول إلى نتائج مرضية يقبلها جميع أفراد المجتمع .

أهداف التسامح: إنّ الوقوف عند أهداف التسامح له أهميّة الكبّرى في تناول هذا الموضوع؛ ذاك لأنَّ

الهدف ثمرة كلِّ شيء والأمور بمقاصدها فمعرفة الأهداف يعني تحديد مدى نجاح ثقافة التسامح ، فضلاً عن

تحديد الهدف والذي يُعدُّ الخطوة الأولى في كلِّ محاولةٍ يريد أن يقوم بها الإنسان ، ومنها:

1. تضييق هوة الخلاف وتقرير وجهات النّظر ، من أجل الوصول إلى الحق ، وهذا من أهمّ الأهداف ولا سيما في هذا العصر الذي كثُرت فيه الخلافات .

2. تعريف الطرف الآخر بما يغيب عنه أو يلتبس عليه من سماحة هذا الدين .

3. تشبييد جسر للتواصل السِّلْمِي البَنَاء ، وسدّ الطريق أمام المُواجهات والمُصادمات .

4. إنَّ التسامح يُساعد على التوقد الذهني ونقاوته ، وهي صفة ملزمة لأجياد التحدى الفكري والثقافي وهو مفتاح للقلوب وطريق إلى النُّفوس.

5. فهم التطورات والمتغيرات المحيطة بنا، إذ العالم يعيش بصورة متتصاعدة، تغييرات متتسارعة في مكوِّناته الحضارية والثقافية نتيجة للثورة التقنية والمعلوماتية التي أنتجت نماذج فريدة في تشكيل العالم يصعب اللحاق بها أو فهمها .

فمع وجود الشك في الآخر وعدم قبوله والتواصل معه يصبح من العسير التجانس مع تلك التغييرات والتطورات، بل وتسسيطر لغة التصادم والقطيعة والشحنة وتعصب الرأي على التعايش والتفاعل والانفتاح المنضبط شرعاً .

المطلب الأول

دور القرآن في إحياء ثقافة التسامح وترسيخها بين أبناء المجتمع

إنَّ المجتمع البشري بحاجة بها ماسَّة إلى نشر وتأصيل قيم التسامح كمنظور إنساني وأخلاقي، وعميم فكرة قبول الآخر المختلف في ميادين الدين والسياسة والاجتماع؛ ذلك لأنَّ أيَّ تعصب أو تطرفٍ سيجعل الحياة قلقة وغير آمنة ، فبدون التسامح وثقافة التصالح لا يُمكن بناء مستقبل يسوده السلام والأمان واحترام حقوق الإنسان.

وإنَّ نشر التسامح بين أجيالنا أصبحت اليوم ضرورة حتمية من أجل تفعيل الحقوق الأساسية وعدم حرمان أيِّ جماعةٍ من حقوقها وإذا ما صار العكس عُطلت تلك الحقوق وبالتالي فقد يكون أحد عوامل التعصب هو غياب ثقافة التسامح في المجتمع ، والذي بدوره يؤدي إلى ذهاب قوَّة المجتمع، وازدراه الحركات الاجتماعية ونشر لغة الإقصائية، حينئذٍ يزداد التعصب وتندلع ثقافة التسامح. والتسامح ليس كلاماً نظرياً أو خطاباً شكلياً إنما هو سلوك عملي يحتاج إلى تدريب قاسٍ ومكافحة وعنه من أجل استيعاب الآخرين باعتبار التسامح انتصاراً للذات على الذات، وقيم التسامح والافتتاح واحترام الاختلاف لا تنشأ بمقتضى أمر أو طلب ولكنها تنبع من عقلية وأسلوب تفكير ذاتي وظهور في سلوكيات الفرد أو المجموعة ذات الخصائص الحضارية المشتركة .

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

والقرآن الكريم قد عالج مشكلة التطبيق، من خلال ثقافة أصلية أسسها وأرساها، وهي ثقافة تؤسس: التسامح لا التعصب، والتعارف لا التناكر، والحوار لا الصدام، والرِّفق لا العنف، والسلام لا الحرب، يقول الله جلَّ وعلا:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ ثُكْرٌ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 99].

والحقيقة أنَّ الواقع اليوم يُشير إلى ضعف انتشار تلك الثقافة في المجتمعات إذ يتضح ذلك من خلال زعزعة الاستقرار والدخول في صراعات بين أبناء الوطن الواحد، وعليه فلا بد من تسامح ينطوي على الأبعاد التي تستهدف التغيير في القناعات وإزالة بعض الأفكار المريضة وإحلال الفكر النَّيَر المبني على التسامح والعفو والتصالح من أجل استقرارٍ وأمنٍ دائمين بعيدين عن الإكراه والقمع والمصادرة، قال جلَّ وعلا:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمِيعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: 35].

والتسامح النَّاجع المراعي فيه الأهداف المسبقة، يمكن أن يكون مفتاحاً وطريقاً إلى الأفتدة، محققاً النَّتائج الإيجابية والتي قد يخسرها الإنسان إذا لم يسلك سبيله، مبتعداً عن التطرف بجميع أشكاله والذي هو أخذ الأمور بشدة من غير لين أو يُسر مما يُؤدي إلى تجاوز حدِّ الاعتدال. ولهذا قد يتحول الخصم بغير حق والتقطاع إلى صدام ؛ لترابطهما المعنوي من حيث فقدان الوسطية، والاحتقان وشدة الانفعال أو رد الفعل، وكراهيَّة الآخر المعارض والتخلص من فكرته وإزاحته.

لذا فإنَّ إنكار التسامح وعدم تفعيله يعني عملية تؤشر على وجود خللٍ ما في النفس الإنسانية ، أو في الظروف التي تحيط بتلك النفس. والإنسان السُّوِي بطبيعته يرفض التعصب أو التشدد ؛ لأنَّ الفطرة السَّلِيمَة تأبى ذلك وتُنفر منه؛ لأنَّها ظاهرة مرفوضة قطعاً؛ بل هي حالة سلبية غير صحيةٍ على المجتمعات المعتدلة والآمنة المستقرة والله جلَّ جلاله قد ذمَّ التشدد المفرط، بقوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ حُذُّو زِينَتُكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُّوا وَاشْرُبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِنَادِهِ وَالطَّبَيَّاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 31، 32]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِلِينَ﴾ [المائدة: 87].

وذمَّ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التشدُّد ونفي عنه، وقد صرَّح بذلك في حديث -إسناده حسن- يرويه عنه أنس بن مالك رضي الله عنه إذ قال: « لا تشدّدوا على أنفسكم ، فيشدّد الله عليكم فإنَّ قوماً شدّدوا على أنفسهم فشدّد عليهم، فتلَّكَ بقياهم في الصوامع والديارات: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِم﴾⁽¹⁾ ». (2)

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ((اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتكم، فإنَّ كلَّ محدثٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلاله)) . وقال: ((إنَّ نقتدي ولا نبتدي، ونتبغ ولن نبتعد ولن نضلَّ ما تمَسَّكتَنا بالتأثُّر)) . وقال أيضاً: ((إيَّاكُمُ التَّبَدُّع، وَإيَّاكُمُ التَّنْطُع، وَإيَّاكُمُ التَّعْمُق، وَعَلَيْكُمُ الْبَلَى الْعَتِيق)) . (3)

1- سورة الحديد : 27

2- سنن أبي داود : باب: (في الحسد) ، رقم الحديث: (4904) : 428/4 ، مسند ابي يعلى : أحمد بن علي الموصلي(ت307هـ)، تج. حسين سليم أسد ، ط1 دار المأمون للتراث - دمشق1404هـ - 1984 م : برقم: (3694) : 365/6 .

3- إعلام الموقعين عن رب العالمين : للإمام ابن قيم الجوزية (ت751هـ) ، تج. طه عبد الرؤوف سعد ، ط دار الجليل - بيروت 1973 م : 150 / 4 .

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

قال الحافظ ابن حجر: " وفيه التحذير من الغلو في الديانة ، والتنطع في العبادة بالحمل على النفس فيما لم يأذن فيه الشرع وقد وصف الشاعر الشريعة بأنها سهلة سمححة ، وإنما ندب إلى الشدة على الكفار والى الرأفة بالمؤمنين فعكس ذلك الخوارج ... وفيه جواز قتال من خرج عن طاعة الإمام العادل ، ومن نصب الحرب فقاتل على اعتقاد فاسد ، ومن خرج يقطع الطرق ، ويُخيف السبيل ويُسعي في الأرض بالفساد".⁽¹⁾

إن القرآن الكريم بأحكامه المجملة والتفصيلية يؤسس لمبدأ المسامحة، ويُشجع عليه، ولا يمكن وعي هذا إلا من خلال الوقوف على مبدأ التنوع والتعدد، حتى يمهد السبيل للاعتراف بالغير، وهذا ما يلمسه كل دارس لكتاب الله جلّ وعلا ويعمله كل من يرى التسامح آلة يطرحها القرآن لإثبات العقائد ، ووسيلة لقبول الآخر وطريقة لاحتوائه وإن كان مخالفًا ..

يقول جلّ وعلا: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَوُنَ مُحْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ حَلَفُهُمْ﴾ [هود: 118، 119]. قال الحسن البصري: (وللاختلاف خلقهم).⁽²⁾

فعلام إذاً نجعل هذا الاختلاف سبباً للتناحر وللخصام!! ونحن نعلم أن عدم تقبل الآخر ورفضه سيؤدي بالمجتمع إلى الإخلال بالأمن والسلام ويسليح ضرراً كبيراً بالإنسانية وسينسف جميع جسور التفاهم والتقارب .. علام نغض الطرف عن التعددية هذه!! وهي سُنة إلهيَّة كونية مطردة في سائر عوالم المخلوقات. فالتجدد والتتنوع الثقافي حالتان صحّيتان ينتج منها التلاقي، وتبادل الأفكار والخبرات التي من شأنهما تطوير أنماط الحياة وازدهارها وتلطيف الناس من مشاعرهم السُّلبية تجاه الآخرين، فضلاً عن تخلصهم من كل تحيز - غير مشروع - أو حقد، أو عصبية جاهليَّة.

وبإعلان التسامح وترسيخ ثقافته على جميع الأصعدة: الدينية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية يتعلم أفراد المجتمع احترام الآخر وكسبه بكل مودة ورفق ، راضفين أنواع التطرف والتشدد والتشدد والتشدد ؛ حتى تزداد بينهم حالة الوئام واللقاء والتعارف الوثيق، وتنفتح مجالات الفكر وأبواب حُرْيَّة الاجتِهاد والتجدد والإبداع الذي يستحيل تحقيقه دون تمایز واختلاف: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهٍ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْحَيَّاتِ﴾ [البقرة: 148].

ولهذا كانت "المبادئ السَّامية" التي تأسست عليها الدولة الإسلامية، تهدف إلى حماية جميع رعاياها ولا تقيم وزناً لاختلاف معتقداتهم أو أجناسهم أو ألوانهم من منطلق دعوة الدين الإسلامي الحنيف إلى التعايش والاحترام المتبادل مع أبناء الأديان الأخرى وشارك الجميع في صنع الحضارة العربية الإسلامية ، وكانت الحضارة العالمية الأولى في تاريخ البشرية وأيقظت الأمم الأخرى من سباتها العميق ؛ لتخرج إلى عالم النور ولتستقبل عصر العلم والحضارة ".⁽³⁾

1- فتح الباري شرح صحيح البخاري : للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852هـ) ، ط دار المعرفة – بيروت 1379هـ : 301 / 12 .

2- أورده الحافظ ابن كثير في تفسير القرآن العظيم : وهو أبو الفداء اسماعيل بن عمر (ت 774هـ) ، ترجمة سامي محمد سالم ، ط 2 دار طيبة 1420هـ- 1999 م : 362/4 .

3- جزء من مقوله الدكتور شعبان محمد سلام - المتخصص في اللغة العربية من جامعة عين شمس في القاهرة- ، إذ ذكرها الأستاذ ناصر العلي ، ضمن مقالته : (سماحة الإسلام ودوره في تقديم الحضارات الإنسانية) ، والمنشورة في جريدة الشرق الأوسط – جريدة العرب الدولية- : العدد (8515) ، من يوم الجمعة ، الموافق : 9 محرم / 1422هـ - 22 مارس/2002 م .

8-9 أبريل 2019 -نوفي بزار، جمهورية صربيا

حيثـٰ يجب أن تظل علاقـة المختـلفين والمـتعلـدين فـي إطار الجـامعة الوـاحـدة، وعـند مـسـتـوى العـدـل والـوـسـطـيـة: ﴿وَكـذـلـكـ جـعـلـنـاـكـمـ أـمـةـ وـسـطـاـ﴾ [البـقـرـة: 143]. والـوـسـطـ - بنـصـ الـحـدـيـثـ الصـحـيـحـ - هو: «الـعـدـلـ».⁽¹⁾

الـذـي يـجـبـ أن يـحـكـمـ عـلـاقـاتـ الفـرقـاءـ المـخـلـفـينـ؛ مـمـا يـؤـذـيـ إـلـىـ نـقـلـهـمـ مـنـ مـسـتـوىـ الـظـلـمـ وـالـعـدـوـانـ وـالـتـطـرـفـ وـالـانـغـلـاقـ ، إـلـىـ مـسـتـوىـ الـعـدـلـ وـالـتـسـامـحـ وـالـسـيـلـمـ وـالـانـفـتـاحـ، فـضـلـاـ عـنـ الـمـحـافـظـةـ عـلـىـ بـقـاءـ التـنوـعـ وـالـتمـايـزـ وـالـتـعـدـدـ وـالـاخـتـلـافـ: ﴿أـدـفـعـ بـالـتـيـ هـيـ أـحـسـنـ السـيـئـةـ نـحـنـ أـعـلـمـ بـمـاـ يـصـفـونـ﴾ [المـؤـمنـون: 96]، ﴿وـلـاـ تـسـتـوـيـ الـحـسـنـةـ وـلـاـ السـيـئـةـ اـدـفـعـ بـالـتـيـ هـيـ أـحـسـنـ فـإـذـاـ الـذـيـ بـيـنـكـ وـبـيـنـكـ عـدـاـوـةـ كـانـهـ وـلـيـ حـمـيمـ﴾ [فـصـلـتـ: 34].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أـدـفـعـ بـالـتـيـ هـيـ أـحـسـنـ﴾: الصـبـرـ عـنـ الغـضـبـ، وـالـعـفـوـ عـنـ الإـسـاءـةـ، فـإـذـاـ فعلـهـ عـصـمـهـمـ اللـهـ وـخـضـعـ لـهـ عـدـوـهـمـ﴾⁽²⁾. فاللهـ تعـالـىـ يـأـمـرـ بـمـصـانـعـةـ الـعـدـوـ وـالـإـحـسـانـ إـلـيـهـ لـيـرـدـهـ عـنـ طـبـعـةـ الـطـيـبـ الأـصـلـ إـلـىـ الـمـوـاـدـةـ وـالـمـصـافـ.⁽³⁾ وـهـوـ مـاـ يـدـلـ عـلـىـ: "أـنـ مـقـابـلـةـ إـسـاءـةـ الـعـدـوـ بـالـإـحـسـانـ إـلـيـهـ تـذـهـبـ عـدـاوـتهـ، وـتـكـسـبـ صـدـاقـتـهـ".⁽⁴⁾

وهـذاـ هوـ حـلـقـ الـمـسـلـمـ الـحـقـ بلـ إـعـلـانـ التـسـامـحـ وـالـانـفـتـاحـ ، وـرـفـعـ شـعـارـ الـمـوـدـةـ وـالـأـخـوـةـ الـإـنـسـانـيـةـ ؛ غـاـيـةـ عـلـيـاـ فيـ حـفـظـ الـأـمـنـ وـالـسـلـامـ وـنـتـيـجـةـ فـضـلـيـ فـيـ تـحـقـيقـ الـعـدـلـ عـلـىـ مـسـتـوىـ الـوـسـطـيـةـ الـجـامـعـةـ عـنـ غـيرـهـاـ مـنـ نـزـعـاتـ الـكـراـهـيـةـ وـالـتـطـرـفـ الـتـيـ تـفـضـيـ إـلـىـ الـانـفـرـادـ بـالـسـائـحةـ، مـعـ نـشـرـ الـأـنـانـيـةـ وـالـغـلـوـ فـضـلـاـ عـنـ نـقـضـ الـتـعـدـديـةـ وـالـاخـتـلـافـ فـيـ الـنـهـاـيـةـ، قـالـ جـلـ وـعـلـاـ: ﴿يـاـ أـيـهـاـ النـاسـ إـنـاـ حـلـقـنـاـكـمـ مـنـ ذـكـرـ وـأـنـشـيـ وـجـعـلـنـاـكـمـ شـعـوبـاـ وـقـبـائـلـ لـتـعـارـفـوـ﴾ [الـحـجـرـاتـ: 13]. وـلـاـ عـجـبـ أـنـ يـكـوـنـ هـنـالـكـ أـخـوـةـ إـنـسـانـيـةـ آـدـمـيـةـ بـحـكـمـ الـأـنـتـسـابـ إـلـىـ آـدـمـ أـبـيـ الـبـشـرـ، حـتـىـ نـادـانـاـ جـمـيـعـاـ بـقـولـهـ: ﴿يـاـ بـيـنـيـ آـدـمـ﴾ [الـأـعـرـافـ: 26] فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ خـمـسـ مـرـاتـ.

فـهـذـهـ سـنـةـ لـاـ سـبـيلـ إـلـىـ إـلـغـائـهـاـ وـتـجـاـزـهـاـ بـلـ يـنـبـغـيـ فـهـمـهـاـ وـاستـيـعـابـهـاـ ، وـهـذـاـ دـلـيـلـ عـلـىـ أـنـ التـعـارـفـ وـالـتـسـامـحـ وـالـتـعاـونـ بـيـنـ الشـعـوبـ سـمـةـ أـسـاسـيـةـ مـنـ سـمـاتـ الـإـسـلامـ الـحـنـيفـ، وـأـنـ أـصـلـ دـعـوـةـ الـإـسـلامـ هـوـ الـالـتـقاءـ بـيـنـ الـأـمـمـ وـالـشـعـوبـ لـلـاعـتـارـفـ بـالـغـيـرـ .

فـلـاـ يـمـكـنـ لـأـيـ مجـمـعـ مـنـ مجـمـعـاتـ، أـنـ يـتـقدـمـ إـلـىـ الـأـمـامـ إـلـاـ مـنـ خـلـالـ إـيـجادـ أـرـضـيـةـ لـلـتـعـدـديـةـ وـالـتـعـاـيشـ ، وـالـتـفـاعـلـ الـحـرـ بـكـلـ مـكـوـنـاتـهـ. وـلـاـ يـمـكـنـ لـهـ أـنـ يـنـهـضـ مـنـ دـوـنـ أـنـ تـتـوـفـرـ فـيـ ثـقـافـةـ التـسـامـحـ، وـحـرـيـةـ الـفـكـرـ وـالـتـفـكـيرـ وـحـقـ الـاـخـتـلـافـ فـيـ الرـأـيـ ، فـضـلـاـ عـنـ نـبـذـ أـشـكـالـ التـطـرـفـ وـالـتـخـلـيـ عـنـ ثـقـافـةـ الـإـقـصـاءـ وـالـاسـتـصـالـ باـعـتـبارـ أـنـ ذـلـكـ يـشـكـلـ أـسـاسـ الـأـوـلـ لـتـقـدـمـ الـمـجـمـعـاتـ وـتـطـوـرـهـاـ.

1- صحيح البخاري (الجامع الصحيح) : للإمام محمد بن اسماعيل(ت256هـ) : تج. د. مصطفى البعا ، ط3 دار ابن كثير - بيروت 1407هـ- 1987 م : باب : {وـكـذـلـكـ جـعـلـنـاـكـمـ أـمـةـ وـسـطـاـ...} رقم الحديث: 1632/4 (4217) ، سنن الترمذى (الجامع) : محمد بن عيسى(ت279هـ)، تج. أحمد محمد شاكر ، وأحاديثه مذيلة بأحكام الألباني عليها ، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت : باب: (من سورة البقرة) ، برقم: (2961) / 5 ، وقال عنه: (حديث حسن صحيح) ، مسند أحمد : برقمي : (11068)، (11283)، (11283) / 17- 122- 383 .. وكله من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

2- صحيح البخاري : باب : (تفسير حم السجدة) ، رقم الحديث : (4537) : 1814 / 4 .

3- ينظر : تفسير القرآن العظيم : 110 / 1 .

4- أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن : للشيخ محمد الأمين الحكيم الشنقيطي (ت1393هـ) ، تج. مكتب البحوث والدراسات ، ط دار الفكر - بيروت 1415هـ - 1995 م : 190 / 9 .

8-9 أبريل 2019 -نوفي بزار، جمهورية صربيا

وبهذا يكون المسلمين قد تجاوزوا عوامل الصِّراع ودعوات التَّنَازُع تجاه بعضهم أو غيرهم ، وذلك بتقبيلهم وسعة آففهم ونظرتهم إلى المخالف برأٍ شموليٍّ واضحٍ تتيح تقارب وجهات التَّنَظر وهذا الأمر كفيل بنزع فتيل العنف والغلوٍ والتشدد والحقد الذي طالما أنهك الإنسانية برمتها ، والذي أثر على مستوى التفاعل والتقارب بين الشعوب والأمم حتى أمست متنافرة متباude .

لذا فإنَّ ظاهرة إحياء ثقافة التسامح وترسيخها بين الشعوب والأديان والثقافات ظاهرة صحَّية نافعة، بل هي الوسطى العادلة والمتوازنة بين غلوٍّ الإفراط والتفرط في الانغلاق والغرلة، وهي الظاهرة التي تدفع حالة التطرف، وتبعد شبح الإرهاب العالمي والم المحلي على حدٍ سواء، وهي ظاهرة إصلاحية ثورية تتجاوز الاعتراف بالآخر والقبول به والتمكين له، إلى حيث إنَّ جزءً من الذات الدينية الواحدة، يقول الله تعالى: ﴿فَلَمْ يَأْتِ الْكِتَابُ بِعَلَيْهِ إِلَّا لِتَبَيَّنَ مَا فِي الْأَرْضِ وَلِتَنذِيرَ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: 64].

.. وانطلاقاً من هذه الآية يوضح الأستاذ حسان حتّحوت طبيعة الإسلام ورؤيته إلى الآخر بقوله : "ليس ثمة أبلغ وأوفى بالقصد من الآية الكريمة في الدلالة على عمق مبدأ التعايش في مفهوم الإسلام ، ذلك أنَّ المسافة المشتركة بين المسلمين وأهل الكتاب مساحة واسعة ، وإذا كان الإسلام قد جعل في قلوب المسلمين متسعًا للتعايش معبني الإنسان كافة ، ففيه من باب أولى متسع للتعايش بين المؤمنين ، وإن كان هذا التعايش لا يعني أئنا متفقون في كل شيء" ⁽¹⁾.

ومع هذا كله فإنَّ القرآن الكريم قد قرَّرَ لكلِّ هؤلاء الفرقاء ذات الحقوق وذات الواجبات التي قرَّرها للمسلمين المؤمنين بالكتب والنبوات والرسالات كلِّها. وإذا كان القرآن قد أكد على القيم الإنسانية التي من شأنها أن تجمع ولا تفرق ، وتبني ولا تهدم ، وتحض على التعاون لتحقيق الخير للبشر كافة ، فإنَّ من أولويات تلك القيم وأساسها ترسيخ التسامح والصَّفَح ، وعالمنا اليوم بأمسِ الحاجة إلى التقارب والتعاون من أجل مواجهة تحديات العصر ، وفي مقدمتها التطرف والعنف. وإذا لم ترسخ ثقافة التسامح ولم يعترف ببعضنا بالآخر ، فإنَّه ستغلب المصالح الذاتية على المصلحة الإنسانية ، مما يزيد الأمور تعقيداً وتفاقم المشكلات ، الأمر الذي يُنذرُ بانتشار التطرف والفوضى ، وعدم الاستقرار في أوطاننا.

ومن هنا يبدو لنا ضرورة التفكير الجدي في قضيَّة دفع الاحتواء إلى الأمم ، وإذكاء روح التسامح ، لاسيما وأنَّ الأمة الإسلامية التي تُعنى اليوم بالتأزم والتخلف ، بحاجةٍ ماسَّةٍ إلى الدُّخُول في مشروع تجدidiٍّ حضاريٍ شامل يعيد لها حيويتها وفاعليتها التاريخية والاجتماعية ، وأصالتها الثقافية والنفسية ..

ومن هنا ينبغي لعلماء الأمة ورجالها المخلصين أن يفكروا مليأً في تقوية موضوع التسامح بوصفه عملاً علمياً حضارياً ومنهجياً شاملًا في تحقيق الوسطية وفعلاً اجتماعياً يتطلب أعلى مستويات الذكاء والوعي والفاعلية والأصالة والإتقان ، ويُخضع لمنهج حضاري واضح ومتنااسبٍ مع حجم الواقع المطلوب تغييره. ⁽²⁾

1- رسالة إلى العقل العربي المسلم : حسان حتّحوت ، ط1 دار الحياة - القاهرة 1998 م : ص 153 .

2- ينظر: الشاكلة الثقافية - مساهمة في إعادة البناء - : عمر عبيد حسنة ، ط1 المكتب الإسلامي - بيروت : 98-99 ، نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي : د. عبد الكريم بكار ، ط1 دار البشرى - جده / المملكة العربية السعودية : 13-14 .

ولا يمكن للأمة الإسلامية اليوم أن تردهر ما لم تفهم كيفية التطبيق العملي لحقوق الإنسان، لاسيما وأنَّ الأعاصير الاستبدادية المعادية للحرية تتربص بهم الدوائر ، وتريد منهم الانقضاض على عناصر هذه الحرية ، وفي مقدِّمتها حق الاختلاف واحترام ممارسته في الحياة اليومية للناس، حتى تأخذ ثقافة التسامح والاختلاف بالانحسار، وتحل محلها ثقافة الصوت الواحد واللون الواحد والفكر الضال التي لا تقبل الاختلاف، بل تُلقي بال مختلف الآخر في حظيرة التآمر أو الخيانة ولا يمكن لهذا أن يحدث إلا إذا ضعفت ثقافة التسامح والمواطنة في المجتمع ، وحينئذٍ تتغلب لغة العنف والنزاع، وتمتد بين الناس العاديين أنفسهم حتى يتحولوا إلى وقود للصراعات ، بعد أن أصبحوا مجرد صدى ومتلقي للتوجهات الفكرية المنسخرفة لذا فالMuslimون اليوم في حاجة بهم ماسة إلى تنشيط ذاكرتهم والالتفات إلى القيم التي ترعرع بها حضارتهم، والعودة إلى تطبيقها في دنيا الواقع من أجل تطوير حياتهم ، وإصلاح مجتمعاتهم وتغيير الأوضاع التي لم تعد تتلاءم مع ظروف العصر ومستجدات الحياة والإسلام إذ يُشجع على ذلك كله فإنه يُبيّن في الوقت نفسه أنَّ قانون التغيير يقضي بأنَّ أيَّ تغيير أو تطوير لا بدَّ أن ينبع من الداخل لا من الخارج كما يُشير إلى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُعِيرُ مَا يِقُومُ حَتَّى يُعِيرُوا مَا يِأْنَفُسُهُم﴾ [الرعد: 11]. لا يُغير ما يقوم من عافيةٍ ونعمَّةٍ، فيزيل ذلك عنهم وبهلكهم، حتى يُعِيرُوا من ذلك بظلم بعضهم بعضاً، واعتداء بعضهم على بعض (1).

إنَّ عملية التأثير والتأثر بين الحضارات والمجتمعات عملية واقعية لا مجال لإنكارها ، وهذا لن يستقرَّ ما لم نعلن التسامح ، ونحيي ثقافته؛ كي نستجيب لفهم ذاتنا وفهم الآخرين ونبعد عن الانعزالية الممقوتة التي تفقدنا خصوصيتنا الحضارية وتحولنا إلى مجرد هامش يكاد أن يضيع .

ولا شكَّ أنَّ الخيار البديل للتطرف ولصدام الحضارات وصراع الدول ، هو ترسيخ ثقافة التسامح وبث روح التصالح بين الشعوب والأمم بما يكفل للإنسان والبشرية جماعة الخير والفائدة ، ويتحقق العيش المشترك في عالم يسع الجميع مهما كانوا متباينين على المستوى العقدي والثقافي والحضاري ، بيَدَ أنَّ هذه الروح الحضارية لا يمكن أن تتمَّ أو تتحقق إلا عن طريق حوار بناءً وفعالٍ بين المختلفين مع إعلان حسن النوايا علمًا أنَّ الحوار لا يمكن فرضه بالقوة ، إذ هو كالحبِّ والصدقة لا يولد بالضغط ولا بالترغيب، إنما يولد بالتسامح والافتتاح على الآخرين المختلفين واحترام وجهة نظرهم، وتفهمهم وعدم رفضهم وقولهم كما هم ، وكما يرغبو أن يكونوا .

والإسلام يسعى إلى أن يكون العالم منتدى حضارات متعدد الأطراف ، ومع ذلك فإنه لا يُريد للحضارات المتعددة أن تستبدل التعصب بالمركزية القسرية ، إنما يُريد لهذه الحضارات المتعددة أن تتفاعل وتساند في كلٍّ ما هو مشترك إنسانيٌّ عام (2).

فالبلدين الإسلامي يقوم على أساس التسامح والألفة ، ولا تُغالي إذا أكدنا هنا على أنَّ الإسلام إذا ما نظرنا إليه من حيث مبادئه وتعاليمُ الأصيلة وجدناه أرقى الأديان في تحقيق مبدأ التسامح والتواصل ، ويشهد التاريخ لهذا، وذلك من خلال معاملة المسلمين لغيرهم في البلاد المفتوحة ، والتي كانت مثالاً رائعاً من التسامح يُحتذى به ،

1- ينظر: تفسير الطري : 382/16 .

2- ينظر: العطاء الحضاري للإسلام : للمؤلف نفسه ، ط دار المعارف – مصر 1997 م : 121 .

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

ممّا يرمي إلى القضاء على أسباب التطرف والصّدام، وزعزعة الأمن والسلام . وليس بدعاً أن يكون الإسلام بهذا التفرد دين الوسطيّة ، دين (التسامح) وليس دين التطرف أو العنف والصّدام كما يُتّهم بذلك ، وقد استطاع أن يُقْيمَ أمّة عاش في كنفها المسلمون وغيرهم وعاشت هي في علاقات مع غيرها أساسها التعارف بعيدة عن الإقصاء والانعزالية، ممّا جعل للإسلام رسالة تبدأ من التوحيد وتنتهي بالدّعوة إلى الوحدة التي يتعيش داخلها البشر كله تحقيقاً للوسطيّة والمساواة والكرامة الإنسانية ، بعيداً عن أيّ لون من ألوان الصراع ، وفي منأى عن أيّ مظهر من مظاهر التشدد الذي يستحيل أن يكون الإسلام يحمل شيئاً من بذوره . ولهذا كفلت شريعة الإسلام حرية الاعتقاد لغير المسلمين، وكفلت حقوقهم ورعايتهم؛ استجابة لهدف الإسلام وأعمله في تحقيق العدالة والإنصاف، وهو سِمتا الحياة فيه؛ وذلك ل تستقرّ الأمم والشعوب، وتعيش في أمن وأمان .⁽¹⁾

والله جلّ وعلا وحده يتولّ حساب المختلفين في دياناتهم ومذاهبهم، ولستنا نحن، وهذا ما فرّره القرآن الكريم في مواضع شتى :

يقول سبحانه مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنْ جَادُوكُ فَعْلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَحْتَلِفُونَ﴾ [الحج: 67-69]. وفي سياق آخر يقول له في شأن أهل الكتاب: ﴿وَقُلْ آمِنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَمْرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَحْمِلُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشوري: 15]. وعن أصحاب الديانات الأخرى يقول جلّ وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: 17].

إذن على المجتمعات كافة أن تعمل جاهدةً على عدم ضعف ثقافة التسامح في المعاملة مع أيّ طرف، وعدم نشر نزعات الكراهية والأنانية والحقد. إذ إنّ من أبرز معلم التعايش السّلمي الذي يُقرّه القرآن للآخر هو إعلانه للغير بالتسامح، وتوفيره له بوجود اندماجي يحافظ فيه على جميع مكونات شخصيته ، وفي طليعتها المكوّن الديني وما يرتبط به من ممارسات وعادات بها يؤكّد ذاته عقدياً وثقافياً ونفسياً ، ومعها يثبت خصوصيات هوّته مما يتحقق به الانتماء إلى ذلك المجتمع .

ويذكر رسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم بطريقه واضحة هذه القيمة فيقول: « يا أيّها النّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ إِلَّا فَضْلٌ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى أَسْوَدٍ ، وَلَا لَأَسْوَدٍ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبْلَغْتُ؟...». (2) فساوى بينهم في كلّ حق ديني ودنيوي، ولم يجعل لأحد منهم ميزة في نسب أو حسب أو مال أو حسن صورة ، إنما الميزة والتفضيل بالمعنى العالى في التقوى وتوابعها. (3)

1- ينظر: نظام الأمان في الشريعة الإسلامية وأوضاع المستأمين : سامي الصقار ، ط جامعة محمد الخامس – الرباط / المغرب 1977 م : 69 ، مفهوم العدل في الإسلام : مجید خدوری ، دراسات في الفكر الديني – دمشق / سوريا : 131.

2- مسند أحمد: (من حديث أبي نضرة عن رجل من الصحابة) : رقم الحديث: (23489) : 38/474 .. قال عنه الشيخ الألباني : (إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم ، غير من سمع خطبه صلى الله عليه وسلم ، فإنه لم يسم ، و ذلك ممّا لا يضرّ؛ لأنّه صحابي ، والصحابي كلهم عدول). **السلسلة الصحيحة** : للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، ط مكتبة المعرف - الرياض : برقم : (2700) : 6/203 .

3- كمال الدين الإسلامي وحقيقته ومزاياه : عبد الله بن جار الله ابراهيم آل جار الله ، ط 1 وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد –

ولهذا جعل الإسلام المساواة ومبادأ التسامح والحوار أصلًاً من أصول التعامل والتعايش بين الناس ، ويؤكد على ذلك ؛ لأنّه دين شامل لشئون الحياة كلها فهو بحق دين الإنسانية قاطبة حتى قيام الساعة .⁽¹⁾

فلن نستطيع إذاً استيعاب المعطيات والواقع المكونة لموافقنا وآراءنا بدون مسامحة وتلاقي ، ولن نستطيع أبداً نحن أبناء الوطن الواحد أن نتقارب أو نتفاهم دون أن نتسامح ونتحاور فإذا لم يكن هنالك مسامحة بيننا فسوف ينطوي كلُّ واحد منا على ذاته وتقع القطيعة بيننا ؛ لأنَّ البديل الوحيد عن المسامحة هو القطيعة والضغينة اللتان ستؤديان إلى انتشار ثقافة الشُّلُّ والحدُّر التي ستقودنا إلى الفوضى والتصادم والقتال .

لذا " ينبغي علينا أن نفعّل في حياتنا نصوص الوحي التي تدعونا إلى العفو والتسامح والمصالحة الاجتماعية والتواصل الإنساني والرحمة ببني البشر ، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْعَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:134]. ويبداً هذا التسامح بالتسامح مع النفس ، فلا نرهقها بحمل الأحقاد والضغائن ، ولا نعذبها بالكراهية والعدوانية بل نغرس فيها شجرة الرَّحمة والمحبة والإيمان والسلام ، ونتسامح مع والدinya وقربتنا وأهلنا وذويينا ، فنصل ما أمر الله بوصله ، ونرعاهم بالبر ونحوthem بالرفق والرعاية ، ونفعو عن زلاتهم ، ونتحمّل أذائهم ، ونتسامح مع أبناء مجتمعنا ، حتى إذا أخطأوا أو أذنبو أرشدناهم برفق ، ونصحتناهم بلين معتقدين أننا مثلهم ، يقع منا ما يقع منهم علينا أن نرسل للعالم رسالة التسامح وتقدير رسالتنا في حلة السلام ، والحرص على نجاتهم وفلاحهم ليأمنوا جانبنا ، فحن وإيّاهم نعيش على كوكب واحد ، وبيننا مصالح مشتركة ، ومنافع متداخلة ، ويربطنا بهم حق الإنسان على الإنسان ، وواجب البشر تجاه البشر ، فيحسن بنا أن نريهم الوجه الجميل للإسلام البريء من العنف والفظاظة والغلظة والاحتقار والكبت والقهر ؛ لأنَّ الله أمرنا بالحكمة في الدعوة واللين في الخطاب والرفق في المعاملة مع حسن الحوار ، بل نهانا عن الإرهاب الفكري ، والسيطرة على العقول بالقوة فقال تعالى: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصِيرٍ﴾ [الغاشية:22] ، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَّنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:99] . الإقناع والحوار والحجّة هي طريقنا الصَّحِيح لتقديم رسالتنا وعرض مبادئنا ".⁽²⁾

وليعلم الجميع أنَّ ممارسة التسامح لا تتعارض مع احترام حقوق الإنسان ولا تعني قبول الظلم الاجتماعي أو تخلِّي المرء عن حقوقه ومعتقداته أو التهاون بشأنها ، بل مبدأ ينبع عنده الاستعداد للتسماح بالتعبير عن الأفكار والمصالح التي تتعارض مع أفكارنا ومصالحنا. وهنا لا بد من تهذيب المطالب الحقوقية ، وتهذيب لغة الخطاب حتى يتمَّ الخروج بحلول عملية تصهر الجميع في بوتقة المجتمع والدولة، وبهذا حينئذٍ ستستمر الإخفاقات الواحدة تلو الأخرى. فعلينا اعتماد خطاب ثقافي وفكري علني يتناول جوهر الإشكاليات ويتبنّى نسقاً جديداً من مفاهيم التسامح والاعتراف بالأخر ؛ كي يتمكّن المجتمع من تجاوز محنته .

. 91 المملكة العربية السعودية 1418هـ :

1- ينظر: الضوابط الأخلاقية : د. محمود بابللي ، بحث نشر في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة / المملكة العربية السعودية، العدد: (8)، لسنة 1423هـ- 2002 م : 54.

2- ثقافة التسامح: وهي مقوله للدكتور عائض القرني، جريدة الشرق الأوسط ، العدد (112000)، الثلاثاء 5/شعبان/ 1430هـ- 28 /يوليو/2009م

المطلب الثاني

إشارات القرآن حول ضعف ثقافة التسامح وأثره في تكريس ظاهرة التقاطع والتناحر

بات من المؤكد والضروري أن نشر ثقافة التسامح وقبول الآخر المختلف حاجة أساسية وملحة لاسيما في ظل هذه الظروف الحساسة والحرجة التي نمر بها من كافة النواحي التي نحن فيها، ويجب زرع هذه الثقافة في نفوس وعقول الجيل الناشئ؛ لأنها تسهم بشكل فعال في خلق جيل واع قادر على تحمل أعباء المسؤولية وقيادة المرحلة القادمة بشكل ايجابي وسليم؛ لأن مثل هذه الثقافة تشكل ترسیخاً قوياً لمعالم الوحدة الوطنية التي ينبغي بناؤها على أساس من الثقة وبعيداً عن الشك والهواجس .

والقرآن لا يُرِيد إقصاء الآخر ولا إلغاء شخصه ولا الانتقام منه وقهره وازدراءه، بل التفاهم معه في جو يكفل المساواة في الفرص والإمكانات والتسامح قيمة جوهرية في العلاقات والاتصال بالآخر، وهو أسلوب تفكير ونظرة إلى الآخر تقوم على الاحترام وتقدير التنوع للمفاهيم والأراء وإن اختلفت، يقول جل وعلا: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ [الروم: 22].

وتاريخنا الإسلامي في كافة عهوده يشهد بأن المسلمين لم يفرضوا دينهم على أحد في البلاد التي فتحوها ، وأنه كان من حق أي إنسان أن يظل على دينه الذي يدين به مهما كان هذا الدين وتقوم الدولة بكفالة هذا الحق والدفاع عنه، ويفرض أمره إلى الله تعالى.

ولهذا يقول العلامة ابن قدامة رحمه الله: "إِذَا أَكَرَهَ عَلَى الْإِسْلَامِ مَنْ لَا يَجُوزُ إِكْرَاهَ كَالْذِمَّيِّ وَالْمُسْتَأْمِنِ فَأَسْلَمَ لَمْ يَثْبُتْ لَهُ حَكْمُ الْإِسْلَامِ حَتَّى يُوجَدَ مِنْهُ مَا يَدْلُلُ عَلَى إِسْلَامِهِ طَوْعًا ، مُثْلِ أَنْ يَثْبُتَ عَلَى الْإِسْلَامِ بَعْدِ زَوْلِ إِكْرَاهِ عَنْهُ فَإِنْ مَاتَ قَبْلَ ذَلِكَ فَحُكْمُهُ حُكْمُ الْكُفَّارِ ، وَإِنْ رَجَعَ إِلَى دِينِ الْكُفَّارِ لَمْ يَجزِ قُتْلَهُ وَلَا إِكْرَاهُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ ".⁽¹⁾
فتلك خاصية ديننا وتلك هي مرتکرات قبول الآخر واحترام خصوصياته، وتلك هي خلاص الأمة من ظاهرة التناحر والتناحر . وقد شهد لهذا غير المسلمين حتى قال غوستاف: "إِنَّ الْقُوَّةَ لَمْ تَكُنْ عَامِلًا فِي انتشارِ الْقُرْآنِ ، فَقَدْ تَرَكَ الْعَرَبُ الْمُغْلَوْبِينَ أَحْرَارًا فِي أَدِيَانِهِمْ إِذَا حَدَثَ أَنْ اتَّحَلَّ بَعْضُ الشَّعُوبِ النَّصْرَانِيَّةِ الْإِسْلَامَ وَاتَّخَذَ الْعَرَبِيَّةَ لِغَةً لَهُ؛ فَذَلِكَ لِمَا كَانَ يَتَصَفُّ بِهِ الْعَرَبُ الْغَالِبُونَ مِنْ ضَرْبِ الْعَدْلِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ عَهْدٌ بِمِثْلِهِ ، وَلِمَا كَانَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ مِنْ السُّهُولَةِ الَّتِي لَمْ تَعْرِفَهَا الْأَدِيَانُ الْأُخْرَى".⁽²⁾

وهذا أعظم ردٍّ من مستشرق منصف إلى الذين يُطْبِلُونَ بِأَنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ اتَّشَرَ بِالسِّيفِ، وليس بالتسامح والحوار .. ولم يقتصر على هذا حتى قال : "وَالْحَقُّ أَنَّ الْأَمْمَ لَمْ تَعْرِفْ فَاتِحِينَ رُحْمَاءَ مُتَسَامِحِينَ مِثْلِ الْعَرَبِ ، وَلَا دِينًا سَمِحَّا مِثْلَ دِينِهِمْ".⁽³⁾

1- المعني (في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ت241هـ) : للإمام موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي (ت620هـ) ، ط1 دار الفكر – بيروت 1405هـ : 96/10.

2- حضارة العرب : غوستاف لوبون ، ترجمة: عادل زعيتر ، ط3 دار إحياء الكتب العلمية – القاهرة/مصر 1956م: 127.

3- حضارة العرب : غوستاف لوبون : 605 .

9-8 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

وها هو السير توماس آرنولد يقول: " لقد عامل المسلمون الظافرون العرب المسيحيين بتسامح عظيم منذ القرن الأول للهجرة واستمر هذا التسامح في القرون المتعاقبة ، ونستطيع أن نحكم بحق أنَّ القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام قد اعتنقته عن اختيار وإرادة حُرَّة، وأنَّ العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات المسلمين لشاهد على هذا التسامح ".⁽¹⁾

ومن هنا فلا ريب أنَّ التفاهم عن طريق بِثِ روح التسامح حُرَّة توكل كرامة الإنسان أيًّا كان، ويشجعه على التفكير والعمل والتعايش والتفاعل والتعاون مع غيره؛ لتحقيق الخير والتقدُّم للمجتمع. فإذا ما رفض التسامح وحُوربت ثقافته سيؤدي بالمجتمع نحو الخراب والدُّمار وانتهاك حقوق الآخرين وعدم تقبيلهم، فضلاً عن انتشار التطرف والصِّراع.

لذا فإنَّ قيم التسامح كانت سبباً من أسباب وحدة الشعوب وترابطها وتعاونها في كافة المجالات المختلفة، ونحن في هذا العصر ندرك أنَّ التسامح بأشكاله المختلفة، يُمثل أهمَّ الانجازات التي حققها الإنسان لنفسه في العصر الحديث، ونؤمن أنها أساس كلِّ حياة إنسانيةٍ كريمةٍ ولا غنى عنها لأيٍّ حضارة تنشد التقدُّم العلمي والاجتماعي والإنساني ، فكانت من أهمِّ أسباب القضاء على الانعزالية والتشدد والتقوّع.

.. وإذا استطعنا أن نستوعب هذا وحرَّكنا قضيَّة العفو والتسامح بمعرض عن التشدد والانفعال وتراكم الاحتقان وتعاملنا معه على أساس كونه وسيلة لسلوك الإنسان ، ومن ثمَّ القدرة على إبداء ما توصلَ إليه هذا الفكر دون قيد أو مؤثر ، وصولاً إلى بلورة منهج حضاري إسلامي في إعمال العقل والقلب لنيل المعارف والصفاء.

و" عالميَّةُ الإسلام تجعل الثقافة والحضارة الإسلاميَّين مفتوحتين على حضارات الأمم ومتداوبيَّن مع ثقافات الشعوب مؤثريَّن ومتأثريَّن ... يهدف أولاًً وقبل كلِّ شيء إلى الوحدة الإنسانية العالمية، والزمالَة العالمية الشاملة بأن يكون الناس جميعاً إخوة متواذَّين متحابين متساوين متكافئين حتى يستطعوا أن يحققوا الرِّسالة العظمى التي خلقهم الله من أجلها".⁽²⁾ فالعفو والتسامح تفتح مجالِي الأحقاد والضغائن، وتدرأ الكثير من مكونات النفس وتراكمات الجاهليَّة .

والأمة العربيَّة والإسلاميَّة لا يمكن أن تكون لها رسالة حضاريَّة باتجاه العودة إلى الريادة والسيادة قبل أن تتحقق روح التسامح في ذاتنا وواقعنا وثقافتنا ومعارفنا ونظمنا التربويَّة والأسرية والسياسيَّة والاقتصاديَّة والإعلاميَّة وفي ضوء الإطار الدُّعوي المخلص، الذي يؤسِّس لإنسانيةٍ تتفاعل على أساس التقوى والصلاح والنفع العام للبشرية⁽³⁾.

إذن فكيف يمكننا أن نتخلَّى عن قيم التسامح ولاسيما الحوار، والله جلَّ وعلا يأمرنا بالدُّعوة إلى إقامة الحجج على الآخرين وبالتالي هي أحسن قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا أَتَيْ هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: 53]. وهذا يعني قل يا محمد لعبدِي إذا أردتم إيراد الحجَّة على المُخالفين فاذكرُوا تلك الدَّلائل بالطريق الأحسن وهو أن لا يكون ذكر الحجَّة مخلوطاً بالشتم والسب ؟ ذلك لأنَّ ذكر الحجَّة لو اخْتَلَطَ به شيء من السُّبِّ والشتم لقابلوك بمثله كما قال : ﴿وَلَا

1- الدُّعوة إلى الإسلام : سير توماس آرنولد ، ط القاهرة 1970 م : 59 .

2- الإسلام دين المدينة القادمة : مصطفى الرافعى ، ط الشركة العالمية للكتاب - بيروت 1990 م : 14 ، 106 .

3- ينظر : دراسة قرآنية في فقه التجديد الحضاري : سيد دسوقي حسن ، ط دار نهضة مصر - القاهرة 1998 م : 23-24 .

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

تَسْبِّهُ الدِّينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُّو اللَّهَ عَدْوًا بِعَيْرِ عِلْمٍ¹ [الأنعام: 108] فيزداد الغضب والاحتقان وتتكامل التفرقة ، ويمنع حصول المقصود. أمّا إذا وقع الافتقار على ذكر الحجّة بالطريق الأحسن الحالي عن الشتم والإيذاء، أثر في القلب تأثيراً شديداً.⁽¹⁾

والملحوظاليوم أنَّ من بين المعضلات الكبيرة التي تواجه المجتمعات هو الخوف من الآخر وتجلب تلاقيه ومصارحته، وتسعى لهذا بعض الفئات الضالة فتضيع الحاجز أمام أي تقارب مع الآخر وباستمرار ؟ خوفاً من مواجهته فكريّاً ، وتحصّناً ضد افتتاح تابعيه على الرأي الآخر ، وخشية ضياع مصالحه ، وتقوض سلطته الداخليّة على جماعته ؛ لذلك حرص بعضهم وباستمرار على مخاصمة الآخرين ، وعدم دعوتهم إلى الحق والصواب ، وتوجيه التهم لهم بالتأمر ، عبر تطهّفهم وغلوّهم وتذرّعهم بأدلة تافهة لا نص لها في الكتاب أو السنّة ، مما يؤثّر سلباً على سماحة هذا الدين الحنيف .

لذلك بات لزاماً على كافة المجتمعات البحث عن سبل التلاقي والتواصل عن طريق البحث عن أرضية مشتركة للتعاون بدل المجابهة، والافتتاح بدل الانغلاق، والتفاهم بدل التجاهل. والعالم اليوم مطالب بالعودة إلى قيم المحبة والحوار والتسامح ورفع الظلم والعدوان والاستكبار من أجل تهيئة المناخ الملائم لإقامة جسور التواصل المثمر والبناء . وإنَّ لدراسة مسألة ثقافة التسامح والتحاور أطراً منهجيَّة أساسية من أهمِّها، ترسیخ الوعي على ضرورة المعالجة المنهجيَّة الاستراتيجيَّة لمسألة التفاعل الحضاري . وإنَّ أهمَّ شيءٍ ينبغي التفكير فيه -اليوم- هو صياغة الوحدة التحليليَّة الأساسية أو الإطار التحليلي والمناسب لمعالجة قضايا التفاعل الحضاري.⁽²⁾

ومن الأطر أيضاً ضرورة الوعي بطبيعة تشكيل الإنسانية في وضعها الحضاري العالمي، إذ تعيش الإنسانية -اليوم- وضعًا عالميًّا حسناً ومعدناً ومحرجًا للغاية . والإنسان الذي يعاصر في هذه اللحظات التاريخيَّة الكبرى يرى تحولات ضخمة ، ومعقدة وسريعة في مجال المعرفة والمعلومات والوعي، وفي ميدان الوسائل والتكنولوجيا، وفي مجالات أخرى .⁽³⁾

والعالم المعاصر لن ينصلح لنا إذا فهم منا أنَّا نريد سلب حقوقه والانتقام منه وتهديد حياته وتخويفه ، بل علينا قبل أن نقدم له الحقيقة الناصعة والحجّة البينة عن ديننا، أن نجعله يشعر بحرصنا على حياته ونجاحه وسعادته، فإنَّ الرَّسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى لِإِسْعَادِ الْبَشَرِيَّةِ لَا لِشَقَاوَتِهِمْ، وَلِنَجَاهَ النَّاسَ لَا لِهَلَاكِهِمْ، وَلِسَلَامَتِهِمْ وَحَرَمةِ نَفُوسِهِمْ المغضومة، لَا لِإِزْهَاقِ أَرْوَاحِهِمْ إِلَّا بِحَقِّهَا الشَّرِعيِّ .

إذن ما ينقذ العالم بأسره ويخلصه من الاختزال المتطرف والمتشدد، هو اللجوء إلى حتميَّة التسامح وتنقيف المجتمعات بهذا المبدأ الطموح ، إذ لا يمكن للحاقددين المتطرفين تهميش مبادئ الإسلام وسماته عن طريق نشر التخوّف منه، والإيهام بأنَّه يسعى إلى إقصاء الآخرين وإشعال فتيل التَّنَازُع معهم .. لذا فقد آن الأوان لوضع حدٍ

1- ينظر : التفسير الكبير (مفآتيخ الغيب) : فخر الدين الرَّازِي (ت 604هـ) ، ط 1 دار الكتب العلميَّة - بيروت 1411هـ- 1990 م : 73

2- ينظر : مناهج التجديد - سلسلة آفاق التجديد: عبد الجبار الرفاعي ، ط 1 دار الفكر - بيروت ودمشق 2000م: 57-58

3- ينظر : مقومات التجديد الحضاري عند بديع الزمان النورسي : عبد العزيز برغوث ، ط 1 مركز الفكر الحضاري والتربية - كوالالمبور / ماليزيا 1999 م : 19.

للنَّظريَّات المتشددة التي تتوهَّم وتريد أنْ تُوهم بأنَّ ديننا لا يُسامح ولا يصلح التعامل معه كتِيَارٍ رئيسيٍّ يصبُّ في الحضارة الإنسانية الشاملة .

المطلب الثالث:

أسباب ضعف ثقافة التسامح في تغذية العنف ومعالجة ذلك

وممَّا سبق فإنَّ غياب ثقافة التسامح وقبول الآخر المختلف هو من أكثر عوامل الواقع الذي تعاني منه مجتمعاتنا في الوقت الحاضر، وهذا يُمثل مسؤولية يجب أن يضطلع بها الجميع من قوى سياسية ومنظمات مجتمعية ومؤسسات ثقافية وحتى علماء الدين، إذ إنَّ الإقرار بثقافة التسامح والاعتراف بالآخر هو أمر محمود ومقبول نظرياً ولكن يجب النهوُض والعمل من أجل ترسِّيخ قيمة هذه الثقافة وتطبيقاتها في الحياة اليومية بشكل يعود بالفائدة على الجميع دون استثناء .. وللتعرُّف أكثر على أسباب ضعف تلك الثقافة ، وكيفية معالجتها وتحديد هما التركيز على هذين المحورين:

المحور الأول: أسباب ضعف ثقافة التسامح في تغذية التطرُّف والعنف

إنَّ ركاكَة نشر ثقافة التسامح وهشاشتها تعد سبباً وعائِقاً اجتماعياً ، تؤثُّر سلباً على العلاقات داخل المجتمع المدني الذي يفترض التعدد والتتنوع وحتى الاختلاف في مكوِّناته ، وأنها تعوق إمكانيات تبادل الرؤى والأفكار بين فئاته وطبقاته الاجتماعية ، مما تنتشر ثقافة النَّهي والإقصاء .. والمتأمل في هذا الضعف يجدُه في واقع الأمر راجع إلى أسباب كثيرة كلها تزيد في منشأة الانعزال والكراهية ، وأسلوب الفكر الضال ، وإقصاء الآخرين وعدم احتواهم .. وسأكتفي بالإشارة من بين تلك الأسباب إلى أهمِّها :

أولاً: ضعف الوعي الديني والثقافة الشرعية في بث روح التلاقي والتحاور مع الآخرين ولاسيما مع غير المسلمين فضلاً عن قلة الوسائل الإعلامية في الدعوة إلى استقطاب الآخر واحتواه ، وانعدام تحصين المسلمين بالثقافة الإسلامية الصحيحة ضد الفكر المعادي ؛ مما يُفضي إلى انتشار التطرُّف والغلُّ في المجتمع.

ثانياً: الابتعاد عن الوسطية الإسلامية في تقريب وجهات النظر ، وانعدام روح الثقة والاعتدال والانتصاف ، مما يكون مدعاه للتنافر والتناحر والميل إلى التطرُّف الفكري والسلوكي ، والانحراف عن الفطرة ، فلا يحفظ حينذاك للنفس نشاطها وإنقلابها على الطاعة ، ولا يحميها من الأفكار الهدامة .

ثالثاً: التعصُّب للرأي ، وهو من أهم دلائل الانعزالية ، إذ لا يُعترف ل الآخر بوجوده، فيبتعد عن ملائمة ظروف العصر وفقه الواقع مما يجعل صاحبه بعيداً عن روح العفو والمسالمة، ويزداد الأمر خطورة حين يراد فرض الرأي على الآخرين بشدَّة، حتى يتجرأ فتنهُمهم بالاستخفاف بالدين، أو بالكفر والمرءوق، فيبعد بهذا الأفكار ولا ينسج أواصر التقارب، بل يهددهما ويهدف إلى زعزعة الأوضاع واستخدام سبل الاعتداء والصِّدام .

رابعاً: إذكاء روح الانتقام والثأر بغير حقٍّ ، وانعدام التربية الإيمانية الحقة القائمة على مرتکبات نصوص الوحي، وعدم ترجيح المصلحة العامة ، أو الإفاده من قاعدة درء المفاسد ، وقلة إدراك التاريخ الصحيح وسنن الحياة في واقع الناس.

خامسًاً: قلة فهم نصوص الوحيين في تدبر مصطلحاتهما الداعية إلى التسامح ، والابتعاد عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم العاملية ، وسيرة السلف الصالح فضلاً عن انعدام القدوة الناصحة المخلصة لله تعالى ودينها ووطنها؛ مما يدعو المنفرين والمتشددين المفرطين إلى الأفكار الهدامة والتخريب والتدمير والتخطيط والعنف .

سادساً: وجود رموز فكرية تنظر للسلوك المنحرف ، وتدعوا إلى الغرور والكراهة والاعتداد بالنفس ، وعدم الأمان والاستقرار ونشر الفوضى وترويع الآمنين في المجتمعات المستقرة ، وفرض أفكارهم بالقوة والتهديد بالسلاح، فضلاً عن رفض ثقافة النقاش والتنازل للحق ، وإنكار ذلك غلواً وعناداً واستكماراً ، مع بث روح الفرقة والحقد والضغينة.

سابعاً: الخوف من تبعات الاختلاف في الرأي ، لاسيما وأن ثقافتنا الاجتماعية والبيئية تألف من سماع النقد حتى لو كان بناءً ومحترماً ولم تعتد على قبوله بروح عاليةٍ ونفسيةٍ رحبةٍ، بل تصرُّ للانتصار الشخصي، وترفض النفع الموضوعي وتنكر ثقافة التسامح ومبدأ التبادل المعرفي والثقافي والرؤى ، وتعلن فكرة الإقصاء والتهميش.

ثامناً: الدخول في متاهة ردود الأفعال وعدم القدرة على صناعة الفعل وتوجيهه بالصورة التي تخدم مصالح الأمة، مع غياب الرؤى الاستراتيجية البعيدة المدى على جميع المستويات وكافة الأصعدة ، فضلاً عن غلبة منطق الانفرادية وحب الجسم الفردي والحزبي للقضايا المصيرية ، حتى ينتج عن ذلك المنطق الإقصائي : (أنا أو لا شيء) ، أو منطق العداء لكلٍّ من لا يتفق معنا .

تاسعاً: تطبيق ثقافة التسامح من غير وعي بأساليبه وأدبياته ، مما يُشجع الارتداد الميلبي والنفرة ، وتوتر العلاقات وإفساد مناخ الحرية وبالتالي يتحفّز الأقوى في مصادرة حرية الأضعف ، بحجّة كسبه للجولة ، حتى يصبح جو اللقاء مشحوناً بالمشادة الكلامية الباحثة عن الأحادية والانغلاق .

عاشرًا: عدم توفر الإمكانيات المطلوبة للتعرف على ثقافة التسامح في الجامعات والمدارس التعليمية ، فضلاً عن اعتبار التسامح خصوصاً وختونياً من الأستاذ تجاه طلبه ، استناداً إلى فكرة التسلط التي تحكم علاقة الأستاذ بتلميذه، مما يقيّد طاقات المتعلم الإبداعية ويدعوه إلى التسلط مستقبلاً .

.. إنَّ تلك المظاهر أو الأسباب ، التي إن بقيت فسوف تقودنا في نهاية الأمر إلى الهاوية ، ولن يكون بمقدورنا التخلص منها، وإزالة آثارها، إلا من خلال نشر ثقافة العفو والتسامح المبنية على التسليم بحق الاختلاف والتنوع وترسيخ أدبيات التسامح لدى الناس جميعاً ، ولا يكون هذا إلا من خلال المحور التالي ..

المحور الثاني: دور إحياء ثقافة التسامح وترسيخها في معالجة ظاهرة الانغلاق والتاخر

إنَّ الطريق الصحيح لتجاوز حالة ضعف ثقافة التسامح والتي تعاني منها المجتمعات المعاصرة لا بد من اتخاذ بعض الخطوات العملية المستنبطة من القرآن والسنة في هذا المجال، أهمها:

أولاً: إذكاء روح التسامح بين الناس؛ تحقيقاً لعدالة الإسلام ، ووسطيته واعتداله ومحاربته لكل أنواع التطرف والغلق والدعوة إلى التعارف والتعايش الإيجابي بين الشعوب والأمم ، ملقياً الضوء على نظرية القرآن الكريم والسنّة النبوية في التعذّر البشري ومساوتها المطلقة للناس وحربيّهم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَتْ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَتَقْرَبُوا اللَّهَ الَّذِي سَأَلُوكُمْ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رِقَبًا﴾ [النساء:1] وهو أحد أسباب القضاء على ظاهرة الأنفة والاستكمار في المجتمع.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

ثانياً: وضع مناهج تعليمية جديدة لإعداد جيل واع قادر على تحمل أعباء المرحلة ، ونشر العلم الشرعي المبني على القرآن والسنة بين الناس والوقوف على كيفية دراسة ثقافة التسامح ، وفهم أطره وأسباب ضعفه ، فضلاً عن ربط شباب المسلمين بعلمائهم المؤوثقين ، من خلال عقد اللقاءات المفتوحة معهم ، وسهولة الوصول إليهم . مع وجوب الاهتمام ببناء المجتمع على أساس عقدية إيمانية صحيحة ؛ تفتح عقولهم ، وتبتُّ فيهم روح الدين الحقيقى ، وتمحور حياتهم حول هدف واحد ، ألا وهو تحقيق العبودية لله وحده . والاهتمام بالمناهج والتربية الدينية الإسلامية المعتدلة ، ولتكن تلك المناهج واضحة المعالم بعيدة عن الغموض ، مع إعلان محاربة الفكر الفاسد للتفرد والتطرف من خلال نشر فتاوى دينية عصرية ملائمة توفق بين قواعد الإسلام الأصيلة ، وبين متطلبات الحياة الضرورية فضلاً عن مسايرة تطورات العصر . وعليه فيجب مراجعة أنفسنا ومناهجنا التعليمية ، إذ المراجعة فرصة جديدة لنفحص مفاهيمنا ومحاولة جادة للوقوف على نقاط الضعف واكتشاف مراكز القوة والضعف وبالتالي سندرك أننا أمام مفاهيم تحتاج إلى تصحيح وليس غريباً في أصول ديننا وعقيدتنا .

ثالثاً: فتح مغاليق أبواب الحوار مع كل مخالف، ودعوته إلى الحق بهدوء ولطف ولين واحترام؛ ليتسنى له معرفة رسالة الإسلام العالمية الموجهة إلى الشعوب كافة ، والتي تعرف بجميع الديانات السماوية وتحترمها، يقول جل وعلا: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125].

وهذا ما يدعونا إلى كيفية الاستفادة من فرصة الحوار وطرح الآراء مع الآخرين ولا سيما غير المسلمين بعيداً عن الإكراه والقسر: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَتَحْنُنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 46].

رابعاً: تحديد منابع التشدد المفرط، والتضييق على أهله وعماله ومرؤوجيه، وعدم تمكينهم من نشر استبدادهم وكراهيتهم ومذهبهم المخالف لشريعة السماحة والتيسير، ودعوتهم آنذاك عن طريق الإنقاص ، وتأصيل معاني الخير في نفوسهم ليكونوا عنصراً بناءً معتدلاً ولا يتم هذا إلا من خلال منظومة الإسلام العقدية والفكريّة والأخلاقية التي ترتكز إلى القرآن الكريم والسنة النبوية ، وهذا ما يحدُّ من انتشار الأنانية والتطرف بجميع أشكاله.

خامساً: ضرورة تطوير الآليات الرسمية بنشر ثقافة التسامح على أساس من الانسجام، استجابة لمتطلبات التنمية السياسية وال تعدديّة والتشجيع على الحوار الديمقراطي الهدف، والموضوعي بين أبناء الوطن الواحد حول مختلف القضايا.

سادساً: عدم تأطير عملية نشر ثقافة التسامح والاختلاف في أزمنة معينة ، أو أماكن محددة ، إذ لا يمكن أن تكون هذه العملية عملية موسمية أو منحصرة في جانب معين ؛ وذلك لأنَّ هذه الثقافة يجب أن تسري كالرُّوح في جسد جميع أفراد المجتمع ومؤسساته وفي كل مكان و zaman فهي عملية متكاملة مترابطة دائمة مستمرة ، و شاملة لمختلف نواحي الحياة و ميادينها ، ولن تتحقق هذه العملية دفعه واحدة ، بل تحتاج إلى وقتٍ طويل حتى تؤتي ثمارها، كما أنَّ العداوة لا تدوم أبداً الدَّهر، يقول جل وعلا: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المتحنة: 7] والله قادر على تغيير القلوب، فهو الذي يُقلِّبها كيف يشاء.

9 أبريل 2019 - نوفي بازار، جمهورية صربيا

سابعاً: تعزيز قنوات الاتصال والتواصل، وإقرار التعامل بالبر والقسط مع غير المسلمين – غير المحاربين –، مما يُساعد على تحسين الأمن والاستقرار العالمي، فضلاً عن تقوية آصرة القرب والتحدث عن مشاكل المجتمعات وهمومهما، مما يُسهم في قبول الآخر، يقول عزوجل: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَنْ تَبْرُوْهُمْ وَتُفْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلُّهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المتحنة: 8,9].

ثامناً: التأكيد على أهمية تفعيل ثقافة التسامح واللقاء بين الكادر التدريسي أنفسهم ، وبينهم وبين طلاب الجامعات والمدارس التعليمية وذلك من خلال نشر ثقافة التسامح وتقبل الآخر التي تسعى المجتمعات العربية والإسلامية إلى تحقيقها ، فضلاً عن ضرورة الاستفادة من التقنية الحديثة في بناء مشروع ثقافة التسامح وتقويتها.

تاسعاً: لمواجهة الاستكبار والمقاطعة لا بد من الاهتمام بالتعليم، وتطويره بما يتناسب مع روح الاعتدال والوسطية المنتشرة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، مع نشر الوعي الإسلامي الحقيقي والتسامح، ومراجعة برامج التعليم الحالية؛ لأنها أحد أسباب ظهور حيل يستتكف استعمال العقل ومنطق التفكير السليم، ويحجم عن إعمالهما ويستحرر الآخرين بل يستهين بهم، ويجهل تواصل تاريخه الإسلامي الصحيح، وتنوعه وتعدد انتماطه، الهدف للقضاء على مشكلات التعصب والعنصرية الممقوته .

لذا يجب تطوير المناهج وتركيزها -في المراحل المختلفة- على تدريس مواد متخصصةٍ في تقوية مفاهيم لغة الحوار والتسامح وترسيخهما لدى الطلاب، بما في ذلك تثبيت مفاهيم التحدث لديهم أمام الآخرين ، فضلاً عن تأكيدها على موضوعية هذه الثقافة وتركيزها على كيفية احتواء الآخر.. وهذه المناهج إذ بها حاجة ماسة إلى تطوير جديٍ تشارك فيه جميع المؤسسات الوطنية والشعبية والرسمية؛ لإنتاج روح ثقافيةٍ منطرفةٍ سويةٍ غير مأزومة مما سيُسهم بشكل كبير في تعميق ثقافة التسامح بين مكونات المجتمع بدءاً من الناشئة .

عاشرًا: نبذ كل أشكال التشدد والتخلف في المجتمع عن طريق إقامة دورات تعليمية وندوات تنفيذية ، إذ إنَّ من واجبات وسائل الإعلام اليوم إيصال الفكر النَّيَر للناشئة ، مع تحريك وإثارة روح العفو والمسامحة والحوارات الموضوعية البناءة حول القضايا المصيرية، إذ إنها معنية بالإسهام في تربية الأجيال وربطهم بقضايا وطنهم وشعبهم وأمنهم.

كما أنَّ جميع القوى الاجتماعية معنية بالتواصل والتحاور مع الثقافات العربية والعالمية والاستفادة من كلٍ ما أنتجه التقدُّم العلمي، إذ ليس من المعقول أنَّ كُلَّ ما يصل إلينا من خارج الحدود الوطنية مشكوك بأهدافه .. إنَّ تحقيق ذلك كله سيُعزِّز من شأن رفع مستوى المواطنين خصوصاً والشعوب عامةً، وسيُساهِم في خلق مناخ ديمقراطي وحراك مجتمعي آمن، وسيُمْتَنَعُ في ظلِّ تلك الأجواء كُلُّ الشعوب على حدٍ سواء.

أهم النتائج

وممَّا سبق يتضح لنا جلياً أهمية هذا الموضوع الشيق .. وبعد تلك الجولة المتواضعة أخلص إلى ما يأتي :

- 1- إنَّ التسامح مبدأ من مبادئ وقيم الإسلام الذي يؤكد على التَّنظَّم والاستقرار والوئام والتماسك الاجتماعي وتعزيز مشاعر الرِّضا ونبذ التعصب الذي يؤدي إلى الفرقَة والانقسام.

- 2- إن الواقع التاريخي والسياسي يؤكد في جلاء وصدق ووضوح أن القرآن الكريم هو الداعي والمؤسس الأول لقواعد وأسس التفاعل والسلالم بين الأمم، وقد بيّنا وأوضحها وطبقها على أرض الواقع، رسول البشرية محمد صلى الله عليه وسلم في تعامل إنساني وتسامح هادف منشود في الغايات والوسائل والأهداف.
- 3- التأكيد على الاعتراف بالغير وتسامحه، وهي ضرورة حتمية وواجب أخلاقي، تحتاج إلى الممارسة الفعلية الحقة وليس على مستوى الكلمات أو الشعارات فحسب، بدءاً من البيت والمدرسة والجامعة والعمل والمسجد وصولاً إلى المؤسسات الرسمية، مما يهدف إلى أمن واستقرار جميع المجتمعات والثقافات .
- 4- أوضحت هذه الدراسة أن التعددية الثقافية والفكريّة على ما فيها من تنوع واختلاف، إنما هي مكسب كبير للبشرية يجب أن يستمر في تقدمها وتطورها وتراثها، في عدم استجابة للأفكار الضالة والمنحرفة.
- 5- بيّنت هذه الجولة وبشكل واضح وصريح رفض الدين الإسلامي ومواجهته للتعصب والرأي المتشدد المفرط، وحثّه للمسلمين على الابتعاد عن كلّ ما يؤدي إلى التطرف والغلق. ولما كان الانغلاق والتشدد بمحاورتهم الاعتدال ومخالفتهما أصل الشرعة المبنية على الرفق والتسير والسماحة، فهما ليس من الإسلام وحضارته، بل الإسلام منهما براء.
- 6- إن ما يبرز من حالة تشدد في الدين لا بد وأن يكون مرجعه الشّرع نفسه المبني على القرآن والسنّة، لا على اصطلاح الناس ومفاهيمهم وأهوائهم وإطلاقاتهم، مع ضرورة اعتماد مناهج تعليمية تقوم على تعزيز مفاهيم التسامح والتعايش السّلمي وتطويرها بما يتاسب وقضايا العصر.
- 7- أوضحت هذه الجولة ضرورة إيجاد روح التسامح بين المجتمعات كافة، واستذكار أوجه التقارب بينها للعيش بسلام وأمن واستقرار، وأن رسالة القرآن الكريم عالمية موجّهة لجميع الشعوب، وهي تعرف بجميع البيانات السّماوية وتحترمها وتعترف بالأنباء والرسل كافة، والحضارة الإسلامية جزء من الحضارة الإنسانية، تقوم على الوسطية والاعتدال وتقارب الثقافات والإيمان بالقيم المشتركة الثابتة، والتعاون والتفاهم المتبادل بين الحضارات والثقافات.
- 8- إن إحياء ثقافة التسامح، وتعزيز آليات التواصل، واحترام الآخرين، ومراعاة خصوصياتهم، تقرير المنهج العادل والوسطية القرآنية تجاه التفاعل الإنساني، والتعايش السّلمي. وهو الحل البديل والأنسب في وقاية الأفراد والشعوب من التقاطع والصدام، التي لا ينتج عنها إلا الويل والدمار.
- 9- إن الدّعوة اليوم أمام مسؤولية عظيمة تتطلب منهم إثارة قضايا التسامح وثقافة الاختلاف وتعزيز مفهوم المواطنة لتقديم رسالة دعوية فاعلة تعمل على فهم الآخرين واحتواهم والرجوع بالشعوب إلى الحركة التفاعلية البعيدة عن الإقصاء والتهميش والأنانية ، ووفق الأسلوب الصحيح الحق.
- وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، والحمد لله رب العالمين

الإنسان والقيم في ظل التحديات المعاصرة

أ.د. إدريس اجويل

أستاذ التعليم العالي بكلية الحقوق . جامعة مولاي إسماعيل . مكناس/المغرب

تقديم

يعيش الإنسان في عالمنا اليوم متغيرات على مستوى منظومة القيم، وذلك بفعل تغلغل تيار العولمة داخل المجتمعات البشرية ومحاولتها تلمس معالم وخصوصيات شعوب ضاربة في عمق التاريخ وفرض قيم جديدة على المجتمعات البشرية تحت ذريعة الحرية والمساواة وحقوق الإنسان أو ما يختزل في منظومة القيم الكونية الواحدة.

جميع المجتمعات القديمة اعتزت بقيمها ودافعت عنها ووظفتها في منظمتها المجتمعية والتربوية والتعليمية والاقتصادية والسياسية، إلا أن قيم البشرية عرفت في السنوات الأخيرة اهتزازاً وتصدعاً انعكس كل ذلك على تقدم المجتمعات بل تراجعت قيم الأخوة والمحبة للمجتمعات بفعل التغيرات التي بات يعرفها العالم اليوم نتيجة التقدم المذهل للتكنولوجيا المعاصرة. وهذا ما سنتطرق إليه بنوع من الاقتضاب والاختصار في المباحث الآتية :

المبحث الأول : مفهوم القيم وأثرها في تنمية المجتمع.

المبحث الثاني : الإطار التاريخي للتربية على القيم.

المبحث الثالث : التربية على القيم في ظل عالم متغير.

المبحث الرابع : أزمة القيم ومسؤولية الإنسان.

خاتمة

المبحث الأول : مفهوم القيم وأثرها في تنمية المجتمع

مصطلح القيم مصدر من الفعل الرباعي : **قَيِّمْ يُقَيِّمْ** تقريباً : الشيء قدر قيمته، تقييم مصدر قيم، فكلمة "قيم" مشتقة من القيمة، والتي تعني : الشيء الغالي والثمين. كما يقال : قوم الشيء تقويمه فهو قويم، أي مستقيم⁽¹⁾.

أما اصطلاحاً، فالملاحظ أن مصطلح "القيم" يختلف مفهومه حسب المرجعيات المحددة له⁽¹⁾، فالمصطلح في المفهوم الإسلامي ليس هو المصطلح في المفهوم الفلسفى والماركسي والرأسمالى والليبرالى، حيث إن مفاهيم القيم

(1) المعجم العربي الأساسي (ق.ي.م)، ص. 2020، لسان العرب، مادة (ق.و.م).

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

تختلف في هذه المراجعات والذي يهم من تعريف القيم في المنحى الاصطلاحي هو المقاربة التربوية للمصطلح باعتباره المجال الأساسي لتنمية الإنسان داخل المحيط الذي يعيش فيه ويتعايش مع أفراده فيتأثر ويؤثر سلباً وإيجاباً، ومن هنا نجد علماء التربية قد أسهموا مساهمة كبيرة في بلورة مفهوم متنوع لمصطلح القيم، من ذلك قولهم : "القيم مجموعة المبادئ والقواعد والمثل العليا أو هي مجموعة الصفات الأخلاقية التي يتميز فيها البشر وتقوم الحياة الاجتماعية عليها ويتم التعبير عنها باستخدام الأقوال والأفعال أو هي مجموعة الفضائل الدينية والخلقية والاجتماعية التي يؤمن بها الناس ويتفقون عليها فيما بينهم ويتخذون منها ميزاناً يزنون به أعمالهم ويحكمون بها على تصرفاتهم المادية والمعنوية"(2).

وهكذا، يمكن أن نستنتج من تعريف القيم أنها ما ينتجه الفكر من مثل عليا لصالح الإنسان تتدخل في تصرفاته فيحتكم إليها وينضبط بضوابطها خدمة للمجتمع وأهدافه التنموية النبيلة.

ومهما يكن من اختلاف بين المفكرين والباحثين في تحديد مفهوم القيم حسب المحددات المرجعية كما سبق، فإنها تعني : "ذلك النتاج الفكري الذي يحافظ على طبيعة الإنسان وتوازنه داخل مجتمعه، وقد تكون تلك القيم مصدرها الدين أو الأعراف والتقاليد يتخذها الإنسان أنموذجاً في تنمية مجتمعه والمحافظة عليه من الانحرافات كيماً كان شكلها ونوعها. فالقيم ينضبط الفرد الذي يشبعه اضطراب المجتمع اقتصادياً واجتماعياً وتربيوياً، وهكذا تعتبر القيم التربوية رافعة أساسية في تكوين المجتمعات وتعتبر بعضاً من هذه القيم قوة دافعة على أساسها ينبع ث السلوك الحضاري للمجتمع فينمو ويزدهر في ظل قيم حضارية لها أهدافها ودلائلها العميقة في تنمية المجتمع(3). ومن هذه القيم الحضارية التي تعتبر الركيزة الأساسية في التنمية يمكن الإشارة إلى ما يلي :

(أ) قيمة الحياة :

لا يجادل اثنان في كون حياة الإنسان حياة مقدسة ومصونة في إطار الشريعة الإسلامية، إذ ليس لأحد مهما علا شأنه أن يسلب إنساناً حق الحياة إلا بسلطان الشريعة والإجراءات التي تقررها، ويستوي في هذه نفوس جميع البشر، جاء في سورة المائدة الآية 32 : «مَنْ أَجْلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَانَمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا»، وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف بالكعبة ويقول : "ما أطيبك وأطيب ريحك وما أعظمك وأعظوك حرمتك، والذي

(¹) انظر التربية على القيم، ص. 49، عالم التربية، مجموعة من الباحثين، الحوار التربوي النبوي وأثره في بناء القيم الإنسانية، محمود أحمد فروخ، ص. 6.

(²) انظر منظومة القيم، د. محمد الكhani، ص. 5 وما بعدها، القيم الإسلامية ودورها في تقديم حل للمشكلات البيئية العالمية، د. أحمد الخليلي، ص. 7، الحوار التربوي النبوي وأثره في بناء القيم الإنسانية، أحمد فروخ، ص. 6، التربية على القيم، مجموعة من الباحثين، ص. 49.

(³) انظر منظومة القيم وأثرها في تأكيد التعايش في المجتمع المعاصر، د. محمد كامل أبو حزم، ص. 13، منظومة القيم المرجعية في الإسلام، د. محمد الكhani، ص. 13 وما بعدها.

9-8 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك: ماله ودمه وأن نظن به إلا خيراً⁽¹⁾. صيانة النفس البشرية والمحافظة عليها يتساوى أمامها كل البشر، فحياة اللاجئين والأقليات وأهل الذمة تتساوى مع المسلمين لهم ما لهم وعليهم ما عليهم.

والمتتبع للتاريخ الإسلامي وللأحداث التي عرفها المسلمون، يلاحظ أن المسلمين لم يرسموا للبشرية طریقاً واحداً أو وجهة واحدة وحكموا واحداً ونظاماً واحداً وعالماً واحداً بقيادة واحدة بالإجبار والإكراه، بل المسلمين اعترفوا بواقع الأديان واللغات والقوميات عاملوها معاملة كريمة بلا خداع ولا سفه ولا طعن من الخلف، ولذا عاش في المجتمع الإسلامي كل أنواع البشر وحافظوا على حياتهم جنباً إلى جنب مع المسلمين فعاش اليهودي والمصراني والصابئي والمجوسي وسائر أهل البشر بأمان واطمئنان⁽²⁾. قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَتُفْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾⁽³⁾، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾⁽⁴⁾.

فصيانة النفس البشرية والمحافظة عليها يتساوى في ذلك كل أنواع البشر، وجرى العرف على تسمية المواطنين الذين يعيشون في المجتمع الإسلامي بأهل الذمة، والذمة كلمة : "معناها العهد والأمان والضمان"، وسموا بذلك لأن لهم عهد الله وعهد رسوله صلى الله عليه وسلم وعدهم جماعة المسلمين أن يعيشوا في حماية الإسلام وفي كنف المجتمع آمنين مطمئنين⁽⁵⁾.

ثانياً : قيمة الأمان

الأمن من القيم الإنسانية البibleة ومن حق كل إنسان أن يعيش آمناً مطمئناً أينما حل وارتحل، آمناً على ماله وعلى نفسه وعلى عرضه وأهله، والشريعة الإسلامية اهتماماً كبيراً بعنصر الأمن باعتباره اللبننة الأساسية في بناء المجتمعات، وفي هذا الصدد نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : "المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم"⁽⁶⁾. كما حذر صلى الله عليه وسلم من ترويع الآمنين وإخافتهم وإشاعة الذعر والخوف في نفوسهم بمختلف الوسائل والأسباب فجَرِّمت "الحرابة"⁽⁷⁾ التي تعني خروج جماعي أو فردي عن شوكة إلى الطريق العام بغية

(١) رواه ابن ماجة في كتاب الفتنة والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الجراح، وأبو داود في كتاب الأدب.

(٢) الحوار بين العالمة والعلوقة، ص. 154، كتاب الأمة، ع. 99، 1425 هـ.

(٣) الممتحنة/8.

(٤) البقرة/256.

(٥) منظومة القيم الإسلامية وأثرها في تأكيد التعايش في المجتمع المعاصر، د. محمد كامل أبو حزم، ص. 13.

(٦) رواه البخاري في كتاب الإيمان، والترمذى في كتاب الإيمان، ومسلم في كتاب البر والصلة.

(٧) الحرابة عند الفقهاء هي : "إشهار السلاح وقطع السبيل خارج مصر" ، القاموس الفقهي، سعدي أبو جيب، ص. 83.

9-أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

منع السفر فيه، أو سرقة أموال المسافرين أو الاعتداء على أرواحهم وأعراضهم وأسرهم، حيث كانت العقوبات التي فرضت على المحاربين من أقسى العقوبات، كل ذلك من أجل تحقيق قوة الردع داخل المجتمع، قال تعالى: «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَاتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَقُوا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خَرْزٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ»⁽¹⁾، قال ابن العربي⁽²⁾: الحرابة تكون بالاعتداد الفاسد، وقد تكون بالمعصية، فيجازى بمثلها .. وقد اتفقت الأمة على أن من يفعل المعصية يحارب، كما لو اتفق أهل بلد على العمل بالربا وعلى ترك الجمعة والجماعة.

ومن مظاهر حماية الشريعة لحق الإنسان في الأمن مظاهر عدة منها :

أ. الأمن من قيم المجتمع ومن حق الإنسان أن يعيش في مجتمعه آمنا على نفسه ودينه وعرضه، وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم على هذا في خطبة الوداع عندما قال: "أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا". كما حذر من الاعتداء على حق الإنسان في الأمن وقال : "كل المسلم على المسلم حرام دمه وماليه وعرضه"⁽³⁾.

ب . يتساوى جميع الناس في قيمة الأمن لا فرق بين هذا وذاك، يقول الإمام علي كرم الله وجهه عن المعاهدين وكل أجنبي يعيش في الدولة "أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا"⁽⁴⁾. ويقول الإمام القرافي في الفروق⁽⁵⁾ : "إن عقد الذمة موجب لعصمة الدماء وصيانة الأموال والأعراض إلى غير ذلك مما يترتب عليه وعلينا أن تلتزم لهم بذلك".

ثالثا : قيمة العدالة

لقد قررت الشريعة الإسلامية مبدأ العدالة باعتبارها من القيم الإنسانية المثلى التي تحكم العلاقات والسلوك الإنساني ، فالعدالة هي الميزان التي ثبتت به الحقوق والواجبات ولها دور رياضي في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، ويسجل للدين الإسلامي الحنيف قصب السبق في تحقيق العدالة وتجسيدها واقعيا سواء تعلق الأمر بجانب المعاملات التي تدخل فيها علاقة الإنسان بأخيه الإنسان أو بجانب العبادات التي يدخل في إطارها علاقة الإنسان بخالقه الذي خلقه فأحسن خلقه، فالشريعة كما قال ابن القيم الجوزية⁽⁶⁾ رحمة

¹). المائدة/35.

²). أنظر أحكام القرآن، 2/596.

³). رواه البخاري ومسلم باختلاف يسير.

⁴). أنظر فقه التعايش (غير المسلمين في المجتمع الإسلامي حقوقهم وواجباتهم)، روح الله شريعتي، ص. 163 وما بعدها، الإسلام والقانون الدولي الإنساني، مجموعة من الباحثين، ص. 305 وما بعدها.

.11/3⁵)

(⁶). إعلام الموقعين، 3/14.

الله تعالى : "مبناتها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعداد وهي عدل كلها ورحمه كلها ومصالح كلها وحكمة كلها فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل".

وتتجلى عنابة الإسلام بقيمة العدل⁽¹⁾ في حماية حقوق الإنسان وحرياته بحقه في الأمن العام والسكنية العامة، وحقه في اللجوء إلى القضاء وحقه في التعليم، وحقه في التنمية المستدامة إلى غير ذلك ..

رابعاً : قيمة المساواة

يعتبر مبدأ المساواة من الأسس العامة التي تحكم العلاقات بين جميع الناس داخل الوطن الواحد الذي يجب أن يتساوى مواطنه في الحقوق والحريات والواجبات دون اعتبار لفارق الجنس أو اللون أو اللغة أو العقيدة حيث تتجلى قيمة المساواة بين جميع الناس في القيمة الإنسانية لكل واحد أمام أحكام الشرع وأمام أحكام القانون في المسؤولية والجزاء والحقوق المدنية والسياسية، والمساواة قاطرة للحرية التي يجب أن يتمتع بها كل واحد داخل المجتمع من قبيل الحرية الشخصية والحرية الدينية وحرية التعبير وما إلى ذلك.

إن هذه القيم تهدف إلى الرقي بالإنسان والسمو به داخل المجتمع الواحد الذي ينعم فيه جميع الأفراد على مختلف أجناسهم وألوانهم بهذه الحقوق التي تبني المجتمع اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وتسمو به نحو التقدم والازدهار.

وإذا كان الطابع الإيجابي لهذه القيم مصلحة الإنسان أولاً، فإن الأديان السماوية جاءت لهذا الغرض وحافظت على هذه القيم وحثت الإنسانية على التقيد بها كل ذلك لهدف واحد ألا وهو حسن التعايش والتآلف والتعارف بين جميع الناس، وإذا تمادت البشرية في عدم بلورة هذه القيم داخل مجتمعاتها فقد تحصل هناك ردة ثقافية وفكرية وتعود البشرية إلى عصور الجاهلية والظلمة التي لم يكن لها إطار أخلاقي وروحي ينظم الأفكار والسلوكيات وبعض لها الضوابط الحاكمة، ولن نجني من ذلك إلا المزيد من التدهور والضعف بل والانهيار، فظن البعض أن أخطاء المسلمين يتحملها الإسلام، وأخطاء المسيحيين تتحملها المسيحية، لا ثم لا، فالإسلام والمسيحية دينان سماويان أما التطبيق البشري فهو الذي يمكن أن يتصرف بالقصور وأن تقع فيه التجاوزات والأخطاء⁽²⁾ للأفراد في حين أنها تزعزعهم وتخلخل استقرارهم وأمنهم، كذلك ازدراء الأديان والرموز الدينية أدى إلى فوضى عارمة في مجال منظومة القيم، ولا أدل على هذا من فرض مجلس حقوق الإنسان في جنيف مؤخراً للزواج المتملي ضدًا على قيم مجتمعات وشعوب مسلمة وغير مسلمة لها مواقف سلبية من هذا الأمر.

⁽¹⁾ لقد تنبه كثير من الفلاسفة إلى دور العدل وقيمه في المجتمع وفي حياة البشر، فهذا الدكتور الكسيس كارل في كتابه : الإنسان ذلك المجهول، ص. 152، يقول "إن كل إنسان يولد وهو مزود بقدر محدد من حب الخير أو الاعتدال أو الولع بالبشر .. إلى أن يقول : إن الخير مرادف للعدل والشر مرادف للأنانية والضعة والكآبة".

⁽²⁾ موسوعة بيان الإسلام، مجموعة من العلماء، 21/1.

المبحث الثاني : الإطار التاريخي للتربية على القيم

إن المتبع والدارس لمنظومة القيم عبر مسارها التاريخي الطويل، يلاحظ ذلك التنوع بين الديانات السماوية والخصوصيات المجتمعية، لكنها في الحين تتفق على هدف واحد ونبيل هو السعي إلى حماية الإنسان من كل مكره؛ إذ القيم الكونية جاءت لصالح الإنسان إلا للتأمر عليه؛ فقبل ظهور الحضارة الإسلامية كانت المرجعية المهيمنة على التربية على القيم في المقام الأول هي الحضارة اليونانية باعتبار هذه الأخيرة ساهمت وبشكل كبير في مؤسسة مرجعية خاصة للقيم، لكن بعد ظهور الإسلام عرفت التربية على القيم إنتاجات غزيرة صاغها منظرون ومسلمون في المجال التربوي كابن سحنون، وابن جماعة، والقابسي والماوردي والغزالى وابن خلدون وغيرهم، وهكذا نلاحظ أن التربية على القيم مرت بأطوار تاريخية يمكن تصنيفها في ثلاث مراحل أساسية :

المرحلة الأولى : عند قدماء الصينيين كوتوفونشيوس (451 . 479 ق.م)⁽¹⁾

لم يهتم كوفونشيوس بالإنسان من حيث عقله وروحه بل اهتم به من حيث أخلاقه باعتباره يساهم في النهوض بالعلاقات والروابط الاجتماعية، كان يؤكد كوتوفونشيوس على ممارسة الإنسان لقواعد الأدب والمجاملة والحد من الغرائز والشهوات بكل صرامة، وكان يؤكد لتلامذته ضرورة احترام قواعد الأدب والمجاملة والحد من قوة الغرائز والشهوات وكان يعلم تلامذته أن الظلم أشد وحشية من النمر، كان يعتقد أن مصدر الفوضى هو فساد الأخلاق وضعف الإيمان بالقيم أو المعايير القديمة في معرفة الصواب والخطأ.

المرحلة الثانية : عند اليونان⁽²⁾

لقد ساهم الفكر اليوناني في بناء حضارة عالمية ما زالت معالملها شاهدة إلى يومنا هذا؛ فهذا أفلاطون (428 . 447 ق.م) الفيلسوف الكبير وبعد إعدام أستاذه سocrates اتجه تفكيره إلى الشروط التي ينبغي توفرها لإقامة حكومة عادلة حيث هيأ الأساس النظري في مؤلفاته من خلال الشروط التربوية التي ينبغي توفرها وذلك بتوجيه التعليم وتربية الأفراد تربية اجتماعية وسياسية وعسكرية وعلمية تجعل منهم مواطنين صالحين في الحكومة العادلة داخل المدينة الفاضلة التي كان يحكم فيها.

المرحلة الثالثة : في الحضارة الإسلامية

العقيدة الإسلامية منبع القيم وهي ثابتة بثباتها، بل هي نتاج لنظام اجتماعي يعبر عن روح الإسلام ومبادئه ويسعى إلى تحقيقها انطلاقاً من مصادرتين أساسين هما : القرآن الكريم حيث تم في أكثر من 600 إشارة قرآنية إلى مصطلح القيم، والتي ترتكز على مدلولات من أبرزها الحق والقسط والوزن والثبات والاستقامة والمسؤولية والعدل. ويضع القرآن الكريم منظومة القيم في إطار من القداسة ويعتبرها الطاقة الكبرى لترقية الإنسان والمجتمع. والسنة

⁽¹⁾ التربية على القيم، ص. 36.

⁽²⁾ نفسه.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

النبوية حيث كان الرسول المعلم الأول للقيم، "أدبني ربي فأحسن تأدبي" «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ حُلُقٍ عَظِيمٍ»⁽¹⁾. حيث إن التربية على القيم في ميزان الشريعة تؤكد على حماية المقاصد الخمس في الشريعة : الدين، النفس، المال، العقل، النسل، حيث إن التربية تنطلق أساساً في حماية هذه المقاصد انطلاقاً من الأسرة والمسجد والمدرسة.

إن التربية على القيم في المرجعية الإسلامية ليست مقتصرة على شعب أو أمة من الأمم، بل هي لكافة الناس باعتبار الإسلام دين وسطي عالمي «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ»⁽²⁾، «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافِةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا»⁽³⁾ إلى غير ذلك من الآيات ذات الدلالة في الموضوع، فالتربيـة على القيم التي ينبغي أن يتحلى بها كل مسلم تتجلـى أساساً في الصدق والأمانة والقوة والصبر وتحمل اختبار البلاء.

لقد دخل الإسلام بلادـاً شـتـى واعتنـقـهـ المـلاـيـن بـفـعـلـ قـيمـ المـثـلـيـ وـقـافـاتـ مـتـغـاـيـرـ فـأـعـادـ بـنـاءـ الـقـيمـ الـعـقـدـيـةـ وـالـأـخـلـاقـيـةـ وـالـتـشـرـيعـيـةـ معـ مـسـاحـةـ كـبـيرـةـ لـلـحـفـاظـ عـلـىـ الـخـصـوـصـيـةـ الـثـقـافـيـةـ وـظـلـ الـعـرـفـ مـصـدـرـاـ مـنـ مـصـادـرـ التـشـرـيعـ الـإـسـلـامـيـ وـظـلـ الـمـسـلـمـ الـهـنـدـيـ وـالـصـينـيـ يـأـكـلـ طـعـاماـ وـيلـبسـ لـبـاسـاـ يـخـتـلـفـ عـنـ الـخـلـيـجيـ الـذـيـ جـاءـ الـإـسـلـامـ مـنـ قـبـلـهـ، وـظـلـ هـؤـلـاءـ يـخـتـلـفـونـ عـنـ الـعـادـاتـ الـيـوـمـيـةـ وـالـحـيـاتـيـةـ لـأـهـلـ إـفـرـيـقـيـاـ شـمـالـهـاـ وـجـنـوبـهـاـ، وـعـنـدـمـاـ غـزـاـ أـورـوبـاـ لـمـ يـلـغـ الـخـصـوـصـيـاتـ الـثـقـافـيـةـ وـلـمـ يـفـرـضـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ مـثـلـمـاـ صـارـتـ الـأـنـجـلـيـزـيـةـ الـآنـ لـغـةـ الـاـقـتصـادـ وـالـسـيـاسـةـ وـالـإـعـلـامـ فـيـ الـمـسـتـعـمرـاتـ الـبـرـيـطـانـيـةـ، أـوـ مـثـلـمـاـ حـدـثـ فـيـ الـفـرـنـسـيـةـ فـيـ بـلـادـ الـمـغـرـبـ الـعـرـبـيـ وـسـوـرـيـاـ وـلـبـانـ، وـفـرـضـ الـلـغـةـ الـأـنـجـلـيـزـيـةـ فـيـ مـصـرـ عـلـىـ يـدـ الـاحتـلـالـ الـبـرـيـطـانـيـ، أـوـ إـيـطـالـيـةـ عـلـىـ أـهـلـ لـيـبـيـاـ»⁽⁴⁾.

المبحث الثالث: التربية على القيم في ظل عالم متغير

إن التربية على القيم في ظل التحولات المعاصرة عرفت تجاذبات متعددة ابتدأت مع فلاسفـةـ الـأـنـوـارـ، جـانـ جـاكـ روـسوـ وـهـوـبـسـ وـفـروـيدـ وـدـوـرـكـايـمـ وـتـوـمـاسـ هـوـبـسـ وـمـونـتـيسـكيـوـ، وـمـكـياـ فـيلـيـ صـاحـبـ نـظـرـيـةـ "الـغاـيـةـ تـبـرـ الـوـسـيـلـةـ"ـ، وـغـيرـ هـؤـلـاءـ كـثـيرـ مـنـ الـفـلـاسـفـةـ وـالـمـنـظـرـيـنـ فـيـ مـجـالـ الـتـرـبـيـةـ عـلـىـ الـقـيمـ بـالـمـفـهـومـ الـمـادـيـ لـاـ الـمـعـنـوـيـ. وـإـذـ كـانـ الـعـالـمـ الـآنـ بـفـعـلـ اـنـتـشـارـ ظـاهـرـةـ الـعـولـمـةـ أـوـ الـمـعـمـعـةـ كـمـاـ يـسـمـيـهـاـ الـبعـضـ قدـ تحـولـ إـلـىـ قـرـيـةـ صـغـيرـةـ بـفـعـلـ الـاـنـتـشـارـ الـكـثـيفـ لـلـشـبـكـةـ الـعـنـكـبوتـيـةـ، فـإـنـ الـقـيمـ الـإـنـسـانـيـةـ الـكـوـنـيـةـ الـمـعـاـصـرـةـ الـآنـ هيـ مـحـطـ رـعـاـيـةـ وـاـهـتـمـامـ كـبـيرـينـ مـنـ طـرـفـ الـأـمـمـ الـمـتـحـدـةـ وـالـمـنـظـمـاتـ الـدـولـيـةـ وـمـحـكـمـةـ الـعـدـلـ الـدـولـيـةـ وـأـصـبـحـتـ تـنـحـصـرـ فـيـمـاـ يـلـيـ :

. التربية على قيم حقوق الإنسان (المساواة، الحرية ...).

. التربية على احترام البيئة السكانية.

⁽¹⁾ .04/ القلم

⁽²⁾ .107/ الأنبياء

⁽³⁾ .28/ سبا

⁽⁴⁾ .7/ صلاح الدين سلطان، د. مخاطر العولمة،

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

. التربية على الحكامة الجيدة في مختلف مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

. التربية على المواطنة.

. التربية على الحوار الحضاري والديني والتواصل بين مختلف الحضارات والشعوب.

ويمكن تصنيف التربية على القيم ضمن الأهداف المتداولة منها إلى ما يلي :

. التربية على القيم الأخلاقية : الهدف الإنساني والقيمي الذي يعني بالإنسان كقيمة عليا وهدف.

. التربية على القيم الجمالية : الهدف الديني الذي يعني بترسيخ الإيمان بالله وبرسالة الإسلام.

. التربية على القيم الثقافية : الهدف الوطني الذي يعني بالاتباع الوطني والتماسك الاجتماعي⁽¹⁾.

. التربية على القيم العلمية : الهدف العلمي العقلاني الذي يؤكد العلم منهجاً وفكراً.

. التربية على القيم الاقتصادية.

. التربية على القيم السياسية.

إننا نعيش اليوم في أحضان الثورات العلمية الثقافية المتلاحقة، حيث يشهد العالم الآن أخطر أزمة قيمية عرفتها الإنسانية في تاريخها الطويل تحت تأثير الثورات المتواصلة لเทคโนโลยيا الإعلام والعلوم الإلكترونية وثورة الاتصالات، وثورة الجينات البشرية والاستنساخ البشري وهلم جرا.

إن التربية على القيم مسؤولية الأسرة والمدرسة والجامعة، والمسجد بل هي مسؤولية العلماء والمنفِّذين والمجتمع المدني بصفة عامة الذين يجب عليهم أن ينزلوا من بروجهم العاجية لتحمل مسؤولياتهم نحو ما يمكن أن يؤدي إليه الاستغلال غير الأخلاقي لنتاج فكرهم في ظل ثورة معرفية وتكنولوجية أصبح فيها الفكر سلعة تباع وتشتري وأصبحت أطرافاً على المستوى العالمي تزيد صياغة قيم جديدة في عالم الأسرة والمجتمع والاقتصاد والسياسة.

حتى تقييم التوازن في مجال القيم لابد من إعادة الاعتبار للدين وإشراكه في جميع دوليب الحياة انطلاقاً من الأسرة إلى المدرسة إلى الجامعة إلى الإداره إلى المقاولة والتصدي بكل حزم لتسوييف القيم العالمية السلبية التي تتنافي وخصوصيات شعوب ضارية في عمق التاريخ ونفي جملة من القيم وتهميشهما في حقل التعامل الدولي وبروز قيم كما سبق القول فتوافق مع تأسيس الدعوة إلى العالمية من خلال المركبة الغربية والأمريكية التي تحاول أن تفرض صراعاً مع قيم الحداثة والقيم التقليدية حيث إن قيم الحداثة ترتبط بمذهبية جديدة تنادي بنهاية التاريخ وصراع الحضارات والتي تقوم على تزكية النسق القيمي الغربي الأمريكي وتعيمه وكونيته وعولمته مع نهج سياسة الإبادة لللغاء الآخر

⁽¹⁾ المجلة العربية للتربية، ص. 43.

9-8 أبريل 2019 -نوفي بزار. جمهورية صربيا

وقتل الآخر⁽¹⁾ ووصف قيمه بالمتخلفة والقديمة والتقلدية ويقصدون بذلك الشعوب المسلمة بوصف قيمها بالسلبية والتخلف والعنف والسلط والإكراه والإرهاب، ووظفت في هذه الإبادة مختلف أنواع الأسلحة من إعلاميات واتصالات وفضائيات وجمعيات.

المبحث الرابع : أزمة القيم ومسؤولية الإنسان

الآن ونحن نعيش في عالم متغير تحكمه الآلة وأضحتى الإنسان يوصف بأنه عبد للآلة، عرفت القيم في ظل هذه الثورة أزمة عبر عنها بعض الباحثين بأنها أخطر أزمة قيمة تعرفها الإنسانية، وهنا لابد من تدخل الإنسان لتحمل مسؤوليته في هذه الأزمة، إذ لا يمكن إنكار أصل الوجود الحقيقي للقيم داخل المجتمع، هذه القيم التي يدرك الإنسان بفطنته أو بضميره أو بحكم عقيدته الدينية أنها يجب أن تظل مستهدفة لذاتها في حياته سواء استطاع الإجابة لندائها وتحقيقها على أرض الواقع أو حيل بينه وبين تحقيقها بعائق من العوائق⁽²⁾.

ولعل في مقدمتها المسؤولية الأخلاقية التي هي عبارة عن التزام الإنسان عن ضميره أو عن عقيدته أو عن تقاليده مجتمعه، إذ لا نتصور الإنسان مسؤولاً بدون أن نتصور قبل ذلك تعهده بقبول إلزامه من لدن جهة من هذه الجهات، وبأنه يتحمل المسؤولية عن طوعية واقتئاع. فكأننا هنا أمام ميثاق أو عقد بين ضمير الإنسان وبين من يخاطبه بالالتزام، وهذا الميثاق هو الذي تعبّر عنه التربية الإسلامية بالتكليف، قال تعالى : «وَكُلُّ إِنْسَانٍ أُلْزَمَ نَهَا طَائِرَهُ فِي عُنْقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حِسْبًا»⁽³⁾ وقال : «اْحْسِرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْوَاجُهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ وَقِفْوُهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ»⁽⁴⁾، وقال «وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلٍ لَا يَوْلُونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَاهَدُ اللَّهِ مَسْؤُلُونَ»⁽⁵⁾.

إن مصير التنمية البشرية والتنشئة الاجتماعية، يعني حالياً من خلل عويس يمكن تشخيصه بـ : أزمة القيم، ولكن هذا يختلف من مجتمع إلى آخر فأزمة القيم التي تعاني منها المدرسة المغربية ليست هي أزمة القيم التي تعاني منها المدرسة الكندية أو الأمريكية أو الفرنسية على سبيل المثال.

خاتمة:

⁽¹⁾ التربية على القيم، ص. 185.

⁽²⁾ منظومة القيم المرجعية في الإسلام، ص. 132.

⁽³⁾ منظومة القيم، ص. 133.

⁽⁴⁾ الصافات/22.

⁽⁵⁾ الأحزاب/15.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

تبين لنا مما سبق أن منظومة القيم تعاني اختلالات متعددة الأوجه ومن زوايا مختلفة يتحكم في تلك الاختلالات ما هو اقتصادي وما هو سياسي وما هو مجتمعي وما هو تكنولوجي، حيث بات من الواضح الآن أن البشرية تعاني اضطرابات بنوية معقدة انعكست كل ذلك على الأسرة والمجتمع.

والإسلام بمثله العليا وقيمه الأصيلة المتتجذرة في عمق التاريخ أسمى في بناء الحضارة الإنسانية شرقاً وغرباً ولا أدل على ذلك من التراث الإسلامي العظيم الذي كان له دور أساسي في بناء الإنسان على سلوك قويم. والإسلام هو من أعلن عن منظومة القيم الحضارية واقعياً ونظرياً وله قصب السبق في ذلك وهو أول من جسدتها بدليل ما هو ثابت قرآناً وسنة وإجماعاً واجتهاداً.

إن جميع أفراد المجتمع الإسلامي على اختلاف ألوانهم وديانتهم عاشوا في أمن وأمان وسلامة واطمئنان لهم ما لل المسلمين من حقوق وعليهم ما على المسلمين من واجبات، كل ذلك بفعل الضمانات التي وفرها الإسلام والإجراءات الكفيلة بتنفيذ تلك الضمانات الميثوثنة في نصوص الشريعة والعمل على تطبيقها بدون إكراه ولا تمييز الكل يتمتع بالمساواة في الحقوق والواجبات.

أكتفي بهذا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين.

مِرْكَزَاتُ الْحَوَارِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

د. توفيق العمراني

وزارة التربية الوطنية / المغرب

تمهيد:

إن الواقع الذي تعيشه البشرية اليوم يتتصف بالتجاذب والتصارع المتجلز بين أقطابه ومكوناته، هذا التجاذب والتصارع مرده إلى الاختلاف الحاصل في الأيديولوجيات والمرجعيات والفهم التي تنطلق منها القناعات باتجاه تحليل الواقع واستشراف المستقبل. في ظل هذا الاختلاف الحاصل فلا أدعى من الرجوع إلى نقطة ارتكاز المختلفين، وحلقة الوصل بين المتجادلين؛ قصد التوافق لحل هذا الاختلاف وتدبره، وتمثل هذه النقطة والحلقة في عملية الحوار المبني على أسس ومبادئ تجعل منه منطلقاً لمناقشة الأفكار والقناعات بأسلوب يضمن تقبل المخالف واحترامه قصد الوصول إلى نتيجة مرضية موضوعية تضمن لكل طرف حقه، وتجلّي سوء الفهم الواقع.

لقد عني القرآن الكريم عنابة بالحوار، وذلك أمر لا غرابة فيه أبداً، فالحوار هو الطريق الأمثل للإقناع الذي ينبع من أعماق صاحبه، والإقناع هو أساس الإيمان الذي لا يمكن أن يفرض وإنما ينبع من داخل الإنسان، والقرآن الكريم قدم لنا نماذج كثيرة من الحوارات، حيث ينطلق في التأصيل للحوار من كون الخلاف حقيقة فطرية بشرية؛ لذا شرع الحوار وحدد مركباته للوصول إلى الحقيقة، قال تعالى: "وَلَا يَرَوْنَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ حَلَفُهُمْ"¹.

يحتاج الناس اليوم للتعايش وقبول الآخر والعيش على هذه البساطة بحب وسلام، بعيداً عن العنف، والتحيز، والتعصب، وتذليل الصعوبات لبروز منصات علمية وثقافية نستطيع من خلالها الوصول للحقيقة، وتحقيقاً لذلك لابد من الحوار الذي لا يتأتي تحقيق هذه الغايات إلا به، من أجل هذا اخترت هذا البحث قصد التطرق إلى أهم مركبات الحوار في القرآن الكريم التي غيب عموماً المجتمع الإنساني أغلبها والمسلم على وجه الخصوص، وقد وسمت هذا البحث بـ: " مركبات الحوار في القرآن الكريم".

المحور الأول: التعريف بالحوار والتفرíc بينه وبين الجدل

أولاً: تعريف الحوار

1. تعريف الحوار لغة

يرجع لفظ الحوار لمادة (ح.و.ر) " وهي ثلاثة أصول:

أحدها: لون

والآخر: الرجوع

¹ سورة هود الآية 119/118

والثالث: أن يدور الشيء دوراً¹

وجاء في لسان العرب: "الحور الرجوع عن الشيء إلى الشيء"²

انطلاقاً من التعريف الوارد في معاجم اللغة فالمعنى اللغوي للحوار الذي نود دراسته مبني على الرجوع، وكأن كلاً من المتحاورين يمكن أن يرجع أحدهما إلى فكرة الآخر بحثاً عن الحقيقة، وإقراراً بالحق، وهذا هو معنى الرجوع عن الشيء وإلى الشيء.

2. تعريف الحوار اصطلاحاً.

عرف الحوار في الاصطلاح بتعريفات عدة منها:

✓ "نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة"³

✓ "أسلوب يجري بين طرفين، يسوق كل منهما من الحديث مايراه ويقنع به، ويراجع الطرف الآخر في منطقه وفكرة، قاصداً بيان الحقائق وتقريرها من وجهة نظره"⁴

ما يلاحظ على التعريفين كون:

الأول: عرف الحوار باعتبار آدابه وضوابطه.

الثاني: باعتبار طريقة إجرائه والغاية منه.

انطلاقاً مما سبق يمكن القول إن التعريفين معاً بتكميلهما يشكلان تعريفاً للحوار، إذ لا بد من ذكر الآدب والغاية والكيفية حتى يكون التعريف جاماً؛ وعليه يمكن أن نضع تعريفاً مبسطاً للحوار فنقول: الحوار شكل من أشكال الحديث بين طرفين أو أكثر حول قضية معينة تقريراً للحق فيها، يتم فيه تداول الكلام بينهما بمراعاة جملة من الآداب والضوابط.

3. الحوار في القرآن الكريم.

وردت مادة (ح.و.ر) في القرآن الكريم بصيغ اشتقاقيّة هي: "يحاور" مرتين، و"تحاوركم" مرة واحدة، فهذه صيغ صريحة في إبراد اللفظ، أما الصيغ التي تدل على الحوار معنى وليس لفظاً فكثيرة في القرآن الكريم. أما الصيغ الصريحة فوردت في الآيات الآتية :

﴿ قال تعالى: " واضرب لهم مثلاً رجليْنِ جعلنا ل أحديْمَا جنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَقَّنَاهُمَا بِتَحْلِي وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا رِزْعًا ، كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَّهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خَلَالَهُمَا نَهَرًا ، وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثُرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعْزُ نَفْرًا وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَطْنُ أَنْ تَبِدِ هَذِهِ أَبْدًا ، وَمَا أَطْنُ

¹ معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (ح.و.ر).

² لسان العرب لابن منظور مادة (ح.و.ر).

³ في أصول الحوار: الندوة العالمية للشباب الإسلامي ص 11.

⁴ الحوار: الذات والآخر لعبدالستار الهبيتي ص 40.

السَّاعَةُ قَائِمَةٌ وَلَئِنْ رُدْدُتِ إِلَى زَيْرِي لَأَجِدَنَ حَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا، قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي
خَلَقْتَ مِنْ ثُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا¹"
﴿ قَالَ تَعَالَى : " قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ التَّيْ تُجَادِلُكَ فِي رَوْجَهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرُكُمَا إِنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ بَصِيرٌ " ².

إن الاستعمال القرآني للفظ الحوار ورد في سياق تبادل الحديث وفق آداب وضوابط بعيدة عن الخصومة والتعصب، ولهذا ففي سياق التصريح بلفظ الحوار في القرآن الكريم مرده إلى تبادل الحديث بين طرفين قصد إظهار فكرة معينة بمراعاة ضوابط مخصوصة.

ثانياً: تعريف الجدل

1. تعريف الجدل لغة.

أصل واحد من مادة (ج.د.ل) "هو من باب استحکام الشیء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام"³.

وعليه فالجدل لغة فيه معنى مراجعة الكلام مع شیء من الحدة.

2. تعريف الجدل اصطلاحاً

عرفه الخطيب البغدادي بقوله : " الجدل تردد الكلام بين الخصمين إذا قصد كل واحد منهم إحكام قوله ليدفع به قول صاحبه، وهو مأخوذ من الإحکام، يقال: درع الجدوله الفتل، والجدالة وجه الأرض إذا كان صلبا ولا يصح الجدل إلا من اثنين"⁴.

3. الجدل في القرآن الكريم

جاء الجدل في القرآن الكريم على نوعين: أحدهما محمود والآخر مذموم.

النوع الأول: الجدل محمود ومنه:

﴿ قوله تعالى: " ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمُوعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ " ⁵.

﴿ قوله تعالى أيضاً: " وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي
أُنْزَلَ إِلَيْنَا وَأُنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ " ⁶.

¹ سورة الكهف من الآية 32 إلى الآية 37.

² سورة المجادلة الآية 1.

³ معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (ج.د.ل)

⁴ الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ص 551.

⁵ سورة العنكبوت الآية 46

⁶ سورة النحل الآية 125

النوع الثاني: الجدل المذموم ومنه:

﴿ قوله تعالى: "كَذَّبُتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ وَالْأَخْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمْتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذُتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابٌ¹ ﴾

﴿ قوله تعالى: "وَمَا تُرْسَلُ الرُّسُلُ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أَنْذَرُوا هُرُوا²" ﴾

﴿ قوله تعالى: "الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِعَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَفْتَاحًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ حَبَارٍ³ . ﴾

انطلاقاً من هذه الآيات القرآنية وغيرها فالالأصل في الجدل الشدة والخصومة تقريراً لباطل أو دفاعاً عن شيء بجهل وغير ذلك، لكن الجدل محمود استعمله القرآن الكريم مع قرائن أخرجته عن دلالته الأصلية إلى شيء مرغوب فيه، فالله تعالى دعا في الآية الأولى أعلاه إلى مجادلة أهل الكتاب، وقيد هذه المجادلة بالتي هي أحسن، وقرنه أيضاً بها عند الدعوة إلى الله تعالى.

ثالثاً: الفرق بين الحوار والجدال

يمكن التفريق بين الحوار والجدل باعتبارين:

الاعتبار الأول: الغاية؛ حيث إذا كانت الغاية إقرار الحق والدعوة إلى الله تعالى اعتبر حواراً، وإذا كان دفاعاً عن الباطل فهذا جدال.

الاعتبار الثاني: الوسائل والأداب؛ فإذا روعيت فيه الضوابط التواصيلية من احترام وتقبل للمخالف وحسن قول وعلم وغير ذلك من الضوابط المنهجية والموضوعية اعتبر حواراً، وإذا كان فيه ازدراء وسوء قول وجهل وغيرهم اعتبر جدالاً.

بعد هذه التوطئة عن مفهوم الحوار والتمييز بينه وبين الجدل، ننتقل الآن إلى إبراد أهم مركباته في القرآن الكريم.

المحور الثاني: مرتكز الالتزام بالموضوعية والبعد عن التعصب.

إن الالتزام بالموضوعية من أهم القواعد التي تحكم العملية الحوارية أثناء سيرها وعند الانتهاء منها، فهي التي تضبط مجرى الحوار، وقبل الحديث عن بعض التحاليل والنماذج في القرآن، لابد من التعريف بالموضوعية والتفرق بينها وبين الذاتية.

تعريف الموضوعية

يقصد بالموضوعية من منظور فلسطي أن المعرفة إنما ترجع إلى حقيقة غير الذات المدركة.⁴

¹ سورة غافر الآية 5

² سورة الكهف الآية 56

³ سورة غافر الآية 35.

⁴ المعجم الوسيط لابراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر محمد النجار 1040/2

وعليه فال موضوعية في الحوار مبدأ يتم الالتزام فيه بالقضية المتناور حولها من حيث حدودها وضوابطها، والبعد فيها عن كل صور التحيز...
الفرق بين الموضوعية والذاتية

الذاتية مدارها على الشخصية؛ إذ المنطلق فيها ما يحكم الإنسان من أهواء ومصالح ودوافع تجعل التحكم في الحوار وبناء أساليبه ونتائجها على هذا الاعتبار، وعليه فال موضوعية تجسيد لمبدأ العدل في الحوار عكس الذاتية.
 ومن الآداب التي تدرج تحت هذا المرتكز:

أولاً: التجدد عن الذاتية في احتمالية الصواب والخطإ بين أطراف الحوار

من الآيات الدالة على هذا المرتكز:

► قوله تعالى : "وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ"

فهذه الآية دليل قوي في كتاب الله تعالى على قمة الموضوعية التي أرشد الله تعالى عباده المؤمنين في محاورة المنكرين لمبادئ الإيمان، فقد جعلت المؤمن ومحاوره على مسافة واحدة من الحق؛ إذ الحق لا يتعدد هنا، فلم يجعل المجاور محاوره في دائرة الخطإ، بل أعطاه احتمالية أن يكون على صواب إذا أقام حجة وبرهانا على صدق قوله، على الرغم من أن المحاور متيقن بصحة اعتقاده.

قال قتادة في تفسير هذه الآية: "قد قال ذلك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم للمشركين: والله ما نحن وإياكم على أمر واحد، إن أحد الفريقين لم يهد".²

ثانياً: الالتزام بدائرة الموضوع وعدم الخروج عنه لذاتية في المحاور.

إن المحاور في بعض الأحيان قد يخرج عن دائرة موضوع الحوار إما من خلال طعن في محاوره، أو تشتيتاً لتركيزه، أو تكبراً، وما إلى ذلك من عيوب الحوار.

ومن الآيات الدالة على ذلك:

► قوله تعالى في قصة نوح مع قومه: "قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ قَالَ يَا قَوْمَ لَيْسَ بِي ضَلَالٌ وَلَكُنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَيِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ"³

فهذه الآية جاءت تلقيناً لنوح عليه السلام بعدما اتهمه قومه بالضلالة المبين أثناء دعوتهم إلى توحيد الله تعالى، وتحذيرهم من عذاب الله، فعوض مناقشته في ادعائه الذي أقام عليه الأدلة والبراهين قاموا بالطعن في شخصه واتهامه بالعته تكبراً وحسداً من عند أنفسهم، كل هذا سببه الهوى وحظ النفس، ولهذا قال تعالى:

¹ سورة سباء الآية 24.

² تفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقي 517/6، تحقيق سامي بن محمد سلامه، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية 1420هـ / 1999م.

³ سورة الأعراف من الآية 61/62.

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّ اللَّهَ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ¹

فهذه الآية بعمومها تبين أن محرك الشخص في كل تصرفاته وأقواله واعتقاداته مبنها على الهوى لا على ما يظهر من الحق بسبب الأدلة والبراهين.

ثالثا: إظهار ماله وما عليه من أدلة وحجج وعدم تلبيس الحق بالباطل.

إن عدم إظهار المحاور لمحاوره الأدلة والحجج على حقيقتها وتلبيسه الحق بالباطل يعد مظهرا من مظاهر حب الذات، حيث يقوم الملبس بتكييف الحوار حتى يتاسب مع القناعات والمبادئ التي يؤمن بها ، ومن الآيات الواردة في سياق ذم ذلك:

﴿ قُولَهُ تَعَالَى : "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تَلِسُوْنَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوْنَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ" ² .

﴿ قُولَهُ تَعَالَى : "وَلَا تَلِسُوْنَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوْنَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ" ³ .

جاء في تفسير الآية الأخيرة عن ابن عباس: " لاتكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي وبما جاء به وأنتم تجدونه مكتوبا عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم"⁴.

رابعا: الإنصاف والعدل عند المحاجرة حتى وإن ظهر الحق مع المحاور.

من الأدلة الدالة بعمومها على ذلك:

﴿ قُولَهُ تَعَالَى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْنُوا قَوَامِيْنَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالَّدِيْنِ وَالْأَقْرَبِيْنِ" ⁵ .

﴿ قُولَهُ تَعَالَى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْنُوا قَوَامِيْنَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَا يَجْرِيْنَكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوْنَ اعْدِلُوْا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَأَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُوْنَ" ⁶ .

فهذه الآيات وغيرها تدل بعمومها على أصل من أصول الإسلام في التعامل مع الغير محااجرا كان أو غيره، وهذا الأصل يتمثل في العدل من خلال الاعتراف بصحبة معتقد المخالف أو قوله أو فعله، لكن الاعتراف بذلك أمر ثقيل على النفس، لا يقوم به إلا من تشرب الآدب مع غيره، فصار سجية له حتى ولو في حق نفسه.

المحور الثالث: مرتكز الرفق في الحوار قولًا وفعلاً.

¹ سورة الجاثية الآية 23.

² سورة آل عمران الآية 71.

³ سورة البقرة الآية 42.

⁴ تفسير القرآن العظيم لابن كثير 245/1.

⁵ سورة النساء الآية 135.

⁶ سورة المائدة الآية 8.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

إن من أهم مركبات اجتماع قلب المحاور وإقباله على محاوره رفقه به، وهذا المبدأ مطلوب في كل المعاملات الإنسانية عموماً؛ لذا مدح الله تعالى نبيه الكريم بالرفق ونفي عنه صفة الغلطة التي تنفر من حوله محاوراً كان أو غيره، فقد قال تعالى "وَلَوْ كُنْتَ فَطَّأَ عَلَيْظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ"¹.

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم مدح بصيغة العموم كل أمر اقترب بالرفق وحذر من تغييب هذا الخلق فقال عليه السلام: "إِن الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يَنْزَعُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ"².

ونذكر من أهم مبادئ وآداب مركبة الرفق في الحوار:

أولاً: القول الحسن

إن من أهم أسس انتشار دعوة التوحيد زمن الرسل والأنبياء صفة القول التي نهجوها في دعوتهم لعبادة الله تعالى ، وهذه الخصلة على سبيل الوجوب والإلزام من حيث الاتصال بها في مخاطبة الغير؛ لأن الخطاب القرآني ورد بصيغة الأمر الموجه لكل مؤمن من خلال قوله تعالى: "وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنَا"³.

وقد جعل الإسلام القول الحسن تعبدا يجازى عليه، ففي حديث أبي هريرة في صحيح مسلم: "والكلمة الطيبة صدقة"⁴.

ومن الآيات الدالة على إعمال هذا المبدأ في الحوار:

﴿ قُولُهُ تَعَالَى : "اَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾⁵

﴿ قُولُهُ تَعَالَى : "اَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ اَعْلَمُ بِيَتَدَكَّرُ اُو يَحْشَى" ⁶.

قال القرطبي في تفسير الآية الأولى: "فيه مسألة واحدة، هذه الآية نزلت في وقت الأمر بمهادنة قريش، وأمره أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطيف ولين دون مخاشرة وتعنيف، وهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمين إلى يوم القيمة"⁷.

أما الآية الثانية فقد تحدثت عن أمر الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام بدعوة فرعون بالقول اللين الذي يقتضي القول الحسن رجاء استمالته إلى التوحيد والحق، وقد قيل في تفسير هذه الآية: (والقول اللين: الكلام الدال على معاني الترغيب والعرض واستدعاء الامتثال، بأن يظهر المتكلم للمخاطب أن له من سداد الرأي ما يتقبل به

¹ سورة آل عمران الآية 159

² صحيح مسلم كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل الرفق رقم الحديث 2594.

³ سورة البقرة الآية 83

⁴ صحيح مسلم كتاب الزكاة باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف رقم الحديث 1009

⁵ سورة النحل الآية 125

⁶ سورة طه الآية 43 . 44

⁷ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 10/177

الحق ويميز به بين الحق والباطل، مع تجنب أن يشتمل الكلام على تسفيه رأي المخاطب أو تجاهله، فشبهه الكلام المشتمل على المعانى الحسنة بالشىء اللين.

واللین من شعار الدعوة إلى الحق، قال تعالى: "وَجَادُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنٌ"¹، وقال "فِيمَا رَحْمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ"².

وعليه فإن القول الحسن أثناء الحوار مدعوة لامتلاك قلب المحاور قبل عقله حتى تتهيأ أجواء الحوار الهدافى الهدف.

ثانياً: الرحمة بالمحاور حرصاً على إظهار الحق له.

إن أكد ما انبنت عليه الدعوة الإسلامية في مهدها رحمة المصطفى صلى الله عليه وسلم في تعامله مع الصديق والعدو، الموافق والمخالف، كيف لا وقد زakah الله تعالى بقوله: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ"⁴.

وقد بين القرآن الكريم صفة الرحمة في دعوة الأنبياء أقوامهم كخلق تبليغى قصد إخراج محاورتهم من براثن الشرك والكفر إلى رحاب التوحيد والإيمان. ومن ذلك:

• خوف الأنبياء على أقوامهم من العذاب.

✓ خوف نوح عليه السلام على قومه عند دعوتهم إلى عبادة الله تعالى، قال عز وجل: "لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ"⁵.

✓ خوف إبراهيم عليه السلام على والده، قال تعالى: "يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسِكَ عَذَابًا مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيَا"⁶.

ففي هذه الآيات وغيرها جسد الخوف على المحاورين من المخالفين مظهراً من مظاهر الرحمة التي تميز بها أنبياء الله تعالى اتجاه أقوامهم وأقربائهم حتى لا يطالهم عذاب الله وغضبه.

فرغم مخالفة غيرهم لهم معتقداً لم يجعل ذلك صفة القسوة والانتقام والغلظة ميزة لهم، بل كان هدفهم محاورة مخالفيهم إخراجاً لهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة.

• رحمة المحاور بنصحه. ومن ذلك:

✓ قوله تعالى: "فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعْلِمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشِدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْرِيرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِظْ بِهِ حُبْرًا"

¹ سورة النحل من الآية 29

² سورة آل عمران من الآية 159.

³ التحرير والتبيير للطاهر بن ماشور 16/225

⁴ سورة الأنبياء الآية 107

⁵ سورة الأعراف الآية 59

⁶ سورة مرثيم الآية 45

وصف الله العبد الصالح عليه السلام بالرحمة، ومن صور الرحمة في هذه الآية نصحه لموسى المحاور عليه السلام بعدم قدرته الصبر على اتباع الخضر عليه السلام.

✓ قوله تعالى: "وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمَ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ"²

ففي هذه الآية نصح الرجل الصالح قومه الذين خالفوا نبيهم المعتمد، فأرادوا التنكيل به وتعذيبه، وهذا قمة الرحمة بهم.

إن الرحمة بين المحاور ومحابيه وسيلة لفتح مغلق القلوب، وطرق موصد العقول، بعيداً عن كل الأمراض النفسية من كبر وعجب وحقد وغيرها، فينشرح الصدر بهذه الرحمة، ويقبل المحاور على محابيه قاصداً بذلك الاقتناع عن طريق الاحترام المبني على سلوك الرأيم، وقد كان لهذا الأسلوب الأثر البارز في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: "فِيمَا رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لِنَتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِظًّا لِلْقَلْبِ لَانْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ"³

قال الرازي في تفسير هذه الآية: "فإن قيل ما الفرق بين الفظ وبين غليظ القلب، قلنا الفظ الذي يكون سبب الخلق، وغليظ القلب هو الذي لا يتأثر قلبه عن شيء، فقد لا يكون الإنسان سبب الخلق ولا يؤذي أحداً، ولكنه لا يرق لهم ولا يرحمهم، فظاهر الفرق من هذا الوجه".⁴

ثالثاً: الحلم والصبر في الحوار بين أطرافه.

إن مما تتميز به الشخصية القوية عن غيرها من الأنفس المندفعه المنفعلة؛ خصلتا الحلم والصبر، فهما علامه على القدرة على التحكم في الانفعالات والأحساس التي قد تضر بالنفس والغير، ولهذا مدح النبي صلى الله عليه وسلم الحليم فقال: "ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب".⁵

قد أثنى الله على الصابرين فقال عز وجل: "وَلَئِنْ صَرَرْتُمْ لَهُوَ حَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ"⁶، وقال تعالى أيضاً: "إِنَّمَا يُؤْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِعَيْرٍ حِسَابٍ"⁷

¹ سورة الكهف الآيات 65/68

² سورة يس الآيات 20/21

³ سورة آل عمران من الآية 159

⁴ مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي 9/52.

⁵ أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب برق 2609، والبخاري في كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب رقم الحديث 5763 ، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

⁶ سورة النحل من الآية 12/6

⁷ سورة الزمر من الآية 10/7

مالمقصود بالحلم؟ جاء الحلم بما يخالف الطيش، قال المناوي في تعريفه: "الحلم احتمال الأعلى الأذى من الأدنى، وهو رفع المؤاخدة عن مستحقها بجناية في حق مستعظم، وهو ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب"¹ وقال الجرجاني "الحلم هو الطمأنينة عند سورة الغضب، وقيل تأخر مكافأة الظالم".²

أما الصبر فقد عرفه ابن القيم بأنه "حبس النفس عن التسخط بالمقدور، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية".³

انطلاقاً من التعريفين يمكن القول: إن الحلم والصبر صفتان نفسitan تمظهر في سلوكيات تضبط الشخص فيكون هو المستفيد الأول ثم غيره، وصفة الضبط لازمة لهما معاً، لكن فرق البعض بينهما بكون الحلم إمهال بتأخير العقاب المستحق، ولا يصح الحلم إلا من يقدر على العقوبة وما يجري مجريها، أما الصبر فحبس النفس لمصادفة المكره، وهذا الحبس يكون من خلال عدم إظهار الجزء.⁴

وعليه فإن الحلم والصبر يمكنهما إفادة المتحاورين خلال الحوار من خلال:

- منع التسريع منهما في الرد الذي قد يكون جارحاً للطرف الآخر كرد فعل عن قول للطرف الأول لم يتقبله الطرف الآخر.

- كونهما وسيلة للأخذ بناصية المجاور وملك مشاعره بالأخلاق التي يقابل بها، فعرض الانتقام والمعاقبة للحلم، وعرض الغضب الصابر.

- منح المواقف والأدلة وتناسبها موضوعيةً من خلال كونها مبنية عن تعلم وتوأدة تجعل صاحبها يفكر فيها، ويقلب أوجهها قبل التلفظ بها.

- إبعاد الطرفين عن الذاتية التي تعتبر ناسفة للحوار من أصله.

المحور الرابع: مرتكز الهدوء وحسن الإنصات والإقبال على المخاطب أثناء الحوار.

الهدوء وحسن الإنصات والإقبال أثناء الحوار أي الجوانب الشكلية في محيط الحوار تكون حكماً في الغالب على استمرارية الحوار وموضوعيته، ذلك أن تصرفات المتحاورين إما أن تكون عائقاً في استمرارية الحوار وإن تراجعت، أو تكون محفزاً لأطرافه على المضي فيه وإدامته، ومن المرتكزات التي لاعلاقة لها بموضوع الحوار وإنما بطريقة إجرائه وهي مؤثرة وفعالة، الهدوء أثناء الحوار وحسن الإنصات إلى المحاور والإقبال عليه أثناء الحوار.

أولاً: الهدوء أثناء الحوار.

إن صفة الهدوء أثناء الحوار علامة على رزانة نفسية يتميز بها الهدائ، وثقة في النفس تجعل قوله سديداً ومركزاً، أما الانفعال والتوتر فهما علامة على الارتباك والاضطراب، وهذا مذنة الانهزام، والقرآن الكريم بالقصص

¹ التوقيف على مهام التعريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي 294/1.

² التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني 125/1.

³ الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن قيم الجوزية تحقيق محمد عبد الرحمن عوض ص 11/1.

⁴ ينظر معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 99.

الحوارية التي دارت بين الأنبياء وأقوامهم جسد فيها الأنبياء قمة الهدوء في دعوة أقوامهم إلى عبادة الله وتوحيده، ومن أمثلة ذلك:

﴿ قَوْلُهُ تَعَالَى : " وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَادِيْنَ قَالَ يَا قَوْمَ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمَيْنَ " ¹

فهذا السياق الحواري ورد في القرآن بكثرة، توحدت فيه كيفية رد الأنبياء على أقوامهم، وإن اختلفت ردودهم، فبعد أن قامت عاد باتهام هود عليه السلام بالسفه وخفة الرأي والعقل والكذب، وفي هذا من الاستفزاز مالا تقوى عليه النفوس الزكية التي تأبى الانصياع وراء السفهاء وأساليبهم، أجابهم بكل هدوء بعيدا عن الانفعال فقال "يا قوم"²، فجعلهم منه ليثبت رابطهم به ورابطه بهم "ليس بي سفاهة ولكنني رسول من رب العالمين"³، وعلى أساس هذا الجواب يحقق الهدوء مجموعة الفوائد أثناء الحوار أهمها:

- استمرارية الحوار بين الأطراف.

- دفع الطرف الآخر إلى مراجعة طريقة حديثه مع الآخر

- كسب قلب الآخر من خلال السمو الأخلاقي الذي عومل به.

ومن عوائق الهدوء ومنع صاته أثناء العملية الحوارية:

- رفع الصوت من طرف أحد المتحاورين أو منهما معا، وكلما ارتفعت الأصوات ارتفع وذهب معها التعقل والتركيز والأدب، لذا ذم الله تعالى على لسان لقمان عليه السلام رفع الصوت عموما فقال تعالى: " وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ " ⁴.

ففي الآية السابقة ذم لرفع الأصوات حواراً كانت أو غيره، وعليه على المحاور عدم رفع الصوت جدا، لأنَّه مخل بمرتكز الهدوء أثناء الحوار، قال الطاهر بن عاشور في تفسير الآية: "وجملة إنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ تعليل علل به الأمر بالغض من صوته باعتبارها متضمنة تشبيهاً بليغاً، أي لأنَّ صوت الحمير أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ، ورفع الصوت في الكلام يشبه نهيق الحمير، فله حظ من النكارة"⁵.

وليس من الهدوء وخفض الصوت أن يخفضه لدرجة يعجز عنها المستمع عن متابعة الحديث، وإنما لابد من التوسط والاعتدال، وقد وجد بالخبرة والتجربة أن الصوت المعتدل الهادئ المتأني من غير صراخ أو صيا، ومن غير إسرار وإخفاقات هو الأدخل في النفوس، والأئنف إلى الأعمق، والأحفظ لجلال الكلمة ووقار المتكلم، ومن

¹. سورة الأعراف الآية 65/67.

². سورة الأعراف الآية من الآية 65.

³. سورة الأعراف الآية 67.

⁴. سورة لقمان الآية 19.

⁵. التحرير والتبيير 169/21

الأفضل ألا يجعل المحاور درجات صوته على وتيرة واحدة؛ لأن ذلك قد يجلب النوم للمستمعين، ولكن يلزم خفض الصوت ورفعه انفعالا مع الحديث، فإن لقوة الصوت وخفضه دورا في تجديد الانتباه¹ ثانياً: حسن الإقبال على المحاور.

إن من كمال خلق المرء عموما والمحاور خصوصا حسن الإقبال على محاوره، ويقصد بحسن الإقبال توجيه العين والوجه وتجنب الإلتفات، وهذا من مقتضيات حسن الإنصات وإظهار الاحترام، كما أنه يؤدي إلى توحيد التفكير وتقوية التركيز، قال الإمام الجويني رحمة الله تعالى: "وعلى كل واحد منهما أن يقبل على خصميه الذي يكلمه بوجهه في خطابه، المتalking في كلامه والمستمع في استماعه، فإن التفت أو أعرض عنه في الاستماع أو الخطاب وعظه، فإن لم يقبل قطع مناظرته؛ لأن ترك الإقبال وحسن الاستماع يشغل قلب المتalking والمستمع فتنقطع عليه مادة الفهم"².

وقد تمثل هذا الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في لقاءاته عموما، فقد ورد في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل الذي ينزع، ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرفة"³، قال الطبي في شرح هذا الحديث: "كان لا ينزع يده قبل نزع صاحبه تعليم لأمته في إكرام صاحبه وتعظيمه"⁴، وعليه فالإقبال تعظيم واحترام لأطراف الحوار بعضهما البعض، زمن الأدلة الدالة على ذلك ما سنورده في حسن الإنصات لتلازم حسن الإقبال بها، فلا يتصور أحدهما دون الآخر.

ثالثاً: حسن الإنصات والاستماع.

إن استيعاب القضايا المتحاور حولها فهما وتفهيمها يقتضى سمعها والإنصات لصاحبها، وحسن الإنصات مظهر من مظاهر احترام المخاطب، فهو مُؤذن للمتكلّم بأهمية كلامه عند المتكلّم معه، وهو الطريق إلى التفكير والتأمل في المقال قصد الفهم، قال الطاهر بن عاشور في تفسير قوله تعالى: "وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَبِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ"⁵، فالاستماع والإنصات المأمور بهما هما المؤديان بالسامع إلى النظر والاستدلال والاهتمام بما يحتوي عليه القرآن من الدلالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم المفضي إلى الإيمان به، ولما جاء به من إصلاح النفوس، فالأمر بالاستماع مقصود به التبليغ واستدعاء النظر والعمل بما فيه، فالاستماع والإنصات مراتب بحسب مراتب المستمعين⁶

¹ في أصول الحوار، الندوة العالمية ص 94.

² الكافية في الجدل لإمام الحرمين الجويني ص 533/534.

³ أخرجه الترمذى في سنة رقم الحديث 2490.

⁴ شرح المشكاة للطبي 3709/12.

⁵ سورة الأعراف من الآية 204.

⁶ التحرير والتنوير 9/239.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

وعليه فالغاية من الإنصات والاستماع تدبر الكلام عن طريق التفكير فيه والتدارك قصد الوصول إلى كنهه وحقيقة، وهذه غاية لا يبلغها من انشغلت جوارحه عن سماع الكلام والإإنصات له، فهو دلالة على إرادة الفهم والقصد إليه، قال أبو هلال العسكري: "قوله تعالى: "إِذَا قرئ القرآن فاستمعوا له"¹ إشارة إلى قصدهم إلى ذلك وميلهم إلى السماع الخالي عن القصد².

ولابد أثناء الاستماع والإإنصات من إطالة السكتوت وعدم المقاطعة؛ لأن ذلك يتنافى مع مقاصد الحوار وغاياته، قال الخطيب البغدادي في أدب الجدل المناقضة: "ويستشعر في مجلسه الوقار ويستعمل الهدى وحسن السمت وطول الصمت إلا عند الحاجة"³.

وقد أعمل الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المترکز كثيرا في حواراته مع المخالفين، ومن أمثلة ذلك ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عتبة بن ربيعة عند محاورته إياه، ففي سيرة ابن اسحاق بسنده أن عتبة بن ربيعة كان سيدا حلما قال ذات يوم وهو جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده في المسجد: يا عشر قريش ألا أقوم إلى هذا فأكلمه أموراً لعله أن يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكتف عننا، وذلك حين أسلم حمزة بن عبد المطلب، ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكترون؟ فقالوا: بل يا أبا الوليد فكلمه، فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعابت به آلهتهم ودينه، وكفرت من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك أن تقبل منها بعضها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل يا أبا الوليد أسمع، فقال يا بن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت من هذا القول مالاً جمعنا من أموالنا حتى تكون أكثرا مالاً، وإن كنت إنما تريد شرفاً شرفناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه ولا تستطيع أن ترده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غالب التابع على الرجل حتى يداوى منه، ولعل هذا الذي تأتي به شعر جاش به صدرك، فإنكم لعمري يابني عبد المطلب تقدرون منه على ما لا يقدر عليه أحد، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاستمع مني، قال: أفعل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم حم. تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته قرآنأً عربياً فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها عليه، فلما سمعها عتبة أنصت له، وألقى بيده خلف ظهره معتمدأً عليها يستمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة فسجد فيها، ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك، فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس

¹ سورة الأعراف من الآية 204.² الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري 1/118.³ الفقيه والمتفقة 27/2.

إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ فقال: ورائي، إني والله قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة، يا عشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتلوه، فهو الله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصيبه العرب فقد كفيتهم بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم، وكتمم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، فقال: هذا رأي لكم فاصنعوا ما بدا لكم¹.

فقد تميز رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحوار بصفات عدة أهمها حسن الإنصات والاستماع جعلا منه مستووبا للقضايا المطروحة ومعالجا لها علاجا موضوعيا أساسه التعقل والتزوي والجسم لا العجلة والمقاطعة. مهما كان عليه الخصم من خططا وزلل فعلى محاوره أن يتلزم بحسن الإنصات حتى ينهي الطرف الآخر كلامه، ولنا في الهدي القرآني خير مثال على ذلك، فمن الحوارات الواردة في القرآن الكريم والتي توصل لهذا المترکز على الرغم من مخالفة المخاطب لمخاطبه في الاعتقاد والسلوك:

﴿ قال تعالى في قصة نوح عليه السلام مع قومه: "قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ قَالَ يَا قَوْمَ لَيْسَ بِي ضَلَالٌ وَلَكُنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبِلِغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ² ﴾

﴿ قال تعالى عن قوم هود عليه السلام: "قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمَ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكُنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ³. ﴾

﴿ قال تعالى في قومه شعيب المتكبرين: "قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُحْرِجَنَّكَ يَا شَعِيبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرِيبَتِنَا أَوْ لَتَعْوُذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوْلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ⁴. ﴾

﴿ قال تعالى في قول فرعون وقومه لموسى عليه السلام: "فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا افْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرْنِي أَقْتُلُ مُوسَى وَلَيُدْعَ رَبِّهِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ⁵ ﴾

هذه بعض الآيات الدالة على حسن استماع الأنبياء عليهم السلام وإنصاتهم لأقوامهم رغم ضلالاتهم، والدلالة على حسن الإنصات والاستماع من طرف الأنبياء ردودهم المتسمة بالرحمة والشفقة على أقوامهم، ولا يمكن الرد بتلك الصيغ إلا بعد استيعاب اعترافات محاوريهم، كيف لا والمنهج القرآني يعرض لنا طلب إبليس من الله تعالى إنظاره بعد حوار طويل بين الله واللعين، حيث ترك الله تعالى له الفرصة للتحدث والطلب، قال تعالى: "قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمْرَتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ حَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَحَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قَالَ فَاهِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ

¹ السيرة النبوية لابن إسحاق 72/1

² سورة الأعراف من الآية 60 إلى 62.

³ سورة الأعراف من الآية 66

⁴ سورة الأعراف من الآية 88

⁵ سورة غافر الآية 25 . 26

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

تَتَكَبَّرُ فِيهَا فَأَخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبَعِّثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ قَالَ فِيمَا أَعْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَا تَتَبَيَّنُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ¹

11

وعليه فإن من فوائد حسن الإنصات والسماع:

- حصول الفهم والافهام بين الطرفين

- التركيز والدقة.

- عدم التشوش على المتحدث حتى يتسعى له بسط أفكاره وموافقه.

أهم النتائج المتوصّل إليها:

- لما جعل القرآن الكريم وسيلة دعوة غير الموحدين هي الحوار اتضحت من ذلك أهمية الوسيلة في تحقيق الغاية، مما لا يقوم الواجب إلا به فهو واجب.

- من غaiات الحوار في القرآن الكريم مجارة الكلام وتداوله بين المتحاورين، حتى تقام الحجج والبراهين تمهدًا للوصول إلى الحقيقة.

- الحوارات القرآنية بنيت على أدلة عقلية انتهت في غالبيتها إما بالانبهار والتسليم بالحقائق، وفي بعض الأحياء بالانبهار دون التسليم مكابرة وجحوداً، لكن طريقة عرض الحقائق بنيت دائمًا على البرهان والدليل المنطقي.

- تتنوع حوارات القرآن ومرتكراته، ولم تشمل الجانب الإيماني فقط وإن كان هو الغالب فقد تعدد إلى مجالات أخرى كالجانب الاجتماعي كما في سورة يوسف.

- الحوار في القرآن الكريم بنيت مرتكراته على التواضع في مقابل التكبر، والجهل عوض العلم.

- مرتكزات الحوار في القرآن الكريم نبذت وحضرت من اتباع الآباء والأجداد تقليداً وإلغاء للعقل.

- مرتكزات الحوار في القرآن الكريم تنقسم إلى أقسام منها:

الأول : مرتكزات منهجة شكلية خارجة عن موضوع التحاور من حسن إنصات واستماع وهدوء وإقبال على المخاطب وغير ذلك.

الثاني: مرتكزات موضوعية تتعلق بالموضوع المتحاور حوله من حيث علاقة الأدلة والبراهين به، ومدى تناسبها مع محاولة إقناع الآخر.

الثالث: مرتكزات تتعلق بالجانب النفسي كالإقرار بالحق حالة ظهوره، حيث يتجلّى ذلك في الموضوعية بعيدة كل البعد عن الذاتية.

- إن حوارات القرآن الكريم ومرتكزات توصل لتقبل الآخر المخالف، وأن لغة التواصل معه هي الحوار، لأنذه واعتماد مبدأ الإلغاء.

¹ سورة الأعراف من الآية 12 إلى الآية 18

أهم التوصيات

- إنشاء مراكز ومجموعات بحث تعنى بالبحث في الأساليب الحوارية ومرتكزاتها في أصول التشريع عموماً والقرآن الكريم على وجه الخصوص.
- إقامة ندوات ومؤتمرات تهدف إلى تسليط الضوء على مرتكزات الحوار في القرآن الكريم.
- إقامة ملتقيات حوارية تجمع كل الفاعلين وأطراف الاختلاف من المسلمين مع غيرهم.
- التركيز على تعليم الناشئة فنون الحوار من خلال تلقينه لهم نظرياً وتطبيقه على أرض الواقع.
- تشجيع الأبحاث العلمية الهدافلة إلى خلق ثقافة الحوار بين الأمم والشعوب.
- إقامة قنوات إعلامية خاصة بالحوار بين مختلف الأطراف المختلفة وفق ضوابط تشاركية لا إقصائية.

لائحة المصادر والمراجع

1. التحرير والتنوير المسمى تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد لمحمد الطاهر بن عاشور الدار التونسية للنشر الطبعة الأولى 1984م.
2. التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني، دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى 1405هـ/1985م.
3. تفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد سلام، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية 1420هـ/1999م.
4. التوقيف على مهمات التعريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي تحقيق محمد رضوان دار الفكر المعاصر بيروت الطبعة الأولى 1410هـ.
5. الجامع الصحيح المسمى سنن الترمذى لمحمد بن عيسى الترمذى السلمي تحقيق وتعليق محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة مطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر، الطبعة الثانية 1395هـ/1975م.
6. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر دار طوق النجاة الطبعة الأولى 1422هـ.
7. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن شمس الدين القرطبي تحقيق هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب الرياض، المملكة العربية السعودية، طبعة 1423هـ/2003م.
8. الحوار: الذات والآخر لعبدالستار الهيتي ص 40 مجلة الأمة العدد 99 طبعة 1425هـ.
9. السيرة النبوية (كتاب السير والمغازي) لمحمد ابن إسحاق تحقيق سهيل زكار دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى 1498هـ/1978م.
10. شرح المشكاة للطبيبي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز بمكة الطبعة الأولى 1417هـ/1997م.
11. صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.
12. الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي دار ابن الجوزي بالسعودية الطبعة الأولى 1417هـ/1996م.
13. في أصول الحوار: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض الطبعة الخامسة 1419هـ/1998م.
14. كتاب الأدب المفرد للبخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثالثة، 1409هـ/1989م.
15. لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقي دار صادر بيروت الطبعة الأولى.

9-8 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

16. معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري تحقيق وطباعة مؤسسة النشر الإسلامي الطبعة الأولى 1412هـ.
17. المعجم الوسيط لابراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر محمد النجار تحقيق مجمع اللغة العربية دار الدعوة دون تاريخ.
18. معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر 1399هـ/1979م.
19. مفاتيح الغيب لفجر الدين الرازي، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى 1421هـ/2000م.
20. الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن قيم الجوزية تحقيق محمد عبد الرحمن عوض دار الكتاب العربي، بيروت 1985/1405.

خلق التسامح في ضوء السنة النبوية

د. أحمد بن علي الحندودي الغامدي

الأستاذ المشارك بقسم السنة كلية الشريعة - جامعة الملك خالد/السعودية

مقدمة:

الحمد لله الذي جعل الأخلاق من الدين، وأعلى بها شأن المؤمنين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله رسوله الصادق الوع德 الأمين وبعد:

فالأخلاق الفاضلة إحدى الركائز التي أهتم بها الإسلام وأولاها عناية خاصة ، فلقد حدد النبي صلى الله عليه وسلم الغاية الأولى من بعثته والمنهج المبين من دعوته بقوله عليه الصلاة والسلام: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُنْذِمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ" (1).

كما بين أن أثقل شيء في ميزان المؤمن يوم القيمة حسن الخلق، وأن أقرب الناس في الجنة مجلسا منه أحاسنهم أخلاقا.

وذلك أن الأخلاق الفاضلة تضبط الفرد وتوجه سلوكه إلى ما يعود عليه بالخير وعلى مجتمعه، كما أنها تضمن للناس في المجتمعات التعايش في أمن واستقرار وسعادة ، وقد قيل: ذهب حسن الخلق بخير الدنيا وخير الآخرة.

ومن الأخلاق الفاضلة والحميدة التي حث عليها الإسلام ورحب بها خلق التسامح، وهو ذو أهمية كبيرة للتعايش بين أفراد المجتمع الواحد وبين غيرهم ، ولكونه من الصفات النبيلة التي تعزز الترابط بين أفراد المجتمع وتساعد على نشر ثقافة المحبة، وأيضا يسهم في نشر الدين الإسلامي وتعريف غير المسلمين بروح الإسلام الحقيقة التي تمثلت في خلق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

ولما كان خلق التسامح بهذه الأهمية أحبت أن أشارك ببحث بعنوان (خلق التسامح في ضوء السنة النبوية) في المؤتمر الدولي الثاني: "منظومة القيم وأثرها في تنمية الحوار" والذي سينعقد بمدينة نوفي بازار بجمهورية صربيا.

(1) رواه ابن سعد في "الطبقات" 192/1، وأحمد في المسند 2 / 318 ، والبخاري في "الأدب المفرد" (ج 273) ، والحاكم في المستدرك 2 / 613 من طريق ابن عجلان عن القعاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعا . قال الحكم : " صحيح على شرط مسلم " ، ووافقه الذهبي، قال ابن عبد البر: " هو حديث صحيح متصل من وجوه صحيح عن أبي هريرة و غيره".

خطة العمل في البحث:

ت تكون الخطة من مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وتتضمن بيان أهمية الموضوع، وخطة العمل في البحث.

المبحث الأول : تعريف الأخلاق ، ومنتزتها في الإسلام

المبحث الثاني: تعريف التسامح.

المبحث الثالث: ضوابط التسامح مع غير المسلمين.

المبحث الرابع: صور من سماحة الإسلام في العلاقة مع غير المسلمين.

الخاتمة: أهم النتائج.

المبحث الأول**الأخلاق لغة واصطلاحا، ومنتزتها في الإسلام**

لغة:

جمع حُلْق، والحُلْق: بضم الخاء المعجمة وإسْكَان اللام وضمهما: السجّيّة، والطبع، والمروءة، والدين⁽¹⁾.

قال ابن فارس: "الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء، والآخر ملاسة الشيء... ومن ذلك: الحُلْق وهو السجّيّة؛ لأن صاحبه قدر عليه"⁽²⁾.

وقال الراغب الأصفهاني: "الحُلْق والحُلْق في الأصل واحد... لكن خصّ الحُلْق بالهياكل والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخصّ الحُلْق بالقوى والسجّيّة المدركة بالبصرة"⁽³⁾.

اصطلاحا:

قال الغزالى: "عبارة عن هيئةٍ في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويّة"⁽⁴⁾.

(1) انظر: القاموس المحيط ص 137، والمصباح المنير 1/180.

(2) معجم مقاييس اللغة 2/214 مادة: حلق.

(3) انظر: الدررية إلى مكارم الأخلاق ص 39، لسان العرب 10/86.

(4) إحياء علوم الدين 3/53، التعريفات للجرجاني ص 104.

8-أبريل-2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

وقال الجاحظ: "إن الخلق هو حال النفس، بها يفعل الإنسان أفعاله بلا رؤية ولا اختيار، والخلق قد يكون في بعض الناس غريرة وطبعاً، وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد، كالسخاء قد يوجد في كثير من الناس من غير رياضة ولا تعلم، وكالشجاعة والحلم والعفة والعدل وغير ذلك من الأخلاق المحمودة" ⁽¹⁾.

وقال الماوردي: "هي غرائز كامنة تظهر بالاختيار، وتتهر بالاضطرار" ⁽²⁾.

وقال ابن صدر الدين الشروان: "هو علم بالفضائل وكيفية اقتناها لتحلى النفس بها وبالرذائل وكيفية توقعها لتخلي عنها" ⁽³⁾.

وعليه يمكن تعريف الأخلاق اصطلاحاً : بأنه علم يشتغل بالخير والفضائل وسبل اكتسابها ويحذر من الرذائل ويووجه إلى اجتنابها ⁽⁴⁾.

منزلتها في الإسلام :

إن أهمية الأخلاق للحياة الإنسانية في نظر الإسلام أكثر من أهمية العلوم الأخرى ، لما لها من تأثير كبير في حياة الأفراد والجماعات والأمم ، فمكارم الأخلاق ضرورة إنسانية لا يستغني عنها مجتمع ولا أمة من الأمم ، ومتى فقدت الأخلاق تفكك أفراد المجتمع وتصارعوا وتناهبو مصالحهم ولهذا فقد حفل القرآن الكريم واعتنى بها أيماناً عناية؛ فقد بينت آياته أسس الأخلاق ومكارمها، واعتنت السنة المطهرة بالأخلاق والمعاملات فكانت حقيقة دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم مكارم الأخلاق أو صالح الأخلاق يقول سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتَلَوُ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُرِكِّبُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ⁽⁵⁾

وتظهر هذه العناية والمنزلة من وجوه كثيرة منها:

أولاً : أن الإسلام جعل حسن الخلق قربة تساوي بعض القرب العظيمة؛ فقد جاء في حديث عائشة رضي الله عنها أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِخُسْنِ الْخُلُقِ دَرَجَةَ الصَّانِيمِ" ⁽⁶⁾ ، بل عده ركن من أركان الدين فقد جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله : ما الدين؟ فقال صلى الله عليه وسلم : "حسن الخلق" ⁽⁷⁾.

(1) تهذيب الأخلاق ص 12.

(2) تسهيل النظر وتعجيل الظفر ص 5.

(3) دائرة المعارف الإسلامية ص 445 ، الأخلاق في الإسلام النظرية والتطبيق ص 27.

(4) الأخلاق في الإسلام النظرية والتطبيق ص 28.

(5) سورة الجمعة آية: 2.

(6) رواه أبو داود 252/4 (4798) ، وأحمد 6/133 ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(7) رواه ابن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة 2/864 (878) من طريق أبي العلاء بن الشخير عن رسول الله مرسلاً.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

قال الفيروزبادي: "اعلم أن الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين"⁽¹⁾

ثانياً: أن الإسلام بين أن أعمال العباد وقلوبهم هي محل نظر رب سبحانه وتعالى: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْتَظِرُ إِلَى صُورُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ، وَلَكِنْ يَنْتَظِرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ" ⁽²⁾.

قال ابن تيمية: "فعلم أن مجرد الجمال الظاهر في الصور والثياب لا ينظر الله إليه، وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال، فإن كان الظاهر مزيناً مجحلاً بحال الباطن أحبه الله، وإن كان مقبحاً مدنساً بطبع الباطن أبغضه الله"⁽³⁾.

وقال ابن القيم: "اعلم أن الجمال ينقسم قسمين: ظاهر وباطن، فالجمال الباطن هو المحبوب لذاته، وهو جمال العلم والعقل والوجود والعفة والشجاعة، وهذا الجمال الباطن هو محل نظر الله من عبده وموضع محبته، كما في الحديث الصحيح: إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ، وهذا الجمال الباطن يزيّن الصورة الظاهرة وإن لم تكن ذات جمال، فتكسو صاحبها من الجمال والمهابة والحلوة بحسب ما اكتسبت روحه من تلك الصفات، فإن المؤمن يعطي مهابةً وحلوة بحسب إيمانه، فمن رآه هابه ومن خالطه أحبه، وهذا أمر مشهود بالعيان. فإنك ترى الرجل الصالح المحسن ذو الأخلاق الجميلة من أحل الناس صورةً، وإن كان أسود أو غير جميل"⁽⁴⁾.

ثالثاً: أن الإسلام بين أن الأخلاق تؤثر على العمل صلاحاً أو فساداً، فعن ابن عمر رضي الله عنهمما قال: قيل يا رسول الله: أي العباد أحب إلى الله، قال: "أنفع الناس للناس" ، قيل: فأي العمل أفضل، قال: "إدخال السرور على قلب المؤمن" ، قيل: وما سرور المؤمن، قال: "إشباع جوعته، وتنفيذ كربته، وقضاء دينه، ومن مشى مع أخيه في حاجته كان كصيام شهر واعتكافه ومن مشى مع مظلوم يعينه ثبت الله قد미ه يوم تزل الأقدام، ومن كف غضبه ستر الله عورته، وإن الخلق السيئ يفسد الأعمال كما يفسد الخل العسل"⁽⁵⁾.

رابعاً: أن الإسلام رغب في الأخلاق الفاضلة، وحذر من ضدها ، ويierz ذلك في نصوص عده، منها:

أ- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاجِحًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ مِنْ خَيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَحْلَاقًا"⁽⁶⁾.

(1) بصائر ذوي التمييز 2/568.

(2) رواه مسلم 1986/4 (2564).

(3) الاستقامة ص 357.

(4) روضة المحبين ص 221.

(5) رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحاجات ص 36 (36)، وأبو نعيم في حلية الأولياء 6/348، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (176).

(6) رواه البخاري 1305/3 (3366)، ومسلم 1810/4 (2321).

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

قال ابن تيمية: "ومن المعلوم أن أحب خلقه إليه المؤمنون، فإذا كان أكملهم إيماناً أحسنهم خلقاً كان أعظمهم محبة له أحسنهم خلقاً، والخلق الدين كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾⁽¹⁾.

ب- عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبئ صلى الله عليه وسلم قال: "مَا شَيْءَ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُلْقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبَغِّضُ الْفَاقِحَنَ الْبَذِيءَ"⁽²⁾.

ج- عن أبي ثعلبة الحشني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِي فِي الْآخِرَةِ مَحَاسِنُكُمْ أَحْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْعَدَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِي فِي الْآخِرَةِ مَسَاوِيُّكُمْ أَحْلَاقًا، التَّرَاثُورُونَ الْمُتَنَقِّيُّهُقُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ"⁽³⁾؛ وهذا ما يجعل المسلم يتلزم بمكارم الأخلاق.

المبحث الثاني

تعريف التسامح لغة واصطلاحاً، وأهميته

لغة: السماحة: مصدر سمح يسمح سماحة وسموها : جاد ، ورجل سمح ، وامرأة سمح ، والمتسامحة: المتساهلة. وتتسامحو: تساهلوا. وفي الحديث المشهور: "السماحة رياح"⁽⁴⁾، أي المتساهلة في الأشياء يربح صاحبها (5).

قال ابن فارس: "السين والميم والباء أصل صحيح يدل على سلاسة وسهولة"⁽⁶⁾.
وفي الحديث: "أحب الدين إلى الله الحنفية السماحة"⁽⁷⁾

(1) الاستقامة ص 442

(2) رواه الترمذى 362/4 (2002) ، وأحمد 446/6 (2002) قال الترمذى: "وفي الباب عن عائشة وأبي هريرة وأنس وأسامة بن شريك، وهذا حديث حسن صحيح". وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب برقم (2641).

(3) رواه الترمذى 370/4 (2018) ، وأحمد 193/4 (2018) ، وابن أبي شيبة فى المصنف 210/5 (482)، وابن حبان 231/2 (210) ، قال الترمذى: وفي الباب عن أبي هريرة وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وقال المنذري فى الترغيب (3/277): "رواہ أحمد، ورواته رواة الصحيح". وبمثله قال الهيثمى فى المجمع (8/21). وحسنه الألبانى فى الصحيح (2/379) بشواهد.

(4) رواه القضاوى فى مسند الشهاب (23) من حديث عبد الله بن إبراهيم، عن عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عن ابن عمر رفعه به، وهو عند الدليلى فى مسنده من حديث الحجاج بن فراصة، عن يحيى بن أبي كثیر، عن أبي هريرة به مرفوعاً. قال الدارقطنى: منكر. انظر: المقاصد الحسنة (ج 570) ، وأسنى المطالب (ج 781).

(5) انظر: لسان العرب 2/489 مادة (سمح) ، والنهاية فى غريب الحديث لابن الأثير 2/398.

(6) معجم مقاييس اللغة 3/99 مادة: سمح.

(7) أخرجه أحمد في المسند (2107)، وعبد بن حميد في المسند (569)، والبخاري في "الأدب المفرد" (287)، وعلقه البخاري في الصحيح في الإيمان: باب الدين يسر، وحسن الحافظ إسناده في الفتح 1/20 ، وله شاهد بسند قوي من حديث عائشة مرفوعاً: "إني أرسليت بحنيفية سمحه" أخرجه أحمد ، آخر من حديث أبي أمامة عند أحمد في المسند (22292) ، والطبراني في الكبير (7868) كما له شواهد أخرى يرتفع بها. انظر المداوى لعلل الجامع الصغير 1/201.

اصطلاحاً: قال مسكونيه: السماحة هي بذل بعض ما لا يجب ، وأما المسامحة فهي ترك بعض ما يجب والجميع يكون بالإرادة والإختيار⁽¹⁾

وقال الجرجاني: هي بذل ما لا يجب تفضلاً⁽²⁾.

وقال ابن عاشور: فالسماحة السهولة المحمودة فيما يظن الناس التشديد فيه. ومعنى كونها محمودة أنها لا تفضي إلى ضر أو فساد⁽³⁾.

وقيل: هي التعامل مع غير المسلم وفق الحكمة واللين والمعروف⁽⁴⁾.

ويمكن تعريفه بأنه: التعايش مع الآخر واحترامه دينياً وثقافياً.

أهمية:

يعدُّ حُلُق التَّسَامِح من أَهْمِ الْقِيمِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْحَيَاتِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ؛ إِذ يُنْتَظَرُ إِلَيْهِ عَلَى صَعِيدِ الْفَرْدِ كُمُكْتَسَبٌ قِيمِيٌّ رَاقِيٌّ؛ يُعَزِّزُ احْتِرَامَ الْفَرْدِ لِذَاهَتِهِ وَارْتِبَاطِهِ بِالآخَرِينَ، كَمَا يُنْظَرُ إِلَى التَّسَامِحِ مُجَتمِعِيًّا عَلَى أَنَّهُ تَشْرِيعٌ ذَاتِيٌّ مُسْتَحْقُّ؛ يُضْمِنُ تَحْصِيلَ الْحُقُوقِ وَأَدَاءَ الْوَاجِبَاتِ لِيُخْلِقَ مُجَتمِعًا مُتَرَاحِمًا، وَتُشَكِّلُ هَذِهِ النَّظَرَةُ تَجَاهَ التَّسَامِحِ مَسْؤُلَيَّةً سِيَاسِيَّةً وَكِيَانًا قِيمِيًّا، يُحِّمِّلُ عَلَى الْجَمِيعِ احْتِرَامَهُ وَالالتِّزَامَ بِمُضْمَامِهِ وَأَخْلَاقِيَّتِهِ.

وَتَنْجُولُ قِيمَةِ التَّسَامِحِ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ خَلَالِ تَعمِيمِ النَّظَرَةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى رَكَائزِ مُخْتَلِفةٍ وَأَخْلَاقِ شَتَّى تُحَقِّقُ مُجَتمِعًا مُسَاوِيًّا وَعَدْلًا، وَتُرِسِّخُ مِبَادَئُ الاعْتِرَافِ بِالآخَرِ وَاحْتِرَامِ الْمَناهِجِ وَالْأَفْكَارِ وَالْمَعْقَدَاتِ وَالْاِخْتِلَافَاتِ مِنْهَا تَنوُّعٌ وَتَعْدَدٌ أَتَابِعُهَا، وَتَجْمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ إِنْسَانِيَّةَ الْبَشَرِ وَتَكَافِلَهُمْ، لِيُرِسِّخَ الْإِسْلَامُ مِنْ خَلَالِ التَّسَامِحِ مِبَادَئِ الْإِخَاءِ الْإِنْسَانِيِّ، وَيُنْظَمُ تَعَالِمَاتُ النَّاسِ وَتَعَايِشَهُمْ بِمَا يَنْتَسِبُ مِنْ تَنوُّعِ دِيَانَاتِهِمْ وَأَعْرَاقِهِمْ وَانْتِمَاعَاتِهِمْ وَأَلْوَانِهِمْ، وَأَكَّدَتِ الْفَلْسُلَفَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ عَلَى سُلْطَةِ كُلِّ تَلْكَ الْمَفَاهِيمِ وَارْتِبَاطِهَا بِالْتَّسَامِحِ كَفِيلَةٌ فِي الْعَدِيدِ مِنَ الْمُقدِّمَاتِ الَّتِي أَبْرَزَهَا فَلَاسِفَةُ الْإِسْلَامِ وَمُنْطَلِقَاتِهِمُ الَّتِي شَرَحُوا التَّسَامِحَ مِنْ خَلَالِهَا، فَالْتَّسَامِحُ ضَمَانُ التَّقْدِيمِ وَأَسَاسُ بِنَائِهِ

وقد ضمن الإسلام حقوق الناس وأكَّدَ على تمامها وعدم الانتقاد من حقوقهم شيئاً مهما كانت مستوياتهم ودرجاتهم بالنسبة والمال والشرف وغير ذلك، بل إنَّه رعى الأطراف جميعاً دون انتقاد لحق أو مُراوغةٍ وميلٍ للفترة، حتَّى إنَّه منح الناس من أصحاب الديانات الذين يعيشون في أرض الإسلام حقوقهم كاملةً، وأولها حقُّ اختيار الدين والأمن على اختياره. والإسلام بصفته دين الإنسانية والتَّسَامِح يسعى إلى تحقيق التَّوَاءُم والتَّوَادُّ والتَّعاطُف والإحسان بين النَّاسِ جمِيعاً دون حصرٍ لهذه القيم لأفراده أو أتباعه فقط، وبذلك فقد تميَّزَ الإسلام بقيمة التَّسَامِح حتَّى جعلها سِمة البارزة، ونظم هذه القيمة بما يتَوَافَّقُ مع معناها الإنساني الشمولي، فقضى بضمَانِ الحقوق أولاً، ثمَّ

(1) تهذيب الأخلاق لابن مسكونيه ص 31 .

(2) التعريفات ص 121 .

(3) مقاصد الشريعة الإسلامية 3/189 .

(4) الثقافة والعالم الآخر للطيفي ص 58 .

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

عمّ العدل، ودعا إلى التّراحم والتّنازل عن الحقوق، والعفو عند القدرة، والعدل بما يملك كُلُّ فردٍ من قدرته وسلطته.

المبحث الثالث: ضوابط التسامح مع غير المسلمين

إن إقرار الإسلام لخلق التسامح مع غير المسلمين لا يعني إلغاء الثوابت أو تمييعها إذ أن للتسامح الإسلامي معالم تميّزه في الفهم وعمق النظر وما يتصل بكل هذا من مقاصد وضيّقٌ تشريعي يوجهه ويعمق رسمه المميز له ومن ثمَّ كان لا بدًّ من ضوابط لهذا التسامح مع أهل الأديان، منها:

1- عدم اتخاذهم أولياء من دون المؤمنين ، وإن كان جبهم على ثلاثة أقسام قسم ينقض عقيدة الولاء والبراء من الأساس كحب الكافر لـكُفُّره ، ويُكْفُرُ صاحبه بمجرده. وقسم ينقص من الولاء والبراء ولا ينفعه، فيكون معصيّة تُنْفَضُّ الإيمانَ ولا تُنفيه كمحبة الشخص (كافراً أو مسلماً) لِفُسْقِه أو لمعصيّة يقترفها. فهذا إثم ولا شك، ولكنه لا يصل إلى درجة الكفر لكونه لا ينافي أصل الإيمان؛ إذ لا يزال في المسلمين من يحبّ المعاصي ويقترفها، ولم يكفرهم أحدٌ من أهل السنة. وهذا الحب قد يكون كبيرة من كبائر الذنوب، وقد لا يكون كذلك، بحسب حال المحبوب ومعصيته، فمن أحبّ محبوباً لارتكابه الكبائر، فهذا الحب كبيرة، ومن أحبّه لصغرها يرتكبها، فلا يزيد إثمها على إثم من ارتكبها. وقسم لا يؤثّر في كمال الإيمان وفي معتقد الولاء والبراء ، لكونه مباحاً من المباحثات.

فهو الحب الطبيعي، الخارج عما سبق. كحب الوالد لولده الكافر، أو الوالد لوالديه الكافرين، أو الرجل لزوجه الكتّائية، أو المرأة لمن أحسن إليها وأعانه من الكفار. فهذا الحب مباح، ما دام لم يؤثّر في بعضه لغير الكافرين، وفسق الفاسقين، ومعصية العاصين. أمّا إذا أثّر في بعضه، فإنه يعود إلى أحد القسمين السابقين، بما فيهما من تفصيل.

والدليل على أن الحب الطبيعي للكافر قد لا يؤثّر في كمال الإيمان، لكونه مباحاً، بالشرط الآنف ذكره: قوله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم في وصف حاله مع عمّه أبي طالب الذي مات على الكفر: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾⁽¹⁾.

فأثبت الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم محبة عمّه الكافر، ولم يعتُنّ عليه هذه المحبة، ولا لامة عليها؛ فدلل ذلك على عدم مخالفتها لكمال الإيمان، وأنّي تخالفه وقد وقعت من أكمل الناس إيماناً صلّى الله عليه وسلم!⁽²⁾

ومن ثمَّ يجب أن ندرك الفارق بين عقيدة الولاء والتسامح فالذين يحاولون تمييع عقيدة الولاء والبراء ، باسم التسامح والتقرّب بين أهل الأديان السماوية، يخطئون فهم معنى الأديان كما يخطئون فهم معنى التسامح. فالدين هو الدين الأخير وحده عند الله. والتسامح يكون في المعاملات الشخصية، لا في التصور الاعتقادي ولا في النظام

(1) القصص آية: 56 .

(2) الولاء والبراء بين الغلو والجفاء في ضوء الكتاب والسنة ص 14-15.

8-أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

الاجتماعي.. إنهم يحاولون تمييع اليقين الجازم في نفس المسلم بأن الله لا يقبل دينا إلا الإسلام، وبأن عليه أن يحقق منهجه الله الممثل في الإسلام ولا يقبل دونه بديلاً ولا يقبل فيه تعديلاً - ولو طفيفاً - هذا اليقين الذي ينشئه القرآن الكريم وهو يقرر: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» «وَمَنْ يَبْتَغِ عَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ»⁽¹⁾.

فحسن المعاملة ليس معناها الولاء والتناصر في الدين وليس معناها اعتراف المسلم أن دين أهل الكتاب بعد بعثة نبينا هو دين يقبله الله.

2-أن يشهد لاعتباره والعمل به دليل خاص أو أصل كلي عام يندرج تحته أو قياس وعمل السلف، مثل السلام عليهم عند من جوز ابتداءه، فإنه يندرج تحت قوله تعالى ﴿فَاصْفُحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾ ومن ثم جوزه بعض السلف كأبي أمامة وأبي الدرداء وابن عون وسفيان واختهاره ابن تيمية.

3-أن لا يعارض نصاً خاصاً ثابتاً في الشرع إن لم يشهد له أصل، كالذى روى عن عمر رضي الله عنه أنه لما قدم الجابية من أرض الشام صنع له أهل الكتاب طعاماً فدعوه فقال: أين هو؟ قالوا: في الكنيسة، فكره دخولها وقال لعلي رضي الله عنه: اذهب بالناس، فذهب علي رضي الله عنه بال المسلمين فدخلوا فأكلوا، وجعل علي رضي الله عنه ينظر إلى الصور وقال: ما على أمير المؤمنين لو دخل فأكل !.

فأما إن عارض فلا يسوغ هذا التسامح كبناء الكنائس والمعابد في جزيرة العرب كونها حرم الإسلام ومعقله وقادته الأولى وقد وردت أحاديث صحيحة تحريم الإذن بوجود دين آخر مع الإسلام في جزيرة العرب، وهي تقتضي تحريم بناء معابد لغير المسلمين من كنائس وغيرها من باب أولى، ومن ذلك حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: "لَا يُرِكَ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِيَنَانِ" ⁽²⁾ ، وكناح المسلمين وغير ذلك.

4-أن لا يعارض إجماعاً مقطوعاً بصححته مثل الاحتفال بالكريسمس على سبيل المواساة لهم والتسامح معهم كما يقع فيه بعض أهل الإسلام، فإنه معارض للإجماع على تحريم ذلك، بخلاف تهنتهم به فإنه جائز في إحدى الروايتين عن أحمد قياساً على تعزتهم بميت وتهنتهم بمولود وعرس.

5-أن لا يكون في التسامح معهم إعلان شعائر الكفر الظاهرة، مثل لبس الصليب ونحو ذلك، ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن لبس الأحمر وعلله الفقهاء كالخطابي وغيره بأنه صار يومئذ شعاراً لغير المسلمين.

6-أن يكون التسامح على وجه لا يؤدي إلى تعطيل حكم من الأحكام الشرعية، مثل التحاكم إلى قاضيهم في خصومة مع مسلم فإنه من التحاكم إلى الطاغوت، بخلاف التحاكم فيما بينهم إلى قاضيهم فقد رخص فيه مالك والشافعي في أحد قوله وأحمد في رواية، وأفتى به الحافظ أبو طاهر السلفي للناصر صلاح الدين حين افتتح القدس، وهو من تسامح الإسلام.

(1) في ظلال القرآن 912/2 .

(2) رواه أحمد في المسند (26352)، والطبراني في "الأوسط" (1070) وأورده الهيثمي في "المجمع" 325/5، وقال: "رواه أحمد، والطبراني في "الأوسط"، "ورجال أحمد رجال الصحيح، غير ابن إسحاق، وقد صرخ بالسماع".

7-أن لا يؤدي التسامح معهم إلى ضرر يلحق ب المسلم في أهل ومال وعرض، مثل قتل المسلم بغیر المسلم في قول الجمهور.

وفي الجملة فالاصل في هذا الباب أن لا يكون في المسماحة معهم ذريعة إلى مخالفة أحكام الشارع أو تعطيلها وإبطالها، والله أعلم.

المبحث الرابع: صور من سماحة الإسلام في العلاقة مع غير المسلمين

لقد كانت سماحة الإسلام من أعظم أسباب سرعة انتشاره، وكانت تلك السرعة الهائلة التي طوى فيها الإسلام أكثر المعمور من الأرض تحت ظله الظليل؛ كان راجعاً إلى عدل هذه الشريعة وحكمتها ولقد راعى الإسلام السماحة في معاملة المسلمين لغيرهم من أصحاب العقائد الأخرى، فقال الله : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرُجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾⁽¹⁾.

فنرى في الآية كيف ميز الإسلام بين المحاربين له، وغيرهم من لا ينتصرون لقتاله، بل قرر الإسلام حماية أهل الذمة والمستأمنين ما داموا في دار الإسلام، حماية لهم وتمكيناً لعبادتهم، حتى يتم التعاون بين عنصري الأمة، وقد أكد الإسلام على حسن معاملة غير المسلمين في مواطن كثيرة، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيمة"⁽²⁾.

ومن السماحة أن شرع العدل مع المخالف أيا كان وجعل ذلك دليلاً على التقوى التي رتب عليها أعظم الجزاء فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾⁽³⁾.

ومن أرقى وأوضح صور التسامح ما حدث في يوم الفتح عندما تمكّن النبي صلى الله عليه وسلم من أهل مكة الذين أخرجوه منها وكانوا قد منعوا من إبلاغ دين الله بينهم، وحالوا دون إيصال الدعوة إلى غيرهم فكفروا بهم وصدوا غيرهم عن سبيل الله، ماذا فعل بهم النبي صلى الله عليه وسلم لما قدر عليهم؟ هل أخذ بيتهم؟ هل سفك دمائهم بغير قتال، هل ذبح نسائهم وأطفالهم، أم أنه أطلقهم لا ثرثيب عليكم اليوم، اذهباً أنتم الطلقاء⁽⁴⁾.

(1) الممتحنة آية: 8 .

(2) أخرجه أبو داود في السنن (3052)، والبيهقي في السنن الكبرى 9/205 ، قال ابن حجر في موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر 184/2: حديث حسن رجاله ثقات ولا يضر الجهل بحال الأبناء المذكورين فإن كثرتهم تجر ذلك.

(3) المائدة آية: 8 .

(4) السيرة النبوية 53/4 .

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار، جمهورية صربيا

ومما يروى في تسامحه - صلى الله عليه وسلم - مع غير المسلمين ولين جانبه، ما ذكره ابن كثير في البداية، أن نصارى نجران وفدوا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، ودخلوا المسجد وعليهم ثياب حسان، وقد حانت صلاة العصر، فقاموا يصلون إلى المشرق، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه: دعوهم⁽¹⁾.

كذلك من أعظم المواقف موقف الرسول مع أهل الطائف فقد لقي كل ألوان الأذى والبطش والاضطهاد، أثناء عودته صلى الله عليه وسلم من الطائف، لكنه صبر على الأذى وتحلى بخلق التسامح ، حيث قال لملك الجبال لعل الله ان يخرج من اصلاحهم من يقول لا الله الا الله.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: "لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسك على ابن عبد ياليل بن عبد كلايل فلم يُجني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهملة على وجهي، فلم أستيق إلا بقرن الشعالي، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك، وما رددوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتتأمره بما شئت فيهم" ، قال: "فناداني ملك الجبال وسلم علىي، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتتأمرني بأمرك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأحشين" ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أرجو أن يخرج الله من أصحابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا»⁽²⁾.

والآثار في هذا الباب كثيرة ، ويكتفي من القلادة ما أحاطت بالعنق ومن السوار ما أحاط بالمعصم.

هذا التسامح من نبينا صلى الله عليه وسلم جعل العديد من علماء الغرب يُثنون عليه ويشيدون بتسامحه، منهم "غوستاف لوبيون" الذي قال في كتابه "حضارة العرب" وعلى النقيض من الاعتقاد السائد، ظهر محمد معهم - يعني: اليهود والنصارى - في متنهى التسامح والرحمة⁽³⁾.

ويقول الأديب البريطاني جورج ويلز في بحثه «معالم تاريخ الإنسانية» محمد أعظم من أقام دولة للعدل والتسامح....إلى أن قال في جانب التعليم الإسلامية- إنها أسست في العالم تقاليد عظيمة للتعامل العادل الكريم، وانها لتنفس في الناس روح الكرم والسماحة⁽⁴⁾.

ومن صور التسامح العظيمة ، الوثيقة التي وقعها أمير المؤمنين عمر الفاروق مع سكان آيليا حينما فتح بيت المقدس، يقول المؤرخ أنجليو سرابو بورت في مؤلفه (تاريخ فلسطين) : "يجب أن نعترف بأن إعلاناً كهذا في

(1) السيرة النبوية 160/2 ، قال ابن القيم في أحكام أهل النمة 1/397 : وقد «صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه أنزل وفد نصارى نجران في مسجده وحان صلاتهم فصلوا فيه .

(2) رواه البخاري (ح 3231) ، ومسلم (ح 1795).

. http://change.mlsspace.com/?p=2888(3)

(4) المرجع السابق. .

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

بداية القرن الوسيط - وقد التزمت به كل الجيوش الإسلامية عامة- هو إعلان حافل بالإنصاف، فهو يتنفس عدالة وتسامحاً⁽¹⁾.

وهكذا كانت فتوحات المسلمين في البلاد الأخرى، فنقرأ مصالحات أبي عبيدة بن الجراح لأهل الشام على الإبقاء على معابدهم من البيع والكنائس داخل المدن وخارجها مصونة لا يُهدم منها شيء وصالحهم على حزن دمائهم وحفظ حياتهم.

وكذا ما سطره القائد صلاح الدين الأيوبي عند فتح بيت المقدس يقول جيمس رистون : "اكتسب صلاح الدين مدحًا كثيًرا باعتباره قائداً حكيمًا.... وتسامحه مع الديانات الأخرى بقيت هذه الأمور عالقة بالأذهان لزمن طویل، ويبدو أن أعماله كانت تحدد ما المقصود من أن يكون المرء مسلماً صالحًا، وبصفحة عن أعدائه"⁽²⁾.

وفي هذا الصدد يقول سير توماس أرنولد في كتابه لدعوة إلى الإسلام: "إذا نظرنا إلى التسامح الذي امتد على هذا النحو إلى رعايا المسلمين من المسيحيين في صدر الحكم الإسلامي، ظهر أن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة التصديق... وإنما كان يدفع الناس إلى الإسلام بقوة ويجذبهم إليه هي تلك العقيدة...ولهذا فإن مجرد بقاء هذه الكنائس حتى الآن ليحمل في طياته الدليل القوى على ما قامت عليه سياسة الحكومات الإسلامية بوجه عام من التسامح نحوهم"⁽³⁾.

الخاتمة

يطيب لي في نهاية المطاف أن أذكر ثمرات البحث وأضعها في نقاط :

- 1- أن مصدر الأخلاق الإسلامية الوحي الإلهي قرآنًا وسنة .
- 2- أن للأخلاق الإسلامية الفاضلة ومنها خلق التسامح أهمية في نشر الدعوة ، فالإسلام لم ينتشر بالسيف كما هو شائع بل انتشر بالأخلاق الفاضلة التي تمثلها النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ومن بعدهم من سلف هذه الأمة.
- 3- أن خلق التسامح يعد من مبادئ الإسلام الثابتة، بل هو ركن في العلاقات الإنسانية.
- 4- أن الإسلام له قصب السبق في إرساء قيمة التسامح بين أفراد المجتمع المسلم بعضهم ببعض وبين غيرهم من غير المسلمين كما تدل عليه النصوص من الكتاب والسنة.
- 5- إن التسامح من أعظم قيم التعايش وإذكاء روح المحبة ، والحوار بين الأديان والثقافات.
- 6- إن التسامح مع الآخر له ضوابط تقيده.

(1) فلسطين أرض الرسالات الإلهية / رجاء جارودي- ترجمة عبد الصبور شاهين. ص 144 .

(2) القدس لمن؟ . ص 110,111 - نقلًا عن جيمس روستون ص 95.

(3) سماحة الإسلام د. عمر بن عبد العزيز القرشي-ص 147-148-نقلًا عن (الدعوة إلى الإسلام / توماس أرنولد.

8-أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

المصادر والمراجع:

أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري - شاكر بن توفيق العاروري ، رمادي للنشر - الدمام ، ط 1418 هـ.

إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالى ، دار المعرفة - بيروت.

إرواء الغليل في تخرج أحاديث منار السبيل، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت.

الاستقامة لابن تيمية أحمد بن عبد الحليم الحراني ، جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة - 1403، ط 1، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.

إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم شمس الدين محمد بن أبي بكر بن سعد الزرعى الدمشقى، دار الجيل - بيروت - 1973 ، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.

تاريخ بغداد، أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية - بيروت.

تسهيل النظر وتعجيز الظفر في أخلاق الملك لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي تحقيق : محى هلال السرحان وحسن الساعاتي ، دار النهضة العربية - بيروت - 1981 .

التعريفات للجرجاني علي بن محمد بن علي ، دار الكتاب العربي - بيروت - 1405 ، ط 1، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

تعظيم قدر الصلاة ، محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد العجار الفريوائي ، مكتبة الدار - المدينة المنورة ط 1 1406.

تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقى ، دار الفكر - بيروت - 1401 .

تهذيب الأخلاق ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، دار الصحابة للتراث ط 1 1410 هـ .

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة - بيروت - 1421 هـ .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبرى ، دار الفكر - بيروت - 1405 .

جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، مؤسسة الرسالة - بيروت - 1417 هـ - ط 7 ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط .

الحلم لأبي بكر عبد الله بن عبد الله بن عبد الله بن أبي الدنيا القرشي البغدادي، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - 1413 ، ط 1 تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا.

الخصائص العامة في الإسلام ، د/ يوسف القرضاوى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط 3 1415 هـ / 1985 م.

الذریعة إلى مكارم الأخلاق لأبي القاسم الراغب الأصفهانی المطبعة الشرقية مصر .

روضۃ المحبین ونَزَہۃ المشتابین، لابن القيم محمد بن أبي بكر أبیوب الزرعی ، دار الكتب العلمية - بيروت - 1412 - .

سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين، د. عبد الله بن إبراهيم اللحيدان، وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

9-8 نوفي بزار، جمهورية صربيا

سنن الترمذى محمد بن عيسى الترمذى ، دار إحياء التراث العربى — بيروت— تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون.

سنن أبي داود لأداؤد سليمان بن الأشعث السجستاني ،المحقق : محمد محيي الدين عبد الحميد.

سنن ابن ماجه محمد بن يزيد القرزويني ، دار الفكر — بيروت— تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.

صحيح البخاري محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ، دار ابن كثير ، اليمامة — بيروت 1407 ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا.

صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج القشيري ، دار إحياء التراث العربى — بيروت — تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.

الشفا بتعريف حقوق المصطفى مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء للقاضي عياض اليحصبي.

شرح النووي على صحيح مسلم ، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربى — بيروت — 1392.

علم الأخلاق الإسلامية د. مقداد يالجن ، دار عالم الكتب الرياض ط 1 1413.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار النشر: دار المعرفة — بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.

الفصول في سيرة الرسول ، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: باسم الجوابرة، مكتبة المعارف، الرياض، ط 1 1420 هـ.

القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار النشر: مؤسسة الرسالة — بيروت.

لسان العرب محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار النشر: دار صادر — بيروت، ط 1 .

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم محمد بن أبي بكر أئوب الزرعى ، دار الكتاب العربي — بيروت — 2 ط تحقيق: محمد حامد الفقي.

مسند الإمام أحمد، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل، دون تاريخ، المكتب الإسلامي، دار صادر، بيروت.

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، دار النشر: المكتبة العلمية — بيروت.

معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار النشر: دار الجيل — بيروت — 2 ط 1999م، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.

موافقة الخبر الخبر في تحرير أحاديث المختصر، ابن حجر أحمد بن علي بن محمد ب العسقلاني ،تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، صبحي السيد جاسم السامرائي ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض ط 2 1414 هـ

موسوعة نصرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم " مجموعة علماء " دار الوسيلة ، جدة / السعودية ط 1 1418 هـ / 1998 م.

الولاء والبراء بين الغلو والجفاء في ضوء الكتاب والسنة، حاتم بن عارف بن ناصر الشريف العوني، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية.

القيم الحوارية من خلال حوارات النبي صلى الله عليه وسلم وأثرها في تربية النّشء: نماذج مختارة

ذ. سيرين داده / ذ. ليلي شبرو

جامعة الشّهيد: حمّه لخضر، الوادي . الجزائر

ملخص البحث

الحوار التّربوي هو الوسيلة التّواصيلية الفعّالة بين أفراد المجتمع، وهو الذي التزم به رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته إلى الله وتربية الصحابة الكرام التّربية الإسلامية الصّحيحة، وتكوين مجتمع راقٍ مبنيٍ على المودة والرّحمة والاعتدال والوسطية.

لذا جاء هذا البحث ليبرز جانباً مشرقاً من هذه الحوارات ويعرض نماذج عطرة عن ذلك، مع استنباط القيم المثلى منها، حتى نتمكن من تربية شعبنا عليها وتطبيقاتها في حياتنا اليومية التي باتت مهدّدة بالضياع والانهيار من كل الجوانب بسبب صراع الحضارات.

Research Summary

The educational dialogue is the effective means of communication between the members of society, which is committed by the Messenger of Allah in his invitation to God and the education of the Companions honorable Islamic education and the formation of a healthy society based on affection and mercy and moderation.

Therefore, this research comes to highlight a bright aspect of these dialogues and presents the most beautiful examples of this, while devising the best values from them, so that we can raise them and apply them in our daily lives that are threatened by loss and collapse from all sides due to the clash of civilizations.

مقدمة:

الحمد لله ذي العزة والجلال، والقدرة والإنعم، الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد، والصلوة والسلام على معلم الناس الخير، محمد بن عبد الله عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأذكي السلام، أمّا بعد:

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

في ظل العولمة والمدنية ومصارعة الأفكار واختلاف وجهات النّظر تعقدت الحياة تعقداً كبيراً داخل الأسرة والمجتمعات وبين الأمم والحضارات.

فغدا النّشء بين هذا وذاك لا يعرف للحقّ سبيلاً في ظل المعوقات والحواجز التي تقف أمامه وتعترض حياته. ولنا في حلٍّ هذه المُعضلة أسوة حسنة وقدوة عظيمة من سيد الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ استعمل رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم أسلوباً راقياً يتمثل في الحوار الهداف في الأمور كلها، وتلمسن ذلك من خلال دعوته وتربيته وتعليميه للصّحابة الكرام، إذ تميز حواره صلى الله عليه وسلم بالحلم والأناة، والصّبر والتّواضع، وقوة الحجّة والبرهان، والتّمسك بأدب الحوار وحسن الكلام.

والمتّأقّل لسيرته العطرة يرى بعين البصيرة المنهج النّبوي في استعمال أسلوب الحوار الهداف والفعّال المؤدي إلى الأهداف التّربوية والتعلّيمية النّاجحة.

إشكالية البحث: يُعتبر الحوار النّبوي وسيلة فعالة في حياة المسلمين ومن المواقف التّربوية الهامة، وذلك من خلال القيم المبثوثة في حواراته صلى الله عليه وسلم، والتي يجب أن نطبقها في مختلف المجالات والأحوال، فجاء هذا البحث ليجيب عن التّساؤلات الآتية:

فيما تمثّل القيم الحواريّة النبوية؟ ما المنهج الذي اتبّعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ترسیخ هذه القيم؟ وكيف يمكن تطبيق هذه القيم في تربية النّشء على الوسطية والاعتدال؟

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى بيان ما يأتي:

1. بيان المنهج النّبوي في ترسیخ القيم الحسنة من خلال الحوار.

2. عرض نماذج نبوية في تطبيق هذه القيم.

3. الاستفادة من التجربة النّبوية وتطبيقاتها على النّاشئة.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في كون الحوار النّبوي منبعاً عذباً يرتوى منه الظمآن لتبتل عروقه بالقيم الأخلاقية السّامية في حياة الوسطية والاعتدال، فكان حريّاً بنا أن نبرز هذا الجانب لاستفادة منه.

منهج البحث: سيتّبع هذا البحث المنهج الوصفي وذلك عند الكلام عن منهج النبي صلى الله عليه وسلم أثناء تطبيقاته للقيم الحوارية، والمنهج التّحليلي وذلك أثناء عرض نماذج نبوية ودراستها واستنباط كيفية تطبيق هذا المنهج في التربية.

خطّة البحث: وتنتمي فيما يأتي:

أولاً: تعريف الحوار والقيم الحوارية

ثانياً: أهمية الحوار وآدابه وفوائده

ثالثاً: القيم الحوارية من خلال حوارات النبي صلى الله عليه وسلم مع الصحابة الكرام، وذلك من خلال ستة

مجالاتٍ:

1. حوارات النبي صلى الله عليه وسلم في مجال التشريع.

2. حوارات النبي صلى الله عليه وسلم في المجال التعليمي.

3. حوارات النبي صلى الله عليه وسلم في المجال الاجتماعي.

4. حوارات النبي صلى الله عليه وسلم في المجال السياسي والحربي.

5. حوارات النبي صلى الله عليه وسلم في مجال الأخلاق.

6. حوارات النبي صلى الله عليه وسلم مع غير المسلمين.

7. كيفية الاستفادة من التجربة النبوية في وقتنا الحاضر

أولاً: التعريف بمصطلحات البحث

1. تعريف الحوار

خلق الله البشر مختلفين وجعل بينهم الحوار كوسيلة للتواصل فيما بينهم، وفيما يأتي تعريف لهذا المصطلح من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، فنقول وبالله التوفيق:

أ. الحوار لغة: الحاء والواو والراء ثلاثة أصول؛ بمعنى: اللون، الرجوع، أن يدور الشيء دوراً¹.

والحوار: الرجوع عن الشيء، وإلى الشيء حار إلى الشيء، وعنده حوراً ومحاورة ومحواراً رجع عنه وإليه. والحوْرُ: النقصان بعد الزيادة لأنَّه رجوع من حال إلى حال. والمحاورة: المُحاوِبة، والتَّحاور: التَّجاوب، وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام، والمُحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة.²

فالحوار في اللغة إذاً: مراجعة الكلام بين طرفين أو أكثر.

ب. الحوار اصطلاحاً: تعددت التعاريف الاصطلاحية لمصطلح الحوار ولكنَّ أغلبها يخرج من مشكاة واحدة، وفيما يأتي ذكر لبعضها:

1. الحوار بمعنى: الخطاب والكلام، يقول شيخ المفسرين الإمام الطبرى عند تفسير قوله تعالى: (فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) [الكهف: 37]: وهو يخاطبه ويكلمه¹.

¹ معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تج: عبد السلام محمد هارون، د ط، 1399هـ/1979م، دار الفكر، بيروت، لبنان، (2/115).

² لسان العرب، ابن منظور، تج: عبد الله علي الكبير وأخرون، د ط، د ت، دار المعارف، القاهرة، مصر، (13/1042، 1043).

2. الحوار أسلوب يجري بين طرفين يسوق كلّ منهما من الحديث ما يراه ويقتنع به، ويراجع الطرف الآخر في منطقه وفكرة قاصداً بيان الحقائق وتقريرها من وجهة نظره².

3. الحوار آلية من آليات في التفاعل مع الوجود بأكمله أخذًا وعطاءً من غير إكراه ولا قهري، ضمن سُتّي التنوع والتَّدَافُع من أجل تحقيق التَّوازن الكوني³.

4. الحوار يمثل نوعاً من التَّفكير بصوت مسموع أو مقرء، وهو جوهر دعوة الأنبياء للناس والتي تُريد منهم أن يدخلوا في مناقشة جديّة لما يطرحونه من أفكار⁴.

5. الحوار هو الكلام وتبادل الرأي من أجل الوصول إلى معرفة الحقيقة، قال تعالى: (فَقَالَ لَهُ صَاحِحٌ وَهُوَ يُخَاوِرُهُ) [الكهف: 37]، أي يراجعه في الكلام⁵.

من خلال التعريف السابق نستنتج أنَّ الحوار هو: تبادل أطراف الحديث ومراجعته بين طرفين أو أكثر لعرض الأفكار ومناقشتها، مع تبيين وتوضيح الآراء المختلفة، بلين ولطفٍ في ظلٍ من الأدب والاحترام.

وأمَّا الحوار النبوي . وهو المقصود في هذه المداخلة . هو: تبادل النبي صلَّى الله عليه وسلم الكلام والخطابات مع مختلف أفراد الأمة وفي مختلف المواضيع ليصل في الأخير إلى أهداف جليلة، وغايات سامية.

2. تعريف القيمة

أ. القيمة لغةً: جاء في مختار الصحاح في مادة [ق و م]، القيمة واحدة القيم و(قوم) السلعة (تقويمها)، وأهل مكة يقولون (استقام) له الأمر و(قوم) الشيء (تقويم) فهو (قويم) أي مستقيم⁶. وأقْنَتُ الشيء وقَوَمْتُه فقام بمعنى استقام، والاستقامة اعتدال الشيء واستواه. والقيمة الاستقامة، وفي الحديث: (قل آمنت بالله ثم استقم)⁷.

¹ جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبرى، تج: أحمد شاكر، ط: 1، 1420هـ/2000م، مؤسسة الرسالة، (23/18).

² ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي، قيس المعاطية، مقال منشور ضمن المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج: 3، ع: 1، 1423هـ/2007م، ص: 48

³ آلية الحوار في ضوء سنتي التنوع والتَّدَافُع، زهير بن أحمنه عبد السلام، مقال منشور في موقع الحوار، <http://www.alhiwartoday.net>، تاريخ الزيارة: 25 جانفي 2019.

⁴ أسس الحوار بين الأديان، محمد حسين فضل الله، مقال منشور في موقع الحوار، <http://www.alhiwartoday.net>، تاريخ الزيارة: 25 جانفي 2019.

⁵ مفهوم الحوار في القرآن الكريم وانعكاساته التربوية، إعداد: محمد عدنان علي القضاة، إشراف: أ. د: حسن أحمد الحياري، كلية التربية، قسم الإدارة وأصول التربية، جامعة اليرموك، 1423هـ/2003م.

⁶ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، د ط، 1986م، مكتبة لبنان، بيروت، مادة: [ق و م]، ص: 440.

⁷ لسان العرب، ابن منظور، . مرجع سابق، مادة [ق و م]، (42/3782).

بـ. القيم اصطلاحاً:

تأتي لفظة "قيم" في اللغة بمعنى التقدير، كما تأتي بمعنى الثبات على أمر، أو تأتي بمعنى الاستقامة والاعتدال.¹

فالقيم هي معايير اجتماعية ذات صبغة انفعالية قوية وعامة وتتمثل من قريب بالمستويات الخلقية التي تقدمها الجماعة ويمتصها الفرد من بيئته الخارجية، ويقيم منها موازين يبرز فيها أفعاله ويتحذّلها هادياً مرشدًا له ولتصرفاته.²

أما مفهوم القيم من منظور إسلامي فهو: أنَّ صفات الله تعالى هي الصِّلة التي تربط بين التَّصور القرآني للكون والحياة والإنسان، وبين قيم الحياة، عقيدة وفكراً وسلوكاً، فمن هذه الصِّفات المُثلَى يقيم الإسلام ميزاناً للقيم وضوابط للأخلاق³.

وعليه فالقيمة الحوارية: هي تلك الصِّفات الحميدة والأخلاق البَيْلَة المُبَيَّنة على الاعتدال والتَّوَسُّط والتي تميَّز بها حوارات النَّبِيِّصَلِي الله عليه وسلم والتزم بها؛ بل وأصبحت من السِّمات البارزة في حواراته صلى الله عليه وسلم مهما كانت الظروف والأحوال.

ثانياً: أهمية الحوار وآدابه

خلق الله البشر مختلفين لحكمة يعلمها سبحانه، فقد قال في محكم تنزيله: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَوْنَ مُحْتَلِفِينَ) [هود: 118]، ثم أمرهم بالتعاون وتبادل العلوم والمعارف لتحصل المنفعة فقال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذِكْرٍ وَأَنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعْاَرُفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَبِّيرٌ) [الحجرات: 13]. فكيف يمكن أن تتعارف الشعوب والقبائل فيما بينها؟ فلا يكون ذلك إلا عن طريق الحوار؛ الذي يعتبر الوسيلة الفعالة للتواصل بينهم، فنتيجة للاختلاف بين طبيعة البشر سواء في أفكارهم أو في معتقداتهم يلجؤون لفلل هذه الاختلافات وللإلتلاف إلى الحوار، فهو الهمزة الوصلية بين مختلف البشر، والجسر الموصل إلى التَّوَافُق والتَّعَارُف والانسجام. لذلك فهو ذو أهمية كبيرة نذكر من بينها ما يأتي:

1. الحوار وسيلة لإقناع المخالف إن كان ممن يقبل الحق، يقول الدكتور صالح بن حميد: (الغاية من الحوار إقامة الحجَّة، ودفع الشُّبهة وال fasid من القول والرأي، فهو تعاون من المُتناقضين على معرفة الحقيقة والتَّوصل إليها، ليكشف كل طرف ما خفي على صاحبه منها، والسير بطرق الاستدلال الصَّحيح للوصول إلى الحق).⁴

¹ القيم الإسلامية ودورها في تقديم حل للمشكلات البيئية العالمية، أحمد بن حمد الخليفي، المؤتمر العام الخامس عشر لمؤسسة آل البيت المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، 1431هـ/2010م، ص: 7.

² الحوار التَّربوي النبوي وأثره في بناء القيم الإنسانية، محمود أحمد مروح، ص: 6.

³ القيم في القصص القرآني الكريم، عبد الله محمد أحمد حريري، رسالة دكتوراه الفلسفة في التربية، تخصص تربية إسلامية، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1409هـ/1988م، ص: 45.

⁴ أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن عبد الله بن حميد، مقال منشور في الموقع الآتي: www.saaid.net/mktarat.

9-8 نوفي بزار، جمهورية صربيا

2. أهمية اجتماعية تتمثل في التعاون بين الأبناء وأهلهما والطلبة ومعلميهما والشعب وحكومته عن طريق الحوار والاقتناع وزيادة في التفاعل بينهم من أجل الوصول إلى أفضل الحوار وأحسنها.¹

3. الحوار وسيلة لتنمية الفكر بالاتصال بالآخرين وعرض الأفكار عليهم والأخذ والرد، مما يمحض الفكر ويزيده ثباتاً ورسوخاً.²

4. يرى الشيخ سلمان العودة أن الحوار تبرز أهميته من جانبي: الأول: دعوة الناس إلى الإسلام، أي دعوة الكفار إلى الإسلام، ودعوة المبتدعين من المسلمين إلى السنة النبوية. والثاني: فصل الخلاف في الأمور الاجتهادية، حيث يُعدُّ الحوار وسيلة للوصول إلى اليقين في مسألة اجتهادية اختلفت فيها أقوال المجتهددين.³

5. الحوار هو مصدر للتعبير عن الأفكار وتنمية الاتجاهات وإزالة الأوهام.⁴

6. بفضل الحوار كان رسول الرحمة صلى الله عليه وسلم يوقظ التفوس اللوامة ويكسب أصحابها شحنات من الإيمان والعزم والتصميم، يستطيعون بفضلها مقاومة القوى الشيطانية وتهدیب الشهوات البشرية وبسط سلطان العقل والإيمان على أقوال المؤمنين وأعمالهم، وبفضلة كان يقيم الحجّة والبرهان على المشركين وأهل الكتاب وغيرهم.⁵

ولهذا الأسلوب آدابٌ على المحاور والمتحاور أن يتلزم بها حتى يكون حواراً ناجحاً وذا قيمة، يهدف إلى غaiات سامية، فمن بين هذه الآداب ما يأتي:

1. الإخلاص في الـية من أجل الوصول إلى الحق.

2. البعد عن التّعصب والتّمسك بالرأي ولو كان خاطئاً.

3. احترام شخصية المحاور وأفكاره.

4. الحرص على لين القول وطيب الكلام بعيداً عن الطعن والتجريح.

5. استعمال الحجج الصحيحة والبراهين القاطعة لأجل إقناع الطرف الآخر.

6. اعتماد الهدوء والرّؤية والتألّق بالحلم والأناة والصّبر والسكنية.

¹ أهمية الحوار وأثره على الدعوة والتعليم، محمود يوسف الشوبكي، سامي عبد الله قاسم، مؤتمر الدّعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، كلية أصول الدين، غرّة، ص: 103.

² الحوار التربوي النبوي وأثره في بناء القيم الإنسانية، محمود أحمد مروح، ص: 10.

³ ينظر: أدب الحوار، سلمان بن فهد العودة، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1424هـ، ص: 16، 17.

⁴ الحوار المتسامح، عبد الكريم بكار، مقال بمجلة المعرفة، وزارة التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية، ع: 121، ربيع الآخر 1426هـ/2005م، ص: 13.

⁵ حوار الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود، محسن بن عبد الناظر، ط: 1، 1409هـ/1989م، دار الدعوة، الكويت، ص: 5.

9-8 نوفي بزار، جمهورية صربيا

7. اعتماد مبدأ الحرية في إبداء الرأي مع حق الدفاع عن وجهة النظر.

8. صدق اللهجة والالتزام بالعدل والإنصاف.

9. مخاطبة المحاور على قدر عقله.

10. الاطلاع والإلمام بموضوع الحوار حتى تتحد الرؤى.¹

ثالثاً: فوائد الحوار

للحوار فوائد جليلة نذكر أهمها:

1. الحوار يساهم في نقل الأفكار وتبادلها بين مختلف الفئات والأفراد.

2. الحوار وسيلة للتّعارف بين النّاس كما أمر سبحانه وتعالى في الآية السّابقة.

3. الحوار وسيلة ناجعة وفعالة للتّعلم واكتساب الخبرات والمعارف.

4. الحوار يساهم في حل النِّزاعات والشقاق بالطرق السِّللمية، ويقوّي الروابط الاجتماعية.

5. الحوار باب لفتح آفاق التّفكير السليم والتأمل الصائب.

رابعاً: القيم الحوارية من خلال حوارات النبي صلى الله عليه وسلم مع الصحابة الكرام

إنّ مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين أو أكثر بصورة متكافئة في جو من الهدوء والسكينة والرغبة في الوصول إلى الحق وبعد عمّا سواه هو الحوار الفعال والتّاجح الذي يُنشّط العقل ويُحرّك الذهن، ويُحفّزه للتّعلم ويسمو بالتفكير إلى العلياء.

فالحوار النبوي ذو أهمية بالغة للبشرية، ففيه من سداد الرأي وعمق النظر ونفاذ الأ بصار ما يرجى منه الخير والإصلاح، والتّأثر في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يرى خلال كل أطوارها الحية مواقف حوارية تربوية مضيئة تُرشد الدّاعية الليبي إلى أرقى مشاهد الرّحمة والإحسان وتعينه على صيانة ما استحفظ من نزاهة دين الإسلام ورقيه، وعرضه نقياً كما عرضه النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كان صلى الله عليه وسلم أفضل من استخدم أسلوب الحوار بعد كتاب الله، فهو يعلم وظيفة الحوار وفوائده وأساليبه وآدابه وفنونه وقد مارسها على أحسن ما يكون طوال حياته مع المسلم والكافر، ومع الرجل والمرأة، ومع الشّيخ والطّفل على حد سواء، لأنّه

¹ ينظر: الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد بن محمد المغامسي، رسالة ماجستير، إشراف: نايف بن حامد بن همام الشريفي، كلية التربية بمكة المكرمة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى، م ع س، 1423هـ، ص: 147 وما بعدها. الحوار النبوي مع المرأة وأثره في بناء شخصيتها، محمد مصلح الرّعبي، مقال منشور ضمن المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مجل: 5، ع: 3، 25/06/2008م، ص: 6، 7. آداب الحوار وآفاقه في المسنة المطهّرة، عبد السلام حمدان اللوح، مقال منشور ضمن موقع الحوار، <http://www.alhiwartoday>، ص: 3، 4، 5.

الأسلوب الأمثل والناتج للوصول إلى الهدف السامي؛ وهو تبليغ الدعوة والمحافظة على الروابط الأسرية والاجتماعية في ظل السماحة والرقي الفكري¹، وفيما يأتي جملة من حواراته صلى الله عليه وسلم المبنية لذلك:

١. حوارات النبي صلى الله عليه وسلم في مجال التشريع:

اهتم الإسلام بالأسرة والمحافظة عليها وبيان الأحكام الشرعية المتعلقة بها؛ إذ هي اللبنة الأساسية في بناء المجتمع فصلاحها وتماسكها يتماسك المجتمع، وبغير ذلك ينهار ويترنّح.

عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن خويولة بنت مالك بن ثعلبة قالت: «ظاهر مني زوجي أوس بن الصّامت، فجئت رسول الله صلّى الله عليه وسلم أشكو إليه، ورسول الله صلّى الله عليه وسلم يجادلني فيه، ويقول: إنّي الله وإنّه ابن عمك، فما برحت حتى نزل القرآن: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُحَاجِلُكَ فِي رَوْجَهَا وَنَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا) [المجادلة: 1]، إلى الفرض فقال: يعتقد رقبة، قالت: لا يجد، قال: فيصوم شهرين متتابعين، قالت: يا رسول الله، إنّه شيخ كبير ما به من صيام، قال: فليطعم ستين مسكيناً، قالت: ما عنده من شيء يتصدق به، قالت: فأتّي ساعتها بعرقٍ من تمر، قلت: يا رسول الله، فإنّي أعيشه بعرق آخر، قال: قد أحسنت، اذبهي فأطاعمي بها عنه ستين مسكيناً، وارجعي إلى ابن عمك»، قال: والعرق: ستون صاعاً، قال أبو داود: في هذا إنّها كفّرت عنه من غير أن تستأمره.²

وفي حديث آخر عن سلمة بن صخر الأنصاري . الذي جامع أهله في رمضان فطلب من قومه أن يذهبوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره خبره فأبوا ذلك خشية أن ينزل فيهم قرآنًا أو يلحقهم العار بفعله .. ولذلك أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمفرده وأخبره خبره، فقال له: «أنت بذاك؟» قلت: أنا بذاك، قال: أنت بذاك؟ قلت: أنا بذاك، قال: أنت بذاك؟ قلت: أنا بذاك، وهو أنا ذا فأمض في حكم الله فإني صابر لذلك، قال: أعتق رقبة، قال: فضررت صفحة عنقي بيدي، قلت: لا والذي بعثك بالحق ما أصبحت أملاك غيرها، قال: فصم شهرين، قلت: يا رسول الله وهل أصابني إلا في الصيام، قال: فأطعم ستين مسكيناً، قلت: والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه وحشى ما لنا عشاء، قال: اذهب إلى صاحب صدقةبني زريق، فقل له فليدفعها إليك فأطعم عنك منها وسقاً ستين مسكيناً، ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك، قال: فرجعت إلى قومي، قلت: وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي، ووجدت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم السعة والبركة، أمر لي بصدقتكم فادفعوها إلى فدفعوها إلى»³.

¹ الحوار التربوي النبوي وأثره في بناء القيم الإنسانية، محمود أحمد مروح، ص: 3.

² الحديث أخرجه أبو داود في سننه، باب: في الظهار، رقم: 2214، (266 / 2).

³ الحديث أخرجه التمذني، في سننه، باب: زم، سنة المحادلة، رقم: 3299، (5/405).

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

استعمل النبي صلى الله عليه وسلم الحوار الهدف في هذين الحدثين حفاظاً على الروابط الأسرية، فنراه صلى الله عليه وسلم يتدرج في الحوار مع السائلين ليصل في آخره إلى نتائج تعليمية تربوية تشريعية؛ إذ الأصل في الدين يُسر لا العسر، وممّا يلاحظ على حواره ما يأتي:

- انتصاص غضب الطرف الآخر. كما في حديث خويلة بنت ثعلبة . بالحلم والحكمة.
- التماس العذر لزوجها بتذكيرها بالروابط العائلية بينها وبينه.
- المبادرة في إيجاد الحلول بالتأخر مع تقديم المساعدة.
- جعل الطرف الآخر يبادر أيضاً في مساعدة خصمه.
- تعليم السائل وغيره حكم شرعي عن طريق الحوار.
- الخلق النبوي الرفيع والمتمثل في تواضع النبي صلى الله عليه وسلم ومحاؤته للنساء دون تمييز أو تعصب.
- تكوين شخصية المسلم الحوارية وذلك عن طريق بناء ملائكة قوية بواسطة الأخذ والرد في الكلام دون أن يستبد الطرف الأقوى بزمام الموضوع المُحاور.

2. حوارات النبي صلى الله عليه وسلم في المجال التعليمي

لقد شغف الصحابة رضوان الله عليهم بالتفقه في أمور دينهم ومحاورة النبي صلى الله عليه وسلم في أدق التفاصيل.

فعن أبي سعيد الخدري قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: «يا رسول الله، ذهب الرجال بحديشك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلّمنا مما علمك الله، فقال: اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا فاجتمعن، فأتاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعلمُهُنَّ مما علمه الله، ثم قال: ما منك امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلاًّ كان لها حجاباً من النار، فقالت امرأة منها: يا رسول الله، أو اثنين؟ قال: فأعادتها مرتين، ثم قال: واثنين واثنين واثنين»¹.

وعن معاذ بن جبل قال: أنا رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا معاذ، قلت: لبيك وسعديك، ثم قال مثله ثلاثة: هل تدرى ما حق الله على العباد؟ قلت: لا، قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به

¹ الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، باب: تعليم النبي صلى الله عليه وسلم أمته، رقم: 7310، (9 / 101). ومسلم في صحيحه، باب: فضل من يموت له ولد فيحتسبه، رقم: 3633، (4 / 2028).

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

شيئاً، ثم سار ساعة، فقال: يا معاذ قلت: لبيك وسعديك، قال: هل تدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك:
أن لا يعذبهم»¹.

إن المتأمل لهذين الحديثين يلحظ مدى حب الصحابة للتعلم والتَّفَقُّه في الدين وذلك عن طريق الحوار التعليمي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن خلاله نلمس القيم الحوارية الآتية:

- استجابة النبي صلى الله عليه وسلم لطلب السائل بعض النَّظر عن كونه رجلاً أم امرأة، وهذا إن دلَّ فإنما يدلُّ على تواضعه والإحساس بالمسؤولية تجاه أفراد أمته، دون التَّفرق بينهم.
- الأدب الذي يتمتع به الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونلمس ذلك في قول معاذ بن جبل "لبيك وسعديك" ، وهذا نتيجة لفتح باب الحوار معهم.
- استعمال الحوار كطريقة فعالة لتعليم الصحابة.
- حسن الاستماع والإصغاء من قبل المتحاورين.
- طرح رسول الله صلى الله عليه وسلم السُّؤال على المتعلم ليترك له فرصة للتفكير والتأمل ، وهذا ما يسمى في مجال التَّدريس بوضع المتعلم في وضعية مشكل؛ ليثير الدافعية لدى المتعلم ليزيد شوقاً للمعرفة².

3. حوارات النبي صلى الله عليه وسلم في المجال الاجتماعي:

لم تقتصر حوارات النبي صلى الله عليه وسلم على التشريع والتعليم فحسب بل تعدَّاه إلى المجال الاجتماعي والأسري، من ذلك حواره مع زواجهه أمَّهات المؤمنين عندما نزل قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِإِلَزَوَاجِكَ إِنْ كُنْتَنَ تُرْدِنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أَمْتَعْكُنَّ وَأَسْرِحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا) [الأحزاب: 28] فبدأ عائشة رضي الله عنها، فقال: «يَا عائشة، إِنِّي أَرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ أَمْرًا أَحَبُّ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبُوكَ، قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ عَلَيْهَا الْآيَةُ، قَالَتْ: أَفَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْتَشِيرُ أَبُوكِ؟ بَلْ أَخْتَارُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تُخْبِرَ امْرَأَةً مِنْ نَسَائِكَ بِالذِّي قَلْتَ، قَالَ: لَا تَسْأَلْنِي امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ إِلَّا أَخْبَرْتَهَا، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَعْنِتْنِي مَعْنَيًا، وَلَا مُتَعْنَيًا، وَلَكِنْ بَعْثَنِي مَعْلِمًا مَيْسِرًا»³.

وعن أسماء بنت يزيد الأنبارية أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ في المسجد يوماً، وعصبة من النساء قعود، فألوى بيده إلينهن بالسلام قال: «إِيَّاكُنَّ وَكُفَّارَ الْمُنَعَّمِينَ، إِيَّاكُنَّ وَكُفَّارَ الْمُنَعَّمِينَ، قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ: يَا رَسُولَ

¹ الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب: من أجاب بلبيك وسعديك، رقم: 6267، 8/60.

² هذا الأسلوب معتمد في طريقة التدريس عندنا بالجزائر في منهج المقاربة بالكتفاءات، حيث يضع المعلم المتعلم في وضعية مشكل أو سؤال محير قبل أن يتلقى المتعلم أي معلومة أو معرفة جديدة، وهذا الأسلوب يثير دافعية المتعلمين أكثر مما تقدم لهم المعرفة جاهزة.

³ الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، باب: بيان أن تخbir امرأته لا يكون طلاقاً إلاً بالتبية، رقم: 1478، 2/1104.

9-8 آبریل 2019 -نوفی بازار. جمهوریہ صربا

الله أَعُوذُ بِاللَّهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنْ كُفَرَانِ نِعَمِ اللَّهِ، قَالَ: بَلِي، إِنَّ إِحْدَاكُنَّ تَطْوِلُ أَيْمَنَتْهَا، وَيَطْوِلُ تَعْيِسَهَا، ثُمَّ يَزُوْجُهَا اللَّهُ الْبَعْلُ، وَيُفْعِدُهَا الْوَلَدَ، وَفُرَّةَ الْعَيْنِ، ثُمَّ تَغْضِبُ الْعَصْبَيَّةَ، فَتُقْسِمُ بِاللَّهِ مَا رَأَتِ مِنْهُ سَاعَةً خَيْرًا قَطُّ، فَذَلِكَ مِنْ كُفَرَانِ نِعَمِ اللَّهِ، وَذَلِكَ مِنْ كُفَرَانِ الْمَنَعَمِينَ»^١.

من خلال هذين الحديثين نلاحظ أنَّ النبي صلَى اللهُ عليه وسلَمَ يراعي دوماً الرِّوابطُ الأُسريةَ ويحاولُ جاهداً المحافظةَ عليها؛ إذْ نراه في الأزمةِ التي أصابتَ البيتَ النَّبويَّ وهو يحاورُ زوجاتهِ الواحدةَ تلوَى الأخرىَ ويختبرُها بينَ البقاءِ معهِ وتحمُّلِ شدَّةِ العيشِ أو الرُّجوعِ إلى بيتِ أبيها. وفي الحديثِ الثاني يعلَّمُ المرأةُ الحَرَّةُ كيف تحفظُ المؤْذنَ لزوجها بذكرِ جميلٍ صنيعٍ ونعمتهِ عليها، وتحذيرها من كفرانِ المتعةِ، لأجلِ الحفاظِ على مملكتها، فالقيمُ الحواريةُ المستفادَةُ من ذلك تتمثلُ فيما يأنسُ:

- الحوار مع الزوجة أمر ضروري لمعرفة رأيها في أمرٍ يخصُّها ويخصُّ أسرتها، فهذا أدعى للمحافظة على الروابط الأسرية، وعلى الود والمحبة بين الزوجين.
 - استعمال الحوار بين الزوجين فيه تعليم للأبناء على مبدي الحوار والتفاهم.
 - بناء شخصية المرأة المسلمة والزوجة المؤمنة عن طريق الحوار معها، وإعطائهما فرصة لإبداء رأيها والتساؤل عن أمور دينها ودنياهما مما يساعد في بناء مجتمع راقٍ الفكر عالٍ الهمَّة، فللله درُّ الحافظ إبراهيم حين قال:

أَعْدَذْتُ شَعْبًا طَيْبَ الْأَعْرَاقِ
الْأَمْمُ مُدْرَسَةً إِذَا أَعْدَذْتَهَا

4. حوارات النبي صلى الله عليه وسلم في المجال السياسي والحربي

أَنْصَفَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَلْمِ وَالْحُكْمَ وَالشُّورِيَّ فِي أُمُورِهِ كُلُّهَا، وَلَمْ يَتَرَكْ مَجَالًا مَتَعَلِّقًا بِالْحَيَاةِ وَأَهْدَافِهَا إِلَّا وَحَاوَرَ فِيهِ أَصْحَابَهُ أَوْ أَهْلَهُ، مَمَّا يَدْلُّ عَلَى حَنْكَتِهِ وَفَطْنَتِهِ وَتَوَاضُعِهِ، مِنْ ذَلِكَ مَا حَصَلَ فِي صَلْحِ الْحَدِيدَيْهِ الَّذِي كَانَ ظَاهِرَهُ الْجُورُ وَتَعْدِيَّهُ عَلَى حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ، مَمَّا أَثَارَ حَفِيظَةَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَحَاوَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِلًا: «أَلَسْتَ نَبِيًّا اللَّهَ حَقًّا»، قَالَ: بَلَى، قَالَتْ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ، وَعَدُونَا عَلَى الْبَاطِلِ، قَالَ: بَلَى، قَالَتْ: فَلَمْ نَعْطِي الدِّينَيْهِ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيَهُ، وَهُوَ نَاصِرِي، قَالَتْ: أَوْلَيْسَ كَنْتَ تَحْدِثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطْوُفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّا نَأْتِيَ الْعَامِ، قَالَ: قَلَتْ: لَا، قَالَ: فَإِنَّكُمْ آتَيْتُمْ وَمَطْوَفَ بِهِ، قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرَ أَلِيسَ هَذَا نَبِيُّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قَالَتْ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُونَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَتْ: فَلَمْ نَعْطِي الدِّينَيْهِ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتِمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ، قَالَتْ: أَلَيْسَ كَانَ يَحْدِثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطْوُفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، فَأَخْبَرَهُ أَنَّكُمْ آتَيْتُمُ الْعَامَ، قَالَتْ: لَا، قَالَ: فَإِنَّكُمْ آتَيْتُمْ وَمَطْوَفَ بِهِ. قَالَ الزُّهْرِيُّ: قَالَ عَمْرُ - فَعَمِلَتْ لِذَلِكَ أَعْمَالًا، قَالَ: فَلِمَا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «قَوْمٌ وَمَا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلَقُوا»، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أَمْ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أَمْ سَلَمَةُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتَحْبُّ ذَلِكَ، أُخْرَجْ ثُمَّ لَا تَكَلَّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلْمَةً،

¹ الحديث أخرجه أحمد في مسنده، من حديث أسماء بنت يزيد الأنصارية، رقم: 27589، (45 / 569).

حتى تتحرر بُدنَكَ، وتدعو حالَكَ فيحلقَكَ، فخرجَ فلم يكلِّم أحداً منهم حتى فعل ذلك نحر بدنَه، ودعا حالَه فحلقَه، فلما رأوا ذلك قاموا، فنحرُوا وجعلُ بعضَهم يحلقُ بعضَا حتى كاد بعضَهم يقتلُ بعضَا غمَّا»¹.

وفي غزوة الأحزاب لما اشتَدَّ الأمر على المسلمين أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولاً إلى عيينة بن حصن الفزارى وهو يومئذ رأس الكفار من غطفان وهو مع أبي سفيان، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثُلث ثمر نخل المدينة، على أن يدخل بين الأحزاب وينصرف بمن معه من غطفان فقال عيينة: بل أعطني شطر ثمرها وأفعل ذلك، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن معاذ وهو يومئذ سيد الأوس وإلى سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج فقال لهما: «إِنَّ عَيْنَةَ بْنَ حَصْنٍ قَدْ سَأَلَنِي نَصْفُ ثَمَرٍ نَخْلَكُمْ عَلَى أَنْ يَنْصُرُوكُمْ بِمَنْ مَعَهُمْ مِنْ غَطْفَانَ وَيَخْذُلَ بَيْنَ الْأَحْزَابِ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُهُ الثُلُثَ فَأَبَى إِلَّا النِصْفَ فَمَا تَرَيَانِ؟ قَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كُنْتَ أَمْرَتَ بِشَيْءٍ فَافْعُلْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ أَمْرَتَ بِشَيْءٍ لَمْ أَسْتَأْمِرْكُمَا فِيهِ، وَلَكِنْ هَذَا رَأْيِي أَعْرَضْهُ عَلَيْكُمَا قَالَا: فَإِنَا لَا نَرَى أَنْ نَعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَنَعَمْ»².

هذا هو خلق النبي صلى الله عليه وسلم في الحرب المبني على الشورى لأهل الرأي، ففي صلح الحديبية نراه استعمل الحوار مع الصحابة بلين ولطف، ولم يأمرهم بالقوة عندما لم يطبقوا ما أمرهم، على الرغم من كونه الحاكم وببيده زمام الأمور كليها، ولكنه شد من أزره وكتم غيظه وباح بذلك لأقرب الناس إليه؛ زوجه أم سلمة فكان من سداد رأيها ورجاحة عقلها أن دلت النبي على الحل الأمثل وهو بيوره يطبق ما قالته بتواضع، ولم تأخذه الكبراء كما يفعل بعض الناس من إهمال رأي المرأة وعدم الأخذ بنصيتها، وهذا جانب مشرق في حواراته صلى الله عليه وسلم.

وفي الحديث الثاني نراه يستدعي أولي الأمر ويعرض عليهم فكرته ثم ينزل تحت حكمهما راضٍ غير متكتّبٍ ولا متعصّبٍ لرأيه، وهذه قيمة عالية قلل من يأخذ بها في الحوار، وعليه فالقيم الحوارية المستفادة من الحديثين السابقين ما يأتي:

- صفة التَّواضع للمُحاور، فلا يكون محاوراً ناجحاً إذا لم يتَّصف بهذه الصِّفة، فالنبي صلى الله عليه وسلم من تواضعه أخذ برأي أم سلمة عَنْهَا وهي امرأة.
- الشُّورى وهي صفة رفيعة، على المُحاور أن يلتزم بها، فالنبي صلى الله عليه وسلم التزم بها في محاورتها السياسية والحربيَّة فقد أوصى الله نبيه بقوله: (فَإِنَّمَا رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لِتُنَتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطَّا عَلَيْظَ الْقُلُوبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَأْوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَرَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) [آل عمران: 159].

¹ الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم: 2731، (3/193).

² الحديث أخرجه ابن زنجويه في الأموال، باب: الصلح والمهادنة تكون بين المسلمين، رقم: 657، (1/398).

8 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

- كظم الغيظ، فالمحاور لا بد أن يتّصف به، ليصل في نهاية محاورته إلى نتيجة إيجابية.
- التزام المحاور بالطاعة لمن هو أعلى منه قدرًا ومرتبة، وهذا واضح من خلال رد الصحابيين الجليلين، فهذا نتيجة تربية نبوية صرفة.

5. حوارات النبي صلى الله عليه وسلم في مجال الأخلاق

ركَّزَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجانب الأخلاقي وأُولى له العناية البالغة، فقد قال عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّمَا بُعْثِتَ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»¹.

فالأُخْلَاقُ هُوَ قَوْمُ الْأَمَمِ وَعِمَادُ الْحَضَارَاتِ، فبِهَا يُقَاسُ تَقْدِيمُهَا مِنْ تَأْخِرِهَا، فَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ أَحْمَدُ شَوْقِي:

إِنَّمَا الْأُمَّمُ الْأَحَلَاقُ مَا بَقِيَتْ
فَإِنْ هُمْ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا

وفيما يأتي بعض الأحاديث الدالة على ذلك، والتي ثبَّتَ حرصَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم على بناء صرح الأخلاق انطلاقاً من قاعدة الحوار.

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بشراب، فشرب منه، وعن يمينه غلام، وعن يساره أشياخ، فقال للغلام: «أتاذن لي أن أعطي هؤلاء؟»، فقال الغلام: لا، والله لا أُوثِرُ بنصيبي منك أحداً، قال: فتلَّه -وضعه في يده- رسول الله صلى الله عليه وسلم².

وعن أبي هريرة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أتدرُونَ مَا الْغَيْبَةِ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذَكْرُكُ أَخْلَاكَ بِمَا يَكْرُهُ، قَالُوا: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخْيِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اخْتَبَتْهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَهُ»³.

وعن أنس بن مالك قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء أعرابي فقام بيول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مه مه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزرموه دعوه فتركوه حتى بال، ثم إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له: إنَّ هذه المساجد لا تصلح لشيءٍ من هذا البول، ولا القدر إنَّما هي لذكر الله، والصلوة وقراءة القرآن، أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلوا من ماء فشنَّه عليه»⁴.

¹ الحديث أخرجه أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، مُسْنَدُ أَبِي هَرِيرَةَ، رَقْمٌ: 8952، (14 / 512).

² الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، باب: الْهَبَةِ الْمُقْبُوضَةِ وَغَيْرِ الْمُقْبُوضَةِ، رقم: 2605، (3 / 161). ومسلم في صحيحه، باب: استحباب إدارة الماء واللين، رقم: 2030، (3 / 1604).

³ الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، باب: تحرير الغيبة، رقم: 2589، (4 / 2001).

⁴ الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، باب: وجوب غسل البول وغيره من التَّنَجَّسَاتِ، رقم: 285، (1 / 236).

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

وفي يوم بدر رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل صفوف أصحابه وفي يده قدر يعدل به القوم، فمرّ بسود بن عُزّة - حليفبني عدي بن النجار - وهو مستنتل من الصّف فطعنه في بطنه بالقدح، وقال: استو يا سواد، فقال: يا رسول الله! أوجعني وقد بعثك الله بالحق والعدل، فأقذني. قال: فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه، وقال: استقد، قال: فاعتنته قبلي بطنه، فقال: ما حملك على هذا يا سواد؟ قال: يا رسول الله حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير¹.

ولما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئاً، فكانهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم صلى الله عليه وسلم فقال: «يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالاً فهذاكم الله بي؟ وكتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟ كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمن، قال: ما يمنعكم أن تجربوا رسول الله؟ قال: كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمن قال: لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا، أترضون أن يذهب الناس بالشّأة والبعير وتذهبون بالنبي إلى رحالكم؟ لولا الهجرة لكنت امراً من الأنصار، ولو سلك الناس واديًّا وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعاعٌ والناس دثارٌ، إنكم ستلقون بعدي أثراً فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»².

في هذه الأحاديث جملة من الأخلاق السّيّدية المنبعثة من الحوارات النّبوية نذكر منها:

- احترام الصّغير وإعطائه فرصة للتحاور مع من أنس منه وأعلى قدرًا لإبداء رأيه، وهذا ما لاحظناه من خلال حوار النبي صلى الله عليه وسلم للغلام؛ فقد بدأ بطلب الإذن منه وسماع رأيه، ثم تنفيذ طلبه.
- الاستئذان؛ وهو خلقٌ سامي لا يتصف به إلا من كملت نفسه وتشبّعت بالأخلاق الفاضلة، فالنبي صلى الله عليه وسلم مع جاللة قدره يستأذن غلامًا بالسماح له بأن يتناول الشّراب من هو أنس منه.
- التّحذير من سوء الأخلاق عن طريق الحوار كما فعل في التّحذير من الغيبة؛ إذ هي خلق ذميم يهدّم أواصر الأخوة والروابط العائلية، فهي كالسوس تنخر جسم المجتمع وتُضعفه.
- خلق الرّفق؛ وهذا ما نلمسه في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الأعرابي الذي بال في المسجد والذي علمنا من خلال حواره مع الصحابة الرّفق بالجاهل والإغفاء عنه، بل وتعليمه آداباً يجهلها³.

¹ السلسلة الصحيحة، ناصر الدين الألباني، رقم: 2835، (6/808). وقال ناصر الدين الألباني: وهذا إسناد حسن.

² الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المغازى، باب: غزوة الطائف، رقم: 4330، (5/175). ومسلم في صحيحه، كتاب الكسوف، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، رقم: 1061، (2/738).

³ ينظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال، باب: الرّفق في الأمر كله، (9/229).

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

● المحجّبة الصادقة بين الرّاعي ورعايته، فلولا باب الحوار المفتوح لكتل الرّعية دون تمييز ولا تفريق لما قبل سواد بن غزية رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حضر في غزوة بدر؛ فالحوار ينشر المحبة والمودة بين الجميع.

6. حوارات النّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ:

بَعِثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى كَافَّةِ النَّاسِ بَشِيرًاً وَنذِيرًاً، قَالَ تَعَالَى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًاً وَنذِيرًاً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [سباء: 28].

وتبلیغ الدّعوة لجميع النّاس استخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلوب الحوار مع المشركين وأهل الكتاب لإيصال صوت الحقّ والعدل، وفيما يأتي نماذج من ذلك:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «لما نزلت: (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) [الشعراء: 214]، صعد النّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَّا فَجَعَلَ يَنْدِيَ: يَا بْنِي فَهْرٍ، يَا بْنِي عَدَى، حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْتَظِرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقَرِيشًا، فَقَالَ: أَرَيْتُكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خِيلًا بِالْوَادِي تَرِيدُ أَنْ تَعْبَرَ عَلَيْكُمْ، أَكْتَمْ مَصْدِيقِي؟ قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صَدَقًا، قَالَ: فَإِنِّي نذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدِي عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبَّأْ لَكَ سَائِرُ الْيَوْمِ، أَهْذَا جَمِيعُنَا؟ فَنَزَّلَتْ: (تَبَّأْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَعْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ) [المسد: 1، 2].¹

وعن عبد الله بن سلام أَنَّه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة فقال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ ثَلَاثٍ خَصَّالٍ، لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ قَالَ: سَلْ، قَالَ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ مَا يَأْكُلُ مِنْهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ وَمَنْ أَيْنَ يُشَبِّهُ الْوَلَدُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَخْبَرْنِي بِهِنَّ جَرِيلٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ آنفًا. قَالَ: ذَلِكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، قَالَ: أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْمَشْرُقِ فَتَحْشِرُ النَّاسَ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ مَا يَأْكُلُ مِنْهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ زِيَادَةً كَبْدَ حَوْتٍ، وَأَمَّا شُبَهُ الْوَلَدُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ، فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ إِلَيْهِ الْوَلَدُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءَ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَ إِلَيْهَا، قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ».²

هذه أحاديث النّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع غير المسلمين في مجال الدّعوة فقد استعمل النّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحوار لتبلیغ كلمة الحقّ؛ إذ هو الأسلوب الفعال والتّاجع، فقد قال سبحانه وتعالى: (إِذْعُ إِلَى سَيِّلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالْتَّيْهِي أَحْسَنُ، إِنَّ رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَيِّلِهِ) [النَّحْل: 125].

فالقيم الحوارية المستفادة من الأحاديث تتتمثل فيما يأتي:

¹ الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب: "أنذر عشيرتك الأقربين واحفظ جناحك لمن اتبعك من المؤمنين"، رقم: 4770، (6/111).

² الحديث أخرجه أحمد في مسنده، رقم: 12057، (19/113).

- فتح باب الحوار مع المشاركين بذكر ما اتصف به صلى الله عليه وسلم من حسن الأخلاق كالصدق، ويعتبر هذا كوسيلة لشدّ انتباه المُحاور.

- حسن الاستماع للطرف الآخر وفهم تساؤلاته، وهذا ما لمسناه من فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع عبد الله بن سلام ؛ إذ استمع لمقالته كلّها دون أن يقاطعه ولو بكلمة.

- الصدق في الحوار من الصّفات التي يجب أن يتّصف بها المُحاور والمُحاور، حتى يقتنع الطرف الآخر بمقالته ورأيه، وهذا ما لمسناه من رَدِّ النبي صلى الله عليه وسلم عن سؤال عبد الله بن سلام.

وبعد سرد هذه الأحاديث النبوية واستنباط القيم الحوارية نلخص ما فصلناه، فنقول:

اتّصف الحوار النبوي بقيم حوارية عالية ورفيعة لا يتّصف بها إلّا نبيٌّ مرسى، ولنا في رسول صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، قال سبحانه وتعالى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَدَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) [الأحزاب:21]. ولقد كان هدفه صلى الله عليه وسلم من ذلك كيله تعليمنا وإرشادنا لما فيه صلاح الفرد والأسرة والأمة جميّعاً.

إنَّ القيم الحوارية المستفادة من حوارات النبي صلى الله عليه وسلم قيم ضرورية ومهمة في حياتنا؛ إذ من الواجب تعليمها للنَّشء حتى يكتسبها ويتحلّى بها لينشأ نشأة إسلامية صحيحة قوامها الوسطية والاعتدال كما أمرنا بذلك ربُّ العزَّة والجلال، وفيما يأتي ذكر لأهمِّ هذه القيم:

- الإخلاص في النّية، إذ أنَّ أساس قبول الأعمال الإخلاص؛ فإذا بُنيَ الحوار على الإخلاص كان ناجحاً.
- التَّواضع، وهو من أهم الصّفات التي يجب أن يتّحلى بها المُحاور ويترَى عليها.
- الصدق في الحوار، فلغة الحوار لا بدَّ أن تكون لغةً صادقةً لا يشوبها كذب ولا زيف.
- حسن الاستماع والإنصات؛ فهذه قيمة تجعل المُحاور قادرٌ على استيعاب ما يسمع ومن ثمَّ الرَّدُّ المناسب على ما سمعه.
- الحوار مع كل طبقات المجتمع، صغيرهم وكبيرهم، رجالهم ونسائهم وحتى أطفالهم، مسلمهم وكافرهم، من سكن الحضر أو البداءة، لا فرق بينهم، لأنَّ فتح باب الحوار مع أصناف المجتمع يعزز الروابط الاجتماعية وتماسك الأمة، وتبلّغ الدّعوة وحسن الأخلاق والفكر الرّاقى للجميع.
- الرِّفق والتَّلطف في الكلام ولین الجانب مع المُحاور حتى يأنس بمحاوره.
- تحديد الهدف بدقة أثناء الحوار لتسهيل طريق الوصول إليه.
- قبول رأي الطرف الآخر واحترام وجهة نظره.

7. كيفية الاستفادة من التجربة النبوية في وقتنا الحاضر:

بعد عرض النماذج النبوية عن القيم الحوارية، لابد لنا من تطبيقها والاستفادة منها في مجال التربية والتعليم، حتى يرتوي منها النّشء المسلم، فتكون له حصناً منيعاً يُنقِي به صدمات العولمة وغيرها، وسنورد كيفية الاستفادة منها على شكل نقاط نذكرها على النحو الآتي:

1. إدراج درس الحوار وقيمه في برنامج التربية الدينية في جميع الأطوار وفي كل السنوات، من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الثانوية، وذلك بتكييفه حسب أفهم ومدارك التلاميذ.
2. استغلال الإعلام، فالإعلام اليوم له تأثير بالغ على النفوس خاصة الأطفال، فلو لخصنا المواقف الحوارية النبوية وبلورناها وكيفناها للنشء على شكل مقاطع فيديوهات قصيرة تعرض على التلاميذ أثناء تدرسيهم، أو على شكل صور متحركة تُبَثُّ على قواتنا، يكون ذلك أدعي للتأثير على أخلاقهم وتربيتهم.
3. إقامة دورات تدريبية للأباء والأمهات والمربيين متعلقة بالحوار وقيمه، وكيفية الاستفادة منه.
4. يتکفل المعلم والمُرْبِّي بتخصيص وقت يسير في بعض الحصص يسرد فيها مواقف حوارية من السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي بشكل مبسط ويكون ذلك بطريقة الحوار بين المعلم والمتعلم، مع استنباط القيم.

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث ذكر لأهم النتائج المتوصّل إليها، وبعض التوصيات المقترنة:

- الحوار هو: تبادل أطراف الحديث ومراجعةه بين طرفين أو أكثر لعرض الأفكار ومناقشتها، مع تبيين وتوضيح الآراء المختلفة، بلين ولطفٍ في ظلٍ من الأدب والاحترام.
- اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالحوار الهداف واستعماله كوسيلة تربية ناجحة.
- حرص النبي صلى الله عليه وسلم على بناء شخصية الفرد المسلم عن طريق الحوار لأنّه اللبننة الأساسية لبناء المجتمع الإسلامي.
- الحوار مع كل أصناف المجتمع يقوي الروابط الأسرية والاجتماعية ويعزّزها.
- لا غنى لأي مربٍ أو معلم عن سنته النبي صلى الله عليه وسلم ، فهي المنبع الصافي للقيم والأخلاق السامية.
- الحوار التربوي يفتح الأفاق أمام المسلم لإعمال عقله وتنمية تفكيره.
- منهج الحوار النبوي التربوي وأسلوبه هو الوسيلة المُثلّى في تربية النّشء المسلم على قيم الوسطية والاعتدال، وحماية فكره من التشدد والانحراف.

وأَمَّا التَّوصيات التي نراها ضرورية فتتمثل فيما يأتي:

- إنَّ أَهْمَّ شَيْءٍ نُوصِي به بعد تقوى الله العودة إلى السُّنَّة النَّبُوَّة المطهَّرة والارتقاء من معينها، فهي المنبع العذب والمورد الصَّافِي للتَّربية والتَّعليم.
- ضرورة تعليم النَّشء المنهج النَّبُوِي في التَّربية والتَّعليم من خلال عرض سيرته العطرة وحواراته الهدافـة.
- إدراج القيم الحوارية والأخلاقيـة الإسلامية في مناهج التَّعليم في المدارس، خاصَّةً في الأطوار الأولى إذ تُعدُّ هذه الفترة ثُرَبة حِصْبة لبناء الأخلاق السَّاميـة والتَّربية الصَّحيحة.
- معالجة المستجدات في عصرنا الرَّاهن بتوظيف الأحداث النَّبُوَّية والاستفادة منها.
- الاهتمام بدراسة السُّنَّة النَّبُوَّة المطهَّرة والتَّراث الإسلاميـي وإبراز الجوانب التَّربويـة الهدافـة واستثمارها في العملية التَّربويـة والتَّعلميـة.

فهرس المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية الإمام حفص عن الإمام عاصم . رحمهما الله . (مصحف المدينة للنشر الحاسوبي).

1. أدب الحوار، سلمان بن فهد العودة، ط: 1، 1424 هـ مكتبة الرشد، الرياض، م ع س.

2. آداب الحوار وآفاقه في السُّنَّة المطهَّرة، عبد السلام حمدان اللوح، مقال منشور ضمن موقع الحوار،
<http://www.alhiwartoday>

3. أسس الحوار بين الأديان، محمد حسين فضل الله، مقال منشور في موقع الحوار،
<http://www.alhiwartoday.net>

4. أصول الحوار وأدابه في الإسلام، صالح بن عبد الله بن حميد، مقال منشور في الموقع الآتي:
<http://www.saaid.net/mktarat>

5. آلية الحوار في ضوء سنتي التنوع والتَّدافع، زهير بن أحمنه عبد السلام، مقال منشور في موقع الحوار،
<http://www.alhiwartoday.net>

6. الأموال لابن زنجويـه، أبو أحمد حميد بن مخلـد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني المعروـف بابن زنجويـه تح: شاكر ذيب فياض، ط: 1، 1406 هـ/ 1986 م، مركز الملك فیصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية.

7. أهمية الحوار وأثره على الدَّعوة والتَّعليم، محمود يوسف الشويكي، سامي عبد الله قاسم، مؤتمر الدَّعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، كلية أصول الدين، غزة، 2005 م.

8. جامـعـ الـبـيـانـ فـيـ تـأـوـيلـ الـقـرـآنـ، محمدـ بنـ جـرـيرـ الطـبـريـ، تحـ:ـ أـحمدـ شـاـكـرـ، طـ:ـ 1ـ،ـ 1420ـ هـ/ـ 2000ـ مـ،ـ مؤـسـسـةـ الرـسـالـةـ.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بزار، جمهورية صربيا

9. الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد بن محمد المغامسي، رسالة ماجستير، إشراف: نايف بن حامد بن همام الشريف، كلية التربية بمكة المكرمة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى، م ع س، 1423هـ.
10. الحوار التّربوي النبوي وأثره في بناء القيم الإنسانية، محمود أحمد مروح.
11. الحوار المتسامح، عبد الكريم بكار، مجلة المعرفة، وزارة التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية ع: 121، ربيع الآخر 1426هـ/2005م.
12. الحوار النبوي مع المرأة وأثره في بناء شخصيتها، محمد مصلح الرّعبي، مقال منشور ضمن المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج: 5، ع: 3، 25/06/2008م.
13. حوار الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود، محسن بن محمد بن عبد الناظر، ط: 1، 1409هـ/1989م، دار الدعوة، الكويت.
14. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، تحرير: محمد محبي الدين عبد الحميد، ط: 1، د.ت، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان.
15. سنن الترمذى، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الصحاك، الترمذى، أبو عيسى، تحرير: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط: 2، 1395هـ/1975م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.
16. شرح صحيح البخارى، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحرير: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط: 2، 1423هـ/2003م، دار مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.
17. ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي، قيس المعاطية، مقال منشور ضمن المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج: 3، ع: 1، 1423هـ/2007م.
18. القيم الإسلامية ودورها في تقديم حل للمشكلات البيئية العالمية، أحمد بن حمد الخليلي، المؤتمر العام الخامس عشر لمؤسسة آل البيت المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، 1431هـ/2010م.
19. القيم في القصص القرآني الكريم، عبد الله محمد أحمد حريري، رسالة دكتوراه الفلسفة في التربية، تخصص تربية إسلامية، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1409هـ/1988م.
20. لجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفى، تحرير: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط: 1، 1422هـ، دار طوق النجا، د.م.
21. لسان العرب، ابن منظور، تحرير: عبد الله علي الكبير وآخرون، ط: 1، د.ت، دار المعارف، القاهرة، مصر.
22. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ط: 1، د.ت، دار المعارف، بيروت، 1986م، مكتبة لبنان، بيروت.
23. مسنن الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحرير: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط: 1، 1421هـ/2001م، مؤسسة الرسالة، د.م.
24. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحرير: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: 1، د.ت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

9-8 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

25. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحرير عبد السلام محمد هارون، د ط، 1399هـ / 1979م، دار الفكر، بيروت،

لبنان.

26. مفهوم الحوار في القرآن الكريم وانعكاساته التربوية، إعداد: محمد عدنان علي القضاة، إشراف: أ. د: حسن أحمد الحياري، كلية التربية، قسم الإدارة وأصول التربية، جامعة اليرموك، 1423هـ / 2003م.

مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات وأثره في تنمية ثقافة الحوار

د. إبراهيم بن عبدالله المعمش

الأستاذ المشارك كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة القصيم / المملكة العربية السعودية

مقدمة:

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما

بعد:

فقد شرع الله تعالى الحوار والجدال مع المخالفين، وجاء القرآن الكريم بالحوار والجدال تطبيقاً وتأسисاً، كما مارس نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الحوار مع أصحابه، ومن هذا المنطلق ولأهمية الحوار ومنزلته اخترت التعريف بأحد المراكز العالمية للحوار وبيان دوره في الحوار ليكون موضوعاً لبحثي بعنوان: (مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات وأثره في تنمية ثقافة الحوار).

أولاً: مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة هذا البحث في الإجابة عن الأسئلة التالية:

- 1- ما مركز الملك عبد الله العالمي للحوار؟
- 2- ما دور المركز في تنمية ثقافة الحوار بين أتباع الأديان المختلفة؟
- 3- هل لمراكز الحوار أثر في إبطال نظريات الصدام الحضاري؟
- 4- هل أسهم المركز في المشاركات المجتمعية؟

ثانياً: أهمية البحث:

تكمّن أهمية البحث من خلال ما يلي:

- 1- أهمية الحوار وكونه وسيلة لإقناع المخالف.
- 2- أن الإسلام جاء بالحوار والجدال بالتالي هي أحسن.
- 3- الجهود التي بذلها المركز للتّأسيس للحوار بين أتباع الأديان والثقافات.

ثالثاً: أهداف البحث:

تظهر أهداف البحث من خلال عدد من الأمور هي:

- 1- التعريف بمركز الملك عبد الله العالمي للحوار.
- 2- إظهار دور المركز في تنمية ثقافة الحوار بين أتباع الأديان المختلفة.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

3-بيان أثر مراكز الحوار في إبطال نظريات الصدام الحضاري.

4-التعريف بإسهامات المركز في المشاركات المجتمعية.

رابعاً: منهج البحث:

سأستخدم المنهج الوصفي التحليلي من خلال التعريف بالمركز وبيان دوره في تنمية ثقافة الحوار.

خامساً: إجراءات البحث:

1-حرضت علىأخذ المعلومات المتعلقة بالمركز من خلال موقعه الرسمي على شبكة الانترنت (https://www.kaiciid.org/ar) ومن خلال نشرات أصدرها المركز حصلت عليها من خلال تواصل مع د. حمد الماجد عضو مجلس إدارة المركز.

2-كتبت الآيات القرآنية بالرسم العثماني ووضعتها بين قوسين مزهرين { }، وعزوتها بذكر اسم السورة ورقم الآية..

3-عزوت النقول بنسبتها إلى مصادرها.

4-التزمت بعلامات الترقيم، وضبطت ما يحتاج إلى ضبط.

5-ذيلت البحث بفهرسين أحدهما للمصادر والمراجع، والآخر للموضوعات.

سادساً: خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث -تضمن كل منها مطلب- وخاتمة وفهرسين أحدهما للمصادر والمراجع والآخر للموضوعات كما يلي:

المقدمة، وتشمل ما يلي:

أولاً: مشكلة البحث

ثانياً: أهمية البحث.

ثالثاً: أهداف البحث.

رابعاً: منهج البحث

خامساً: إجراءات البحث.

سادساً: خطة البحث.

التمهيد، ويشمل:

أولاً: التعريف بالحوار لغة واصطلاحاً.

ثانياً: سنة الله تعالى في الاختلاف والتتنوع في الرؤى والمفاهيم.

المبحث الأول: التعريف بالمركز وتأسيسه وأهدافه وطبيعته، وتحته ستة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالمركز وتأسيسه.

المطلب الثاني: أهداف المركز.

المطلب الثالث: رؤية المركز.

المطلب الرابع: الهيكل التنظيمي للمركز.

المطلب الخامس: اتفاقية تأسيس المركز.

المطلب السادس: شركاء المركز.

المبحث الثاني: دور المركز في تنمية ثقافة الحوار، وتحته خمسة مطالب:

المطلب الأول: تدشين المنصة الإلكترونية للمعرفة وال الحوار.

المطلب الثاني: تأسيس برنامج الزماله الدولية.

المطلب الثالث: عقد المؤتمرات الدولية والمحلية وتنظيم الاجتماعات وورش العمل لخدمة الحوار.

المطلب الرابع: الإسهام في تأسيس منصات وبرامج الحوار المختلفة.

المطلب الخامس: تأسيس شبكة الكليات والمعاهد الدينية الإسلامية واليسوعية في العالم العربي.

المبحث الثالث: دور المركز في تفعيل الحوار من خلال المشاركة المجتمعية، وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: التنديد بالتحريض المؤدي إلى الجرائم الوحشية

المطلب الثاني: برنامج اللاجئين في أوروبا

المطلب الثالث: برامج الزيارات لعدد من القيادات والمؤسسات التي تمثل رمزاً دينياً

المطلب الرابع: التعريف بجهود المركز ونشاطاته للمجتمع النمساوي

الخاتمة، وتشمل أهم نتائج البحث.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

التمهيد

أولاً: التعريف بالحوار لغة واصطلاحاً

أ-الحوار في اللغة:

الحوار أصله من مادة (حور) و معناها: الرجوع إلى الشيء وعنده، والحوار هو مراجعة الكلام وجوابه، يقال:

حاورت فلاناً في المنطق، وأحررت إليه جواباً، وما أحarr بكلمة، وحاورت فلاناً محاورةً وحواراً وحواراً إذا كلمك فأجبته⁽¹⁾.

ب-الحوار في الاصطلاح:

قال أبو عبد الhero: يقال: «تحاورا الرجال إذا رد كل واحد منهما على صاحبه والحوار والمحاورة المخاطبة بين اثنين مما فوقهما»⁽²⁾، ومنه قوله تعالى: (وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا) [سورة المجادلة: 1]، وقوله سبحانه:

⁽¹⁾ انظر: العين للخليل (287/3)، وجمهرة اللغة لابن دريد (525/1)، وتهذيب اللغة للأزهري (146/5).

⁽²⁾ الغربيين في القرآن والحديث (508/2).

9-8 نوفي بزار، جمهورية صربيا

(فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) [سورة الكهف:37] ، فالحوار هو حديث بين شخصين أو أكثر حول موضوع معين⁽¹⁾.

ثانياً: سنة الله تعالى في الاختلاف والتنوع

اختلاف الناس وتنوعهم في الرؤى والمفاهيم والألوان واللغات سنة من سنن الله تعالى الكونية، قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافُ أَسْبَابِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ) [سورة الروم:22] ، وقال سبحانه: (وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَحْشُى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ عَفُورٌ) [سورة فاطر:28] ، وقال تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَأُلُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) [سورة هود:118-119] قال الطبرى: «أولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم، وأهوائهم على أديان وملل وأهواء شتى، {إلا من رحم ربك} فآمن بالله وصدق رسle، فإنهم لا يختلفون في توحيد الله وتصديق رسle، وما جاءهم من عند الله، وإنما قلت ذلك أولى بالصواب في تأويل ذلك؛ لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله: {وتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} ففي ذلك دليل واضح أن الذي قبله من ذكر خبره عن اختلاف الناس، إنما هو خبر عن اختلاف مذموم يوجب لهم النار»⁽²⁾.

وما دامت هذه سنة من سنن الله الكونية الواقعية كان لا بد من التعامل مع هذا الاختلاف بالدعوة إلى الله تعالى وإلى الدين الحق من خلال الحوار والجدال كما قال تعالى: {أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمُوعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِأَعْلَمِ الْمُهَمَّدَيْنَ} [سورة النحل:125] ، وقال سبحانه: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَّمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا أَمَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [سورة العنكبوت:46] ، ولا ينبغي أن يكون الاختلاف مدخلاً للنزاع والصراع والصدام بين أتباع الأديان المختلفة، بل أمر الله تعالى بالبر والإقسام مع مخالفينا ما دام شرهم لم يمس المسلمين قال تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ لَمْ يُفَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُحْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبُرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [سورة الممتلكة:8].

⁽¹⁾ انظر: المعجم الوسيط (1/205).⁽²⁾ جامع البيان (12/636-637).

المبحث الأول: التعريف بالمركز وأهدافه وتأسيسه وطبيعته

يمكن التعريف بالمركز وأهدافه وتأسيسه وطبيعته من خلال عدد من المطالب كما يلي:

المطلب الأول: التعريف بالمركز وتأسيسه

يعد مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات منظمة دولية تأسست عام ٢٠١٢م، ويُعرف اختصاراً باسم (KAICIID) (كايسيد).

وقصة إنشاء المركز بدأت بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م وتوتر بين الغرب والعالم الإسلامي إثر اتهاب الدين الإسلامي بالإرهاب والعنف فقد انطلقت فكرة المركز من عرّابها الملك عبدالله بن عبدالعزيز رحمه الله بدعوة للحوار أطلقها في الدورة الاستثنائية الثالثة للمؤتمر الإسلامي لمنظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة في الفترة ٥-٦ ذي القعدة ١٤٢٦هـ الموافق ٧-٨ ديسمبر ٢٠٠٥م، وقد تبنتها القمة آنذاك في بيانها الختامي الذي أطلق عليه (بلاغ مكة المكرمة)، ثم أتبع ذلك قيام الملك عبدالله بزيارة لبابا الفاتيكان عام ٢٠٠٧م، ثم دعوة الملك عبدالله لإنشاء مركز للحوار بين أتباع الأديان عبر كلمته في المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار الذي عقد في رحاب رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة في الفترة من ٣٠-٣١-٢٠٠٨م إلى ٤-٥-١٤٢٩هـ الموافق ٦/٧/٢٠٠٨م، وتبني المؤتمر له في بيانه الختامي الذي أطلق عليه (نداء مكة المكرمة) وتضمن ما نصه: «الدعوة إلى إنشاء (مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي للتواصل بين الحضارات) بهدف إشاعة ثقافة الحوار، وإنشاء جائزة الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمية للحوار الحضاري، ومنحها للشخصيات والهيئات التي تسهم في تطوير الحوار، وشدد المؤتمر في بيانه الختامي على ضرورة التزام آداب الإسلام في الحوار، محذراً من أن الحوار الهدف مع أتباع الرسالات لا يعني التنازل عن المسلمات، ولا التفريط في الثوابت الدينية».

ثم جاءت توصية المؤتمر العالمي للحوار الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي وعقد في مدريد برعاهة الملك عبدالله بن عبدالعزيز وملك إسبانيا خوان كارلوس خلال الفترة ١٣-١٥ ربى ١٤٢٩هـ الموافق ١٦-١٨ يوليو ٢٠٠٨م الذي أطلق عليه (إعلان مدريد) بإنشاء مجلس عالمي للحوار، وقد شارك في المؤتمر مسلمين ومسيحيين وبهود وبوذنيين وهنود وسيخ ويزيديين وغيرهم.

ثم أكد الملك عبدالله بن عبدالعزيز على هذه القضية من خلال كلمته التي ألقاها في مؤتمر حوار الأديان المنعقد في مقر الأمم المتحدة بنيويورك في نوفمبر عام ٢٠٠٨م، وقد أيدت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ذلك الاجتماع توصيات مؤتمر مدريد من خلال التأكيد على أن التفاهم المتبادل والحوار بين أتباع الأديان والثقافات ضرورة لتحقيق السلام العالمي.

وفي شهر ربى ١٤٢٩هـ الموافق يوليول ٢٠٠٩م نظمت رابطة العالم الإسلامي المؤتمر العالمي للحوار في فيينا شارك فيه رؤساء مؤسسات الحوار في العالم من ممثلي الأديان والثقافات والحضارات الإنسانية، وكان من نتائج المؤتمر تشكيل لجنة لمتابعة مبادرة الملك عبدالله بن عبدالعزيز رحمه الله، ووضع الأسس اللازمة لتفعيل المبادرة ودراسة الآلية التي يمكن بها تأسيس مركز عالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات.

ثم في أكتوبر 2009م نظمت رابطة العالم الإسلامي في جنيف مؤتمراً عالمياً للحوار بعنوان: (مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار وأثرها في إشاعة القيم الإنسانية) شارك فيه أكثر من 150 شخصية دينية أكاديمية يمثلون مختلف أتباع الأديان والثقافات في العالم، والذين أعلنوا دعمهم للمبادرة وإنشاء المركز.

وفي 13 من أكتوبر 2011م، وإدراكاً منها لأهمية الحوار، وبناء على مبادرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز وقعت ثلاثة دول: هي المملكة العربية السعودية، وجمهورية النمسا، ومملكة إسبانيا، على اتفاقية تأسيس مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمي (KAICIID) للحوار بين أتباع الأديان والثقافات في فيينا، ونالت هذه المبادرة دعم الفاتيكان منذ البداية، وفي 23 من أبريل عام 2012م أسست الدول الموقعة هيئة تحضيرية لوضع الأطر الأساسية لتنفيذ أهداف اتفاقية تأسيس المركز تم فيها تعيين الأمين العام المؤقت وانتخاب أعضاء مجلس الإدارة المؤقت.

ثم افتتح المركز في 26 نوفمبر عام 2012م افتتح المركز في فيينا عاصمة النمسا، وهي تعتبر أول مؤسسة عالمية للحوار بين أتباع الأديان والثقافات، وحضر الافتتاح قرابة 800 شخصية من القيادات الدينية والسياسية وممثلي المؤسسات الدولية⁽¹⁾.

المطلب الثاني: أهداف المركز

يهدف هذا المركز العالمي إلى عدد من الأهداف:

1- تعزيز الحوار بين أتباع الأديان والثقافات وتشجيع التفاهم والتعاون المشترك بين الناس ودعم العدل والسلام، والتصدي لسوء استخدام الدين لتسويغ الاضطهاد والعنف والصراع، والسعى لتأسيس تفاهم مشترك أفضل يكفل التعايش الديني والروحي بين الأفراد والمجتمع ويعزز الاحترام والمحافظة على قدسيّة الواقع والرموز الدينية.

2- معالجة التحديات المعاصرة التي تواجه المجتمع مثل تلك المتعلقة بالكرامة الإنسانية والمحافظة على البيئة بالاستخدام المستدام والأمثل للموارد الطبيعية، والتربية الدينية والأخلاقية، والحد من الفقر.

3- نشر قيم التسامح والمحبة والأمن والسلام والتعايش، من خلال ثلاثة محاور، هي: احترام الاختلاف من خلال الحوار، تأسيس قواسم مشتركة بين مختلف الجماعات، وتحقيق المشاركة الدينية والحضارية والمدنية بين القيادات الدينية والسياسية.

المطلب الثالث: رؤية المركز

يرى المركز أن الدين قوة فاعلة لتعزيز ثقافة الحوار والتعاون لتحقيق الخير للبشرية؛ حيث يعمل على معالجة التحديات المعاصرة التي تواجه المجتمعات، بما في ذلك التصدي لتبرير الاضطهاد والعنف والصراع باسم الدين وتعزيز ثقافة الحوار والعيش معاً.

⁽¹⁾ انظر: صحيفة عكاظ بتاريخ الخميس 2/21/1434هـ تاريخ الزيارة 30/4/2019م <https://www.okaz.com.sa/article/533325>

المطلب الرابع: الهيكل التنظيمي للمركز

يتكون الهيكل التنظيمي للمركز من:

1- مجلس الأطراف: يتكون من الدول المؤسسة للمركز وهي المملكة العربية السعودية، وجمهورية النمسا، ومملكة إسبانيا، والفاتيكان بصفة مؤسس مراقب.

تتضمن مهامه: التنظيمات المالية للمركز، وبرنامج العمل، والميزانية السنوية، كما يرشح مجلس الأطراف -بناء على مقترنات مجلس الإدارة- أفراد من الأديان الرئيسية والمؤسسات الثقافية والدينية للمنتدى الاستشاري، وكذا الموافقة على الاتفاقيات الدولية، وعلى إنشاء علاقات تعاون مع مؤسسات حكومية أو خاصة، والتي من الممكن أن تسهم في عمل المركز، ويتحدد مجلس الأطراف القرار حول الموافقة على قبول أطرافجدد ومراقبين للاحتفاقية.

2- مجلس الإدارة: يتتألف من عدد من الأعضاء لا يزيد على اثنى عشر عضواً يمثلون قيادات دينية لأتباع الأديان الرئيسية في العالم مع مراعاة تنوعها، ويتم تمثيل أتباع الأديان المذكورة أدناه بحد من الأعضاء على النحو الآتي:

1- عضو واحد عن أتباع اليهودية.

2- ثلاثة أعضاء عن أتباع المسيحية.

3- ثلاثة أعضاء عن أتباع الإسلام.

4- عضو واحد عن أتباع الهندوسية.

5- عضو واحد عن أتباع البوذية.

ويجتمع المجلس مرة واحدة سنوياً على الأقل، تتضمن مهامه: انتخاب أعضاء مجلس الإدارة، وتعيين الأمين العام ونائبه.

3- المنتدى الاستشاري: نصت الاتفاقية التأسيسية للمركز على إنشاء منتدى استشاري مكون من (100) عضو من أتباع الأديان الرئيسية في العالم والمؤسسات والمجتمعات الدينية والثقافية. ويجتمع أعضاء المنتدى الاستشاري -الذين يتم تسميتهم لمدة أربع سنوات قابلة للتجدد- مرة واحدة في السنة على الأقل، ويعملون بصفتهم الفردية، ويتخذون قرارات مستقلة قدر الإمكان بالإجماع، وفي حالة تعذر ذلك، فتكون بأغلبية الثلثين.

وتتمثل أبرز مهام أعضاء المنتدى فيما يلي:

-دعم أنشطة مجلس الإدارة.

-تقديم الاستشارة فيما يتعلق ببرامجها.

-توفير محتوى لأنشطة المركز من خلال تقديم منظور عالمي من جميع مناطق العالم.

-تشكيل أعضاء فرق العمل التي يعتمدتها مجلس الإدارة لمعالجة قضايا معينة.

4- الأمانة العامة: ويديرها الأمين العام ونائبه والمدير العام.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

وقد عين ممثلاً مجلس الأطراف معالي الأستاذ فيصل بن عبد الرحمن بن معمر في منصب الأمين العام في دورته الأولى في أكتوبر عام 2012م، ولا زال يشغل هذا المنصب.

المطلب الخامس: اتفاقية تأسيس المركز

حررت اتفاقية تأسيس المركز بعدد من اللغات هي: العربية، والصينية، والإنجليزية، والفرنسية، والروسية، والإسبانية، تضمنت اتفاقية المركز تسعه عشر مادة تفصيلية، حيث تعلقت المادة الأولى بالتأسيس والشكل القانوني للمركز، والثانية بالأهداف والأنشطة، والثالثة بالمقر الرئيسي، والرابعة بالأجهزة الإدارية، والخامسة بمجلس الأطراف، وال السادسة بمجلس الإدارة، والسابعة بالمنتدى الاستشاري، والثامنة بالأمانة العامة، والتاسعة بالتمويل، والعشرة بعلاقات التعاون، والحادية عشرة بالمزايا والمحاصنات للمركز وأعضاء مجالسه والعاملين به، والثانية عشرة: بالمسؤولية، والثالثة عشرة بالتعديلات، والرابعة عشرة بالأحكام الانتقالية، والخامسة عشرة بالتنفيذ وجهة الإيداع، وال السادسة عشرة: بالمراقبين، والسابعة عشرة: بتسوية النزاعات، والثامنة عشرة بالانسحاب من الاتفاقية، والتاسعة عشرة بالإنتهاء.

المطلب السادس: شركاء المركز

عقد المركز عدداً من الشراكات مع عدة جهات أهمها:

1- الاتحاد الأفريقي.

2- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو).

3- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي.

4- الشراكة العالمية بخصوص الدين والتنمية المستدامة.

5- مكتب الأمم المتحدة المعنى بمنع الإبادة الجماعية ومسؤولية الحماية.

6- منظمة الأمم المتحدة لتحالف الحضارات.

7- شبكة صانعي السلام.

8- منظمة التعاون الإسلامي.

9- جامعة كومبلوتensi في مدريد.

10- المعهد العالي للعلوم الدينية في برشلونة.

11- المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسسكو).

12- منظمة أديان من أجل السلام.

13- جامعة مونتريال.

14- المنظمة العالمية للحركة الكشفية.

المبحث الثاني: دور المركز في تنمية ثقافة الحوار

يمكن بيان هذا الدور من خلال عدد من المطالب كما يلي:

المطلب الأول: تدشين المنصة الإلكترونية للمعرفة والحوار

وهي منصة إلكترونية للمهتمين بالحوار بين أتباع الأديان والثقافات؛ توفر مصادر وآليات تعليمية، مثل: الخرائط التفاعلية ومنتجات التعليم الإلكتروني، وقواعد البيانات المتعلقة بالمادة، مصممة خصيصاً من أجل تعزيز ونشر وتنقيف وتدريب ودعم شبكة حوار أتباع الأديان والثقافات حول العالم، وهي متوفّرة حالياً باللغة الانجليزية فقط.

المطلب الثاني: تأسيس برنامج الزمالة الدولية

وهو برنامج تعليمي تدريبي، يسعى المركز من خلال لغة الحوار في عمل المؤسسات التعليمية الدينية، وبناء قدرات القيادات الدينية المستقبلية على نشر ثقافة التفاهم المتبادل في مجتمعاتهم.

أطلق المركز برنامج الزمالة الدولية عام 2015م، بمجموعة دولية واحدة، ضمت زملاء من أنحاء العالم من مؤسسات دينية وتعليمية رائدة وممثلين عن ديانات وثقافات متنوعة.

مع نجاح هذه التجربة؛ توسيع البرنامج عام 2016م ليضم مجموعتين كل عام -لكي تعم الفائدة على أوسع نطاق-: مجموعة دولية، ومجموعة أخرى بتركيز إقليمي ركزت على منطقة جنوب شرق آسيا عام 2016م ، والمنطقة العربية عام 2017م، ودول أفريقيا عام 2018م.

يتكون برنامج الزمالة من ثلاثة مراحل تدريبات رئيسية على مدار العام الواحد:

التدريب الأول: يهدف إلى تنمية المهارات في مجال الحوار والتعرف على الآخر.

التدريب الثاني: يركز على بلورة الأفكار لتكوين مبادرات حوارية مستدامة بهدف نشر ثقافة الحوار في مجتمعات الزملاء المشاركون من خلال المؤسسات التي ينتمون إليها.

التدريب الثالث: يلتقي فيه الزملاء لاستعراض مبادراتهم والنتائج الناجمة عنها، وللنماشح حول أفضل الممارسات لتطبيق الحوار بين أتباع الأديان والثقافات.

وفي الفترة ما بين التدريبات المقررة؛ يحضر المشاركون محاضرات نظرية واجتماعات شهرية عبر شبكة الإنترنـت.

بعد تخرج كل دفعة من برنامج الزمالة، ينضم أعضاؤها لشبكة الزمالة الدولية التي ضمت حتى الفترة ما بين عامي 2015م إلى 2017م: (112) زميلاً وزميلة من (34) بلدًا و(8) ديانات، متوسط أعمارهم: (38) عاماً، يمثل الذكور 60%، والإإناث 40%.

وقد وصل عدد المبادرات المحلية الحوارية التي قام بها الزملاء إلى ما يقارب (110) مبادرة، وقد كان لهم تأثير مباشر على ما يقارب (7000) شخص.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

وتشهد شبكة الرمالة ازدهاراً، ليس فقط في الكلم، ولكن بتتنوع أعضائها واختلاف خلفياتهم ساعياً لتعزيز قيم التعددية ورعاية التربية الحاضنة للتتنوع ودعم قيم المواطنة المشتركة، ويتعلّم المركز إلى توسيع شبكة الرمالة الدولية عاماً بعد عام ولرعاية الشراكات الناتجة عنها لخدمة الإنسانية ونشر ثقافة الحوار.

المطلب الثالث: عقد المؤتمرات الدولية والمحلية وتنظيم المجتمعات وورش العمل لخدمة الحوار

وتتمثل فيما يلي:

1- عقد المركز بمقره بفيينا في 20-21 أبريل 2014م، اجتماعاً تشاورياً تحت عنوان «المواطنة المشتركة: المسلمين والمسيحيون في المجتمعات العربية» وذلك لمناقشة الآثار المترتبة على الأوضاع السياسية في المنطقة العربية، ومدى تأثيرها على تماسك المجتمعات، وبالخصوص مدى تأثيرها على العلاقات الإسلامية المسيحية في إطار المواطنة، وأكد المشاركون أن الاجتماع شكل فرصة هامة للمؤسسات المشاركة للتعرف على نماذج جديدة لتفعيل الحوار في المجتمعات العربية وتبادل الخبرات، وبناء على ذلك أشار المشاركون إلى أن هذا الاجتماع لا بد من أن يتبع بخطوات عملية، وكان ضمن الاقتراحات عقد مؤتمر موسع للمنظمات التي تسهم في دعم الحوار الإسلامي المسيحي من خلال تعزيز قيم المواطنة والعيش المشترك بهدف تبادل الخبرات وتدعيم مفهوم المواطنة وتوسيع نطاق المبادرات الناجحة.

2- المؤتمر الدولي الأول: بعنوان: «متحدون لمناهضة العنف باسم الدين» وهو أول مؤتمر رفيع المستوى للقيادات الدينية عقد في العاصمة النمساوية فيينا خلال شهر نوفمبر عام 2014م، وقد شُكِّل المؤتمر انطلاقاً مهمة في مسيرة المركز، لتأكيده على توحيد جهود الأفراد والقيادات والمؤسسات الدينية مع جهود صانعي السياسات، واصطفافهم لترسيخ التعايش وال الحوار والتفاهم المتبادل، جنباً إلى جنب مع الوقوف ضد العنف. وتبنت القيادات الدينية في ختام المؤتمر «بيان فيينا» لنبذ العنف باسم الدين، الذي تضمن توصيات عملية متنوعة، والدعوة إلى تطوير خطة العمل في مؤتمرات لاحقة؛ تتجّع عنها برامج متعددة، تحت مظلة المركز تمثلت في ثلاثة توجهات هي: تعزيز التماسك الاجتماعي، والتعليم، والإعلام الجديد.

3- مؤتمر المركز حول الحوار بين أفراد الطوائف في جمهورية أفريقيا الوسطى في شهر فبراير 2016م. وقد عقد المركز ثلاثة مؤتمرات بين: أتباع الأديان المختلفة، وبين أتباع الدين الواحد في فيينا كجزء من مشروع «تعزيز السلام والتعاون بين المسلمين»، حيث جرى نشر خطة العمل المطورة خلال مؤتمر المركز حول الحوار بين أفراد الطائفة المسلمة، في مختلف أنحاء جمهورية أفريقيا الوسطى، وعمل المركز على تنمية قدرات القيادات الدينية المسلمة من خلال التدريب على تيسير الحوار، ولهذا الغرض أصدر المركز دليلاً حوارياً مخصصاً لجمهورية أفريقيا الوسطى ووزعه في تلك الدولة.

ودعم المركز منصة الحوار بين أتباع الأديان في جمهورية أفريقيا الوسطى، وهي مبادرة قام بها قيادات دينية للMuslimين والنصارى، وقد ساعد المركز في تنفيذ مشروعات المنصة التي تعزّز التعايش وال الحوار بين أتباع الأديان.

4- مؤتمر المركز بعنوان: «التنسيق للإنجاز» حول التفاهم بين أتباع الأديان المتعددة وبين أتباع الدين الواحد في نيجيريا بالتعاون مع الجماعات والمؤسسات الدينية النيجيرية في يناير عام 2017م، أسهم المركز من خلال

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

هذا المؤتمر في تأسيس « منتدى الحوار بين أتباع الأديان من أجل السلام» وصاغ خطة العمل الخاصة به، وتعاون المركز مع الشركاء النيجيريين لبناء منصة حوار مستدامة وشاملة من أجل السلام، من خلال التركيز على التحديات القائمة في نيجيريا؛ وجمع المركز بين القيادات الدينية وصانعي السياسات والأطراف المعنية الإقليمية والخبراء في سلسلة من الاجتماعات.

وأسهم المؤتمر وورش العمل والمجتمعات في تبني مدخل شامل ومستدام، يمثل الأطراف كافة نحو الحوار بين أتباع الأديان كوسيلة للسلام في الدولة، وحظيت هذه العملية باعتراف وترحيب من مسؤولي نيجيريا البارزين.

5- المؤتمر الدولي الثاني بعنوان: «الحوار بين أتباع الأديان من أجل السلام: تعزيز التعايش السلمي والمواطنة المشتركة» عقد في العاصمة النمساوية فيينا، خلال الفترة من 26-27 فبراير عام 2018م.

كان الهدف من هذا المؤتمر الدولي: تبادل الآراء والتجارب بين عدد كبير من الأفراد والمؤسسات والقيادات الدينية وصانعي السياسات والمنظمات الدولية عالية المستوى من مختلف مناطق العالم في مجالات تفعيل التعاون والعمل المشترك لتعزيز التماسك الاجتماعي والعيش المشترك القائم على أسس التفاهم والحوار لبناء السلام بين أتباع الأديان والثقافات، من خلال التركيز على عدد من المحاور الرئيسية وهي:

-إطلاق منصة الحوار الإقليمية للمؤسسات والقيادات الدينية في العالم العربي.

-سبل تعزيز التعايش السلمي والمواطنة المشتركة وبناء التماسك الاجتماعي بين أتباع الأديان والثقافات من خلال الحوار.

-العلاقة بين القيادات والمؤسسات الدينية وصانعي السياسات: سبل تعزيز التعاون والعمل المشترك والنجاحات.

-الإعلام الجديد ودوره في تعزيز التعايش السلمي والمواطنة المشتركة.

المطلب الرابع: الإسهام في تأسيس منصات وبرامج الحوار المختلفة

ومن تلك المنصات والبرامج التي أسهم فيها المركز:

1- منصة تعزيز الحوار بين أتباع الأديان في ميانمار، فقد ساعد المركز في تأسيس «مبادرة ميانمار السلمية» وهي شبكة شاملة ومتنوعة للأديان، تضم قيادات دينية: بورمية بوذية؛ ومسيحية؛ وهندوسية؛ ومسلمة، بالإضافة لمنظمات المجتمع المدني؛ لتعزيز الحوار السلمي في مختلف أنحاء ميانمار، بقيادة رهبان بارزین وأئمة مسلمين من المجتمع المدني.

تقدّم «مبادرة ميانمار السلمية» تدريجاً على الحوار بين أتباع الأديان، وكيفية تفعيله عبر وسائل التواصل الاجتماعي في ميانمار، ومن خلال هذه المبادرة؛ تدرب (320) مشاركاً بهدف التوصل للسلام بين أتباع الأديان من خلال الحوار الشامل في خمس مناطق مختلفة من ميانمار، كما دربَ المركز مجموعة من خمسة عشر مرشدًا للسلام.

2- برنامج: «وسائل التواصل الاجتماعي كمساحة للحوار»: انطلاقاً من تنفيذ توصيات المؤتمر الدولي الأول الذي عقد المركز بعنوان: «متحدون لمناهضة العنف باسم الدين» التي خرجت بتوصيات عدّة كان من أهمها في مجال الإعلام الجديد: تدريب الشباب على استخدام وسائل التواصل الاجتماعي لنشر ثقافة الحوار.

وقد خرجت تلك التوصية؛ نتيجة تفشي ظاهرة مؤسفة هي: توظيف المتطرفين لوسائل التواصل الاجتماعي؛ لنشر ثقافة الإقصاء وتصدير خطاب التطرف.

فإنطلاقاً من كون وسائل التواصل الاجتماعي إذا استعملت بحكمة فهي تسهم في تعزيز علاقات الفهم والانسجام والتعايش ونشر ثقافة الحوار بين أتباع الأديان والثقافات، ولوجود الحاجة لإعداد خطاب مضاد لخطاب التطرف يدعو إلى التماسك الاجتماعي والتسامح؛ فقد استهدف المركز فعّة الشباب مباشرة ليوفر لهم آليات الحوار في تلك الوسائل ليتمكنوا من استخدامها بالطريقة الصحيحة.

وكانت بداية هذا البرنامج بتدريب (120) شاباً وفتاة في عمان في 2015م، ونظراً لنجاح ذلك اللقاء؛ فقد تبنى المركز برنامج: «وسائل التواصل الاجتماعي كمساحة للحوار»، الذي يتكون من سلسلة تدريبات، درب المركز من خلالها ما يقارب (400) مشارك ومشاركة من مختلف بلدان المنطقة العربية.

ومن منطلق اهتمام المركز بتعزيز روح التعاون بين الأطراف المعنية بنشر ثقافة الحوار حول العالم؛ فإن برنامج: «وسائل التواصل الاجتماعي كمساحة للحوار»؛ ينفذ بالشراكة مع المنظمات المحلية.

وقام المركز حتى الآن بتدريب أكثر من (80) متدرجاً ومتدربة في عمان في عام 2016م من سوريا والأردن وفلسطين ولبنان، وأكثر من (60) متدرجاً ومتدربة في القاهرة من جميع مكونات المجتمع المصري، وما يزيد عن (80) مشاركاً ومشاركة في أربيل ومن جميع محافظات العراق يمثلون (7) ديانات و(6) مجموعات عرقية.

كما عقد المركز لقاء في جزيرة جربة في تونس لتدريب أكثر من (40) متدرجاً ومتدربة من تونس والجزائر وموريتانيا وليبيا والمغرب.

ومن نتائج اللقاءات التدريبية أصدر المركز دليلاً تدريبياً على الحوار وكيفية تفعيله على وسائل التواصل الاجتماعي، بالإضافة إلى شبكة ناشطين على وسائل التواصل الاجتماعي، تضم المشاركين والمشاركات من مخرجات الدورات التدريبية التي عُقدت في عمان والقاهرة وأربيل وجربة؛ لإرساء لغة الحوار في وسائل التواصل الاجتماعي.

المطلب الخامس: تأسيس شبكة الكليات والمعاهد الدينية الإسلامية والمسيحية في العالم العربي

انطلاقاً من تنفيذ توصيات المؤتمر الدولي الأول الذي عقد المركز بعنوان: «متحدون لمناهضة العنف باسم الدين» وبعد أكثر من عامين من الاجتماعات والعمل والتنسيق؛ أسس المركز شبكة الكليات والمعاهد الدينية الإسلامية والمسيحية في العالم العربي في مايو عام 2017م، ويعتبر هذا التأسيس حدثاً ريادياً غير مسبوق في المنطقة العربية، ذلك أن المجتمعات العربية بآمس الحاجة لتعزيز الحوار والتأكيد عليه، وتقديم حلول مستدامة لا مؤقتة، لتعزيز التعايش والحوار في مجتمعاتنا؛ وتمثل الشبكة مساحة عمل مستمر ومنظم للقيادات الدينية والتربوية

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

من القائمين على المؤسسات التعليمية الدينية الجامعية في المنطقة، انطلاقاً من الأدوار الأساسية لهذه المؤسسات التربوية، والأكاديمية في الانفتاح على الآخر وترسيخ قيم الحوار والعيش المشترك.

ويؤسّس هذا المشروع مجتمعاً كبيراً ومتربطاً من القيادات الدينية والمعلمين والطلاب من مختلف المعاهد والكليات الدينية في المنطقة العربية، الذين يستخدمون آليات الحوار بين أتباع الأديان والثقافات في تعليمهم؛ كما تدعم الشبكة تطوير الأدوات التعليمية التي بدورها تعزّز التنوع الديني والثقافي وتدعيم السلام والتعايش المشترك.

المبحث الثالث: دور المركز في تفعيل الحوار من خلال المشاركة المجتمعية

أُسّهم المركز في تفعيل الحوار من خلال المشاركة المجتمعية في الأحداث المعاصرة في مواكبة للأحداث المعاصرة، ومن ذلك عدد من المطالب كما يلي:

المطلب الأول: التنديد بالتحريض المؤدي إلى الجرائم الوحشية

نظم المركز بالشراكة مع مكتب الأمم المتحدة المعنى بمنع الإبادة الجماعية؛ منتدى القيادات الدينية بمدينة فاس المغربية عام 2015م، منتدى دولياً حول دور القيادات الدينية في منع التحريض الذي من شأنه أن يؤدي إلى الجرائم الوحشية، والذي نتج عنه خطة عمل لمنع التحريض على الجرائم الوحشية، ومكافحة الخطاب المحرّض على الكراهية والعنف؛ وتعزيز التعليم بين أتباع الأديان؛ وإشراك القيادات السياسية.

وتم تعديل هذه الخطة من قبل قيادات دينية في المؤتمرات الإقليمية بأفريقيا والأميركتين وآسيا وأوروبا والشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وقد اعتمدت النسخة النهائية من الخطة في مؤتمر الأمم المتحدة عام 2017م.

ومن هنا فقد إدان مجلس إدارة المركز كثيراً من الأعمال الإجرامية والإرهابية نظراً لكونها تعد انتهاكاً جسيماً لحقوق الإنسان، وانتشاراً لظاهرة متزايدة حول العالم وهي العنف والإرهاب باسم الدين، التي تهدف للتلاعب بالدين من أجل تبرير العنف باسم الدين فالإرهاب لا دين له، ولأنه من غير المقبول أن يعيش أعضاء المجتمع الواحد في خوف من بعضهم البعض، ودعا المركز إلى تفعيل لغة الحوار والاحترام المتبادل لكونها أصبحت أكثر إلحاحاً وأهمية من أي وقت مضى، ومنها تلك الإدانات:

-إدانة الهجوم على المسيحيين الأقباط العائدين من دير في منطقة المنيا في مصر، في مايو عام 2017.

-إدانة الهجمات المرتكبة في مدينة السويداء السورية على الطائفة الدرزية من قبل ما يُسمى: تنظيم «داعش»

الإرهابي في يوليو عام 2018

-إدانة الهجمات العنيفة التي وقعت على ثلاثة كنائس في سورابايا بإندونيسيا في مايو عام 2018.

-إدانة حادثة طعن المسلمين في إحدى المساجد في دوريان بجنوب إفريقيا في مايو 2018.

-إدانة جريمة الطعن للمسلمين في أحد مساجد فرنسا في مايو 2018.

المطلب الثاني: برنامج اللاجئين في أوروبا

يدعم المركز اللاجئين للاندماج في نسيج المجتمعات المستضيفة من أجل حماية التنوع الديني وتعزيز التماسك الاجتماعي وتعزيز جهود السلام والتعايش المشترك، وتركزت أعمال البرنامج على ركيزتين أساسيتين، هما:

-التكامل من خلال الحوار

-تنسيق العمل لمكافحة خطاب الكراهية والاستقطاب.

وتتضمن جهود المركز ضمن برنامج اللاجئين في أوروبا، تدريبات لبناء قدرات من فئة النساء والفتيات على الحوار من أجل تمكينهن من مساعدة اللاجئين الجدد على الاندماج في مجتمعاتهن الجديدة، ولتسهيل عملية الاستقرار من خلال إرشادهن حول الأمور اليومية، مثل: مراجع تعلم اللغة المحلية، وكيفية جمع المعلومات عن تسجيل الأطفال في المدارس، والحصول على تأمين طبي، وغير ذلك.

المطلب الثالث: برامج الزيارات لعدد من القيادات والمؤسسات التي تمثل رمزاً دينياً

ومن تلك الزيارات ما يلي:

-زيارة وفد المركز برئاسة المدير العام للمركز فهد أبو النصر لفضيلة مفتى جمهورية مصر العربية الأستاذ الدكتور شوقي علام في مايو عام 2018م، حيث أكد فيها فضيلة المفتى ومدير عام المركز على أهمية الحوار والتقارب والعيش المشترك؛ لأن العيش في الكون يحتاج لوجود أرضية مشتركة وتقرب وتعارف بين الناس جميعاً باختلاف معتقداتهم من أجل تحقيق الغرض الأسماى وهو عمارة الأرض، واستنكار الفهم الخاطئ للنصوص الدينية عند أتباع الأديان التي قد يفهم منها ضرورة الصراع بين أتباع الأديان، وهذا الفهم مخالف لما جاءت به الشريعة والفطرة الإنسانية السليمة.

-مشاركة مدير عام المركز في يونيو عام 2018م في مؤتمر في العاصمة اليونانية أثينا بعنوان: «نحو أتيكا أكثر خصراً، الحفاظ على الأرض وحماية البيئة» الذي نظمته البطيريكية المسكونية في أثينا، حيث ألقى كلمته مؤكداً فيها على أهمية التعاون فيما بين أتباع الأديان والثقافات في مجال التنمية المستدامة من أجل المحافظة على البيئة، وأضاف أن كافة الأديان تتقاسم مبادئ التسامح والتعايش واحترام الآخر، بما في ذلك الحفاظ على البيئة، منوهاً على أهمية إشراك القيادات الدينية والجماعات الدينية في الحوار حول التنمية المستدامة للحفاظ على التراث المشترك.

المطلب الرابع: التعريف بجهود المركز ونشاطاته للمجتمع النمساوي

حيث إن العاصمة النمساوية فيينا هي دولة مقر مركز الحوار العالمي، فقد أصبح عمله مع المجتمع المحلي جزء لا يتجزأ من أنشطته، حيث سعى المركز إلى إشراك الأفراد والمؤسسات المحلية المعنية من خلفيات متنوعة في أنشطته الحوارية، حيث يهدف إلى تعزيز الحوار بين أتباع الأديان والثقافات وتعزيز تأثيره في المجتمعات، وأخذت أنشطة المركز التوعوية بالنمسا شكل المحاضرات حول مواضيع متعلقة بالحوار بين أتباع الأديان والثقافات، وكذلك مجموعة من الفعاليات والمعارض الثقافية

الخاتمة

بعد التعريف الموجز بمركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات، وبيان أثره في تنمية ثقافة الحوار، يمكن استخلاص النتائج التالية:

1-أن فكرة المركز قامت على أساس الحوار بين الأديان، لا على فكرة التقارب بين الأديان وردم الهوة بينها.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

2- يدعم المركز قضايا المشتركات الإنسانية كالسلام العالمي، والتحديات المعاصرة التي تواجه المجتمعات، بما في ذلك التصدي للاضطهاد والعنف والصراع باسم الدين.

3- يقوم المركز على دور كبير في التدريب على الحوار وممارسته بين أتباع الدين الواحد وبين أتباع الديانات المختلفة.

4- أن المركز ثمرة من ثمرة جهود الملك عبدالله بن عبدالعزيز رحمه الله، ويمثل أحد جهود المملكة العربية السعودية لنشر ثقافة الحوار والاعتدال والوسطية في العالم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

- تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط1، 2001م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى، تحقيق: د.عبدالله التركى، ط1، 1422هـ، دار هجر، القاهرة.
- نشرة تعريفية بمركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات، من إصدارات المركز، بلا رقم للطبعة أو تاريخ لها.
- جمهرة اللغة، لابن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط1، 1987م، دار العلم للملايين.
- صحيفة عكاظ، العدد الصادر يوم الخميس 21/2/1434هـ الموافق 2013/1/3م.
- العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي، و د.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- الغربيين في القرآن والحديث، لأبي عبيد أحمد بن محمد الhero، تحقيق: أحمد فريد المزیدي، ط1، 1419هـ، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة.
- المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، مجمع اللغة العربية، القاهرة.
- موقع مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات «كايسيد» على الرابط: <https://www.kaiciid.org/ar>

وسائل التواصل الاجتماعي وآثارها السلبية على عقيدة الأسرة المسلمة وفكرها وكيفية التصدي لها

د. محمد شافعي مفتاح بوشيه

أستاذ مساعد بكلية الشريعة والقانون جامعة السلطان عبد الحليم معظم شاه الإسلامية العالمية / ماليزيا

ملخص البحث:

وسائل التواصل الاجتماعي نتاجٌ غربيٌ انتشر حديثاً بشكلٍ واسعٍ في كل بلاد العالم، وأصبح يحتل مكانة كبيرة في المجتمع، ويخترق كل مجالات الحياة / ولا يقتصر روادُ هذه الوسائل على فئة عمرية معينة أو نوع معين، بل يرتادها الناس على اختلاف أعمارهم وأنواعهم وثقافاتهم، وقد أسرفت المجتمعات الإسلامية في استعمال هذه الوسائل؛ مما ترك آثاراً واضحة على الأسرة المسلمة في شتى المجالات، بعض هذه الآثار إيجابيٌ يحقق نفعاً للأسرة والمجتمع، وبعضها سلبيٌ، يحقق ضرراً. وفي هذا البحث أتناول - على مدار مباحثين - مدى تأثير هذه الوسائل على الجانب العقدي والفكري لأفراد الأسرة المسلمة كباراً وصغاراً، وذلك لما للعقيدة والفكر من أهمية كبيرة في حياة المسلمين، حيث لوحظ أنَّ هذه الوسائل تستخدم في تشويه العقيدة الإسلامية، ومحاربتها، ونشر ما يسيء إليها، كما لوحظ أنها أكسبت فئات كثيرة من أبناء المسلمين ثقافات أجنبية، وقللت من استفاداتهم من الثقافة الإسلامية، وغرسَت فيهم قيمَا وسلوكيات ومبادئ تختلف عن قيم وسلوكيات الإسلام ومبادئه، مما ترك بصمات سيئة على مجتمعاتنا المسلمة، ثم أختتم البحث بخاتمة تبين كيفية محاربة هذه السلوكيات والتصدي لها، لينجو المجتمع من شرورها.

الكلمات المفتاحية: وسائل التواصل الاجتماعي - الأسرة - العقيدة - الفكر - آثار سلبية.

مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ رُونَّا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا
مُضْلَلٌ لَهُ، وَمَنْ يَضْلُلُ فَلَا هَادِيٌ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آتُهُمُ اللَّهُ حَقَّ ثُقَّاتِهِ وَلَا يَمُونُنَّ إِلَّا وَآتَيْنَاهُمْ مُسْلِمُونَ) [آل عمران: 102]، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا
رَبِّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَآتَقُوا اللَّهُ الَّذِي تَسْأَلُونَ بِهِ
وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [النساء: 1].

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آتُهُمُ اللَّهُ وَقُولُوا فَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا) [الأحزاب: 70].

8-9 أبريل 2019 - نوفي بزار، جمهورية صربيا

وبعد... فإن وسائل التواصل الاجتماعي نتاجٌ غربيٌ انتشرت انتشاراً واسعاً في كل بلاد العالم خلال السنوات القليلة الماضية، وأضحت تحتل مرتبة هامة في المجتمع، وتحترق جميع مجالات الحياة.

ولا يقتصر روادها على فئة عمرية معينة أو نوع معين من الناس، بل يرتادها الناس على اختلاف أعمارهم وثقافاتهم، حيث أسرفت المجتمعات الإسلامية في استعمال هذه الوسائل؛ مما ترك آثاراً واضحة على الأسرة المسلمة في شتى المجالات، بعض هذه الآثار إيجابي يحقق نفعاً للأسرة والمجتمع، وبعضها سلبي، يحقق ضرراً.

ولما كان المركز الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية (icefs) بقصد عقده لمؤتمر "منظومة القيم وأثرها في تنمية الحوار وتعزيز الإرشاد التربوي والوساطة الأسرية" الذي ينظم بالشراكة مع كلية الدراسات الإسلامية مدينة نوفي بزار عاصمة إقليم السنجق في جمهورية صربيا.

لما كان الأمر كذلك فقد استخرت الله تعالى في الإسهام فيه ببحث في المحور الرابع: موقع التواصل الاجتماعي كوسائل للتواصل وال الحوار وآثارها الإيجابية والسلبية، عنوانه:

"وسائل التواصل الاجتماعي وآثارها السلبية على عقيدة الأسرة المسلمة وفكرها"

ولا يتسع المقام لتناول هذه الآثار بنوعيها، بل يتناول هذا البحث فقط أبرز الآثار السلبية لهذه الوسائل على عقيدة الأسرة المسلمة وفكرها.

أهداف البحث: يمكن القول بوجود أربعة أهداف رئيسية من هذا البحث وهي:

1 - التعريف بوسائل التواصل الاجتماعي وبيان مدى تنوعها وتغلغلها في المجتمع المسلم.

2- إبراز أهم الآثار الواقعية على عقيدة الأسرة المسلمة نتيجة الإفراط فيها.

3- بيان أبرز السلبيات الفكرية الناتجة عن استعمال تلك الوسائل، وانعكاساتها على سلوكيات الأسرة.

4- بيان كيفية التصدي لهذه الآثار السلبية، سواء بالطرق الرسمية أو غيرها.

منهج البحث: يقوم منهج البحث على جانبين:

أولاً: الجانب الوصفي؛ وهو يتمثل في وصف وسائل التواصل الاجتماعي ومدى انتشارها، ووصف استخدام الناس لها، وبيان الرؤية الشرعية لذلك الاستخدام. **والثاني:** الجانب التحليلي، المتمثل في معرفة مدى الآثار التي تخلفها تلك الوسائل، وكيفية التصدي لها.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد ومحبثتين وخاتمة.

المقدمة: تشتمل على أهداف البحث وخطة ومنهجه.

التمهيد: التعريف بشبكات التواصل الاجتماعي وأنواعها.

المبحث الأول: آثار وسائل التواصل الاجتماعي على عقيدة الأسرة المسلمة.

أولاً: إضعاف العقيدة في نفوس المسلمين وإثارة الشبهات حولها.

ثانياً: الوقوع في المخالفات العقدية الجسيمة.

ثالثاً: الترويج للعقائد الفاسدة ونشر مبادئها.

8 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

رابعاً: نشر التطرف الديني واستقطاب الشباب إليه.

خامسًا: التمرد على القيم والمبادئ الإسلامية.

المبحث الثاني: آثار وسائل التواصل الاجتماعي على فكر الأسرة المسلمة.

أولاً: انتشار التطبيع الثقافي بين فئات المجتمع المسلم.

ثانياً: نشر ثقافة التسطيح بين فئات المجتمع المسلم (الشباب نموذجاً).

ثالثاً: الغزو المعلوماتي وتأثيره السيء على فكر المسلم.

أ- تدني مستوى القدرات الإبداعية لدى الشباب.

ب- تلقي العلوم والمعارف والأراء من غير المختصين.

ج- إضاعة الوقت وإهدار استماره.

د- الإضرار بالثقافة المحلية واللغة العربية في الدول الإسلامية.

الخاتمة: وتتضمن التوصيات بشأن سبل النصيحة للأثار السلبية الواقعة على عقيدة الأسرة وفكيرها.

والله أعلم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به من قرأه ووقف عليه، وأن يغفر عن زلاتي ويغسل

عثراتي، إنه سبحانه وتعالى نعم المولى ونعم النصير.

التمهيد: التعريف بوسائل التواصل الاجتماعي وأنواعها وانتشارها

تمثل وسائل التواصل الاجتماعي معلماً كبيراً من معالم التكنولوجيا المعاصرة، فرضت نفسها على الساحات المختلفة ودخلت معظم البيوت والمؤسسات، وأصبحت جزءاً لا يتجزء من عالمنا المعاصر، يعتمد عليها في الكثير

من الأمور، وتستخدم في أكثر المناسبات، وأشار هنا تعريفها وأنواعها، ومدى انتشارها، على هذا النحو:

أولاً: تعريف وسائل التواصل الاجتماعي ونشأتها وتطورها.

التواصل: معناه فعل لإيصال شيء ما سواء كان رأياً أو رسالةً أو معلومةً، وفي علم النفس هو: نقل الخبر داخل مجموعة ما، والنظر إليه في علاقته مع بنية هذه المجموعة⁽¹⁾.

وسائل التواصل الاجتماعي - على حد تعبير بعض الباحثين - "مفهوم مثير للجدل، نظراً لتدخل الآراء والاتجاهات في دراسته، ولقد عكّس هذا المفهوم، التطور التقني الذي طرأ على استخدام التكنولوجيا، وأطلق على كل ما يمكن استخدامه من قبل الأفراد والجماعات على الشبكة العنكبوتية العملاقة⁽²⁾.

وسائل التواصل الاجتماعي لها في اللغة الإنجليزية مصطلحان شائع وهو (Social Media) ومصطلح أدق في التعبير وهو الترابط الشبكي الاجتماعي (Social Networking)، والتعبير العربي الدقيق هو "موقع التواصل الاجتماعي"⁽¹⁾. ولوسائل التواصل الاجتماعي تعريفات متعددة نشير إلى اثنين منها :

⁽¹⁾ فتح محمد، علي محمد، موقع التواصل الاجتماعي وأثارها الأخلاقية والقيم، ماجستير في الدعوة من الجامعة الإسلامية (الملخص ص 2).

⁽²⁾ بهي الدين، مirok رمضان، أثر وسائل التواصل الاجتماعي على اللغة العربية، المؤتمر الدولي الأول للقضايا المعاصرة ومقاصد الشريعة، جامعة السلطان عبد الحليم مузمم شاه الإسلامية العالمية، ماليزيا، ديسمبر 2018م (280/1).

الأول: أنها: منظومة من الشبكات الإلكترونية التي تسمح للمشترك فيها بإنشاء موقع خاص به، ومن ثم ربطه عن طريق نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الاهتمامات والهوايات نفسها⁽²⁾.

الثاني: أنها: موقع تتشكل من خلال الإنترن特، تسمح للأفراد بتقديم لمحة عن حياتهم العامة، وإتاحة الفرصة للاتصال بقائمة المسجلين، والتعبير عن وجهة نظر الأفراد أو المجموعات من خلال عملية الاتصال، وتختلف طبيعة التواصل من موقع آخر⁽³⁾.

وسميت هذه الوسائل "اجتماعية" لأنها أتت من مفهوم "بناء مجتمعات"؛ ف بهذه الطريقة يستطيع المستخدم التعرف إلى أشخاص لديهم اهتمامات مشتركة في تصفح الإنترنط والتعرف على المزيد من المواقع في المجالات التي تهمه، وأخيراً مشاركة هذه الموقع مع أصدقائه⁽⁴⁾.

ثانياً: أنواع وسائل التواصل الاجتماعي: هذه لمحة موجزة عن أنواع وسائل التواصل الاجتماعي:

أولاً: موقع الاتصالات وإيجاد وتبادل المعلومات.

ويشمل:
أ - المدونات.
ب - المدونات الجزئية.
ج - خدمات تحديد المواقع الجغرافية.
د - موقع الفعاليات.
ه - موقع الترابط الشبكي الاجتماعي.
و - موقع تجميع المعلومات.
ز - موقع مشاركة الاهتمامات.
ح - موقع جمع التبرعات والقضايا المهمة.

وكل نوع من هذه الأنواع له تعريفه ومهمته، ويقع الفيس بوك - وهو أشهر موقع التواصل الاجتماعي - ضمن الفئة
ه) موقع الترابط الشبكي الاجتماعي.

ثانياً: موقع التعاون وبناء فرق العمل: وتشمل: الويكي، والتي فيها الموسوعات مثل ويكيبيديا(الموسوعة العلمية)، وموقع المرجعيات، والأخبار الاجتماعية، والملاحة الاجتماعية، وإدارة الملفات وتحرير النصوص.

ثالثاً: موقع الوسائط المتعددة: وتشمل: موقع التصوير والفن، ومشاركة الفيديو والبث المباشر، ومشاركة الموقع الصوتية والموسيقى ونحوها.

رابعاً: موقع الرأي والاستعراض: وتشمل: موقع استعراضات السلع، والأسئلة والأجوبة الاجتماعية.

خامساً:الموقع الترفيهية الاجتماعية: وتشمل:موقع العوالم الافتراضية، ومشاركة الألعاب الاجتماعية⁽⁵⁾.

والناظر لما تقدم ذكره يجد أن الشباب يعيش بين هذا الكم الهائل من الموقع والشبكات والصفحات الإلكترونية؛ ويجد أن لكل قسم رواده، وكثير من الشباب تجده مشتركاً في عدة مواقع أو متابعاً لها. وإن كانت بعض الوسائل

⁽¹⁾ فتح محمد، علي محمد، موقع التواصل الاجتماعي وأثارها الأخلاقية والقيمية.

⁽²⁾ ينظر: راضي، زاهر، استخدام موقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي، مجلة التربية، 15، جامعة عمان الأهلية، عمان، 2003، ص 23.

⁽³⁾ زمان، صفاء، الشبكات الاجتماعية تعرفها وأنواعها وتأثيرها www.kse.org.kw/Al-Mohandesoon/article/365

⁽⁴⁾ ينظر: الحكمي، عائشة يحيى، موقع دعائشة يحيى الحكمي بتاريخ 19/4/1436هـ.

⁽⁵⁾ تم الرجوع في التقسيم إلى:فتح محمد، علي محمد، موقع التواصل الاجتماعي وأثارها...، زمان، صفاء، الشبكات الاجتماعية...

أو المواقع أكثر من بعضها الآخر في اجتذاب أكبر قدر ممكн من المستخدمين من الفئات العمرية المختلفة وخاصة الشباب.

وهذه صورة لأبرز وأشهر وسائل التواصل الاجتماعي:



المبحث الأول: آثار وسائل التواصل الاجتماعي على عقيدة الأسرة المسلمة
أولاً: إضعاف العقيدة في نفوس المسلمين وإثارة الشبهات حولها.

إن الناظر إلى ما يثار على موقع التواصل الاجتماعي وما ينشر فيها من إشكاليات وجدليات عقدية، ليجد أنها تدعو إلى إضعاف العقيدة في نفوس المسلمين، وتشويعها بإثارة الشبهات حولها، لاسيما وأنَّ كثيراً الناس لديهم ضحالة في الفكر المتعلق بالعقيدة، ويغلب عليهم الجهل بأصول دينهم، ويمكن الدخول إلى عقولهم وإفساد عقيدتهم من خلال هذه الضحالة، وذلك الجهل، لأنهما نقاط ضعف في الإنسان حينئذٍ. "والراغب في إقناع شريحة معينة، وكسب تأييدهم وتغيير سلوكهم ومعتقداتهم، ينتظر دائماً لحظة الضعف في تلك الشريحة، فالكل معرض للتأثير في لحظة الضعف، بعض النظر كان من الشريحة المستهدفة أم لا"(١).

فعلى سبيل المثال طرُح بعض الناس أسئلةً تشكيك في العقيدة على الملا، يدفع بدوره إلى الاستهانة بأمر العقيدة أو الشك فيها، حتى ولو لم يكن ذلك الشك مقصوداً بل يأتي أحياناً بصورة عارضة.

يقول أحد العلماء: "إن الكثير من الشباب الذين لا زالوا في بداية طلب العلم ينبرون ويخوضون غمار النقاشات والحوارات مع كثيير من أهل البدع، وكثيير من أهل الأفكار المنحرفة، فبضغطه زرٍ واحدة تستطيع التواصل مع مبتدع ومنحرف بداعى النقاش والدعوة إلى الله (ولا تستطيع أن تعرف طبيعة هذا الشخص)، وسرعان ما يتتحول هذا

⁽¹⁾ الحسني، محسن بن موسى، ضوابط استخدام شبكات التواصل الاجتماعي، منشور بموقع الهيئة العالمية لعلماء المسلمين، ربيع الأول 1438هـ.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

الناقاش إلى كابوس مزعج يقلق صاحبنا، بفعل شبهة أُلقيت عليه ولم يستطع ردّها، فلا هو الذي حرّض على تنمية علمه وتقوية ديانته.... ولا هو بالذى سلم من ضرر نقاش أهل البدع والأفكار المنحرفة⁽¹⁾.

ولا شك أن مجرد التواصل أهل البدع أو قبول صداقاتهم أو مجادلتهم، يؤدي إلى مشاكل عقدية لدى أولئك الشباب ولغيرهم من المتابعين والتي تصلّهم تلك الحوارات، ويؤدي في نفس الوقت إلى انتشار بدع هؤلاء ورواجها⁽²⁾.

وقد يَبْيَنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن خير الحديث هو كتاب الله تعالى، وخير الهداية هديه عليه السلام، وحذرنا من البدعة التي هي أصل الضلال. ففي حديث جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَىٰ هُدَىٰ مُحَمَّدٌ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»⁽³⁾.

وحضر السلف من مجالسة أهل البدع ومجادلتهم، قال أبو قلابة(ت 104هـ) "لا تجالسو أهل الأهواء، أو: أصحاب الخصومات، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم ، ويلبسوا عليكم بعض ما تعرفون"⁽⁴⁾.

ولعل من أخطر ما يضر بالعقيدة عبر وسائل التواصل الاجتماعي هو وجود دعوات لاعتناق دين غير دين الإسلام عبر هذه الوسائل يستخدمه طائفة من أعداء الدين من المنصرين ونحوهم.

فقد توصلت إحدى الدراسات التي أجريت على طائفة من الشباب الجزائري يبلغ عددهم (220 فردًا) إلى نتائج خطيرة تتعلق بهذا الجانب منها:

- أَنَّ أَغلبية المبحوثين (52%) قالوا بأنهم تناقشوا مع شخص غير مسلم عبر منتدى (فايسبوك) حول أمور العقيدة والدين، ومعظمهم من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و20 سنة.

- أَنَّ من بين الذين تناقشوا مع شخص غير مسلم، تبيّن أن هناك 19% منهم قد حاول هذا الشخص أن يستميلهم لاعتناق ديانته، من خلال القدر والتشكك في الإسلام، وقد كان أغلبيتهم من الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و20 سنة⁽⁵⁾.

ثانيًا: الواقع في المخالفات العقدية الجسيمة.

⁽¹⁾ ينظر: العتيبي، محمد بن مشعل، موقع التواصل الاجتماعي ونقاش المبتاعدة، موقع صيد الفوائد (<http://www.said.net/Minute/394.htm>).

⁽²⁾ ينظر: الحدادي، محمد علي يحيى، أثر وسائل التواصل الاجتماعي على عقيدة المسلم، ماجستير بجامعة الملك خالد-السعودية (ص 102).

⁽³⁾ أخرجه مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري (ت 261هـ)، في المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، الشهير بـ "صحيح مسلم" تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت- بيروت، في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (592/2) رقم (867).

⁽⁴⁾ البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت 516هـ)، شرح السنّة، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي (دمشق- بيروت) الطبعة الثانية: 1403هـ (227/1).

⁽⁵⁾ ينظر: جابری، سارة، دور موقع التواصل الاجتماعي في غرس القيم الدينية لدى الشباب الجزائري، دراسة في دوافع الاستخدام والإشباعات المتحققة لمنتدى فايسبوك (Facebook) منشورة على عدة مواقع إلكترونية.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

من سلبيات وسائل التواصل الاجتماعي وقوع بعض روادها في مخالفات عقدية، وذلك بنشر الأمور التي تخالف الشريعة الإسلامية في الجانب العقدي ومن ذلك ما يلي:

1 – الرابط بين الأذكار والأدعية وبين منشورات بقصد الترويج وجمع الإعجابات والتعليقات والمشاركات، كما يقع فيه كثير من الناس من نشر صور لكتائن أو غيرها من عجيب صنع الله تعالى، واستحلاف الناس أن ينشروها، ومن لم ينشرها يدعى عليه بكذا أو بكذا أو يوصف بكونه كذا أو كذا.

وهذا مخالف للنصوص القرآنية التي تحذرنا من استخدام اسم الله تعالى في اللغو، واتخاذه عرضة لليمين كما في قول الله تعالى (وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبُرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْبِلُّوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْهِ) [البقرة: 242].

كما أنه نوع من المتجارة بالدين، وجلب الناس إليه بصورة رخيصة، فالدين عزيز بنفسه، غني عن الناس، والله تعالى لا تنفعه طاعتنا، ولا تضره معصيتنا.

2- نشر ما يتعلق بالدجل والشعوذة وتصديق المنجمين والعرافين عبر وسائل التواصل الاجتماعي، مثل الأبراج، والحظ، وقراءة الكف ونحوها من المخالفات العقدية.

وهذا مخالف لحديث السيدة صفية رضي الله عنها، عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَتَى عَرَافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»⁽¹⁾.

3- نشر ما يثير السخرية والاستهزاء بالشعائر والمعتقدات وثوابت الدين، كالاستهزاء بالأضاحي ونشر النكات والدعابات عنها، والاستهزاء بالصائمين ونشر الفكاهات عنهم وغير ذلك.

وهذا مخالف لنصوص الأحاديث والآثار التي تحذر من الكذب في الحديث، وإطلاق الفكاهات الكاذبة بقصد إضحاك الناس، ومنها ما رواه بهرؤ بن حكيم، عن أبيه، عن جديه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فِي كَذِبٍ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيَوْمٌ لَهُ وَيَوْمٌ لَهُ»⁽²⁾.

4- نشر الأحاديث الموضوعة والضعفية والشاذة والقصص المكذوبة، لاسيما ما يتعلق منها بأمور عقدية، مما يؤثر بصورة كبيرة على عقيدة المسلمين؛ ويمثل كذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حيث يلاحظ في وسائل التواصل الاجتماعي كثرة تداول الأحاديث والآثار الموضوعة والشاذة... دون التأكد من صحتها، مما يؤثر سلبياً على عقيدة المجتمع، وهذا أمر خطير ينبغي التنبه له⁽³⁾.

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وتنبيه الكهان (4/1751) رقم (2230).

(2) أخرجه الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد(ت 255هـ) في مسنده المعروف بـ "سنن الدارمي"، تحقيق حسين سليم أسد الداراني، دار المغنى للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة الأولى: 1412هـ - 2000م، (3/1771) رقم (2744) و قال محققه: "إسناده جيد". وأبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير(ت 275هـ)، السنن، تحقيق / محمد محبي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت. د.ت، د.ط، كتاب العلم، باب في التشديد في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم (4/4990) رقم (4990)، وسكت عنه، وما سكت عنه فهو حسن، وحسنه الألباني. والترمذى، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى (ت 279هـ) سنن الترمذى، تحقيق وتعليق / أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عطوة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر، الطبعة الثانية: 1395هـ - 1975م، في أبواب الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس (4/557) رقم (557) و قال: "هذا حديث حسن".

(3) ينظر: الحدادي، أثر وسائل التواصل الاجتماعي على عقيدة المسلم (ص 99-100).

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

والمعروف أن التقول على رسول الله صلى الله عليه بما لم يقله، سقطة عقدية، وسوءة دينية كبيرة، وخطورها شديد في الدنيا والآخرة، مصداقاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المروي عن سلامة رضي الله عنه قال: سمعت النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ يَقُلُّ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلَيَتَبَوَّأْ مَقْعِدَهُ مِنَ النَّارِ»⁽¹⁾.

5 – انتشار بعض الرسائل والصور على أساس أنها من الدين، وهي بدع ما أنزل الله بها من سلطان⁽²⁾. ومن أمثلة ذلك: نشر صور بعض الأشجار المتلاصقة التي تعطي إيحاء بأنها تكتب جملة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" ، وادعاء أنها صور لأشجار حقيقة في بعض الغابات، وصور لطيور، وحيوانات، أو نشر صور لتكوينات صخرية تشبه كتابات ورسومات دينية، أو نشر صور ملتقطة لمكة المكرمة أو الكعبة الكشرفة بالأقمار الصناعية، أو نشر صور لعمامة، ونعل، وسيف وادعاء أنها صورة عمامة النبي عليه السلام أو نعله أو سيفه، مما هو غير ثابت، وحال من الدليل المؤكّد على صحة نسبتها للنبي صلى الله عليه وسلم، ونحو ذلك مما ترخر به صفحات التواصل الاجتماعي، ومما يعتبروه ناشروه أنه وسيلة للتفكير في صنع الله، أو للدعوة إلى الإسلام، أو لإطلاق الألسنة بالذكر والتسبيح.

وهذه كلها بلايا عجبت بها وسائل التواصل الاجتماعي، لاسيما وسيلة "Facebook" ، وأصبحت تياراً جارفاً ينساق فيه كثير من المسلمين والمسلمات، لاسيما فئات الشباب، وبعض الكبار من لديهم فراغ وقت يقتلونه من خلال المكتوب أمام هذه الوسائل، ويحسبون بذلك أنهم يجرون نفعاً، أو يكتسبون أجراً وثواباً، في حين أن هذا يعد نمراً للبدع والخرافات، وإهانة لشعائر الإسلام.

فهذه الأمور كلها، حتى لو ثبت كونها حقيقة، فإنه لا ينبغي المتاجرة بالدين والدعوة إليه بمثل هذه الصور والدعایات الرخيصة، لاسيما وفي ديننا الكثير والكثير من الأمور الإعجازية، والصحيحة التي تغيّر عن هذا السقّيم، كما أن في ديننا العزة والأشرفية التي تمنعه من أن يكون مبتداً بهذه الصورة.

ففي القرآن الكريم ما يعني عن ذلك من الآيات الكريمة التي تحثنا على إعمال الفكر، والتدبّر في خلق الله عز وجل، نحو قول الله تعالى : (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبَصِّرُونَ) [الذاريات: 20-21] ، وقوله (أَوَلَمْ يَرُوا كَيْفَ يُبَدِّئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ قُلْ سَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخُقْرُ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشَأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [العنكبوت: 19-20].

ثالثاً: الترويج للعقائد الفاسدة ونشر مبادئها.

تسعى كثير من وسائل التواصل الاجتماعي إلى الترويج لطائفه من العقائد الفاسدة، والعمل على نشر أفكارها ومبادئها بين المسلمين، بهدف زعزعة استقرار العقيدة في نفوس المسلمين، وبخاصة جيل الشباب، وهذه إبرز الآثار المترتبة على ذلك:

(1) أخرجه البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفري (ت 256هـ)، في الجامع المستند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه الشهير بـ " صحيح البخاري "، تحقيق وترجمة محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مطبوعة عن الطبعه السلطانية بإضافة ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، 1422هـ ، في كتاب العلم، باب إثبات كذب على النبي صلى الله عليه وسلم (33/1) رقم (109).

(2) الحدادي، أثر وسائل التواصل الاجتماعي على عقيدة المسلم (ص 102).

- 1 - تشكيك الشباب في عقديتهم بعرض الفرق المنحرفة، لمحاربة الإسلام وإيقاف مده، وتشويه حقائقه، والتلبيس على المسلمين وتشكيكهم في دينهم، وزعزعة الإيمان بنشر الشبهات للتشكيك في المبادئ والقيم⁽¹⁾.
 - 2 - إفساد العقيدة والواقع في البدع والأفكار الهدامة المخالفة لتعاليم الإسلام⁽²⁾.
 - 3 - انتشار العديد من موقع الدعوة للنصرانية والبودية والوثنية، متخذة صوراً شتى صوتاً وصورةً وكتابةً.
 - 4 - الدعوة إلى الإلحاد ومحاولة صرف الناس عن الدين الحنيف والعقيدة الصحيحة والتشكيك في الثوابت لدى الأمة وتکذیب بعض الأحادیث النبویة أو الطعن فيها والمزايدة في صحتها ولوی أعناق النصوص⁽³⁾.
 - 5 - العمل على نشر السحر وتعليمه، والكهانة والشعوذة والدعوة إليها والدعوة إلى عبادة القبور وتعظیم الأموات والقبور والأولياء والصالحين ودعاؤهم في قبورهم، وهذا ما يتنافي مع قول الله تعالى (إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوْا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُفُّرُونَ بِشَرْكِكُمْ وَلَا يُبَيِّنُّكُمْ مُثْلُ حَبِّيرٍ) [فاطر: ۱۴]⁽⁴⁾.
 - 6 - تشكيك المسلمين في العقيدة الصحيحة وذلك من خلال ادعاء محية أهل البيت، واستغلال محبة المسلمين لآل بيته صلى الله عليه وسلم ومحاولات خلخلة عقديتهم وتشكيكهم في الصحابة، وفي رسالة النبي صلى الله عليه وسلم⁽⁵⁾.

قلت : وهذا الترويج الفاسد يجد من يموله، وينفق عليه، ويعمل على نشره في أوساط المجتمع المسلم، للنيل من عقيدته، وإفسادها، نظراً لكون العقيدة هي الركيزة الأساسية التي ينطلق المسلم من خلالها، وإذا استطاع أعداء الأمة خلخلة هذه الركيزة كان ما سواها أيسير وأسهل.

رابعاً: نشر التطرف الديني واستقطاب الشباب إليه.

التطرف الديني من أبرز المشاكل التي تواجه الأمة، وتحدث فرقة وانقساماً كبيراً بين طوائف المجتمع، وتعد وسائل التواصل الاجتماعي مرتعاً خصياً لنشر أفكار التطرف وتنميتها واستقطاب الشباب إليها.

ويعد المروجون لهذه الأفكار إلى وسائل التواصل الاجتماعي كالبريد الإلكتروني والفيسبوك وغيرهما لاستخدامها في نشر أفكارهم والترويج لها والسعى لتكثير الأتباع والمعاطفين معهم عبر المراسلات.

وعلى حد تعبير بعض المعاصرين - إذا كان التقاء الإرهابيين وال مجرمين في مكان معين لتعلم طرق الإرهاب والإجرام، وتبادل الآراء والأفكار والمعلومات صعباً في الواقع فإن الإنترنت تسهّل هذه العملية كثيراً، إذ يمكن أن يلتقي عدة أشخاص في أماكن متعددة في وقت واحد، ويتبادلوا الحديث والاستماع لبعضهم عبر الإنترنت، بل

(1) العقيل، رياض، تحقيق: محتويات الإنترنت خطر على العقيدة، موقع (http://www.aldaawah.com) مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية.

(2) المجرشي، طاهر محمد (إمام خطيب جامع الخراشى بالرياض) تحت عنوان "زمن الغتن والمحن"، المرجع السابق.

⁽³⁾ ينظر: السنيدى، إبراهيم بن عبد الكريم (أستاذ الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) تحت عنوان "هل الانترن特 خطر على العقبة" مجلـة الـمـامـة 25/2/2014م.

(4) السبر، سعد بن عبدالله السبر (إمام وخطيب جامع الجارالله بالرياض) تحت عنوان "حروب على العقبية" تقرير "محفوبيات الإنترن特 خطر على العقبية".

(5) العتبى، نهار بن عبد الرحمن العتبى، (عضو هيئة التدريس، بجامعة شقراء) التقرير السابق.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار، جمهورية صربيا

يمكن أن يجمعوا لهم أتباعاً وأنصاراً عبر إشاعة أفكارهم ومبادئهم من خلال موقع الإنترت، ومنتديات الحوار، وما يسمى بـ"غرف الدردشة" (**Watch2Gether**) أو غرف المشاهدة الجماعية (**Chat Room**).⁽¹⁾

وقد أشارت دراسة أجريت على طائفة من الشباب الجزائري يبلغ عددهم (220 فرداً) - سبق ذكرها في البحث الأول - إلى أن نسبة معتبرة من المبحوثين (24.5%) من مستخدمي وسيلة (**Facebook**) ذكروا أنهم تعرضوا أثناء الدردشة لمحاولات دعوية من طرف جماعات مشبوهة، تنشط في مجال المخدرات، الجنس أو الأنشطة الإرهابية، وقد كان أغلبهم من صغار السن (18 إلى 20 سنة).⁽²⁾

وتشير بعض التقارير الحديثة إلى أن شركة فيسبوك (**Facebook**) قد رصدت كميات كبيرة من المشاركات الداعية للتطرف والعنف والإرهاب، والداعمة له؛ حيث شكلت المشاركات التي ترتبط بالعنف من 0.22% إلى 0.27% من المشاهدات، بزيادة من 0.16% إلى 0.19% في الربع السابق، واتخذت الشركة إجراءات الحذف والإزالة لـ 3.4 مليون مشاركة، وهو ما يمثل ارتفاعاً بالنسبة من 1.2 مليون في الربع السابق، حيث أرجع التقرير هذه الزيادة إلى الصراع المتضاد في الشرق الأوسط.⁽³⁾

وكإجراي وقائي وعلاجي في نفس الوقت - فقد قامت الشركة مؤخراً "بإزالة ما يقارب 1.9 مليون منشور على الموقع بسبب ارتباطه بمحتوى يدعم الإرهاب أو المنظمات الإرهابية، ويعتبر هذا الرقم زيادة كبيرة عن الإحصائيات السابقة بسبب تطور الأدوات والتكنيات التي تعمل على كشف مثل هذا النوع من المنشورات المخالفة".

كما "أضافت الشركة مؤخراً مجموعة من التقنيات المحسنة الخاصة بالذكاء الاصطناعي والتعلم الآلي والتي ساعدت على اكتشاف عدة منشورات مخالفة جديدة أو قديمة، ونتيجةً لذلك، قامت إدارة الموقع بإزالة عدة حسابات أو تعليقاتها أو حظرها لقيامها بنشر مثل هذه الصور والمشاركات".⁽⁴⁾

خامسًا: التمرد على القيم والمبادئ الإسلامية.

الإسلام دين القيم والمبادئ السامية، والممثل العالية، التي من خلالها يكون صلاح الفرد والجماعة، وقيم الإسلام تستمد من تعاليمه السمححة، وشريعته الغراء، وهي تدعو إلى الفضيلة بكل جوانبها، وتحارب الرذيلة بكل صنوفها. والطفرة التقنية المعاصرة، وما أفرزته وسائل التواصل الاجتماعي، وولع الناس بها -لا سيما جيل الشباب- تؤديان إلى التمرد على قيم الإسلام ونبذ تعاليمه، والإقبال على القيم الواردة من المجتمعات المختلفة، وذلك حين تتلاقى طبيعة القيم الوافدة مع رغبات الشباب، وتتفق مع أهوائهم.

والمسلم ينطلق في حياته من عقيدته الإسلامية وأنه عبد لله سبحانه وتعالى ملتزم بشرعه؛ فالإسلام لا يعطي الفرد الحرية المطلقة في أن يفعل ما يشاء وكيفما يشاء ... فالحرية المطلقة رذيلة ممقوتة حيث إنها تؤدي بالانسان إلى الشروd والجموح والانفلات من جميع القيم والمبادئ.⁽¹⁾

(1) السندي، عبد الرحمن بن عبد الله، وسائل الإرهاب الإلكتروني حكمها في الإسلام وطرق مكافحتها، موقع وزارة الأوقاف السعودية (13، 16).

(2) ينظر: جابري، سارة، دور موقع التواصل الاجتماعي في غرس القيم الدينية لدى الشباب الجزائري (ص 16).

(3) ينظر: موقع التقنية السورية "https://syriantech.com" تقرير "فيسبوك كشفت عن كمية المخالفات هذا العام" أرقام مرعبة لمنشورات العنف والإرهاب والحسابات المزيفة، منتشر بتاريخ 16/5/2018 على الموقع المذكور.

(4) موقع التقنية السورية، تقرير "فيسبوك كشفت عن كمية المخالفات هذا العام".

فقيم الإسلام ترفض أي علاقة بين ذكر وأنثى إلا إذا كانت في إطار شرعي من زواج أو محرمية، أو ضرورة من علم أو عمل أو تداوٍ أو تجارة أو نحو ذلك؛ فتأتي وسائل التواصل الاجتماعي وترتبط المرأة بالرجل تحت مسمى الصداقة، وحوارات غرف الدردشة، التي تكشف الأستار، وتنتهك الحُجْب، وتحقق خلوة إلكترونية – إن صح التعبير⁽²⁾ – بين رجل وامرأة، أو شاب وفتاة، تبعدهم المسافات المكانية، وتقربهم تلك الوسائل، مع أنه عالم وهمي، فلا التقاء بالأجساد، ولا أبواب تغلق عليهما.

وقد حذر رجال دين من الخلوة الإلكترونية وظهرت العديد من المبادرات التي تنادي بالعفة الإلكترونية، ركزت على أهمية زيادة الوعي والتذكير بمعاني العفة عند الشاب والفتاة في ظل التواصل الإلكتروني المفتوح بين الجنسين. ومن ذلك ما قاله أحد أساتذة الشريعة : "إن الخلوة الإلكترونية محرمة بما يتم تبادله من حديث أو أفلام أو صور أو مقاطع فيديو من خلال وسائل التواصل الاجتماعي بين الذكور والإناث بصورة غير مشروعة أو محرمة، وهذه الخلوة خطيرة جدًا؛ وهي أخطر من الخلوة بين الرجل والمرأة في الحقيقة لأن المرونة فيها أكبر وإمكانية فعل ما يريدون أو ما يشتهون أكبر، وهي بدون حسيب ولا رقيب وبالتالي ما يدور عبر هذه الشبكات الإلكترونية سريًّا ما يتحول إلى واقع على الأرض "⁽³⁾.

وإذا صح إطلاق لفظ الخلوة على هذا التصرف، فإنه يكفي في حرمتها حديث ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، امْرَأَتِي حَرَجْتُ حَاجَةً، وَأَكْتُبْتُ فِي عَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «اْرْجِعْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ»⁽⁴⁾.

وقيم الإسلام كذلك تحفيظ البيوت والأسر بحرمات وصيانة، وترفض إفشاء الأسرار الزوجية، وطرح مشاكل الأسرة على الغير إلا بقصد الإصلاح بين الزوجين.

فتصل وسائل التواصل الاجتماعي بالناس إلى طرح مشكلاتهم الزوجية بكل تفاصيلها على صفحة التواصل الاجتماعي الخاصة بأحد الزوجين أو كلاهما على الفيس بك على سبيل المثال، مما يعد إفشاء لأسرار البيوت على الملا، وفيه فتح لبابٍ كبيرٍ من الفساد.

وهذا يتنافي مع قدسيّة الحياة الزوجية ومكانتها، ويؤدي بالأسرة المسلمة إلى التفرق والشتات، واستغلال فرصة وجود مشاكل أسرية – من قبل أناس لا خلاق لهم- فيفسدون على هذا الأسرة حياتها، ويطردون عليها الحلول المضطربة والمتضاربة لمشكلتها، لأن كل من يبدي حلاً أو تعليقاً أو تحليلاً أو توجيهًا أو نصيحة، إنما يبديه بفكره هو، ومن واقع ظروفه أو تجربته هو، ومن واقع مجتمعه، والمعروف أن الأفكار تختلف والظروف تختلف، فما

(1) عفانة، حسام الدين بن موسى، فتاوى يسألونك (5/157).

(2) هي وسيلة معاصرة لاستقطاب الشباب العربي نحو التطرف ونحو الشهوات الجنسية المراد منها استغلال الشباب من خلال تهديدهم بإفشاء أمور وأسرار شخصية من صور وفيديوهات تحول الشاب إلى ضحية لمافيات خطيرة تدخل البيوت من خلال الأجهزة الإلكترونية وموقع التواصل التي تطورت بدرجة سريعة سمحت في انتشار الكثير من العرائض الأخلاقية والمالية والسياسية. ينظر: موقع القدس مقال: حرية «الخلوة الإلكترونية» حين تصبح وسيلة لاستقطاب الشباب نحو التطرف والفضائح الأخلاقية، منشور على الموقع المذكور (www.alquds.co.uk) بتاريخ 17/2/2018م .

(3) مقال: حرية "الخلوة الإلكترونية" ...

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محروم، والدخول على المغيبة، (37/7) رقم (5233)

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

يصلح حلاً لمشكلة أسرية في الشرق لا يعني بالضرورة صلاحه في الغرب، وما يصلح إنقاذاً ل موقف أو إزالة مشكلة أسرية لدى أسرة ناشئة، لا يصلح بالضرورة لأن يكون حلاً لمشكلة مشابهة في أسرة عمرها طويل، وفيها أولاد، فالوضع مختلف.

"العلاقات الأسرية علاقات وجداً نية قوية خاصة بين الزوجين، وهذه كلها تحاطـ عادةـ بنوع من السرية والكتمان، ويتحرج كل من الطرفين من البوح بها أو نشرها، وهذا مما يحمد وي مدح، فما ينبغي أن تكون الأسرار الزوجية والعلاقات بين الزوجين دعوة جفلي⁽¹⁾ يدعى إليها العامة دون اختصاص، ولا حفـاً مشاعـاً بين الناس من فضوليين وغيرهم"⁽²⁾.

استشكال والرد عليه: قد يقول قائل (من زوج أو زوجة أو غيرهما): إن المنهي عنه في السنة هو إفشاء الأسرار المتعلقة بالمعاشرة الزوجية فحسب، والتي وردت في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ: «إـنـ مـنـ أـشـرـ النـاسـ عـنـدـ اللـهـ مـنـزـلـةـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ، الرـجـلـ يـفـضـيـ إـلـىـ اـمـرـأـتـهـ، وـتـفـضـيـ إـلـىـ يـنـشـرـ سـرـهـاـ»⁽³⁾.

أو في حديث أسماء بنت يزيد، قـالـتـ: كـنـاـ عـنـدـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ الرـجـالـ وـالـنـسـاءـ فـقـالـ: «عـسـيـ رـجـلـ يـحـدـثـ بـمـاـ يـكـوـنـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ أـهـلـهـ، أـوـ عـسـيـ اـمـرـأـةـ تـحـدـثـ بـمـاـ يـكـوـنـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ زـوـجـهـاـ» فـأـرـمـ الـقـوـمـ⁽⁴⁾ فـقـلـتـ: إـيـ وـالـلـهـ يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ، إـنـهـمـ لـيـفـعـلـونـ وـإـنـهـنـ لـيـفـعـلـنـ، قـالـ: «فـلـاـ تـفـعـلـوـاـ، فـإـنـ مـثـلـ ذـلـكـ مـثـلـ شـيـطـانـ لـقـيـ شـيـطـانـةـ فـيـ ظـاهـرـ الطـرـيقـ فـغـشـيـهـاـ وـالـنـاسـ يـنـظـرـوـنـ»⁽⁵⁾.

وعليه، بما المانع من أن يفضي الرجل أو المرأة أسرار مشاكلهم الأسرية على صفحات التواصل الاجتماعي باعتبارها عالم افتراضي وليس واقعي، لعله أو لعلها يجد أو تجد الحل لها عند الأصدقاء والمتابعين لصفحاتهم؟ وللرد عليه نورد قول بعض أهل الفتوى المعاصرین "إن ثمت أسرار أخرى للبيوت غير هذا لا ينبغي إفشاؤها لغير من تهمهم مصلحة الأسرة من الأقارب، بل إن البيوت الكريمة تحاول أن تخفي أسرارها حتى عن أقرب الناس إليها، لأن السر إذا خرج أوغر الصدر، إلى جانب ما يتربّط عليه من آثار ضارة، أقلها الشماتة عند معرفة العيوب التي يشكو منها أحد الزوجين، وكثير من الناس يتصدرون أخبار البيوت للإفساد، وللننساء في مجالسهن الخاصة أحاديث متتشعبه وخبر أم زرع بشأن النسوة الالاتي تحدثن عن أزواجهن معروفة"⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ الجفلي: هي دعوة الناس إلى الطعام عامـةـ، أو الدعوة العامـةـ، قـالـ طـرـفةـ بنـ العـبدـ: تـحـنـ فيـ المـسـنـتـاـةـ تـدـعـوـ الـجـفـلـيـ... لـاـ تـرـىـ الـأـدـبـ فـيـنـتـقـرـ. ينظر: ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم بن على(ت211هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة:1404هـ (114/11).

⁽²⁾ ضميرية، عثمان جمعة، عمل المرأة والاختلاط وأثره في انتشار الطلاق، مجلة البحوث الإسلامية (365/77).

⁽³⁾ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب تحريم إفشاء سر المرأة(1060/2) رقم(1437).

⁽⁴⁾ فـأـرـمـ الـقـوـمـ "أـيـ": سـكـنـواـ مـطـرقـينـ، وـمـثـلـ أـيـضاـ: فـأـرـمـ الـقـوـمـ. يـنـظـرـ: ابن منظور، لسان العرب . (18/12).

⁽⁵⁾ أخرجه الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي(ت360هـ)، في المعجم الكبير، تحقيق/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، مسند النساء، باب الألف، حفص بن أبي حفص أبو عمر التميمي (162/24) رقم (414).

⁽⁶⁾ صقر، عطية محمد عطية(ت1427هـ)، أسرار الزوجين، فناوى دار الإفتاء المصرية، مايو 1997م.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بزار. جمهورية صربيا

وكذلك فإن قيم الإسلام تحذر من إشاعة الفواحش، وتندد المجاهرة بالمعاصي والآثام، ففي القرآن الكريم (إنَّ الَّذِينَ يُجْهَوْنَ أَنَّ تَشْبِيهَ الْفَاجِحَةَ فِي الدُّنْيَا أَمْتُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [النور: 19].

وقد أكدت بعض الدراسات التي تناولت تأثير هذه الوسائل على الشباب على ضرورة مراعاة القيم والمبادئ، والمصلحة الإيجابية للإنسان، ولن يفيد إلا التحسين الأخلاقي، والوازع الديني، وتعليم الشباب، وتنقيفهم، وإعانتهم، وتقديم الخبرة لهم، وتقويم سلوكهم، وتأمين عمل لهم، واحترامهم، والاعتراف بقدراتهم⁽¹⁾.

ومن صور التمرد على القيم والمبادئ الإسلامية – تأثراً بهذه الوسائل – ما لوحظ من ازدياد تقليد أبناء المجتمع الإسلامي لتلك الثقافات العالمية التي لا تنتمي بوجه من الأوجه لثقافة المسلمين وأمثلة ذلك : انتشار الاحتفال بعيد رأس السنة الميلادية(كريسماس) في المجتمعات الإسلامية، وعيد الحب(الفلاتن)، وغيرها من البدع التي لاقت رواجاً في المجتمعات الإسلامية خاصة بعد ظهور وسائل التواصل الاجتماعي في الآونة الأخيرة، بالإضافة إلى أن تلك الواقع مثل الفيس بوك يرسل لمستخدميه تذكيرات بمواعيد هذه الأعياد مما ساهم في نشر البدع⁽²⁾.

المبحث الثاني: آثار وسائل التواصل الاجتماعي على فكر الأسرة المسلمة

أولاً: انتشار التطبع الثقافي بين فئات المجتمع المسلم.

التطبع مصطلح معاصر نسأً عن مصطلح "التطبيع" المستخدم في الميادين السياسية ونحوها⁽³⁾، وأصله اللغوي مادة "طبع" يقال: تَطَبَّعَ أَمْرًا: إذا تَكَلَّفَ غَيْرَ طَبَعِهِ، يقال: الطَّبَعُ يَغْلِبُ التَّطَبُّعَ، والتَّطَبُّعُ مفرد، مصدر للفعل تَطَبَّعَ⁽⁴⁾. وعرف مجمع اللغة العربية المصري التطبع الثقافي بأنه "فن عملية اكتساب شخص ثقافة دون ثقافة قومه وبيئته⁽⁵⁾. ويرى البعض أن التطبع يدخل شتى المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية ولكن التطبع الثقافي هو الأخطر لأنه يُسوق السلعة الفكرية والثقافية والنظرية، وهذه تعيش أكثر من السلع المعمرة، تستورد سيارة وعمرها الافتراضي 10 سنوات، أما الثقافة فلا عمر افتراضي لها، يمكن نقلها من جيل إلى جيل⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ العوش، سالم، وسائل التقنية وأثرها في الشباب وسبل استثمارها، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، بحوث المؤتمر العالمي التاسع (1/159).

⁽²⁾ الحدادي، أثر وسائل التواصل الاجتماعي على عقيدة المسلم (ص 98).

⁽³⁾ اعتمد مجمع اللغة المصري على كثرة اشتراق العرب من الأسماء الجامدة مثل: «أَثَّ» بمعنى وَطَأَ، و «تَبَعَّدَ» بمعنى انتسب إلى بغداد أو تشبه بأهلها... وقد أقر المجمع جواز الاستعمال المعاصر «تطبيع العلاقات» على أن يكون التطبيع مأخوذاً من الطبيعة، والفعل منه «طبع» بالتضعيف على معنى الجعل والتصدير، وقد أثبتت المعاجم الحديثة هذا الاستعمال. تنظر المادة رقم: 3362 – (طبع)، عمر، أحمد مختار عبد الحميد، معجم الصواب اللغوي، عالم الكتب، ط: أولى 1429هـ- 2008م، (503/1).

⁽⁴⁾ ينظر: الحميري، نشوان بن سعيد(ت573هـ)، شمس العلوم ودواوئ كلام العرب من الكلوم، تحقيق، د. حسين العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق. ط: أولى : 1420هـ- 1999م، (4065/7).

الكتب، الطبعة الأولى 1429هـ- 2008م. (2).

⁽⁵⁾ عمر، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة (2/1384).

⁽⁶⁾ ينظر: سمارة، عادل (كاتب ومحessor متخصص في التطبيع ومقاومته) التطبيع الثقافي هو الأخطر لأنه يسوق السلعة الفكرية والثقافية والنظرية، في تقرير توفيق العيسى منشور بموقع الحياة الجديدة 149471 . http://www.alhaya.ps/arch_page.php?nid=

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

وإدمان الشباب لوسائل التواصل الاجتماعي، وانهماكهم في استخدامها، يضفي عليهم مسحة من ثقافات الغير، سواء كان الغير هذا مجتمعات مسلمة غير محافظة، أو مجتمعات غير مسلمة، فينسلخ المرء رويداً رويداً من ثقافته، وسلوكياته، ويحاول التشبه بغيره، لاسيما حين يجد أن الغير متقدم ومزدهر في المجالات المختلفة.

ولا ينبغي أن يغتر شباب المسلمين بثقافات الغير، ولا ينظر إليها على أنها كسب أو ربح، فإن كان ولابد فليأخذ من الغير تقدمه، ووسائل ازدهاره، وعلومه وعارفه، ولا يقتبس منه ثقافات ضحلة، وطبائع فاسدة.

ثانياً: نشر ثقافة التسطيح بين فئات المجتمع المسلم (الشباب نموذجاً).

من الآثار الفكرية السيئة التي تنتاب رواد ومستخدمي موقع التواصل الاجتماعي، انحسار عقول بعض مستخدميها في أفكار سطحية⁽¹⁾ ومعلومات تفتقد المصداقية والقيمة، فضلاً عن "كثرة تداول الإشاعات والأخبار المغلوبة؛ نظراً لعدم اشتراط التأكيد من المعلومة قبل نشرها، أو نشر مصدر الخبر على تلك المواقع، إضافة إلى غياب الرقابة على ما يُكتب أو ما يُنشر في تلك المواقع، فهناك كثير من الشباب يقومون بنشر مواد ليست لها أي أهمية، بل إنها ضارة"⁽²⁾.

والدين الإسلامي يأمر باستقاء المعلومة من مصادرها الصحيحة، وسؤال أهل الخبرة والاختصاص الذين هم أهل الذكر في كل فن، يقول المولى عز وجل في موضعين من كتاب الله تعالى (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الْدِّيْنَ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [النحل:43، الأنبياء:7].

كذلك فإنه ينهى عن ترويج الشائعات، وإطلاق الألسنة فيما لا علم للمرء به، فيقول المولى عز وجل (ولَا تَفْفُتْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادُ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْتُوْلًا) [الإسراء:36]، حيث بينت الآية الكريمة، أن ثلاثة أعضاء من بدن الإنسان مسؤولة يوم القيمة عما يصدر منها من التقول بغير علم.

قال قتادة رحمه الله في معناها: «لَا تَقْلُنْ رَأِيْتُ وَلَمْ تَرَ ، وَسَمِعْتُ وَلَمْ تَسْمِعْ ، وَعَلِمْتُ وَلَمْ تَعْلَمْ»⁽³⁾.

وفي الحديث الشريف: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»⁽⁴⁾.

ثالثاً: الغزو المعلوماتي وتأثيره السيء على فكر المسلم.

(1) السطحية مفرد، يشمل أمرين: أحدهما: اسم مؤنث منسوب إلى سطح: "آراء / قراءة / سطحية" معرفة سطحية: ظاهرية. والثاني: مصدر صناعي من سطح: عدم جديّة "يتسم معظم الشباب الآن بالسطحية واللامبالاة". أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة (1064/2).

(2) موقع الألوكة الثقافي، موقع التواصل الاجتماعي إيجابيتها وسلبياتها وما هو الاستخدام الصحيح لها؟ منتشر بتاريخ: 1436/1/26- 2013/11/30 م.

(3) عبد الرزاق، أبو بكر بن نافع الحميري الصناعي (ت 211هـ)، تفسير عبد الرزاق، تحقيق/د. محمود محمد عبد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1419هـ (299).

(4) أخرجه ابن المبارك، عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي (ت 181هـ) في الزهد والرقائق، تحقيق/حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت. د. ط باب من كذب في حديثه ليوضحك به الناس (255/1) رقم (735)، وأبو داود في سننه، كتاب العلم، باب في التشديد في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم (298/4)، رقم (4992) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: «ولم يسنده إلا هذا الشيخ يعني على بن حفص المدائني»، وصححه الألباني، والنسياني في السنن الكبرى، أحمد بن شعيب بن علي الحراساني (ت 303هـ)، تحقيق وتحريج/حسن عبد المنعم شلبي، بإشراف/شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى: 1421هـ - 2001م، كتاب الموعظ (10/403) رقم (11845).

لا شك أن حصول المرأة على معلومة عن أمر ما يشكل أهمية كبيرة، فقد حثنا الإسلام على التعلم، وبذل الجهد في سبيل التوصل لحقائق العلم ومعارفه المختلفة، حتى نستفيد بها في أمور حياتنا، والسائل عبر تاريخ البشرية هو السعي في طلب العلم بالقراءة والاستماع والمناقشة والتلقي عن الغير والتجربة والتطبيق، كل ذلك لا غبار عليه بل هي أسس العلم الصحيحة.

ومع الطفرة الإلكترونية الهائلة التي شهدتها العصر الحديث، لاسيما شبكة المعلومات الدولية "الإنترنت" وما فيها من وسائل ومواقع ظهر ما يسمى بمصطلح "الغزو المعلوماتي" وهي مسألة تتطلب مواجهتها من الدول العربية والإسلامية، حيث من حق كل دولة وكتنوع من أنواع السيادة على أراضيها قبول أو رفض ما قد يوجه إليها من الخارج، وهذا الأمر قد أصبح حالياً محل إعادة نظر بسبب الأقمار الصناعية وشبكة الإنترنت، بحيث لم تعد الدول قادرة على رفض ما يبث لها من الخارج⁽¹⁾.

وقد أدى الغزو المعلوماتي إلى التأثير على ثقافة وفكر المجتمعات والأسر المسلمة تأثيراً متعدد الجوانب أشير إلى طرف منه على النحو الآتي:

أ- تدني مستوى القدرات الإبداعية لدى الشباب.

مما جنته وسائل التواصل الاجتماعي على فكر المجتمع المسلم، لاسيما فئة الشباب، هو اعتماد الكثirين منهم على هذه الوسائل لحل المشكلات التي تقابلهم والاعتماد على أفكار غيرهم، فإنه حينما تقابل الشخص مشكلة ما؛ فنياً في حاسوبه على سبيل المثال، أو علمياً في دراسته، أو حيائياً في وظيفته أو نحو ذلك؛ فإنه يطرحها على وسيلة التواصل الاجتماعية المفضلة لديه أو التي يتبعها عليها أشخاص كثيرون، فيسألهم ماذا أفعل؟. وتسأل الفتاة أو ربة البيت صديقاتها: ماذا ألبس، ماذا اختار؟ إلى أين أخرج، ماذا أطهي اليوم؟ وغيرها من الأسئلة.

وهذه التصرفات في حد ذاتها إيقاف للعقل والتفكير عن بذل الجهد والسعى للتوصيل للمعلومة أو حل المشكلة، وهذا مما يتنافي مع آيات كتاب الله تعالى التي تأمر بالتعقل والتفكير والتدبر والعمل.

نحو قوله تعالى (أَفَلَا تَعْقُلُونَ) في 13 موضعاً في القرآن الكريم، و قوله (أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ) [الانعام:50].

ومما يجدر ذكره إن ذلك الاعتماد على فكر الغير يؤدي إلى ركود العقول، وتوقفها عن التفكير والتطوير والابتكار، والاكتفاء بما يقدم إليه من حلول ونحوها، وفي ذلك إهمال لنعمة العقل التي وهبها الله سبحانه وتعالى لنا.

ب- تلقي العلوم والمعرف والآراء من غير المختصين.

يعمد كثير من أفراد المجتمع – من رواد هذه الوسائل – إلى تلقي علومهم ومعارفهم من خلالها، وقلة منهم تتلقى تلك العلوم عن المختصين، والكثرة الغالبة لا تنتبه لهذا الأمر، حيث تتلقى المعلومة من أي مصدر بعض النظر عن قوته أو ضعفه، أو تخصصه وعدم تخصصه، أو صحة المعلومة أو عدم صحتها.

(1) ينظر: مراد، بركات محمد، موقف الإسلام من حقوق الملكية الفكرية، منشور بموقع <https://books.google.com.my> (ص217).

يقول أحد المتخصصين في مجال الإعلام عن هذه السلبية: "... والجانب السلبي للأسف أن معظم المعلومات التي تُثبّت عبر تلك المواقع هي معلومات غير محقّقة، فأنا مثلما أنه متاح لي أن أنشر المعلومة الصادقة فِيمَكِنْنِي أيضًا - وبسهولة- أن أنشر الشائعة أو المعلومة المغلوطة، ويترتب على ذلك إحداث البلبلة، وعدم المصداقية"⁽¹⁾.

ج- إضاعة الوقت وإهدار استثماراته.

كذلك من الآثار المرتبطة بهذا العنصر أيضًا "إضاعة الشباب للوقت في التنقل عبر صفحات تلك المواقع، والتحدث في أمور ليس لها قيمة ولا فائدة، وهذا الجانب هو أخطر الجوانب السلبية؛ حيث إن مضيعة الوقت تأتي بالسلب على المجتمع كله وعلى تقدّمه، وليس على الشخص فقط".⁽²⁾

والمعروف أن الإسلام يعلي من قيمة الوقت ويعزّزها، ويوصي الأمة بالحرص عليه وحسن استثماره فيما يفيد، ففي الحديث: «اغتنم حمساً قبل حمسٍ: شبابك قبل هرمك، وصحّتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك».⁽³⁾

د- الإضرار بالثقافة المحلية واللغة العربية في الدول الإسلامية:

كذلك مما يضر بفكر الأسرة والمجتمع المسلم جراء الإفراط في هذه الوسائل، هو تأثير الثقافة المحلية، واللغة العربية تأثيراً سيئاً يؤدي إلى الضعف، حيث لوحظ " ظهور بعض الألفاظ واللغات الغربية التي هي مزج بين العربية والإنجليزية، وينطلق عليها" الفرانكو" ، ومثل هذه اللغات من شأنها أن تُضعف مستوى اللغة العربية لدى الأجيال القادمة، وتؤدي إلى انديثار لغتنا الأصلية".⁽⁴⁾

وقد طرحت دراسات متعددة (نظيرية وميدانية) لباحثين من دول عربية لبيان مدى التأثير السلبي لوسائل التواصل الاجتماعي على اللغة العربية، وخُلصت أغلب هذه الدراسات إلى النتائج الآتية:

⁽¹⁾ مكاوي، حسن عماد (عميد كلية الإعلام بجامعة القاهرة) تحت عنوان "يجب الابتعاد عن نشر الأخبار الكاذبة" تقرير موقع التواصل الاجتماعي إيجابياتها وسلبياتها - موقع الألوكة الثقافي.

⁽²⁾ عبد الرءوف، أحمد، (أستاذ علم اجتماع بجامعة حلوان- مصر) تحت عنوان " سلبياتها الاجتماعية أكثر من إيجابياتها" - تقرير موقع التواصل الاجتماعي إيجابياتها وسلبياتها - موقع الألوكة الثقافي.

⁽³⁾ أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق، باب التحضيض على طاعة الله عز وجل (2/1) رقم(2)، والنسياني في السنن الكبرى، كتاب الموعظ (400/10) رقم (11832)، والحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن حمدوه بن نعيم(ت405هـ) في المستدرك على الصحيحين، تحقيق/مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى:1411هـ- 1990م، كتاب الرفاق (341/4) رقم(7846)، وصححه على شرط الشييخين، ووافقه الذهبي.

⁽⁴⁾ ينظر: عبد الرءوف، أحمد، (أستاذ علم اجتماع بجامعة حلوان- مصر) تحت عنوان " سلبياتها الاجتماعية أكثر من إيجابياتها" - تقرير موقع التواصل الاجتماعي إيجابياتها وسلبياتها - موقع الألوكة الثقافية.

أ - لاحظت بعض الدراسات أنَّ هذه الوسائل أثَّرت بشكلٍ سلبيٍّ في اللغة العربية، كما لاحظت أنَّ هناك إهمالاً كبيراً في الكتابة باللغة العربية الصحيحة في وسائل التواصل الحديثة، حتى مِنْ قِبَلِ المتكلمين لتعليمِ جيدٍ والمملمين بقواعدِ اللغة العربية الصحيحة وإملائتها⁽¹⁾.

ب- انتشار ظاهرة (الفرنكو آرب)، وهو استبدال الأحرف العربية بأحرف لاتينية، فيستبدل بالحرف العربي ما يقابله في اللاتينية، وبحكم ثراء اللغة العربية، فقد وجدوا أنَّ هناك من الأحرف العربية ما لا يقابله حرف في اللاتينية، فاستبدلوا به رقمًا؛ وذلك لتغطية القصور في الأحرف اللاتينية؛ كاستبدالهم بحرف الحاء الرقم (7)، فيكتب اسم محمد هكذا (mo7amad)، ومن ذلك كتابة رقم "2" بدلاً من الهمزة، و"3" بدلاً من العين، الخ⁽²⁾.

وحول خطورة هذا الأمر ترى إحدى أساتذة علم الاجتماع أنَّ هذه الظاهرة ما هي إلا عبث لفظي، لا يصح أن يطلق عليه لغة حيث إنها – على حد قولها- مجرد ظاهرة كتابية حيث إنها تفتقر إلى مقومات اللغة فهي مجرد طريقة كتابية تخلط فيها الأرقام بالحروف اللاتينية لتكون كلمات قد تكون مفهومة للبعض من مستخدميها، أو أنها قد تمثل شفرات لمن لا يعرفها،..... حيث نسمع كلمات جديدة على مجتمعنا يتغافل بها الشباب ويتحدثون بها إلى بعضهم البعض، ولكن ظهر هذا عبر تواصلهم كتابياً عبر المحادثات الإلكترونية أو ما يعرف "الشات"⁽³⁾.

وبهذا تكون قد وصلنا إلى طرح بعض الجوانب السلبية التي تجنيها الأسرة المسلمة، والمجتمع المسلم من الإفراط في استعمال وسائل التواصل الاجتماعي، ولا يعني هذا بالضرورة أنَّ كل ما في هذه الوسائل سلبي، أو شر محسُّن، بل فيها – لا شك – طائفة أخرى من الإيجابيات والمنافع، ولكن إن احسن استخدامها، وروعيت الضوابط الشرعية في التعامل معها، فتكون حينئذ معاول بناء لا معاول هدم.

وإذا كان قد اتضح لنا خطر سلبيات هذه الوسائل، فإنَّ السؤال حينئذ يطرح نفسه وبكل قوة، ما الحل؟ ما السبيل إلى استثمار هذه الأدوات الاستثمار الصحيح؟ كيف يمكن التصدي لهذه السلبيات والقضاء عليها، سواء كان ذلك على المستوى الرسمي (للدول والحكومات والمؤسسات) أو على المستوى الشعبي والفردي للأفراد والأسر؟.

هذا ما سنتختم به ببحثنا في نقاط موجزة على النحو الآتي:

الخاتمة

وتتضمن توصيات البحث بشأن سبل التصدي للآثار السلبية الواقعة على عقيدة الأسرة وفكرها حتى يتسمى لنا التصدي لهذه الآثار السلبية التي تخلفها وسائل التواصل الاجتماعي على عقيدة الأسرة المسلمة، وفكّرها يمكن اتخاذ إجراءات رسمية، وإجراءات غير رسمية:

⁽¹⁾ ينظر: الأحمرى، ظافرة سعيد آل زيان، "اللغة العربية وأثرها في وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة"، كلية العلوم والأداب بمدينة عسير السعودية (قسم نظم المعلومات)، جامعة الملك خالد، السعودية، المركز الإعلامي على الإنترنت، بهي الدين، مبروك رمضان، أثر وسائل التواصل الاجتماعي على اللغة العربية (ص286).

⁽²⁾ ينظر: بهي الدين، مبروك رمضان، أثر وسائل التواصل الاجتماعي على اللغة العربية (ص285)..

⁽³⁾ ينظر: المرجع السابق (ص294) نقلاً عن بعض أساتذة علم الاجتماع من خلال مقابلة شخصية.

- فمن أبرز ما يمكن اتخاذه رسمياً حجب بعض وسائل التواصل الاجتماعي أو تعطيلها إن ثبتت إساءتها للعقيدة الإسلامية، وهذا أمر ميسور على المؤسسات الرسمية التي تمتلك آليات فحص وتتبع لهذه المواقع والوسائل.
- تطبيق العقوبات على من ينال من العقيدة الإسلامية، بعد ثبوت إدانته، والتأكد من شخصيته، والتحقق من قصده، المعروف أن العقوبات في الشريعة الإسلامية تدور بين كونها زواجر عما ارتكب، أو جوابر لما حصل من نقص أو خلل.
- استخدام سلاح الخصم نفسه، ولكن فيما يفيد، بأن تسخر هذه الوسائل أو توجه بعض المواقع الإلكترونية المتصلة بها في نشر العقيدة الصحيحة، ونقد ما عداها، وبيان زيف ما يتشر من إساءات تتعلق بالعقيدة.
- إبراز دور العلماء العاملين، المدركين لأمور العقيدة الصحيحة، والقادرين على دحض الشبهات، وتفنيد المزاعم، والرد على الأباطيل، ونشر أفكارهم بين فئات المجتمع، وتمكينهم من الظهور في القنوات الإعلامية، والموقع الإلكتروني حتى يكونوا بمثابة حائط صد لشبهات المشككين، وأباطيل المتهجمين المتجرأين على العقيدة وثوابت الدين.
- تفعيل دور المساجد والمؤسسات الدعوية والتربوية حتى تقوم بمثابة الملجأ والملاذ الذي يهرب إليه شباب الأمة ليستفيدوا منها، ويتلقّوا معارفهم الدينية الصحيحة من خلالها، بدلاً من تلقيها من وسائل التواصل الاجتماعي بصورة خاطئة.
- العمل على وضع ضوابط لاستخدام وسائل التواصل الاجتماعي في البلاد الإسلامية حتى تكون هذه الوسائل متناسبة مع الشريعة الإسلامية ومراعية للعادات والتقاليد الصحيحة المنتشرة في مجتمعنا. ومن أبرز ما يمكن اتخاذه بصورة غير رسمية:
- اهتمام علماء الاجتماع والتربية بنشر الأفكار التربوية الصحيحة، والتواصل مع فئات المجتمع المختلفة، لخلق حوارات بناءة بينهم، يتم من خلالها توجيه المجتمع توجيهاً صحيحاً نحو التمسك بالعقيدة والحفاظ عليها.
- قيام الأسرة المسلمة بدورها البناء في رعاية النشء رعاية صحيحة، وتوجيهه التوجيه الفكري الصحيح، ومتابعة صفحات الأولاد التي ينشاؤنها على شبكات التواصل تتبع الناصح المرشد الموحّد.
- العمل على التعلم شامل الأسرة تماماً صحيحاً، من خلال خلق ثقافة الحوار بين أفراد الأسرة، فيما يطرح على أبنائها من تساؤلات وأفكار، وعدم تركهم فريسة للتشتت والحيثية في أمور العقيدة والفكر.
- سعي الشباب إلى تلقي المعلومات الصحيحة من مصادرها الصحيحة، وعدم اعتماد وسائل التواصل الاجتماعي مصدرًا لاتخاذ المعلومات الدينية.

- إمكانية استخدام وسائل التواصل الاجتماعي—وعلى وجه الأخص— منتدى الدردشة الالكترونية (فيسبوك) للدعوة الإسلامية ونقل الصورة الحقيقة عن الإسلام من خلال النقاش مع أجانب، ومحاولة استمالتهم لاعتناق الإسلام، وقد حدث هذا بالفعل مع كثير من الأشخاص⁽¹⁾.
- إشغال أوقات الفراغ لدى النشاء والشباب بمارسات أكثر فائدة وأحسن أثراً من إدمان هذه الوسائل، كممارسة القراءة ، والرياضة، ونحوهما.

المراجع:

القرآن الكريم:

- ❖ ابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي(ت181هـ) الزهد والرقائق، تحقيق/ حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، د. ط.
- ❖ ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم بن على(ت211هـ)، لسان العرب ، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة:1404هـ.
- ❖ أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير(ت275هـ)، سنن أبي داود، تحقيق/ محمد محبي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت. د.ت، د.ط.
- ❖ الأحمرى، ظافرة سعيد آل زيان، "اللغة العربية وأثرها في وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة" ، كلية العلوم والآداب بمدينة عسير السعودية (قسم نظم المعلومات)، جامعة الملك خالد، السعودية، المركز الإعلامي على الإنترت.
- ❖ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي(ت256هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه الشهير بـ"صحيح البخاري" ، تحقيق وترقيم محمد فؤاد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن الطبعة السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، 1422هـ.
- ❖ البعوي، أبو محمد الحسين بن مسعود(ت516هـ)، شرح السنة، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش،المكتب الإسلامي(دمشق- بيروت) الطبعة الثانية: 1403هـ.
- ❖ بهي الدين، مبروك رمضان، أثر وسائل التواصل الاجتماعي على اللغة العربية، المؤتمر الدولي الأول للقضايا المعاصرة ومقاصد الشريعة، جامعة السلطان عبد الحليم معظم شاه الإسلامية العالمية – ماليزيا ديسمبر 2018م.
- ❖ الترمذى، محمد بن عيسى بن سُورَةَ بْنِ مُوسَى (ت279هـ) سنن الترمذى، تحقيق وتعليق/ أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر، الطبعة الثانية:1395هـ - 1975م.
- ❖ جابری، سارة، دور موقع التواصل الاجتماعي في غرس القيم الدينية لدى الشباب الجزائري، دراسة في دوافع الاستخدام والإشباعات المتحققة لم المنتدى فايسبوك (Facebook) – منشورة على عدة مواقع إلكترونية.
- ❖ الحكم،أبو عبد الله الحكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدویه بن نعیم(ت405هـ) المستدرک على الصحيحین، تحقيق/مصطفی عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى:1411هـ- 1990م.
- ❖ الحدادي، محمد علي يحيى، أثر وسائل التواصل الاجتماعي على عقيدة المسلم، ماجستير في العقيدة جامعة الملك خالد-السعودية.

⁽¹⁾ ينظر: جابری، سارة، دور موقع التواصل الاجتماعي في غرس القيم الدينية لدى الشباب الجزائري (ص21).

8-أبريل 2019 -نوفي بزار. جمهورية صربيا

- ❖ الحسني، محسن بن موسى، **ضوابط استخدام شبكات التواصل الاجتماعي**، منشور بموقع الهيئة العالمية لعلماء المسلمين، ربيع الأول 1438هـ.
- ❖ الحكمي، عائشة يحيى، موقع دعائشة يحيى الحكمي بتاريخ 1436/4/19هـ.
- ❖ الحميري، نشوان بن سعيد(ت 573هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، تحقيق، د. حسين العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق. ط: أولى : 1420هـ 1999م.
- ❖ الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد(ت 255هـ)في مسنده المعروف بـ "سنن الدارمي" ، تحقيق حسين سليم أسد الداراني ، دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة الأولى : 1412هـ 2000م.
- ❖ راضي، زاهر، **استخدام موقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي**، مجلة التربية، عدد 15، جامعة عمان الأهلية، عمان-الأردن.

[❖ زمان، صفاء، الشبكات الاجتماعية تعريفها وتأثيرها وأنواعها. موقع Mohandesoon/issue/113/article/365](http://www.kse.org.kw/Al_Shaikhah_Et_Tarbiyah_Tareekhah_Wathiqahah_Wanawuhah_Mohandesoon/issue/113/article/365)

- ❖ السبّر، سعد بن عبدالله السبّر (إمام وخطيب جامع الجار الله بالرياض) تحت عنوان "حروب على العقيدة" تقرير "محفوّيات الإنترنّت خطر على العقيدة".
- ❖ سمارة، عادل (كاتب ومتخصص في التطبيع ومقاومته) **التطبيع الثقافي هو الأخطر لأنّه يسوق السلعة الفكرية والثقافية والنظيرية**، في تقرير توفيق العيسوي، منشور بموقع الحياة الجديدة http://www.alhaya.ps/arch_page.php?nid=149471

- ❖ السندي، عبد الرحمن بن عبد الله، **وسائل الإرهاب الإلكتروني حكمها في الإسلام وطرق مكافحتها**، موقع وزارة الأوقاف السعودية.

- ❖ السنيدى، إبراهيم بن عبدالكريم (أستاذ الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) تحت عنوان "هل الإنترنّت خطر على العقيدة" مجلة اليمامة 2014/2/25.

- ❖ صقر، عطية محمد عطية، فتوى أسرار الزوجين، فتاوى دار الإفتاء المصرية مايو 1997م.
- ❖ الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي(ت 360هـ)، **المعجم الكبير**، تحقيق/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.

- ❖ عبد الرءوف، أحمد، (أستاذ علم اجتماع بجامعة حلوان- مصر) تحت عنوان " سلبياتها الاجتماعية أكثر من إيجابياتها" - تقرير **موقع التواصل الاجتماعي إيجابياتها وسلبياتها** - موقع الألوكة الثقافي.

- ❖ عبد الرزاق، أبو بكر بن همام بن نافع الحميري الصناعي(ت 211هـ)، **تفسير عبد الرزاق**، تحقيق/د. محمود محمد عبد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى : 1419هـ.

- ❖ العتيبي، نهار بن عبد الرحمن العتيبي (عضو هيئة التدريس بجامعة شقراء) تقرير "محفوّيات الإنترنّت خطر على العقيدة".
- ❖ العتيبي، محمد بن مشعل، **موقع التواصل الاجتماعي ونقاش المبتدعة**، موقع صيد الفوائد(<http://www.saaid.net/Minute/394.htm>)

- ❖ عفانة، حسام الدين بن موسى،موقع فتاوى يسألونك.
- ❖ العقيل، رياض، تحقيق بعنوان: **محفوّيات الإنترنّت خطر على العقيدة**، موقع مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية.

- ❖ عمر، أحمد مختار عبد الحميد، **معجم الصواب اللغوي**، عالم الكتب، الطبعة الأولى: 1429هـ-2008م.

9 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

- ❖ عمر، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى: 1429هـ- 2008م.
- ❖ العوش، سالم، وسائل التقنية وأثرها في الشباب وسبل استثمارها، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، بحوث المؤتمر العالمي التاسع.
- ❖ فتح محمد، علي محمد، موقع التواصل الاجتماعي وآثارها الأخلاقية والقيمية، ماجستير في الدعوة من الجامعة الإسلامية.
- ❖ مراد، بركات محمد، موقف الإسلام من حقوق الملكية الفكرية، منشور بموقع <https://books.google.com.my>
- ❖ مكاوي، حسن عماد (عميد كلية الإعلام بجامعة القاهرة) تحت عنوان "يجب الابتعاد عن نشر الأخبار الكاذبة" تقرير موقع التواصل الاجتماعي إيجابياتها وسلبياتها- موقع الألوكة الثقافي.
- ❖ موقع التقنية السورية "<https://syriantech.com>" تقرير "فيسبوك كشفت عن كمية المخالفات لهذا العام" أرقام مرعبة لمنشورات العنف والإرهاب والحسابات المزيفة منشور بتاريخ 16/5/2018م.
- ❖ موقع الألوكة الثقافي، موقع التواصل الاجتماعي إيجابياتها وسلبياتها وما هو الاستخدام الصحيح لها؟ منشور بتاريخ: 30/11/1436هـ- 2013م.
- ❖ موقع القدس، حرية «الخلوة الإلكترونية» حين تصبح وسيلة لاستقطاب الشباب نحو التطرف والمضائق الأخلاقية، منشور على (www.alquds.co.uk) بتاريخ 17/2/2018م.
- ❖ النسائي في السنن الكبير، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني(ت 303هـ)، تحقيق وتحريج/حسن عبد المنعم شلبي، بإشراف/شعيب الأنطاوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى: 1421 هـ - 2001م.

ممارسة القيم بنوعيها التقليدي أو العصري وعلاقتها بتوكيد الذات لدى الطالب الجامعي

د. بلخير رشيد

جامعة تizi وزو - الجزائر

ملخص :

تهدف الدراسة الحالية إلى البحث عن مدى وجود علاقة بين ممارسة القيم وتوكيد الذات لدى الطلبة الجامعيين، وعن نوعية هذه العلاقة، سالبة أم موجبة. كما تهدف إلى معرفة نوعية القيم الممارسة لدى هذه الفئة، قيم تقليدية أم عصرية. تم اتباع المنهج الوصفي المناسب لهذه الدراسة، على عينة قدرها 155 طالب وطالبة من كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة مولود معمري بتizi وزو، والتي اختيرت بطريقة عرضية. وتم الاعتماد على أداتين للفياس، مقاييس ممارسة القيم لـ برنس، ومقاييس توکيد الذات لـ راتسون، المقتنين على البيئة الجزائرية في الدراسة الحالية. وتم تفريغ البيانات وتحليلها بالاعتماد على البرنامج الإحصائي في العلوم الاجتماعية (SPSS). وجاءت نتائج هذه الدراسة لتبيّن وجود علاقة موجبة بين ممارسة القيم وتوكيد الذات لدى الطلبة الجامعيين، عينة البحث. كما بينت كذلك أنّ الطلبة الجامعيين يميلون إلى ممارسة القيم العصرية مقارنة بالقيم التقليدية.

Resume :

The present study aims to examine the link between the practice of values and the assertiveness of university students and the quality of this relationship, whether negative or positive. It also aims to know the quality of the values practiced in this category, traditional or modern values.

The descriptive method was applied to a sample of 155 students from the Faculty of Humanities and Social Sciences of Mouloud Maamri University of Tizi Ouzou, which was randomly selected. Two tools were used to measure, Prince's Values Practice Test and Rathus's Assertiveness Test, which are adapted to the Algerian environment in this study. The data was published and analyzed on the basis of the Social Science Statistical Program (SPSS).

The results of this study showed a positive relationship between the practice of values and assertiveness among university students. He also showed that university students tend to put modern values into practice in relation to traditional values.

مقدمة:

9-8 نوفي بزار، جمهورية صربيا

إن التغير المفاجئ الذي تميز به الحضارة الحديثة وانتشار الصناعة والوسائل التكنولوجية، والتسابق والتنافس على الملكية الفردية ساهم في انتشار النفعية والمادية والأنانية لدى أجيال اليوم، ما ساهم في تدهور منظومة القيم لديهم، خاصة لدى فئة الشباب منهم الطلبة الجامعيين الذين يعول عليهم بناء وقيادة المجتمعات وتلاحمها واستمراريتها حلقاً وحلقاً.

فالاهتمام بمنظومة القيم لدى الطلبة انطلاقاً مما يسود مجتمعاتنا من معتقدات وأفكار وعادات وتقالييد وممارسات سلوكية يبدو ضرورياً أكثر من أي وقت مضى، لما لهذه الأخيرة من أهمية في تشكيل شخصية الشاب وبناء الثقة في نفسه، وتكوين صورة واضحة عن ذاته تجعله على قدرة في توكيدها والاعتزاز بها في ضل عالم متناقض.

١- إشكالية البحث:

يشهد مجتمعنا العربي المعاصر تغيرات اجتماعية واسعة النطاق من حيث عمقها واتجاهاتها ونتائجها، وليس من شك أن أكثر ما يعني به المنشغلون بالمسائل النفسية والاجتماعية هو كيف نستطيع أن نخضع هذه التغيرات لتوجيههم في تحقيق مزيد من التقدم والنمو والإشباع لحاجات الجماهير العريضة في هذا المجتمع. (محمد شفيق، 2003، ص 58)

هذه التغيرات السريعة أحذثت تغيرات في مختلف جوانب حياة الفرد حيث شملت مجال الأسرة والعمل والحياة الاجتماعية وال المجال التربوي والدراسي، وأدت إلى حدوث تغيراً في أساليب حياة الأفراد إذ تغيرت العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وكذا الفرد وأسرته، وانعكس على قيم الأفراد وسلوكياتهم وأنماط تفكيرهم، حيث طغى الجانب المادي على تفكير الأفراد وتدور النسق القيمي، كما اختفت القيم الإيجابية مثل حب الناس والتعاطف والإيثار والشجاعة في مواجهة الحق وغيرها بدلاً منها ظهرت قيم مستوردة وغريبة عن مجتمعنا مثل الرياء والنفاق والنفعية وغيرها وأصبح التفكك الخلقي والابتعاد عن حياة الصواب هو الطابع الذي اتسم به العصر الحديث، كما أدت هذه التغيرات إلى حدوث تفكك في الروابط الأسرية والعلاقات وتفاقمت المشكلات الاجتماعية وصاحب ذلك ارتفاع معدلات القلق والاضطرابات النفسية والانحرافات السلوكية بين الأفراد وزادت الضغوطات النفسية والتوترات. (طه عبد العظيم حسين، 2004، ص 9)

إن هذا التغير المفاجئ الذي تميز به الحضارة الحديثة وما صاحبه من قتال وكفاح في سبيل الحصول على لقمة العيش أهدر كثير من القيم والمثل التي كان الناس لا يحيدون عنها إلا في الحالات النادرة (أحمد رجب الأسمري، 1997، ص 59)، إذ بات هذا الواقع الاجتماعي الذي يروج فيه كثيراً من القيم الدخيلة يفرض على الشخص أنماطاً من السلوكات يسعى من خلالها إلى تحقيق نوع من التوافق والانسجام مع التغيرات الثقافية والاجتماعية ومع متطلبات المعاصرة، ولكن هذا المسعى قد يتربّع عنه توترات وصراعات يمكن أن تخلّ بوحدة الفرد واستقراره النفسي بسبب المعايير الثقافية المتناقضة، فقد تكون عملية التوافق أمراً سهلاً يقوم به الفرد دون

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

مشقة أو عناء، وقد تكون في أحيان أخرى أمرا شاقا، فإذا لاقت رغبات الفرد تعارضا مع قيم المجتمع فهذا يؤدي إلى خلق عائق في سبيل تحقيق الدوافع كما في حالات الصراع النفسي. (بركات، 1984، ص 324)

تفيد معرفة القيمة في فهم الشخصية وفي تشخيص الاضطرابات النفسية، إذا تعتبر القيمة من المفاهيم الأساسية في جميع مجالات الحياة وكافة جوانب النشاط الإنساني وهي ضرورة اجتماعية باعتبارها معايير وأهداف نجدها في المجتمعات باختلاف مستوياتها الحضارية. (بشير معمري، 2007، ص 45، 47)، لهذا يعد غرس القيمة في النشء أحد الأهداف الرئيسية التي يجب أن تعني بها التربية ذلك أن الفرد الذي يفقد قيمة يفقد اتزانه، فالقيمة بالنسبة للمجتمع كأعمدة البناء التي تحمل البناء، فغرس القيمة ضرورة فردية واجتماعية في آن واحد. (احمد الشافعي، 1971، ص 73)

يكسب الفرد قيمه إبتداءا من الأسرة والمدرسة، فجماعة الأقران ووسائل الإعلام والجامعة والمهنة والتخصص ووسائل فرعية أخرى ضمن المجتمع. وكل هذه الوسائل تستقي قيمها من ثقافة المجتمع الذي بدوره يتلخص من ثقافات أخرى بحدود معينة، حيث يعيش الطالب بين الأسرة والجامعة والمجتمع كإبن وطالب وكمواطن من خلال علاقاته مع الأفراد وتفاعلاته معهم من أجل تحقيق أهدافه وإشباع حاجاته.

الجامعة مؤسسة تربوية رسمية يستكمل فيها الطالب نموه وهو يتفاعل مع مدرسته وزملائه ويتأثر بالمنهج الدراسي وتنمو شخصيته في كافة جوانبها. (الأشول، 1987، ص 76)، وصارت مؤسسة إنتاج للفكر والعلم والمعرفة والقيم والاتجاهات، فهي تعمل ليل نهار في سباق مع الزمن لتأثير من خلال البحوث بمعرفة أسباب حدوث الظواهر الطبيعية والإنسانية للاستفادة من هذه المعرفة من أجل تحقيق التطور الاقتصادي والاجتماعي. (بشير معمري، ب س، 136، 135)، إذ يتأثر الطالب الجامعي خلال هذه المرحلة الجامعية، بالعديد من المشكلات النفسية والاجتماعية كالرغبة في إثبات الذات أو تحقيق الاستقلالية الشخصية أو الاعتماد على النفس ومواجهة الحياة بكل ثقة واقتدار، الواقع يظهر أن تلك المشكلات النفسية والاجتماعية تعكس نفسها مستويات الذات لدى طلبة الجامعة. (انس صلح الضالعين، 2011، ص 18)، إضافة إلى أعباء الدراسة ونوعيتها ومدى المواجهة بينها وبين الميول والقدرات وما يواجهونه في الواقع، كل هذا يؤثر على توكيده الذات لديهم. (فوزي بن محارب المحيطري، 2009، ص 74)

وعليه جاءت الدراسة الحالية لمعرفة علاقة القيمة لدى الطالب الجامعي بتوكيد الذات، وذلك من خلال التساؤلات التالية:

- هل توجد علاقة بين القيمة وتوكيد الذات لدى الطالب الجامعي؟
- ما نوع القيم الممارسة من طرف طلبة الجامعة (عصيرية وتقلدية)؟

2- فرضيات البحث:

- توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين ممارسة القيم وتوكيد الذات لدى الطالب الجامعي.
- الطلبة الجامعيون يميلون إلى القيم العصرية.

3- تحديد المفاهيم الأساسية إجرائياً:

3-1- القيم: هي المعايير التي تتحكم في تصرفات الإنسان وتصوراته، فتوجه سلوكه في الحياة وفقاً لمعطياته، مما يساعد على تشكيل شخصيته وتحديد هويته التي تميزه عن الآخرين.

3-2- توكيد الذات: هو تعبير الفرد عن ذاته والدفاع عن حقوقه دون المساس بحقوق الآخرين، وقيامه بتصرفات تؤدي إلى تحقيق مصالحه وحاجاته مع مراعاة القيم والمعايير.

3-3- الطالب الجامعي: الطالب الجامعي هو طالب علم ويعد أحد مكونات الجامعة حيث يسمح له الانتقال من المرحلة الثانوية إلى المرحلة الجامعية وفق عدّة معايير حيث تكون له حرية اختيار التخصص الذي يريده وفقاً لميوله ورغباته فهو يسعى للحصول على المعرفة في أحد الفروع التي يُود اختيارها.

4- أهداف الدراسة:

ترتکز هذه الدراسة بشكل رئيسي على تحقيق الأهداف التالية:

- التعرف على العلاقة في ممارسة القيم بتوكيد الذات لدى الطالب الجامعي.
- التعرف على نوع القيم الممارسة من طرف طلبة الجامعة (عصيرية – تقليدية).

5- أهمية الدراسة:

إنّ دراسة القيم من أهم الدراسات النفسية الاجتماعية، باعتبار القيم إحدى المحددات الهامة للسلوك الفردي والاجتماعي على السواء، ذلك أنّ القيم جزء لا يتجزأ من الإطار الحضاري والثقافي للمجتمع، ومعرفتنا بقيم مجتمع ما تجعلنا نتعرف على الأيديولوجية والفلسفة العامة لهذا المجتمع لأنّ القيم ما هي إلا إنعكاس للأسلوب الذي يفكر به الأشخاص في ثقافة معينة وفي فترة زمنية معينة.

معرفتنا لقيم المجتمع تفيد بالنسبة للتربية والتعليم في وضع برامج تربوية أخرى لتغييرها إذا كانت قيمًا غير مرغوبة، وتوقع كذلك القيم التي سيعلمها المعلمون للتلاميذ من خلال أدائهم العملية التعليمية.

معرفتنا لقيم المجتمع يجعلنا نتبناً بالقيم التي سينشئ عليها الآباء أبنائهم والميول والتفضيلات والالتزامات التي ستوجه سلوك الأبناء في المجتمع.

تعتبر القيم ذات أهمية بالغة بالنسبة للفرد والمجتمع فهي دعامة أساسية تسهم في تكوين شخصيات متكاملة ومتمنية ومتواقة، كما تزود أفراد المجتمع بمعنى الحياة وبمعنى الوحيدة ومن ثم الرقي بمجتمعهم.

من خلال ملاحظات الباحث الميدانية ظهر جلياً أن القيم لدى الطلبة تراجعت وتغيرت بشكل لافت في المجتمع العربي عامة والمجتمع الجزائري خاصة مما كانت عليه في السابق، فبذلك بترت أهمية الاهتمام بهذه الشريحة الاجتماعية التي تنتهي إلى فئة الشباب وتعاني مشكلات وأزمات عديدة في هذه المرحلة العمرية منها مستوى توكيدهم لذاتهم، وصراع القيم....، فهذا القطاع الشابي يحمل على عاتقه مسؤولية التنمية والنهوض بالبلاد في الحاضر والمستقبل إذا كان يتمتع بصحة نفسية جيدة.

وتبرز أهمية هذه الدراسة كذلك فيما تسفر عليه من نتائج تساهمن في معرفة مدى ارتباط القيم بتوكيد الذات، وقد تفيد في نواحي العلاج النفسي والإرشاد والتوجيه وكيفية التعامل مع الطلبة وإعادة استبصارهم بأنفسهم وقيم مجتمعاتهم وصولاً إلى تحقيق الصحة النفسية والدراسية.

6- منهج البحث:

اختلاف المواضيع المدروسة يقود إلى اختلاف الوسائل المستعملة في البحث عن الحقيقة، فأيّ باحث يريد القيام بدراسة معينة حول موضوع معين يتوجب عليه اختيار المنهج المناسب للدراسة. ويكون اختيار المنهج حسب طبيعة الموضوع.

المنهج يعني مجموعة من القواعد التي يتم وضعها قصد الوصول إلى الحقيقة في العمل وهو الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته لاكتشاف الحقيقة.

لوصف الظاهرة التي نحن بقصد البحث عنها، استخدمنا المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتبر طريقة من طرق التحليل والتفسير بشكل علمي منتظم من أجل الوصول إلى أعراض محددة وذلك بوضعها وتطويرها كمياً عن طريق جمع البيانات وإخضاعها للدراسة الدقيقة.

فالدراسات الوصفية تستهدف تقرير خصائص مشكلة معينة ودراسة ظروفها المحيطة بها أي كشف ارتباطاتها الأخرى، بهدف وصف الظاهرة وصفاً دقيقاً شاملـاً من كافة جوانبها ولفت النظر إلى أبعادها المختلفة. (محمد بوعلاق، 2009، ص 18)

7- مكان وزمان إجراء البحث:

1-7- مكان إجراء البحث:

لقد تم إجراء البحث الحالي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية التي تقع بالقطب الجامعي "تمادة"، الملحق لجامعة مولود معمري لولاية تizi وزو، الجزائر.

9-8 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

يقع القطب الجامعي "تمادة" بدائرة "واقنون" التي تبعد عن مقر ولاية تizi وزو بحوالي 16 كلم، وقد افتتح هذا القطب الجامعي سنة 2009، ويشمل على عدّة تخصصات من بينها: العلوم الإنسانية والاجتماعية، علوم الطبيعية والأرض، الهندسة المعمارية، الطب... إلخ.

7- زمان إجراء البحث:

أجريت الدراسة هذه خلال السنة الجامعية (2017-2018)، وبذلك بتوزيع أدوات البحث (مقياس القيم، ومقياس توكييد الذات) على عينة الدراسة الأساسية.

8- عينة البحث:

لقد اعتمدنا على الطريقة العرضية في اختيار عينة البحث، وهي جزء من المجتمع الإحصائي الذي يمثل المجتمع أحسن تمثيل، ويختلف حجم العينة حسب أهمية الدراسة، وحسب الإمكانيات المادية والبشرية المتاحة للقيام بهذه الدراسة.

بلغ حجم عينة بحثنا 155 طالب وطالبة يدرسون بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الواقعة بالقطب الجامعي "تمادة"، الملحق لجامعة مولود معمرى لولاية تizi وزو، الجزائر، وذلك في مختلف تخصصات هذه الكلية.

وتتميز هذه العينة بالخصائص الممثلة في الجداول أدناه:

8-1- خصائص عينة البحث حسب الجنس:

جدول رقم (01): توزيع عينة البحث حسب الجنس

الجنس	النوع	النسبة المئوية
ذكور	63	%40,64
إناث	92	%59,36
المجموع	155	%100

نلاحظ من خلال الجدول رقم (01) أنّ عدد الذكور يقدّرون بـ 63 طالب أي بنسبة %40,64، وهم أقلّ من عدد الإناث التي يقدّرن بـ 92 طالبة أي بنسبة %59,36.

فنسبة الإناث تفوق نسبة الذكور، وهذا يعود إلى تزايد عدد الإناث بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بصفة خاصة، وبجامعة مولود معمرى بصفة عامة مقارنة بعدد الذكور.

8-2- خصائص عينة البحث حسب السن:

جدول رقم (02): توزيع عينة البحث حسب السن

الفئات	التكرار	النسبة المئوية
[22-19]	55	%35,48
[24-22]	60	%38,70
[26-24]	40	%25,82
المجموع	155	%100

نلاحظ من خلال الجدول رقم (02) أن أعمار الطلبة تتراوح ما بين 19 إلى 26 سنة حيث أن عدد الطلبة الذين تترواح أعمارهم ما بين [19-22] سنة يقدر بـ 55 طالب وطالبة أي بنسبة 35,48%， والطلبة الذين تتراوح أعمارهم ما بين [22-24] سنة يقدر بـ 60 طالب وطالبة أي بنسبة 38,70%， أما بالنسبة لعدد الطلبة الذين تترواح أعمارهم ما بين [24-26] سنة تقدر بـ 40 طالب وطالبة أي بنسبة 25,82%.

٩- أدوات البحث:

تم الاعتماد في هذا البحث على مقياس القيم ومقياس توکيد الذات، والذين يتميزان بما يلي:

١-٩- مقياس القيم:

١-١-٩- نبذة عن مقياس القيم:

وضع بونس (Prince R.) مقياس القيم وسماه ، ونقله جابر عبد الحميد (1977) إلى اللغة العربية، ويكون من 64 زوجا من العبارات تدور حول أشياء قد يرى الفرد أنّ من الواجب عملها أو الشعور بها أو من غير الواجب عملها أو الشعور بها، ويكون كل عنصر من الأربع وستين من عبارتين على المجيب أن يختار واحد منها، إحداهمما تمثل قيمة تقليدية (Traditional) أخرى تمثل قيمة منبثة أو عصرية (Emergent). ويتحدد اتجاه المجيب عن المقياس بغلبة القيم المنبثة أو الأصلية باختياره لأربعة وستين عبارة تمثل قيمة من بين 128.

١-٢- تصحيح مقياس القيم:

بعد أن يختار الطالب عبارة من العبارتين في كل فقرة إما (أ) أو (ب)، يضع علامة (X) أمام العبارة التي يختارها. يصحح الاختبار وتحسب كل عبارة تمثل القيمة التقليدية بدرجة واحدة أي أن أعلى درجة في الاختبار هي 64 واقل درجة هي صفر.

إذا اختار الشخص العبارات الدالة على القييم التقليدية جميعاً يحصل على النهاية العظمى 64، وإذا اختار جميع العبارات الدالة على القييم العصري يحصل على درجة الصفر، وعلى الرغم من أن هذه الدرجات ممكنة إلا أن الفرد عامة يختار عدداً من هذه العبارات وعددًا من تلك العبارات.

١-٣-٣- الخصائص السيكومترية لمقياس القييم:

تم إعادة حساب الخصائص السيكومترية لمقياس القييم في البحث الحالي وذلك بحساب الصدق والثبات، وذلك كما هو موضح فيما يلي:

أ- حساب صدق مقياس القييم: يقصد بالصدق أن يقيس فعلاً القدرة أو السمة، الاتجاه أو الاستعداد الذي وضع الاختبار لقياسه، أي يقيس فعلاً ما يقصد أن يقيسه. (فيصل عباس، 1996، ص 22)

- **صدق المحكمين:** للتحقق من صدق المقياس تم عرضه على عدد من المحكمين المتخصصين في علم النفس من أساتذة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية الواقعة بالقطب الجامعي "تامدة"، الملحق لجامعة مولود معمرى لولاية تizi وزو، وطلب منهم الحكم على مدى ملائمة فقرات مقياس ممارسة القيام، ومدى سلامته ووضوح عباراته. وبعد الاطلاع عليها من طرفهم أبدوا رأيهم وملاحظاتهم حول المقياس، أعربوا في مجلهم عن صدق المقياس.

- **الصدق الذاتي:** يحسب الصدق الذاتي للاختبار بحساب الجذر التربيعي للثبات. (بشير معمرية، 2009، ص 198)

$$\text{معامل الثبات} = 0.84$$

$$\text{الصدق الذاتي} = 0.92$$

وتعبر النتائج المتحصل عليها أن مقياس القييم يتميز بصدق عال.

ب- حساب ثبات مقياس القييم: يقصد بالثبات قدرة الأداة على تقدير السلوك الذي لا يتغير بتغير الظروف والزمن. والمقياس الثابت هو الذي ينتج قيمة متساوية إذا ما تكرر إجراءه عدّة مرات. نقول أن المقياس ثابت إذا كانت نتائجه مستقرة بتكرار تطبيقه عبر الزمن. (محمد مزيان، 1990، ص 55)

وتم الاعتماد في الدراسة الحالية في حساب الثبات على طريقة ألفا كرونباخ، وطريقة التجزئة النصفية بالاعتماد على معامل برسن، وتعديل النتيجة بمعامل سبيerman براون، وكذلك بطريقة معامل فوتمان.

جدول رقم (03): قيم معامل الثبات لمقياس القيم

درجة الثبات	الاختبارات
0.73	معامل ألفا كرونباخ

0.84	معامل سبرمان براون
0.81	معامل فوتمان

من خلال الجدول رقم (03) يتضح أن قيمة ألفا كرونباخ لمقياس القيم وصلت إلى 0.73، وكانت قيمة الثبات بمعامل سبرمان براون وصلت 0.84، وبلغت قيمته بمعامل فوتمان 0.81، وعليه نستنتج أن قيم الثبات عالية ومرتفعة، مما يؤكد على تمتع مقياس القيم بمستوى جيد من الثبات.

إن النتائج المتحصل عليها من خلال حساب الصدق والثبات جعلتنا نطمئن لاستخدام مقياس القيم في الدراسة الأساسية، فالبالي اعتمدناه وطبقناه على العينة الدراسية.

9-2- مقاييس توكييد الذات:

9-2-1- نبذة عن مقاييس توكييد الذات:

وضع راتوس (**Rathus**) مقاييس توكييد الذات عام 1978، وتم ترجمته إلى اللغة العربية من طرف محمد الشناوي عام 1986 بالمملكة العربية السعودية، وقد تم تقنيته على طلبة الجامعة. استخدم هذا المقياس في دراسات عربية عدّيدة، فضلاً عن أن المقياس في صورته الأجنبية ما زال يستخدم حتى الآن في كثير من البحوث والدراسات، كما أنه يتمتع بخصائص سيكومترية جيدة، ويكون من 29 عبارة تقسيس السلوك التوكيدية. (مهدى العوض، 2017، ص 51)

يتتألف مقياس توكييد الذات من (29) عبارة والمطلوب منك أن تقرأ تلك العبارات ووضع إشارة (X) في المكان المناسب على ورقة الإجابة من بين الإجابات الستة التالية: تعبر عنِي تماماً، تعبر عنِي، تعبر عنِي إلى حدّ ما، لا تعبر عنِي إلى حدّ ما، لا تعبر عنِي، لا تعبر عنِي على الإطلاق.

9-2-1- تصحيح المقياس مقاييس توكييد الذات:

العلامة الكلية على المقياس تتراوح بين (+87)، و(-87)، ويمكن الحصول على العلامة الكلية للمقياس بتغيير إشارة كل العبارات المتبقية (*). وإضافة علامة هذه الفقرات لباقي الفقرات.

مثال: إذا كانت إجابة عبارة متبوءة بنجمة (+2) ضع إشارة (-) قبل الاثنين، وإذا كانت إجابة عبارة متبوءة بنجمة (-3) غير إشارة السالب إلى إشارة (+) لتصبح (+3).

العلامة على كل بعد من أبعاد المقياس يمكن الحصول عليها بنفس الطريقة السابقة مع الأخذ بعين الاعتبار عدد عبارات كل بعد.

عرف المستوى المطلوب للتحسن بزيادة في العلامة لا تقل عن (20).

جدول رقم (04): عبارات مقاييس توكييد الذات

العبارات	رقم العبارات
العبارات السالبة المتبوعة بنجمة (*)	-16-15-14-13-12-11-09-05-04-02-01 29-26-24-23-19-17
العبارات الموجبة غير المتبوعة بنجمة (*)	28-27-25-22-21-20-18-10-08-07-06-03

(ناصر الدين أبو حماد، 2008، ص34)

٢-٣- الخصائص السيكومترية لمقياس توكييد الذات:

تم إعادة حساب الخصائص السيكومترية لمقياس توكييد الذات في البحث الحالي وذلك بحساب الصدق والثبات، وذلك كما هو موضح فيما يلي:

A- حساب صدق مقياس توكييد الذات: وتم ذلك بحساب صدق المحتوى (صدق المحكمين) والصدق الذاتي.

● **صدق المحكمين:** للتحقق من صدق المقياس تم عرضه على عدد من المحكمين المتخصصين في علم النفس من أساتذة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية الواقعة بالقطب الجامعي "تامدة"، الملحق لجامعة مولود معمرى لولاية تizi وزو، وطلب منهم الحكم على مدى ملائمة فقرات لمقياس ممارسة القيام، ومدى سلامته ووضوح عباراته. وبعد الاطلاع عليها من طرفهم أبدوا رأيهم وملاحظتهم حول المقياس، أعربوا في مجلهم عن صدق المقياس، وذلك بالاعتماد على طريقة لوتشي الإحصائية للحصول على معادلة اتفاق المحكمين للعبارة باعتبارها أساسية في قياس المهارة التي تدرج تحته. وقد تم حسابه على

النحو التالي:

$$CVR = \frac{We - \frac{n}{2}}{\frac{n}{2}} \quad CVR = \frac{9 - \frac{10}{2}}{\frac{10}{2}} \quad CVR = 0.80$$

حيث تشير CVR إلى نسبة صدق المحتوى.

اما We : فتعبر عن عدد المحكمين الذين اتفقوا على ان العبارة أساسية في قياس المهارة التي تنتج تحته.

$\frac{n}{2}$: العدد الكلي للمحكمين مقسوم 2.

أسفرت المعالجة الإحصائية لدرجة اتفاق المحكمين أنّ نسبة صدق محتوى الفقرات تتراوح ما بين 0.80 إلى (1) وفي كل دالة عند مستوى 0.05، وهذا بعد إجراء التعديلات المناسبة في ضوء ما أبدوه من مقتراحات وتوجيهات.

● **الصدق الذاتي:** يحسب الصدق الذاتي للاختبار بحسب الجذر التربيعي للثبات.

معامل الثبات = 0.96

الصدق الذاتي = 0.98

وتعبر النتائج المتحصل عليها أن مقياس توكيد الذات يتميز بصدق عال.

بـ- حساب ثبات مقياس توكيد الذات:

وتم الاعتماد في الدراسة الحالية في حساب الثبات على طريقة ألفا كرونباخ، طريقة التجزئة النصفية بالاعتماد على معامل برسن، وتعديل النتيجة بمعامل سبيرمان براون.

جدول رقم (05): قيم معامل الثبات لمقياس توكيد الذات

درجة الثبات	الاختبارات
0.96	معامل ألفا كرونباخ
0.89	معامل سبيرمان براون

من خلال الجدول رقم (05) يتضح أن قيمة ألفا كرونباخ لمقياس القيم وصلت إلى 0.96، وكانت قيمة الثبات بمعامل سبيرمان براون وصلت 0.89. وعليه نستنتج أن قيم الثبات عالية ومرتفعة، مما يؤكد على تتمتع مقياس القيم بمستوى جيد من الثبات.

إن النتائج المتحصل عليها من خلال حساب الصدق والثبات جعلتنا نطمئن لاستخدام مقياس توكيد الذات في الدراسة الأساسية، فالبتالي اعتمدناه وطبقناه على العينة الدراسية.

10- عرض وتحليل ومناقشة نتائج البحث:

بعد تطبيق مقياس "القييم" ومقياس "توكيد الذات"، تم جمع المعطيات وفرزها وفق الإطار المنهجي المحدد ثم تبويب البيانات في جداول.

10-1- عرض وتحليل ومناقشة نتائج الفرضية الأولى:

ولقد كانت تنص على أنه:

"توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين ممارسة القيم وتوكيد الذات لدى الطالب الجامعي".

للتتحقق من صحة هذه الفرضية قمنا باستخدام معامل ارتباط بيرسن لاختبار طبيعة العلاقة بين الدرجات التي تحصل عليها أفراد العينة على مقياس القيم والدرجات التي تحصلوا عليها على مقياس توكيد الذات. وذلك لدى عينة من طلبة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة مولود معمري، تizi وزو.

هذا وقد جاء معامل الارتباط بين ممارسة القيم وتوكيد الذات بعد إخضاع معطيات الدراسة العددية للمعالجة الإحصائية كما هو موضح في الجدول التالي:

الجدول رقم (06): معامل الارتباط بين ممارسة القيم وتوكيد الذات.

العينة	متغير الدراسة	قيمة معامل الارتباط	مستوى الدلالة المحسوبة	مستوى الدلالة المعتمدة	القرار
ممارسة القيم توكيد الذات	0.60	0.003	0.01	توجد علاقة دالة	155
	توكيد الذات				

نلاحظ من خلال الجدول رقم (06) أن مستوى الدلالة المحسوب والمقدر بـ (0.003) أصغر من مستوى الدلالة المعتمد والمقدر (0,01)، مما يؤكد أن المتغير المستقل يؤثر في المتغير التابع، وهذا يعني أنه توجد علاقة دالة إحصائية بين متغيري الدراسة، أي بين متغير ممارسة القيم ومتغير توكيد الذات. ويظهر ذلك من خلال قيمة معامل الارتباط التي تساوي 0.60.

أثبتت إذن نتائج الفرضية الأولى وجود علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين ممارسة القيم وتوكيد الذات لدى الطالب الجامعي، وهذا يتضح من خلال النتائج الموضحة في الجدول رقم (06)، وجاءت هذه العلاقة موجبة، بمعنى ممارسة القيم يتناسب تناصياً طردياً مع توكيد الذات لدى طلبة عينة الدراسة.

فالقيم تكتسي أهمية بالغة في تكوين شخصية الفرد وتبني دعائمه، وتجعل منه إنسان متواافق مع نفسه ومع مجتمعه، يسعى جاهد لخدمته لما فيه صلح لنفسه، لأسرته، ولكل أفراد مجتمعه بصفة عامة، مما يجعله أكثر توكيداً لذاته وهوبيته الداخلية، لأن القيم كما عرفتها الباحثة إليوت (Elliott C., 1999) هي: "المادة التي بنىّت من هوّيّاتنا".

وتقول أوديل جينوز (Odile Geinoz, 2016) أن القيم هي معتقدات عميقа الجذور فينا والتي تفسّر دوافعنا ويمكن استخدامها لفهم احتياجاتنا بشكل أفضل. وهي أي القيم هي التي توجه خيارات أنماط حياتنا، وسلوكياتنا، وأفعالنا.

فالقيم ليست تفاهات ورثناها من حقب ماضية، وإنما تعبر مفرداتها القوية والمصممة عن قناعات عميقه حول توجهاتنا المعيارية وعلى ما يجب أن نفعله. (A. Edel, 1988)

وهي متعلقة بالأسرة والمدرسة ودور العبادة والمؤسسات الأهلية التي تدعم القضايا الاجتماعية، حيث إن القيم ترتبط بالأفكار والمبادئ والاتجاهات المقبولة في المجتمع في توضيع الطرق والوسائل المختلفة التي يجب أن

يسلك في ضوئها الطالب حتى يحقق أهدافه. لأن توکيد الذات ما هو إلا التعبير الملائم عن أي افعال نحو موقف وأشخاص والتعبير الصادق والمباشر عن الأفكار والمشاعر الشخصية، فالسلوك التوكيدی، سلوك متصل بالعلاقات الشخصية وذلك من خلال التساوي والتواافق بين المشاعر الداخلية والسيكولوجية الظاهرة والقدرة على التواصل مع الآخرين بطريقة كيفية، والذي يتداخل مع مواضيع أخرى (كالحاجات، الدوافع، الاهتمامات، المعتقدات، الاتجاهات، مستوى الطموح، التنشئة الاجتماعية، التوافق الانفعالي..الخ).

بيّنت دراسات علم النفس أنّ هناك ارتباط وثيقاً بين القييم والشخصية، فإذا عرفنا قيم الشخص فإننا نعرف شخصيته جيداً، فالقييم تعتبر تفسيراً للسلوك، وهي من أهم الوسائل التي تزيد فهمنا للشخصية الإنسانية وتمكننا من تفسير الاختلافات في السلوك. ويمكن ربطه أيضاً بالسمات الشخصية.

جاءت دراسة فتحي مصطفى الزيات (1990) لتبحث عن العلاقة بين النسق القييمي ووجهة الضبط والدافعة للإنجاز لدى عينة من طلاب جامعة المنصور، وقد أشارت نتائج البحث إلى عدم وجود فروق دالة إحصائياً بين دافعة الانجاز ووجهة الضبط على القييم المست وهي قيم سياسية، اجتماعية، اقتصادية، جمالية ونظرية.

هدفت دراسة أمين سعد (2003) إلى وقوف على أثر استخدام الانترنت على القيم والاتجاهات الأخلاقية للشباب الجامعي والتي توصلت إلى أنّ حوالي 74% من الشباب يعتقدون أنّ هناك مخاطر أخلاقية للانترنت، وهناك استخدام من طرف الشباب للموقع الإباحية والمحادثة وتحميل الأغاني واللغمات والانضمام لجماعات عالمية مشبوهة وقد جاء التوفيق على رأس الموضوعات. (مخلوف بومدين، 2010، ص 23)

جاءت دراسة بنت علوى هاشم الخصاب (2004) نقلًا عن إبراهيم حمد المبرز (2011)، لتبيّن الاتجاهات نحو التغيير الذي قد يحدث في القيم نتيجة مشاهدة القنوات الفضائية، وهذه القيم هي (قيمة العلاقات الأسرية، قيمة التفكير الاجتماعي، التعاطف، القيم المتعلقة باختيار المهنة، الصدقة، والسلوك الاستهلاكي الاجتماعي).

10-2- عرض وتحليل ومناقشة نتائج الفرضية الثانية:

ولقد كانت تنص على أنه: " الطلبة الجامعيون يميلون إلى القيم العصرية "

للحقيق من صحة هذه الفرضية قمنا باستخدام النسب المئوية لمجموع عينة البحث المتمثلة في طلبة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة مولود معمري، تizi وزو، بالنسبة لمتغير ممارسة القيم، والنتائج كما هي موضحة في الجدول التالي :

الجدول رقم (07): مدى ممارسة الطلبة للقيم العصرية والتقليدية

المجموع		القيم الحديثة		القيم التقليدية	
النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة المئوية	العدد

المئوية		المئوية			
%100	155	%59.5	63	%40.5	92

يتضح من خلال الجدول رقم (07) أن 92 من طلبة عينة البحث أي ما يعادل 40.5 % يمارسون القيم التقليدية، و63 من طلبة عينة ما يعادل 59.5 % يمارسون القيم العصرية، وهذا يعني أن الطلبة الجامعيين يميلون إلى ممارسة القيم العصرية أكثر من القيم التقليدية.

توصلت إذن نتائج الفرضية الثانية أن الطلبة الجامعيين يميلون إلى ممارسة القيم العصرية بنسبة أكبر من القيم التقليدية، وأنهم يحبون الإستمتاع بالحياة وبكل ملذاتها وبالحاضر، والاستمتاع بالصحة والأصدقاء والاختلاط مع الآخرين، ويتميزون بالتساهل في العمل بدلاً من التشدد بالخلق، والاهتمام والقلق من أجل المستقبل، والانضباط الأخلاقي والديني وذلك توافقاً مع المرحلة العمرية الدراسية التي يعيشونها وهي المرحلة الجامعية.

وتتميز هذه الفئة العمرية بمرحلة المراهقة المتأخرة (19-26 سنة) وبداية مرحلة الرشد، لذا نجد عندهم بعض سلوكيات المراهقة المتأخرة، ولا يبدون بعد إهتمام في تحمل المسؤوليات الاجتماعية (العمل، تكوين الأسرة، الأولاد...الخ). كما أن الجامعة مجال مفتوح وعالم جديد للاستكشاف والتثقيف بالنسبة للطالب، ومناخ لاستعمال وسائل وتقنيات مفتوحة جديدة (الإنترنت، التواصل مع العالم الخارجي...الخ) مما جعل الطلبة يفضلون القيم العصرية على التقليدية لأنها توافق أكثر عصرهم وطموحاتهم، وهذه النتيجة تتفق مع ما توصلت إليه بعض الدراسات من بينها دراسة ستيفان لو (Lou Setoung, 1992) التي تعطي فكرة عن القيم السائدة لدى الطلبة في المجتمع الصيني، وأظهرت نتائج هذه الدراسة التفصيل القيمي للعينة من الطلبة الصينيين، وأن استخدام مسح القيم لروكيش أظهر تشدداً عظيماً على القيم الشخصية، ويتسم بالكفاءة وميل الطلاب لتفضيل نمط الحياة البهيج والمريح والحر في المجتمع، ولقد وجد أن أهم أربع قيم نهاية هي: الحرية والصداقة والسعادة والحياة المريحة، وكانت أقل القيم الغائية في الحب العاطفي الناضج، الأمان القومي، الحياة المثيرة، الخلاص (التطهير من الخطيئة)، والقيم الوسيطة الأربع الهامة في القدرة، المرح، التفتح، العمل، العقلانية، أما القيم الوسيلة الأقل أهمية في المنطقية، التخيالية، النظافة، الطاعة.

قام الباحث هاشم عبد الرحمن (2011) بقياس ثلاثة أنواع من القيم في الجمالية والسياسية والاقتصادية، ثم قياس تفضيلات العينة للقيم العصرية أمام القيم التقليدية، وقدرت اتجاهات القيم العصرية، التي فضلها الشباب وعينة الدراسة من حيث كونها قيم عصرية إيجابية أم سلبية.

من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، أن التفكير في القيم لدى الشباب اليمني كان بشكل كبير، حيث كان العدد الإجمالي للقيم العصرية المنبثقة من قبلهم يساوي (22) قيمة عصرية من أصل (30) قيمة كانت لوضوح البحث، وجدت التفكير القيمي في القيم الاجتماعية بشكل أكبر من القيم السياسية والاقتصادية، وجود ارتباط قوي

بين كثافة القنوات الفضائية وحدوث تغيير قيمي لدى الشباب في القيم الإجمالية والقيم الاقتصادية وأنّ عامل القنوات الفضائية كان أكبر عامل أحدث تغييراً قيمياً.

لكن بالنظر إلى الجدول رقم (06) تبيّن لنا أن هناك نسبة معتبرة من الطلبة 40.5% يميلون إلى ممارسة القيم التقليدية، وهذا أيضاً يعبّر على مدى تمسك أفراد المجتمع الجزائري منهم الطلبة بتقاليدهم الأصلية كون مجتمعنا مجتمع تقليدي بالأصل رغم التطور والاحتراك بالعالم الخارجي، وهذا ملاحظ في منطقة القبائل كونها منطقة قروية أكثر، والطلبة مجبرون على التمسك ببعض القيم وممارستها على الأقل أثناء تواجدهم مع الأهل خارج إطار الجامعة، مثل السكن مع الأسرة الممتدة من بعد الزواج والإنجاب، ذلك للعناية بالوالدين، التعاون مع الآخرين في أمور كثيرة، الالتزام بلباس معين (محتشم مع الأهل)، الجانب التراثي، وإذا إتبعنا العلاقات الاجتماعية قبل 20 عام والقيم الجميلة التي كانت مغلقة بالحب والتعاون والمشاركة في الأفراح والآحزان، حيث كان المجتمع كأسرة واحدة لا تهنا أسرة بطعم أو شراب إلا إذا تناوله الجميع، ولا يرتاح بالشخص إذا كان جاره مهموم، حيث كانت المحبة تسود وكان الحقد والحسد مرفوض وكان مستوى الصحة النفسية مرتفع، واليوم للأسف حدث تراجع شديد في هذه القيم بدعوى أعباء الحياة وضغوطاتها التي تجعلنا نبتعد عن صلة أقرب الأقربين، وأيضاً أشكال الاحتفال بالمناسبات، ففي السابق كان يسودها البساطة والعشوائية والسرعة أحياناً، واليوم نجد الاحفلات أخذت طابعاً مختلفاً فهي مادية ومكلفة وتحتاج إلى تحطيط وجهد وحتى المشاركة الوجدانية بها تغيرت واختلفت.

خاتمة:

تعتبر القيم من العوامل الأساسية التي تنبع من داخل شخصية الطالب حيث تؤثر على توكيده ذاته. تلعب دوراً هاماً في تكوين شخصيته، سلوكه، إعادة تشكيل أفكاره، مفاهيمه عن الحياة وكذلك تسمح له بالتبؤ بردود أفعاله وتصرفاته والتعبير عن أرائه لما يجول في خاطره من معتقدات، مشاعر وأحساس. الطالب الجامعي جزء من المجتمع الذي يعيش فيه والذي يشكل شخصيته كما يتأثر بالعوامل، المتغيرات والظروف ذات العلاقة في جوانب الحياة المختلفة. بالرغم من عدم تحقيق الفرضية المطروحة في البحث الحالي جدول إلا أنّ النتائج المتحصل عليها أثبتت مدى وجود تغيير في نسق القيم الممارسة من طرف الطلبة الجامحة في مجتمعنا، حيث أنه أصبح التركيز أكثر على القيم العصرية وهذا طبعاً متماشياً مع متغيرات العصر، رغم تمسك نسبة معتبرة من أفراد عينة البحث بقيمهم التقليدية كون المجتمع الجزائري مجتمع تقليدي رغم العصرنة.

مراجع البحث:

- بركات حليم (1984)، المجتمع العربي المعاصر، بحث إسلاطي اجتماعي إجتماعي، بيروت، الطبعة الثامنة 2004.
- أحمد رجب الأسمري (1997)، فلسفة التربية في الإسلام، دار الفرقان للنشر والتوزيع.
- بشير معمرية (2007)، بحوث ودراسات متخصصة في علم النفس، منشورات الحبر.
- محمد شفيق (2003)، الإضطرابات النفسية للأطفال، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والتعليمية.

9-8 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

- محمد بوعلاق (2009)، **الموجه في الإحصاء الوصفي والاستدلالي في العلوم النفسية والاجتماعية**، الجزائر، دار الأمل للطباعة والنشر.
- طه حسين عبد العظيم (2006)، **مهارات توكيد الذات**، الإسكندرية، الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
- فواز بن محارب المطري (2009)، **توكيد الذات وعلاقته بالتوافق البدنية العسكرية**، رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العلوم الاجتماعية، الرياض.
- مهدي العوض (2017)، **توكيد الذات وعلاقته باتخاذ القرار لدى عينة من طلبة جامعة دمشق**، مجلة جامعة البعث، المجلد 39، العدد 69، ص 37-73.
- Odile Geinoz, **L'IMPORTANCE DES VALEURS**, 15 JANUARY 2016, <http://www.cheminement.com>.
- C. Elliott, 1999, **A Philosophical Disease : Bioethics Culture and Identity**, New York et Londres, Routledge.
- A. Edel, 1988, **Values and Value Theory in Twentieth-Century America**, Philadelphia, Temple University Press.

دور المؤسسات التربوية في تنمية قيم الحوار

أ.د عواريب الأخضر

مخبر علم النفس وجودة الحياة-جامعة قاصدي مرياح ورقلة الجزائر

مقدمة البحث:

من المعلوم منذ القدم أن أي مجتمع تحكمه منظومة قيم تميزه عن بقية المجتمعات وأن هذه المنظومة القيمية تؤثر تأثيرا بالغا في الحياة الاجتماعية ، في جميع مجالاتها ، ومن أهم القيم التي تتشكل منها هذه المنظومة قيم الحوار ، ونقصد بذلك ممارسة الحوار في مختلف التعاملات وفي جميع الأوساط الاجتماعية ، ومن المعلوم كذلك أنه متى شاعت قيم الحوار وووجدت لها انتشارا وتجسيدا بين أفراد المجتمع انعكس ذلك عليه باللحمة والاستقرار وبالتالي النتطور والازدهار وبالمقابل متى غابت هذه القيم وطغت عليها قيم التسلط والاستبداد أدى ذلك لا محالة إلى ضرب وحدة المجتمع واستقراره والنتيجة المحتملة في النهاية هي التخلف والانحدار. ولعل أبرز مثال على ذلك هو حال المجتمعات العربية التي تعصف بها الفتنة والحروب في العديد من البلدان ، ومما لا شك فيه أن من أهم الأسباب التي أفرزت هذه الحال هي غياب ثقافة الحوار أو بعبارة أخرى فإنه لا يمكن تفسير هذه الحالة من التناحر والاحترباب التي تشهدها بعض البلاد العربية بعيدا عن غياب الممارسة الحوارية.

وتلعب المنظومة التربوية إنْ في البيت أو في المدرسة أو في المسجد أو غير ذلك من مؤسسات المجتمع الأخرى دورا بارزا في ترسیخ ثقافة الحوار وإشاعتها بين أفراد المجتمع ، وليس ذلك فحسب بل وتورثها كعنصر من العناصر الثقافية المهمة التي ينبغي أن تنشرها الأجيال صاغرا عن كابر ، وهذه هي في الحقيقة المهمة الأساسية للتربية ، إذ التربية كما يعرفها (دور كايم) أنها العمل الذي تقوم به أجيال الكهول على تلك التي لم تنضج بعد للحياة الاجتماعية وتهدف أساسا إلى تطوير عدد من الملకات الجسدية والفكرية والروحانية والأخلاقية لدى الطفل أي الملకات التي يتطلبها منه المجتمع المدني عامه والوسط الاجتماعي الذي سيعيش فيه خاصة .(بششوب 1991 ص 22) . ولا شك أن من أهم الملకات التي ينبغي أن يتزود بها الفرد من خلال العملية التربوية التي يتلقاها في جميع المؤسسات التربوية ملكرة الحوار والتواصل بصورة ايجابية مع أبناء مجتمعه . وهذا يفيد بأن مجرد وجود مرجعية معينة تتضمن قيم الحوار وتحث عليه لا يكفي لتحقيق هذه الغاية العظمى ، بل لا بد من تجسيد هذه القيم وترجمتها في السلوك الاجتماعي اليومي .

وهذا ما يطرح إشكالية النظرية والتطبيق في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، فنحن نمتلك ثروة هائلة في القرآن والسنة بخصوص قيم الحوار، ولكن هذه القيم تكاد تكون معذومة في حياتنا الاجتماعية بداية من أبسط علاقة

كل تلك العلاقة التي تربط الطفل بوالديه في البيت مروراً بعلاقة التلميذ بمعمله في المدرسة وصولاً إلى علاقة الحاكم بالمحكوم.

أي إننا حينما نعود إلى واقعنا الاجتماعي فإننا نلاحظ نوعاً من الغياب لثقافة الحوار في التعامل اليومي. ففي الأسرة مثلاً ليس هناك تجسيد لقيم الحوار بين الطفل ووالديه وإنما في الغالب هناك أوامر تملئ عليه ليس له الحق في أن يردها أو أن يكون له رأي فيها مع العلم أن الطفل كما ثبتت كثيرة من الدراسات يقتدي بهما في كل شيء بما في ذلك أسلوب الحوار معه خاصة منها تلك الدراسات التي أجريت في مجال القدوة والتي كشفت عن أهمية القدوة في مواقف عديدة من الحياة.

وقد لاحظت سوزان في دراسة لها في هذا المجال أن الأسرة تعتبر من العوامل الأساسية التي تحدث تأثيراً كبيراً على الأطفال ويظهر هذا التأثير خاصة في تشبع بعض الأطفال بقيم الحوار دون غيرهم (صالح عبد العزيز 86)

ونفس الأمر ينطبق على المدرسة فالمناهج الدراسية المعتمدة في مدارسنا اليوم في غالب الأحيان لا تشجع على الحوار داخل المدرسة أو بعبارة أخرى لا زالت المناهج الدراسية في واقعنا التعليمي مقيدة ببحال التربية التقليدية التي تقوم على ما يسمى في علوم التربية بـ(العلاقة التسلطية) بين المعلم والمتعلم والتي تعني أن يكون المعلم هو المهيمن والمسطير على العملية التعليمية وان المتعلم لا دور له في ذلك سوى الاستماع والتلقى .
وما يقال عن الأسرة والمدرسة يقال كذلك عن المسجد كمؤسسة تربوية تؤثر تأثيراً بالغاً في الحياة الاجتماعية .

هذه هي الإشكالية التي نريد معالجتها في هذه الورقة للتأكيد على دور المؤسسات التربوية في تنمية قيم الحوار عند الطفل ومن ثم فإن الأهداف المتداخلة من خلال هذا البحث هي كالتالي :

أهداف البحث : يهدف هذا البحث إلى

إبراز أهمية القيم الحوارية في الحياة الاجتماعية

إبراز دور المؤسسات التربوية الفاعلة في تنمية القيم الحوارية

إبراز دور الأسرة في تنمية القيم الحوارية عند الطفل

إبراز دور المدرسة في تنمية القيم الحوارية عند الطفل

إبراز دور المسجد في تنمية القيم الحوارية عند الطفل

ولمعالجة هذه الإشكالية لقد اعتمدنا الخطة التالية :

أولاً : تعريف الحوار لغة واصطلاحاً

ثانياً : أهمية الحوار في الحياة الاجتماعي على المستوى الفردي وعلى المستوى الجماعي

ثالثاً : دور المؤسسات التربوية في تنمية القيم الحوارية مركبين في ذلك على الأسرة والمدرسة والمسجد باعتبارها المؤسسات الأكثر تأثيراً وارتباطاً بالحياة الاجتماعية .

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

وفيما يخص المنهج المتبعة في هذا البحث فقد اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على دراسة الظاهرة كما هي في الواقع ، ثم ذكر أسبابها وخصائصها وصفاتها ونتائجها ومقدار تأثيرها على الإنسان . هذه هي الإشكالية التي نريد أن نعالجها في هذه الورقة لنؤكد من خلالها على اثر التربية في تنمية القيم الاجتماعية النبيلة التي يسعى كل مجتمع إلى ترسيختها في سلوك أفراده ، كما نؤكد في نفس الوقت على الدور المنوط بالمؤسسات التربوية المتمثلة خاصة في الأسرة والمدرسة والمسجد ، وقبل ذلك يجدر بنا أن نتعرف على مفهوم الحوار وأهميته في الحياة الاجتماعية .

أولاً : مفهوم الحوار :

يعرف الحوار لغة بأنه الرجوع عن الشيء والى الشيء ، وهي دلالة تقترب من دلالة لفظ (حوار) التي تدل على التحادث والتجاوب القولي . (ابن منظور ص 750)
والمحاورة حسن الحوار ، ومنها أيضاً كلامه بما رد على محورة أي كلام (الزمخشري ص 98)
وتتسع دلالة الحوار معجمياً فتكون بمعنى جادله ، ذلك لأن الجدال يعطي فرصة للقول والمراجعة بين المتحاورين ، وتساق هذه المادة إلى معنى آخر هو التغيير فنقول حور الكلام أي غيره .
والحوار حديث يدور بين اثنين على الأقل ويتناول شتى الموضوعات ويفترض فيه الإبانة عن المواقف والكشف عن خبايا النفس . (جبور 1979 ص 100)

أما من الناحية الاصطلاحية فهو نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر أحدهما دون الآخر (الفيفي 1427 ص 30)
ولقد ورد لفظ الحوار في قوله تعالى في سورة الكهف:
« وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثُرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا » الكهف الآية رقم 34 .
وكذلك في قوله تعالى في سورة المجادلة :
« قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ » المجادلة الآية رقم 01 .

ثانياً : أهمية الحوار في الحياة الاجتماعية :

يكensi الحوار أهمية بالغة في حياة الإنسان ، وإننا لا نستطيع أن نتصور حياة إنسانية بدون وجود حوار يحقق ما يسمى بالتفاعل الاجتماعي داخل المجتمع ، ولو لا الحوار الذي يُعد ظاهرة إنسانية لتعطلت الكثير من المصالح التي يسعى الإنسان إلى تحقيقها سواء على مستوى حياته الفردية أو الجماعية ، وبهذا تبرز حكمة الله عز وجل في أنه خلق الإنسان وزوده بالأدلة التي تساعده على التحاوار مع غيره والتواصل معهم، وتمثل هذه الأداة في اللغة التي تولد مع الإنسان كاستعداد فطري ثم ينمو هذا الاستعداد مع نمو الإنسان وتقدمه في السن ليتحول إلى لغة يعتمد عليها الإنسان في عملية التواصل ، ويلعب الحوار دوراً هائلاً في إحالة هذا الاستعداد إلى أداة للتواصل الاجتماعي .

والاهم من هذا أن الحوار لم يعد ينظر إليه على أنه مجرد أداة للتواصل الطبيعي بين الأفراد في المجتمع وإنما بات ينظر إليه على أنه مؤشر للتحضر وعامل من عوامل التطور لأي مجتمع من المجتمعات ، فمتي انتشرت ثقافة الحوار في جميع الأوساط والمؤسسات الاجتماعية ، في الأسرة وفي المدرسة وفي العمل وفي الإدارة ، ومتى مدت جسور الحوار بين الهيئات النقابية وأرباب العمل وكذلك بين الأحزاب ومنظمات المجتمع المدني مع الهيئات الحاكمة ومتى سادت ثقافة التشاور وتبادل وجهات النظر بين جميع الأطراف الفاعلة في المجتمع كانت النتيجة في النهاية هي تحقيق التطور المنشود في شتى مجالات الحياة . يقول بدر بن محمد مؤكدا على هذا المعنى: "ما أكثر الدول التي قفزت قفزات كبيرة في التطور التقني وأصبحت يشار إليها بالبنان عندما تبنت الحوار وآمنت به" (بدر . 2011 . ص 19)

إذا هكذا صار ينظر إلى الحوار على أنه ليس مجرد أداة للتحادث في شأن من الشؤون أو قضية من القضايا وإنما هو قيمة من القيم التي تساهم مساهمة فعالة في تحقيق النهضة الاجتماعية والصناعية معا.

وعلى أية حال يمكن تلخيص أهمية الحوار في النقاط التالية:

1- على المستوى الفردي:

- هو وسيلة للتعبير عن المشاعر والأحاسيس.

- هو وسيلة لنقل الأفكار والانشغالات والاهتمامات.

- يساعد على افتتاح الفرد على الغير والتحرر من الانعزالية التي قد تفضي إلى حالة من الحالات النفسية التي يصعب علاجها.

- يعتبر الحوار عاملا من عوامل نمو الشخصية خاصة في جانبها اللغوي والاجتماعي.

2- على المستوى الجماعي:

- يساعد على تحقيق التألف والتعاون اللذين أمر الله عز وجل بهما في سورة الحجرات حيث يقول :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا حَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكْرٍ وَأُنْشَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاءُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْمٌ حَبِيرٌ » الحجرات الآية رقم 13.

ولاشك أن الحوار هو الأداة التي يتم الاعتماد عليها لتحقيق التعارف بين الناس مهما اختلفت أجناسهم وألسنتهم وأديانهم ومشاربهم الثقافية.

- يساعد على حل الخلافات والنزاعات بين الأفراد والجماعات التي كثيرة ما تنجم عن سوء التفاهم وغياب لغة الحوار.

- يعتبر أداة فعالة لتحقيق التطور والازدهار في جميع الميادين كما بينا سابقا .

وباعتبار أن المؤسسات التربوية الممثلة في الأسرة والمدرسة والمسجد تلعب دورا مهما في تنمية قيم الحوار في الحياة الاجتماعية ، فإننا نريد أن نسلط الضوء على الدور الذي يمكن أن تقوم به كل مؤسسة من هذه المؤسسات للقيام بهذه المهمة وللوصول إلى هذه الغاية العظمى.

ثالثا: دور الأسرة في تنمية قيم الحوار :

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

تعتبر الأسرة المؤسسة الأولى التي تحتضن الطفل وتستقبله بعد عملية الميلاد مباشرة ثم يقضي الطفل بعد ذلك طفولته الأولى التي تمتد إلى ثلاث سنوات تقريباً مرتبطة بأسرته من أجل إشباع حاجاته البيولوجية والنفسية ، ومن المعلوم أن هذه السنوات الأولى التي يقضيها الطفل في أسرته تؤثر تأثيراً بالغاً في تكوين شخصيته . وبؤكد علماء النفس والمربيون على حساسية هذه المرحلة وأهميتها في تربية الطفل وإعداده للمستقبل ، ولقد أثبتت الدراسات النفسية أن كثيراً من الأزمات والاضطرابات التي تصيب الطفل بعد ذلك بأنها ترتبط بشكل أو باخر بنوعية التربية التي تلقاها في الصغر وبالظروف الأسرية التي عاشها وبأسلوب التنشئة الاجتماعية التي عومل بها. وقد أظهرت الدراسات العلمية التي أجريت عن الأطفال الجانحين أن السبب الأساسي في جنوح الأطفال هو تفكك الأسرة إذ أن أكثرية هؤلاء الأطفال إنما يأتون من بيوت تكون فيها الأم مطلقة أو يكون فيها الأب سكيراً أو قليل العناية بيته وأولاده....(حداد 1977 ص 32)

ويختلف دور الأسرة في تربية الطفل بحسب التغيرات التي تحدث في الحياة الاجتماعية ، فلئن كانت الأسرة سابقاً تنفرد إلى فترة طويلة في تربية الطفل وتنشئته اجتماعياً ، فإن الأمر لم يعد كذلك الآن فلقد برزت إلى الوجود مؤسسات أخرى صارت تنافس الأسرة وتشاطرها في هذه العملية ذلك أن التطور الاجتماعي الذي عرفته مجتمعات النصف الثاني من القرن العشرين قد جعل الدور التربوي يتقلص لفائدة مؤسسات اجتماعية أخرى مثل المدرسة ودور الحضانة ورياض الأطفال . (بششوب 1991 ص 167)

يضاف إلى ذلك ما أنتجته التكنولوجيا الحديثة من وسائل مختلفة ومتنوعة صارت هي الأخرى مصدرًا من مصادر التربية والتوجيه وتمثل هذه الوسائل في التلفزيون والقنوات الفضائية المختلفة والإنترنت وموقع التواصل الاجتماعي وغير ذلك من الوسائل التي أصبح الأطفال في سن الطفولة والمرأفة يرتبطون بها ارتباطاً كبيراً ويقضون جزءاً مهماً من الوقت في متابعة ما تبثه من برامج وما تعرضه من مشاهد ونشاطات ، ولا شك أن هذا الوضع افرز الكثير من القيم الاجتماعية التي لم تكن موجودة من قبل والتي أثرت بشكل أو باخر في التعاملات الاجتماعية ، وكان من آثارها الخطيرة غياب لغة الحوار داخل الأسرة مما أدى إلى حالة التفكك والبرودة في العلاقة الأسرية . أمام هذا الواقع وهذه التحديات يصعب على الأسرة أن تقوم بمهمتها المنوطة بها وحدها وإنما هي بحاجة إلى أن تجد دعماً وسندًا من بقية المؤسسات الاجتماعية .

ومهما يكن الأمر يبقى على الأسرة أن تحمل مسؤوليتها وأن تفرض نفسها وأن تتكيّف مع الظروف التي تحيط بها ليكون لها النصيب الأوفر في رعاية أبنائها ووقايتهم مما يتهددهم من الأخطار .

من خلال ما سبق بيانه يتأكد لنا بأن وظيفة الأسرة تجاه أبنائها ليست وظيفة مادية صرفه تقتصر على النفقة وإشباع الحاجات المادية كما هو حال كثير من الأسر الآن ، وإنما تتعذر ذلك إلى العديد من الوظائف الأخرى والتي من أهمها ما يرتبط بموضوعنا وهو أن يتشرب الطفل القيم الاجتماعية النبيلة وان يتعلم كيف يتعايش مع الغير وكيف يتعامل معهم اجتماعياً ، وهذا يتطلب حتماً أن يمتلك قيم الحوار وأن يكون قادرًا على ممارستها بإيجابية في حياته الاجتماعية .

وحتى يتسعى للأسرة إعداد الطفل من هذه الناحية ينبغي أن تبني ممارسة تربوية تقوم على الأسس التالية:

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

1- توفير مناخ أسري مفعم بالحب والمودة والمشاعر الطيبة التي تشجع على التواصل داخل الأسرة ذلك أن قيم الحوار لا تنمو نمواً سليماً ولا تبقي بنا حسناً إلا في مناخ من هذا النوع بخلاف ما إذا كانت الحياة الأسرية تعاني حالة من الاضطراب واللاستقرار فإن هذا يُعد من أكبر العوائق التي تعوق تنمية قيم الحوار عند الأطفال.

2- أن يكون هناك مستوى معيناً من الانسجام والتفاهم بين الزوجين ، بحيث يظهر ذلك في العلاقة الزوجية السائدة ، وفي لغة الحوار التي تبرز في حديثهما ، فيلاحظها الطفل عن كثب ويتعلمها كما يتعلم بقية القيم والعادات ، وهذا ما يسمى في علوم التربية بالتعلم الاجتماعي الذي يعتمد على ملاحظة السلوك كما يجري في الموقف الاجتماعي ثم محاكاته بعد ذلك وهو ما يسمى في التربية الإسلامية بالتعلم عن طريق القدوة.

3- منح الطفل ما يحتاجه من الحرية والأمن وتشجيعه دوماً على الحديث والتعبير عن وجهة نظره ، والتحرر من آثار التربية التقليدية التسلطية التي تقوم على الاعتقاد بأن الطفل لا ينبغي أن يتكلم أو أن يكون له رأي في حضرة من هو أكبر منه ، وأن ذلك يعد من قلة الحياة وسوء الأدب ، كما تقوم على فكرة أن كل ما يقوله الطفل ما هو إلا لغو وليس له قيمة . ولا يعلم الوالدان أن طفل هذه الأيام غير طفل الأيام الماضية ، فلقد استطاعت وسائل الإعلام من المذيع إلى الفيديو والتلفزيون والألعاب الالكترونية إضافة إلى السينما والمجلات تزويد الطفل بحقائق كثيرة عن الحياة بحيث يمكن القول أن طفلاً في العاشرة في أيامنا هذه يعرف من المعلومات والمعارف ما يفوق عشرات المرات ما كان يعرفه رجل راشد عاش في أجيال سابقة . (حمزة 2002 ص 247) . وفي نفس الإطار دائماً ينبغي استغلال بعض المواقف الاجتماعية في إتاحة الفرصة للطفل ليعبر عن نفسه بدلاً من التكلم مكانه كما إذا كان عند الطبيب وسأله عن حاله وعما يؤلمه فالأفضل تربية أن نرفع عنه الوصاية الوالدية وأن ندعه يتكلم بنفسه ، حتى يتدرّب على ممارسة الحوار منذ صغره ، وهكذا الحال بالنسبة لجميع المواقف الاجتماعية التي يكون الطفل فيها قادرًا على التعبير عن نفسه.

4- استشارة الأبناء وإعطائهم الفرصة لإبداء وجهات نظرهم في بعض القضايا والمواضيع التي تتناسب طبعاً مع سنهم ومع مستوى تفكيرهم . ومن الأمثلة على ذلك التشاور معهم في قضايا الدراسة والعمل والزواج وهلم جر من المواضيع التي يقتضي الأمر إشراكهم فيها والإصغاء إلى آرائهم . وهما في القرآن الكريم يضع بين أيدينا مثلاً رائعاً في التربية الأسرية التي تقوم على الحوار والصراحة في إبداء الرأي وهذا نجده في قصة سيدنا موسى كما وردت في سورة القصص وذلك حينما التقى مع الرجل الصالح الذي دعاه ليكافئه على عمله فتدخلت البنت طالبة من أبيها أن يستأجره لما رأته من قوة بدنها وقوه خلقه (أمانته) ولعل هذا العرض كان يعبر عن رغبة البنت في الزواج من هذا الشاب الذي جمع بين قوة البدن وقوة الخلق وهذا ما ترغبه فيه البنت عادة ، فلم يعرض عليها أبوها ولم يعنفها ولم يعتبر ذلك تدخلاً فيما لا يعنيها ، بل إنه عرض مباشرة على نبي الله موسى بأن يُنكحه إياها.

قال سبحانه وتعالى في سورة القصص :

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

« قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ حَيْرَ مِنِ اسْتَأْجِرْتَ الْفَوِيُّ الْأَمِينُ⁽²⁶⁾ (26) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيْ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرْنِي ثَمَانِيَّ عَشَرَ فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشْقَى عَلَيْكَ سَتَجْدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ » القصص الآية رقم 26-27 .

ممارسة الحوار في كل خلاف يحدث سواء داخل الأسرة أو خارجها، فقد يحدث هناك خلاف بين الأب والأم مثلاً أو مع الجيران أو مع الأقارب ، فعندما تسود لغة الحوار في حل النزاعات وتجاوز الخلافات ، فإن ذلك يكون بمثابة التربية والتدريب للطفل حتى يتشرب الثقافة الحوارية من خلال التربية الأسرية ليمارسها بعد ذلك في المواقف الاجتماعية داخل الأسرة وخارجها .

إذا في مثل هذا المناخ الأسري يمكن أن تتعرّع قيم الحوار التي تتطلع إليها الآن في واقعنا الاجتماعي ، وبمثل هذه المعاملة الأسرية يمكننا أن نُعدّ أطفالاً قادرين على التعايش مع غيرهم والتشارك معهم في بناء حياة اجتماعية آمنة ومستقرة يسودها الود والحب والإخاء.

رابعاً: دور المدرسة في تنمية قيم الحوار عند الطفل:

بعد أن يقضي الطفل سنواته الأولى في أسرته بين أحضان والديه وإخوته ، وبعد أن يصل إلى السن الدراسي فإنه يلتتحق بالمدرسة ليجد نفسه في محیط آخر يختلف تماماً عن محیط الأسرة ويجد نفسه مضطراً لأن يتعامل مع أطفال غير الذين كان يتعامل معهم في السابق، ذلك أن المدرسة تضم في العادة أطفالاً من مختلف الأحياء ، يكون الطفل بحاجة إلى أن يبني معهم علاقات اجتماعية تساعد على التعايش معهم في المستقبل .

و المدرسة كما هو معلوم هي مؤسسة نظامية لها أهدافها ومناهجها الدراسية التي تسعى من خلالها إلى بناء شخصية الطفل بما يدهدليكون مواطناً صالحاً في مجتمعه وفي وطنه الكبير.

وإذا كانت المواطننة تحمل العديد من المعاني ، فإن من أهم معانيها أن يتعلم الطفل كيف يتعامل مع غيره باحترام وأن يتسبّع بقيم المحبة والتآلف والتسامح والمساواة... إلخ .

ويندرج ضمن هذه القيم بطبيعة الحال أن يتزود الطفل بالقدر الكافي من الثقافة التواصلية الحوارية التي تمكّنه من الاندماج بسهولة في مجتمعه وبالتالي التعايش بكل ايجابية مع أفراده، ومن أجل تحقيق هذه الأهداف يتنتظر من المدرسة أن تبني منظومة تعليمية تقوم على الأسس التالية:

1- وضع مناهج دراسية تخصص مساحة كافية للمواضيع التي تدعم القيم الاجتماعية وتعزز قيم الحوار وتعلّي من شأنها وتحث على ممارستها في جميع مجالات الحياة ، ويمكن الحديث هنا بصفة خاصة عن المواد اللغوية والمواد الاجتماعية ولا سيما مادة التربية الإسلامية ، فهذه المواد يمكنها أن تبني هذه القيم في شخصية الطفل شريطة أن يتم استغلالها استغلالاً حسناً.

2- اعتماد الطائق التدريسية الحديثة التي تتفق كلها على أن العملية التعليمية بمفهومها الحديث ليست مجرد عملية تلقين للمعارف والخبرات ، وأن المتعلم لا دور له سوى أنه يستقبل ما يلقى عليه من طرف المدرس ليقوم باسترجاعه يوم الامتحان ، وإنما تعتبر المتعلم عنصراً شريكاً في العملية التعليمية وبالتالي فمن حقه أن يتحاور مع معلمه وأن يسأل وأن يستفسر وأن يكون على تواصل دائم مع مدرسه بحيث يكون هذا التواصل مبنياً على الثقة

والمحبة والاحترام المتبادل ، إذ المقصود في العملية التعليمية التي تجري في المدرسة ليس ما يحفظه المتعلم وما يخزنه من معارف في ذاكرته وإنما ما يتجسد بعد ذلك من قيم في سلوكاته وتصرفاته وما يمكن أن يستمره في حياته الخاصة وال العامة . ولذلك فإن من الطائق التدريسية الحديثة المعتمدة في تدريس اللغة ما يسمى بالطريقة التواصلية (Communicative Approach) والتي تسند إلى أن اللغة في حقيقتها سواء كانت أصلية أو أجنبية فإنها تؤدي وظيفة تواصلية .

3- الاهتمام بالأنشطة اللاصفية ويقصد بالأنشطة اللاصفية تلك الأعمال المدرسية التي تجري خارج الفصل الدراسي ، والتي تعطى للمتعلم فرصة أكبر للتعامل مع زملائه والتحاور معهم، ومن الأمثلة على هذه الأنشطة الأعمال المسرحية والأدبية والفنية والرياضية والإذاعية التي تبث عن طريق الإذاعة المدرسية والتي يشرف عليها بطبيعة الحال بعض المدرسين والأساتذة حتى يتم توجيهها لخدمة هذه القيم . ويضاف إلى ذلك المسابقات والمنافسات الثقافية والرحلات المدرسية التي تنظم بين الحين والآخر، وغير ذلك من الأنشطة الأخرى التي يتطلب الأمر إعطاؤها أولوية معينة ، واعتبارها محوراً مهما في المنهاج الدراسي ، والتي يكون القصد منها دوماً كما بینا إتاحة الفرصة للمتعلمين في مختلف المراحل التعليمية ليتدربوا على ممارسة القيم الحوارية داخل المدرسة من أجل الوصول بهم إلى مستوى من الوعي الاجتماعي يؤهلهم لممارسة هذه القيم كما تتطلبها المواقف الاجتماعية وبالتالي الانخراط بسهولة وبياجائية في الحياة الاجتماعية .

4- تجسيد مبدأ الحوار في جميع العلاقات التربوية داخل المدرسة ، بداية بعلاقة المعلم بالمتعلم داخل الفصل الدراسي وخارجه و في علاقة المتعلمين بهيئة التدريس و بالإدارة المدرسية ممثلة في مديرها وأعوانها، وكذلك في علاقة الإدارة مع الهيئات الأخرى مثل جمعية أولياء التلاميذ . ومن المفيد في هذا المجال تنظيم لقاءات دورية تلتقي فيها إدارة المدرسة وهيئة التدريس مع أولياء التلاميذ لمناقشة بعض القضايا التي ترتبط بتدرس التلاميذ وبوضعهم الدراسي ، بحيث يفسح المجال للجميع ل التداول الآراء حول هذه القضايا ، وإبداء وجهات النظر من أجل والوصول في النهاية إلى علاجات للمشكلات التي تحول دون تحقيق الأهداف الدراسية المرجوة.

هذه هي المدرسة المثالية في جميع علاقاتها وتعاملاتها والتي يتشرب فيها الطفل المتعلم قيم الحوار من خلال الممارسة اليومية وليس من خلال التلقين النظري الذي لا يكون له أي أثر في السلوك.

ومما لا شك فيه أن المرشد المدرسي يساهم مساهمة فعالة في تنمية قيم الحوار عند المتعلمين ، وذلك من خلال الحملات الإعلامية الإرشادية التي ينظمها بين الحين والآخر بحسب البرنامج الذي يسيطره في كل موسم دراسي والتي يفسح فيها المجال للتلاميذ ليعبروا عن آرائهم ووجهات نظرهم في كل ما له علاقة بالعملية التدريسية والمناخ التعليمي ليطرحها هو بدوره بعد ذلك في اللقاءات التي تجمعه مع هيئة التدريس والهيئة الإدارية .

ومن أهم الخدمات التي يمكن أن يقدمها المرشد المدرسي في هذا المجال والتي تعتبر من صميم عمله أن يتواصل مع اسر التلاميذ لمتابعة حالات بعض الأطفال الذين يواجهون صعوبات في التكيف مع الجو الدراسي ، بما في ذلك صعوبات التواصل مع زملائهم ومع مدرسيهم بغرض تشخيص الأوضاع التي تفرز مثل هذه الحالات ثم البحث بعد ذلك عن العلاج المناسب .

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

خامساً: دور المسجد في تنمية قيم الحوار:

إن أول عمل قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن وصل إلى المدينة مهاجراً إليها من مكة المكرمة أنه بني مسجده الذي يعرف الآن بالمسجد النبوي، ولقد كان المسجد حينها أول مدرسة جماعية منظمة عرفها العرب لتعليم الكبار والصغار ولتربية الرجال والنساء (التحلاوي 1979 ص 130) . وهذا العمل من رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على أهمية المسجد ومكانته في المجتمع الإسلامي، كما يدل كذلك على دور المسجد في إرساء القيم الاجتماعية النبيلة التي تحفظ للمجتمع وحدته وتماسكه ، ولقد ظهر ذلك جلياً في أول مشروع احتضنه مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك حينما آخى عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين والأنصار، تلك الأخوة التي لم يشهد التاريخ لها مثيلاً، هذه الأخوة التي بلغت إلى حد التوارث حيث صار الأخ يرث أخاه المسلم دون أن تكون بينهما قرابة في النسب ، وظلت حقوق هذه الأخوة التي بناها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده مقدمة على حقوق القرابة إلى موقعة بدر ، حيث نزل في أعقابها قوله تعالى :

« وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدٍ وَهَاجَرُوا وَجَاهُدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أُولَى بِيَعْنَصِرٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » الأنفال الآية 75.

فسخت هذه الآية ما كان قبلها وانقطع أثر المؤاخاة الإسلامية في الميراث. (البوطي. 1979. ص 199).

ولقد أثنى القرآن الكريم على هذه الأخوة في سورة الحشر في قوله تعالى:

« وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجْبِونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ حَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » الحشر الآية 09.

فهذه القيم الاجتماعية العظيمة المتمثلة في الحب والإيثار والإحساس بالآخر كلها تتطلب أن تتعاون جميع مؤسسات المجتمع لإرائهاتها وإشاعتها بين أفراد المجتمع . ولا شك أن المسجد لما له من قدسيّة في نفوس المسلمين ولما له من مكانة في المجتمع فإنه يلعب دوراً محوريّاً ويساهم مساهمة فعالة في بث هذه القيم . وفيما يخص الدور المنوط بالمسجد في تنمية قيم الحوار لدى أفراد المجتمع فإنه يكون من خلال اعتماد منظومة مسجدية تقوم على الأسس التالية:

- 1- تخصيص جزء مهم من خطب الجمعة للمواضيع التي تتضمن مثل هذه القيم وتوكيد عليها في العلاقات والمعاملات الاجتماعية المختلفة ، ولعل من أبرزها موضوع الأخوة والتسامح والمحبة والعفو والتعاون والتكافل والاحترام وغير ذلك من المواضيع التي تحت الفرد المسلم بأن يكون إيجابياً وأن تربطه علاقة اجتماعية طيبة مع جميع أفراد مجتمعه، ومن خلال معالجة هذه المواضيع يمكن التأكيد على الحوار كقيمة اجتماعية وكأسلوب حضاري إسلامي لمعالجة أي نزاع يحدث بين طرفين أو عدة أطراف في المجتمع والتحذير في نفس الوقت من عواقب اللجوء إلى الأساليب الأخرى كبديل عن الحوار . وهذا يتطلب بطبيعة الحال أن يكون إمام المسجد محتكاً بالمجتمع وعلى علم بكل ما يجري فيه من أحداث ترتبط بهذا الجانب حتى يحسن معالجة هذه المواضيع معالجة سليمة .

ومن الشروط التي ينبغي على الخطيب أن يأخذها بعين الاعتبار أن يتحاشى قدر الإمكان الخوض في المواضيع الخلافية مهما كان نوعها ، لأن ذلك من شأنه أن يثير بعض الحساسيات ويؤجج نار الفتنة بين المسلمين وهذا كما هو معلوم يتعارض تماما مع رسالة المجتمع ووظيفته ، ويزداد الأمر خطورة إذا كان الإمام يتحيز في طرحة إلى مذهب من المذاهب أو فكرة من الأفكار. فالإمام يفترض فيه عندما يقف على المنبر أن يكون إماما للجميع وقدوة لجميع المسلمين حتى وإن كان يحمل انتفاء لمذهب من المذاهب.

2- تجسيد قيم الحوار وترجمتها من خلال افتتاح المسجد ممثلا في إمامه على المجتمع والتحاور مع جميع فئاته وشرائحه والإصغاء إلى ما يبدونه من آراء ولاحظات وربما انتقادات لكل ما يتعلق برسالة المسجد وكذا المواضيع التي يطرحها الإمام من على المنبر يوم الجمعة وطريقة معالجتها.

ولقد ضرب سيدنا عمر بن الخطاب مثلا رائعا في هذا المجال وذلك حينما اعترضته امرأة من قريش عن المغالاة في المهوو وقالت له بعدما نزل من المنبر ، يا أمير المؤمنين كتاب الله أحق أن يتبع أم قولك؟ قال بل كتاب الله . بم ذلك؟ قالت إنك نهيت الناس آنفا ان يغالوا في صداق النساء والله يقول في كتابه >>

« وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوهُ مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهُتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا »

« النساء: 20»

قال سيدنا عمر رضي الله عنه: كل أحد أفقه منك يا عمر ... ثم رجع إلى المنبر فقال إنني كنت نهيتكم أن تغالوا في صدقات النساء فليفعل كل رجل في ماله ما يشاء (ابن عاشور. 1984. ص 289).

3- مد جسور التواصل بين المسجد والمؤسسات الأخرى مثل المدرسة والنادي الثقافية وغيرهما والتعاون معها بهدف توعية أفراد المجتمع بالقيم الاجتماعية التي تزرع المحبة والمودة والأخوة وغير ذلك من القيم التي من شأنها توطيد العلاقات الاجتماعية. ويتأتى ذلك من خلال التشارك معها في الأنشطة الاجتماعية والثقافية. وتعطي الفرصة في هذه المناسبة للتحاور وتبادل الآراء من أجل تهيئة فضاء يشجع على ممارسة الثقافة الحوارية بين أفراد المجتمع بمختلف مستوياته وفئاته.

وبنفس الطريقة يمكن أن تنظم مسابقات دينية حول القرآن والسنة والسير النبوية والثقافة الإسلامية ويمكن أن توسيع لتشمل مجالات أخرى، المهم في ذلك أن تستغل هذه الأنشطة في إرساء القيم الاجتماعية التي تُثْبِت ثقافة التعايش بين أفراد المجتمع وأن يكون للمسجد حضور دائم في كل ما يجري من أحداث في المجتمع. وبنفس الجسور يمكن أن يمدتها المسجد مع الهيئات والمنظمات الاجتماعية أو ما يسمى اليوم بالمجتمع المدني ويعني ذلك أن يكون للإمام دور في كل ما تقوم به هذه الجمعيات من أنشطة وخدمات ، فلا ينبغي أن يتأخر أو يعزل نفسه بل على العكس من ذلك عليه أن يكون هو من يأخذ زمام المبادرة حتى يمثل المسجد تمثيلاً يتناسب مع رسالة المسجد ، وحتى يعطي انطباعاً للجميع بأن المسجد ليس مجرد دار للعبادة يلتقي فيه المسلمون في أوقات معينة لأداء الصلاة ثم ينصرفون بعدها لا تربطهم أية علاقة ببعضهم البعض كما حال كثير من المساجد في بلاد العرب وال المسلمين.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

وحتى يرتقي المسجد إلى هذا المستوى من الأداء يتطلب أن يكون الإمام واعياً بمسؤولية الإمامة، وأن يكون مدركاً بأن الإمام في المجتمع المسلم ليس هو الذي يؤم المسلمين في الصلاة فقط وإنما هو الذي يؤمهم في كل أعمال البر والخير، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أمرنا الله أن نقتدي به في حياتنا وفي تعاملاتنا.

قال تعالى:

«قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا» الأحزاب: 21.

ويتطلب الأمر كذلك أن يكون مؤهلاً لهذا المنصب العظيم وأن تتوفر فيه شروط الإمامة الحقيقة والتي من ضمنها أن تكون لديه قدرة على التواصل حتى يتسعى له التحاور مع جميع فئات المجتمع وشرائحة، وحتى يؤدي رسالة المسجد على النحو الذي بینا.

هكذا يمكن للمسجد أن يخرج من عزلته وأن يسجل حضوره في الحياة الاجتماعية كما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما كان كذلك في السابق قبل أن يغزو الاستعمار الحديث بلاد العرب والمسلمين.

وان أهم ما نخلص إليه في نهاية هذه الورقة هو أن الحالة الاجتماعية لأي مجتمع في بعدها العلائقى والمعاملاتى مرتبطة بنوعية القيم التي تسوده وتحكمه. فمتى كانت هذه الأخيرة مشبعة بروح المحبة والمودة والأخوة والاحترام وغير ذلك من المعانى التي يطلق عليها في ديننا الحنيف بالأخلاق الإسلامية فان الشمرة التي نجنيها في نهاية الأمر هي معاملة اجتماعية راقية ومجتمع متancock ومستقر وآمن . ومن المؤكّد بان هذه القيم لا تنشأ من فراغ وإنما هي عمل تربوي جبار تتعاون عليه جميع المؤسسات التربوية التي ذكرناها وغير ذلك من مؤسسات المجتمع حتى ينخرط الجميع في هذه المنظومة القيمية وتصبح سلوكها راسخاً في المعاملات الاجتماعية.

خاتمة البحث:

في نهاية هذه الورقة البحثية يمكن أن نخلص إلى أن القيم الحوارية تكتسي أهمية بالغة في المجتمع وانه متى شاعت هذه القيم بين الأفراد والجماعات كان ذلك مظهاً من مظاهر التطور والازدهار. ولذلك تحرص المجتمعات على ترسیخها في سلوکات الأفراد منذ طفولتهم حتى يشبوا عليها. وهذا يتطلب أن تضطلع المؤسسات التربوية والاجتماعية بهذه المهمة الخطيرة. ولقد تبيّن لنا من خلال هذا البحث بان المؤسسات التربوية المتمثلة في كل من الأسرة والمدرسة والمسجد يمكن أن تقوم بدور فعال في غرس قيم الحوار في شخصية الطفل وفي تربيته تربية سليمة تجعل منه مواطناً صالحاً ونافعاً في مجتمعه وأمته.

وانطلاقاً من ذلك فإنه يمكن ان نخلص إلى التوصيات التالية:

أولاً : فيما يخص الأسرة

ينبغي إعداد الأزواج وتأهيلهم للحياة الأسرية من خلال القيام ببرصاصات تكوينية تأخذ بعين الاعتبار القيم الحوارية وكيفية ممارستها بين الزوجين وفي نفس الوقت مع الأولاد ويمكن الاستفادة في هذا المجال من الدراسات التي أجريت في الإرشاد الأسري والإرشاد الزواجي

ثانياً : فيما يخص المدرسة

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

ينبغي التخلص قدر الإمكان من المناهج التربوية التقليدية والعمل بالمناهج التربوية الحديثة التي تؤكد على القيم الحوارية التي تعطي الفرصة للطفل ليمارس قيم الحوار في المدرسة حتى يسهل عليها تجسيدها وممارستها في الحياة الاجتماعية .

ثالثا : فيما يخص المسجد: ينبغي تكوين أئمة المساجد و إعدادهم بما يؤهلهم للقيام برسالة المسجد ، ويؤخذ بعين الاعتبار توعيتهم بأهمية الحوار كقيمة من القيم الاجتماعية التي يجب التأكيد عليها في جميع الأنشطة المسجدية التي يشرف عليها إمام المسجد.

قائمة المراجع :

- ابن عاشور الطاهر 1984 التحرير والتنوير الدار التونسية للنشر تونس .
- ابن منظور لسان العرب دار صادر و دار لسان العرب بيروت لبنان
- بختي العربي (1991) التربية العائلية في الإسلام ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.
- البوطي محمد سعيد رمضان 1979 فقه السيرة دار الشهاب للطباعة والنشر باتنة الجزائر .
- تركي رابح (1990) أصول التربية والتعليم ط 2 ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.
- جبور عبد النور 1979 المعجم الادبي دار العلم للملايين بيروت لبنان .
- حجازي مصطفى 2000 الاتصال الفعال في العلاقات الانسانية والإدارة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت لبنان.
- حداد توفيق 1977 التربية العامة وزارة التعليم الابتدائي والثانوي الجزائر.
- حمزة سعيد مجلة التربية عدد 140 ، الملجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم.
- حنفي بن عيسى ، محاضرات في علم النفس اللغوي ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.
- حوت دوري (1970) المدرسة والمجتمع ترجمة أحمد حسن الرحيم ، دار مكتبة الحياة بيروت لبنان.
- الرازي محمد بن أبي بكر عبد القادر (1981) مختار الصحاح دار الكتاب العربي بيروت لبنان.
- الريخشي أساس البلاغة دار المعرفة بيروت لبنان
- شبشبوب أحمد (1991) علوم التربية ، المؤسسة الوطنية للكتابالجزائر.
- صالح عبد العزيز وعبد المجيد عبد العزيز (1982) التربية وطرق التدريس ج 1 ، دار المعارف القاهرة مصر.
- عبد الرحمن النحلاوي (1979) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ، دار الفكر دمشق سوريا.
- عبد الله ناصح علوان (1983) تربية الأولاد في الإسلام ص 6. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة مصر.
- عشوي مصطفى (1994) مدخل إلى علم النفس المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.
- الفيفي موسى بن يحيى 1427 الحوار اسلوبه وآدابه وكيف نبني ابناءنا عليه ؟ الخضيري للنشر والتوزيع المدينة المنورة .
- لويس معرف .المنجد في اللغة والادب والعلوم المطبعة الكاثوليكية بيروت لبنان
- نايف خرما 1988 اللغات الاجنبية تعليمها وتعلمها 1988 عالم المعرفة الكويت .

تعزيز وتنمية الحوار لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية بالجزائر

د. نورية سوالمية / د. كلثوم صدراتي

جامعة معسکر، الجزائر

مقدمة:

تعد المدرسة من أهم المؤسسات الاجتماعية المسئولة عن التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي، إذ تؤدي دوراً أساسياً في غرس القيم والسلوكيات المرغوب بها في المجتمع، ومن بين هذه القيم الحوار كأساس لبناء مجتمع منسجم.

لقد سعت الجزائر من خلال التغييرات التي أحدثتها على البرامج التعليمية والطراقي التدريسية إلى إشراك التلميذ في العملية التعليمية وإعطائه فرصة لأن يكون محوراً فيها، وجاء كل ذلك في سياق الإصلاح التربوي الذي بدأ تطبيقه مع بداية الموسم الدراسي 2004، ولعل أبرز مبدأ جاء في هذا الإصلاح بيداغوجية المقاربة بالكفاءات، التي أعادت صياغة نمط الاتصال في المثلث البيداغوجي أثناء الموقف التعليمي وأصبحت غايته تحسين فعالية التعليم والتعلم، بما يحويه هذا النمط من مهارات وأساليب تحسن من أداء المعلم وتكييف مهامه حسب متطلبات الموقف وتداعيات أنماط شخصيات المتعلمين.

على هذا الأساس يقع على العملية التعليمية بمكوناتها وعناصرها المتداخلة والمترادفة دور كبير في تنمية الحوار، ومن بين هذه العناصر الكتاب المدرسي والمعلم، الذي له أهمية في العملية التعليمية فهو المسئول على كبت أو تشجيع الحوار، والملاحظ لطبيعة التفاعل بين المكونات المختلفة للعملية التعليمية، يدرك أنه مهما سطرت مناهج وبرامج دراسية ووفرت إمكانات مادية ومالية، ولم يتتوفر المعلم الكفاءة ذو المهارات والخصائص القادر على تفعيل الحوار في الموقف التعليمي أو حجرة الصف خلال العملية الاتصالية التعليمية، فإن ذلك يعد تعليماً يؤثر على بلوغ الأهداف المخطط الوصول إليها في كل البرامج التعليمية، وعليه فإن فعالية تنمية الحوار رهينة على فعالية الاتصال الصفي، الذي يتوقف على تكوين المعلم ومدى مهاراته ووعيه بمسؤولياته.

ومنه تلخصت تساؤلات هذه الدراسة في سؤالين هامين هما:

- كيف تقوم المدرسة بتعزيز الحوار وتنميته لدى التلاميذ؟

- كيف تصنع المدرسة تلميذاً يؤمن بالقيم الحوارية ويجسدها في ممارساته وسلوكياته اليومية؟

افتراضينا أن المدرسة يمكنها أن تغرس قيم الحوار في التلاميذ باعتمادها على خطاب متماسك ييرز في الكتاب المدرسي ومضمونه التربوية التعليمية، وأيضاً من خلال التفاعل والاتصال الصفي الذي يحول القناعات إلى ممارسات.

تتجلى أهداف هذه الدراسة في الآتي:

- إبراز أهمية دور بيداغوجية المقاربة بالكفاءات في تنمية الحوار لدى التلميذ
- التعرف على واقع الحوار في مضامين الكتاب المدرسي.
- الكشف عن واقع الحوار في الممارسات الصحفية.

ولبلوغ الأهداف المسطرة نعتمد على المنهج الوصفي التحليلي، بهدف الوصول إلى نتائج علمية وموضوعية بعيدة عن الذاتية والأحكام المسبقة، معتمدين أساساً على تقنية الملاحظة، وتقنية المقابلة مع المعلمين (أساتذة التعليم الابتدائي)، وعلى تقنية تحليل مضمون كتاب التربية الإسلامية للسنة الخامسة ابتدائي.

أولاً: الإصلاح التعليمي في الجزائر: من التدريس بالأهداف إلى المقاربة بالكفاءات

1. الإصلاح التعليمي في الجزائر وتداعياته

عرفت الجزائر منذ الاستقلال إصلاحات تربوية متتالية، بغرض التكيف مع الأهداف وإستراتيجية الخطط الإنمائية المتبعة، وكذا محاولة تحسين النظام التعليمي بشكل عام.

وكان الإصلاح التربوي سنة 2002 (شرع في تطبيقه سنة 2003) من أجل مواجهة التحديات المطروحة لجودة وملائمة التربية، عن طريق التخطيط والتكتوين وإثراء محتوى مناهج التعليم وإدخال تكنولوجيات الإعلام والاتصال. واعتبرت التغييرات البيداغوجية رؤية جديدة للتربية، محددة بالمقاربة بالكفاءات تضع المتعلم في مركز العملية التعليمية التعلمية.

وبرز هذا الإصلاح في ثلاثة مستويات أساسية، وهي: تجديد البرامج الدراسية ووسائل وأدوات التدريب، كفاءة وحركية الأساتذة من خلال التكوين، إعادة تنظيم مدة وشعب التعليم والتدريب. مع الأخذ بالاعتبار المقاربات البيداغوجية الجديدة للبرامج الدراسية والوسائل وتقييمات التلاميذ والوسائل الخاصة المقدمة.

لقد هدفت تلك الإصلاحات التربوية إلى وضع التلميذ في قلب العلاقة التربوية باعتباره عنصر من القسم الدراسي ويجب أن تأخذ ميولاته ورغباته ومكتسباته ووتيرة نموه بعين الاعتبار، فهو عضواً مشاركاً في عملية التعلم بقصد احتكاكه بخبرات وأنشطة المجتمع التي تقدمها المدرسة، سعت أيضاً هذه الإصلاحات إلى فتح المؤسسة التربوية على المحيط وتغيير المقاربة البيداغوجية لتشمل كل العمليات التكوينية التي يساهم فيها التلميذ تحت مسؤولية المدرسة خلال فترة التعلم، بمعنى أن التلميذ لديه الحق في اختيار مشروعه الفردي على دراية ووعي، فيتمكن من النضج والاستقلالية وإقامة علاقات مع المحيط الذي يعيش فيه، وإكساب المعلم والمتعلم أدوار جديدة، و"يرى المنظور الجديد أن المعلم يجب أن ينتقل إلى دور الباحث عن السبل والطرق والمنهجيات التي تسمح برفع كفاءات تلاميذه المعرفية والمنهجية وتوعيته بكيفيات تعلمهم ومساعدتهم على تطوير هذه الكيفيات بالبناء السليم لتفكيرهم، أما بالنسبة للمتعلم في المنظور الجديد يعتبره جوهر الفعل التعليمي" (بودوح محمد والزغبي حميد رشيد. 2012 : 115).

2. المقاربة بالكفاءات: مفهوم وخصائص

تعد المقاربة بالكفاءات (أو كما تعرف في بعض الدول بـ"الكافيات") إحدى البيداغوجيات التي تبتتها وزارة التربية الوطنية، وعلى أساسها تم بناء المناهج التي شرع في تطبيقها ابتداء من السنة الدراسية 2004/2003 وهي

مجموعة من المعارف والمهارات والوجdan تسمح بالممارسة اللائقة لدور أو وظيفة أو نشاط، و تعمل هذه المقاربة على جعل التلميذ هو سيد الموقف التعليمي فيقوم باستغلال قدراته في التعامل مع الوضعيات المعاشرة والمشكلات التي تواجهه، وهي تقوم على تكوين شخصية الطفل بصورة سوية بمعنى يقوم بتعليم نفسه بنفسه.

إن المقاربة بالكفاءات مبنية على منطق التعلم المترعرع على نشاطات واستجابات التلميذ الذي يواجه وضعيات إشكالية، فالمهم ليس في تلقين التلميذ معارف فحسب، بل أيضاً وبالخصوص في استعمال قدراته في وضعيات يومية تنطبق على حياته وتساعده على التعلم بنفسه، وهكذا ينبغي أن يزود التلميذ بالأدوات الملائمة حتى يتسعى له حل المشكلات التي تواجهه.

تميز هذه المقاربة عن غيرها أساساً بطابعها الإدماجي، وبقدرتها على إقامة معبر بين المعرفة من جهة وبين الكفاءات والسلوكيات من جهة أخرى، وبذلك تزول الحدود بين المواد العلمية، لتساهم كل مادة بقتضتها في تطور الطفل وفي تكوين شخصية سليمة ومستقلة وقدرة على التكوين الذاتي في معرك الحياة. "فالإعلام والاتصال عبر الحاسوب يعتبر لغة جديدة وأساسية لا يمكن التغاضي عنها، وأهميتها لا تكمن في استعمال الآلة من أجل تحسين الأداء التربوي وبلغ التعلم المستهدف وتغيير دور المعلم في القسم، وهي أيضاً تتطلب كفاءات جديدة تضاف إلى التكوين القاعدي للمعلم، وبالتالي يصبح منشطاً ومؤطراً بيداغوجياً، لأنه لم يعد الوحيد الذي يملك المعرفة" (Mohamed ferhi, 2005 : 125).

وترمي المقاربة الجديدة إلى منح التلميذ الكفاءات التي تمكّنه في نهاية المطاف، من تحديد مستقبله واختيار مشروعه الشخصي؛ حيث تتيح له الكفاءات أيضاً أن ينضج وأن يكون مستقلاً عن محبيه، ويجب أن ينتقل التلميذ من مؤسسة قسرية تمارس المراقبة إلى مؤسسة أكثر افتاحاً وتقترن مقاييس جديدة لتسخير العلاقات بين شركائها. وعليه فإن المعلم يلعب دور الباحث عن طائق تسمح بترقية كفاءات تلاميذه ومعارفهم ومنهجياتهم وسلوكياتهم ووضعياتهم في المجتمع بكيفية تجعلهم يتمسكون بقيم وأصالحة مجتمعهم مع تمكّنهم من العناصر التي تسمح لهم بالمساهمة في تنمية بلادهم.

إن من أهم السمات التي تطبع بيداغوجية الكفاءات أنها أعادت النظر في دور المعلم وتحديد وظائفه من خلال علاقته بالمتعلم، بحيث يصبحان شريكين، تربطهما علاقة تفاعل ونجاعة، كما أنه مطالب باستخدام بيداغوجياً متنوعة، تتناسب مع كل وضعية جديدة. فالمعلم إذن هو الطرف الذي يضع خبرته أمام التلاميذ لاستثمارها في معالجة المشكلات المطروحة عليهم، توكل مقاربة التدريس بالكفاءات "للدرس دور الوسيط بين المتعلمين والمعرفة، بحيث يقدم لهم العون والمساعدة لاستثمار استراتيجي (خير الدين هني. 2005: 155-161) فهو يبني خلال العملية الاتصالية الصافية شبكة علائقية تضمن تحقيق التكيف النفسي الاجتماعي والعلمي للتلاميذ.

وفي ظل هذه البيداغوجية يعتبر التلميذ الفاعل الأساسي في التفاعل مع وضعيات التعلم وهو المسؤول الأول عن التكوين الذاتي، إذ يصبح مطالباً بإعادة تنظيم موارده المتنوعة ضمن وضعيات وأنشطة ذات طابع إدماجي، فيقوم بالتنظيم والاكتشاف، وتبادل التجارب والخبرات مع زملائه (خير الدين هني. 2005: 155). فالمقاربة

9-8 نوفي بزار، جمهورية صربيا

الحديثة والمعاصرة "تنسب إلى منطق التعلم، وتستند إلى تصورات معرفية وبنوية وتفاعلية، فيما تعتبر المدرس وسيطاً وشريكاً معيناً، يستحدث الوضعيات، ويشجع التلميذ على اكتشافها، واكتساب المعرفات والمهارات والدرايات...، إضافة إلى تكييفها بالشكل المناسب والمطلوب" (مصطفى بن حبيلس. 2004: 4).

ثانياً: الاتصال الصفي ودوره في تعزيز قيم الحوار

1. مفهوم الاتصال وعناصره

إنَّ الاتصال لغة : يعني "الإبلاغ والاطلاع والإخبار، أي نقل خبر ما من شخص إلى آخر وإخباره به، واطلاعه عليه، كما يعني التبليغ أي توصيل شيء ما إلى شخص ما" (Le petit Larousse 1986: 210)، أما إصطلاحاً فيعرفه تشارلز كولي على «أنه الميكانيزم الإنساني الذي من خلاله تتواجد العلاقات الإنسانية وتتطور، ويحتوي على جميع رموز الروح ووسائل نقلها عبر الفضاء، والحفظ عليها عبر الزمن، كما يحتوي تعبير الوجه والاتجاهات، الإشارات، الصوت، الكلمات، الكتابات وكل شيء حتى الوصول إلى الفضاء والزمن». Roger Mucchilli (1980: 33) هذا التعريف ينظر إلى طبيعة عملية الاتصال بوصفه نشاطاً إنسانياً فمن خلال عملية الاتصال نستطيع أن نتفاعل مع الآخرين ونறع على ذواتنا، وعن طريق الاتصال نبني أطر معرفية مكتسبة تغذي الإطار المجتمعي الأول وتساهم في إثراء الوجود البشري ككل.

ويعرف الاتصال أيضاً على أنه "نشاط تبادل غير متوقف، وغير محتمل أحياناً يكون بين اثنين أو مجموعة وحدات (فردية، تنظيمية، اجتماعية)، يبحث عن تغيير السلوكيات عند الفاعلين للتقليل من الشكل الناتج عن اختلاف الوحدات عن بعضها البعض" (Isabelle orgogozo, 1988: 1988)

إنَّ الاتصال عملية ديناميكية معقدة تحكم فيه عوامل متعددة ومتباينة، يعكس إحدى صور النشاط الإنساني النابع من حاجة الإنسان إلى الآخرين لتعزيز بقاءه بحيث لا يمكنه أن يعيش بمفرز عن بني البشر. تتشكل العملية الاتصالية من عناصر أساسية تعطي لها الديناميكية التي تعبّر عن تفاعل اجتماعي ومحوري للإنسان في علاقته مع بني جنسه، وتماشياً مع متطلبات البحث سنحاول التركيز على العناصر الثابتة التي تقوم عليها العملية وهي :

- المصدر ويسمى أيضاً بالمرسل (المعلم)، هو القائم بالاتصال وهو "المotor الأساسي للعملية الاتصالية داخل الصيف لأنَّه الطرف الذي تنطلق منه الرسالة وحجر الزاوية فيها وهو الذي يحدد طبيعة الرسالة ومحطتها في كلمات أو حركات أو إشارات أو صور أو أرقام أو رموز" (ختام العتني. 2007: 56)، فالقائم بالاتصال والطريقة التي يختارها لشكل الرسالة وامتلاكه للمهارات والقدرات التي تمكّنه من حسن التعبير بوضوح عن المقاصد المتضمنة في الرسالة، "تشكل الخطوة الأولى في طريق صدقية الرسالة، إضافة إلى موقفه من الشخص المستهدف بالرسالة ومدى رصده للأبعاد الاجتماعية والنفسية والعائلية التي تحكم الموقف الاتصالي التعليمي، وهذه الأبعاد كافية بإحداث التفاعل المطلوب والتأثير في حجم حالة التفاعل وعمقها بين الأطراف المشكلة للموقف التعليمي" (ظافر بن سعد بن عبد الله. 2004: 22)

- **الرسالة (الدرس)**، "تشكل المحتوى والمضمون الذي يرغب المرسل إيصاله إلى المتلقى في وقت وظرف محدد، وهذا المحتوى فكري ومعرفي يشمل عناصر المعلومات باختلاف أشكالها، وتمثل الرسالة الشكل المادي أو المحسوس بعد القيام بعملية الترميز التي يقوم بها المرسل، وتأخذ الرسالة أشكالاً مختلفة يمكن التعبير من خلالها على مضمون الرسالة شريطة أن يفهم المستقبل هذا المضمون، فالكلام يسمع، والكلمات المكتوبة تقرأ، والحركات تلاحظ ويشعر بها (ختام العناتي. 2007: 59)، وعلى هذا الأساس فإن الرسالة ليست محتوى مجرداً وإنما "تصاغ بلغة يفهمها المتلقى باستخدام جملة من الرموز اللغوية والصورية والحركات والإشارات والتركيب الواضحة والبساطة القابلة للاستيعاب" (حارث عبود. 2009: 34) من قبل التلاميذ، فمضمونها يتأثر بطبيعة المتلقى وثقافته ووعيه، وعند صياغتها يجب مراعاة ذلك للتحقيق الغرض من الرسالة.

- **المرسل إليه (التلاميذ)**، يعد هدف عملية الاتصال، "ويتوقف تفسير الرسالة على مدى وعيه وإدراكه والخبرات السابقة له ومدى إحساسه بالرسالة وحاجته إليها أو شعوره بأهميتها، وهذا يعتمد على حاجة المستقبل لها، ووفقاً لظروفه النفسية والصحية والاجتماعية ومستوى النشاط الإدراكي والمجال الذي تدور حوله" (الدسوقي عبده إبراهيم. 2004: 27-28)، حتى يستطيع فك رموزها وتحويلها إلى معنى يقصد تفسيرها وفهمها (ظافر بن سعد بن عبد الله. 2004: 23)، ويعنى الباحثون كثيراً بفحص سلوك المرسل إليه لأنّه هو الذي "يحدد مدى نجاح المرسل في إنجاز مهمته، ومدى تحقق الأهداف التي صممت من أجلها الرسالة، ومن خلال هذا الفحص يمكن تشخيص مواطن الضعف والخلل التي أصابت العملية الاتصالية تمهدًا لمعالجتها" (حارث عبود. 2009: 32)

- **التغذية العكسية أو الرجع** ويمثل ردود الفعل التي يديها المتلقى استجابة لما يكون المرسل قد أرسله من معلومات ورسائل، وهذا النوع يظهر في الاتصال المواجه أكثر. إن عنصر رجع الصدى هو الجزء الأكثر إثارة في العملية الاتصالية، فعن طريقه يستطيع المصدر أن يفهم ما إذا كان المتلقى استقبل الرسالة وفهم محتواها، بمعنى التأثير الذي أحدثته الرسالة. وتفاوت أثار الحدث الاتصالي من موقف اتصالي لآخر، ويظل لكل حدث أثاره الظاهرة أو المستمرة، ويمكن أن نلخص بعض أثار الحدث الاتصالي فيما يلي : (ظافر بن سعد بن عبد الله. 2004: 25)

- **الأثر المعرفي**: وهو اكتشاف ذهني لمعرفة أو معلومة كنتيجة لتفاعل مع الآخرين.

- **الأثر العاطفي**: وهو ما يعرف بالمشاعر والعواطف الذاتية الناتجة عن الفعل الاتصالي مثل الحب والكرابية وما تجتاحت ذاتنا عند التعرض لمضمون رسائل اتصالية معينة.

وأخيراً وفي سياق التأكيد على سلامة وفعالية الموقف الاتصالي لابد أن نضع في الاعتبار إن طرفي العملية الاتصالية المصدر والمتلقى يتأثرون بموقعهم في النظام الاجتماعي والثقافي، ولهذا فهناك ضرورة المعرفة التامة لهذا النظام الذين يتمون إليه والنسق الثقافي الذي في إطاره تتم عملية الاتصال والمعتقدات التي تسيطر عليهم وأنماط السلوكية المقبولة في ذلك المجتمع وغير مقبولة، وأيضاً طموحاتهم وتوقعاتهم داخل ذلك

المجتمع، كل هذه المؤشرات تحدد القيمة الفعلية للعملية الاتصالية ومدى قدراتها على إحداث التأثير الإيجابي في الطرف الذي تنتهي إليه.

2. أشكال الاتصال التعليمي/التعلمي (الصفي)

يعبر الاتصال الصفي عن تلك العلاقة التفاعلية التي تحدث في حجرة الصف بين المعلم والمتعلمين، وتدرج ضمنها أساليب وتقنيات ومهارات يوظفها المعلم أثناء قيامه بالعملية التعليمية في مختلف الوضعيات والمواضف التعليمية.

إن انتشار المعلومات والأفكار وتبادلها بين الناس لا يأخذ نوعاً واحداً أو نموذجاً واحداً، وإنما للاتصال أشكال عدّة، ولا يعني ذلك بأن هناك عمليات مختلفة وإنما العملية الأساسية وعنصرها واحدة، إلا أن هذه العناصر تختلف تبعاً للموقف من حيث الشكل أو البساطة أو التعقيد أو الأهمية، ومن الممكن أن نصنف أشكال الاتصال التعليمي إلى :

أولاً / من حيث اللغة المستخدمة: تشكل اللغة نشاط عقلي راق يعمّل كشرط أساسى لتنظيم عملتنا العقلية والمعرفية وك وسيط حتمي للاتصال الإنساني فهي تحقق وظيفتين متكاملتين هما: (سلوى عثمان الصديقي. 2005: 111-112)

- الوظيفة الاتصالية: حيث تعمل اللغة ك وسيط للتواصل بين الأفراد، ووسيلة لنقل واستقبال المعلومات.

- الوظيفة التجريدية: اللغة وسيط لتكوين الأفكار التي تجرب الواقع وتحتلّه في شكل رموز تمكّن الإنسان من فهمه وضبطه بدرجة أكبر.

ويمكن أن نقسم الاتصال من حيث اللغة المستخدمة إلى :

- الاتصال اللفظي: فالمعلم يستخدم اللفظ كوسيلة لنقل الرسالة التعليمية للمستقبل (الתלמיד) سواء كانت هذه الرسالة لغة لفظية تدرك بحسّ السمع، أو لغة لفظية مكتوبة.

- الاتصال غير اللفظي: وهو عبارة عن تعبيرات منظمة تشير إلى مجموعة معاني يستخدمها المعلم أو يقصدها في احتكاكه بالطالب للتعبير عن الأفكار، كالآصوات أو الإشارات أو الحركات أو الإيماءات والأشياء، وخاصة عندما تعجز اللغة المنطوقة عن التعبير عن تلك المشاعر والأحاسيس والأفكار التي يرد المدرس إيصالها إلى الآخرين وتنقسم إلى: (جودت شاكر محمود. 2012: 73)

➤ لغة الإشارات التي تعبّر عن معانٍ تعارف عليها المجتمع وأصبحت لها دلالتها.

➤ لغة الحركات والأفعال وهي لغة الجسد يمارسها الإنسان بقصد أو دون قصد وذلك ليُنقل إلى الآخرين معنى ما.

➤ لغة الأشياء وتشتمل كل ما يستخدمه الإنسان بهدف إيصال معنى ما إلى الآخرين كارتداء الملابس أو وضع علامات أو إشارات... إلخ.

ثانياً/ من حيث حجم المشاركين في العملية الاتصالية: من أبرز الأشكال ذكر:

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

- **الاتصال الذاتي:** بمعنى اتصال الفرد بنفسه أو مع ذاته، فإذا أحسن التلميذ الاتصال بذاته فإن هذا يجعله أقدر وأكفاء على توظيف إمكاناته توظيفاً كاملاً، كما أنه يساعد على التكيف والتفاعل مع مجتمعه وبيئته التعليمية، إن جوهر الاتصال مع الذات يتمثل في عملية الوعي أو الإدراك والفهم الذاتي للمخزون المعرفي من قبل الشخص لما يحيط به، وما يقوم به من فعل أو سلوك، فلكل فرد إطار مرجعي ظاهري ذاتي خاص به لا يمكن فهم سلوكه إلا من خلاله، أحياناً ما يميل المرء إلى أن يرى ما يرغب في رؤيته أو ما يفتقر إليه، وعبر عملية الاتصال مع الذات يميل الفرد للدفاع عن مفهوم ذاته وتعزيزها ومقاومة كل ما من شأنه أن يشكل تهديداً لتصوراته.

- **الاتصال الشخصي:** "ويقصد به العملية التي يتم بمقتضها تبادل المعلومات والاتجاهات بالطريقة المباشرة وجهاً لوجه وفي اتجاهين دون عوامل وسيطة" (سلوى عثمان الصديقي. 1999: 128).

إن الاتصال الشخصي من أكثر أشكال التواصل مرونة وتأثيراً وأكثرها تجسداً داخل حجرة الصف لعل أوضحتها تلك التفاعلات التي تحدث بين التلاميذ أو بينهم وبين المعلم، إذ يوفر للطرفين إدراك ردة الفعل على موضوع الرسالة (التغذية الراجعة) بصورة فورية و مباشرة، ويسمح بتعديل الرسالة وفقاً لمتغيرات الموقف التعليمي كما يتميز بالقدرة على الإقناع والتأثير.

- **الاتصال الجماعي:** أوضح نموذج للاقاتصال داخل حجرة الصف، ويتم الاتصال بين الجماعات عندما تجتمع أكثر من جماعة في موقف اتصالي واحد. حيث "أن طبيعة الحياة الاجتماعية تلزم الفرد بالاشتراك في تفاعل دائم وتناغم وإنساجم وأحياناً تناقض مع الآخرين بسبب حاجة الإنسان لتبادل المصلحة والمنفعة التي تحافظ على الاستمرار" (ظافر بن سعد بن عبد الله الشهري. 2004: 27). وعليه فإن الاتصال داخل الصف هو تفاعل وجهها لوجه بين التلاميذ والمعلم واضح كالمشاركة في المعلومات وحل المشكلات التعليمية، وفيه يستطيع المعلم أن يدرك مدى تفاعلهم مع ما يقوله و مدى تأثراً به، وفيه أيضاً تناح الفرصة للجميع للمشاركة في علمية الاتصال.

ثالثاً: الكتاب المدرسي وتنمية الحوار: كتاب التربية الإسلامية أنموذجاً

يعرف الكتاب المدرسي بأنه الكتاب الذي تعرض فيه المادة المختارة في موضوع معين على شكل نصوص مكتوبة و بطريقة منتظمة، يوجه للاستعمال في مسار تعلم وتكوين متفق عليه، وينفرد الكتاب المدرسي عن أي كتاب آخر "بكونه يعتمد على الهدف، الهيكلة، المحتوى" (أبو الفتاح رضوان وآخرون. ب س: 5). اخترنا في دراستنا هذه كتاب التربية الإسلامية كنموذج للتحليل باعتبار أن الحوار من القيم الإسلامية التي يدعوا إليها ديننا الحنيف، تتجلى هذه القيمة في مضامين هذا الكتاب، ويرجع اختيارنا للسنة الخامسة ابتدائي لأنها آخر مرحلة من التعليم الابتدائي.

بداية نحدد أهداف تدريس التربية الإسلامية وفق المنهاج التعليم الابتدائي في النقاط التالية: (وزارة التربية الوطنية. 2016: 144)

- تنمية الشعور بالانتماء إلى الدين الإسلامي والاعتزاز بمصادره.
- الحفظ الجيد للنصوص المقررة في القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وحسن توظيفها في الوضعيات المناسبة تلاوة وتطبيقاً واستدلالاً.

- تزويد التلميذ بالمعارف الخاصة ببعض العبادات والشعائر الدينية وتعويذه على ممارستها (ولو لم تكن مفروضة عليه في هذا السن).
- تمكينه من التعرف على بعض الآداب والقواعد المنظمة للعلاقات الاجتماعية، وجعله مدركا لأهميتها ودورها في إرساء التفاعل الايجابي مع المحيط وبالتالي ممارستها.
- تحقيق الصحة الجسدية والتوازن في المزاج والشخصية واحترام الذات والفتح على أديان غير المسلمين.

وهذه الأهداف والغايات هي بمثابة النطualات التي تحاول المدرسة الجزائرية تحقيقها من خلال مضامين الكتاب المدرسي، وعليه ستحاول أن نعرض كتاب التربية الإسلامية للسنة الخامسة من التعليم الابتدائي من الناحية الشكلية، ومن حيث المادة العلمية المتوفرة فيه، ومن حيث تناولها للمواضيع الحوار.

1. عرض كتاب التربية الإسلامية من الناحية الشكلية

يتكون كتاب التربية الإسلامية للسنة الخامسة ابتدائي من 63 صفحة، يتضمن خمسة مجالات تعليمية، ويستوفي شروط الطباعة والإخراج، بما في ذلك الحجم، حيث جاء طول كتاب 28 سم، أما عرضه فقد قدر بـ 20 سم في المتوسط، وهو حجم يتناسب مع الوسائل التعليمية التي احتواها الكتاب والمتمثلة خاصة في الصور التوضيحية والوثائق. احتوى الكتاب على مقدمة، وفهرس ضم عناوين المجالات والوحدات التعليمية، بالإضافة إلى ملخص للكفاءة القاعدية لكل وحدة تعليمية.

يتولى الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية عملية طباعة وإخراج الكتب، وقد تمت طباعتها بطريقة محكمة، واتبعت في إخراجها كثير من التقنيات التي ترك انطباعاً حسناً لدى القارئ، حيث تم طبع الكتاب بخط واضح ومقروء، وكبير مع ترك مسافات منتظمة بين الكلمات والأسطر، واستعمال الألوان في كتابة العناوين والكلمات الأساسية والمهمة، وإدراج الصور الفوتوغرافية، والوثائق، مما يساعد التلميذ على الفهم.

وتم عرض المادة العلمية في لوحات تعليمية تعلمية، كالمربيات والجدوال الملونة، وهي من الأساليب المشوقة للتلميذ والموضحة للمادة العلمية، والمحببة للتلاميذ في كتابهم.

2. عرض كتاب التربية الإسلامية من حيث المادة العلمية

تعرف المادة العلمية على أنها كل "ما يريد المعلم أن يوصله إلى المتعلم سواء كانت معلومات أو تنمية مهارات أو اتجاهات، بشرط أن يتم توضيحها في ضوء أهداف تعليمية محددة" (أحمد حسين اللقاني وعلى الجمل. 1996 : 150)، وسنحاول التطرق إلى المادة العلمية لكتاب التربية الإسلامية من خلال التبويب والعناوين، والتي جاءت في 58 صفحة، كما يوضحها الجدول التالي:

الجدول (01): كتاب التربية الإسلامية للسنة الخامسة ابتدائي

النسبة المئوية	عدد الصفحات	الوحدات	المجالات المفاهيمية
20.69%	12	1. لقمان يوصي ابنه 2. الإيمان باليوم الآخر 3. الحج إلى بيت الله الحرام 4. الإيمان بالقضاء والقدر 5. من حياة سيدنا نوح عليه السلام - الإدماجية الأولى	أطیع ربی
24.14%	14	1. من أفعال المؤمنين 2. أحب أسرتي 3. أحسن التصرف في المال 4. من يسر الإسلام 5. زكاة الفطر 6. طاعة الله والرسول صلى الله عليه وسلم - الإدماجية الثانية	من واجباتي
20.69%	12	1. أفعل الخير 2. أحافظ على البيئة 3. المسلم لا يعيش 4. أتعاون مع غيري 5. علاقتي بأخي المسلم - الإدماجية الثالثة	من أخلاقي
24.14%	14	1. الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة 2. أسماء ذات النطاقين 3. الرسول صلى الله عليه وسلم يصالح قريشا 4. عثمان بن عفان رضي الله عنه	من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم

		5. فتح مكة المكرمة 6. حجة الوداع - الإدماجية الرابعة	
10.34%	06	1. سورة الأعلى 2. سورة الغاشية 3. سورة الفجر 4. سورة البلد	القرآن الكريم
100%	58	المجموع	

يسعى منهاج المادة إلى جعل المتعلم في نهاية السنة الخامسة متحكماً في التعليمات المتعلقة بطاعة الله، والإيمان به وبقضاءه وقدره، والإيمان باليوم الآخر بإعطاء نماذج عن لقمان ووصاياه لابنه، بالإضافة إلى سرد حياة سيدنا نوح عليه السلام واستخلاص العبر من هذه النماذج. يسعى منهاج مادة التربية الإسلامية للسنة الخامسة ابتدائي أيضاً إلى تعريف التلميذ بواجباته تجاه أسرته والمحيطين حوله، والوقوف على بعض مظاهر اليسر في الصلاة والاقتداء بالأخلاق الفاضلة وتجسيدها في الحياة اليومية، مع ذكر السيرة النبوية الشريفة والوقوف على سيرته صلى الله عليه وسلم وأعماله معأخذ العبر منها، بالإضافة إلى تعريف التلميذ بشخصية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتداء بخصالهم.

والملاحظ من الكتاب أن المؤلفين قد وفقو إلى درجة كبيرة في اختيار المادة العلمية وصحتها، إذ لم نسجل أي خطأ فيما يتعلق بصحة المعلومات الواردة في الكتاب.

3. عرض كتاب التربية الإسلامية من حيث تناوله للمواضيع الحوار

بعد الحوار محادثة بين شخصين أو أكثر يتضمن تبادل للآراء والأفكار والمشاعر ووجهات النظر حول موضوع ما أو عدة مواضيع بقصد تحقيق قدر من الفهم والتفاهم والانسجام أو التعايش بين الأطراف المشتركة فيه لتحقيق هدف أو أهداف معينة.

تم الاعتماد في تحليل المحتوى على فئات الموضوع، أي مضمون المادة محل الدراسة، والتي تم توزيعها على المجالات التالية:

- القيم الحوارية: ويندرج ضمن هذا المجال: العدل، التسامح والتعايش، المساواة، التعاون.
- آداب الحوار: يتضمن الإنصات واحترام الآخر
- المشكلات الحوارية: ويندرج ضمن هذا المجال جميع المشكلات الحوارية التي عالجها الكتاب التي تعمل على نشر العداوة والكراهية بين الأفراد.

ويوضح الجدول التالي مواضيع الحوار حسب التكرار في كتاب مادة التربية الإسلامية للسنة الخامسة ابتدائي.

الجدول (02): مواضيع الحوار في كتاب مادة التربية الإسلامية

النسبة المئوية	النسبة المئوية	الموضوع
% 5.26	1	العدل
% 26.32	5	التسامح، التعايش
% 15.79	3	المساواة
% 31.58	6	التعاون
% 5.26	1	الإنصات
% 5.26	1	احترام الآخر
% 5.26	1	التكبر
% 5.26	1	الغش
% 100	19	المجموع

يتضح من الجدول (02) أن مواضيع كتاب التربية الإسلامية ركزت على القيم الحوارية، حيث قدرت أعلى نسبة للقيم المتعلقة بالتعاون المقدرة بـ 31.58 %، تليها نسبة 26.32 % المتعلقة بقيم التسامح والتعايش، ثم قيم المساواة بنسبة 15.79 %، أما فيما يتعلق بالعدل سجلنا نسبة 5.26 % أي موضوع واحد تناول العدل وأهميته في عملية التواصل وال الحوار، أما عن آداب الحوار وما يتعلق بضرورة الإنصات واحترام الآخر سجلنا موضوع واحد لكل منهما بنسبة 5.26 % لكل منهما. نفس النسبة سجلناها للمشكلات الحوارية: التكبر 5.26 % والغش 5.26 % وهي ممارسات يجب الابتعاد عنها حتى يكون الحوار فعالاً بين المتحاورين.

رابعاً: واقع الحوار في المدرسة الجزائرية

باعتبار أن المعلم الأداة الفاعلة في تجسيد وترجمة أهداف التربية الإسلامية، من الضروري أن يكون شخصاً يعرف أسس التحاور وال الحوار ويطبقها، من الضروري أن يمتلك آداباً للحوار: ينصت للللمزيد ويقبل اختلاف وجهات النظر المبنية على الاحترام والتقدير، يتصرف بالقيم الحوارية ويتبعد عن كل السلوكيات المخلة للحوار والتواصل الفعال.

وقد أكد لنا المعلمون عينة الدراسة (أساتذة التعليم الابتدائي) بأهمية الحوار في عملية التواصل والاتصال التربوي، وأن من أهم شروطه الإنصات والاحترام المتبادل بين كل الفاعلين في العملية التربوية وقبول الآراء المغایرة، وعدم احتقار الآخر، بل من الضروري أن تكون المساواة والعدل في التعامل، دون تمييز بين التلاميذ. هكذا يمكن للللمزيد أن يتصرف هو الآخر بهذه القيم لظهور في ممارساته وسلوكياته، فمن القسم إلى المجتمع الكبير؛ حيث يكون قادراً على التعامل مع المحيطين به سواء في الأسرة أو المدرسة أو الشارع أو مختلف المؤسسات التي ينتهي إليها ويتفاعل معها بقيم الحوار.

تقول أستاذة 27 سنة، 4 سنة أقدمية): "يعتمد المعلم على الحوار بطرح مجموعة من الأسئلة الموجهة

للمتعلمين لبلوغ المعرفة"

أستاذة (35 سنة، 11 سنة أقدمية): "الحوار يساعد على إنجاح الأسلوب التعليمي وتحقيق مصلحة التلميذ والمعلم ويحقق روح الجدل بين الأفراد".

أستاذ (49 سنة، 20 سنة أقدمية): "لا يمكن الاستغناء على الحوار والتواصل في الخطاب التعليمي لأنه يساعد المتعلم في اكتساب عدة مهارات، وتساعد المعلم في مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين" إذن إكساب قيم الحوار لا يكون بالتدريس المجرد، بل لا بد وأن ينعكس في الممارسات بين الفاعلين الاجتماعيين، يدركون أهمية الحوار ويطبقونه داخل الصف الدراسي.

إن الحوار وفتح مجال للمناقشة وتبادل الآراء يقوي التفاعلية داخل القسم. لكن هناك مجموعة من الصعوبات والعرقليل التي تحد من الحوار والمناقشة، وهذا ما يظهر في تصريحات الأساتذة التالية: يقول أستاذ (32 سنة، 8 سنوات أقدمية): "طريقة الحوار والمناقشة تجعلني أضيع وقتاً كثيراً ولا يمكنني أن أتم البرنامج، فنحن مقيدين بالبرنامج"

أستاذة (27 سنة، 4 سنة أقدمية): "من الصعب تطبيق طريقة الحوار والمناقشة لأنها تكثر الفوضى بين التلاميذ، فعامل الوقت لا يسمح للشرح والمناقشة والكتابة" ومنه نستنتج أنه وبالرغم من أن الأساتذة يدركون أهمية الحوار في العملية التعليمية يجدون عائق ضيق الوقت والبرنامج المكثف المطالبون باستكماله.

من خلال ما سبق يمكن القول بأن المعلم مسؤول بدرجة كبيرة على نشر قيم الحوار بين التلاميذ، فهو بمثابة القدوة لهم، يستطيع أن يقدم أجيالاً أكثر فهماً وأكثر نضجاً وأكثر وعياً في تعاملهم مع بيئتهم الاجتماعية.

خاتمة:

لقد سعت الجزائر من خلال التغييرات التي أحدثتها على البرامج التعليمية والطرائق التدريسية إلى إشراك التلميذ في العملية التعليمية وإعطائه فرصة لأن يكون محوراً فيها، ولعل أبرز مبدأ جاء في هذا الإصلاح بيداغوجية المقاربة بالكافاءات التي أعادت صياغة نمط الاتصال بين المعلم والمتعلم والمادة التعليمية.

وينبع الاتصال عاملاً مهماً له دور كبير في زيادة التفاعل والاحتكاك بين المعلم والمتعلم في حجرة الصف، وفعاليته تضمن نجاح العملية التعليمية التعليمية، كما تمكّن من الكشف عن مختلف الجوانب التي تحيط بالموقف التربوي.

وبما أن النظام التربوي نسق يتكون من مجموعة من العناصر المتفاعلة، يتوقف نجاحه على كفاءة العملية الاتصالية، وكذا على فعالية المناهج التربوية وتكوين المعلمين لضمان بلوغ الأهداف المسطرة.

وإن تنمية الحوار في المدرسة الجزائرية لا يتوقف على المناهج والكتب المدرسية بقدر ما يتوقف على المعلم الذي يمكنه إكساب التلميذ القيم الحوارية، وعليه أن يلم بها ففائد الشيء لا يعطيه.

والجدير بالذكر أن المقاربة بالكافاءات التي تبنيها الجزائر في نظامها التربوي، قد حددت أدواراً جديدة متکاملة للمعلم، فالтельفظ منظم وليس ملقناً، وهو يعد العامل الأساسي في نجاح التربية الإسلامية وتحقيق أهدافها،

9-8 نوفي بزار، جمهورية صربيا

باعتباره نموذجا يقتدي تلاميذه به ويقلدونه أثناء تفاعلهم مع بيئتهم، لكن هناك من الأساتذة غير قادرين على ذلك بسبب اكتظاظ الأقسام وكثافة البرامج التعليمية.

المراجع:

أبو الفتح رضوان وآخرون(ب س)، الكتاب المدرسي -فلسفته، تاريخه، أنسنه، تقويمه، استخدامه-، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة.

أحمد حسين اللقاني وعلي الجمل (1996)، معجم المصطلحات المعرفة في المناهج وطرق التدريس، عالم الكتب، القاهرة.
بودوح محمد والغbir حميد رشيد (2012)«إصلاح المنظومة التربوية في الجزائر الواقع والرهانات»، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلة دورية، منشورات جامعة سعد دحلب البليدة، العدد الثامن.

جودت شاكر محمود (2012)، الإتصال في علم النفس، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، عمان ،الأردن.
حارث عبود (2009)، الإتصال التربوي، دار وائل للنشر والتوزيع ، ط1، الأردن ، عمان.

ختام العناتي وعلي العياصرة (2007)، الإتصال المؤسسي في الفكر التربوي بين النظرية والتطبيق . دار الحامد للنشر والتوزيع ، ط1، عمان، الأردن.

خير الدين هني (2005)، مقاربة التدريس بالكافاءات ، ط1، مطبعة عين بنیان ، الجزائر .
الدسولي عبده إبراهيم (2004)، وسائل وأساليب الإتصال الجماهيرية والاتجاهات الاجتماعية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية ، مصر.

سلوى عثمان الصديقي وهناء حافظ بدوي (1999)، أبعاد العملية الإتصالية، المكتب الجامعي الحديث، الأزراطية.
سلوى عثمان عباس الصديقي وأميرة منصور يوسف علي (2005)، الإتصال والخدمة الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية ، الأزراطية.
ظافر بن سعد بن عبد الله الشهري (2004)، دور الإتصال والإعلام في تشجيع المدمنين على التقدم طوعا للعلاج (دراسة
ميدانية على المدمنين المتقدمين طوعا للعلاج في مستشفى الآمال بمدينة الرياض)، بحث مقدم استكمالا لمتطلبات الحصول على
درجة الماجستير في العلوم الشرطية غير منشور ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض.
مصطفى بن حبيلس (2004)، المقاربة بالمشكلات في ضوء العلاقة بالمعرفة ،المركز الوطني للوثائق التربوية ، ع 38، حسين
دای، الجزائر.

وزارة التربية الوطنية (2016)، منهاج التربية الإسلامية، مرحلة التعليم الابتدائي.

Isabelle orgogozo (1988), les paradoxes de la communication aléoute des différence. Edition organisation , paris.

Le petit Larousse en couleurs (1986) . Edition France , éditeur13392 , PARIS.

Mohamed ferhi (2005),« L optimisation de portefeuilles par la logique floue et son application au marché financier en algérie les cahiers de cread».centre de recherche en économie appliquée pour le développement, alger, N72.

Roger Mucchilli (1980), communication et réseaux de communication .Ed – ESF , paris.

الوساطة الأسرية بال المغرب رهانات المؤسسة وآليات التفعيل

ذ. إيمان حليم

طالبة باحثة بكلية علوم التربية - جامعة محمد الخامس / المملكة المغربية

تقديم:

تعتبر الوساطة إحدى الوسائل البديلة لإدارة وحل النزاعات، يلعب فيها طرف ثالث دوراً أساسياً ألا وهو دور الوسيط، هذا المفهوم ليس وليد العصور الحالية بل إنه يمتلك تاريخاً عريقاً ومتنوّعاً في جميع حضارات العالم: الحضارات المسيحية، والإسلامية، واليهودية، والبوذية، والهندوسية، والكونفوشية، وغيرها من حضارات الشعوب الأصيلة التي تضم تقاليد واسعة وفعالة في ممارسة الوساطة كوسيلة لحل النزاعات. (سروجي، 2007: 44)

وقد توسيع ممارسة الوساطة في الزمن المعاصر بشكل متتسارع في جميع أنحاء العالم، خاصة خلال الخمسة عقود الأخيرة، ويعزى هذا النمو جزئياً إلى توسيع إدراك حقوق الإنسان وكرامته، واتساع الطموحات نحو مشاركة ديمقراطية على جميع المستويات السياسية والاجتماعية، وكذلك ازدياد الاعتقاد بأن للفرد حقاً في المشاركة في القرارات التي تؤثر على حياته وفي السيطرة عليها، وإلى ظهور أخلاقيات تدعم الحرية الفردية، وتوجهات في بعض المناطق نحو تسامح أوسع مع التعددية والاختلاف في جميع نواحيهما، أيضاً كانت هناك عوامل تدفع للتغيير ومن هذه العوامل تنامي عدم الرضا والسطح من دينكتاتورية صانعي القرار وأساليب اتخاذ قراراتهم التي لا تخاطب احتياجات الجميع الحقيقة، بالإضافة إلى ارتفاع التكاليف المالية والوقت والمواد البشرية، وتدمير التضامن بين الأشخاص وبين المجتمعات من خلال طرق عدائية لحل النزاعات التي تنتهي غالباً بطرف رابع وطرف آخر خاسر.

وعلى الرغم من كثرة ونمو عملية استخدام الوساطة في العديد من الثقافات والبلدان، إلا أنها نمت بشكل أسرع في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، وكان أول مجال يشهد مؤسسة رسمية للوساطة في الولايات المتحدة الأمريكية وذلك بهدف تطبيق وسائل أكثر فعالية لحل وإدارة المنازعات النقابية العمالية مع أصحاب العمل والشركات الضخمة، ففي عام 1913 أنشئت وزارة العمل الأمريكية، وتم تعيين هيئة من وسطاء المصالحة وتم إعادة تنصيبها عام 1947 تحت اسم خدمات الوساطة والمصالحة الفيدرالية. (سروجي، 2007: 48-49).

إن الوساطة التي تطورت في الولايات المتحدة في العقود الخمسة الأخيرة، هي التي حظيت بقدر كبير من الاهتمام الأكاديمي، وتمت حولها دراسات عديدة، وتأسست بالاعتماد عليها برامج تدريبية رسمية لتأهيل وسطاء محترفين، وربما تكون سمة الاحتراف هي إحدى مميزات وساطة شمال أمريكا، كما درج على تسميتها، وبمعنى آخر فإن معظم الجهات الرسمية في الولايات المتحدة الأمريكية تتطلب عند الاستعانة ب وسيط أن يكون مؤهلاً رسمياً بمعرفة أحد جهات التدريس المعتمدة. (الصادمي، 2010: 32)

وبعدما أثبتت الوساطة نجاحها في مجال المنازعات امتدت تطبيقاتها وأصبحت تعتمد في مجال المعاملات التجارية والمالية تم امتدت بشكل قوي في مجال النزاعات العائلية وأصبحنا نتحدث عن حقل آخر للوساطة ألا وهو الوساطة الاجتماعية، وهذه الأخيرة لم يكن الحديث عنها ممكناً لو لا الاهزات الاجتماعية التي عرفها المجتمع والتي خلقت نوعاً من التوتر وعدم الاستقرار وكذا سوء التوافق لاسيما فيما يتعلق بتلاشي الروابط الاجتماعية وبنيات التنشئة الاجتماعية، ففي ظل التغيرات والتحديات الثقافية والسوسيو اقتصادية التي يعيشها المجتمع أصبح من الضروري الحديث عن نوع آخر من الوساطة وهو الوساطة الأسرية باعتبار أن الأسرة هي نواة المجتمع والركيزة الأساسية في بنيته، فهي الدعامة الأولى والمؤسسة الأولى والأهم في التنشئة الاجتماعية، وأمام كل هذه التغيرات والتحولات القيمية التي يعشها المجتمع والتي تؤثر بشكل مباشر على مؤسسة الأسرة بات من الضروري إعطاء أهمية كبرى للوساطة الأسرية نظراً لطبيعة العلاقة التي تجمع مكونات الأسرة. فالمقاربة القانونية والتشريعية رغم تحديتها لمواكبة التغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية إلا أنها تبقى غير كافية عندما يكون الحديث عن الأسرة إذ لابد من مقاربة شاملة تتضامن فيها كل الجهود بما فيها الجانب الوقائي.

وتسعى الوساطة الأسرية إلى خلق ثقافة الحوار داخل الأسر وإعطاء فرصة للزوجين والأبناء في بعض الحالات للتعبير عن مشاكلهم وفهمها، ونسج نوع من السلم الاجتماعي يصل إلى مستوى عائلة الزوجين الممتدة للحد من ثقافة الخصومة التي قد تستمر في حالة وقوع طلاق وجود أطفال، كما تسمح بالتفاوض بشكل ودي حول صلة الرحم للحفاظ على علاقات مستقرة نسبياً بين الآباء والأبناء علاوة على ذلك، فإن الوساطة الأسرية تزكي لدى الأطراف أهمية مؤسسة الأسرة ومسؤولية تربية الأبناء وقيم التنشئة الاجتماعية المتوازية ثم ترسيخ السلوك المدني.

فما معنى الوساطة؟ وما هي الوساطة الأسرية، وما خصائصها وامتداداتها؟ وما الفرق بين الوساطة وباقى الطرق البديلة لحل النزاعات الأسرية؟

1. تعريف الوساطة

الوساطة لغة: الوساطة من وسط، يسط، وسطا، وسطه المكان، أو القوم: جلس وسطهم فهو واسط، وساطة القوم، وفيهم توسط الحق، والعدل، والوساطة مصدر، وهي عمل الوسيط، وجمع وسطاء، ومؤنته وسيطة، وهو

التوسط بين المتخصصين، ويقال وسيط فيهم؛ أي هو أرفعهم مقاماً، وأشرفهم نسباً. (المنجد في اللغة، 2000: 900)

الوساطة اصطلاحاً: عرف siddiqui الوساطة بأنها طريقة تدخل بواسطة طرف ثالث يتبني منهج حل المشكلات التعاوني بين المتنازعين، ويسهل للأطراف المتنازعة الوصول إلى حلولهم الخاصة بهم، يتحكم الوسطاء بعملية التفاوض من حيث إعطاء الفرصة لكل طرف، فرصة لسماع صوته وبذلك يتم تمكين الأطراف المتنازعة من حل اختلافاتهم بأنفسهم. (Siddiqui,& Ross, 2004: 147)

كما عرف Moore الوساطة، بأنها عملية تدخل طرف ثالث ويسمى وسيطاً، بحيث يكون مقبولاً لدى أطراف النزاع، فيقوم بمساعدتهم على الوصول طوعاً إلى اتفاق مقبول لديهم حول تسوية القضايا المتنازع عليها، وال وسيط هنا حيادي محدود السلطات فيأخذ القرار، وقد يحتاج إلى الذهاب والإياب بين الخصوم، ويمكن للوساطة أن تؤسس وتعزز علاقات ثقة واحترام بين الأطراف، وأن تنهي هذه العلاقات بأقل التكاليف المادية وأقل الأضرار النفسية (Moore, 2003: 38).

ويوضح مور كلمة (طوعية) بأنها اختياراً حرراً بالمشاركة واتفاقاً حرراً لا إكراه فيه، فلا أحد يجبر الأطراف على الوصول إلى تسوية أو حل نزاعاتهم من خلال طرف ثالث داخلي أو خارجي، ولا يوجد أي التزام قانوني يردع الطرف الذي لا يرغب بالمشاركة في عملية الوساطة، ولأن وسيط لا يملك أي صلاحيات لفرض القرار على المشاركين فهو وبالتالي لا يستطيع تهديد أي طرف يتوازن عن الانضمام إلى المفاوضات بأي حكم قضائي (Moore, 2003: 43).

2. الوساطة الأسرية

تعني الوساطة الأسرية تدخل طرف ثالث بين قطبي النزاع بهدف نقلها من حالة الخصم إلى التفات كل منهما نحو الآخر للتحاور والتفاهم لإيجاد تسوية تشق طريقها نحو الوفاق. ولعملية الوساطة الأسرية أهمية بالغة باعتبارها إحدى الوسائل لحل الخلافات الأسرية، وهي ليست بديلاً أو مساً بوظيفة القضاء السيادية باعتباره سلطة ثالثة مستقلة عن باقي السلطات التشريعية و التنفيذية، بقدر ما هي تدخل إيجابي من شأنه أن يخدم مرفق القضاء حال تحويل القاضي قبل البث في النزاعات المعروضة عليه الدعوة التي يرى حلها ودياً إلى وسيط بعد تسجيلها، ليقوم فريق عمل بالبحث عن أسباب النزاع و تداعياته و تشخيص الحالة تشخيصاً دقيقاً سعياً لإيجاد حلول لازمة لها، ثم تقديم النتائج بعد ذلك إلى قضاء الأسرة من أجل تقييمها و تقويمها و متابعته. (رقيق، 2016: 15-18)

ويتمثل الدور الرئيسي لل وسيط في مساعدة الأطراف على القيام بمقاييس بناء وذلك لتسهيل عملية التواصل ومناقشة حياثات النزاع ومحاولة تذويب الصراع، وفي هذا الإطار تجدر الإشارة إلى أن وسيط ليس قاضياً أو

حكما بل هو عنصر محايد يكمن دوره في تسيير المفاوضات بين الأطراف المتنازعة وتقريب وجهات النظر ومساعدتهم على إيجاد الحلول الممكنة (وزارة العدل، 2007: 4).

1.2 خصائص الوساطة الأسرية:

تتسم الوساطة الأسرية مثلها مثل باقي أنواع الوساطة بمجموعة الخصائص سندَّر منها ما يلي:

أ- السرية:

من خصائص الوساطة الأسرية نجد السرية فال وسيط في إطار جلسات الوساطة مطالب بضمان سرية كل ما يروج خلالها، لأن من شأن ذلك أن يؤدي إلى إفشاء الأسرار الخاصة بالحياة الزوجية من جهة وإلى تعميق البحث وتأجيج الصراع من جهة أخرى، هذا بخلاف ما توفره مسطورة التقاضي التي لها ميزة أخرى وهي العلنية التي تجعلها مرفعة مفتوحة لا يتوانى خلالها أي طرف في استعمال كل معلومة تم الإدلاء بها والبوج بها، وبهذا المعنى فإن الوساطة الأسرية يجب أن تكون محاطة بالسرية التامة، نظراً لما توفره هذه الأخيرة لطرف العلاقة المتنازعين مجالاً مريحاً للتعبير بكل حرية واطمئنان عن مشاكلهما وعن أسباب الخلاف بينهما.(الفلافي، 2008: 90).

وأنسجاماً مع ذلك فقد عمل المشرع المغربي من خلال القانون رقم 05/08 المنظم للوساطة الاتفاقية على ضمان هذه الخاصية من خلال الفصل 327/66 من قانون المسطورة المدنية الذي ينص على أنه: "يلتزم الوسيط بوجوب كتمان السر المهني بالنسبة إلى الأغيار وفق المقتضيات وتحت طائلة العقوبات المنصوص عليها في القانون الجنائي المتعلقة بكتمان السر المهني، ولا يجوز أن تثار ملاحظات الوسيط والتصاريح التي يتلقاها أمام القاضي المعروض عليه النزاع إلا باتفاق الأطراف ولا يجوز استعمالها في دعوى أخرى."(المساوي، 2015: 101).

وهذا فيه إشارة واضحة إلى أن كل العروض أو التنازلات التي يقدمها الأطراف في جلسات الوساطة لا يمكن أن تستعمل ضدّهم في نفس النزاع عندما يعرض على المحكمة.

ب- الاختيارية:

تعتبر الوساطة بطبيعتها اختيارية بحيث أن الأطراف يلجئون إليها عن طوعية و اختيار ما دامت تهدف للوصول إلى حل توافقي ورضائي لذلك فإنه من غير المعقول إجبار الأطراف على هذا المسار، فلا يمكن اللجوء إلى الوساطة إلا بموافقة الأطراف جميعاً و معاً (بويقين، 2004: 16).

ت- المرونة

من أهم خصائص الوساطة أنها تتم في جو خال من التوترات والمشاحنات التي تلازم عادة المحاكمة وتعمل على اقتراح حل بديل يتجنب الأطراف هاجس احتمال خسارة الدعوى بسبب خطأ في الدفاع. ولذلك، فإن الوساطة الأسرية وبخلاف المحاكمة التقليدية التي تؤطرها عدة نصوص وقواعد شكلية وأخرى موضوعية، تتميز بالمرونة التي تسمح بتحرك الوسيط بكل حرية بهدف الوصول إلى اتفاق ودي نهائي

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

وإيجاد حل يرضي الأطراف جميعاً، مما يتيح كثيراً من المرونة في الوساطة لا نجد لها مواجهة أمام القضاء الرسمي (جلام، 2008: 97).

ثـ. السرعة

فمن بين خصائص الوساطة الأسرية أيضاً السرعة على اعتبار أن عامل الوقت في حل أي نزاع قد يتطلب وقتاً قياسياً وفي ظرف وجيز، هذا بخلاف ما عليه القضاء الرسمي بحكم طول إجراءاته ومساطره المعقدة بطبيعة والذي قد يستغرق مدة طويلة في الفصل في القضايا، حيث يبقى أطرافه رهائن لإجراءات بطيئة وتأخيرات متناهية قد لا تكون دائماً ضرورية ومبررة مما تتفاقم معه الأضرار التي تنجم عن تحصيل الحقوق في أمد قصيرة بسبب عدم حل النزاعات في أجل معقول ومن هنا تأتي أهمية الميزة التي تمتاز بها الوساطة الأسرية كذلك وهي سرعة الجسم في النزاع والذي تتم فيه تسوية النزاع في أجال قصيرة وأحياناً في إطار جلسة واحدة عكس المسطورة القضائية التي قد تسترق أوقات طويلة (بجو، 2011: 60).

جـ. الحياد

تعتبر صفة الحياد من أهم الصفات التي ينبغي على من يفصل في أي نزاع أن يتحلى بها لذلك فإنه من الملزم على الوسيط أثناء تسييره لمفاوضاته وجلساته أن يبتعد عن السلوك الذي من المحتمل أن يظهره بمظهره التحيز، فلا يمكنه إجبار طرف على حل معين، وهو غير مقيد بقاعدة معينة فسنه الوحيد في أداء مهمته هو إجراء الحوار وقوة الإقناع وحسن الاستماع والقدرة على طرح عدة حلول وتصورات لكل نزاع.

دـ. مشاركة الأطراف في النزاع

تكتسي هذه الخاصية أهمية كبيرة في تدبير النزاع الأسري، كما تعدّ أهم الخصائص التي تفرد بها الوساطة الأسرية لذا فمن خلالها يتمكن الطرفان في العلاقة الأسرية وبمساعدة وسيط الأسرة من استعادة التواصل وال الحوار بهدف التوصل إلى الحلول المرضية لهما معاً والحلولة دون تفكك الأسرة . وعليه فإن ما يميز الوساطة بالتحديد، هو أن أطراف النزاع هم من يختارون الحل بأنفسهم بدل الخضوع له، فحل مشاكلهم العائلية يكون بأيديهم وبمساعدة الوسيط طبعاً بعد الحوارات والمفاوضات التي تجمعهم وتتيح لهم فرصة المكاشفة والمصارحة بعضهم البعض، وتغريغ المؤاخذات المتبادلة، تم تهدئة النفوس، والتطرق إلى جوهر النزاع ومحاولة إيجاد تسوية ودية لهم بتدخل الوسيط، فبمشاركة الأطراف في النزاع وإتاحة الفرصة لهم للكشف عن أسرارهم ومؤاخذتهم في أنفسهم وتعاونهم الجاد على إدارة النزاع والسيطرة عليه وحله جميعاً يبقى الطريق ممهداً للوسسيط بغية الوصول إلى حل ودي توافقى يتقبله جميع الأطراف بشكل تلقائي.(زيهور، 2010)

2.2 أنواع الوساطة الأسرية:

تنقسم الوساطة الأسرية بالنظر لمختلف الأنظمة التي تعتمدها في حل النزاعات إلى وساطة أسرية قضائية، ووساطة أسرية اتفاقية.

أـ. الوساطة الأسرية القضائية

تميز الوساطة الأسرية القضائية بكونها تمارس بتوجيه وإشراف من القضاء بحيث تتطلب وجود نزاع معروض أمام القضاء وتنقسم إلى نوعين: النوع الأول يتدخل فيه قاض أو قضاة مكلفين بقضايا الوساطة وهو ما يسمى بالقاضي الوسيط، والنوع الثاني هو الذي يقوم بها وسيط محترف تعينه المحكمة المعروض عليها النزاع من ضمن قائمة الوسطاء المعتمدين لديها، والذي يكون في غالب الأمر من ذوي الخبرة في الميدان القانوني كقاض متلاعِد أو محام أو خبير(الحر، 2007: 127) ويمكن أن يكون الوسيط مؤسسة مختصة في الوساطة كمكتب للدراسات والاستشارات القانونية أو جمعية مهنية أو شركات متخصصة في الوساطة الأسرية، في هذا الإطار نجد بعض المحاكم الأجنبية كالأمريكية منها أو البريطانية يمارس لديها وسطاء معينون بصفة منتظمة كما نجد وسطاء يعملون بمراكز ومعاهد متخصصة في الوساطة قد يستعان بهم في المحاكم للقيام بالوساطة (أوديجا، 2007: 41).

وعليه، فإن دور القاضي الوسيط مثله مثل دور الوسيط حيث تبقى مهمته تقريب وجهات النظر بين الأطراف من جهة، وتدوير الخلاف بشكل ودي ومحبٍ من جهة أخرى، إذ أن الوسيط لا يملك أية سلطة في ذلك، لأن القضاء هو الموكول له بالبث في النزاع الأسري في حالة فشل الوسيط في مهامه، مما يوضح وبشكل جلي أن تدخل القضاء في هذا الصدد يتم على مستوىين مستوى يقوم فيه بدور وقائي تحفظي على سلامة الإجراءات القانونية، ومستوى ثان يمكن في الأمر باتخاذ إجراءات إدارية قضائية للوصول إلى حل النزاع بمساعدة وسيط الأسرة (الفلافي، 2008/2007: 88).

أ- الوساطة الأسرية الاتفاقية:

هي التي يتفق عليها الطرفان دون أن يكون هناك أي نزاع معروض بينهما على المحكمة، ومن خلالها يسعian بمحض إرادتهما، إلى الوصول إلى اتفاق لتسوية خلافاتهما العائلية بمساعدة وسيط أسري، الذي يشرف على عملية حل النزاع دون أن تكون له الصلاحية لصنع القرار ويتم اختيار الوسيط الأسري في الوساطة الاتفاقية، بناء على رضا الطرفين ، واعتمادا على ما يتمتع به الوسيط من قيم ومؤهلات عملية وعلمية تؤهله للقيام بفتح الحوار بين الطرفين، وتحضر أجواء التواصل، واستعراض الأطارات الممكنة، والبدائل للوصول إلى أنساب نقطة تفاهم، في المستوى الذي تلتقي فيه مصالحهما، والانتهاء إلى قرار يضع حد للنزاع بينهما. (الفقيه، 2007: 452).

3. الوساطة الأسرية في التشريع المغربي

أولى المغرب اهتماماً كبيراً لمختلف الطرق البديلة لحل النزاعات، حيث عمل المشرع المغربي على توفير إطار قانوني حديث للوسائل البديلة لحل النزاعات في المغرب من خلال قانون 05.08 المتعلق بالتحكيم والوساطة الاتفاقية في قانون المسطرة المدنية والصلح في مدونة الأسرة، وسنحاول فيما يلي التعرض لكل من الصلح والتحكيم والفرق بينهما وبين الوساطة الأسرية.

1.3 الوساطة الأسرية و الصلح الأسري

بالرجوع إلى مسطورة الصلح في قضايا الطلاق نجد أنه قد تم التنصيص عليها بشكل مفصل في مدونة الأسرة الحالية، فطبقاً للمادة 79 من المدونة يجب على طالب الطلاق، أن يطلب الإذن من المحكمة للإشهاد به لدى عدلين منتصبين لذلك ، فمدونة الأسرة على خلاف مدونة الأحوال الشخصية الملغاة، جعلت الطلاق تحت رقابة المحكمة، بعدهما كان يتم من طرف الزوج لدى العدلين وببقى دور القاضي التأشير على وثيقة الطلاق. فلقد حرص المشرع المغربي على تجسيد مسطورة الصلح في جل أو معظم النصوص القانونية كالصلح في المادة الاجتماعية وفي المادة التجارية وفي المادة الجنائية ثم مدونة الأسرة، التي أولتعناية خاصة لمساطر الصلح عند إنهاء الرابطة الزوجية، حيث نصت المادتين¹ 81 و 82 من مدونة الأسرة على ضمان الحضور الشخصي للطرفين للصلح بينهما، "عند حضور الطرفين تجرى المناقشات داخل غرفة المشورة بما في ذلك الاستماع إلى الشهود ولمن تراه المحكمة له فائدة في الاستماع إليه، وللمحكمة أن تقوم بكل الإجراءات التي تساعد على الصلح بما في ذلك انتداب الحكمين أو مجلس العائلة أو من تراه مؤهلاً لصلاح ذات البين. وفي حالة وجود أطفال تقوم المحكمة بمحاولتين للصلح تفصل بينهما مدة لا تقل عن ثلاثين يوماً" (المادة 82 من مدونة الأسرة)²، وذلك قصد مراجعة الزوجين لنفسهما و تهدئة الأوضاع وعودة الأمور إلى ما كانت عليه ليتم خلق مكاتب الصلح بأقسام قضاء الأسرة مهمتها إصلاح ذات البين بين الزوجين في كل القضايا الأسرية يشرف عليها قضاة مختصين في الصلح.

في نفس الإطار نجد أن وزارة العدل والحرفيات قد أولت هي الأخرى اهتماماً للمجال الأسري حيث عملت على توظيف مساعدين ومساعدات اجتماعيات سنة 2010 وقد تم إدماجهم في فئة كتاب الضبط لتسهيل عمل القضاء ولكون أن الأسرة لا ترتبط فقط بالجانب القانوني بل هناك جوانب اجتماعية وثقافية يجب الإحاطة بها، فمن خلال المساعدة الاجتماعية يتم تمكين القضاة من معطيات واقعية بخصوص الوضع الاجتماعي للأسر

¹ المادة 81 من مدونة الأسرة: تستدعي المحكمة الزوجين لمحاولة الإصلاح.

إذا توصل الزوج شخصياً بالاستدعاء ولم يحضر، اعتبر ذلك منه تراجعاً عن طلبه.

إذا توصلت الزوجة شخصياً بالاستدعاء ولم تحضر، ولم تقدم ملاحظات مكتوبة، أخطرتها المحكمة عن طريق النيابة العامة بأنها إذا لم تحضر فسيتم البت في الملف.

إذا تبين أن عنوان الزوجة مجهول، استعانت المحكمة بالنيابة العامة للوصول إلى الحقيقة، وإذا ثبت تحايل الزوج، طبقت عليه العقوبة المنصوص عليها في المادة 361 من القانون الجنائي بطلب من الزوجة.

² المادة 82 من مدونة الأسرة: عند حضور الطرفين، تجري المناقشات بغرفة المشورة، بما في ذلك الاستماع إلى الشهود ولمن ترى المحكمة فائدة في الاستماع إليه.

للمحكمة أن تقوم بكل الإجراءات، بما فيها انتداب حكمين أو مجلس العائلة، أو من تراه مؤهلاً لصلاح ذات البين. وفي حالة وجود أطفال تقوم المحكمة بمحاولتين للصلح تفصل بينهما مدة لا تقل عن ثلاثين يوماً. إذا تم الإصلاح بين الزوجين حرر به محضر وتم الإشهاد به من طرف المحكمة.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

موضوع النزاع ومساعدة الأشخاص والأسر التي تواجه عراقيل وصعوبات في إيجاد حلول ناجعة، كما أنها تسهم بطلب من القاضي في عمليات الصلح من خلال تدبير الخلاف بين الزوجين.¹

من خلال ما سبق نستشف أن الوساطة الأسرية تلتقي مع الصلح في عدة نقاط، كما أنها تختلف عنه في نقط أخرى وتظهر أوجه الاختقاء فيما يلي:

عدم امتلاك سلطة القرار، فالشخص الذي يقوم بالصلح مثله مثل من يقوم بالوساطة فهما لا يملكان سلطة اتخاذ القرار.

أما أوجه الاختلاف فتظهر من خلال ما يلي:

يظهر الفرق بين الصلح والوساطة في كون القاضي وهو يقوم بالصلح بخضع لضوابط وقيود تحكم عمله القضائي، بينما الوسيط يقوم بعمله وهو متحرر من كل القيود التي من شأنها أن تعرقل وصوله إلى صلح يرضي طرفى النزاع، كما أن الوساطة الأسرية هي في حد ذاتها وسيلة لحل النزاع العائلى، في حين أن الصلح بطبيعته غاية.

ثانياً الأسرار التي تروج في الوساطة لا يحتاج بها أمام المحكمة عند فشل الوساطة، بينما في الصلح القضائي يمارس عمله بقعتين تجعل من الصعب أن يتصل من المعلومات والأسرار التي وقف عليها عند مسيرة الصلح. (المساوي، 2015: 101)

2.3 الوساطة الأسرية والتحكيم الأسري:

نظم المشرع المغربي التحكيم الأسري من خلال المادتين 94 و 95 من مدونة الأسرة²، فقد تباهى إلى إمكانية فشل المحكمة في الوصول إلى حل بين الزوجين أثناء محاولة الصلح وسمح للقضاء بإعادة المحاولة من قبل أهل الأطراف في إطار ما يعرف بمؤسسة الحكمين وهذه الآلية ليست دخيلا على القانون المغربي بل استمدت سندها الشرعي من قوله عز وجل " وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله و حكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله عليما خبيرا".

¹ برنامج دعم تنفيذ مدونة الأسرة بمشاركة مع مكتب الأمم المتحدة للمساواة بين الجنسين و تمكين المرأة بمنطقة شمال إفريقيا (ONU Femmes) بتعاون مع وزارة العدل والحرفيات، ووزارة التضامن والمرأة والأسرة الاجتماعية، -بعض الجمعيات النسائية والحقوقية- بتاريخ 10 يونيو 2013- ص 27

2 المادة 94: إذا طلب الزوجان أو أحدهما من المحكمة حل نزاع بينهما يخاف منه الشقاق، وجب عليهما أن تقوم بكل المحاولات لإصلاح ذات البين طبقا لأحكام المادة 82 أعلاه.

المادة 95: قوم الحكمان أو من في حكمهما باستقصاء أسباب الخلاف بين الزوجين ببذل جهدهما لإنهاء النزاع.

إذا توصل الحكمان إلى الإصلاح بين الزوجين، حررا مضمونه في تقرير من ثلاث نسخ يوقعها الحكمان والزوجان ويرفعانها إلى المحكمة التي تسلم لكل واحد من الزوجين نسخة منه، وتحفظ الثالثة بالملف ويتم الإشهاد على ذلك من طرف المحكمة.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

وفي مدونة الأسرة فقد حددت في المادة 95 مهمة الحكمين في محاولة التعرف على الأسباب الجوهرية التي أدت إلى الخلاف بين الزوجين، للانتقال إلى تذويب هذه المشاكل وتقرير وجهات نظر الطرفين للوصول إلى صلح يرضيهم ويرجع الطمأنينة والسكينة للعلاقة الزوجية. وإن كانت الوساطة طوعية وغير ملزمة لحل النزاعات الخاصة بين طرفي العلاقة الزوجية، فإن التحكيم يمكن أن يمر بنفس الكيفية ويؤدي إلى نفس النتيجة، فالحكم في التحكيم الأسري لا يتقييد بالجوانب القانونية ولكنه يناقش الواقع والجوانب الاجتماعية وحتى الإنسانية المرتبطة بالنزاع والآثار المترتبة عليها، ونفس الأمر ينطبق على الوسيط الأسري الذي يملك حرية كبيرة في مناقشة الطرفين.

إذا نجح الحكمان في مساعهما الرامي إلى الصلح وجب مضمونه في تقرير يرفع إلى المحكمة يتم الإشهاد على وقوع الصلح بين الطرفين بمقتضى حكم، أما في حالة فشل الحكمين في مسعى الصلح وجب تضمين ذلك من لدنهما في التقرير مع بيان مسؤولية كل واحد من الزوجين في ما وقع من شقاق مع تحديد أوجه هذه المسؤولية، بخلاف جلسات الوساطة التي تمر في سرية ويلتزم جميع الأطراف بالحفاظ على السرية ومن تم لا يمكن استعمال ما راج فيها أو التمسك بتصریحات أو عروض أو تنازل أي طرف فيها إذا ما انتهت مساعي الوساطة بالفشل ورفع النزاع للمحكمة. (اللمساوي، 2015: 101)

كما أن في التحكيم فالحكمان ينتدبان من أهل أطراف العلاقة الزوجية، بمعنى حكم من أهل الزوج وحكم من أهل الزوجة، وذلك لأجل محاولة الإصلاح ذات البين هذا وقد لا يكون بالضرورة القائم على عملية الصلح حكمين إذ يكفي أن يكون حكما واحدا معينا من قبل الزوجين، بخلاف الوسيط في حالة الوساطة الأسرية الذي يعين باتفاق الأطراف في الوساطة الاختيارية وبأمر من المحكمة في حالة الوساطة القضائية. (اللمساوي، 2015: 201)

ال وسيط في الوساطة الأسرية ملزم بمراحل للوصول إلى حل عن طريق جلسات يعقدها في أماكن خاصة إما في أقسام قضاء الأسرة في حالة الوساطة القضائية أو في مراكز خاصة في حالة الوساطة الاختيارية، هذا بخلاف الحكمين وبحكم آصرة القرابة التي تجمعهما مع أطراف النزاع فغالباً ما تتم مسطرة الصلح أمام أفراد الأسرة.

4. الوساطة الأسرية بالمغرب بين رهانات المؤسسة وآليات التفعيل:

إن الوساطة الأسرية باعتبارها وسيلة بديلة لفض النزاعات ليست غريبة على مجتمعنا ومعتقداتنا الدينية وقوانيننا الوضعية وعادتنا، لذا فهي قابلة للمؤسسة والتطبيق لكن ذلك يتطلب اتخاذ مجموعة من التدابير على رأسها تقييم عملية الوساطة في نصوص قانونية واضحة ومفصلة، غير قابلة للتحرير أو التأويل، فرغم أن مدونة الأسرة تضمنت فقرة صغيرة لتحديد مفهوم الوساطة حيث يشير النص وهو مقتطف من ديباجة المدونة، إلى تعزيز آليات التوفيق والوساطة بتدخل الأسرة والقاضي، ورغم إدماج نظام الوساطة في قانون المسطرة المدنية من خلال القانون 08.05 المعدل للباب الثامن منه، حيث نص الفصل 55.327 من هذا القانون على أنه "يجوز للأطراف، لأجل تجنب

أو تسوية نزاع الاتفاق على تعين وسيط يكلف بتسهيل إبرام صلح ينهي النزاع" إلا أن هذه النصوص تبقى غير كافية لأنها لم تفصل في المفهوم وبقي موضوع تأويلات. فمن الرهانات الأساسية لمؤسسة وتفعيل الوساطة الأسرية يجب الاهتمام بالقضاء وإصلاح أوضاعه كخطوة أولى ولهذا الغرض انخرط المغرب في برنامج شامل للإصلاح القضائي يتولى من خلاله تحقيق أهداف عديدة من بينها اعتماد الوسائل البديلة لحل النزاعات ومنها النزاعات الأسرية باعتبار أن الأسرة هي نواة المجتمع وركيزة، حيث نص الميثاق الوطني حول إصلاح نظام العدالة لـ 2013 في إحدى توصياته على ضرورة مؤسسة الوساطة الأسرية بقضاء الأسرة.

إن المدونة كنص تشريعي تعطي مؤشرات لتفعيل آلية الوساطة في مجال قضاء الأسرة باستعمالها كلمة وساطة وتفعيلها لآليات مسطرة الصلح ذات الصلة بها كما هي معتمدة في كثير من البلدان الأمريكية والأوربية.

غير أن تقنين الوساطة لا ينحصر في وضع النصوص وبقاءها جامدة بل يجب تفعيلها على المستوى العملي الذي ييرز فيه دور المحامي والقاضي كونهم جزء من منظومة القضاء وفاعلان أساسيان في تصريف العدالة، فمن جهتهم يلقى على عاتقهم إقناع أطراف النزاع أو أفراد الأسرة المتنازعة بحل نزاعاتهم بواسطة طرف ثالث وهو الوسيط ومنهم أجلاً كافياً لذلك، ولا يتدخل القاضي للحكم وفض النزاع إلا في حالة فشل الوساطة. (حسن إبراهيم، 2015: 15).

إن الإصلاح التشريعي المطلوب لإدماج الوساطة الأسرية ضمن المنظومة القانونية المغربية لا ينجح إلا إذا وآكبه تفعيل عملي لهذه المقتضيات القانونية من طرف مؤسسات الدولة من جهة وفعاليات المجتمع المدني من جهة ثانية، ولن يتأت هذا الأمر إلا بإخراج إطار قانوني لتنظيم الوساطة يراعي الاقتراحات التالية:

- إحداث نصوص توصل وتوسّس للوساطة الأسرية من خلال وضع دليل أو قانون للمهنة، ينظم الوساطة الأسرية بصفة مستقلة، والذي يجب أن يعترف به من طرف الدولة والسلطات العامة والجمعيات.
- تكريس واجب الإخبار أو نشر معلومات حول الوساطة الأسرية من طرف السلطات العامة، لتمكن كل الأسر التي تعرف اضطرابات في علاقاتها بوجود هذا الطريق البديل.
- إحداث برنامج للبحث حول الوساطة يشجع الأعمال الجامعية من بحوث وكتابات وإصدارات. (حسن إبراهيم، 2015: 15)

إلى جانب الرهان التشريعي وإصلاح منظومة القضاء نجد أن المغرب قد عمل على جانب مهم وهو الانفتاح على تجارب الدول الأخرى للاستفادة منها وتبادل الخبرات، وفي هذا الإطار تم تنظيم برنامج دولي في موضوع الوسائل البديلة وعلى رأسها الوساطة، ويتعلق الأمر بتجربة التعاون مع المؤسسة الأمريكية ISDLS¹ بهدف

¹ - مؤسسة أو معهد للدراسات وتنمية الأنظمة القضائية. وهي جمعية غير حكومية تأسست في إطار جمعيات المجتمع المدني تتكون أساساً من القضاة والمحامين والخبراء في الميدان القانوني.

إدخال الوساطة كحل بديل للنزاعات في النظام القضائي المغربي والاستفادة من التجربة الأمريكية في هذا المجال حيث تم في إطار هذا البرنامج اعتماد مراحل متعددة منها:

1- تكوين مجموعة مغربية للدراسات القضائية GMEJ، قصد إجراء دراسة مشتركة مع خبراء ISDLS حول كيفية حل النزاعات أمام المحاكم المغربية. وتمثل هذه المجموعة وزارة العدل المغربية، تهدف هذا الشراكة إلى القيام بدراسات ميدانية بكل من المغرب، ولاية كاليفورنيا بهدف الوقوف على مدى إمكانية الاستفادة من التجربة الأمريكية في الطرق البديلة لفض النزاعات ، وما هي الإمكانيات التي يوفرها النظام القضائي المغربي في وضعه الحالي وهل هناك قوانين تسمح ،أو تحول دون ذلك ،أو لابد من صدور قوانين أخرى.

2- زيارة المجموعة المغربية للولايات المتحدة قصد الاطلاع على نظام الوساطة هناك، حيث تم زيارة محاكم ولاية كاليفورنيا وكذا بعض المكاتب الكبيرة للوساطة للاطلاع عن قرب على إجراءات وتفاصيل تطبيق الوساطة ، وحضور بعض الجلسات وعقد اجتماعات مع القضاة والمحامين والوسطاء، واستقصاء إمكانية استفادة المغرب من التجربة ووضع تقرير مشترك مع الخبراء الأمريكيين.

3- تنظيم أيام دراسية بالمغرب، تتضمن استقبال الخبراء الأمريكيين من طرف المجموعة المغربية للدراسات القضائية GMEJ للقيام بدراسة ميدانية تشمل زيارة المحاكم من مختلف الدرجات، وإجراء مقابلات مع القضاة والمحامين والأساتذة الجامعيين وتهدف هذه الدراسة إلى إطلاع هؤلاء الخبراء على المساطر الإجرائية في النظام القضائي المغربي والقوانين المنظمة لها، والوقوف على العاقيل والأسباب المؤدية إلى التأخير والبطء في إصدار الأحكام، مع استقصاء أسباب عدم الإقبال على الصلح والتحكيم رغم وجود أرضية قانونية، واجتماعية بالمغرب. كما تم في إطار هذه الدراسة تقديم الخبراء الأمريكيين لعرض عن تجربة ولاية كاليفورنيا في اعتماد الحلول البديلة، وتبادل الآراء حول مدى إمكانية استفادة بلادنا من ذلك وتحديد محكمة ابتدائية لبدء التجربة، كما تم تنظيم ندوة¹ مشتركة حول الوساطة فتح فيها نقاش موسع حول الموضوع.

كما اتجه المغرب إلى خلق مراكز للوساطة الاجتماعية الهدافـة أساساً لتكوين الأطر المتخصصـين كوسطاء اجتماعـيين وذلك لتشـين وإغنـاء هذا التـدخل.

ورغم مجهودات المغرب واهتمامه بموضوع الوساطة الأسرية إلا أن التطبيق في الواقع تعترضه إشكالات عملية عديدة الأمر الذي يدعوا إلى البحث عن آليات ناجعة لتفعيلها وهذا بتضافـر الجهـود بين مؤسـسات الدولة وفعاليـات المجتمع المدنـي من جـمعـيات وـمنظـمات وـأـفرـادـ. فـعلـىـ الدـولـةـ أـنـ تـضـعـ إـطـارـ قـانـونـيـ واـضـحـ يـؤـطـرـ ويـأـسـسـ نـظـامـ الوـسـاطـةـ بـالـمـغـرـبـ يـبعـدـ عـنـهـاـ اللـبسـ وـالـتـحـرـيفـ،ـ ويـحدـدـ دـورـ وـمـهـامـ الوـسـيطـ وـذـلـكـ لـمـرـاعـاهـ مـهـامـهـ

¹- نظمت هذه الندوة بالرباط أيام 27-28 من شهر مايو 2000، وكذلك نظمت أخرى دولية في مدينة الصخيرات أيام 6 و 7 ديسمبر 2015.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

واحترامها، فالرهان الأساسي والأول أمام التطبيق الحقيقي للواسطة الأسرية في الواقع يتجلّى في غياب التأسيس القانوني لنظام الوساطة بالمغرب. إضافة إلى خلق معاهد ومؤسسات لتكوين في حين تعبّر جمعيات المجتمع المدني عن العمل التطوعي والتكافل الاجتماعي وذلك بتوفيرها لمراكز الاستماع لمساعدة الأسر في وضعية نراع ولا تفاهمن من خلال محاولات الصلح التي تقوم بها وكذلك من خلال حملات الإرشاد والتوجيه والتوعية.

خاتمة ووصيات:

تشكل الوساطة الأسرية آلية ناجعة لإعادة بناء الرابط الأسري وذلك بقيامها بتعزيز أهمية مؤسسة الأسرة ومسؤولية تربية الأبناء وقيم التنشئة الاجتماعية ثم ترسیخ السلوك المدني وذلك بإحداث مسار معاير لحل النزاعات الأسرية، فكلما كان حل الخلافات الزوجية بعيداً عن دائرة المحكمة ومحصور بين الزوجين وطرف ثالث كلما أمكن علاجها وتسويتها بحكمة وирجح التصالح والتناصح، ولهذا ينبغي إيلاء هذه الوسيلة اهتماماً بالغاً ومتزايداً على صعيد النظام التشريعي والقضائي. وكذلك القيام بإدماج فعاليات المجتمع المدني، وذلك بتسخير مجموعة من المؤسسات والجمعيات والمنظمات لخدمة هذه الأخيرة بشكل إيجابي من خلال تفعيلها من جهة أو إحداث مؤسسات جديدة ومراكز تنظم وتطور هذه الطرق في اتجاه تسوية النزاعات الأسرية بالوسائل التي تضمن تماسكها واستمرارها ، بدل الدخول دهاليز المحاكم.

و انطلاقاً مما سبق يمكن الخروج بعدة توصيات:

- وضع سياسات عمومية ومحطّطات وطنية اجتماعية واقتصادية وتشريعية ترتكز على رؤية مندمجة مع كل القطاعات المعنية في مجال الأسرة والنهوض بأوضاعها.
- خلق موقع للواسطة الأسرية على شبكة الإنترنيت.
- إشراك مختلف الفاعلين في عملية الوساطة الأسرية، من قبيل مؤسسة المجالس العلمية.
- ضرورة أن تكون الوساطة اجتماعية وواقعية قبل أن تكون قضائية.
- جعل الوساطة إلزامية عند الاقتضاء، تفادياً للجوء للمحكمة مع دراسة إمكانية تحمل الدولة لنفقات الوساطة بالنسبة للأسرة ذات الدخل المحدود وفق معايير دقيقة ومحددة.
- اعتماد برامج التدريب والتكوين لفائدة الشباب المقبل على الزواج تسهيلاً في تعرّفه على مسؤولياته وتعلم كيفية تدبير شؤون الأسرة على أساس العدل والاحترام.

فهرس المراجع:

- القرآن الكريم.
- المنجد في اللغة (2000) (ط 39)، بيروت: دار المشرق.
- الصمادي، زياد (2010). حل النزاعات، برنامج دراسات السلام الدولي، جامعة السلام التابعة للأمم المتحدة.
- أوديجا، بنسلم (2011). الوساطة كوسيلة من الوسائل البلدية لفض المنازعات (الطبعة الأولى)، المغرب: دار القلم.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

- أوديجا بنسال (2007). إدماج الوساطة في النظمتين القانوني والقضائي بال المغرب السياق العام للإشكالات المطروحة أي دور للمحامي في التجربة، الندوة الجهوية الحادية عشر قصر المؤتمرات بالعيون يومي 1 و 2 نونبر 2007، الرباط: مطبعة الأمنية ، 388.
 - الحر، زهور(2007). الصالح والوساطة الأسرية في القانون المغربي والقانون المقارن، الندوة الجهوية الحادية عشر قصر المؤتمرات بالعيون يومي 1 و 2 نونبر 2007، الرباط: مطبعة الأمنية، 127.
 - الفقيه، أحمد(2007). قراءة في مشروع الوساطة بالمغرب ، الندوة الجهوية الحادية عشر قصر المؤتمرات بالعيون يومي 1 و 2 نونبر 2007، الرباط: مطبعة الأمنية، 452.
 - اللساوي فايز، أحمد (2015). موسوعة قانون المسطرة المدنية المغربية، الجزء الثالث(ط)، المغرب: دار الوليد للنشر والتوزيع.
 - الفلاقي، محمد(2008). الصالح والطرق البديلة لتسوية النزاعات الأسرية(رسالة دبلوم الدراسات المعمقة في القانون الخاص). جامعة محمد الأول، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، المغرب.
 - الإبراهيمي، حسن(2015). الوساطة الأسرية بين المأسسة وتحديات التفعيل، المؤتمر الدولي حول الوساطة الأسرية ودورها في الاستقرار الأسري، قصر المؤتمرات الصخريات، المغرب، 15.
 - بجو، مجيدة(2009/2011). دور الوسائل البديلة في تسوية النزاعات الأسرية(رسالة نهاية تدريب الملحقين القضائيين الفوج 36. المعهد العالي للقضاء، المغرب.
 - بوقيين، حسن(2004). مدى إمكانية تطبيق الوساطة بالمغرب ، مجلة المرافعة، عدد 15/14، 16 .
 - جلام، ادريس(2008). الوسائل البديلة لحل النزاعات وعلاقتها بالقضاء ، مجلة المحاكم، عدد 97، 15.
 - رقيق، حسن(2016). الوساطة الأسرية قواعد نظرية ومهارات تطبيقية ، المغرب.
 - زبھور، فوزية(2010/2008). الطرق البديلة لحل النزاعات الأسرية من الصالح إلى الوساطة (بحث نهاية تدريب الملحقين القضائيين فوج 35). المعهد العالي للقضاء، المغرب.
 - سروجي، فؤاد(2007). عملية الوساطة، استراتيجيات عملية لحل النزاعات، (كتاب مترجم لكريستوف، مور، 2003)، (ط1)، الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع.
 - وزارة العدل المغربية (2007). دليل الوساطة ، وزارة العدل المغربية بتعاون مع السفارة البريطانية المغرب ومنظمة البحث عن أرضية مشتركة ، المغرب.
 - مدونة الأسرة(صيغة محينة بتاريخ 25 يناير 2016). وزارة العدل، المغرب.
- Moore,C.W.(2003):The mediation process: practical strategies for resolving conflict,3rd edition.Jossey –Bass.USA.
 - STEBE J.-M. (2005), « La Médiation dans les banlieues sensibles », Paris, Presses Universitaires de France, collection Le lien social
 - Siddiqui, A & Ross, H. (2004): Mediation as a Method of Parent Intervention in children's Disputes. Journal of Family Psychology.

دور التربية الإسلامية في ترسیخ قيم الحوار والوسطية والتسامح

منهاج التربية الإسلامية بالمغرب أنموذجاً

ذ.ادريس الكاميри

وزارة التربية الوطنية / المغرب

مقدمة:

يعد المدخل القيمي في التربية والتكتوين بالمغرب من أفضل المداخل من حيث المردودية والفعالية، وقد اعتمدت وزارة التربية الوطنية هذا المدخل في نظامها التربوي والتعليمي منذ أكثر من عقد من الزمن، لما تعرفه الساحة الوطنية والدولية من تغيرات في المجال الثقافي والاقتصادي والاجتماعي .. ومن القيم الحاكمة في المجال التربوي قيم الحوار والوسطية والتسامح، نظراً للحاجة الملحة في العالم عموماً والعربي والإسلامي على وجه الخصوص لهذه القيم، منعاً لكل انحراف أو تطرف في الفكر والسلوك.

وقد عالج هذا البحث موضوع قيم الحوار والوسطية والتسامح في كتاب التربية الإسلامية متخدداً المستوى الثانوي التأهيلي أنموذجاً، لما لهذه المرحلة من تأثير بالغ في حياة المتعلم(ة)، وقد تضمن البحث ثلاثة محاور رئيسة بالإضافة إلى تمهيد حول أهمية مدخل التربية على قيم الحوار والوسطية والتسامح في التربية والتكتوين ، أما المحور الأول فمدخل تعريفي للمفاهيم المركزية للبحث، و المحور الثاني فكان عبارة عن دراسة لقيم الحوار والوسطية والتسامح في كتب التربية الإسلامية للسلك الثانوي ، ثم المحور الثالث تضمن سبل ترسیخ واستثمار قيم الحوار والوسطية والتسامح ،

• تمهيد: أهمية المدخل القيمي في التربية على ثقافة الحوار والوسطية والتسامح.

إن الرقي بالعملية التربوية يتطلب الارتباط بقيم أساسية يتجه إليها النمو الإنساني الذي تهتم التربية بتحقيقه، وهذا الأمر رهين بزيادة اهتمام النظام التربوي والتعليمي بهذه القيم، ووضع الاستراتيجيات والخطط الكافية في ذلك، مما يستدعي تضافر الجهد بين جميع العناصر، من أهمها: إدارة المدرسة، المعلم، الأسرة، ومؤسسات المجتمع المحلي. لترسيخ هذه القيم ومبادئها الكونية والقيم الإنسانية، والعمل على تصريفها عبر جملة من الإجراءات تكمن في اختيار نصوص حاملة في أصلها وطبيعتها لهذه القيم مع الحرص على عدم إغفال استثمار أبعادها من خلال تقرير النصوص الحاملة لها تحليلاً و تركيباً وتنشيطاً ينسجم مع التوجهات المنشودة، وعملاً على بلورتها حتى يتشعّب المتعلم مفاهيمها الأخلاقية والاجتماعية والثقافية والأنسانية ومن هذه القيم الحاكمة في المجال التربوي

قيم الحوار والوسطية والتسامح، نظراً للحاجة الملحة في العالم العربي والإسلامي لهذه القيم منعاً لكل انحراف أو تطرف في الفكر والسلوك، فرغم مركبة هذه القيم لدى جميع الأمم فإن المنظومة التربوية في العالم العربي والإسلامي خاصة تعاني من أزمة بنوية في موضوع القيم؛ وذلك بسبب التطور السريع، والاختراق الرهيب لثورة تكنولوجيا الاتصال؛ وهو الأمر الذي يستدعي تجديد أدوارها لتواكب حاجات المجتمع في تجاوز العقبات، والاستجابة لمختلف التحديات، ضماناً لاستقرار الأوطان، وحفظ أنهايتها التربوي والأسرى والاجتماعي..

لقد أصبح الاهتمام بقضية القيم اليوم الشغل الشاغل عند المهتمين بالفكر والثقافة والتربية أكثر من أي وقت مضى، بل أصبح الحرص على حماية الخصوصيات الثقافية والقيمية أعظم من الحرص على المصالح المادية والتقنية، ولم يعد سراً أن جل منظومات التربية والتكوين في العالم تشكو من أزمة حادة في منظومة القيم، حيث أضحت في تآكل وذوبان مما ينذربشر مستطير يأتي على الأخضر واليابس.

ومنذ أكثر من عقد من الزمن جددت المملكة المغربية مناهج تدريسها وجددت منظومتها التربوية لتنواع مع التغيرات التي عرفها العالم، وتغير قواعد العمل على مستويات عدة: سياسية واجتماعية وثقافية .. حتى تضمن التكيف والتأقلم مع الواقع الجديد ومتغيراته، فعملت على تأهيل المتعلمين بطريقة جديدة تتroxى تحقيق الكفايات الأساسية استجابة لتحدي المنافسة العالمية التي فرضتها العولمة وما تبعها من تغيرات في سوق الشغل ومتطلباته، والتغيرات المتسارعة في المجالات: العلمية والإعلامية والاقتصادية، وتخريج أطر مغربية قادرة على تسخير الإدارة وتحريك دواليب الاقتصاد المغربي، وتدبير المقاولات الحديثة. وهذا يفرض اعتماد مدخل التربية والتعليم للتنمية وفق قيم الوسطية والاعتدال وال الحوار والتسامح والتعايش في ظل الاختلاف، ويركز على المشاركة الإيجابية في البناء الحضاري العالمي وما يستلزم ذلك من تبادل ثقافي معرفي، مبني على الاحترام المتبادل .

وتعود التربية على القيم من المداخل الأساسية للتنمية نتيجة للتغيرات والمستجدات في العصر الحديث، وما رافقها من تطورات هائلة في الثقافة والسلوك، حيث يتأثر مجال القيم بالمستجدات والتغيرات الإقليمية والعالمية، حيث اضمحلت قيم كانت سائدة وظهرت قيم جديدة، فأثر هذا التغيير على النظام الاجتماعي والثقافي والاقتصادي للإنسان، وعلى مناهج تفكيره وتعبيره وتدبيره. وإذا كانت التربية

بصفة عامة هي: تنشئة المواطن الذي يستطيع العيش والتأقلم مع المجتمع الذي يوجد فيه، وتشكيل الشخصية الإنسانية في أدوار المطابقة الأولى تشكيلياً يقوم على أساس ما يسود المجتمع من تنظيمات سياسية واجتماعية واقتصادية، وإذا كانت القيم هي مجموع المبادئ التي تحكم تصورات الفرد للحياة والكون، فإن التربية الإسلامية تعني تنشئة الفرد على قيم إسلامية خالدة، تخرج الفرد الصالح المصلح الإيجابي والبناء، الذي يأتي بالخير أينما ومن القيم الراسخة في التربية الإسلامية قيم الحوار والوسطية وجهته.

والتسامح ، باعتبارها قيم لصيقة بجوهر الدين الإسلامي، وخاصية من خصائصه، جعلت النفوس تقبل عليه وتبناه، لموافقتها الطبائع البشرية عامة التي تمثل إلى الحوار والوسطية والتسامح والاعتدال والتوازن وتنفر من الغلو والتطرف.

• المحور الأول: مدخل مفاهيمي: -القيم - الحوار - الوسطية - التسامح

نحاول من خلال هذا المدخل المفاهيمي الوقوف على معاني قيم الحوار والوسطية والتسامح في اللغة والاصطلاح، ليتضح مدلولها أثناء الدراسة والتحليل.

✓ مفهوم القيم لغة واصطلاحا

مفهوم القيم لغة:

يدل لفظ القيمة على ثمن الشيء، ويرجع هذا اللفظ إلى الجذر اللغوي: "قوم"، قال ابن فارس "القاف والواو والميم صحيحان، يدل أحدهما على جماعة ناس – قوم وأقوام – وربما استعير في غيرهم، الآخر على انتصار أو عزم – قام قياماً" ¹. ويصدر عن هذا الجذر اللغوي عدة ألفاظ قريبة من بعضها البعض بما يشكل شجرة ألفاظ قريبة ومرتبطة فيما بينها، والمفهوم اللغوي للفظ "القيم" يدل على عدة معان يمكن أن نجملها في ثلاثة: قيمة الشيء وثمنه، و الاستقامة والاعتدال، و نظام الأمر وعماده.

مفهوم القيم اصطلاحا:

المعنى الاصطلاحي للقيم لا يخرج عن المعنى اللغوي، فالقيمة هي "محطات ومقاييس تحكم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء والأعمال والمواضيعات والمواصفات الفردية والجماعية من حيث حسنها وقيمتها والرغبة بها، أو من حيث سوءها وعدم قيمتها وكراهيتها، أو من منزلة معينة ما بين هذين الحدين" ².

أما القيم الإسلامية فهي "مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، كما صورها الإسلام، وت تكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة، بحيث تمكّنه من اختيار أهداف وتوجهات حياته تتفق مع إمكاناته، وتتجسد من خلال الاهتمامات أو السلوك العملي بطريقة مباشرة وغير مباشرة" ³.

✓ مفهوم الحوار لغة واصطلاحا.

الحوار في اللغة :

من حاور يحاور حواراً ومحاجرة، وأصل الكلمة الحوار وهو الرجوع، والحوار في اللغة المراجعة في الكلام ⁽⁴⁾، يقول ابن منظور: «والمحاورة المجاوبة، والتحاور التجاوب» ⁽⁵⁾، وهو من ألفاظ القرآن الكريم قد ورد في أكثر من آية ومنه قوله تعالى: وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثُرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ تَفْرًا [الكهف:34].

1- معجم مقاييس اللغة، بن فارس 43/5

2- ماجد الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 299 .

3- علي خليل مصطفى، القيم الإسلامية والتربية ص 34 .

4- ينظر: لسان العرب لابن منظور مادة «حوار» 1042/2-1044؛ والقاموس المحيط للفيروزآبادي «حوار» 380-381؛ مقاييس اللغة لابن فارس مادة «حوار» 269

5- مادة «حوار» 1043/2

مفهوم الحوار اصطلاحاً:

الحوار في الاصطلاح له تعریفات كثيرة لعل من أهمها :

« الحديث بين طرفين أو أكثر حول قضية معينة الهدف منها الوصول إلى الحقيقة بعيداً عن الخصومة والتعصب بل بطريقة علمية إقناعية، ولا يشترط فيه الحصول على نتائج فورية»⁽¹⁾.

وهناك تعریفات أخرى للحوار وهي تدور على أن الحوار هو المراجعة بين شخصين أو طرفين في الكلام حول موضوع محدد ليثن كل منهما وجهة نظره فيه لغرض الوصول إلى حقيقة معينة. ومن خلال ما سبق فإنه يمكن تعريف الحوار تعريفاً جاماً مانعاً بأنه المراجعة بالكلام بين طرفين حول قضية معينة بأسلوب عملي هادئ، قائم على الحجة والإقناع بغرض الوصول إلى الحق فيها .

آداب الحوار:

- الابتعاد عن التعصب للفكرة أو للأمر الذي أدعوه إليه؛ لأنَّ هذا المحاور إنْ كان معه الحقُّ، فلا بد أن يوصله إلى الآخرين بعيداً عن الأهواء الشخصية، وإنما هدفه يكون نشر الحقِّ.
- استخدام الألفاظ الحسنة، مع البُعد عن جرح الآخرين بمجرد طرح فكرة ثُعارض فكرته².
- الحوار من خلال الاعتماد على ثُحجج صحيحة، ومن خلال الاعتماد على الدليل الصحيح.
- البُعد عن التناقض في الرد على أقوال الآخر، والثبات على مبدأ ونقطة الحوار
- أن يكون الهدف الوصول للحقِّ، وليس الانتصار لنفس³.
- التواضع بالقول والفعل؛ قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (الكبير بطر الحق، وغمط الناس)⁴.
- الإصغاء وحسن الاستماع.

✓ مفهوم الوسطية لغة واصطلاحاً :

مفهوم الوسطية لغة :

تدل لفظة "وسط" في اللغة على معان متعددة، فالواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على: "العدل، والنصف وأعدل الشيء أو سلطه ووسطه..."⁵، فهي تأتي بمعنى النقطة بين طرفي الشيء وهو منه فنقول: قبضت وسط الجبل، وكسرت وسط القوس، وجلست وسط الدار⁶. وتأتي بمعنى الخيار، فأوسط الشيء أفضله وخياره كوسط

1- الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية لخالد المغامسي 22.

2- عبد الرحمن حبنكة الميداني ؛ فقه الدعوة إلى الله ص 368 ط 1996 ج 1 آليات الحوار الناجح؛ د. عبد الرحمن بن سعد الداود ص 80

3- رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر، حديث رقم (147)

5- معجم مقاييس اللغة: بن فارس ، باب (الواو والسين): (108/6).

6- لسان العرب ، بن منظور الأفريقي ، (426/7)

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

المرعى خير من طفيفه، ومرعى وسط أي: خيار، وتأتي بمعنى (عدل) فوسط الشيء وأوسطه أعدله¹. وتأتي بمعنى: الشيء بين الجيد والرديء ، قال الجوهرى: (ويقال أيضاً شيء وسط: أي بين الجيد والرديء)² .

يقول أبو البقاء الكفوبي : " الوسط في الأصل هو اسم للمكان الذي يستوي إليه المساحة من الجوانب في المدور ومن الطرفين في المطول كمترن الدائرة ولسان الميزان من العمود ثم استعير للخصال المحمودة لوقعها بين طيفي إفراط وتغريط { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } يعني متباعدين عن طفي الإفراط في كل الأمور والتغريط ثم أطلق على المتصف بها "³ .

ونستخلص مما سبق أن لفظ " الوسطية" تدل على معاني: العدل وال الخيار والنصف أو الوسط بين الطرفين.

مفهوم الوسطية في الاصطلاح :

لا يختلف المعنى الاصطلاحي للفظة الوسطية عن المعنى اللغوي، حيث نجد أحمد عمر هاشم يعرفها بقوله : "فالمراد بالوسطية : التوازن والتعادل بين طرفين بحيث لا يطغى طرف على آخر ، فلا إفراط ولا تغريط ، ولا غلو ولا تقصير ، وإنما اتباع للأفضل والأعدل ، والأجود والأكم"⁴ ، ويعرف الدكتور وهبة الرحيلي الوسطية ، بقوله : (الوسطية في العرف الشائع في زمننا تعني الاعتدال في الاعتقاد والموقف والسلوك والنظام والمعاملة والأخلاق، وهذا يعني أن الإسلام دين معتدل غير جانح ولا مفرط في شيء من الحقائق، فليس فيه مغالاة في الدين، ولا تطرف ولا شذوذ في الاعتقاد،ولا استكبار ولا خنوع ولا ذل ولا استسلام ولا خضوع وعبودية لغير الله تعالى،ولا تشدد أو إحراج،ولا تهاون،ولا تقصير،ولا تساهل أو تغريط في حق من حقوق الله تعالى، ولا حقوق الناس، وهو معنى الصلاح والاستقامة"⁵ .

وجاءت الوسطية في السنة كذلك بمعنى الأوسط والأعلى، كما وصف النبي صلى الله عليه وسلم الفردوس بأنه أوسط الجنة وأعلى الجنة بقوله: "إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أَرْأَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ"⁶.

ومن معانيها العدول والختار، ومنه قوله جل وعلا: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [القلم: 28]. "أي: أعدلهم وخيرهم"⁷. ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143] أي: عدولاً خياراً¹. ويقول الإمام ابن كثير: "الوسط هاهنا: هو الخيار والأجود"²، وعليه فإن الله تعالى قد شرف هذه الأمة وميزها بصفة الوسطية.

1- نفس المصدر والجزء والصفحة

2- الصحاح ، الجوهرى. 304/4

3- الكليات معجم في المصطلحات والفرق اللغوية لأبي البقاء الكفوبي ص 938 ، وسطية الإسلام ، أحمد عمر هاشم ص 7

5- "الوسطية والإعتدال في الإسلام". - مؤتمر الوسطية منهج حياة. - الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2005م. -18ص.

6- أخرجه البخاري، في الصحيح، كتاب بدء الوضوء، ج 4، ص 19.

7- الجامع لأحكام القرآن القرطبي ج 2، ص 112.

و ضد الوسطية والاعتدال نجد الغلو والتطرف ، والذي هو تجاوز الحد في كل شيء ، والسير على طرف الطريق ، وحرفها ، وليس في وسطها .

واستنتاجاً مما سبق يمكن أن نقول بأن الوسطية هي الاعتدال والتوازن في شؤون الحياة كلها ، الخاصة والعامة ، وتعني صفات الخيرية والعدل التي يتتصف بها الفرد المجتمع ، وتشكل منهاجاً في الحياة ، أما قيم الوسطية والاعتدال ، فهي تلك الصفات والمعايير والمبادئ التي تحكم تصور الإنسان للحياة والكون ، بما يجعله يلتزم صفات الاعتدال والوسط والاستقامة على الطريق ، ويسهل نحو الخيرية والأفضلية في الاختيارات ، ويقصد العدل والإنصاف في أحكامه . لا إفراط ولا تفريط ، لا غلو ولا تشدد ، ولا تقصير .

وهذا مقصود الدين والشرع من تشريع الأحكام والأخلاق والقيم ، أن يكون المسلم وسطياً معتدلاً ، في كل شيء في الاعتقاد والتعبد ، في المأكل والمشرب ، في التعامل والتعايش ... فالوسطية هي "الحق بين باطلين"؛ والعدل بين ظلمين؛ والاعتدال بين تطرفين؛ وال موقف العادل الجامع لأطراف الحق والعدل والاعتدال ، الرافض للغلو إفراطاً وتفرطاً؛ لأن الغلو الذي يتتبّع الوسطية هو انحياز من الغلاة إلى أحد قطبي الظاهرة ، ووقف عند إحدى كفتفي الميزان ، يفتقر توسط الوسطية الإسلامية الجامعة وإمكانات الشهادة والشهود³ .

والغاية والمقصد من تشريع الوسطية والاعتدال هي تحقيق استقامة السلوك وسلامته من الانحراف المؤدي إلى الهلاك والخسنان ، وضمان استمرار العمل وعدم انقطاعه ، وتحقيق الأمن الروحي والاجتماعي ... ، وتحقيق سعادة الإنسان والتي هي المقصود الأسمى للشريعة الإسلامية .

✓ التسامح في اللغة والاصطلاح

التسامح لغة:

أصل الكلمة التسامح في اللغة العربية يعود إلى فعل ثلاثي أو مادة (سمح)، سَمَحَ: رَجُلٌ سَمِعْ، ورجال سَمَحَاء، وقد سَمِعْ سَمَاحَةً، جاد بماله وسمح لي بذلك يسمح سماحةً وهو الموافقة فيما طلب . والتسميم: الشرعة، ورُمِحْ مُسَمَحْ: ثُقِفْ حتى لان، ورجل مسماح، أي جحود⁽⁴⁾ وتقول العرب: عليك بالحق (فإن فيه لمسماحا- كمسكن- أي متسعًا) و(السماح رئاخ)، أي المساهلة في الأشياء تريح أصحابها. والسماح السماحة - الجود، وسمح به: أي جاد به، وسمح لي: اعطاني والمسامحة: المساهلة، وتسامحو: تساهلوا⁽⁵⁾، وفي الحديث عن الزهري⁽⁶⁾ قال: ((مر النبي محمد صلى الله عليه وسلم على اعرابي يبيع شيئاً، فقال: "عليك بأول سوم أو أول

1 المرجع السابق نفس الصفحة .

2 تفسير القرآن العظيم بن كثير ، ج 1، ص 454.

3 وسطية الأمة الإسلامية ، محمد عمارة، مجلة حراء، ع 2 ، كانون الثاني ، سنة 2006

4 الفراهيدي، كتاب العين، 272/2

5 الجوهرى، الصحاح في اللغة، 554/1؛ محمد مرتضى الحسيني تاج العروس 1/486.

6) هو محمد بن مسلم بن عبد الله القرشي، كنيته ابو بكر(ت: 124هـ)، فقيه، حافظ، وهو من رؤوس الطبقة الرابعة، متفق على جلالته وتقانه، ينظر: ابن سعد، ابو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري البغدادي(ت: 230هـ)،

السوم فان الارياح مع السماح⁽¹⁾، فالتسامح كلمة رقيقة لا يعرف معناها الا صاحب العقل الناضج، هي كلمة بسيطة لكن معناها جميل ومكانتها اجمل في الحياة.

مفهوم التسامح اصطلاحا

عُرف التسامح على انه تصرف وتصور ورؤيه فكرية ازاء العقائد والممارسات المختلفة وليس المتفقة²، وقد وردت عدة معانٍ واصطلاحات للتسامح كلاً يعطيها تعريفا حسب وجهة نظره:

1- احتمال المرء بلا اعتراض، ولا اعتداء على حقوقه الدقيقة بالرغم من قدرته على دفعه³، ان هذا التعريف للتسامح لا يعبر عن وجهة نظرنا بكل ما تعنيه مفردة التسامح من معانٍ، فهو لم يشمل كل أنواع الاعتراض ولم يفصلها تفصيلاً دقيقاً، فهناك اعتراض على العقيدة او على المبدأ او على وجهة النظر أو على مواقف حياتية معينة.

2- عُرف على انه: استعداد عقلي أو قاعدة سلوكية قوامها ترك حرية التعبير عن الرأي لكل فرد حتى وإن كنا لا نشاطه رأيه.⁴

3- والمعنى الآخر هو: احترام ودي لآراء الآخر، وذلك باعتبارها مساهمة في الحقيقة الشاملة.⁵

4- وعرف التسامح كذلك على أنه: موقف من يقبل لدى الآخرين وجود طرق تفكير وطرق حياة عما لديه، فيصبح مبدأ التسامح مبدأً توافقياً، ويكون الغرض منه ليس الأخذ بالمنوعات بل الوصول إلى التوافقات.⁶ وتعريف آخر ان ترك لكل إنسان حرية التعبير عن آرائه وان كانت مضادة لآرائك⁷، ويبدو ان هذا التعريف- على الرغم من إيجازه - هو أكثر شمولية، فمشكلة التعبير عن الرأي هي مشكلة تعاني منها البشرية، وقد تتطور هذه المشكلة لتصبح في نهاية الأمر باباً مفتوحاً للصراع؛ وذلك ان اغلب الصراعات والصدام بين الحضارات والأديان سببه الاختلاف والتقطاع في الرأي والجدال، الذي يفضي في نهاية الأمر إلى الحرب.

• المحور الثاني: قيم الحوار والوسطية والتسامح في كتب التربية الإسلامية للسلك الثانوي

جددت وزارة التربية الوطنية للمملكة المغربية كتبها المدرسية ومناهجها التربوية، معتمدة بيداغوجية الكفايات، وجعلت من مقوماتها التربية على القيم، متتجاوزة بيداغوجية الأهداف والتحصيل المعرفي فقط، وفي هذا الصدد نص الميثاق الوطني للتربية والتكتوين على ضرورة العمل على التربية على القيم ، كما جاء في الصفحة الأولى للميثاق (المبادئ الأساسية) المرتكزات الثابتة: "يهتمي نظام التربية والتكتوين للمملكة المغربية بمبادئ العقيدة الإسلامية

(1)، سنن البيهقي الكبير، 36/6

(2)التسامح وجدور اللاتسامح مليكان مصطفى ، ص81.

(3)، المعجم الفلسفى، صيلينا جميل 1/271.

(4)الموسوعة الفلسفية، للاند اندريله 3/1460.

(5) المرجع نفسه، 3/1461.

6 ، التسامح والثقافات، مجلة التسامح علي، عاطف ، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ع5، (عمان، 1424هـ/2004م)، ص300.

7 المعجم الفلسفى صيلينا ص272.

وقيمها الرامية لتكوين المواطن المتصف بالاستقامة والصلاح، المتسم بالاعتدال والتسامح، الشغوف بطلب العلم والمعرفة، في أرحب آفاقها، والمتوفّد للاطلاع والإبداع المطبوع بروح المبادرة الإيجابية والإنتاج النافع¹.

وفي السياق نفسه صدرت المذكورة الوزارية رقم 87 التي تدعو كافة الفاعلين التربويين إلى تفعيل أدوار الحياة المدرسية لدعم مشروع الميثاق الوطني للتربية والتعليم، فركّزت على ما يلي:

أولاً: تثبيت القيم الأساسية لدى التلميذ (ة) من خلال:

- التشبع بمبادئ الإسلام السمحاء وقيمه الرامية إلى تكوين المواطن المتصف بالاستقامة والصلاح، والمتسم بالاعتدال والتسامح.
- تكريس حب الوطن، والتربية على المواطنة والمشاركة الإيجابية في الشأن العام لبلده.
- الاعتزاز بالهوية الوطنية بكل أبعادها الحضورية والتفاعل بانسجام وتكامل وفتح مع القيم الإنسانية الكونية.
- التشبع بمبادئ المساواة وبروح الحوار وقبول الاختلاف، وتبني الممارسة الديموقراطية، واحترام حقوق الإنسان وتدعيم كرامته.
- امتلاك ناصية العلوم والتكنولوجيا والإسهام في تطويرها.

وقد حدد الميثاق الوطني للتربية والتكوين أربع مركبات للقيم بالمغرب هي:

قيم العقيدة الإسلامية – قيم الهوية الحضارية – قيم المواطنية – قيم حقوق الإنسان.

وقد أبرز الكتاب الأبيض المنبثق عن أجراة الميثاق الوطني للتربية والتكوين مواصفات المتعلمين من حيث القيم والمعايير الاجتماعية المرتبطة بها ومنها : التشبع ب :

- القيم الإسلامية وممارسة أخلاقياتها.
- قيم الحضارة المغربية والوعي بتتنوع وتكامل روافدها.
- حب الوطن وخدمته.
- قيم حقوق الإنسان / حقوق المواطن المغربي وواجباته.
- روح الحوار وقبول الاختلاف.
- قيم المشاركة الإيجابية في الشأن المحلي والوطني وقيم تحمل المسؤولية.

1 التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة التربية الإسلامية بسلك التعليم الثانوي التأهيلي

وهذه القيم تجلت في الكتب المدرسية، وحديثنا في هذه الورقات سيكون حول قيم الحوار والوسطية والتسامح المضمنة في كتب مادة التربية الإسلامية في المستوى الثانوي التأهيلي، حيث ترخر هذه الكتب بقيم الوسطية والاعتدال وال الحوار والتعايش مع الآخر المختلف عنا، مما أسهم في تشكيل شخصية مغربية متوازنة، تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وبين الحفاظ على الهوية والافتتاح على الثقافات والحضارات الأخرى.

وقد تنوّعت قيم الحوار والوسطية والتسامح في الكتاب المدرسي في مادة التربية الإسلامية للمستوى الثانوي التأهيلي، بين ما هو عقدي وما هو سلوكي وما هو فكري منهجي، بحيث استوعبت كل مناحي حياة المتعلم(ة)، وقد توزّعت هذه القيم على جميع محتويات المقرر وانسابت في مكوناته ، فنجد قيم الحوار والوسطية والتسامح في أهداف الدرس التي يسعى إلى تحقيقها في نهاية الدرس، أو على مستوى نصوص الانطلاق المؤطرة لمضمرين ومحاور الدرس النظري، ونصوص الدروس التطبيقية الهدافة إلى تنمية مهارات الفهم والتحليل والاستنتاج والاستباط، وكذلك على مستوى الأنشطة المقررة الرامية إلى تنمية روح الإبداع والإنتاج لدى المتعلم(ة)، بما يحيط بوجوداته وقدراته ومعارفه و اختياراته.

أ- قيم الحوار والوسطية والتسامح في الاعتقاد والبعد

معلوم أن العقيدة حاكمة على السلوك، ولذلك تم استهداف غرس قيم الحوار والوسطية والتسامح على مستوى العقيدة، من خلال ترسیخ قيم الإيمان بالله تعالى وتوحیده، وإثبات صفات الكمال والجمال التي تليق به سبحانه، كما بينها في كتابه الكريم، وبينتها سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وتزييه عن كل صفات النقص، ونفي مشابهته للخلق واستخلاص قيمة التوحيد في تركيبة النفس وتطهيرها وتمثلها في الحياة ، وهو ما يبرز في درس التوحيد وادلته في مقرر الجزء المشترك. وإذا عدنا إلى الدرس الأول من كتاب الجزء المشترك، مدخل التركيبة درس القرآن الكريم سورة الكهف وكيف عالجت هذه السورة موضوع الحوار حيث يشغل الحوار في هذه السورة ثلاثة أربعها تقريباً ، فآياتها التي تعد مئة وعشرون آيات ، منها ثلات وثمانون آية في الأقل حوارية . وال الحوار فيها لا يختص بالقصص الأربع التي تقوم عليها ، بل يشمل الخط الواصل بين هذه القصص جميعاً ، وهو مخاطبات الله تعالى لرسوله محمد عليه السلام ، وهو الخط الأول الذي جاءت القصص (ضرب أمثال) لتعزره وتكميله في بناء السورة الكلي . واثنتان من هذه القصص- وهما قصة صاحب الجنتين وقصة النبي موسى والرجل الصالح - يغلب عليهما الحوار حتى كادتا تتحولان إلى حواريتين. في هذا الحوار تنوّعت الأطراف المتخاطبة ، ولم يقتصر الحوار على المخاطبات البشرية ، فهناك خطاب من الله تعالى لرسوله محمد عليه السلام ، وآخر من الله تعالى إلى الملائكة ، ومن الله تعالى للعباد ، ومن العباد إلى الله تعالى ، ومن العباد للعباد ، وأخيراً خطاب النفس أو النجوى. كما نجد تجلي قيم العفو والتسامح في درس الاولى باكلوريا مدخل: الحكمـة: بعنوان العفو والتسامح حيث هدف الدرس إلى إشاعة قيم العفو والتسامح وحسن معاملة المخالفين كالتسامح مع أتباع الشرائع السماوية الذين لا يحاربون المسلمين، وقبول المخالف واحترامه والسامح له بالتعبير عن رأيه، حيث دلت نصوص من القرآن والسنة وسير الخلفاء في فتوحاتهم على التسامح مع أهل الكتاب(اليهود والنصارى). والاعتراف بكل

الشائع السماوية السابقة، وبكل الأنبياء المرسلين والكتب المنزلة، مع الدعوة إلى احترامها وعدم التعرض إليها بالإساءة، واحترام أتباعها في تدينهن وطقوسهم، وأماكن عبادتهم.¹، وإثارة الانتباه إلى الوحدة العقدية بين الشائع السماوية مع اختلاف في التشريعات التي نزلت مراعية الظروف الزمانية والمكانية للبشرية. ولذلك كانت الشائع والأنبياء يكملون بعضهم البعض في انسجام وتناغم، بعيداً عن التناحر أو التنازع. والنص المقتطف من كتاب المنار يوضح ذلك بجلاء المضامين المعرفية في الكتاب المدرسي الهدافة إلى ترسیخ هذا التكامل والانسجام بين التشريعات السابقة والإسلام.

وفي نفس الدرس ضمن كتاب المسئي في رحاب التربية الإسلامية لنفس المستوى، نجد توجيهات لترسيخ قيم الحوار والتسامح مع أتباع الشائع السماوية مثل: ضمان حريةهم في العقيدة، وحماية أماكن عبادتهم، والدعوة والإقناع بالتي هي أحسن، إستثمار كل فرص الحوار لإبراز قيم الإسلام، الحرص على تجنب كل أشكال العداوة على أصحاب الفكر المخالف.² وإذا كانت هذه المضامين الداعمة لقيم الوسطية والاعتدال في التعايش مع الآخر المختلف والقبول به، والتسامح معه، على مستوى الدرس النظري، فإن أنشطة هذا الدرس تنقل المتعلم(ة) إلى الوقوف على التطبيق العملي في محیطه وبیئته الاجتماعية، ليقف بنفسه على نموذج حي في التعايش والتسامح والقبول بالآخر والتعاون معه فيما هو مشترك بين الإنسانية على اختلاف اعتقاداتها وثقافاتها، بما يخلق قناعة للمتعلم بحتمية التعايش والتعاون مع أصحاب الديانات الأخرى.

جاء في أنشطة درس علاقة الإسلام بالشائع السماوية السابقة، طلب إنجاز عرض حول: تعايش المسلمين مع اليهود في المغرب، وذلك بالتركيز على المناطق السكنية الخاصة باليهود، والمهن المتداولة بينهم.³ وفي نفس الدرس مطلوب من المتعلمين - بشكل جماعي - إنجاز عرض حول: "مشاركة الأقليات غير المسلمة في الحقوق المدنية والسياسية داخل المجتمع الإسلامي"⁴

أما في جانب التعبد فإن قيم الوسطية والاعتدال تجلت في التركيز على مقاصد العبادات وأبعادها التربوية والاجتماعية والاقتصادية، بعيداً عن الإغراق في التفاصيل والأحكام الفرعية المرتبطة بكل فريضة من الفرائض، رغم أهمية هذه الأحكام في ضبط أداء الفرائض على وجهها الصحيح، إلا أنها قد مرت في المستويات الابتدائية والإعدادية، فبقي التركيز على جوهر العبادات وأسرارها ومقاصدها المبتغاة من ورائها، ليكتمل تصور العبادات والفرائض في ذهن المتعلم(ة) شكلاً ومضموناً، فيترسخ في ذهنه أن الفرائض ليست أشكالاً وصوراً فقط، بل لها روحًا وجواهرًا، وأن إقامة الفرائض في جانبها الصوري الظاهري غير كاف، وأن الاقتصار على المظاهر في التدين

¹ في رحاب التربية الإسلامية، السنة الأولى بكالوريا، ص 62-63، مكتبة السلام الجديدة ودار العالمية للكتاب

2- كتاب في رحاب التربية الإسلامية، مستوى الجذع المشترك، مكتبة السلام الجديدة، الدار العالمية للكتاب، طبعة سنة 2017

3- كتاب المنار، مستوى الجذع المشترك ص 19، مكتبة السلام الجديدة ودار العالمية للكتاب ،

4- نفس المرجع، نفس الصفحة

مذموم، ولا بد من إدراك وتحقيق روح الدين الإسلامي في حياة الفرد والجامعة، فتتحقق قيم الدين الإسلامي المتجلية في التقوى والصلاح والرحمة والإخوة والتضامن .. ونفس الأمر نجده في درس الرسول صلى الله عليه وسلم مفاوضاً ومستشيراً الأولى بكالوريا، والذي يركز على مبدأ التفاوض في معاملة رسول الله صلى الله عليه وسلم لآخر وفوائده ويبيّن كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على تحقيق أهدافه عن طريق التفاوض والحوار، ولا يتجزئ إلى الحلول الأخرى إلا بعد فشل المفاوضات.¹

ونفس الامر نجده ايضاً في درس الرحمة والرفق للمستوى الثانية بكالوريا حيث يهدف الدرس إلى تمثيل روح الرفق و الرحمة النبوية في سلوكنا الدعوي و منهجنا التغييري خطاباً وممارسة والدعوة إلى التأسي بأخلاق الإسلام الذي من معانيه الكبرى الرفق و الرحمة و المحبة و السلام، فمهما كانت ضغوطات الحياة وصعوباتها، ومهما كانت درجة الاختلاف في وجهات النظر و الرؤى و التصورات ، فعلى الإنسان أن يعيش معاني المحبة و السلام و الإباء و الرحمة في نفسه، فمن لا يتمثل تلك المعاني في سلوكه و معاملاته و أخلاقه لا يمكن أن يكون قدوة للناس و لا يمكن أن تجتمع عليه قلوب وأفءدة الخلق و لن يكون له الخالق نصيراً.²

وتهدف هذه الدروس مجتمعة إلى إعطاء تصور كلي واضح عن خصائص الدين الإسلامي، ويهمنا هنا محور قيم الحوار الوسطية والتسامح ، الذي تتجلّى فيه هذه القيم على مستوى أهداف الدرس النظري، والتي يطلب تحقّيقها لدى المتعلم(ة) في نهاية الدرس، وهذه الأهداف نأخذها من كتاب في رحاب التربية الإسلامية لمستوى الجزء المشترك، وهي تستهدف المتعلم(ة) كما يلي:

- ترسّيخ قيم الحوار الوسطية والتسامح ومحاربة الغلو والتطرف
- أن يستثمر معارفه الإسلامية في تحليل ومناقشة بعض مظاهر الغلو، وبعض مظاهر الانحلال في المجتمع، ويبدي مواقف نقدية منها .
- أن يبدي استعداده لتشمل أهمية التربية الإسلامية في استقامة الفهم والسلوك اليومي انطلاقاً من توجيهات القرآن والسنة النبوية³. وفي هذا الدرس يتعرّف المتعلم(ة) على قيم الحوار الوسطية والتسامح في مظانها: قرآن وسنة، وعلى مظاهرها في أحكام الشريعة الإسلامية والتي تستوعب كل مجالات الحياة، فتترسّخ هذه القيم على مستوى فهم النصوص الشرعية وتتنزّلها على الواقع المعيش، بما يشرّم سلوكاً وسطياً معتدلاً بعيداً عن كل أشكال التطرف والغلو أو الانحلال، موازناً بين مطالب الروح ومطالب الجسد، وبين الدين والدنيا، حيث "حث الإسلام على التوازن والاعتدال، ونبذ الغلو والتطرف، فالإسلام لم يطلب من الإنسان أن يكون راهباً في مغارة، أو عابداً في

¹ في رحاب التربية الإسلامية، السنة الأولى بكالوريا ص 50-51، مكتبة السلام الجديدة ودار العالمية للكتاب ،

² في رحاب التربية الإسلامية، السنة الثانية بكالوريا، مكتبة السلام الجديدة ودار العالمية للكتاب ص 68-69

³- في رحاب التربية الإسلامية، الجزء المشترك، مكتبة السلام الجديدة ودار العالمية للكتاب ، ص 40

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

خلوة، ليه قيام، ونهاره صيام، كل صمته فكر، وكل كلامه ذكر، وكل نظره تأمل، لا حظ له في الحياة، وإنما طلب منه أن يكون إنساناً عاملاً في الحياة يعمرها، ويدفع عجلتها إلى الأمام، طلب منه أن يسعى في مناكب الأرض، ويلتمس الرزق في خباياها. بيد أن عليه أن لا تذهب مطالب الحياة، عن واهب الحياة وهو الله تعالى¹.

بـ- قيم الحوار والوسطية والتسامح في الفكر والمنهج

في تتبعنا لقيم الحوار والوسطية والتسامح نجد أنها تشمل الجانب المنهجي والمعرفي في كتاب التربية الإسلامية لل المستوى الثانوي، خاصة في السنة الثانية باكالوريا، مراعية تطور مدارك المتعلم(ة) ونمو ذهنه، بحيث في هذه المرحلة يفتح عقله على قضايا معرفية ومنهجية تتطلب إجابات مقنعة، بعيداً عن الخطاب الوعظي أو العاطفي. لذلك نجد مقرر السنة الثانية من التعليم الثانوي بكل مسالكه، يتضمن دروساً في الفكر والمنهج، وقضايا حقوق الإنسان، والخصائص العامة للشريعة الإسلامية، فمثلاً في مدخل الاستجابة درس الخصائص العامة للشريعة يهدف الدرس أن يتعرف المتعلم(ة) على قيم الوسطية والتوازن والاعتلال وعلى أن الإسلام دين اليسر ورفع الحرج فهو تطبيق الأحكام الشرعية بصورة معتدلة كما جاءت في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، من غير تشدد يحرّم الحلال، ولا تميّع يحلّ الحرام وان الإسلام دين الاجتهاد والتجدد².

والملاحظ في دروس التشريع الجنائي في الإسلام هو الحضور القوي للبعد الوسطي المقاصدي، وذلك من خلال القراءة المقاصدية الكلية لنصوص الحدود والعقوبات، وربطها بجانب القيم الروحية التربوية والاجتماعية في الإسلام، بدل القراءة الحرافية التجزئية الخارجة عن روح الشريعة السمحاء ومقاصدها التي جاءت من أجلها. وهذا الطابع المقاصدي يشمل قراءة النصوص الداعمة في الكتاب المدرسي، والنصوص التطبيقية، والوضعيات الاختبارية، .. كما شمل أيضاً الكتب والمراجع المذيلة في آخر الكتاب المدرسي، بما يمنح المدرس والمتعلم على حد سواء عدة معرفية وبيداغوجية موجهة نحو الوسطية والاعتلال.

وفيمما يتعلق بالوحدة المنهجية، يتعرف المتعلم(ة) على أصول ومصادر المعرفة الإسلامية، بحيث يتعلم أن المعارف الإسلامية لا تأتي من فراغ، وإنما لها مصادر محددة، وهي الوحي الإلهي والعقل البشري، الوحي نجده في القرآن الكريم والسنة النبوية، والعقل البشري من خلال إعماله في فهم النصوص الشرعية وفي تنزيلها على الواقع المعيش، وهو ما يسمى بالاجتهاد. وهو ما يعطي للشريعة الإسلامية الصلاحية والاستمرارية في الزمان والمكان، ويعطي فعالية للعقل البشري، باعتباره مناطاً للتکلیف، وميزة التکريم الإلهي للإنسان. ويتعرف المتعلم(ة) من خلال هذه الدراس على ضوابط للتعامل مع مصادر المعرفة الإسلامية، بحيث يكون فهمه للدين فهماً وسطياً، وتدينه تديناً سليماً، لأن جل الأعوجاج في التدين من غلو أو انحراف أو انحلال سببه خلل في فهم النصوص الشرعية، أو في تنزيل هذه النصوص على واقع الناس.

1- المنار في التربية الإسلامية، الجدع المشترك،، مكتبة السلام الجديدة ودار العالمية للكتاب ص 41

2- في رحاب التربية الإسلامية، السنة الثانية باكالوريا، مكتبة السلام الجديدة ودار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، سنة الطبع، م 2017.

وهذا ينقل المتعلم(ة) إلى الوقوف على خصائص التفكير المنهجي في الإسلام، فيتعرف على أن التفكير عند المسلمين له منطلقات وأسس ومصادر وخصائص تميزه، ويتجلى بعض تلك الخصائص في تكامل عالمي الغيب والشهادة، والعقلانية، والوسطية والاعتدال، والتتجديد والافتتاح، والاستناد إلى القيم والمعايير الأخلاقية¹، وهذا يمكن المتعلم(ة) من اكتساب قيم وسطية في التفكير وفي منهج البناء المعرفي لديه، مما يجعله يمتلك عقلية نقدية تأصيلية لا تأخذ بالأفكار كما هي مسلمة، وإنما تعلمه الفحص والتمحيص، والعرض على مشرحة النقد، حتى إذا توافقت هذه الأفكار والمعارف مع صحيح المنقول، وصريح المعقول، أخذ بها، وإلا ألقاها في سلة المهملات، أو يدمغها بالحججة والبرهان فتموت في مهدها.

وهذا يؤهل المتعلم(ة) للتعامل مع الافتتاح الإعلامي على مختلف الأفكار والتيارات الثقافية، بلا خوف عليه من التأثر بالانحرافات الفكرية والعقدية.

ج- قيم الحوار والوسطية والتسامح في التواصل وتدبير الاختلاف

التواصل الفعال والبناء يتوقف على مجموعة من القيم والضوابط الحاكمة والموجهة له، ومن هذه القيم قيم الوسطية والاعتدال والتسامح في التواصل وال الحوار مع الآخر المختلف عن الذات، التي تجعل منه اختلاف تنوع وثراء للإنسانية، ويكون عنصر قوة بفعل التبادل والتعاون بين المكونات المختلفة.

وفي الكتاب المدرسي لمادة التربية الإسلامية للسنة أولى بكالوريا بجميع شعبها ومسالكها، تحضر قيم الحوار والوسطية والتسامح في الوحدة الأولى المعنونة بالوحدة التواصلية، لتوجيه المتعلم(ة) في تواصله وحواراته مع الآخر، وهكذا نجد فيما تحكم نية المتواصل وقصده و فعله، بما يضمن حضور إرادة نشر الخير والصلاح والتعاون منذ البداية، مع التنبيه إلى معيقات التواصل في تلقي الخطاب أو إرساله، سواء كانت هذه المعicقات نفسية أو سلوكية. وفي الدرس الثاني من نفس الوحدة تم وضع ضوابط الحوار، تساعد على تقبل الآخر والاعتراف به والإقرار بالحرية في التعبير والاختلاف. وحسن القول بتجنب المحاور الأنفاظ الجارحة وعبارات السخرية والاستهزاء. ثم العلم وصحة الأدلة: وهو ضابط يلزم المتحاورين باعتماد العلم والبرهان للدفاع عن الرأي أو لتنفيذه. وآخر هذه الضوابط الإنصاف والموضوعية: يلزم المحاور بالإذعان للحق متى تبين له صدق حجة الطرف الآخر. ونفس القيم تنساب في الدرس الثالث في آداب الاختلاف وقواعد تدبيره، ليكون الاختلاف تنوعاً يعني الفكر ويتيح تقديم العلم ورقى الحضارة، وتعيش سلمي بين مختلف مكونات المجتمع، أما آداب الاختلاف فجمعت في التسامح، وقبول الآخر والإنصاف والموضوعية، أما قواعد تدبير الاختلاف فجاءت لاستثمار الخلاف وتوظيفه في تلاقي الأفكار وتبادل التجارب والتعاون على الخير وهذه القواعد كما يلي: ضبط النفس والعلم بموضوع الاختلاف، والتفاوض، ثم التحكيم.

1- في رحاب التربية الإسلامية، السنة الثانية بكالوريا، ص 61-62

• المحور الثالث: سبل ترسیخ قيم الحوار والوسطية والتسامح

وجود قيم الحوار والوسطية والتسامح في الكتاب المدرسي، أمر ضروري ومهم لتنشئة جيل متوازن ومعتدل، لكن لا بد من تركية هذا الوجود القيمي في المقررات والمناهج الدراسية، حتى يتتوفر للمتعلم فضاء مدرسي سليم مفعم بقيم الحوار والوسطية والتسامح ، وذلك من خلال:

﴿ توفير القدوة الحسنة المتتصفه بالوسطية والاعتدال داخل المؤسسات التربوية، وذلك على مستويات الإدارة التربوية والعلاقات الصفيّة، فتتجلى الوسطية في المدرس والمدير والحارس العام، وهذا يقودنا إلى الحديث عن ضرورة اتصاف الأطر التربوية عموماً بقيم الوسطية والاعتدال في التفكير والسلوك، ويشتمن ذلك الانتقاء الجيد والتکوين العميق الشامل في مراكز التكوين في مهن التربية والتعليم ومراكز الإدارة التربوية والتفتیش والتوجیه..﴾

﴿ ضرورة إشراك الأسرة في العملية التربوية، سواء بتوفير الحضن العاطفي المناسب داخل الأسر، ومن خلال تتبع تحصيل المتعلم(ة) ومدى مسارته الدراسية، ومن خلال التواصل الفعال بينه وبين المدرسة، ومشاركة الأبناء في الاستعمال السليم للوسائل التواصل والتقنيات الحديثة.﴾

﴿ توفير فضاء مدرسي نظيف بعيد عن كل الظواهر السلبية وغير الأخلاقية، مثل العنف والإدمان والتحرش والاستغلال...، وحياة مدرسية سليمة مفعمة بالحيوية والنشاط، مع الحرص على إدماج قيم الوسطية والاعتدال في الأنشطة المدرسية لبناء شخصية المتعلم(ة)، وإشباع حاجاته النفسية والاجتماعية.﴾

﴿ تدعيم المرجعية الإسلامية لقيم الحوار والوسطية والتسامح ، وتقوية حضور المحتوى الشرعي في الكتاب المدرسي، لأن الخطاب الشرعي، يخاطب القلب والروح، وهو خطاب مقبول لدى الناشئة المسلمة، التي تعتبره هو الحق وهو الأصل، وأن الالتزام به هو اهتماء على الطريق الصحيح .. خطاب ديني مشبع، ناهل من مصادر الدين الإسلامي ومن التراث الفقهي والفكري الإسلامي، الذي يعكس تجربة المسلمين عبر العصور.﴾

• خلاصة

ترجع القيم المثبتة في كتاب التربية الإسلامية مستوى الثانوي التأهيلي في أصولها إلى الدين الإسلامي وإلى القيم الكونية المشتركة بين الإنسانية، مراعية الخصوصية المغربية ذات الانتماء العربي الإسلامي الأمازيغي الإفريقي والقريب من الجانب الأوروبي، وهذا أعطانا غنى في الشخصية المغربية المتميزة بالمرونة والافتتاح على الآخر.

في نهاية هذا البحث نؤكد على أن قيم الحوار والوسطية والتسامح حاضرة بقوة في كتب التربية الإسلامية، من حيث المضمون والأهداف والكفايات، ونلاحظ أن مضمون مقررات وكتب التربية الإسلامية في المستوى الثانوي التأهيلي تنسجم وتتناغم فيما بينها، بحيث تنتظم في قيم حاكمة ومبادئ حاكمة، خاضعة للمرجعيات الفكرية والمعرفية والقيمية الموحدة في إطار فهم وسيطي لنصوص القرآن والسنة، مراعية القيم الكونية المشتركة بين البشرية، محترمة للخصوصية الثقافية المغربية، ترمي إلى تخريج الفرد الصالح والمصلح، المتوازن والمعتدل في تفكيره

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

وسلوكه، والتعايش مع بيئته الفاعل والإيجابي في محیطه. وإذا ما عززت هذه القيم الموجودة في الكتاب المدرسي الخاص بالتربية الإسلامية، عبر توفير حياة مدرسية مفعمة بالحيوية والنشاط، وفضاء مدرسي مؤهل نظيف، ونموذج في القدوة الصالحة داخل المدرسة والأسرة، وتأهيل في كيفية التعامل مع وسائل الاتصال الحديثة.. يمكن تخرج جيل ناشئ يتسم بالوسطية والاعتدال والتسامح والانفتاح على الآخر، قادر على التموضع الجيد في زمن العولمة الثقافية والاقتصادية، لا خوف عليه من تيارات التطرف والغلو أو الإلحاد والانحراف. ولا يكون ذلك إلا عبر تعزيز مكانة التربية الإسلامية بالتعليم المغربي، وتكييف مناهجها بما يجعلها منفتحة على العلوم الإنسانية والطبيعية، ومساهمة في معالجة قضايا الواقع وتوجيه حركة التنمية.

قائمة المصادر والمراجع:

- (1) معجم مقاييس اللغة، بن فارس، دار الجيل، سنة النشر: 1420 هـ / 1999 م
- (2) ماجد الكيلاني ، فلسفة التربية الإسلامية، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، 1998.
- (3) علي خليل مصطفى، القيم الإسلامية والتربية .
- (4) القاموس المحيط للفيروزآبادي.
- (5) الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية لخالد المغامسي
- (6) عبدالرحمن حبنكة الميداني ؛ فقه الدعوة إلى الله . ط 1996
- (7) آليات الحوار الناجح؛ د. عبدالرحمن بن سعد الداود
- (8) لسان العرب ، بن منظور الأفريقي ،
- (9) الصحاح ، الجوهرى (ت 393 هـ).
- (10) الكليات معجم في المصطلحات والفرق اللغوية لأبي البقاء الكفوي ، تحقيق د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992 م.
- (11) وسطية الإسلام ، أحمد عمر هاشم، منشورات دار الرشاد، القاهرة ، الطبعة الأولى 1419 هـ-1998 م.
- (12) "الوسطية والاعتدال في الإسلام". - مؤتمر الوسطية منهج حياة. - الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2005 م.-
- (13) البخاري، في جامع صحيح البخاري، كتاب بده الولي،
- (14) الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة،.
- (15) تفسير القرآن العظيم أبو الفداء إسماعيل ، دار طيبة للنشر والتوزيع،
- (16) وسطية الأمة الإسلامية ، محمد عمارة، مجلة حراء، ع 2 ، كانون الثاني، سنة 2006
- (17) الفراهيدي، كتاب العين،
- (18) تاج العروس، (بيروت، د.ت)،
- (19) سنن البيهقي الكبير، تج: محمد بن عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، (مكة المكرمة، 1414 هـ/ 1994 م)
- (20) مليكان، مصطفى، التسامح وجذور الالتسامح، مركز دراسات فلسفة الدين، (بغداد، 2005 م)
- (21) صيليبيا، جميل، المعجم الفلسفى، الشركة العالمية للكتاب، (قم، 1414 هـ/ 1994 م)
- (22) لالاند، اندرية، (ت: 1382هـ/ 1963 م)، الموسوعة الفلسفية،
- (23) عليبي، عاطف، التسامح والثقافات، مجلة التسامح، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، عمان، 1424 هـ/ 2004 م

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

- (24) التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة التربية الإسلامية بسلك التعليم الثانوي التأهيلي
(25) في رحاب التربية الإسلامية، السنة الأولى بكالوريا، ، مكتبة السلام الجديدة ودار العالمية للكتاب
(26) كتاب في رحاب التربية الإسلامية، مستوى الجذع المشترك، مكتبة السلام الجديدة، الدار العالمية للكتاب، طبعة سنة 2017
(27) كتاب المنار، مستوى الجذع المشترك، مكتبة السلام الجديدة ودار العالمية للكتاب
(28) في رحاب التربية الإسلامية، السنة الثانية بكالوريا، مكتبة السلام الجديدة ودار العالمية للكتاب

منظومة القيم في الحوار مع المخالف عبر التاريخ

حوارات الصحابة رضي الله عنهم مع الخوارج أنموذجاً

د. ياسر بن عبد الرحمن بن محمد اليحياء

الأستاذ المساعد بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة القصيم/السعودية

مقدمة:

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله وبعد:

الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن مع من تختلف معهم أيًّا كان هذا الخلاف أمر مشروع، جاء الحديث عليه في كتاب الله تعالى في أيما آية، يقول تعالى: {إِذْ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ} [سورة النحل: 125]. ويقول تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [سورة العنكبوت: 46].

وقد سار الصحابة رضي الله عنهم - الذين هم محل القدوة والأسوة لمن بعدهم- مع المخالفين في زمانهم هذه السيرة، حيث من المعلوم أن رؤوس الفرق - كفرقة الخوارج والشيعة والقدرية والمرجئة- ظهرت قبل انفراط هذا العهد المبارك، فحفظت لنا كتب التاريخ والسير مواقف الصحابة، وطريقة تعاملهم، وكيف واجهوا تلك الفرق وحاوروهم ملتزمين المنهج النبوى القائم على العدل والقسط مع الموقف والمخالف.

ومن هذه الفرق التي وقف لها الصحابة وجابها بدعتها علمياً وعملياً فرقة الخوارج المارقين، وتعود بدعة الخوارج من أخطر البدع التي ظهرت في زمانهم، حيث أدت هذه البدعة إلى فتح باب الفتنة والفرقة بين المسلمين، وتکفيرهم والخروج على جماعتهم، وسفك دمائهم وانتهائـ حرماتهم.

وهذا يحتم علينا دراسة تلك المواقف والحوارات في التعامل مع المخالفين، لنسنن لهم منها الدروس والعبر، وخصوصاً إذا استصحبنا أن جماعات الغلو والعنف المعاصرة هي امتداد للخوارج السابقين، حيث يستمدون عقائدهم منهم ويعحاولون إعادة إنتاج أفكارهم، مما يضعف المسؤولية، ويعزز الأهمية لمعالجة مثل هذه الأفكار ومحاربتها.

وهناك نماذج كثيرة لحوارات الصحابة مع الخوارج يحسن الوقوف عندها، واستجلاء أمرها لعل من أهمها: حوار ابن عباس وعلي بن أبي طالب وعبدالله بن الزبير رضي الله عنهم مع الخوارج المارقين في مناسبات وأحوال متفرقة،

8-أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

ظهر فيها سعة أفق الصحابة ورحابة صدورهم، وطول صبرهم، حيث يحاورونهم ويجيبون على أسئلتهم واستفساراتهم المتعنته، كل ذلك لعل هذا يكون سبباً في أوبرتهم ورجوعهم.

وهنا أجد الفرصة سانحة في هذا المؤتمر المبارك لتناول هذا الموضوع وإلقاء الضوء عليه تحت عنوان(منظومة القيم في الحوار مع المخالف عبر التاريخ: حوارات الصحابة رضي الله عنهم مع الخواج أنموذجًا).

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

- 1- استجلاء الحوارات التي وقعت بين الصحابة وفرقة الخواج لبيان الحق لهم وردهم عن ضلالهم.
- 2- استخراج منظومة القيم والأصول التي تضمنتها تلك الحوارات، ومن أبرزها قيمة العدل والإنصاف.
- 3- محاولة الإفادة من تلك الحوارات بما تضمنتها من أفكار وأساليب في المعاورة والجدل، وتوظيفها في محاورة أصحاب فكر العنف والغلو.
- 4- بيان تشابه الأفكار والمنطلقات بين تيارات الغلو والعنف في القديم والحديث.

حدود البحث:

محاورات الصحابة للخواج كثيرة لكن على أقتصر على أبرزها وأكثرها عمقاً وأشدتها أثراً، وهي حوارات: ابن عباس، وعلي بن أبي طالب، وعبدالله بن الزبير.

منهج البحث:

منهجي يقوم على المنهج الاستقرائي والتحليلي، وذلك بتتبع حوارات الصحابة مع الخواج من مظانها، والحكم عليها من جهة الرواية، ثم التعليق عليها، ومحاولة استخراج الدروس والعبر من تلك الحوارات ما أمكن.

خطة البحث:

وأسئير في هذا البحث على النحو التالي:

- مقدمة: أبين فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- تمهيد: وفيه

أولاً: بيان المقصود بالحوار وأهم أهدافه

ثانياً: التعريف بالخواج.

- المبحث الأول: حوار علي وابن عباس رضي الله عنهم مع الخواج
- المبحث الثاني: حوار عبدالله بن الزبير رضي الله عنه مع الخواج

- المبحث الثالث: حوارات أخرى للصحابة مع الخوارج

- خاتمة: أخلص فيها لأهم النتائج.

هذا وأسائل الله العلي القدير أن يوفقني وإياكم لما فيه خيري الدنيا والآخرة.

والله يحفظكم ويرعاكم.

التمهيد

• أولاً: المقصود بالحوار:

- تعريف الحوار:

الحوار في اللغة:

مأخذ من الحَوْرُ: وهو "الرُّجُوعُ عَنِ الشَّيْءِ وَإِلَى الشَّيْءِ" ⁽¹⁾، وحاورت فلاناً محاورة إِذَا كلمك فأجبته ⁽²⁾ "وَتَحَاوَرُوا: تَرَاجَعُوا الْكَلَامَ بَيْنَهُمْ" ⁽³⁾.

وفي الاصطلاح:

هو: الطريقة التي يستعملها المحاور مع الطرف الآخر في موضوع محدد بهدف الوصول إلى الحق من خلال إقناعه وتصحيح خطئه ما أمكن ⁽⁴⁾.

- أهداف الحوار ومقاصده:

1 - إقامة الحجة: الغاية من الحوار إقامة الحجة ودفع الشبهة وال fasid من القول والرأي. والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق.

2 - الدعوة: الحوار الهادئ مفتاح للقلوب وطريق إلى النفوس قال تعالى: {أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمُؤْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل: 125].

3 - تقريب وجهات النظر: من ثمرات الحوار تضييق هوة الخلاف، وتقريب وجهات النظر، وإيجاد حل وسط يرضي الأطراف في زمن كثرة التباغض والتناحر.

4 - كشف الشبهات والرد على الأباطيل، لإظهار الحق وإزهاق الباطل، كما قال تعالى: {وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَتَسْتَيِّنَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ} [الأنعام: 55] ⁽⁵⁾.

(1) لسان العرب: 217 / 4

(2) جمهرة اللغة: 1 / 525

(3) القاموس المحيط: 381

(4) آداب الحوار من خلال سيرة مصعب بن عمير: 6

(5) آداب الحوار وقواعد الاختلاف: 4

● ثانياً: التعريف بالخوارج:

- الخوارج في اللغة: جمع خارج والسبة إليه: خارجي، وقد أطلقت هذه الكلمة في كتب اللغة على طائفة من أهل الآراء والأهواء؛ لخروجها على الدين، أو على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

قال الزبيدي (1205هـ) عنهم: "وهم الحرورية، والخارجية طائفة منهم، وهم سبع طوائف، سُمُوا بهم لخروجهم على الناس، أو عن الدين، أو عن الحق، أو عن علي رضي الله عنه بعد صفين"⁽¹⁾.

وقال الأشعري (324هـ): "والسبب الذي سُمُوا له خوارج؛ خروجهم على علي بن أبي طالب"⁽²⁾.

- نشأة الخوارج ووقت ظهورهم:

الذي يذهب إليه كثير من مؤرخي الفرق أن اللحظة التاريخية لظهور الخوارج كفرقة ذات اتجاه سياسي وفكري خاص، هي حين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بعد أن رضي بالتحكيم في موقعة صفين، والتthموا معه في معركة النهرowan.

يقول ابن تيمية (728هـ): "ولما اقتل المسلمون بصفين واتفقوا على تحكيم حكمين، خرجت الخوارج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وفارقوه وفارقوا جماعة المسلمين إلى مكان يقال له حروراء، فكفَّ عنهم أمير المؤمنين، وقال: لكم علينا أن لا نمنعكم حكم من الفيء، ولا نمنعكم المساجد، إلى أن استحلوا دماء المسلمين وأموالهم، فقتلوا عبد الله بن خباب، وأغاروا على سرح المسلمين؛ فعلم علي أنهم الطائفة التي ذكرها رسول الله '...' فخطب الناس وأخبرهم بما سمع من رسول الله '، وقال: هم هؤلاء القوم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا على سرح الناس، فقاتلهم"⁽³⁾.

المبحث الأول: حوار علي وابن عباس رضي الله عنهم مع الخوارج:

كما بينا – في المقدمة- أن الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن مع من تختلف معهم أيًّا كان هذا الخلاف أمر مشروع، وقد سلك الصحابة رضي الله عنهم هذا المسلك مع الخوارج من بداية ظهورهم، فحاول علي وابن عباس رضي الله عنهمما كشف ما لحق بهم من شبه، واستعطافهم ورِّدَّهم إلى جادة الصواب، قبل أن يستفحِّل أمرهم، وقد كان لهذا أثر حيث رجع بعضهم عن رأيه إلا أن البعض الآخر لم يُجدِ معه الحوار.

أخرج الإمام أحمد في مسنده عن عبدالله بن شداد أنه قال: أن علياً لما كاتب معاوية، وحكم الحكمان، خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس، فنزلوا بأرض يقال لها: حروراء، من جانب الكوفة، وإنهم عتبوا عليه فقالوا: انسلخت من قميص ألسنكه الله تعالى، واسم سماك الله تعالى به، ثم انطلقت فحكمت في دين الله، فلا حكم إلا لله تعالى. فلما أن بلغ علياً ما عتبوا عليه، وفارقوه عليه، فأمر مؤذناً فأذن: أن لا يدخل على أمير المؤمنين إلا

(1) تاج العروس: 2 / 2.

(2) مقالات الإسلاميين: 27.

(3) مجموع الفتاوى: 33/13.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

رجل قد حمل القرآن⁽¹⁾ . فلما أن امتلات الدار من قراء الناس، دعا بمصحف إمام عظيم، فوضعه بين يديه ، فجعل يصكه بيده ويقول: أيها المصحف، حدث الناس، فناداه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما تسأل عنه إنما هو مداد في ورق، ونحن نتكلم بما رويانا منه، فماذا تزيد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا، بيني وبينهم كتاب الله عز وجل، يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل: وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهما فأمة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم دما وحرمة من امرأة ورجل ونقموا علي أن كاتب معاوية: كتب علي بن أبي طالب، وقد جاءنا سهيل بن عمرو، ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحدبية، حين صالح قومه قريشا، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بسم الله الرحمن الرحيم» . فقال: سهيل لا تكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. فقال: «كيف نكتب؟» فقال: اكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فَاكْتُبْ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ" فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك. فكتب: هذا ما صالح محمد بن عبد الله قريشا. يقول: الله تعالى في كتابه: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر "فبعث إليهم علي عبد الله بن عباس، فخرجت معه، حتى إذا توسطنا عسكراً لهم، قام ابن الكواء يخطب الناس، فقال: يا حملة القرآن، إن هذا عبد الله بن عباس، فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرفه من كتاب الله ما يعرفه به، هذا من نزل فيه وفي قومه: قوم خصمون فردوه إلى صاحبه، ولا تواضعوه كتاب الله. فقام خطباؤهم فقالوا: والله لنواضعنه كتاب الله، فإن جاء بحق نعرفه لنتبعنه، وإن جاء بباطل لنبيكته بباطله. فواضعوا عبد الله الكتاب ثلاثة أيام، فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب، فيهم ابن الكواء، حتى أدخلهم على الكوفة، فبعث علي، إلى بقائهم، فقال: قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قدرأيت، فقفوا حيث شئتم، حتى تجتمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم، بينما وبينكم أن لا تسفكوا دما حراما، أو تقطعوا سبيلا، أو تظلموا ذمة، فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء، إن الله لا يحب الخائبين"⁽²⁾.

وقد جاء تفصيل حوار ابن عباس رضي الله عنه للخواج في موضع آخر ولأهميةه يحسن إيراده:

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «لما خرجت الح耀بة اجتمعوا في دار، وهم ستة آلاف، أتيت علياً، فقلت: يا أمير المؤمنين، أبرد بالظهر لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم. قال: إني أخاف عليك. قلت: كلا. قال ابن عباس: فخررت إليهم ولبست أحسن ما يكون من حُلُل اليمين، قال أبو زميل: كان ابن عباس جميلاً جهيراً. قال ابن عباس: فأتيتهم، وهم مجتمعون في دارهم، قائلون فسلمت عليهم فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباس بما هذه الخلة؟ قال: قلت: ما تعيبون علي، لقد رأيت على رسول الله أحسن ما يكون من الخلل، ونزلت: {فُلُونَ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} [سورة الأعراف: 32]، قالوا: مما جاء بك؟ قلت: أتيتكم من عند صاحبة النبي ، من المهاجرين والأنصار، لأبلغكم ما يقولون المخبرون بما يقولون، فعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بالوحي منكم، وفيهم أنزل: وليس فيكم منهم أحد. فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشاً، فإن الله يقول: {بَلْ هُمْ قَوْمٌ}

(1) وبقصد بحملة القرآن الخواج فإنه كان يطلق عليهم في زمن علي : (القراء).

(2) أخرجه أحمد في مسنده، وقال ابن كثير في "تاريخه" 292 بعد أن ذكر من روایة أحمد: تفرد به أحمد واستاده صحيح .

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

[سورة الزخرف: 58]، قال ابن عباس: وأتيت قوماً لم أرَ قوماً قط أشد اجتهاداً منهم مُسْهَمٌ وجوههم من السهر⁽¹⁾، كأن أيديهم وركبهم تثنى عليهم⁽²⁾، فمضى من حضر، فقال بعضهم: لنكلمنه ولننظر ما يقول. قلت: أخبروني ماذا نعمت على ابن عم رسول الله ، وصهره والمهاجرين والأنصار؟ قالوا: ثلاثة. قلت: ما هن؟ قالوا: أما إحداهن: فإنه حَكَمَ الرجال في أمر الله، وقال الله تعالى: {إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ} [سورة الأنعام: 57]. وما للرجال وما للحكم؟ فقلت: هذه واحدة. قالوا: وأما الأخرى؟ فإنه قاتل، ولم يسب ولم يغم، فلئن كان الذي قاتل كفاراً لقد حل سببهم وغنيمتهم، ولكن كانوا مؤمنين ما حلَّ قاتلهم. قلت: هذه ثنتان، فما الثالثة؟ قال: إنه محا نفسه من أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين. قلت: أعندهم سوى هذا؟ قالوا: حسبنا هذا. فقلت لهم: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه ، ما يرد به قولكم أترضون؟ قالوا: نعم. فقلت: أما قولكم: حَكَمَ الرجال في أمر الله، فأنا أقرأ عليكم ما قد رد حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم في أربن، ونحوها من الصيد، فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُومٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ دَوْلَةٌ مِنْكُمْ} [سورة المائدة: 95]، فتشدtkم الله أحكم الرجال في أربن ونحوها من الصيد أفضل، أم حكمهم في دمائهم وصلاح ذات بينهم؟ وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال، وفي المرأة وزوجها قال الله ،: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنَهُمَا فَابْعَثُو حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَقِّفُ اللَّهُ} [سورة النساء: 35]، فجعل الله حكم الرجال سنة مأمونة، أخرجت عن هذه؟ قالوا: نعم، قال: وأما قولكم: قاتل ولم يسب ولم يغم، أتسبون أمكم عائشة ثم يستحلون منها ما يستحل من غيرها؟ فلئن فعلتم لقد كفرتم وهي أمكم، ولكن قلتم: ليست أمنا لقد كفرتم فإن الله يقول: {الَّتِي أُولَئِي بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَرْوَاحُهُمْ أُمَّهَائُهُمْ} [سورة الأحزاب: 6]، فأنتم تدورون بين ضلالتين أيهما صرتم إليها، صرتم إلى ضلاله فنظر بعضهم إلى بعض، قلت: أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، وأما قولكم محا اسمه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بمن ترضون، وأريكم قد سمعتم أن النبي ، يوم الحديبية كاتب سهيل بن عمرو وأبا سفيان بن حرب فقال رسول الله ، لأمير المؤمنين: "اكتب يا علي: هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله ، فقال المشركون: لا والله ما نعلم أنك رسول الله، لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، فقال رسول الله ،: اللهم إنك تعلم أني رسول الله، اكتب يا علي: هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله" فوالله لرسول الله خير من علي، وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه، قال عبد الله بن عباس: فرجع من القوم ألفان، وقتل سائرهم على ضلاله⁽³⁾.

هذه المحاورات الجميلة بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أولاً، ثم إرساله ابن عباس رضي الله عنهما للخوارج ومحاؤته لهم، هي عنوان للمجادلة بالتي هي أحسن، وهي من أولى المحاورات التي وقعت بين الصحابة والخوارج لتنبيهم عن بدعتهم وخروجهم على جماعة المسلمين.

(1) أي متغيرة. انظر: النهاية في غريب الحديث: 429/2.

(2) أي تشهد لهم بكثرة الصلاة مما يظهر عليها من الخشونة بسبب ملامسة الأرض، ويشهد لذلك الرواية الأخرى: «كأن أيديهم وركبهم ثفن»، «اللغنة: ما ولـي الأرض من كل ذات أربع إذا بركت، كالركبتين وغيرهما، ويحصل فيه غلط من أثر البروك» ولذلك كان يقال لكيورهم عبدالله بن وهب الراسي "دو النفاثات" من كثرة السجود. انظر: النهاية في غريب الحديث: 215/216، القاموس المحيط: 1184.

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك ح (2671) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ح (308).

ومما يحسن الوقوف عنده في هذه المحاورات ما يلي:

1- حسن الاختيار لمن سوف يقوم بالحوار مع الخصم: يحسن أن يكون المحاور على حال من العلم الشرعي والمكانة الاجتماعية حتى يكون وقع المحاورة أكبر في حق المواقف والمخالف، وهكذا كان علي وابن عباس رضي الله عنهما.

فعليٌ لا يخفى علمه وحكمته وُبُعد نظره على أحد..

وكذلك ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن، ولأن الخوارج كانوا يُعرفون بالقرآن، ويعتمدون في الاستدلال على معتقدهم بالقرآن، لذا كان أولى الناس بمناظرتهم هو أدرى الناس بالقرآن ويتأويله.

2- تحديد الأرضية المشتركة ونقاط الاتفاق بين الممحاورين: حيث جعلوا بينهم وبين الخوارج أرضية مشتركة يرجعون إليها عند الاختلاف وهي الكتاب والسنة، وهذا ظاهر في محاورة علي حيث أرجعهم إلى القرآن في مسألة الشناق بين المرأة وزوجها، وأرجعهم إلى السنة في قصة صلح الحديبية. وهو أشد ظهوراً في محاورة ابن عباس لهم حيث طلب إقرارهم على هذا فأفقوه عليه: " فقلت لهم: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه ' ما يرد به قولكم أترضون؟ قالوا: نعم ".

3- استيعاب شبه الممحاورين ورأيهم قبل محاورتهم: وهذا مهم جداً من أجل قطع حججهم فلا يكون لهم كلام بعد ذلك إذا أجابهم عليها، ولهذا تريث أمير المؤمنين في الإجابة على حجج الخوارج مع كثرة اعترافاتهم عليه، حتى عرف أنهم إنما ينقمون عليه ما ذكروه ثم دعاهم وجمعهم وبين لهم.

وكذلك ابن عباس رضي الله عنه طلب منهم في بداية المناقضة فقال: " قلت: أخبروني ماذا نقمت على ابن عم رسول الله ' ، وصهره والمهاجرين والأنصار؟ قالوا: ثلاثة. قلت: ما هن؟ ".

4- أحياناً تحتاج في المعاورة إلى بيان شناعة ومخالفة رأي من تعاوره: كأن تبين له أنه بقوله هذا قد فارق من هو أعلم منه كما فعل ابن عباس حين قال للخوارج: " أتنيكم من عند صحابة النبي ' من المهاجرين والأنصار، لأبلغكم ما يقولون المخبرون بما يقولون فعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بالوحي منكم، وفيهم أنزل، وليس فيكم منهم أحد ". بل يَبَّن لهم بقولهم مفارقون لجماعة المسلمين وإمامهم، وذلك حينما قال: " أخبروني ماذا نقمت على ابن عم رسول الله ' ، وصهره، والمهاجرين والأنصار".

5- الإجابة على جميع حجج المناظر-ما أمكن-: وهذا ما حصل من علي وابن عباس حيث أجابوا عليها كلها، ضمن ما اتفقا عليه من الرجوع فيها إلى الكتاب والسنة.

6- الصبر وإظهار الاحترام للخصم أثناء المناقضة: ليكون أدعى لسماع كل ما عنده، وأن يحمله على احترام رأيه، وهذا ما ظهر من فعل أمير المؤمنين وابن عباس للخوارج

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

فأمير المؤمنين صبر عليهم وتحمل أذاهم ثم دعاهم دعوة خاصة دون غيرهم إلى بيته وحاورهم.

وكذلك ابن عباس ذهب إليهم مع أن حقه أن يأتوا وتحمل كلامهم فيه، ثم حاورهم.

7- ليس من شرط المحاورة والمناظرة أن يرجع المخالفون كلهم عن ضلالهم، المهم {مَعْذِرَةً إِلَيْ رَبِّكُمْ وَلَعْلَهُمْ يَتَّقُونَ} [سورة الأعراف: 164]، ولذلك ابن عباس رضي الله عنه مع أنه أجاب عن شبههم بياناً شافياً إلا أن أكثرهم لم يرجع عن رأيه اتباعاً لهواه وهذا لا علاج معه: {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنَّ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا * وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا } [سورة الفرقان: 43-44].

المبحث الثاني: حوار عبدالله بن الزبير رضي الله عنه مع الخوارج

لعبدالله بن الزبير محاورة طويلة مع الخوارج يحسن إيرادها لما فيها من دروس وعبر:

يقول ابن المبرد في الكامل: «بلغ الخوارج خروج مسلم بن عقبة إلى المدينة وقتله أهل الحرّة، وأنه مقبل إلى مكة، فقالوا: يجب علينا أن نمنع حرم الله منهم ونمحن ابن الزبير، فإن كان على رأينا تابعناه. فلما صاروا إلى ابن الزبير عرفوه أنفسهم وما قدموا له، فأظهر لهم أنه على رأيهم، حتى أتاهم مسلم بن عقبة وأهل الشام، فدافعوا إلى أن يأتي رأي يزيد بن معاوية، ولم يتبعوا ابن الزبير؛ ثم تنازروا فيما بينهم، فقالوا: ندخل إلى هذا الرجل فننظر ما عنده، فإن قدّم أبا بكر وعمر وبراء من عثمان وعلى وكفر أباه وطلحة بایعناء؛ وإن تكن الأخرى ظهر لنا ما عنده فتشاغلنا بما يجدي علينا. فدخلوا على ابن الزبير وهو متبدل وأصحابه متفرقون عنه، فقالوا له: إنا جئناك لتخبرنا رأيك، فإن كنت على صواب بایعناك، وإن كنت على خلاف دعوناك إلى الحق؛ ما تقول في الشيفيين؟ قال: خيراً، قالوا: فما تقول في عثمان الذي حمى الحمى، وأوى الطريد، وأظهر لأهل مصر شيئاً وكتب بخلافه، وأوطأ آلبني معيب رقاب الناس وآثراهم بفيء المسلمين، وفي الذي بعده الذي حكم الرجال في دين الله وأقام على ذلك غير تائب ولا نادم؛ وفي أبيك وصاحبه وقد بایعا علياً، وهو إمام عادل مرضي لم يظهر منه كفر، ثم نكتبا بيعته وأخرجا عائشة تقاتل، وقد أمرها الله وصواحبها أن يقرن في بيتهن، وكان لك في ذلك ما يدعوك إلى التوبة؛ فإن أنت قبلت كل ما نقول، لك التلقي عند الله، والنصر على أبيك إن شاء الله، ونسأل الله لك التوفيق، وإن أبىتك خذل الله وانتصر منك بأيدينا.

فقال ابن الزبير: إن الله أمر -وله العزة والقدرة- في مخاطبة أكفر الكافرين وأعنى العاتين بأرق من هذا القول؛ فقال لموسى وأخيه صلي الله عليهما: {إِذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ لَعْلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْسَنَ} [سورة طه: 43-44]، وقال رسول الله : (لا تؤذوا الأحياء بسب الموتى). فنهى عن سب أبي جهل من أجل عكرمة ابنه، وأبو جهل عدو الله ورسوله، والمقيم على الشرك، والجاد في محاربة رسول الله قبل الهجرة والمحارب له بعدها، وكفى بالشرك ذنباً، وقد كان يغنيكم عن هذا القول الذي سميت فيه طلحة وأبي أن تقولوا: أتيرا من الظالمين؟ فإن كانوا منهم دخلا في غمار الناس، وإن لم يكونوا منهم لم تحفظوني بسب أبي وصاحب، وأنتم تعلمون أن الله ، قال للمؤمن في أبويه: {وَإِنْ جَاهَكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

الدُّنْيَا} [سورة لقمان:15]. وقال: {وَقُولُوا لِلّٰتَّٰسِ حُسْنًا} [سورة البقرة:83]. وهذا الذي دعوتم إليه أمر له ما بعده، وليس يقنعكم إلا التوفيق والتصریح، ولعمري إن ذلك أحرى بقطع الحجج، وأوضح لمنهج الحق، وأولى بأن يعرف كل صاحبه من عدوه. فروحوا إلى من عشيتكم هذه أكشف لكم ما أنا عليه إن شاء الله تعالى.

فلما كان العشي راحوا إليه، فخرج إليهم وقد لبس سلاحه، فلما رأى ذلك نجدة ، قال: هذا خروج منابذ لكم. فجلس على رفع من الأرض فحمد الله وأنثى عليه وصلى على نبيه، ثم ذكر أبا بكر وعمر أحسن ذكر، ثم ذكر عثمان في السنين الأوائل من خلافته؛ ثم وصلهن بالستين التي أنكروا سيرته فيها فجعلوها كالماضية، وأخبر أنه آوى الحكم بن أبي العاصي بإذن رسول الله ، وذكر الحمى وما كان فيه من الصلاح، وأن القوم استعتبروه من أمور ما كان له أن يفعلها أولاً مصيبةً ثم اعتبهم بعد ذلك محسناً. وأن أهل مصر لما أتوا بكتاب ذكروا أنه منه بعد أن ضمن لهم العتبى ثم كتب ذلك الكتاب بقتلهم. فدفعوا الكتاب إليه، فحلف بالله أنه لم يكتبه ولم يأمر به؛ وقد أمر الله ، بقبول اليمين ممن ليس له مثل سابقه، مع ما اجتمع له من صهر رسول الله ، ومكانه من الإمامة، وأن بيعة الرضوان تحت الشجرة إنما كانت بسببه، وعثمان الرجل الذي لزمته يمين لو حلف عليها حلف على حق، فافتداها بمائة ألف ولم يحلف، وقد قال رسول الله : «من حلف بالله فليصدق، ومن حلف بالله فليقبل»⁽¹⁾ . وعثمان أمير المؤمنين كصاحبيه. وأنا ولية وعدو عدوه، وأني وصاحبه صاحبا رسول الله ورسول الله يقول عن الله ، يوم أحد لما قطعت أصبع طلحة: «سبقه إلى الجنة». وقال: «أوجب طلحة»⁽²⁾ . وكان الصديق إذا ذكر يوم أحد قال: ذلك يوم كله أو جلله لطلحة. والزبير حواري رسول الله وصفوته، وقد ذكر أنه في الجنة. وقال ، : {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ السَّجَرَةِ} [سورة الفتح:18]. وما أخبرنا بعد أنه سخط عليهم؛ فإن يكن ما صنعوا حقًا فأهل ذلك هم، وإن يكن زلة ففي عفو الله تمحصها، وفيما وفقيهم له من السابقة مع نبيهم ، ومهما ذكرتموهما به فقد بدأتم بأمكم عائشة، فإن أبي آب أن تكون له أمًا، نبذ اسم الإيمان عنه؛ وقد قال جل ذكره: {الَّٰئِيْ أَوَّلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} [سورة الأحزاب:6]. فنظر بعضهم إلى بعض ثم انصرفوا عنه»⁽³⁾.

وهذه المناظرة بين ابن الزبير والخواج تبيّن كيف أن الحوار يكشف عوار الأفكار، ومما يحسن الوقوف عنده في هذه المناظرة ما يلي:

1- اختيار الوقت والمكان المناسب للمناظرة، وخصوصاً مع أمثال هؤلاء الذين عُرف عنهم الغدر، ولهذا لما طلبوا مناظرته قال لهم: "فروحوا إلى من عشيتكم هذه أكشف لكم ما أنا عليه إن شاء الله تعالى. فلما كان العشي راحوا إليه، فخرج إليهم وقد لبس سلاحه، فلما رأى ذلك نجدة ، قال: هذا خروج منابذ لكم".

(1) أخرجه ابن ماجه ح(2175) من حديث ابن عمر بلفظ: «لا تحلموا بآياكم ، من حلف بالله فليصدق ، ومن حلف له بالله فليفرض ، ومن لم يرض بالله فليس من الله » وقال عنه ابن حجر في الفتح(11/536)" سند حسن" وقال عنه الألباني في إرواء الغليل(8/314) إسناده صحيح.

(2) أخرجه الترمذى في جامعه ح(1805) بلفظ: «كان على النبي صلى الله عليه وسلم درعان يوم أحد ، فنهض إلى الصخرة فلم يستطع ، فأقعده طلحة تحته فصعد النبي صلى الله عليه وسلم عليه حتى استوى على الصخرة. فقال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: أوجب طلحة» وقال عنه الألباني في الصحيحة تحت رقم(945) "حدث حسن".

(3) ذكر القصة بطولها ابن البيبر في الكامل/3-204، وأخرجه الطبرى بنحوها: 563-566

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

2- أهمية أن يكون المناظر عالماً قوي الحجة، وهذا ظاهر في المناقضة، ويؤكد هذا أنه قال لهم: "وليس يقنعكم إلا التوفيق والتصریح، ولعمري إن ذلك أحرى بقطع الحجج، وأوضح لمنهاج الحق، وأولى بأن يعرف كل صاحبه من عدوه". ولذلك لم يتعقبوا رأي ابن الزبير رضي الله عنه.

3- عدم المجاملة في الحق، فالحق أحق أن يُتبَع، فمع حاجة ابن الزبير رضي الله عنه لهم إلا أنه لم يجاملهم، بل جلّى لهم الحق في أبرز القضايا التي فارق فيها الخوارج المسلمين، ولهذا قال لهم: "وهذا الذي دعوتم إليه أمر له ما بعده، وليس يقنعكم إلا التوفيق والتصریح، ولعمري إن ذلك أحرى بقطع الحجج، وأوضح لمنهاج الحق، وأولى بأن يعرف كل صاحبه من عدوه". ثم أجابهم بما يعتقدون ويدينون الله به دون مجاملة أو موافقة.

4- أهمية معرفة المحاور بما سوف يحاورون فيه: ولذلك لما تكلموا في عثمان وعلي والزبير وطلحة، أستحضر فضائل هؤلاء الواردة في حقهم في النصوص - كفضل أهل بيعة الرضوان وقصة طلحة في أحد.. الخ - واعتبار ساقبتهم في الإسلام وكذلك فضائلهم التي اشتغلت عليها سيرتهم العطرة، وهذا يبين أهمية تصور المسألة القضائية المתחاور عندها، وكذلك أهمية المعرفة بالنصوص من الكتاب والسنة الدالة عليها وأنهما الفيصل عند الاختلاف.

المبحث الثالث: حوارات أخرى للصحابة مع الخوارج

وهناك محاورات في بعض المسائل حصلت بين بعض الصحابة والخوارج كانت سبباً في رجوعهم عن رأيهم وخروجهم على الناس:

ومن ذلك محاورة جابر بن عبد الله للخوارج في مسألة خروج أهل الكبائر من النار.

يقول يزيد الفقير قال: «كنت قد شغفني رأي من رأى الخوارج، فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج ثم نخرج على الناس، قال: فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله ⚡ يحدث القوم، جالساً إلى سارية، عن رسول الله ⚡ قال: فإذا هو قد ذكر الجهنمين⁽¹⁾، قال: فقلت له: يا صاحب رسول الله، ما هذا الذي تحدثون؟ والله يقول: {إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتُهُ} [سورة آل عمران: 192] و:{كُلُّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا} [سورة السجدة: 20]. فما هذا الذي تقولون؟ قال: فقال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: فهل سمعت بمقام محمد ، يعني: الذي يبعثه الله فيه؟ قلت: نعم، قال: فإنه مقام محمد ، المحمود، الذي يخرج الله به من يخرج، قال: ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه، قال: وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك، قال: غير أنه قد زعم أن قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها، قال: يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم⁽²⁾، قال: فيدخلون نهراً من أنهار الجنة،

(1) نسبة إلى جهنم وقد جاء المقصود بهم في حديث أنس رضي الله عنه عند البخاري ح(7012)، وفيه: «ليس أقواماً سفع من النار، بذنب أصحابها عرقية، ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته، يقال لهم: الجنّميون».

(2) السماسم جمع سمسسم، وعیدانه تراها إذا قلعت وتركت ليؤخذ جهاً دقاقاً سوداً كأنها محترقة، فتشبه بها هؤلاء الذين يخرجون من النار وقد امتحنوا. انظر: النهاية في غريب الحديث: 400/2.

فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس⁽¹⁾، فرجعنا قلنا: ويحكم! أترون الشيخ يكذب على رسول الله ؟ فرجعنا، فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد⁽²⁾.

فهذه القصة اشتملت على دروس في الحوار، أهمها:

1- أهمية أن يكون المتصدي للحوار ذو علم وفقه وهذه هي حال جابر رضي الله عنه، ولذلك لما أوردوا عليه نصوص التخليل في النار أورد لهم الدليل الذي يخصص هذا العام.

2- من المهم ذكر المرجع عند الخلاف والاتفاق عليه بين المتحاورين: ولهذا لما أوردوا عليه الشبهة، لم يجدهم عليها مباشرة، وإنما استقرهم على المرجع وهو القرآن، فقال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: فهل سمعت بمقام محمد ، يعني: الذي يبعثه الله فيه؟ قلت: نعم...». ثم بعد ذلك كشف ما عندهم من لبس.

3- حسن المحاورة وحسن سماع الشبهة أدعى لقبول الخصم وقبول الجواب: وهذا ما حصل مع الخوارج، ولذلك رجع كلهم عن الخروج على المسلمين.

ما سبق من آثار هي من باب المناظرة، وهناك أسلوب آخر استعمله الخوارج مع الصحابة وهو الأسئلة المتعنته الذي يظهر من أصحابها قصد إحراج المسؤول أكثر من إرادة الحق، وقد تصدى لهم الصحابة رضي الله عنهم بالتالي هي أحسن، ومن ذلك:

ما رواه الضحاك بن مزاحم الهلالي قال: «خرج نافع بن الأزرق ونجدة بن عويم في نفر من رؤوس الخوارج لينقرنون⁽³⁾ عن العلم ويطلبونه، حتى قدموا مكة، فإذا هم بعد الله بن عباس قاعداً قريباً من زمزم، وعليه رداء أحمر وقميص، وإذا ناس قيام يسألونه عن التفسير يقولون: يا ابن عباس، ما تقول في كذا وكذا ؟ قال: هو كذا وكذا ، فقال له نافع بن الأزرق: ما أجرأك يا ابن عباس على ما تجريه منذ اليوم، فقال له ابن عباس: ثكلتك أمك يا نافع وعدمتك، ألا أخبرك من هو أجرأ مني ؟ فقال: من هو يا ابن عباس؟ قال: رجل تكلم بما ليس له به علم، ورجل كتم علمًا عنده، قال: صدقت يا ابن عباس، أتيتك لأسئلتك، قال: هات يا ابن الأزرق، فسل...»⁽⁴⁾.

فسؤاله نافع إحدى وثلاثين مسألة، في كل مسألة يطلب إليها شاهدًا من كلام العرب، ثم يصدقه على الجواب! وهذا يبين مدى التعنت في السؤال.

وعن يزيد بن هرمز أن نجدة كتب إلى ابن عباس يسأله عن خمس خلال، فقال ابن عباس: «لولا أن أكتم علمًا ما كتبت إليه، كتب إليه نجدة: أما بعد، فأخبرني، هل كان رسول الله يغزو بالنساء؟ وهل كان يضرب لهن بسهم؟ وهل كان يقتل الصبيان؟ ومتي ينقضي يتم اليتيم؟ وعن الخمس لمن هو؟ فكتب إليه ابن عباس: كتبت تسألني هل

(1) القراطيس جمع قرطاس، وهو الصحيفة التي يكتب فيها، شبيههم بالقراطيس لشدة بياضهم بعد اغتسالهم وزوال ما كان عليهم من السواد. انظر: شرح مسلم للنووى: 52/3.

(2) أخرجه مسلم ح(191).

(3) كتابة عن البحث والسعى لطلب العلم.

(4) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (10597) وفي إسناده جوبير وهو متوك. انظر: مجمع الزوائد: 7 / 144.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

كان رسول الله ' يغزو بالنساء؟ وقد كان يغزو بهن فيداوين الجرحى، ويحذين من الغنيمة، وأما بسهم، فلم يضرب لهن، وإن رسول الله ' لم يكن يقتل الصبيان، فلا تقتل الصبيان، وكتبت تساؤلي متى ينقضي يتم اليتيم؟ فلعمري، إن الرجل لتنبأ لحيته، وإنه لضعف الأخذ لنفسه، ضعيف العطاء منها، فإذا أخذ لنفسه من صالح ما يأخذ الناس فقد ذهب عنه اليتيم، وكتبت تساؤلي عن الخمس: لمن هو؟ وإنما كانوا نقول: هو لنا، فأبى علينا قومنا ذاك»⁽¹⁾.

الخاتمة

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله وبعد؛ ففي نهاية هذا البحث يمكن إيجاز أهم ما توصلت إليه بما يلي:

- 1- من الأمور المستقرة التي لا خلاف فيها أن الصحابة أجمعوا على انحراف مسلك الخوارج، ولذلك أجمعوا على منابذة مذهبهم.
- 2- أن الصحابة كانت لهم مواقف علمية وعملية تجاه هذا الانحراف.
- 3- من أبرز هذه المواقف محاورة الخوارج وبيان فساد مذهبهم وضلالة.
- 4- هذه الحوارات مع الخوارج أبرزت لنا دروس وقيم مهمة في الحوار مع المخالف.
- 5- أهم هذه الدروس والقيم ما يلي:
 - حسن اختيار المحاور شكلاً ومضموناً.
 - اختيار المكان والزمان المناسب للحوار.
 - أن يكون المحاور على جانب من العلم وحسن الجدل.
 - أن يكون عارفاً وملماً بالمسألة والقضية محل الحوار على وجه الخصوص.
 - تحلی المحاور بالصبر وطول البال حتى يتمتص ردة فعل الخصم.
 - تحديد أرضية مشتركة بين المتحاورين يرجعون إليها في الحوار.
 - استيعاب الشبه المثارة من الخصم قدر الاستطاعة.

ليس بالضرورة رجوع الخصم إلى جادة الصواب - وإن كان هذا أحد أهداف الحوار المهمة - لكن معدرة إلى ربكم - ولعلهم يتقوون.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم -

المصادر والمراجع: -

- آداب الحوار وقواعد الاختلاف، المؤلف: عمر بن عبد الله كامل، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات

(1) أخرجه مسلم ح(1812).

9-8 نوفي بزار، جمهورية صربيا

- آداب الحوار من خلال سيرة مصعب بن عمير رضي الله عنه، المؤلف: عدنان بن سليمان بن مسعد الجابري، راجعه ودقة: فضيلة الدكتور عبد الحق بن حمادي الهواس، الناشر: دار الأوراق الثقافية، الطبعة: الأولى، 1435 هـ
- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1409 - 1989، الثالثة، محمد فؤاد عبدالباقي
- إرواء الغليل في تخيير أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين اللبناني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، ط: الثانية، 1405 - 1985 م.
- الاستذكار، ابن عبد البر، ت: سالم محمد عطا ومحمد علي معاوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، 1421 م.
- البداية والنهاية، ابن كثير، دار الفكر، 1407 - 1986 م.
- تاريخ الطبرى (تاریخ الرسل والملوک)، أبو جعفر الطبرى، الناشر: دار التراث – بيروت، ط: الثانية - 1387 م
- تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية-بيروت.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن حمود الطبرى، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، 1420 م
- الرهد لأبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، ت: ياسر بن ابراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم وقدم له وراجعه: فضيلة الشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف، الناشر: دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، الطبعة: الأولى، 1414 - 1993 م
- سلسلة الأحاديث الصحيحة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين اللبناني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (المكتبة المعارف)
- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، ت: محمد محبي الدين عبد الحميد، دار الفكر
- سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، مكتبة دار البارز، مكة المكرمة، 1414 - 1994، محمد عبد القادر عطا
- سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، ت: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار البارز، مكة المكرمة، 1414 - 1994
- سنن الترمذى، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذى، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت
- سنن الدارمى، عبدالله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمى، ت: فواز أحمد زمرلى، خالد السبع، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407 الأولى
- السنن الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار الكتب العلمية، ت: د. عبد العفار سليمان البندارى، سيد كسرى حسن، بيروت، 1411 - 1991 م، الأولى
- السيرة النبوية لابن هشام، ت: عبد الملك بن هشام المعافى، ت: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، 1375هـ - 1955 م
- صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر)، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: د. مصطفى ديوب البغا الناشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، 1407 - 1987
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت
- الطبقات الكبرى، ابن سعد، ت: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، 1968 م.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بزار، جمهورية صربيا

- غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحربي، ت: سليمان إبراهيم محمد العايد، الناشر: جامعة أم القرى، الطبعة: الأولى، 1405
- غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام، ت: محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، ط: الأولى، 1384 هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت، 1379
- الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الجزري، عز الدين ابن الأثير، ت: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1417 هـ / 1997 م
- الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة: الطبة الثالثة 1417 1997 - م
- كتاب السنة (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني)، أبو بكر بن أبي عاصم، المكتب الإسلامي، ط: الأولى، 1980 1400 / م
- كتاب الفتن، أبو عبد الله نعيم بن حماد، ت: سمير أمين الزهيري، الناشر: مكتبة التوحيد - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1412
- لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، دائرة المعرفة النظامية - الهند، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، 1971 1390 / م
- المجتبى من السنن، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، ت: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1406 - 1986، الثانية،
- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، جمع وترتيب ابن قاسم، طبعة وزارة الشئون الإسلامية.
- المستدرک على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النسابوري، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411 - 1990، الأولى
- مسند ابن الجعد، علي بن الجعد بن عبيد أبو الحسن الجوهري البغدادي، ت: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت، 1410 - 1990، الأولى
- مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المشنوي أبو يعلى الموصلي التميمي، ت: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، 1404 - 1984، الأولى
- المسند، أحمد بن محمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 2001 1421 - م
- مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، ت: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، 1409، الأولى
- مصنف عبدالرازاق الصناعي، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصناعي، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1403، الثانية
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الشهانية، ابن حجر العسقلاني، ت: (17) رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود، تنسيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، دار العاصمة، دار الغيث - السعودية، ط: الأولى، 1419
- المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، 1415

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار، جمهورية صربيا

- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أبيوب أبو القاسم الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، 1404 - 1983، الثانية، حمدي بن عبدالمجيد السلفي
- مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، عنى بتصحیحه: هلموت ریتر، الناشر: دار فرانز شتايز، الطبعة: الثالثة، 1400 - 1980 م - تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الرئيسي، ت: مجموعة من المحققين، دار الهدایة.
- الملل والنحل، محمد بن عبدالكريم الشهري، ت: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، ط: الثانية، 1421 م.
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدريّة، ابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام، ط: الأولى، 1406 م.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا التوبي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط: الثانية، 1392 م.
- موطأ الإمام مالك -، مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر
- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ت: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399 م.

الباعث العقدي للقيم الحوارية: دراسة تحليلية للنصوص من الكتاب والسنة

د. عبدالله بن عبدالرحمن الميمان

الأستاذ المشارك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية-جامعة القصيم/السعودية

مدخل:

أنزل الله جل وعلا الأديان ، لإقامة التوحيد ، وتعليم الناس الشرائع ، فالتوحيد هو حق الله جل وعلا الخالص ، والشريعة هو نصيب الفرد من الآخرة ، والذي يتحقق به ركن التوحيد ، وكان فيما قص الله سبحانه وتعالى من قصص رسله في القرآن الكريم والسنة النبوية ما لا ينتهي سرده من صبر الأنبياء على الدعوة لتحقيق هذين الأصلين اللذين هما أساس كل شريعة ودعوة جاء بها الأنبياء ، قال تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } [سورة الأنبياء:25] ، وقال جل وعلا : { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِيَادَةٍ رَبِّهِ أَحَدًا } [سورة الكهف:110] .

وكل شريعة أتى بهانبي من الأنبياء تتضمن إقامة التوحيد، والتعبد بشرائع الله في ذلك الوقت ، وتتضمن ما يمنه الظلم بين الناس ويقيم العدل بينهم ، وهذا الأصل هو ركن جميع الشرائع التي أتى بها الأنبياء عليهم السلام .

ومنع الظلم وإقامة العدل هو التفسير الأخلاقي لأحد أهم أجزاء الوحي الذي نزل على أنبياء الله تعالى ، ويتبع ذلك مجموعة من الأخلاق تضمن إقامة الشريعة وتحقيق الأمان لمعتقد التوحيد ، بحيث تحكم علاقته بربه جل وعلا ، وعلاقته بغيره من المخلوقات ، سواءً أكانوا بني جنسه من إنس ، أو مكلفين من الجن ، أو مخلوقات حية كالطير ، أو جمادات كالشجر ، فكلهم ثمة أخلاق أتت بها الشرائع ، تؤطر العلاقة معها فيما يتعلق بالأخلاق والقيم بحيث تتحقق منظومة القيم مثل الصدق والعدل والأمانة وغيرها ، يقول الله جل وعلا مؤصلاً لمنظومة القيم في الإسلام : { قُلْ تَعَالَوْا أَتُلَ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْفَعُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرِبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَاعِدُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151) وَلَا تَقْرِبُوا مَالَ الْيَتَيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشْدَهُ وَأَوْفُوا الْكِيلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُنْكِلُفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعِهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاعِدُكُمْ بِهِ

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (152) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ دَلِكُمْ وَصَاعِدُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَنَقُّلُونَ } [سورة الأنعام: 151-153].

وسأقوم في هذا البحث بإذن الله بدراسة مجموعة القيم الحوارية من الكتاب والسنة وأصولها العقائدية التي تبعث عن تأصيلها وتطبيقاتها في المجتمعات.

سيكون الإطار العام للبحث نمطياً ، يبدأ بمقدمة فيها تحرير للمصطلحات التي عنونت بها البحث ، ثم يتخلل إلى:

المبحث الأول : وفيه التعريف بمنظومة القيم وأثرها في تركيبة المجتمعات .

ثم المبحث الثاني : الباعث العقدي لمنظومة القيم الحوارية .

ثم خلاصة البحث مع الخاتمة .

المبحث الأول: منظومة القيم وأثرها في تركيبة المجتمعات

كل مجتمع يرتبط داخلياً وخارجياً بمجموعة من الروابط ، فالأفراد لهم علاقة بذواتهم وبغيرهم من أفراد المجتمع وهذه العلاقة الداخلية التي تربطهم وتشكل مجتمعهم ، وفي ذات الوقت لهم علاقة بربهم أو معبدهم ، وعلاقة بغيرهم من المخلوقات من الجمادات أو الحيوانات أو المكلفين .

وكل علاقة من هذه العلاقات لها أثر بالغ في تشكيل المجتمع في تصرفاته تجاه ذاته وتتجاه الآخر.

فالعلاقة بين الأفراد تحكمها العادات والتقاليد والشائع ، والعلاقة بين المجتمعات تحكمها مجموعة من الأنظمة والقوانين ، جذورها إما عقدية أو أعراف سياسية أو غير ذلك من الأنظمة التي تؤطر العلاقة بين المجتمعات .

والذي يتناوله هذا القسم من البحث هو أثر تلك المنظومة في تركيبة المجتمعات المسلمة من خلال الكتاب والسنة .

فالقرآن الكريم في آياته العظيمة والسنة النبوية في أحاديثها الشريفة ما وضع قواعدًا سلوكية وقيماً بني عليها المجتمع المسلم من أساسه .

ففي كتاب الله الكريم تأصيل لمنظومة متكاملة من القيم ، أصولها من الوحي ، وتطبيقاتها على المجتمع الأول مجتمع الصحابة رضي الله عنهم ، فهم أول من طبقها وعاش فيها ثم امتدت إلى كل مجتمع بعد ذلك اقتدى بهم ، من السلف إلى أتباعهم .

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

يقول الله تعالى واصعاً لقواعد الأخلاق العامة التي يجب على كل مؤمن يتبع النبي صلى الله عليه وسلم أن يتبعها، {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [سورة النحل: 90].

فجمع في هذه الآية قواعد الأخلاق العامة لكل مسلم ، من اجتناب الظلم ، والإحسان للقريب ، والابعد عن المنكرات الأخلاقية ، واجتناب الاعتداء على الناس .

وبين أن هذه رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُرَيِّكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ} [سورة البقرة: 151]. فقدم التركية على تعليم الكتاب والحكمة، وقد يكون ذلك إشارة إلى المقام الشريف لهما، فلا ينبغي أن يتعملاهما إلى متظاهر من أدران الأخلاق بعد سماعه لوحى الله.

وقد راعى الوحي الشريف طبائع النفوس البشرية في خلقتها الضعيفة التي تميل إلى حب الدنيا وملذاتها، وتتبع هواها في أمور خلقتها الضعيفة التي لا يمكن تجاوزها ، ولذلك راعى تلك الأحوال الضعيفة التي تمر بها النفس ، وجعل لها حدوداً لا تتجاوزها ، فجعل رد العقوبة جائزاً بشرط مساواة الاعتداء ، فقال : {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ حَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} [سورة النحل: 126].

ووصف الحياة الكاملة المثالية للأتقياء الأنقياء الذين يتحلون بأخلاق الأنبياء فقال : {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَنَا وَإِذَا حَاطَبُهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63) وَالَّذِينَ يَبِيُّونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِياماً (64) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ زَرَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ عَرَاماً (65) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقْرَرًا وَمَقَاماً} [سورة الفرقان: 63-66].

جعل حدوداً لما يحدث بين البشر من الانتهاص أو احتقار الغير ، فقال : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَنْمِرُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابُّزُوا بِالْأَلْقَابِ بِعَسْنِ الْأَسْمُمِ الْقُسُوْقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُّبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [سورة الحجرات: 11].

وخطاب النفوس البشرية ، بعيداً عن أهل السلطة وعين الرقيب ، في حديث يسري إلى القلوب، فقال : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا حُطُوطَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعُ حُطُوطَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَگَ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُرَى كَيْ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [سورة النور: 21]. وفيها تنبيه النفس أن خطوات الشيطان فيها لطف وتدريج، وفيها تنبيه أدق من ذلك وهو أن الإنسان الذي أفلح في تجاوز خطوات الشيطان كان نجاحه في إنقاذ الله له، وليس في قدرته أو ذكائه حتى لا يصاب أحد بالعجب فيهلك !

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

وقد شرح للمؤمن المقصود الأسمى من الصلاة وهي الركن الأعظم بعد الشهادتين، في مقصود أعظم من مجرد الركوع والسجود على الهيئة الفقهية التي نص عليها أهل الفقه ، فقال : {إِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} [سورة العنكبوت:45].

وأما السنة النبوية ، فقد حوت ذلك الحكم الكبير من الأحاديث القيمية التي تحفظ ما نص الشاعر عليه من الأخلاق التي هي أحد أركان الوحي بجانب العقيدة والشريعة ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ((اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء)) (1) .

وهذا الحديث الشريف فيه من الإشارة الكافية لكون النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله من جوامع المنكرات ، سواءً أكانت أخلاقية أو عملية أو هوى قد يتبعها الإنسان .

وفي الأحاديث الأخرى ما يربط العقيدة بالخلق الحسن مع الأقارب ، فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ((خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحمة فقال : مه، قالت هذا مقام العائد بك من القطعية فقال ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى يا رب قال فذلك لك ثم قال أبو هريرة : {فَهَلْ عَسِيتُمْ إِنْ تَوْلِيتُمْ أَنْ تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ})) (2)، وحقيقة هذا المقام هو جزء من الإيمان بالغيب .

وقد جعل الله الرحمة غالبة على الغضب لذاته الشريفة ، فعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((ما قضى الله الخلق كتب في كتابه على نفسه فهو موضوع عنده إن رحمتي تغلب غضبي)) (3) .
وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((ما من شيء أتقل في الميزان من حسن الخلق)) (4) وهذا الحديث العظيم يدل أن الأعمال في الآخرة مصنفة من حيث ثقلها ووزنها بحسب عظم القرابة عند الله جل وعلا ، وأن حسن الخلق من أعظم ما يثقل الميزان ، فهو أحد مقاصد الشريعة الكبرى ، ولذلك كان مثقالاً للموازين .
وثمة أحاديث كثيرة في الهدي النبوي الشريف أصل فيها النبي صلى الله عليه وسلم المنظومة الأخلاقية الإسلامية ، وسأورد منها ما له ارتباط عقدي منصوص عليه في سياق الحديث وأبين تلك العلاقة ، ومن تلك الأحاديث :

1- عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((خلتان لا تجتمعان في مؤمن بالبخل وسوء الخلق)) (5) فيبين أن الجزء الأخلاقي وهو البخل وسوء الخلق له ارتباط بالجزء الإيماني وهو نقص الإيمان الكامل.

(1) سنن الترمذى كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب دعاء أم سلمة، ح(3591) قال الشيخ الألبانى: صحيح.

(2) صحيح البخارى كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى {يريدون أن يبدلو كلام الله} {إنه لقول فضل} حق {وما هو بالهزل} باللعب، ح(7063)

(3) صحيح مسلم كتاب التوبه، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، ح(2751)

(4) سنن أبي داود كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، ح(4799) قال الشيخ الألبانى: صحيح.

(5) سنن الترمذى كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في البخل، ح(1962) قال الشيخ الألبانى: ضعيف.

2- عن أبي الدرداء قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ((ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلوة)) (1) ، والارتباط في هذا الحديث واضح ، فالإشارة إلى ثقل حسن الخلق في الميزان الغيبي يوم القيمة وتعظيم قدره إلى ثقل الصلاة في الميزان .

3- عن أبي هريرة قال ((سئل رسول الله صلی الله علیه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوی الله وحسن الخلق وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال الفم والفرج)) (2) ورابط ذلك واضح ، فحسن الخلق أحد أهم أسباب دخول الجنة ، بالإضافة إلى تقوی الله ، فربط حسن الخلق بالإيمان بالجنة التي هي جزء من الإيمان بالغيب.

4- عن رسول الله صلی الله علیه وسلم قال الله عز وجل ((كذبني بن آدم ولم يكن ينبغي له أن يكذبني وشتمني بن آدم ولم يكن ينبغي له أن يشتمني أما تكذبيه إياي قوله إني لا أعيده كما بدأته وليس آخر الخلق بأعز علي من أوله وأما شتمه إياي قوله اتخذ الله ولدا وأنا الله الأحد الصمد لم ولد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد)) (3) وهذا الحديث في التحذير من سوء أدب الإنسان مع ربه جل وعلا ، فمن أعظم أنواع الشتيمة لله أن يعتقد الإنسان وجود شريك معه .

5- عن مالك انه قد بلغه ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال ((بعثت لأتمم حسن الأخلاق)) (4) وهذا الحديث وإن كان فيه مقال إلا أن معناه بلغ في حسن الخلق الشامل ، مع الله جل وعلا ومع المخلوقين ، في كل نواحي الحياة.

6- وقد أصل النبي صلی الله علیه وسلم حسن الخلق في الخطبة الشاملة المشهورة ، وربط ذلك التأصيل للهداية عظيمة لكلامه فحضر من الدنيا ثم حذر من خصال سيئة من حسن الخلق ، مثل الغدر والغضب وسوء الطلب ، فعن أبي سعيد الخدري قال ((صلى بنا رسول الله صلی الله علیه وسلم صلاة العصر ذات يوم بنهاي ثم قام يخطبنا إلى ان غابت الشمس فلم يدع شيئا مما يكون إلى يوم القيمة الا حدثناه حفظ ذلك من حفظ ونبي ذلك من نسي وكان فيما قال يا أيها الناس ان الدنيا خضراء حلوة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ألا ان لكل غادر لواء يوم القيمة بقدر غدرته ينصب عند أنته يجزى به ولا غادر أعظم من أمير عامة ثم ذكر الأخلاق فقال يكون الرجل سريع الغضب قريب الفيء فهذه بهذه ويكون بطيء الغضب بطيء الفيء وهذه فخيرهم بطيء الغضب سريع الفيء وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء قال وان الغضب جمرة في قلب بن آدم تتقد ألم تروا إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فإذا وجد أحدكم ذلك فليجلس أو قال

(1) سنن الترمذى كتاب البر والصلة عن رسول الله صلی الله علیه وسلم، باب ما جاء في حسن الخلق، ح(2003) قال الشيخ الألبانى: صحيح.

(2) سنن الترمذى كتاب البر والصلة عن رسول الله صلی الله علیه وسلم، باب ما جاء في حسن الخلق، ح(2004) قال الشيخ الألبانى: حسن الإسناد

(3) سنن النسائي كتاب الجنائز، باب أرواح المؤمنين، ح(2078) قال الشيخ الألبانى: حسن صحيح.

(4) موطأ الإمام مالك كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في حسن الخلق، ح(1609)

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار، جمهورية صربيا

فليلصق بالأرض قال ثم ذكر المطالبة فقال يكون الرجل حسن الطلب سيء القضاء فهذه بهذه ويكون حسن القضاء سيء الطلب وهذه فخيرهم الحسن الطلب الحسن القضاء وشرهم السيء الطلب السيء القضاء))
(1)

7- عن دويد بن نافع ثنا أبو صالح السمان قال قال أبو هريرة ((إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو يقول اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق)) (2). ويكتفي أنه قرن النفاق مع سوء الأخلاق.

والنصوص من الكتاب والسنة التي تدل أو توصل للأخلاق الحسنة وتندم الأخلاق السيئة كثيرة لا تحصر ، وكان المقصود إظهار ربط مجموعة منها بالعقيدة الإسلامية لاستقصاء كيفية تناول النص للقضية الأخلاقية أثناء عرض المسائل العقدية.

المبحث الثاني: الباعث العقدي لمنظومة القيم الحوارية

لاشك أن الأخلاق التي يتخلق بها الناس في كافة المعمورة حالياً هي نابعة من اعتقاد ما ! فالناس تعتقد ثم تتشعر ثم تتخلق ، فالعقيدة تؤطر لدى الناس ما يهتمون في العاقبة ، ثم يجعل لهم حدوداً لا يتتجاوزونها ، وتحجعل لهم شريعة يدينون بها ، وهذه الشريعة لها جانب قريب من الاعتقاد وهي العبادات التي مبناتها على الوحي ، ومصدرها الغيب ، ومرجعها الكتاب والسنة .

والجانب الآخر لها هو المعاملات ، وهذا الجانب قريب من الأخلاق إلا أنه ينضبط إذا ما حد بكونه عقداً ، بخلاف الأخلاق التي ترجع إلى ما لم يضبط بعقد من كيفية التعامل مع النفس أو الغير .

وإذا تبين أن الأخلاق باعثها في الأصل هو العقيدة ، فعند ذلك يتبيّن أن الشرع ربط كثيراً من المسائل الأخلاقية بالعقيدة ، وربط كثيراً من الإخلال بالمسائل العقدية بالإخلال بالعقيدة .

فأول عقيدة ارتبطت بالأخلاق هي تحريم الظلم ، فالله سبحانه وتعالى يقول عن نفسه في الحديث القدسي : أن الله تبارك وتعالى قال : ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسك وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا)) (3) وفيه تنبية عظيم أن تحريم الظلم أصله الوحي ، وأكبره ما يتعلق بظلم العبد لتلك العلاقة المقدسة بينه وبين خالقه ، فيشرك به ، فيعود الظلم على نفس العبد ، فيعاقب بالحرمان من الجنة ، وكذلك أنواعه الأخرى مثل ظلم

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل: مسند أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، ح(11604)، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح.

(2) سنن أبي داود أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وتربيته، باب في الاستعاذه، ح(1546) قال الشيخ الألباني: ضعيف.

(3) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الظلم، ح(2577)

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار، جمهورية صربيا

العبد غيره بوضع الشيء في غير موضعه ، وأنواعه كثيرة ، سواءً بالاعتداء على النفوس أو الأموال أو الأعراض أو غير ذلك

قال ابن تيمية : ((وما زال العقلاة يستدلّون بما علموه من صفات رب على ما يفعله؛ كقول خديجة للنبي صلّى الله عليه وسلم لما قال لها: "لقد خشيت على نفسي" ، فقالت: "كلاً، والله لا يخزيك الله أبداً، إِنَّك لتصلّي الرحم، وتتحمل الكل، وتحمّل الصيف، وتصدق الحديث، وتكتسب المعدوم، وتعين على نواب الحق ، فاستدلت بما فيه من مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال على أن الله لا يخزيه .))⁽¹⁾

وبتحريم الظلم : ((يؤكد الإسلام على فرض العدل مع غير المسلمين ، بأقوى تأكيد ، والعَدْلُ رَأْسُ كُلِّ فضيلة ، ف بهذه الأخلاق والأداب يعامل المسلمون غير المسلمين ، وهذه الأخلاق والأداب من دين الإسلام ، يأمرهم بها كتاب ربهم وسُنّة نبيهم صلّى الله عليه وسلم . وما دامت من دين الله تعالى ، فلا يمكن أن تتعارض مع حكم آخر من دين الله تعالى أيضاً ، وهو الولاء والبراء))⁽²⁾

قال القرافي : ((لا يبادر إلى سموّ الأخلاق والأعمال والأحوال إلاّ من له سموّ وهمة مثل الحواريين الذين أجابوا داعي المسيح من غير تقدم رؤية آية بل قال لهم: "دعوا الدنيا واتّبعوني ففعلوا"))⁽³⁾

قال ابن سعدي : ((إن القلوب لا تصلح وتفلح ولا تشبع حتى يحصل لها العلم بالحقائق النافعة والعقائد الصائبة، ثم التخلق بالأخلاق الجميلة، والتنتزه عن الأخلاق الرذيلة، وما جاء به الرسول كفيل بالأمررين على أكمل وجه بلا طريق لها إلا من طريقه))⁽⁴⁾.

وقال ابن القيم - رحمة الله : ((ومن ه هنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول - صلّى الله عليه وسلم - وما جاء به ، وتصديقه فيما أخبر به ، وطاعته فيما أمر ، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفرح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل ، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم ، ولا ينال رضا الله أبته إلا على أيديهم . فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاءوا به ، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأخلاقهم توزن الأخلاق والأعمال ، وبمتابعتهم يتميز أهل الضلال ، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه ، والعين إلى نورها ، والروح إلى حياتها ، فأي ضرورة وحاجة

(1) النبات - (36 / 18)

(2) الولاء والبراء بين الغلو والجفاء في ضوء الكتاب والسنة - (1 / 20)

(3) تحجّيل من حرف التوراة والإنجيل - (1 / 427)

(4) ((تفسير أسماء الله الحسنى - السعدي - (1 / 52))

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

فرضت فضورة العبد و حاجته إلى الرسل فوقها بكثير ، وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين ،
 فسد قلبك وصار كالحوت إذا فارق الماء ووضع في المقلة)) (1)

وقال الشيخ صالح آل الشيخ : ((لاشك أن العناية بكتب الأدب والسلوك والأخلاق من المهمات ، ومن أعظم ما يدلّك على ذلك فتنتفع به كتاب رياض الصالحين ، فإنه من أفعى الكتب في الأدب والسلوك النبوي والإرشاد إلى الأخلاق والآداب والواجبات في التعامل والخلق والأدب ، ومن جهة الزهد كتب السلف في الزهد كالزهد لابن المبارك ، والزهد للإمام أحمد ، وككتاب الرِّفاق في صحيح البخاري ، والبر والصلة في كتب أهل الحديث ، هذه فيها - مع شروح أهل العلم عليها - ما ينتفع به طالب العلم كثيرا)) (2)

وذلك قاس بعض العقلاة حن الخلق على الشجاعة ، فمما أثر لهم أن التوسط في استحسان الأخلاق كالشجاعة ، فإنه حالة بين التهور والجبن ، والسخاوة بين التبذير والبخل ، والتواضع بين الكبير والمهانة ونحوها عند من يعرف علم الأخلاق ، ويفرق بين الحسنة والذمة ، وقد قال تعالى في علم المعاش : { وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْثُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً } [الفرقان : 67] (3)

وقال ابن تيمية : ((النَّاسَ يَتَفَاضَلُونَ فِي حُبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَحَشْيَةِ اللَّهِ وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ وَالتَّوْكِيدِ عَلَيْهِ وَالْإِحْلَاصِ لَهُ وَفِي سَلَامَةِ الْفُلُوبِ مِنِ الرِّيَاءِ وَالْكَبِيرِ وَالْعُجْبِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَالرَّحْمَةِ لِلْحَلْقِ وَالصَّحِحِ لَهُمْ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْإِيمَانِيَّةِ وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : { ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوةَ الْإِيمَانِ مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَمَنْ كَانَ يُحِبُّ الْمَرْءَةَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَمَنْ كَانَ يَكْرُهُ أَنْ يَرْجِعَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْفَدَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرُهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ })) (4)

ولذلك تناول الشاطبي رحمة الله شيئاً من تصرفات المتصوفة بالنقد وبين أن هناك فرقاً بين فعلهم و فعل صالحهم فقال : ((ولكن هؤلاء الرجال النابتة لا يفعلون ذلك ، فصاروا متبعين الرجال من حيث هم رجال لا من حيث هم راجحون بالحاكم الحق ، وهو خلاف ما عليه السلف الصالح وما عليه المتصوفة أيضاً ، إذ قال إمامهم سهل بن عبد الله التستري : مذهبنا مبني على ثلاثة أصول : الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الأخلاق والأفعال ، والأكل من الحلال ، وإخلاص النية في جميع الأعمال . ولم يثبت في طريقهم اتباع الرجال على انحراف ، وحاشاهم من ذلك ، بل اتباع الرجال ، شأن أهل الضلال)) (5)

(1) زاد المعاد 15/1

(2) شرح عدة متون في العقيدة - (6 / 2)

(3) انظر : شم العوارض في ذم الروافض - (1 / 77)

(4) كتاب الإيمان الأوسط - (1 / 55)

(5) كتاب الاعتصام للشاطبي - (2 / 99)

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

والأخلاق في الإسلام هي أحد أهم مكونات الدين الشامل : ((فالدين الإسلامي دين سماوي لم يكن لأمة من الأمم مثله ولا نزل على نبي من الأنبياء نظيره إذ هو دين عالم مبين لأحوال المجتمع الإسلامي بل البشرية عامة وبه كمل نظام العالم فهو جامع شامل للمصالح الاجتماعية والأخلاقية.

فإنه بين الأحوال الشخصية التي بين العبد وبين ربه من صلاة وزكاة وصوم وحج . وشرع نظافة البدن - فأمر بغسل الجنابة وال الجمعة والعيدان - أو بعضا منه كالوضوء عند كل فريضة من الفرائض الخمس . وشرع أمور الفطرة من ختان وقص شارب وتقليم أظفار وتنف إبط والسواك وحلق العانة . كما أرشدنا الإسلام إلى تجميل الشياطين وأن تكون على أحسن هيئة وأكمليها . كما سن ذلك في الجمعة والعيدان ، وهذب الأخلاق فأمر بالصدق في المعاملات والوفاء بالعقود والمعاهد والمواعيد ، وأوجب ترك الذنوب من زنى وخمراً وغيبة وقدف وسعادية وشهادة زور وانحراف في الأحكام وتحريم لما أباح الله . وحرم تغيير الأحكام عن وجهها وما أريد بها إلى غير ذلك . وبالجملة فإن الدين الإسلامي جامع روابط الأمة الإسلامية بل هو حياتها تدوم بدوامه وتندم إذا انعدم وهو مفخرة من مفاخرها العظيمة ومن خصائصها ، حيث لم يكن لأمة من الأمم قبلنا مثله فلو أن المسلمين)) (1)

وهذا كله من حيث الأخلاق العامة للمسلم من حيث كونه يؤمن بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً رسولاً .

وعند تناول ذلك المعتقد من جهة أدق، من حيث ارتباط الأخلاق بالعقيدة أثناء الحوار والجدل والاختلاف مع الآخر نجد أن القرآن الكريم ناقش كثيراً مفهوم الجدل أثناء عرض المسائل العقدية ، وبين المسافات بين مسائل العقيدة والجدل ، وبناء عليه ذم الجدل في موضع ، وسكت عنه في موضع ، وندب إليه في موضع ، وارتبط كل ذلك بالقيمة الأخلاقية التي تنتج عنه .

ففي مسائل الخيانة نهى الله عن الجدال عن الذين تلطخت ذممهم بها فقال جل وعلا: { وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنفُسُهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ حَوَّاً أَثِيْمًا } [سورة النساء: 107].

وفي الدعوة إلى التوحيد قال مخبراً عن أنبياءه الكرام حين حذروا من الجدل في شأن التوحيد، وحدروا من عقوبة من أخل به : { قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضْبٌ أَتَجَادِلُونِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَأَنْتَطِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ } [سورة الأعراف: 71].

وفي مسائل العاقبة يوم القيمة أخبر عن تفرد كل نفس من خوف المصير المؤلم : { يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُؤْفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُنْ لَا يُظْلَمُونَ } [سورة النحل: 111].

(1) كمال الدين الإسلامي وحقيقة وزاياده - (1 / 48)

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

وفي الدعوة إلى الله ندب إلى الجدال بالتي هي أحسن : { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } [سورة العنكبوت: 46].

وفي شأن صفاته العلي ، أخبر عن إحاطة سمعه للحوار بين النبي صلى الله عليه وسلم والمرأة التي جادلته فقال: { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي رَوْجَهَا وَتُشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرُكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } [سورة المجادلة: 1].

ولذا كان الحوار الذي يتضمن مسائل العقيدة من أدق الحوارات التي يجب الحفاظ فيها على الالتزام بقواعد الاتصال المهاري مع الآخر لما للحوار من أثر في المنظومة العقدية ، وفهم ذلك بطريقة خاطئة يؤدي إلى نتائج لم يأمر بها الشرع ولا تحمد عقباها ، قال ابن باز رحمه الله : ((الولاء والبراء معناه محبة المؤمنين وموالاتهم وبغض الكافرين ومعادتهم والبراءة منهم ومن دينهم ، هذا هو الولاء والبراء كما قال الله سبحانه في سورة الممتحنة : { قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدأ علينا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده } وليس معنى بغضهم وعداوتهم أن تظلمهم أو تتعدى عليهم إذا لم يكونوا محاربين ، وإنما معناه أن تبغضهم في قلبك وتعاديهم بقلبك ولا يكونوا أصحاباً لك ، لكن لا تؤذهم ولا تضرهم ولا تظلمهم ، فإذا سلموا ترد عليهم السلام وتصحهم وتوجههم إلى الخير)). (1).

وقد جادل النبي صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب بالتي هي أحسن ممثلاً قول ربه تعالى: ((وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)) [العنكبوت: 46] واشتد معهم في النقاش إلى درجة المباهلة(4). قال الله تعالى: ((فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ بَتَّهُنَ فَتَجْعَلُ لَغْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)) [آل عمران: 61].

وقد جمع بعض الفضلاء مسائل متعلقة بالحوار العقديي ، وعلاقتها بالأخلاق لتحقيق مناطها ، فذكرها أن هناك أساليب شرعية في الحوار والمناقشة والعرض يجب الالتزام بها حتى يكون الحوار والجدال ممدوداً ، مثل أن يكون هداية المخالف، وتأليف قلبه لا تنفيه، ومثل استعمال القول اللين، والعبارات الحسنة، تنفيذاً لقوله تعالى: ((فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعْلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى)) [طه: 44]، فالله يأمر موسى وهارون رضي الله عنه أن يستخدما اللين في القول مع فرعون؛ لأن ذلك أدعى إلى تذكره وخشيته، وأقرب إلى انتفاعه وهدايته ، ومثل انقلاب النتيجة عند استخدام العنف ، فقد ذكر عن أبي حامد الغزالى، أنه قال: "أكثر الجهات إنما رسخت في قلوب العوام بتعصب جهلة أهل الحق، أظهروا الحق في معرض التحدى والإدلال، ونظروا إلى ضعفاء الخصوم بعين التحقير والازدراء،

(1) ركن الفتاوي فتاوى العقيدة - (1 / 1)

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار، جمهورية صربيا

فثارت من بواطنهم دواعي المعاندة والمخالففة، ورسخت في قلوبهم الاعتقادات الباطلة، وتعدر على العلماء المتلطفين محوها مع ظهور فسادها" ، ومثل محاولة إثارة العاطفة، وإظهار الخوف عليهم، هذا كان الرسل والأنبياء يظهرون شفقتهم على قومهم والحرص على ما فيه خير لهم، وهذا ما يظهر في دعوتهم لقومهم فقد قال تعالى عن نوح عليه السلام: ((لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي إِنِّي أَخَافُ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)) [الأعراف: 59]⁽¹⁾.

وقد فهم السلف الصالح ذم الجدل غير المؤدي إلى نتيجة ومن ذلك قول ((مَيْمُونٌ: لَا تَسْبُوا أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا تَعْلَمُوا النُّجُومَ، وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْقَدْرِ)) (2) .

وكذلك ما يؤثر عن: ((شقيق عن عبد الله رضي الله عنه قال لا تعلموا العلم لثلاثة لتماروا به العلماء أو تجادلوا به السفهاء وتصرفوا به وجوه الناس إليكم)) (3)

يقول تعالى {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهددين} [التحريم: 125]

ومن جميل قول العلماء في تفسيرها : ((ومن احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب، واصفح عن أساء في القول، وترفق بهم في الخطاب، وقابل السوء بالحسنى، واقتصر من الجدال الوصول إلى الحق، دون رفع الصوت، وسب الخصم أو الأذى))⁽⁴⁾

((من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب))،

وقال ابن سعدي : ((ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح { بِالْحِكْمَةِ } أي: كل أحد على حسب حاله وفهمه و قوله وانقياده.

ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبداءة بالأئم فالآئم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قوله أتم، وبالرقق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإن فinctقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرنون بالترغيب والترهيب.

إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقم به.

⁽¹⁾ انظر لما سبق : دعوة أهل البدع - (161 / 1 - 166)

⁽²⁾ معاجل القبول بشرح سلم الوصول - (971 / 3)

⁽³⁾ أحاديث في ذم الكلام وأهله - (159 / 1)

⁽⁴⁾ التفسير المنير للزنجيلي - (270 / 14)

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

وإما بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والأجل وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والأجل، فإن كان [المدعى] يرى أن ما هو عليه حق. أو كان داعيه إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلاً ونقلًا.

ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقد بها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصم أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها⁽¹⁾.

الخلاصة:

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فقد تتبع النصوص التي تربط بين العقيدة ومنظومة الأخلاق وجمعت مجموعة من النتائج كالتالي :

- 1 أن العلاقة بين الأفراد تحكمها العادات والتقاليد والشائع ، والعلاقة بين المجتمعات تحكمها مجموعة من الأنظمة والقوانين ، جذورها إما عقدية أو أعراف سياسية أو غير ذلك من الأنظمة التي تغطرس العلاقة بين المجتمعات .
 - 2 والنصوص من الكتاب والسنة التي تدل أو تؤصل للأخلاق الحسنة وتندم الأخلاق السيئة كثيرة لا تحصر ، وكان المقصود إظهار ربط مجموعة منها بالعقيدة الإسلامية لاستقصاء كيفية تناول النص للقضية الأخلاقية أثناء عرض المسائل العقدية .
 - 3 أن الحوار الذي يتضمن مسائل العقيدة من أدق الحوارات التي يجب الحفاظ فيها على الالتزام بقواعد الاتصال المهاري مع الآخر لما للحوار من أثر في المنظومة العقدية ، وفهم ذلك بطريقة خطأ يؤدي إلى نتائج لم يأمر بها الشرع ولا تحمد عقباها .
- وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

⁽¹⁾ تفسير السعدي - (452 / 1)

المناخ الأسري وعلاقته بظهور كل من الضغوط الأسرية ومواجهتها لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية - دراسة ميدانية بولاية تizi وزو - بلد الجزائر -

د. رجاح فريدة زوجة بوروبي / ذ. فطيمة شعال

جامعة مولود معمر - تizi وزو / الجزائر

ملخص الدراسة:

هدفت هذه الدراسة للتعرف على علاقة المناخ الأسري بظهور كل من الضغوط الأسرية و أساليب مواجهتها، وفق تركيبة الأسرة الجزائرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية، و لاختبار ذلك تم طرح عدة فرضيات، تم التتحقق منها من خلال إتباع الإجراءات المنهجية التالية: تمت الدراسة على عينة بلغ حجمها 200 طالبة مقيمة بالإقامة الجامعية من مختلف الأطوار: سنوات أولى و ثانية و ثلاثة ليسانس- سنوات أولى و ثانية ماستر - طور الدكتوراه، و التي اختيرت بطريقة قصدية. وتمثل أدوات الدراسة في مقياس **المناخ الأسري** الذي قام بإعداده ابو نجيلة (2013) ، و منه قامت الباحثة "اء طه سالم دلول" (2018) من جامعة الأزهر بغزة للحصول على رسالة الماجستير في علم النفس بعمل صورة مصغرة من المقياس مكون من 69 فقرة، و مقياس **الضغط الأسري (Family Stress)** (Hanson)، الذي قام بإعداده في الأصل الباحثان الأمريكيان Hanson و Berkey عام (1991). ثم قامت الباحثان المصريان أمانى عبد المقصود وتهانى عثمان عام (2007) بترجمة المقياس وتكييفه على البيئة المصرية، و بعدها قامت الباحثة الدكتورة بوروبي رجاح فريدة بتكييفه على البيئة الجزائرية سنة (2012).

توصلنا في هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

- توجد علاقة بين المناخ الأسري و الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية.
- توجد علاقة بين المناخ الأسري و مواجهة الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية.
- توجد فروق بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعيشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعيشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص الضغوط الأسرية.
- توجد فروق بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعيشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعيشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص مواجهة الضغوط الأسرية.

1. مقدمة و إشكالية الدراسة

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

إن بناء وتطور المجتمعات وازدهارها واستقرارها لا يكون إلا باستقرار الأسر، أين يمكن لأفرادها أن يتعايشوا مع مختلف المشاكل التي يمكن أن تواجههم وتعزل مسارهم، و هذا يعود إلى أن الأسرة هو ذلك الوعاء التربوي والثقافي الأول الذي يحتضن الأبناء، لأنها تمثل نظاما اجتماعيا و مصدرا أخلاقيا و تربويا مهما، تعمل على تنشئة الفرد داخل المجتمع، وهي تشكل أحد المقومات الأساسية للوجود الاجتماعي منذ القدم والتي يومنا هذا، حيث تميز بوجود تفاعل مباشر وعميق بين أفرادها، هذا التفاعل الذي يؤثر على طبيعة العلاقات ويحدد نوع الروابط والمهام داخل الأسرة و المجتمع، و الأسرة هي الجماعة الإنسانية الأولى التي يتعامل معها الفرد منذ خروجه للحياة، بتوفيرها التربية والرعاية و ذلك من خلال تحقيقها للمطالب الأساسية في حياة الإنسان، لأنها تعتبر مؤسسة اجتماعية و ثقافية ذات الأثر البالغ في حياة الفرد و تشكيلاً شخصيته و سلوكه، و بناء مختلف جوانبه النفسية و الجسدية و العقلية و الانفعالية: كالغذاء، الملبس، المأوى، الأمان و التقبل... الخ، و ذلك حسب المناخ الأسري الذي تربى كل أسرة.

و تدل طبيعة و نوعية العلاقات الأسرية على طبيعة المناخ الأسري و الذي يمثل الجو السائد في الأسرة ككل، فنجاح العلاقات بين أفراد الأسرة يؤدي حتما إلى توافق أفرادها، و شيوخ المناخ الأسري السوي داخلها، كما أن اضطراب هذه العلاقات يؤدي أيضا إلى انحراف التفاعلات الأسرية عن نموها الطبيعي، و ما ينشأ عن ذلك من تفككها و معاناة الأسرة من التوتر و الصراع و الانشقاق، و كل ذلك بالطبع يؤثر على النمو النفسي و السلوكى و الاجتماعي للبناء.(حافظ، 2015،ص.164) إذ أن أساس الصحة النفسية كما يرى علماء علم النفس قائما على الارتباط النفسي وفقا لما يخبره الطفل من علاقة حميمة و دائمة مع أفراد أسرته، إذ يجد الطفل في مثل هذه العلاقة الإشباع لحاجاته النفسية و تكون هذه العلاقة مليئة بالخبرات التي يكونها في البداية ثم تأخذ أشكالا عديدة لها تأثيرها الكبير في علاقاته مع أفراد أسرته و في علاقاته المستقبلية مع الآخرين.(Stagier, 1974,p.90)

ونظرا لأهمية المناخ الأسري للأبناء و ما له من دور في تشكيل فكر و عقل الابن، يرى كل من (الإمام و الجوالدة، 2009،ص.04) أن أساس المناخ الأسري و محوره الرئيسي هو مواجهة التحدى الأساسي الذي تهدف إلى تحسين تفكير الأبناء و شعورهم بالأمن و الأمان في بيئه المعيشة. و المناخ الأسري السوي يكون خالي من المشكلات والأزمات الأسرية، و التصدع الأسري بكافة أشكاله، و تنشئة الأبناء و تربيتهم في جو من بالحب و الأمان، و الود و العطاء و الاستقرار النفسي.(الشهري، 2006،ص.02)

و بالمقابل أوضحت (شلبي و ابراهيم،1996) أن المناخ الأسري الغير السوي يعكس على الأبناء، و يساعد على عدم اتزان شخصيتهم، و سوء تكييفهم الانفعالي، و انعدام ثقتهم بأنفسهم خاصة أن الحياة أصبحت الآن معقدة بدرجة كبيرة بعد زيادة احتياجات الفرد، الأمر الذي يدعو إلى ضرورة التأكيد على أهمية توفير الجو العائلي الذي تقوى فيه الروابط الأسرية.(نقل عن شعيبى،2009،ص.02) أين يمكن أن يؤدي هذا النوع من المناخ الأسري إلى الضغوطات الأسرية.

فأصبحت ظاهرة الضغوط الأسرية التي يصادفها أفراد الأسر محل اهتمام الكثير من الأخصائيين النفسيين الاجتماعيين و التربويين خاصة عند الطالبات الجامعيات المقيمات بالإقامة الجامعية، بعدما أصبحت المرأة الجزائرية تعمل على تحسين مستواها الدراسي للخروج إلى العمل، و هذا راجع غالى التحولات السياسية، الاقتصادية و الاجتماعية للجزائر منذ الاستقلال دفعت المرأة للخروج إلى ميدان العمل بجانب الرجل من أجل العمل معا على تحقيق التنمية في شتى المجالات مما ساهم و بشكل بارز في تغيير بنية الأدوار الملقة على عاتقها.

و أشار (جودت عزت عبد الهادي و سعيد حسن العزة، 1999، ص-234-235) إلى أن تعقيدات الحياة و انتشار الصناعة و الاختراعات و التكنولوجيا هي من الأسباب الرئيسية التي أثرت على استخدام الأيدي العاملة الذكرية و الأنثوية و أصبح الرجل غير قادر تماما على القيام بحاجات أسرته من تعليم و تربية و أجور مسكن و تحصيل القوت اليومي و العلاج.

لهذا تم التركيز في هذه الدراسة على مفهوم الضغوط الأسرية الذي يعتبر مفهوما نفسيا اجتماعيا، بدأ الاهتمام به في الثمانينيات من القرن العشرين، لما قد يسبب من اختلال توازن النظام الأسري، ولقد تنتج عنه آثار مضمرة و مفككة للأسرة. مع العلم أن مفهوم الضغوط الأسرية لم يحظى بالاهتمام من الباحثين الجزائريين حسب اطلاعنا، و هذا ما دفعنا للإهتمام به لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية و الوصول في النهاية حول ما إذا يمكن للطالبة المقيمة أن تواجه الضغوطات الأسرية التي تواجهها و يؤدي بها إلى لجوء هذه الطالبة إلى الإقامة الجامعية، حيث حاولنا دراسته في ولاية تizi وزو، و ذلك من خلال طرح التساؤلات التالية:

❖ **التساؤل الأول:** هل توجد علاقة بين المناخ الأسري و كل من الضغوط الأسرية و مواجهتها لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية؟

و تتفرع عن هذا التساؤل التساؤلات الجزئية التالية:

1-1- التساؤل الجزئي الأول:

هل توجد علاقة بين المناخ الأسري و الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية؟

1-2- التساؤل الجزئي الثاني:

هل توجد علاقة بين المناخ الأسري و مواجهة الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية؟

❖ **التساؤل الثاني:** هل توجد فروق بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعيشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعيشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص الضغوط الأسرية؟

❖ **التساؤل الثالث:** هل توجد فروق بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعيشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعيشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص مواجهة الضغوط الأسرية؟

2. أهمية الدراسة

- توضيح الدور الحيوي الفعال الذي تلعبه العلاقات داخل الأسرة و ما ينتج عن ذلك من مناخ اسري حافل بالضغوطات، أين يمكن أن ينعكس سلبا على حياة الطالبة المقيمة و لجوئها و هروبها إلى الإقامة الجامعية.
- تفيد هذه الدراسة في إثراء المكتبة العلمية كدراسة سابقة لدراسات لاحقة في نفس الموضوع.
- تعتبر هذه الدراسة بمثابة نموذج تحليلي لوضعية الطالبة المقيمة في الإقامة الجامعية والظروف التي تعيشها في وسط أسرتها.
- قد تكون هذه الدراسة بداية لدراسات لاحقة لتنمية الوعي بأهمية المناخ الأسري السوي بعيد عن الضغوط الأسرية و التي تؤثر سلبا على حياة الطالبة الجامعية المقيمة.

3. التعريف الإجرائي لمتغيرات الدراسة

1-3-المناخ الأسري: هو الجو السائد في الأسرة ، و هو مصدر لإشباع حاجات الفرد، بحيث يقوم بعملية التنشئة الاجتماعية وفقاً لأساليب معينة، مما يساعد على إشباع حاجات أفراد الأسرة و وضوح الأدوار و تحديد المسؤوليات داخل الأسرة، و ذلك من أجل النمو السليم للأبناء. و في هذه الدراسة هي الدرجة الكلية التي تتحصل عليها في مقياس المناخ الأسري للباحث "سفيان ابو نجيلة" لسنة 2013 الذي نطبقه على طالبات المقيمات في الإقامة الجامعية، و الذي يهدف إلى التعرف التقديري على المناخ الأسري.

2-3- الضغوط الأسرية: هي تلك الضغوطات التي تتعرض إليها الطالبة الجامعية المقيمة، و التي تتحصل عليها من خلال الدرجة الكلية لمقياس "الضغط النفسي" للباحثين الأمريكيين "هانصون و بريكي" لسنة 1991 ، الذي تم تكييفه في البيئة المصرية من طرف الباحثين "أمانى عبد المقصود و تهانى عثمان" لسنة 2007، أما في البيئة الجزائرية فلقد تم تكييفه من طرف الدكتورة الباحثة "بوروبى فريدة رجاح" سنة 2012. و الذي يهدف إلى التعرف التقديري على مستوى الضغوط الأسرية.

3-3 الطالبة المقيمة بالإقامة الجامعية: هي الطالبة التي تدرس في الجامعة بعد نجاحها في اجتياز شهادة البكالوريا، و سمح لها معدلاتها بالالتحاق بالجامعة و تقيم في الإقامة الجامعية، بحيث يطبق عليها مقياسى "المناخ الأسري" و "الضغط الأسرية".

الإطار النظري للدراسة

1-المناخ الأسري: Family climate

1-1-مفهوم المناخ الأسري: - هو ذلك الطابع العام للحياة الأسرية، من حيث توفر الأمان و التضحية و التعاون، ووضوح الأدوار و تحديد المسؤوليات و أشكال الضبط و نظام الحياة. و كذلك أسلوب إشباع الحاجات الإنسانية و طبيعة العلاقات الأسرية.(خليل،2000،ص.32)

- هو الجو الذي يسمح للأسرة بأداء كامل و فعال لوظائفها المختلفة، إلى جانب إتاحة الفرصة للنمو السليم و المستقل لشخصيات إفرادها، و العمل على تدعيم العلاقات بينهم، و تحقيق أكبر قدر من التماسك و التقارب داخل الأسرة، و هذا المناخ له وجهان: سوي و الآخر غير سوي.(حضر و عبد العاطي،2009،ص.4377)

- هو الطابع العام للحياة الأسرية من حيث توفر الأمان و التضاحية و التعاون و نظام الحياة و أسلوب إشباع الحاجات النفسية و طبيعة العلاقات الأسرية و الحياة الروحية التي تسود الأسرة. (بيومي، 2012، ص. 253)

-1-2- أنماط المناخ الأسري

أشار (الصغير، 2010، ص. 40) إلى أربعة أنماط للمناخ الأسري:

- النمط الحازم: الذي يجمع بين التقبل والضبط.
 - النمط التسلطي: الذي يجمع بين الضبط والرفض.
 - النمط المتساهل: الذي يجمع بين التقبل والرخاوة.

- النمط الديمocrطي: اعتراف الوالدين بأن أبناءهم أشخاص مختلفون بعضهم عن البعض الآخر، فهم يحرصون على توضيح مغزى تصرفاتهم، ويرحبون بالحوار و التعايش مع أبناءهم في كل ما يعيشون أو يتعرضون له من مواقف و خبرات (عبد الله، 2010، ص. 20-21)

-3-1 أهمية المناخ الأسري

تكمّن أهمية المناخ الأسري فيما يلي:

- ت العمل الأسرة على إشباع حاجات الأبناء بطريقة سوية دون إفراط أو تفريط و رعاية الأبناء بشكل متوازن و ترتيب الأولويات و الحاجات حسب أهميتها.(عثمان،2009،ص.32)
 - ت تعمل الأسرة على تطبع الأسرة حياة الفرد بطابعها الخاص في كل الجوانب: الجسمية، العقلية، الاجتماعية.(حافظ،2007،ص.18)
 - ت يجعل الفرد مرأة لوالديه جراء أسلوب معاملتهم السوية أو الغير السوية للابن.
 - ت طبيعة العلاقات داخل الأسرة تتسم بنظام دينامي ذي خصائص نفسية ذي تأثير دائم لكل عضو على آخر، ما
 - ت الأسرة هي مهد الشخصية التي تزود الأبناء بخبرات الحياة.
 - ت الأسرة أكثر المؤثرات البيئية تأثيراً على شخصية الأفراد الذين يتبنون إليها.

و من هنا تكمن أهمية المناخ الأسري و خطورته في نفس الوقت، كون أن المناخ النفسي في الأسرة هو أي يحدد مدى نجاح أي أسرة، لأنه يشكل نوعية و اتجاه و سلوك أعضاء تلك الأسرة، لذلك يعتبر الجو العائلي من أهم العوامل التي تؤثر على التكوين النفسي و العصبي للأبناء، لأنه يؤثر تأثيرا بالغا على سلامه الحياة الاجتماعية للأبناء، فإذا كان الجو المنزلي مليئا بالمحبة و العطف و الهدوء و الثبات يكون الفرد فيه مطمئنا على نفسه.(حلبي،2004،ص.243)

٤-١ الأسرة الجزائرية: تناولت كثير من الدراسات الأسرة الجزائرية باعتبارها نموذجاً متميزاً في الوطن العربي

نظراً لمجموعة من الظروف أهمها التطور التاريخي الذي شهدته تركيبة المجتمع الجزائري، ولذلك تظهر في بنيتها التقليدية تجسيداً للأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية السائدة من قبل، ويتجلى ذلك في التشبث العميق بمجموعة من العادات و التقاليد والقيم الاجتماعية التي تعبر عن انتمائاتها و هويتها المتتجذرة من خلال خاصياتها

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

التي تميزت بها ، فهي جماعة أولية هامة باعتبارها اللبننة الأساسية في المجتمع الجزائري ، فهي على العموم "أسرة موسعة حيث يعيش في أحضانها عدة أسر زوجية وتحت سقف واحد(الدار الكبيرة)إذ نجد فيها عشرين إلى ستين شخصاً أو أكثر يعيشون جماعياً" ، زيادة إلى بعض الأهل والأقارب ، والكل يعيش حياة اجتماعية واقتصادية متبادلة على أساس قرابة الدم والنسل التي تحدد فيها بينهم علاقات وواجبات والتزامات مشتركة ، حيث أن "الأب والجد هو القائد الروحي للجماعة الأسرية ينظم فيها أمور تسير الإرث الجماعي وله مرتبة خاصة تسمح له بالحفظ على الانضباط والتماسك في الجماعة الأسرية.) بوتفنونشت مصطفى ، 1984، ص.(37).

أصبحت الأسرة الجزائرية اليوم تميز بنطاق ضيق ذات التركيب البسيط" بعد أن كانت الأسرة الجزائرية في طابعها العام أسرة ممتدة أصبحت اليوم تتسم بصغر حجمها المكون من الزوج والزوجة والأولاد.(محمد سويدى، 1990، ص.89)، إضافة إلى أن الحياة في المدينة تتطلب أن يكون عدد الأفراد محدوداً عكس ما كانت عليه في الريف ، أما العامل الثاني وهو اختلاف أو تباين البنية الاقتصادية الإنتاجية للأسرة الممتدة والتي كانت تعتمد على الإرث العائلي والمتمثل في الأراضي الزراعية كوحدة إنتاجية واستهلاكية ، ولكن مع فقدان الأرضي الزراعية و انقسامها و انتقال الأفراد إلى المدينة التي عرفت وجود مؤسسات صناعية وتجارية تستخدم الفرد المهاجر إليها على أساس كفاءته وقدراته دون اعتبار للجنس أو السلالة أو القرابة أو غيرها.(نفس المرجع السابق، ص.90).

2- الضغوط الأسرية: يعتبر مفهوم الضغوط الأسرية من المفاهيم الحديثة التي بدأ الاهتمام به في ثمانينيات القرن العشرين فقط من عدد قليل من الباحثين الأجانب و العرب، لهذا جاءت التعريف حول هذا المفهوم قليلة. حيث يعرّفها Neuman (نومان) على أنها تلك الضغوط التي تتضمن كل القوى (المشكلات) و الظروف و المواقف التي يمكن أن تؤدي إلى عدم ثبات و استقرار نظام الأسرة (Neuman, 1983, p.246) .
ويرى كل من Berkey & Hanson (بركيو هانسون) إن الضغوط الأسرية هي التوتر الناتج من مثير أو قوى تحدث داخل أو خارج الحدود البيئية للنظام الأسري، و تؤدي إلى عدم استقرار هذا النظام & (Berkey & Hanson, 1991,p.38)

و حسب "أmany عبد المقصود و تهاني محمد عثمان" فالضغط الأسرية هي حالة يتعرض فيها الوالدين و أبنائهم لظروف أو مطالب تفرض عليهم نوعاً من عدم التوافق، و كلما ازدادت وطأة تلك الظروف أو المطالب أو استمرت لفترات طويلة تزداد هذه الحالة خطورة (أmany عبد المقصود و تهاني محمد عثمان، 2007، ص. 5).

و مصادر الضغوط الأسرية عديدة ومتعددة، وعلى العموم هي الأحداث التي تسبب ردود فعل الضغط أو الشعور بالضغط، و قد تسهم كل من أحداث الحياة الطبيعية أو الغير طبيعية و التغيرات الحادثة في النظام العائلي في تصدام الضغوط و بعدها، و لقد حددت مجموعة من الباحثين (Bauman، 1989) ستة مجالات لمصادر الضغوط الأسرية تمثل في: التغير في عدد أفراد الأسرة، و في أدوارهم، و في أساليب معيشتهم. و التغير في القضايا الجنسية في الأسرة

8-أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

(الحمل)، و تحمل أعباء تربية الأبناء. و فقدان عضو من أعضاء الأسرة أو أحد الأقارب أو الأصدقاء، أو فقدان دخل أو ثروة. و المسؤوليات المرتبطة بالشؤون العائلية، أو المرتبطة بالرعاية الصحية. و قضايا إدمان المخدرات. و قضايا الصدام مع القانون(أمانى عبد المقصود و تهانى محمد عثمان,2007,ص. 33).

و لا شك أن ما يسود الحياة الأسرية من ضغوط تعكس أثارها على الصحة الجسمية و النفسية لأفراد الأسرة. و قد تنقل الضغوط الأسرية التي تمت لفترة طويلة كاهل البناء الأساسي لنظام الأسرة إلى الحد الذي يفكك كيانها، و يؤديها إلى عدم الاستقرار و عدم القيام بوظائفها(Neuman, 1983, p.89).

أنواع الضغوط الأسرية:

- الضغوط النفسية (بين شخصية) داخل الأسرة وهي الضغوط التي تتعلق بالجوانب النفسية الانفعالية للأفراد داخلها ، وتنشأ هذه الضغوط من البيئة الداخلية للأسرة والتي تعد المنطقة الأولى لمصادر الضغوط الأسرية.

- الضغوط الداخلية المنشأ في الأسرة وهي الضغوط التي تتعلق بالتفاعل بين أفرادها، وهي تلك الأشياء أو الأحداث التي يحتك بها النظام الأسري الداخلي بالبيئة الخارجية بطريقة مباشرة. وفي الأخير نجد الضغوط الخارجية المنشأ في الأسرة والتي هي الضغوط التي من شأنها خارجي أي مصادرها خارج نظام الأسرة من البيئة المحيطة بها، وهي كل الأحداث التي تقع بين النظام الأسري وبين البيئة المحيطة به (Hanson, 1991 ,p.38).

- الضغوط الأسرية الخارجية: اتفق أغلب الباحثين على أن أبرز الضغوط الأسرية الخارجية هي الضغوط الأسرية الاقتصادية، حيث تعتبر من أشد الضغوط وطأة، حيث يرى Conger (كونجر) وآخرون (إن 2002) انخفاض دخل الأسرة يقترن بالتغييرات المالية السلبية والخسائر المالية المتتالية التي تؤثر عليها، لأن الأزمات الاقتصادية تؤثر على الانفعالات والسلوكيات والعلاقات داخل الأسرة (Conger & al, 2002,p.207).

- الضغوط الأسرية الاقتصادية نجد ضغوط الإقامة التي تعتبر من الضغوط الأسرية الخارجية والتي منها ضغوط الانتقال من مكان إلى آخر، حيث يعتبر موقفا ضاغطا بدرجة شديدة لكل أفراد الأسرة. وأعراض صدمة الانتقال لمكان جديد تشمل: الارتكاك، البلادة أو الكسل، الأمراض الجسمية الخطيرة، والكآبة والسبب هو عدم التركيز أو التوجه الانفعالي الذي ينتج عن الظروف البيئية غير المعتادة بصفة عامة. ويتضمن الانتقال لمكان جديد أيضا الاعتماد الانفعالي للزوجين كلا منهما على الآخر، فقد الأصدقاء. ومثل هذا الانتقال يزيد من الضغوط الأسرية للزوجين، ويعود كذلك على الأطفال (Ivancevich, 1987 ,p.40-41 & Matteson).

إضافة إلى أن للضغط الأسرية آثار خطيرة، حيث يمكن أن تصبح لكل فرد من أفراد الأسرة ردود فعل شديدة للضغط، و إلى انخفاض مستوى تقدير الذات و عدم الاستقرار والإحساس بالتوتر وعدم الثقة بالنفس، وعلى مستوى العائلة فإن خطر وآثار الضغوط الأسرية يؤدي إلى تفكك الأسرة(Baylis, 2002 ,p.2-4).

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

ويشير Neuman (نومان) (1989) إلى أنه إذا لم يستطع أفراد الأسرة التحكم في مواقف حياتهم فإن استمرارية تأثير الضغط يمكن أن يؤدي إلى تحطم نظام الأسرة (أمانى عبد المقصود وتهانى عثمان، 2007، ص. 9). و يؤكد أيضا Hill (هيل) على أن أزمات الأسرة يمكن أن تؤدي إلى نتائج عديدة مثل الانتحار والطلاق والهجر والهروب والإصابة بالأمراض العقلية (فيولا البلااوي، 2001، ص. 614).

يظهر الضغط في معظم أنشطة أفراد الأسرة اليومية، مما يتطلب منهم إدارة مستويات الضغوط لكي يساعدهم ذلك على البقاء في حالة تيقظ ونشاط وعلى درجة عالية من الأداء. و تقع الأسرة دائما تحت مؤثرات و مصادر للضغط تغيرها في نظام الأسرة سواء من داخلها أو خارجها، وقد تنجح بعض الأسر في شحد قواها و تبني أساليب لمواجهتها أو التكيف معاً لضغوط المتعددة، بينما البعض الآخر من الأسر قد يفشل في ذلك، و معظم النظم الأسرية تخبر إلى حد ما ضواغط متشابهة خلال دورة حياتها، إلا أن بعض الأسر تكون أكثر نجاحاً في إدارة الضغوط عن الأخرى، و وبالتالي فهي تحول هذه الضغوط إلى قوى إيجابية دافعة؛ و هي الأسر التي تحافظ على ثبات نظامها وصلابتها، و هنا كأسر أخرى تواجه نفس المتطلبات و المصاعب إلا أنها تفقد القدرة على التحكم أو التصرف بأساليب تعرض وظيفة الأسرة للخطر (Berkey & Hanson, 1991, p.42).

و يستخدم أفراد الأسرة لإدارة الضغوط الأسرية أساليب واستراتيجيات، حيث تشير أساليب المواجهة إلى الجهد المبذولة من قبل الأسرة كمجموعة أفراد في السيطرة على الظروف الصعبة و المهددة قابلين للتحدي، فلا تكون الاستجابة روتينية و تلقائية بل مناسبة للموقف الذي يواجه الأسرة، لذلك فمواجهة الأزمة عملية تتضمن استجابات الأسرة المعرفية والانفعالية و السلوكية كوحدة. و من ثم تحشد الأسرة كل مصادرها نحو مواجهة بناءة ناجحة أو مواجهة سلبية للأزمة.

ويستخدم أفراد الأسرة لإدارة الضغوط الأسرية لأساليب واستراتيجيات، حيث تشير أساليب المواجهة إلى الجهد المبذولة من قبل الأسرة كمجموعة أفراد في السيطرة على الظروف الصعبة و المهددة قابلين للتحدي، فلا تكون الاستجابة روتينية و تلقائية بل مناسبة للموقف الذي يواجه الأسرة، لذلك فمواجهة الأزمة عملية تتضمن استجابات الأسرة المعرفية والانفعالية و السلوكية كوحدة. و من ثم تحشد الأسرة كل مصادرها نحو مواجهة بناءة ناجحة أو مواجهة سلبية للأزمة.

3- الطالب الجامعي:

1-3-مفهوم الطالب الجامعي: هو الشخص الذي سمح له كفاءاته العلمية بالانتقال من المرحلة الثانوية إلى الجامعة تبعاً لشخصه الفرعي، بواسطة شهادة تؤهله لذلك، و يعتبر الطالب الجامعي أحد العناصر الأساسية و الفاعلة في العملية التربوية طيلة التكوين الجامعي. (كمال بلخير، 2001، ص. 15)

2-3- خصائص الطالب الجامعي:

ومن أهم الخصائص العامة للطالب الجامعي ما يلي:

النمو العقلي: حاجة الطالب الجامعي إلى استخدام ما لديه من طاقة عقلية لا تنحصر فقط في العلوم التي يقوم بدراستها، بل يتخطاها إلى استخدام هذه القدرات في حياته العملية. (علي راشد، 2007، ص. 55)

الرغبة في حياة مرضية: من خصائص الشباب بصفة عامة و طلاب الجامعة بصفة خاصة الشعور برغبة في التوصل إلى فلسفة معينة تحدد له دوره في الحياة. و الفلسفة التي نعنيها هي أسلوب في الحياة يتمثل في نظرته إليها و تقييمه لها، و ذلك إعتمادا على فهمه لمعناها، و من البديهي أنه من يفتقد معنى الحياة أو يفشل في الوصول إلى معنى لحياته لا يستطيع أن يعيشها كإنسان. (نفس المرجع السابق، ص.55)

تقدير الذات: و ذلك من خلال دوافع تجعله يسلك السلوك الذي يؤدي به إلى الشعور بأنه إنسان له قيمة، و يستطيع أن يقوم بأعمال و ينجزها بنجاح يكون موضع تقدير المحيطين به، و أيضا السلوك الذي يؤدي به إلى تحقيق إمكانياته واستخدامها بنجاح. (نفس المرجع السابق، ص.56)

الثقة بالنفس: يتتصف الطالب الجامعي بنوع من الثقة بالنفس و الإعتماد عليها و الإستقلال بها، و قد يفارخ بأنه له رأيا مستقلا و أنه لا يخضع لآراء الآخرين، و ثقته بنفسه و اعتماده على ذاته ينبعان من إدراكه لإمكانياته و معرفته بقدراته. (نفس المرجع السابق، ص.57)

كما يتيح التعليم الجامعي فرصة للإستقلال و التمييز و إثبات الذات، تختلف عما تعود عليه في المراحل التعليمية السابقة، و قد يواجه الطالب صعوبات في ذلك تتفاعل مع ظروفه الشخصية و الأكاديمية مما يؤدي إلى إعاقة تقدمه و توافقه الجامعي و الاجتماعي و الشخصي مع البيئة الثقافية الجديدة التي ينتقل إليها و هي الجامعة. (الصغير، 1422هـ، ص. 05)

الطالب يدخل الجامعة لا ليوسع معارفه العلمية فقط و إنما ليطور نفسه و يشعب علاقاته الإجتماعية مع الآخرين من طلبة و أساتذة وإداريين و غيرهم، ويلبور اتجاهاته و عواطفه وانفعالاته، و هذا كله يচقل شخصيته و يؤثر على إنتاجه مستقبلا. (ناصر، 2005، ص.03). و كما أثبتت الدراسات أن الطلبة المندمجين جامعياً يحصلون على نتائج دراسية أفضل، و يشاركون في البرامج الطلابية بصورة أكثر. (المحامد و عربات، 2005، ص.

(155)

3-3 مشكلات الطالب الجامعي:

خلال المرحلة الجامعية يكون طموح الطلاب هو: النجاح، و لكن النجاح في الجامعة هو من الأمور التي قد تستعصي على البعض، لما تتطلب الدراسة الجامعية من مهارات و جهد و مثابرة وخلفية علمية جيدة، و هي أمور يمتلكها الكثيرون و لكن البعض منهم قد يفشل في توظيفها لتحقيق هدفه و طموحه بسبب مشكلات قد تكون نفسية، جسمية، دراسية، اجتماعية، مالية...الخ. (الخلان و آخرون، 2005، ص. 05-06).

و كما لوحظت عدة عوامل تؤدي إلى تعثر الطالب الجامعي و منها:

- إختيار التخصص الأكاديمي غير الملائم للقدرات و الرغبات الشخصية.
- التغيب المفرط عن المحاضرات.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

- عدم توفر المهارات الدراسية الازمة.
- عدم وضوح الأهداف، و ما يرغب الطالب في الوصول إليه.
- الإستمرار في التفكير و التصرف كطالب بالمرحلة الثانوية.
- عدم التكيف مع البيئة الجامعية أكاديمياً، إجتماعياً و نفسياً. (حسن شحاته، 2001، ص. 04).
- ضعف القدرة على التفكير التحليلي و الاستنباطي.
- قلة الإهتمام بسلامة و صحة الذهن و الجسد. (الخلان و آخرون، 2005، ص. 06)

إن حوالي ما يقارب (20%) من إجمال المقبولين في الجامعات لا يكملون دراستهم الجامعية بسبب تدني مستوى التحصيل الأكاديمي، و تختلف هذه النسبة من جامعة إلى أخرى، رغم أن معظم هؤلاء الطلاب الذين يواجهون الفشل الأكاديمي كانوا من الطلبة المتميزين أكاديمياً و النابغين أثناء المرحلة الثانوية، مما يؤكد أن النجاح في المرحلة الجامعية لا يرتبط مباشرة بمستوى الطالب في المرحلة الثانوية أو قدراته الذهنية. (نفس المرجع السابق، ص. 06)

كما أن التكيف السيئ للطالب الجامعي يظهر في شعور الطالب بعدم الرضا عن دوره كطالب في الجامعة، و هو الأمر الذي يبدو على شكل إحساس بالقلق و التوتر و الشعور بالغربة و الإكتئاب، و تتراوح هذه الحالة من الإضطراب ما بين عدم التكيف البسيط و حتى حالات الاضطرابات النفسية الشديدة التي تعيق اتصال الفرد بالواقع، كما يظهر آثار التكيف السيء في إنتاجية الطالب على شكل تدهور في الأداء التحصيلي و في نتائج الطالب الدراسية و معدلاته. (فوزي محمد جبل، 2000، ص. 61)

ثانياً: الإطار العملي للدراسة :

1. فرضيات الدراسة:

❖ **الفرضية الأولى:** "توجد علاقة بين المناخ الأسري و كل من الضغوط الأسرية و مواجهتها لدى طلاب المقيمات بالإقامة الجامعية".

و تتفرع عن هذه الفرضية الفرضيات الجزئية التالية:

1-1- الفرضية الجزئية الأولى:

"توجد علاقة بين المناخ الأسري و الضغوط الأسرية لدى طلاب المقيمات بالإقامة الجامعية".

1-2- الفرضية الجزئية الثانية:

"توجد علاقة بين المناخ الأسري و مواجهة الضغوط الأسرية لدى طلاب المقيمات بالإقامة الجامعية".

❖ **الفرضية الثانية:** "توجد فروق بين طلاب المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعيشن في مناخ أسري غير سوي و طلاب المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعيشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص الضغوط الأسرية".

❖ الفرضية الثالثة: "توجد فروق بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعيشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعيشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص مواجهة الضغوط الأسرية".

2. الدراسة الاستطلاعية:

تعتبر الدراسة الاستطلاعية خطوة مهمة سلسة البحث الاجتماعي و هي أساسية بين مجموعة الخطوات الأخرى التي تنتهي إليها العملية، و بما أن موضوع دراستنا يتمحور حول "المناخ الأسري و علاقته بظهور كل من الضغوط الأسرية و أساليب مواجهتها، وفق تركيبة الأسرة الجزائرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية"، فكان الهدف من الدراسة الاستطلاعية الحصول على عينة الدراسة، حيث تتطلب هذه الدراسة أن تكون العينة الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية. و التأكد من صدق الأداتين المستعملة في هذه الدراسة و فهم بنودها.

وتمثلت نتائج الدراسة الإستطلاعية على العموم إلى أنه تم الوصول إلى 200 طالبة مقيدة بالإقامة الجامعية—بولاية تizi وزو— كمجتمع أصلي لهذه الدراسة، وكذلك تبني مقياس المناخ الأسري و مقياس الضغوط الأسرية (Family Stress)، كأدوات لهذه الدراسة بعدما تبين ملاءمتهم لها.

3- منهج الدراسة :

تم الاعتماد في الدراسة الحالية على المنهج الوصفي وهو المنهج الأكثر استحداثاً في الدراسات النفسية والاجتماعية والتربوية وتبين أنه من المناسب استخدام هذا المنهج الذي يعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع والوصول إلى نتائج دقيقة والتمكن من تفسيرها وتأويلها.

4- المعاينة:

- المجتمع الأصلي للدراسة: يمثل مجتمع الدراسة كل الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية بولاية تizi وزو، ولكن لا يتتوفر حجم المجتمع الأصلي لصعوبة الحصول على إحصائيات دقيقة حولهن.
- حجم عينة الدراسة: بلغ حجم عينة الدراسة 200 طالبة مقيدة بالإقامة الجامعية—بولاية تizi وزو— بلد الجزائر.

- طريقة اختيار العينة: اختارت العينة بطريقة قصدية، و تعتبر هذه الطريقة من المعاييرات الاحتمالية و يقصد بها سحب عينة من مجتمع البحث بانتقاء العناصر المقيدة طبقاً لنسبتهم في هذا المجتمع ومن أهم خصائص الدراسة الأساسية أنهم من الطالبات الجامعيات المقيمات بالإقامة الجامعية—بولاية تizi وزو— بلد الجزائر.

- خصائص عينة الدراسة: للعينة عدة خصائص منها:

❖ السن:

جدول رقم(01): يمثل سن الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية—بولاية تizi وزو—.

السن	النكرارات	النسبة %
18 إلى 21 سنة	73	36,50
22 إلى 25 سنة	119	59,50

9-8 أبريل 2019 -نوفي بازار . جمهورية صربيا

04,00	08	26 سنة فما فوق
%100	200	المجموع

من خلال هذا الجدول نستنتج أعلى نسبة فيما يخص السن هي 59,50 و التي تقابل الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يبلغن من العمر بين 22 إلى 25 سنة.

❖ المستوى الجامعي:

جدول رقم (02): يمثل المستوى الجامعي للطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية – بولاية تيزي وزو .

ال المستوى الجامعي	النكرارات	النسبة %
السنة الأولى ليسانس	27	13,50
السنة الثانية ليسانس	61	30,50
السنة الثالثة ليسانس	26	13,00
السنة الأولى ماستر	38	19,00
السنة الثانية ماستر	43	21,50
دكتوراه	05	02,50
المجموع	200	%100

من خلال هذا الجدول، نستنتج أن معظم الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية – بولاية تيزي وزو – يدرسن في السنة الثانية ليسانس بنسبة 30,50%， أين تأتي المستويات الأخرى بحسب متفاوتة: السنة الثانية ماستر، السنة الأولى ماستر، السنة الأولى ليسانس، السنة الثالثة ليسانس، دكتوراه.

المستوى المادي:

جدول رقم (03): يمثل المستوى المادي للطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية – بولاية تيزي وزو –

ال المستوى المادي	النكرارات	النسبة %
جيد	18	,0090
متوسط	179	5089,
ضعيف	03	01,50
المجموع	200	%100

من خلال هذا الجدول نستنتج أن معظم الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية – بولاية تيزي وزو – يصرحن بأن المستوى الاقتصادي الذي يعيشنه متوسط، و ذلك بنسبة 89,50%.

طلاق الوالدين:

جدول رقم (04): يمثل طلاق والدي الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية – بولاية تيزي وزو – .

نسبة %	النكرارات	طلاق الوالدين
,5001	03	نعم
98,50	197	لا
%100	200	المجموع

من خلال هذا الجدول نستنتج أن 98,50% من الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية – بولاية تيزي وزو – لم يطلق أوليائهن.

❖ الشعور بالراحة في الإقامة الجامعية:

جدول رقم (05): يمثل شعور الطالبات المقيمات في الإقامة الجامعية – بولاية تيزي وزو – .

نسبة %	النكرارات	الشعور بالراحة في الإقامة الجامعية
,0036	72	نعم
10,50	21	لا
53,50	107	أحيانا
%100	200	المجموع

يتبيّن لنا من خلال الجدول أن معظم الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية يشعّن أحياناً بالراحة، أين تقدر نسبتها % 53,50.

5- أدوات الدراسة:

1-5- مقياس المناخ الأسري: قام بإعداد هذا المقياس أبو نجيلة (2013) و يتكون من 181 فقرة، فقد تم تقييّنه على البيئة الفلسطينية. و قامت الباحثة "الاء طه سالم دلول" (2018) من جامعة الأزهر بغزة للحصول على رسالة الماجستير في علم النفس، بحيث قامت الباحثة بعمل صورة مصغرة من المقياس مكون من 69 فقرة، حيث شملت جميع أبعاد المقياس الأصلي، و يحتوي المقياس على خمسة أبعاد: المناخ الأسري العام، إشباع الحاجات الأساسية، أساليب التعامل و الرعاية الوالدية، الإمكانيات الفيزيقية و المادية: البيت و الأثاث- العلاقات الاجتماعية للأسرة.

2-5- مقياس الضغوط الأسرية (Family Stress):

قام بإعداد مقياس الضغوط الأسرية في الأصل الباحثان الأميركيان Berkey Hanson هانسون و بركي عام (1991)، بهدف تقدير الضغوط الأسرية و تقدير مدى قوة النظام الأسري في مواجهة الضغوط. و اعتمدًا في ذلك على بعض الأطر النظرية التي تناولت الضغوط الأسرية كنموذج Curran كيوران(1983) و نموذج Neuman نيoman (1989). و قامت الباحثتان المصريتان "أمانى عبد المقصود وتهانى عثمان" عام (2007)

9-8 آبریل 2019 -نوفی بازار. جمهوریہ صربا

بتترجمة المقياس وتكييفه على البيئة المصرية، بعد أن تبين لهما عدم وجود أدوات لقياس الضغوط الأسرية في البيئة العربية وأطلقتنا عليه مقياس الضغوط الأسرية(أمانى عبد المقصود وتهانى عثمان، 2007)، و بعدها قامت الباحثة "بوروبى رجاح فريدة" بتكييفه على البيئة الجزائرية سنة (2012).

6 - عرض نتائج الدراسة

1.6 . عرض نتائج الفرضية الأولى:

و تنص هذه الفرضية على ما يلي:

"توجد علاقة بين المناخ الأسري و كل من الضغوط الأسرية و مواجهتها لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية".

و تتفرع عن هذه الفرضية الفرضيات الجزئية التالية:

١.١.٦. الفرضية الحالية الأولى :

"تجدد علاقة بين المناخ الأسري و الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية".

عرض نتائج الفرضية الجزئية الأولى :

الفرضية الصفرية: لا توجد علاقة بين المناخ الأسري والضغط الأسري لدى الطالبات المقيمات بالإقامة

فرضية البحث: "توجد علاقة بين المناخ الأسري و الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية".

الجدول رقم(06): قيمة معامل الارتباط بيرسون(R) بين درجات المناخ الأسري و الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالاقامة الجامعية.

الدالة	مستوى الدلالة المعتمد	قيمة الدلالة الإحصائية لـ "ر" (قيمة الدلالة المحسوبة sig)	قيمة "ر"	العينة	البيانات الإحصائية للمتغيرات
دالة	0.01	0.000	-0.314	200	الضغوط الأسرية المناخ الأسري

: يُلاحظ من الجدول رقم (06)

أن قيمة معامل إرتباط بيرسون (R) بين درجات المناخ الأسري و الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية قدرت بـ($r = 0.314$) جاءت دالة إحصائية؛ لأنّ قيمة الدلالة المحسوبة تساوي ($=sig = 0.000$) وهي أصغر من مستوى الدلالة المعتمد لدينا ($\alpha = 0.01$). أي أنه توجد علاقة إرتباطية عكسية بين المناخ الأسري و الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية؛ بمعنى أنه كلما كان المناخ الأسري الذي تعيش فيه الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية غير سوي كلما عانت من الضغوط الأسرية.

وعليه تحقق الفرضية الجزئية الأولى، الخاصة بالفرضية الأولى.

2.1.6. الفرضية الجزئية الثانية:

"توجد علاقة بين المناخ الأسري و مواجهة الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية ".

عرض نتائج الفرضية الجزئية الثانية:

الفرضية الصفرية: "لاتوجد علاقة بين المناخ الأسري ومواجهة الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية".

فرضية البحث: "توجد علاقة بين المناخ الأسري و مواجهة الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية".

الجدول رقم(07): قيمة معامل الارتباط بيرسون(R) بين درجات المناخ الأسري و مواجهة الضغوط الأسرية لدى، الطالبات المقيمات بالاقامة الجامعية.

الدالة	مستوى الدلالة المعتمد	قيمة الدلالة الإحصائية لـ "ر" (قيمة الدلالة المحسوبة (sig	قيمة "ر"	العينة	البيانات الإحصائية
دالة	0.01	0.004	0.205	200	الضغوط الأسرية المناخ الأسري

يُلاحظ من الجدول رقم (07):

أن قيمة معامل إرتباط بيرسون (R) بين درجات المناخ الأسري و مواجهة الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية قدرت بـ ($r = 0.205$) جاءت دالة إحصائية؛ لأنّ قيمة الدلالة المحسوبة تساوي ($0.004 = \text{sig}$) وهي أصغر من مستوى الدلالة المعتمد لدينا ($\alpha=0.01$). أي أنه توجد علاقة إرتباطية طردية بين المناخ الأسري و مواجهة الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية ؛ بمعنى أنه كلما كان المناخ الأسري الذي تعيش فيه الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية سوي كلما ارتفعت مواجهتهن للضغط الأسري.

وعليه تحقق الفرضية الجزئية الثانية الخاصة بالفرضية الأولى

2.6. عرض نتائج الفرضية الثانية:

تنص هذه الفرضية على ما يلي:

"توجد فروق بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعيشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعيشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص الضغوط الأسرية".

الفرضية الصفرية: لا توجد فروق بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص الضغوط الأسرية".

فرضية البحث: "توجد فروق بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص الضغوط الأسرية".

الجدول رقم (08) : نتائج اختبار "T" للفروق بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعيشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص الضغوط الأسرية.

الدلاله مستوى الدلاله المعتمد	قيمة الدلاله المحسو بة Sig	قيمة "T "	الفرق بين المتوسطين	الإنحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العينة	البيانات الإحصائية				
							المتغيرات	الصغوط الأسرية			
دالة	0.05	0.000	5.103	-	04.667	07.38	21.97	101			
						8	0	الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي			
						05.41	17.30	99			
						5	2	الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي			

يتبيّن من الجدول رقم (08) :

أن قيمة المتوسط الحسابي للطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي قدرت $\bar{X}=21.970$ بينما قدرت قيمة المتوسط الحسابي للطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي $\bar{X}=17.302$ ، أي بفرق قدر 04.667 فبمراجعة الدلاله الإحصائية لهذا الفرق نجد أنه دال لأن قيمة T تساوي ($T = -5.103$) جاءت دالة إحصائيًا؛ لأنّ قيمة الدلاله المحسوبة (Sig) تساوي $=0.000$ أصغر من مستوى الدلاله المعتمدة لدينا ($\alpha=0.05$)؛ وهذا يعني أنه توجد فروق دالة إحصائيًا بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص الضغوط الأسرية، وذلك لصالح الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي؛ أي أن الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي لديهن ضغوطاً أسرية أعلى من الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي. وعليه تحققت الفرضية الثانية.

3.6. عرض نتائج الفرضية الثالثة:

تنص هذه الفرضية على ما يلي:

"توجد فروق بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص مواجهة الضغوط الأسرية".

الفرضية الصفرية: " لا توجد فروق بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص مواجهة الضغوط الأسرية".

فرضية البحث: "توجد فروق بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص مواجهة الضغوط الأسرية".

الجدول رقم (09) : نتائج اختبار "T" للفروق بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص مواجهة الضغوط الأسرية.

الدالة	مستوى الدلالة المعتمد	قيمة الدلالة المحسوبة Sig	قيمة "T"	الفرق بين المتوسطين	الإنحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العينة	البيانات الإحصائية	
								المتغيرات	مواجهة الضغوط الأسرية
دالة	0.05	0.001	3.521	-01.483	0.808	03.35	101	الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي	مواجهة الضغوط الأسرية
					01.11	04.83	99	الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي	

يتبيّن من الجدول رقم (09) أن قيمة المتوسط الحسابي للطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي قدرت $\bar{X} = 03.350$ بينما قدرت قيمة المتوسط الحسابي للطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي $\bar{X} = 01.483$ ، أي بفرق قدر $04.833 - 01.483 = 01.483$. فمراجعة الدلالة الإحصائية لهذا الفرق نجد أنه دال لأن قيمة T تساوي ($T = 3.521$) جاءت دالة إحصائياً؛ لأن قيمة الدلالة المحسوبة (Sig) تساوي (0.001) أصغر من مستوى الدلالة المعتمدة لدينا ($\alpha = 0.05$)؛ وهذا يعني أنه توجد فروق دالة إحصائياً بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص الضغوط الأسرية؛ وذلك لصالح الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي؛ أي أن الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري سوي لديهن القدرة على مواجهة الضغوط السرية أكثر من الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعشن في مناخ أسري غير سوي. وعليه تحققت الفرضية الثالثة.

7. مناقشة النتائج

1.7. مناقشة نتائج الفرضية الأولى: التي تنص على انه توجد علاقة بين المناخ الأسري و كل من الضغوط الأسرية و مواجهتها لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية. إذ بينت نتائج هذه الفرضية انه هناك علاقة ارتباطية بين المناخ الأسري و كل من الضغوط الأسرية و مواجهتها لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية، فتحققنا من صحة هذه الفرضية بعد تجزئتها إلى:

الفرضية الجزئية الأولى: التي تنص على انه هناك علاقة بين المناخ الأسري و الضغوط الأسرية لدى الطالبات

بالإقامة الجامعية.

فبينت نتائج الجدول رقم(06) انه هناك علاقة ارتباطية بين المناخ الأسري و الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية، أي انه كلما كان المناخ الأسري الذي تعيش فيه الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية غير سوي، كلما عانت من الضغوط الأسرية، لأن الأسرة تعمل على تأدية دور هام في التكوين النفسي السوي والتكوين النفسي غير السوي لدى الطالبة المقيمة بالإقامة الجامعية، فهي إما تعزز لديهن المفاهيم الإيجابية كالتعاون والثقة والأمن أو تكون لديهن الأفكار السلبية كالانطواء والعدوان والانسحاب، و هذه المفاهيم السلبية ترجع أساساً إلى استقرار أو عدم استقرار الوسط العائلي. و الأسرة التي تعمل على التنشئة و التربية بالاتجاه السليم من جميع النواحي النفسية والاجتماعية والجسدية فإنها سوف تدفع إلى المجتمع بأفراد صالحين متكيفين ويسهمون في رفع مجتمعهم والعكس صحيح، حيث أن الخلافات المستمرة بين الوالدين لا تولد إلا الشعور بالقلق والتوتر النفسي، و خاصة أن هناك بعض الأسر يتبنّين أسلوب التسلط في التنشئة أين يولد الخضوع والانقياد في نفسية الطالبة المقيمة بالإقامة الجامعية، و في حين وجود أسلوب التناقض والتضارب بين الوالدين وكذلك تضارب الأوامر فإنه يعزز الشعور بالتردد في اتخاذ القرارات عند هذه الطالبة المقيمة في المستقبل، وكل هذا يولد ضغوط أسرية داخل المحيط الأسري الغير السوي، و المعاناة منها لدى الطالبة المقيمة، أين تلجأ إلى الهروب و الفرار من هذا الوسط الأسري إلى الإقامة الجامعية و جعلها منفذًا أو مهربًا، علمًا أن الاقامات الجامعية الجزائرية تتميز بسوء أحوالها، بحيث كشفت نتائج التحقيقات التي قامت بها اللجان الولائية برئاسة المديريات الفرعية للحماية المدنية حول الاقامات و المطاعم الجامعية بمختلف الولايات، أن طلاب الجامعات يتناولون وجباتهم على "قابل" و ينامون باقامت محفوفة بالمخاطر، تهدد حياتهم و تتطلب التدخل العاجل من طرف السلطات العليا للبلاد بسبب الكوارث المرتقبة في الأرواح و الممتلكات، كانفجار الغاز الذي حدث بالإقامة الجامعية بولاية "تلمسان"، التي أودت بحياة 07 طلبة و خلفت 38 جريحا. إلى جانب ذلك أكدت التقارير التي تناولت بالتفصيل وضعية المطاعم و الاقامات الجامعية أن المسخنات أكبر قنبلة تهدد حياة الطالب بسبب سوء ربطها بمختلف المنشآت و غياب مخطط ربط شبكة الغاز و الكهرباء على حد سواء، و ما يزيد خطورة الإقامة بالأحياء الجامعية هو تسجيل نقص فادح في مخارج النجدة، و حتى و إن وجدت فإن الإشارات المؤدية إليها لا اثر لها.

و من ضمن ما كشفت عنه نتائج التحقيقات حول المطاعم و الاقامات الجامعية، هو غياب كلي لشروط النظافة، خاصة في المطابخ بسبب انبعاث روائح كريهة من قوات الصرف الصحي الموجودة بالقرب من المطابخ و

أحياناً بداخلهم و كذا نقص كبير من حيث التهوية. إضافة إلى أن أسرة غرف النوم في الكثير من الاقامات الجامعية غير صالحة تماماً و تجاوزت الأجال القانونية لاستعمالها و تهدد مستعملتها بالإصابة بأمراض خطيرة ، إضافة إلى أن التحقيقات توصلت إلى تسجيل رهيب في عدد الطلبة بالغرفة الواحدة، و كما انه هناك بعض الاقامات تفتقر إلى الأمان و الأجهزة المستعملة عند وجود أخطار.

و من الرغم من كل هذه الأخطار التي تعج بها الأحياء الجامعية، إلا أن الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية فضلن الإقامة في كذا أحياء، هروباً من تسلط الوالدين و الإخوة ، خصوصاً أن الشابة القبائلية اوجب عليها أن تحترم أولياءها حتى ولو استعملوا معها أسلوب خطابي غير لائق و عليها أن تقوم بكل الأعمال المنزلية منها: الطبخ، الغسيل...الخ، و من جهة أخرى عليها ان تتفوق في دراستها ليتباهي بها والديها أمام الآخرين، و لكي لا يقولوا بأنهم يدفعون نفقات التعلم بدون مقابل نجاحها، و هذا ما يجعل هذه الشابة في حيرة و ارتباك و حرج، فهنا الشابة خاصة أنها تعيش وسط ضغوطات داخلية، فهذا يؤدي بها إلى عدم التنفس الانفعالي، لذا فإنها تفضل الإقامة الجامعية للشعور بنوع من الراحة و الحرية.

الفرضية الجزئية الثانية: التي تنص على انه توجد علاقة بين المناخ الأسري و مواجهة الضغوط الأسرية لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية.

فيبيت نتائج الجدول رقم(07) أن الفرضية قد تحققت، بمعنى انه كلما كان المناخ الأسري الذي تعيش فيه الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية سوي كلما ارتفعت مواجهتهن للضغط الأسرية.

إذا تكلمنا عن الضغوطات الحياتية داخل الأسرة، لأنها تعد من لزوميات الواقع اليومي الذي يعيشه الفرد، لأن الله سبحانه و تعالى خلق الإنسان و جعل حياته في كد و تعب، وهذا يجعل الإنسان يحتاج إلى قدر عالٍ من الصبر والمسؤولية والالتزام، كي يستطيع مواجهة هذه الضغوطات، وكيف يحسن التصرف معها، ويتحمّلها بأذكى الطرق المتاحة، وتجسد مخاطر عدم التعامل المثالى مع ضغوطات الحياة في تكوين تأثير سلبي على الحالة النفسية للأشخاص، والتأثير على الصحة العامة، وإصابة الإنسان بالفرز والارتباك مما يجعله أكثر عرضة للخطأ والخطر، ولكن يختلف هذا الأمر من أسرة لأخرى، فإذا تحدثنا عن المناخ الأسري السوي فتجده أقل عرضة للخلافات و الشجارات بين أفراد الأسرة على عكس المناخ الأسري الغير السوي، فهنا الفرد بصفة عامة و الطالبة المقيمة بالإقامة الجامعية بصفة خاصة أمكن لها أن تسير و تتحكم في الضغوطات الطفيفة التي تواجهها مع أفراد أسرتها، و اوجب عليها أن تتدرب و تعامل على كذا مشاكل بطريقة عقلانية و ذكية ليسهل عليها التعامل و تخطي المشاكل الزوجية التي يمكن أن تعيشها في الحياة المستقبلية مع زوجها و أفراده. خاصة و أن العائلة الجزائرية بصفة عامة و العائلة القبائلية بصفة خاصة لا يتذر لها أن تكون رهينة الطلاق و إلا ستكون رهينة المجتمع الذي يمكن أن يسبب لها مشاكل و اضطرابات نفسية و سلوكية و انفعالية كالقلق- الارتكاك- الخجل- فقدان الأمل في الحياة و الهروب من المنزل أو حتى الانتحار في بعض الاحيان...

لذا فتوفير جو اسري سوي يعمل على تدريب الطالبة المقيمة بالإقامة الجامعية على تخطي مشاكلها، و تتعلم كيف تعامل مع المشاكل الغير معقدة، و ذلك بفضل هذا المناخ الأسري الذي يوفره الوالدين و أفراد الأسرة.

و كثرة المشاكل في أسرة ما يؤدي إلى تعقد الأمور و عدم إيجاد و اختيار الحلول المناسبة بسبب عدم التركيز، فكل ذلك يؤدي إلى مرور هذه الطالبة في ضغوطات داخلية خاصة إذا لم تخرجها و تلجا إلى التنفيذ الانفعالي بإخراج ما بداخليها و البوح به إلى إنسان تثق به و يستمع إليها فهنا يمكن أن تفقد السيطرة على نفسها بإيذاء نفسها أو ما يسمى الملجوء إلى الإيذاء الجسدي و محاولة الانتحار أو الهروب من المنزل إلى أماكن منبوبة اجتماعياً أو الهروب إلى الإقامة الجامعية، فتجد مع زميلاتها ما لم تجده عند أسرتها.

2.7 مناقشة نتائج الفرضية الثانية: التي مفادها: "توجد فروق بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعيشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعيشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص الضغوط الأسرية".

فمن خلال المعالجة الإحصائية ، توصلنا إلى صحة هذه الفرضية، بمعنى أن الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعيشن في مناخ اسري غير سوي لديهن ضغوطات أسرية أعلى من الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعيشن في مناخ اسري سوي. لأن المناخ الأسري بصفة عامة يكمن في الجو السائد في محيط الأسرة، و هي المحصلة الكلية المميزة لخصائص الأسرة كبيئة تربوية من حيث أساليب التنشئة الاجتماعية السائدة فيها و أنماط الاتصال بين أعضائها و توزيع الأدوار و المهام التي توكل إلى كل منهم، و تشمل أيضاً جميع جوانب الحياة الأسرية من أساليب المعاملة الوالدية و طريقة إشباع الحاجات سواء الأولية منها أو الثانوية و توزيع المسؤوليات تبعاً لدور كل فرد في الأسرة و التي يكون لها انعكاس أو تأثير على دوافعهم و سلوكهم، و المناخ الأسري يلعب الدور الأهم في حياة الأفراد بصفة عامة و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية بصفة خاصة، و كلما كان الجو العام للأسرة تسوده علاقات جيدة كان المناخ الأسري أقرب إلى السواء، و كلما كان الجو العام للأسرة تسوده علاقات متذبذبة كان المناخ الأسري أقرب إلى الالسواء، و الذي يحدد لنا هذا الشيء بالوجه الأخص هما الوالدين.

و إذا ما توقفنا عند الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعيشن في مناخ اسري غير سوي، فإنهن يواجهن ضغوط أسرية و ذلك يعود إلى عدم إحساس هذه الطالبة بالاستقرار و الأمان داخل الأسرة ما يولد لديها هذه الضغوط و صعوبة مواجهتها، عكس الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعيشن في مناخ اسري سوي بعيد عن الضغوطات الأسرية و بعيد عن الخلافات و المشاحنات بين أفراد العائلة، و هذا ما توصلت إليه دراسة الباحثة "أمل ميرة"(2012) إلى أن المناخ الأسري السوي السائد في المنزل يجعل الأبناء ينشئون في جو أقرب ما يكون إلى التلقائية و التفتح. و كما ترى "خليل" (2006) في دراستها أن المناخ الأسري يؤثر في الصحة النفسية للأبناء، فكلما كان المناخ الأسري جيداً أدى إلى سلامه الأبناء نفسياً، و يحقق لهم مقومات الصحة النفسية السليمة، كما أن المناخ الأسري الجيد متوفّر فيه عوامل الحب و التفاهم و وضوح الأدوار، و يسوده التعاون و تشبع فيه حاجات الأبناء بشكل معتدل. و بهذا، فالمناخ الأسري السوي لا يولد الضغوطات المتعلقة بالأسرة في نفسية الطالبة المقيمة بالإقامة الجامعية.

9-8 نوفي بزار، جمهورية صربيا

3.7. مناقشة نتائج الفرضية الثالثة: التي مفادها: "توجد فروق بين الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعيشن في مناخ أسري غير سوي و الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعيشن في مناخ أسري سوي، فيما يخص مواجهة الضغوط الأسرية".

و بعد المعالجة الإحصائية، فقد تبيّنت صحة هذه الفرضية، أي أن الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعيشن في مناخ أسري سوي لديهن القدرة على مواجهة الضغوط الأسرية أكثر من الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية اللواتي يعيشن في مناخ أسري غير سوي، بحيث أن الطالبة الجزائرية المقيمة بصفة عامة و القبائلية بصفة خاصة التي تعيش في مناخ اسري غير سوي فيصعب عليها التعامل مع الضغوطات الحياتية الأسرية و مواجهتها، لأن مواجهة الضغوطات الأسرية يعود إلى درجة حدة و كثافة و تفاقم هذه الضغوطات و المشاكل التي تعيشها، إلا و إن كانت هذه الطالبة المقيمة تتمتع بشخصية قوية لتستعمل حينها الميكانيزمات الدفاعية التي تعتبر تلك الوسائل التي تتخذ للهروب من مواقف ترغب الطالبة تجنبها أو لا تستطيع مواجهتها، و هدفها الأساسي هو تجنب التوترات الناتجة عن مواقف معينة تعيشها داخل الأسرة أو لتجنب الصراعات الداخلية الناجمة عنها، و هي غالباً ما تكون عمليات دفاعية لا شعورية و قد تصبح شعورية لاحقاً، و لعل أكثرها شهرة هو الكبت- الإنكار- الإسقاط... الخ ، لتكون الحالة النفسية لهذه الطالبة المقيمة في الإقامة الجامعية مستقرة أو هادئة، و إذا كانت شخصية هذه الطالبة ضعيفة أو متذبذبة، ففي هذه الحالة يمكن أن تؤدي بها هذه الضغوطات إلى حالات نفسية كالقلق و الارتياب... الخ يمكن أن تصل بها إلى حالات حرجة كالاكتئاب الحاد الذي يمكن أن يؤدي إلى الانتحار في حالات أين لا يمكن لهذه الطالبة، عكس الطالبة المقيمة في الإقامة الجامعية التي تعيش في مناخ اسري سوي لا تكثر فيه الخصومات و الشجارات و المخالفات، بحيث تتكيّف اسرياً و جامعياً و نفسياً

8- خاتمة الدراسة:

حاولنا من خلال هذه الدراسة بسطريها النظري و التطبيقي تقديم تفسيراً و لو بسيطاً حول موضوع المناخ الأسري و علاقته بظهور كل من الضغوط الأسرية و مواجهتها لدى الطالبات المقيمات بالإقامة الجامعية - دراسة ميدانية بولاية تيزى وزو -" ، باعتبار الأسرة ظاهرة عامة في كل المجتمعات الإنسانية، فليس هناك أسرة بلا مجتمع، و لا مجتمع بدون أسرة، فهي عماده، فتحيط بالفرد منذ ميلاده لتزوده بالقيم و المبادئ التي تساعده على التكيف مع المجتمع. وهي الوسط الذي اصطلاح عليه المجتمع لتحقيق غرائز الإنسان و دوافعه الطبيعية و الاجتماعية، و ذلك مثل حب الحياة، بقاء النوع، تحقيق الغاية من وجوده أو العواطف و الانفعالات الاجتماعية مثل عواطف الأمومة و الأخوة، و هذه كلها عبارة عن قولب و مصطلحات يحددها المجتمع للأفراد ويستهدف من ورائها الحرص على الوجود الاجتماعي و تحقيق الغاية من الاجتماع الإنساني.

و لكن هذا لا يعني أن الأسرة لا تعاني من ضغوطات كثيرة، سواء من حيث الجانب: الاقتصادي، العائقي، الديني، الخلقي... الخ، و خاصة ما إذا تعرضت لها الطالبة المقيمة بالإقامة الجامعية التي من المفترض ترکز على دراستها عوض التفكير في المشاكل الأسرية التي تواجهها و التي تحول مع الوقت إلى ضغوطات، كون تعلم الجنس الأنثوي في المجتمع الجزائري بصفة عامة و المجتمع القبائي بصفة خاصة أصبح بشبه ضرورة

اجتماعية و اقتصادية، لما يوفر لها و لأسرتها دخلا ماديا، كما يقوي شخصيتها و ينمی لديها الشعور بالالتزام و الاطمئنان و الثقة بالنفس.

لكن ليتحقق نجاح الطالبات المقيمات في الإقامة الجامعية، لا بد من توفر مناخ اسري سوي يتميز بالعدل و السلم و حرية التعبير و إبداء الآراء بين أفراد الأسرة بعيدا عن ذلك المناخ الأسري الغير السوي الحافل بالضغوطات الأسرية أين يصعب على الطالبة المقيمة مواجهتها و التعامل معها، أين توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى انه كلما زادت الضغوط الأسرية زادت حدة توترها و قلت مواجهتها، و العكس كلما نقصت شدة الضغوطات الأسرية أمكن للطالبة المقيمة مواجهتها.

و من جهة أخرى فان تعلم هذه الطالبة المقيمة و خروجها للعمل في المستقبل، لا يؤثر فقط عليها، وإنما يؤكّد على خلق مجتمع مثقف، حيث أن تعلمها له أهمية كبيرة خاصة انه يعكس على رعايتها لأبنائها بشكل ايجابي في كافة المراحل العمرية. و لقد بینت نتائج الأبحاث مثل دراسة كل من (عبد الفتاح، 1984) و (سلامة، 1987) و (ابو زيد، 1987) و (بول، 1991) في أن عمل المرأة يعكس إيجابا على الأسرة و الأطفال من ناحية تكيفهم و استقلالهم و اعتمادهم على أنفسهم.

و تبقى نتائج هذه الدراسة نسبية و محدودة، حيث لا يمكن تعليمها نظرا لعدم تمثيل أفراد العينة، وبهذا خلصت الدراسة الحالية إلى مجموعة من النتائج أين جاءت كل الفرضيات حسبما تم توقعها في طرحها. لكن النتائج تبقى رهينة هذه العينة و خصائصها.

و على ضوء ما تعرضنا إليه في هذه الدراسة، نقترح ما يلي:

- ضرورة توفير مناخ اسري سوي للطالبة المقيمة بالإقامة الجامعية خال من الضغوطات الأسرية .
- وضع برامج توعوية للأسر الجزائرية توضح مدى أهمية البيئة الأسرية و تأثيرها على أفراد الأسرة ، و ضرورة اهتمام الوالدين بتوفير مناخ اسري سوي .
- ضرورة ذهاب الطالبة المقيمة بالإقامة الجامعية إلى أخصائي نفسي لتعليمها كيفية مواجهة الضغوط الأسرية التي تواجهها أو يمكن أن تواجهها، لتنقى نفسها من الصراعات النفسية الداخلية و التخلص منها، او التقليل منها .

قائمة المراجع المعتمد عليها باللغة العربية

- 1 أمانی عبد المقصود وتهاني محمد عثمان.(2007).الضغط الأسرية والنفسية-الأساليب والعلاج (بدون طبعة). مصر- القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.
- 2 الإمام محمد صالح الجوالدة، فؤاد عيد.(2009). المناخ الأسري و علاقته بالأمن الفكري لدى المراهقين ذوي الإعاقة البصرية. بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول الأمن الفكري – المفاهيم و التحديات- كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات الأمن الفكري. السعودية-جامعة الملك سعود.
- 3 بن تفنوشت مصطفى.(1984).ترجمة دمري احمد. العائلة الجزائرية: التطور و الخصائص الحديثة(بدون طبعة). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- 4 بيومي محمد خليل.(2012).سيكولوجية العلاقات الأسرية(بدون طبعة). مصر- القاهرة: مكتبة دار قباء.

9-أبريل 2019 -نوفي بزار، جمهورية صربيا

- 5 حلبى عبد المجيد طعمة. (2004). التربية الإسلامية للأولاد منهجاً و هدفاً وأسلوباً(ط2). لبنان - بيروت: دار المعرفة.
- 6 حسن شحاته. (2001). التعليم الجامعي و التقويم الجامعي بين النظرية و التطبيق، مكتبة الدار العربية للكتاب، مدينة نصر.
- 7 خليل محمد. (2000). المناخ الأسري و علاقته بالصحة النفسية للأبناء المراهقين. رسالة ماجستير. معهد الدراسات و البحوث التربوية. مصر - جامعة القاهرة.
- 8 خضر منار عبد الرحمن محمد و العاطي، حنان سامي محمد عبد. (2003). المناخ الأسري و علاقته بدافع الزواج العرفي لدى الشباب الجامعي. المؤتمر العلمي الدولي الثاني والعشرون للخدمة الاجتماعية. جامعة حلوان.
- 9 داليا حافظ. (2015). المناخ الأسري و علاقته بالمخاوف الاجتماعية لدى الأطفال، مجلة دراسات عربية في علم النفس- مصر، مجلد (14)، العدد الأول، ص-ص 163-2017.
- 10 الشهري عبد الله علي ابو عراد. (2009). فاعلية الإرشاد الانتقائي في خفض مستوى سلوك العنف لدى المراهقين. دراسة تجريبية. رسالة ماجستير، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية. جامعة ام القرى.
- 11 شعيبى انعام احمد عابد. (2009). أساليب المعاملة الوالدية و علاقتها باتخاذ الأبناء لقراراتهم في المرحلة الثانوية. رسالة ماجستير، قسم السكن و إدارة المنزل. جامعة ام القرى.
- 12 الصغير صالح بن محمد. (1422هـ). التكيف الاجتماعي للطلاب الوافدين + دراسة تحليلية مطبقة على الطلاب الوافدين في جامعة الملك سعود بالرياض. على البريد الإلكتروني: <http://www2.askzda.com/gen/pages/default.aspx>
- 13 الصغير علي محمد. (2011). العلاقة بين عنف الأزواج و المناخ الأسري و سمات شخصية للأبناء المراهقين و سلوكهم. دراسة سيكولوجية أكالينيكية. معهد الدراسات التربوية. قسم الإرشاد النفسي. مصر - جامعة القاهرة.
- 14 عبد الله، فاطمة فرج احمد. (2010). المناخ الأسري و علاقته بتقدير الذات لدى عينة من الأطفال من 9-12 . رسالة ماجستير، قسم الدراسات النفسية للأطفال. معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس.
- 15 عبد الرحمن بن عبد الله الختلان، عبد المطلب يوسف جابر، محمد بن عبد العزيز العوهلي، عمر بن عبد الله السويم. (2005). المهارات الدراسية الجامعية. على البريد الإلكتروني: <http://studg.kfupm.edu.salktab>
- 16 علي راشد. (2007). الجامعة و التدريس الجامعي (بدون طبعة). لبنان-بيروت: دار و مكتبة الهلال للطباعة و النشر، دار الشروق جدة.
- 17 فوزي محمد جبل. (2000). الصحة النفسية و السيكولوجية الشخصية(بدون طبعة). مصر-الاسكندرية: المكتبة الجامعية الأزراطة.
- 18 فيولا البيلاوي. (2001). ضغوط الحياة في الأسرة- مدخل إلى إرشاد و الأزمات-المؤتمر السنوي الثامن لمراكز الإرشاد النفسي(بدون طبعة). مصر- القاهرة: جامعة عين شمس.
- 19 كمال بلخير. (2001). عوامل و آثار تأثير زواج الجامعيين-دراسة على طلبة الدراسات العليا السلك الأول و الثاني. رسالة مقدمة مقتربة لنيل ماجستير في علم الاجتماع.الجزائر - جامعة باتنة.
- 20 محمد سويدى. (1990). مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري(بدون طبعة). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

9-8 نوفي بazar . جمهورية صربيا

- 21** المحامد شاكر وعربات احمد.(2005). اتجاهات طلبة جامعة مؤقتة نحو الإرشاد الأكاديمي وعلاقته بتكليفهم الدراسي، مجلة العلوم التربية والنفسية، المجلد (6)، العدد (4).

قائمة المراجع المعتمد عليها باللغة الأجنبية

- 22-** Ivancevich.J.M & Matteson .M.T.(1987). *Controlling work stress* . Josey –Bass. Sanfrancisco.
- 23-** Neuman. B.(1983). *Family intervention using the BettyNeuman health- car systems model-In 1 Clements & F. Roberts (EDS) Family health. A theoretil approach to nursing care- Wiley- New York.*
- 24-** Stagier, Ross.(1974). *Psychology of Personality*. New york,Mc Craw Hill .Inc student .Psychological Reports, (103), 161–169.

القيم المؤسسة للمشترك الإنساني في القرآن الكريم: دراسة في الخطاب القرآني العام

د. محمد البويسفي

باحث في الدراسات القرآنية / المغرب

ملخص البحث

العيش المشترك أمر حتمي على الإنسان، بحكم طبيعته الاستخلافية وحاجاته الاجتماعية التي تفرض عليه التعارف والتعاون، لتحقيق المصالح المشتركة رغم الاختلاف بينبني البشر في الأديان والثقافات.

وهذا ما أكدته القرآن الكريم في كثير من الآيات، وبين حقيقته وأبعاده ومنطلقاته ومجالاته. ومن ينظر في الخطاب القرآني يجده محدداً لمعالم المشترك الإنساني، بدءاً بوحدة الأصل والتكونين، وأن الاختلاف في الأجناس والألوان والأنسن والثقافات غايتها التعارف والتكميل والتعاون، وليس للتفضيل والتمايز بين الناس، وأن المقاييس عند الله تعالى هو التقوى والصلاح، فقال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِيلَ لِتَعَاوَرُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَئْقَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَمِيرٌ"¹. وهذا الاختلاف لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات.

وقد بين الله تعالى أنه قادر على إزالة هذا الاختلاف، لكن حكمته اقتضت ذلك، وجعلت الرهان بين البشرية هو كسب الخير العام، كما قال تعالى: "لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَيَبْلُوْكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَقِمُوا الْحَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَحْتَلِفُونَ"².

ولذلك حدد القرآن الكريم مجال المشترك الإنساني، وبين القيم والمبادئ العامة المؤطرة له. ومنها قيم التقوى، والعدل، والتعاون على البر والإحسان، والخير العام، والاحترام المتبادل.

ولكن ما نراه اليوم هو أن هذا الاختلاف تنتج عنه صراعات وحروب غير متهدية، ولا حلّ أنسّب لها إلا بتأسيس مشروع فكري حضاري، يستوعب الاختلافات، ويستثمرها، في بناء المشترك الإنساني.

وهذا يتطلب معالجة جذرية في الأدبيات المؤسسة للعلاقة مع الآخر. من خلال الرجوع إلى النصوص الشرعية المؤسسة للفكر الإسلامي، وأقصد هنا القرآن الكريم، لدراسة الخطاب القرآني فيما يتعلق بالعيش المشترك،

¹ سورة الحجرات: الآية 13.

² - المائدة 48

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

والوقوف على قضايا المشترك الإنساني، من حيث المجالات والقيم والضوابط،.. والمنهج. والخروج بتصور إسلامي لقضية المشترك الإنساني، فيه تأصيل وتأهيل للخطاب الإسلامي المعاصر الرامي إلى التعايش والمشاركة الإيجابية مع الأمم والشعوب والحضارات الأخرى، في البناء الحضاري العالمي والرافض للانعزal والتقوّع على الذات والسلبية.

ومن الأهمية بمكان هنا أنني استفدت كثيراً من كتابات الدكتور أحمد الفراك في المشترك الإنساني، وبنيت في ضوئها مقالتي هذا شكلاً ومضموناً.

أهداف البحث:

إثراز أهمية استدعاء القرآن الكريم في حل قضايا العصر
بيان القيم المؤسسة للمشترك الإنساني في القرآن الكريم
محاولة في تجديد الخطاب الإسلامي فيما يخص القضايا الإنسانية العامة

منهج البحث

المنهجي المعتمد في البحث هو المنهجي الوصفي التحليلي القائم على وصف الخطاب القرآني العام وما يتعلّق فيه بالمشترك الإنساني من قيم ومبادئ عامة وتحليل الآيات في سياقها ومقاصدها وتركيب بناء تصوّر عام يؤطر العيش الإنساني المشترك.

هيكلة البحث:

تقديم حول أهمية قيم المشترك الإنساني
المبحث الأول: مدخل مفهومي لكل من القيم والمشترك الإنساني
المبحث الثاني: قيم التعارف في القرآن الكريم
المبحث الثالث: قيم التكريم لبني آدم في القرآن الكريم
المبحث الرابع: قيم الخير العام في القرآن الكريم
المبحث الخامس: قيم السلم في القرآن الكريم
المبحث السادس: قيم العدل والإحسان في القرآن الكريم
خاتمة.

تقديم حول أهمية قيم المشترك الإنساني

القرآن الكريم كتاب هداية إلى الناس جميعاً ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وهو آخر الكتب السماوية، مصدقاً لها ومهيمناً عليها، قال تعالى: "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ"¹، مثبت لما هو صالح خاضع للزمان والمكان، فهو رقيب عليها وشهيد، بما بينه من حقيقة حالها في أصل إزالتها، وما كان من شأن من خططوا بها، من نسيان حظ عظيم منها وإضاعته، وتحريف كثير مما بقي منها وتأويله، والإعراض عن الحكم والعمل بها، فهو يحكم عليها، لأنه جاء بعدها.²

والدين عند الله تعالى واحد وهو الإسلام، وهو يتضمن عقائد وشائع، ومعلوم أن العقائد ثابتة لا تتغير، في حين أن الشائع تتغير، فجميع الرسالات السماوية تتفق في العقائد، لكنها تختلف في الشائع حسب تطور حياة الإنسان في الأرض، حتى جاءت الرسالة الخاتمة، رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، خاتم الأنبياء والمرسلين، قال الله تعالى: "مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّنَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا".³

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث يبين تصديق الإسلام للرسالات السابقة والتكميل بين الأنبياء السابقين: "إِنَّ مَثْلِي وَمَثْلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمْثُلَ رَجُلٍ بْنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعُ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسَ يَطْوَفُونَ بِهِ وَيَعْجَلُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلَا وَضَعَتْ هَذِهِ الْلَّبْنَةُ قَالَ فَأَنَا الْلَّبْنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّنَ"⁴ "نَحْنُ أُولَئِكَ مُؤْمِنُونَ" ⁵ وقال أيضاً: "أَنَا أُولَئِكَ النَّاسُ بَابُنِ مَرِيمٍ وَالْأَنْبِيَاءُ أُولَادُ عَلَاتٍ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنِهِ نَبِيٌّ"⁶ وإذا كان الأنبياء عليهم السلام يُرسلون إلى أقوام بعينهم، فإنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم أرسل إلى الناس جميعاً، على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وأعراقهم، فهو دين عالمي شامل وصالح لكل زمن ومكان. دين السلام والرحمة والمنقذ للبشرية من الظلم والضلال. قال تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ".⁷ فكانت هذه الرسالة الخاتمة "التي ورثت كافة رسالات السماء وانفتحت عليها تصدقها ونسخا بذات الوقت، ورت كافة النبوات وانفتحت عليها، ورثت كافة الحضارات وتفاعلـت مع كل الأعـراق والـرسالـات".⁸

¹- المائدة 48

²- تفسير المنار، لرشيد رضا، الهيئة المصرية للكتاب، 340/6

³- الأحزاب 40

⁴- صحيح البخاري «كتاب المناقب» باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث 3342

⁵- صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى وهل أنتاك حديث موسى وكلم الله موسى تكليماً، رقم الحديث 3216

⁶- صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها. رقم الحديث 3258

⁷- الأنبياء 106

⁸- الأزمة الفكرية والحضارية في الواقع العربي الراهن، حاج حمد أبو القاسم، دار الهادي بيروت، ط1، سنة 2004، ص 424

وهذا ما أهل القرآن الكريم ودين الإسلام لتأسيس المشترك الإنساني باعتباره إطاراً روحياً ومرجعاً دينياً لبناء الحضارة الإنسانية، وفقاً للموضوعية والإنصاف في تقييم ثقافة ومنهج الآخر وبما ينسجم مع فقه الواقع الغربي المتتطور ومشاركته في تأطير وتقنين القيم والمبادئ الكونية لحقوق الإنسان والمؤسسة للمشترك الإنساني الدولي.

ولنا شاهد من تاريخ الحضارات على ما نقول حيث كانت التجربة الحضارية التاريخية الإسلامية، التي جاءت ثمرة لقيم الوحي، ساهمت فيها جميع الشعوب والأعراق والأجناس والألوان والجغرافيا، واستطاعت منذ وقت مبكر في حياة البشرية إلغاء التمييز والعنصرية وإيقاف تسلط الإنسان على أخيه الإنسان، وتعبيد الناس جمِيعاً لإله واحدٍ يتساوى أمامه الجميع، وأن تبني حضارة إنسانية لجميع الناس، وتوصل وتوسّس قيماً مشتركة، ذلك أن ما تتمتع به الحضارة الإسلامية من قيم إنسانية متأتية من الوحي، عصمتها من التسلط والهيمنة والتعالي والانغلاق والتحيز، وجعلتها في كل زمان ومكان المأمن الحقيقي للإنسان، كما أنه يؤهلها اليوم، وفي هذه الظروف الدولية بالذات، وهذا اللقاء الإنساني والتواصل الجغرافي والحضور المعلوماتي والإعلامي لتقديم القيم الإنسانية، التي يستظل بها الجميع، ويعيش في ظلالها الوارفة¹

وقد تجلى هذا في فشل الفلسفات والتشريعات الوضعية في آخر إنتاجاتها وهي العولمة المتوجهة التي جعلت السيادة والبقاء للأقوى، وقضت على الخصوصيات المحلية، وفرضت النموذج الغربي في الحياة على الجميع، سواء في رؤيتها المتفائلة مع فرانسيس فوكو ياما الذي ربط المدينة الفاضلة بالنمط الليبرالي الحديث جعلها قطب الفضائل والقيم، أو في رؤيتها المتشائمة مع صمويل هنتنگتون التي تلخص العلاقات المستقبلية في صراع الحضارات².

و قبل أن ندخل في تفاصيل البحث، يجدر بنا أن نحدد مفردات العنوان، حتى تكون على بينة مما نحن بصدده.

المبحث الأول: مدخل مفهومي لكل من القيم والمشترك الإنساني

يتَّألف عنوان البحث من مفردتين أساسيتين هما القيم والمشترك الإنساني، سوف نحدد مفهوميهما، ثم نبحث بعد ذلك القيم المؤسسة للمشترك الإنساني في القرآن الكريم.

أولاً: مفهوم القيم

يدل المفهوم اللغوي للفظ "القيم" على عدة معانٍ يمكن أن نجملها في ثلاثة: قيمة الشيء وثمنه، الاستقامة والاعتدال، نظام الأمر وعماده. والمعنى الاصطلاحي للقيم لا يخرج عن المعنى اللغوي، فالقيمة هي "محطات

¹- انظر تقديم: عمر عبيد حسنة لكتاب تكامل الحضارات بين الإشكاليات والإمكانيات، كتاب الأمة ع 161

²- إمكانات المرجعية القرآنية في تأسيس المشترك بين الإنسانية الإنسانية، د. أحمد الفراك، مجلة الإحياء، الرابطة المحمدية للعلماء، ع 45-46. ص 190

ومقاييس نحكم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء والأعمال والم الموضوعات والموافق الفردية والجماعية من حيث حسنها وقيمتها والرغبة بها، أو من حيث سوئها وعدم قيمتها وكراهيتها، أو من منزلة معينة ما بين هذين الحدين¹.

أما القيم الإسلامية فهي "مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، كما صورها الإسلام، وت تكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة، بحيث تمكّنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته تتفق مع إمكانياته، وتتجسد من خلال الاهتمامات أو السلوك العملي بطريقة مباشرة وغير مباشرة"²

ثانياً: مفهوم المشترك الإنساني

أما بالنسبة لتعريف المشترك الإنساني فالقصد به هو تلك القيم العامة التي يجمع عليها الناس ولا يختلفون حولها، رغم تباين أديانهم وعقائدهم وعاداتهم وأعراقوهم؛ مثل: العدل والحرية والكرامة... التعاون فيما بينهم لتحقيق هذه القيم على أرض الواقع، وتعظيم خيرها ونفعها على الكل دون استثناء؛ مع وضع اليد في اليد للوقوف في وجه أعداء هذه القيم، وقد عرفها الأستاذ محمد رفيع بأنها: "القيم التي تلبي حاجيات الإنسان الفطرية من حيث هو إنسان، كونها قيماً ومبادئ عابرة للخصوصيات الثقافية للأمم، وهي ما انغرس في فطرة الإنسانية من حب العدل وإنصاف المظلوم وبغض الظلم، وغيرها من مبادئ حقوق الإنسان، ومبادئ المروءة الإنسانية، التي تؤول في العمق إلى أثرة من علم النبوات والرسالات السابقة"³.

المبحث الثاني: قيم التعارف في القرآن الكريم

الإنسان اجتماعي بطبيعة، يألف ويؤلف، يحب ويكره، يأنس وينفر، يميل إلى بنى جنسه، وينفر من الوحدة ويستوحش من الفراغ. ولذلك كان التعارف بين الناس فعل إنساني تقتضيه الطبيعة البشرية للإنسان الذي خلقه الله تعالى مثال إلى العمل والكسب والعمaran بما يتطلب منه تواصلاً وتعارفاً مع الآخرين. وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ دَرَجَاتٍ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَبَيْانًا لِتَعْلَمُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَّقَاءُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَسِيرٌ".⁴

¹- الكيلاني ماجد، فلسفة التربية الإسلامية، دار الفكر، 1989م، ص 299

²- القيم الإسلامية والتربية، علي خليل مصطفى، دار الشروق، القاهرة، 1992م، ص 34

³- القرآن وقيم المشترك الإنساني، د محمد رفيع، مجلة المعارج، ع 162، سنة 2013. ص 83

⁴- الحجرات 13

والخطاب بـ"يا أيها الناس" خطاب عام للبشرية جماء، يستوي فيه المؤمن وغير المؤمن، وهذا الخطاب العام يهتم بالقضايا الإنسانية المشتركة، وليس بفئة بعينها، وهنا قضية التعارف والتواصل ضرورة بشريّة لكافة الناس، وهذا التعارف يقتضي التناصر لا التفاخر، والتآلف لا التناكر، كما قال الرازبي في قوله تعالى: "خلقناكم وجعلناكم إشارة إلى عدم جواز الافتخار لأن ذلك ليس لسعيكم ولا قدرة لكم على شيء من ذلك، فكيف تفتخرن بما لا مدخل لكم فيه. قال النبي عليه الصلاة والسلام: "يا أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن آباؤكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى"⁽¹⁾.

وأن معيار التفضيل هو العمل الصالح المفيد للناس والبيئة التي يعيشها فيها، وهو المقصود بالتقوى، لأن حقيقة التقوى هي القيام بالعمل الصالح واجتناب العمل السيء. وبذلك جعل المفاضلة منوطه بحسب الإنسان وفعله و اختياره وليس في لونه وجنسه وجميع الفوارق القسرية الأخرى، التي لا يد له في وجودها، إقراراً لمبدأ المساواة وتكافؤ الفرص، ولذلك تحقيقاً للعدل وميداناً للتسابق الحضاري وحافزاً لفعل الخيرات، فالأكرم هو الأنقى، والكريم في أبسط صفاته هو المعطاء للآخرين، المتكافل معهم .

فأما اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الطابع والأخلاق، واختلاف الموهاب والاستعدادات، فتنوع لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات. وليس للون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعاني من حساب في ميزان الله. إنما هنالك ميزان واحد تتحدد به القيم هو التقوى. وهكذا تسقط جميع الفوارق، وتسقط جميع مسالك العنصرية، ويترفع ميزان واحد بقيمة واحدة، وإلى هذا الميزان يتحاكم البشر، وإلى هذه القيمة يرجع اختلاف البشر في الميزان. وهكذا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات في الأرض؛ وترخص جميع القيم التي يتكلّب عليها الناس. ويظهر سبب ضخم واضح للألفة والتعاون: ألوهية الله للجميع، وخلقهم من أصل واحد. كما يرتفع لواء واحد يتسابق الجميع ليقفوا تحته : لواء التقوى في ظل الله. وهذا هو اللواء الذي رفعه الإسلام لينقذ البشرية من عقد العصبية للجنس، والعصبية للأرض، والعصبية للقبيلة، والعصبية للبيت².

لذلك نرى أن تحقيق (الذات) السوية وحسن بنائها في هذا السياق وسبيل نجاتها منوط بالتعاون والتكامل والتعايش مع الآخرين وإنقاذهم، فـ"أَحَبُّ النَّاسَ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ"³، وـ"لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ

1- أخرجه البيهقي، من حديث جابر رضي الله عنه، في خطبة الوداع، وقال: في هذا الإسناد بعض من يجهل، انظر شعب الإيمان، باب في حفظ اللسان، فصل، ومما يجب حفظ اللسان منه الفخر بالأباء، ج 11، ص 130.

2- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، سنة 2003، 3349/6

3- المعجم الكبير، للطبراني

9-8 نوفي بزار، جمهورية صربيا

ما يُحبُّ لِنَفْسِهِ¹، فبناء (الآخر) والاهتمام به والتكميل معه، أخذًاً وعطاءً، جزءٌ من بناء (الذات)، والاعتزاز بها، وسبيل قريها من الله، في التصور الإسلامي².

والاختلاف بين البشر في الألوان والألسن وغيرها، هو مصدر ثراء وغنى للبشرية، ويجب استثمار هذا التنوع والتكميل لفائدة الإنسان ومن أجل سعادته، ولا ينبغي أن يكون مصدر شقائه، باعتبار حاجة كل فريق إلى ما يملكه الفريق الآخر من خصوصيات فكرية وعملية، ليتكامل الاثنان في صيغة إنسانية متنوعة، وهذا يقودنا إلى الحديث عن توظيف الخصوصيات المحلية للتجمعات البشرية في الإسلام يشجع على تحريك الخصوصيات في دائتها الداخلية بجانبها الإيجابي الذي يدفع الإنسان إلى التفاعل عاطفياً وعملياً مع من يشاركونه تلك الخصوصيات والقضايا المتعلقة بها، ولكن بشرط أن لا تتحول تلك المشاركة إلى عقدة عصبية تأخذ بعدها عدواً تجاه الآخرين،.. بحيث تصبح الخصوصيات فاصلاً يفصل كل فعة عن الناس الذين لا يشاركونها فيها.

إن الخصوصيات الإنسانية تمثل حالة ذاتيةً ككل حالات الإنسان الذاتية الأخرى التي يتعامل معها من منطق الاعتراف بها كحقيقة موضوعية في وجوده، ولكنها لا تمثل ميزاناً للتقييم تخضع له حركة الإنسان في علاقاته ومعاملاته وأوضاعه العامة، فميزان التقييم الحقيقي هو العمل الذي يمثل خط حياة الإنسان في كل شؤونه³.

المبحث الثالث: قيم التكريم لبني آدم في القرآن الكريم

لقد كرم الله تعالى الإنسان فكان له الفضل والشرف على باقي المخلوقات الأخرى، قال تعالى: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيَّابَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمْنَ خَلْقِنَا تَفْضِيلًا"⁴، والخطاب القرآني هنا عام يشمل البشرية جموعه وليس المؤمنين فقط، قال الإمام ابن عاشور: "والمراد ببني آدم جميع النوع، فالأخوات المثبتة هنا إنما هي أحكام النوع من حيث هو، كما هو شأن الأحكام التي تسند إلى الجماعات. وقد جمعت الآية خمس من: التكريم، وتسخير المراكب في البر، وتسخير المراكب في البحر، والرزق من الطيبات، والتفضيل على كثير من المخلوقات فأما منة التكريم فهي مزية خص بها الله بني آدم من بين سائر المخلوقات الأرضية".⁵

وتجلى هذا التكريم في بداية الخلق البشري، عندما قرر عز وجل أن يجعل الإنسان سيد هذه الأرض وال الخليفة عن الله تعالى في عماراتها وإصلاحها، وأسجد له الملائكة، قال تعالى: " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي

¹ - صحيح البخاري، رقم الحديث 6216

² - انظر تقديم: عمر عبيد حسنة لكتاب تكامل الحضارات بين الإشكاليات والإمكانات، كتاب الأمة ع 161

³ - انظر تفسير من وحي القرآن، محمد حسين فضل الله، للآية 13 من سورة الحجرات، <http://arabic.bayynat.org/HtmlSecondary.aspx?id=4849>

⁴ - الإسراء 70

⁵ - التحرير والتنوير، لابن عاشور، 165/19

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

الأرض خليفة قالوا أتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُقْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَنَحْنُ نُسْبِحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ¹. قال البغوي: "والمراد بال الخليفة ها هنا آدم، سماه لأنه خلف الجن أي جاء بعدهم وقيل لأنه يخلفه غيره وال الصحيح أنه خليفة الله في أرضه لإقامة أحکامه وتنفيذ وصاياه"².

و سخر له ما فيها من نعم و خيرات، حتى يهنا له العيش، ويستطيع أن يقوم بالمهمة التي كلفه الله بها، فقال عز وجل: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ التَّمَرَاتِ رِزْقًا لِكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ذَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَأَنَّا كُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُخْصُوْهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ"³. وهذا تمام التكريم والإنعم والتفضل، ويستوي في ذلك الناس جميعا: مؤمنهم وكافرهم، وهي إرادة الله التكوينية، بأن يسخر هذه الأرض وما فيها للناس جميعا.

و من صور التكريم الإلهي لبني آدم أن صوره في أحسن صورة، وعلى أحسن صورة، "وَلَقَدْ حَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِلَيْسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ"⁴، وقال تعالى: "فَقَدْ حَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَفْoِيمٍ"⁵، وقال عز وجل: "وَصَوَرْنَاكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ"⁶، هذه الأفضلية تشمل المظهر الخارجي للإنسان، والجانب الباطني بما فيها طريقة العيش ونمط التفكير. وهذا ما يقودنا إلى صورة أخرى من صور التكريم والتشريف، وذلك عندما أنعم الله تعالى على الإنسان بنعمة العقل والتفكير، وهي النعمة الكبرى التي تميز بها الإنسان عن باقي المخلوقات الأخرى، وكان التكريم مباشرة بعد خلق الإنسان، حيث علمه الله تعالى الأسماء، وبهذا العلم تفوق آدم على الملائكة، قال تعالى: "وَعَلِمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا"⁷، وقال تعالى: حَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَمَهُ الْبَيَانَ⁸، وبالعلم استطاع الإنسان تيسير الحياة وتسخير المخلوقات لصالحه، وهي نعمة يتساوى فيها الناس جميعا، ويزداد التكريم كلما ازداد الإنسان علماء، قال تعالى: "اقرأ وربك الأكرم" فجمعت الآية بين القراءة وكرم الرب، أي أن القراءة وكرم الرب اقترنا في مكان واحد. وحين ننظر إلى العالم جغرافياً - أي مكانياً - سنرى هذا الاقتران متلازماً، أي أن الذين ينالون كرم الرب وغناه هم القراء أو أكثر الناس قراءة في العالم. وإذا نظرنا حولنا في

¹- البقرة 30²- معالم التنزيل، الحسين بن مسعود الفراء البغوي، 1/60، دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى 1425هـ، 1995م.³- إبراهيم 32-34⁴- الأعراف 10⁵- التين 4⁶- التغابن 3⁷- البقرة 31⁸- الرحمن 3-4

9-8 نوفي بزار، جمهورية صربيا

هذا العصر الذي نعيش فيه نجد أن الذين يتمتعون بخيرات العالم وينالون الكرم والكرامة هم قراء هذا العصر وأكثراهم صلة بالقراءة وما يتصل بها.

إن من يقرأ أكثر ينل أكثر.. إنه قانون الله.. "ليس بأمانكم ولا أمانى أهل الكتاب. من يعمل سوءاً يحز به"¹، وإن الله لا ينظر إلى أقوال الناس وصورهم وأسمائهم، وإنما من يتبع سنة الله ينل وعد الله، "كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربكم وما كان عطاء ربكم محظوظاً"².

ومن صور التكريم أيضاً إلغاء الوساطة بين الإنسان والله تعالى، فربطه به عز وجل مباشرة، قال تعالى: "وَإِذَا سَأَلَكُ عِبَادِي عَنِّي فَإِنَّمَا قَرِيبُ أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيْسَتْ حِجَبًا لَّيْلَهُمْ يَرْشُدُونَ"⁴، ليستمد العون والمدد والإرشاد والتوجيه دون تدخل أحد من المخلوقات.

المبحث الرابع: قيم الخير العام في القرآن الكريم

الخير هو ما يرغب فيه الكل، كالعقل مثلاً، والعدل والفضل والشيء النافع، وهو يشمل مختلف المصالح البشرية المعترضة عرفاً وعادة، وعقلاً وميزاناً معتدلاً وسوياً، وضده الشر. ومبني الخير هو تحقيق المصلحة الدائمة واطمئنان كل نفس في الدنيا، ومحبوب كل إنسان. وطبيعة الخير ملزمة لرعاية المصلحة الإنسانية التي أشاد بها الفقهاء في بيان ما يعرف بمقاصد الشريعة العامة وهي الأصول الخمس الكلية⁵.

ولقد دعا القرآن الكريم إلى الخير والتعاون عليه بين الناس جميعاً، قال تعالى: "وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ"⁶، وهو أمر لجميع الحلق بالتعاون على البر والتقوى، أي ليعن بعضكم بعضاً، وتحاثوا على ما أمر الله تعالى واعملوا به، وانتهوا عما نهى الله عنه وأمتنعوا منه⁷.

أما الأمر بالتعاون على البر والتقوى فهو من أركان الهدایة الاجتماعية في القرآن، لأنه يوجب على الناس إيجاباً دينياً أن يعين بعضهم بعضاً على كل عمل من أعمال البر التي تنفع الناس أفراداً وأقواماً في دينهم ودنياهم، وكل عمل من أعمال التقوى التي يدفعون بها المفاسد والمضار عن أنفسهم، فجمع بذلك بين التحلية والتخلية، ولكنه

¹- النساء 123²- الإسراء 20³- انظر: كتاب أقرأ وربك الأكرم، جودت سعيد، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط2 سنة 1993، ص 24-25⁴- البقرة 186⁵- قيمة الخير العام والمصالح الإنسانية في القرآن وإدراكات الفقهاء، أ-د: وهبة الزحيلي، الندوة الثالثة عشرة لتطور العلوم الفقهية في سلطنة عمان، ((الفقه الإسلامي: المشترك الإنساني والمصالح))، سنة 2014 م⁶- المائدة 2⁷- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار الفكر، 18/6

8-أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

قدم التحلية بالبر، وأكد هذا الأمر بالنهي عن ضده، وهو التعاون على الإثم بالمعاصي وكل ما يعوق عن البر والخير، وعلى العداون الذي يغري الناس بعضهم بعض، ويجعلهم أعداء متباغضين يتربص بعضهم الدوائر بعض¹.

لقد وجه القرآن الكريم الاختلاف والتباين لدى الناس إلى ما هو إيجابي، وإلى ما يجلب الخير والنفع، ولذلك وجه البشرية على اختلافها إلى التنافس في الخيرات. والاختلاف بين الناس في الأشكال والأهداف والغايات... كل ذلك يوظف في اكتساب الخير. قال الله تعالى في كتابه الكريم: "لكل وجهة هو مولىها فاستبقوا الخيرات..."². يقول الإمام ابن عاشور في تفسير هذه الآية: "فالمُرَادُ مِنِ الْإِسْتِباقِ هُنَا الْمَعْنَى الْمَجَازِيُّ وَهُوَ الْحِرْصُ عَلَى مُصَادَقَةِ الْخَيْرِ وَالْإِكْثَارِ مِنْهُ. وَالْمُرَادُ عُمُومُ الْخَيْرَاتِ كُلِّهَا إِنَّ الْمُبَادِرَةَ إِلَى الْخَيْرِ مَحْمُودَةٌ وَمِنْ ذَلِكَ الْمُبَادِرَةُ بِالْتَّوْبَةِ حَشِيمَةٌ هَادِمَ الْلَّذَّاتِ وَفَجَاهَةُ الْفَوَاتِ"³.

وقد حصل نقاش بين المسلمين وأهل الكتاب عند استقبال بيت المقدس في بداية الدعوة الإسلامية، ثم بعد ذلك تم تحويل القبلة إلى المسجد الحرام، فكان التوجيه القرآني للجميع بأنه الأهم عند الله تعالى ليس هو جهة القبلة، لكن الأهم الفعل الحسن والعمل الصالح واكتساب الخيرات. ومعلوم أنه كان للأنبياء على مر التاريخ وجهات عديدة يولونها، ولم تكن القبلة من أصول الدين لا تقبل التغيير، ولا أمراً تكوينياً لا يمكن مخالفته، فلا تطليوا الحديث في أمر القبلة، وبدل ذلك **﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾**، لأن معيار القيمة الوجودية للإنسان هي أعمال البر والخير⁴.

وهذا توجيه قرآني يضبط أمر الاختلاف في أشكال العبادة بين الأديان، لأن كل أهل دين وملة له وجهة يتوجه إليها في عبادته، وليس القصد والغاية في استقبال القبلة، فإنها من الشرائع التي تتغير بها الأزمون والأحوال، ويدخلها النسخ والنقل من جهة، ولكن الأهم هو امتناع طاعة الله، والتقرب إليه، وطلب الرزق عنده، فهذا هو عنوان السعادة ومنشور الولاية، وهو الذي إذا لم تتصف به النفوس، حصلت لها خسارة الدنيا والآخرة، كما أنها إذا اتصفت به فهي الرابحة على الحقيقة، وهذا أمر متفق عليه في جميع الشرائع، وهو الذي خلق الله له الخلق وأمرهم به⁵.

وزاد القرآن الكريم الأمر تفصيلاً في آية أخرى، حيث حدد الله تعالى الأمور المهمة التي يجب التسابق إليها، وبين للناس مفهوم البر الذي هو مجال التسابق فقال تعالى: "لَيْسَ الْبَرُّ أَنْ ثُوَّلُوا وُجُوهُهُمْ قَبْلَ الْمَسْرِقِ وَالْمَعْرِبِ وَلَكِنَّ الْبَرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى"

¹- تفسير المنار، رشيد رضا، الهيئة المصرية للكتاب، 108/6²- البقرة 148³- التحرير والتنوير، ابن عاشور، 42/2⁴- تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي⁵- تفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي، 108/1

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والمُؤْمِنُ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا والصادقين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقو وأولئك هم المُتَّقُون¹، فنفي الله تعالى البر عن استقبال الجهات، وبين للناس كافة أن مجرد تولية الوجه قبلة مخصوصة ليس هو البر المقصود من الدين، ذلك أن استقبال الجهة المعينة إنما شرع، لأجل تذكير المصلي بالإعراض عن كل ما سوى الله تعالى في صلاته، والإقبال على مناجاته ودعائه وحده، ولن يكون شعارا لاجتماع الأمة، فتولية الوجه وسيلة للتذكير بتولية القلب وليس ركنا من العبادة بنفسه².

والبر من المفاهيم الكلية في القرآن الكريم، فهو سعة الإحسان والخير الشامل، ولذلك توصف به الأعمال الكبرى كالإحسان إلى الوالدين، وإنفاق المال في ما يسمى اليوم العمل الخيري. فهذه مما يجب أن يتشارك فيها الجميع، ويتسابق إليه الناس، كل من جهته وحسب قدرته وخبرته وتجاربه، بما يعني الحياة البشرية ويوجهها نحو الصالح العام، الذي يعود بالنفع والخير على البشر.

المبحث الخامس: قيم السلام في القرآن الكريم

ورد السلام في القرآن الكريم بمعانٍ متعددة، حتى جعل الإسلام تحيته المشهور بها هي السلام، لكن ما يهمنا هنا هو السلام بمعناه السياسي، وهو أقرب إلى الصلح والهدنة والتعايش الاجتماعي وعدم الحرب، قال الله تعالى: "وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"³، وهو خطاب للمؤمنين بأن يقبلوا الصلح والسلام، إذا أراد الطرف الآخر ذلك، قال الإمام ابن عاشور في تفسير الآية: "بيان أحكام السلام إن طلبوا السلام والهدنة، وكفوا عن حالة الحرب. فأمر الله المسلمين بأن لا يأنفوا من السلام وأن يوافقوا من سأله منهم... فمعنى وإن جنحوا للسلام إن مالوا إلى السلام ميل القاصد إليه⁴. وفي السيرة النبوية الشريفة ما يؤكد ذلك، حيث فضل عليه الصلة والسلام السلام والهدنة كلما أمكن ذلك. ففي الحديبية فضل عليه السلام الصلح وتتجنب الحرب، حقنا للدماء".

ونهى الله تعالى المسلمين عن قتال من طلب الصلح وترك الحرب أو اختيار الحياد، قال الله تعالى: "فَإِنْ اعْتَرَزْتُمُوهُمْ فَلَمْ يُقْاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا"⁵. وسياق الآية حديث عن المعاهددين والذين يريدون الحياد أثناء الحروب، فوجب مسامتهم ومهادنتهم، وعدم رد اليد الممدودة للصلح. وهي دعوة إلى

¹- البقرة 177²- تفسير المنار، رشيد رضا، 89/2³- الأنفال 61⁴- التحرير والتبيير، لان عاشور 59/11⁵- النساء 90

تفادي الحرب ما أمكن وببحث عن مواطن السلم، وتكتير أهله، وتقليل الأعداء. حتى يعم السلم أو يغلب حياة الناس، لأنه هو الأصل وفيه الخير، وال الحرب لا خير فيها.

ودعا القرآن إلى السلم ومن خلال تجنب أسباب التزعزعات ومنها عدم البدء بالسوء وسب عقائد المخالفين، فيكون رد فعله هو سب عقائد المسلمين، قال تعالى: "وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًا بِعَيْرٍ عِلْمٍ"¹. وعدم الدخول في جدال لافائدة منه، والإعراض عن الباطل، يقول الله سبحانه وتعالى: "إِذَا سَمِعُوا الْغُوْرَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نُبَغِي الْجَاهِلِينَ"²، وفي آية أخرى دعوة إلى تغليب الأخلاق الحميضة والتحلي بالصفح والعفو مقابلة الشر بالخير والسيئة بالحسنة، فقال تعالى: "وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ اذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي تَبْيَنَكَ وَتَبْيَنَهُ عَدَاوَةُ كَانَهُ وَلِيُّ حَمِيمٌ"³. وهذه من الأسباب الحافظة للسلم والدافعة للحرب والنزاع. ومما يحفظ السلم ويديمه الحوار والجدال والتي هي أحسن والصبر على الإذية وعدم الاعتداء أو تجاوز الحد فيأخذ الحق قال تعالى: "اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمُوعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَاجِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوكُمْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَرَبْتُمْ لَهُوَ حَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ 126".⁴

لقد حث الإسلام على السلم لأنّه من القيم الكبرى التي تؤسس للعيش المشترك، وتتوفر فرصاً للتّبادل الثقافي ونسج خيوط الود والمصالح بين الناس، فتزدهر التجارة ويتحقق النماء.

وهذا ما يفسّر الدعوة إلى العفو والصفح الجميل والجنوح إلى السلم والسلام واحترام عقائد الآخرين، فالسمحة واللاإعنف في سلوك المسلمين أصل ديني ثابت حتى مقابل أصحاب العقائد الضالة التي لا قداسة لها في نظر الإسلام

وما أحوج المجتمعات البشرية في عالم الحاضر إلى السلم وإلى التشجيع عليه، والنهي عن أسباب الحروب من استغلال وتحريض إعلامي ونشر للكراهية وغيرها. فقد أنهكتنها الحروب ودمرت كثيرة من البلاد وأهلقت كثيرة من العباد.

المبحث الخامس: قيم العدل والإحسان في القرآن الكريم

قيم العدل والإحسان من القيم الكبرى في القرآن الكريم، وقامت الشرائع السماوية كلها على العدل والإحسان، وتجلّى الأمر أكثر في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، فلا يستقيم أمر الحياة أو تقوم لها قائمة إلا بوجود

¹- الأنعام 108

²- القصص 55

³- فصلت 34

⁴- النحل 25-26

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

العدل، ونجد في القرآن الكريم مدح الله تعالى للمتصفين بالعدل في الأمم السابقة، حيث قال تعالى: "وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أُمَّةٌ يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ"¹، وقال عز وجل أيضاً: "وَمِمَّنْ حَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ"²، فلم ينكر عز وجل ما تحلى به الفضلاء من الأقوام السابقة وأتباع الرسالات السماوية الأخرى. وقد أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعدل بين أهل الكتاب إذا احتكموا إليه فقال تعالى: "وَأَمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ"³، لأن الناس تبحث عن العدل أينما كان ولو عند الأعداء، وهذا يبين كونية قيمة العدل، وبيان لمميزات الرسالة الخاتمة التي جمعت أفضل ما لدى الأمم السابقة فأبقيت عليها وعزتها ودعت إليها. وفي هذا يقول محمود شلتوت: "كان العدل شعارها، وسورها المحدد لها، ووجب أن تكون الفروق الشخصية بمنأى عن محيط العدل، يسوى فيه القوي والضعيف والغني والفقير والقريب والبعيد والمسلم وغير المسلم"⁴. ومن صور العدل في القرآن الكريم الدالة على عالميته: العدل بين الناس عموماً بما فيهم الأعداء. وتحريم التحامل عليهم. فقال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْنُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءِ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ حَبِّيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ"⁵. ثم نجد في القرآن الكريم أمر الله تعالى بالعدل بصفة عامة من غير تحديد من يستحق التعامل به، وهذا يدل على قيمته الكونية، والخطاب عام لجميع البشرية، قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَإِلَحْسَانِ"⁶، وقال أيضاً: "وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ"⁷. ولم يقتصر الأمر بالعدل في القرآن الكريم على الأفراد بل تعداه إلى الجماعات والدول، عند النزاع والخصام فيجب إقامة العدل بين الدول والمجموعات العرقية والإثنية، قال تعالى: "وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوهَا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَعْثَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتَلُوا الَّتِي تَبَغِي حَتَّىٰ تَفْغِي إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوهَا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ"⁸. وعند تتبع أوامر الله تعالى بالعدل نجده يشمل تحريم المحاباة مع الأقارب، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْنُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءِ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالَدَيْنَ وَالْأَقْرَبَيْنَ إِنْ يَكُنْ غَيْرًا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَبَعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ حَبِّيرًا"⁹.

¹- الأعراف 159²- الأعراف 181³- الشورى 15⁴- الإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت، ط 6، سنة 1972م. دار الشروق القاهرة، ص 472⁵- المائدة 8⁶- النحل 90⁷- النساء 58⁸- الحجرات 9⁹- النساء 135

9-8 نوفي بزار، جمهورية صربيا

وإذا تبعنا الإحسان في القرآن الكريم نلحظ مركزيته في الخطاب القرآني يشمل الجميع بدون اعتبار لمميزات اللون أو الجنس، ويتضمن كل المعاملات سواء مع الإنسان أو غيره من على هذه الأرض، يقول الشيخ السعدي: "الإحسان فضيلة مستحبٌ، وذلك كنفع الناس بالمال والبدن والعلم، وغير ذلك من أنواع النفع حتى إنَّه يدخل فيه الإحسان إلى الحيوان البهيم المأكول وغيره".¹

وقد أمر الله تعالى بالإحسان في الرسالات السابقة حيث قال تعالى: "وَإِذْ أَحْدَنَا مِيَّاتَقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًاً وَذِي الْعَرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًاً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَتْئُمْ مَعْرُضُونَ"²، قال السعدي في بيان معنى الآية: "أحسنوا بالوالدين إحساناً، وهذا يعم كل إحسان قولي وفعالي مما هو إحسان إليهم، وفيه النهي عن الإساءة إلى الوالدين، أو عدم الإحسان والإساءة؛ لأنَّ الواجب الإحسان، والأمر بالشيء نهيٌ عن ضيده".

وللإحسان ضيَّان: الإساءة، وهي أعظم جرمًا، وترك الإحسان بدون إساءة، وهذا محظوظ، لكن لا يجب أن يلحق بالأول، وكذا يقال في صلة الأقارب واليتامى، والمساكين، وتفاصيل الإحسان لا تتحصر بالعدى، بل تكون بالحدى.

ثمَّ أمر بالإحسان إلى الناس عمومًا فقال: "وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًاً" ، ومن القول الحسن: أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتعليمهم العلم، وبذل السلام، والبشاشة وغير ذلك من كل كلام طيب. ولما كان الإنسان لا يسع الناس بماليه، أمر بأمير يقدر به على الإحسان إلى كل مخلوق، وهو الإحسان بالقول، فيكون في ضمن ذلك النهي عن الكلام القبيح للناس حتى للكفار³.

خاتمة

في نهاية هذا البحث ووفقاً للمنهج العلمي المتبعة يقوم على إبراز النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث، نخرج بنتيجة مفادها أن إمكانات تأسيس المشترك الإنساني متوفرة بقوة في القرآن الكريم، لما يتضمنه من قيم كونية حاكمة لمفاصل الحياة الإنسانية، والموروث الديني قادر على تزويد العالم بمخزون ثقافي وروحي مقنع للبشرية ويلبي حاجاتها الروحية والنفسية، مما يجعله يحقق ما عجزت عنه التشريعات الوضعية. ونؤكد على ضرورة الرجوع إلى الخصوصيات الدينية المحلية لدى الشعوب في بناء فلسفة وتشريع يجيبان عن تساؤلات الناس الملحة، ويعنjan الثقة والأمل للإنسان في حياة إنسانية كريمة. بعدما عانته البشرية من ويلات الحروب والكراهية والتفرقة والعداء. إنني أدعو المسلمين أن يبادروا إلى تقديم ما لديهم من قيم إنسانية في القرآن الكريم إلى العالمين، رغم موقعهم الضعيف في الساحة الدولية، وصوتهم غير المسموع، فدينهم قوي راسخ ومتين.

¹- تيسير الكريم المنام، السعدي، 447²- البقرة 83³- تفسير السعدي، ص 57

لائحة المصادر والمراجع

- (1) الأزمة الفكرية والحضارية في الواقع العربي الراهن، حاج حمد أبو القاسم، دار الهادي بيروت، ط1، سنة 2004.
- (2) الإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت، ط 6، سنة 1972م. دار الشروق القاهرة،
- (3) القيم الإسلامية والتربية، علي خليل مصطفى، دار الشروق، القاهرة، 1992م،
- (4) مجلة الإحياء، الرابطة المحمدية للعلماء، ع 45-46.
- (5) تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي.
- (6) تفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي.
- (7) تفسير المنار، رشيد رضا، الهيئة المصرية للكتاب.
- (8) تفسير من وحي القرآن، محمد حسين فضل الله. <http://arabic.bayynat.org>
- (9) تكامل الحضارات بين الإشكاليات والإمكانيات، د عطا محمد حسن زهرة، كتاب الأمة ع 161
- (10) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار الفكر.
- (11) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، سنة 2003،
- (12) الكيلاني ماجد، فلسفة التربية الإسلامية، دار الفكر، 1989م،
- (13) القرآن وقيم المشترك الإنساني، د محمد رفيع، مجلة المعارج، ع 162، سنة 2013.
- (14) كتاب أقرأ وربك الأكرم، جودت سعيد، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط 2 سنة 1993
- (15) معالم التنزيل، الحسين بن مسعود الفراء البغوي، دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى 1995م.
- (16) الندوة الثالثة عشرة لتطور العلوم الفقهية في سلطنة عمان، ((الفقه الإسلامي: المشترك الإنساني والمصالح))، سنة 2014.

آليات التنشئة الاجتماعية والأسرية وأثرها في الانفتاح الثقافي والتعايش الإنساني

د. أحمد الفراك

أستاذ الفلسفة والفكر في جامعة عبد المالك السعدي بتطوان / المغرب

مقدمة

شكلت مسألة التنشئة الاجتماعية والأسرية موضوع خوض علمي وتربيوي وفلسي كبير ومتنوع المداخل والمقاربات، إذ شاركت فيه مختلف التخصصات ذات الاهتمام المشترك بالإنسان بكل أبعاده الجسمية والروحية والنفسية والاجتماعية والتاريخية، مما يجعل من المسألة مشتركة إنسانياً كونياً، تخرط في النظر فيه والسعى لتطويره جميع حقول العلوم الاجتماعية والانسانية.

إذا جاء الخلق الآدمي من وحدة النفس قبل تكثّرها، فإن هذا التكثّر والتکاثر المجعل في الأرض سيحمل معه رغبات النفس وأشواقها وحظوظها، فتسعي الأنفس من جديد إلى التوحد بغيرها قصد تحقيق التساقن والسكنية والمسكنة، قال تعالى: "هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَعَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا حَقِيقًا فَمَرَأَتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَنَّكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ" (الأعراف: 189)

إذا كانت الهوية "في معناها المجرد هي جملة علامات وخصائص من أجناس مختلفة، تنفرد بها الذات عن الآخر، من حيث بغياب هذه العلامات والخصائص تغيب الذات وتذوب في الآخر، وبحضورها تحضر"¹، أي هي نظام القيم والتصورات والعلامات التي تميز جماعة بشرية ما عن غيرها من الجماعات، وتمنحها الخاصوصية التاريخية والحضارية، فتستقل بها الذات الثقافية والاجتماعية –نسبياً– عن الغير، وبغياب هذا النظام الجمعي يغيب تفرد الذات وتذوب عناصرها في ذوات أخرى معايير، فإن نظرية الهوية الاجتماعية (Social Identity Theory) تؤكد أن الروح الثقافية لمجتمع ما تنشأ وتطور من خلال الامتداد والانفتاح على هويات ثقافية أخرى تتبادل معها التأثير والتأثير، الأخذ والعطاء، ولا توجد هوية معزلة منغلقة على ذاتها مكتفية بعطائها وإنما إنما ادعى لنفسها التفرد والتعالي والثبات. مع العلم أن التطور الذي نقصده قد يكون توسعًا وتقديماً مثلما قد يكون تقهقرًا وانكماسًا.

في ظل التطورات التقنية والتواصلية والثقافية، والتحولات الاقتصادية والديمغرافية المعاصرة، وما رافق ذلك من انكشافٍ لتأثيرات معتقدات الدين واللغة والعرق في تحديد الهويات المجتمعية الجديدة وحضورها القوي في مجريات

¹ – الودغيري، عبد العلي. اللغة والدين والهوية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2000م، ص67

الأحداث العالمية المتسارعة، أعيد طرح سؤال التنشئة الاجتماعية وأثرها على التعايش والحياة الثقافية المشتركة: كيف تتحدد التنشئة الثقافية لمجتمع من المجتمعات؟ وكيف تسهم عمليات التنشئة الاجتماعية في إنشاء ثقافة تقبل التعدد وتنفتح على ثقافات أخرى لتعايش معها في أمن وسلام؟ وكيف يمكن انبثاق هوية إسلامية متقدمة ينسجم فيها المُعطى الإنساني العام مع المُعطى الثقافي الخاص؟

هذه الأسئلة هي ما سأحاول الجواب عنها بحثاً في "إمكانات التجديد وواجب الوقت" من خلال هذا البحث الموسوم بـ"آليات التنشئة الاجتماعية والأسرية وأثرها في الانفتاح الثقافي والتعايش الإنساني"، في محورين وخاتمة. ينظر المحور الأول في مفهوم التنشئة الثقافية وآلياتها وأثرها في صناعة الهوية وتطورها، بينما يختص المحور الثاني باستشراف آفاق مستقبلية لهوية إنسانية مشتركة تعايش فيها الهويات الثقافية وتكامل وتفاعل، هوية تسع الأسرة الأدبية في مجموعها.

المحور الأول: الهوية الثقافية وآليات التنشئة الأسرية والاجتماعية

أمام ما يشهده العالم اليوم من رجوع إلى إحياء ذاكرة العنف والعنصرية والطائفية وال الحرب الهوائية، وكشف الخبرت الذي يسكن ذات العالم ويُوسوس للإنسان بقتل أخيه الإنسان، يتوجه الخطاب العاقل اليوم إلى التذكير بالحاجة إلى استلهام العناصر الجامحة بين بين الثقافات المحلية المختلفة، ومراعاة المشتركات الكبرى في المنشأ والمصلحة، في المحييا والممات، في الدين والدولة، وتتجدد النظر في الأسس الفكرية والأخلاقية والعمانية والطبيعية والمدنية المشتركة بين جميع الأديميين على وجه الأرض. ليس فقط للحفاظ على هذه الأسس والاستغناء عما عداها وإنما للتذكير والاستعانت بها في إنشاء أخوة آدمية تكون أكثر تراحمًا وتعايشاً وتعاوناً.

التنشئة الثقافية والاجتماعية وسؤال الهوية

التنشئة الثقافية عملية تربوية وثقافية مركبة ومستمرة، تتدخل فيها عوامل نفسية واقتصادية ومجتمعية، تجعلها حركة دائبة لا تتوقف ولا تنتقطع، بواسطتها يكتسب الفرد - كما الجماعة أيضاً - هويته الذاتية والجماعية، من خلالها يستبطن الفرد كيفيات الإحساس والتصرف والسلوك، وهي محمولة مع الفرد من الولادة إلى الوفاة، مروراً بمختلف مراحل نموه وتعلمها واختبارها، فطريقة سلوكنا في الحياة مستمدّة من المجتمع الذي ننشأ فيه، إذ الأذواق والميولات والاختيارات وطرق التعبير عن مشاعرنا المختلفة نكتسبها من انحرافاتنا الأصيل في المجتمع وتقمصنا للوظائف التي يحدّدها انسجاماً مع حاجيات أفراده ومؤسساته. وكل مجتمع له قيمه ومعاييره الخاصة التي ترتبط بشروط تاريخية مغايرة لنظيراتها في مجتمعات أخرى، إذ القيم متغيرة بتغيير الزمان والمكان ونشاط الإنسان.

ويوضح السوسيولوجي الكندي غي روهر (Guy Rocher) مفهوم التنشئة وآلياتها الإنتاجية بقوله: "إذا تمت تنشئة شخصٍ ما، فإنه يصبح جزءاً من الوسط وينتمي إلى عائلة أو جماعة أو مؤسسة أو دين أو وطن. وبهذا المعنى فهو جزء منها وله مكانة فيها ... والانتماء إلى جماعة ما، هو مشاطرة الفرد الأعضاء الآخرين قدرًا من

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

الأفكار أو السمات المشتركة. ليتعرف أنه من خلال النحن المكون من الجماعة¹، تصره الجماعة الثقافية داخلها بلطف حتى يتحول من كائن طارئ إلى كائن مقيم ثقافياً، فيشرب روح الثقافة ويتنفس شكلها، فهو يأخذ منها ليعيش، وهي تأخذ منه لتستمر. وبهذا "يكون الشخص الذي تمت تنشئته في ثقافة معينة ومجتمع معين، قد نمى حاجيات فيزيولوجية وأذواقاً وهيئات جسمية، تطلب إشراطاً لعضويته العصبية الفسيولوجية وجهازه الحسي الحركي ... وعلى المستوى الانفعالي لا نجد فقط أن التعبير عن العواطف موجه من طرف الأطر والقيود والعقوبات المتضمنة في الثقافة بل وحتى العواطف نفسها تخنق وتتكبح وتقمع من طرف ثقافة ومجتمع ما"²، أي أن الثقافة لا تستجيب لجميع مطالب الفرد ولا يمكنها ذلك، بل هي جماع العطاءات والموانع، ما توفره للأفراد من إمكانات وحاجات، وما تفرضه عليهم من إكراهات وموانع ومحرمات يجب عليهم الخضوع لها وإلا عزلتهم الجماعة الثقافية وانحدرت مكانتهم اجتماعياً ومجتمعياً بين أهلها.

من الهوية القاتلة إلى الهوية المُحيّة

إذا كانت الثقافة المحلية منغلقة على ذاتها تقرأ الوجود قراءة تخصها، تداول فقط مقولاتها وتمثالتها بين أفرادها دون أن تنفتح على ثقافات غيرها، تحكم بتاريخها على التاريخ كله، وبتاريخها على التدين كله، وبتجربتها على التجارب كلها، فهي تصنع هوية واحدة، متحيزة وإقصائية، فالهوية ولئن كانت هي "المسألة الأساسية للفلسفة منذ قال سocrates اعرف نفسك"³، فقد تحول عند الاحتكاك بهويات مخالفة إلى هوية قاتلة؛ تقتل باسم الدين أو العرق أو القومية والطائفة.

ويرجع السبب الأساس في نظري إلى طبيعة التنشئة الثقافية التي تتلقاها وتفكر بها جماعة ما، وخاصة على المستوى الفكري لما تتأثر عقول أفرادها بمقولات عقلية، وتمثالت ذهنية، و المعارف متوارثة، وأفكار مسبقة، أو قل باختصار: قوالب جاهزة، وطرق للتفكير لا يُسمح بالاستغناء عنها في التفكير والحكم، فإذا بـاستيعاب عناصر الثقافة تنمو القدرات العقلية وتمكن من خلق عناصر ثقافية جديدة. والتالي الطبيعية ... للتنشئة الاجتماعية هي إنتاج تطابق كاف في "طائق العمل والتفكير والإحساس" لدى كل عضو من الجماعة، وذلك ليتكيف كل شخص ويندمج مع تلك الجماعة من جهة، ولتمكن الجماعة من البقاء والدوم من جهة أخرى⁴.

من خلال موقف غي روهر (أو جي روشييه كما يكتبه البعض) أستاذ العلوم الاجتماعية في جامعة مونتريال (ولد سنة 1924)، يتأكد أن الفرد يحتاج بشكل كبير إلى ثقافة المجتمع لاكتساب صفاتٍ لا يمكنه بدونها أن

¹ – Guy. Rocher, Introduction à la sociologie générale, tome 1, L'action Sociale, édition: Payot, 1968, p: 132

² – Ibid. p: 132

³ – معلوم، أمين. الهويات القاتلة، قراءات في الانتماء والعلمة، ترجمة نبيل محسن، مطبعة ورد، دمشق، ط1، 1999، ص 13

– Guy, Rocher. Introduction à la sociologie générale, Ibid. p: 132 4

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

يحيى حياته بوصفه كائنا اجتماعيا، وبسبب هذا الاحتياج فإن الفرد يخضع لما يُسمى بـ "بحتمية التنشئة الثقافية"، بوصفها عملية تطورية بواسطتها يقوم الشخص طوال حياته بتعلم واستبطان طرائق تلقي المعرفة وطرائق التصرف والسلوك، واكتساب المعطيات الاجتماعية والثقافية لمحیطه لكي يدمجها في بنية شخصيته حتى يتکيف مع الوسط الذي يعيش فيه.

وبناء على ما سبق تأتي الهوية على صورة الثقافة التي تصنعها، فإذا كانت الثقافة أحديّة مغلقة ومصممة تشكلت الهوية الفردية والجماعية على غرارها منقطعة ومحضرة. وإذا كنت الثقافة منفتحة ومتعدّة لتبادل خبرات وتجارب ثقافات أخرى، إمداداً واستمداداً فستكون الهوية أيضاً منفتحة وممتدة، تلّقح عناصرها الأصلية بما انتهت إليه تجارب الثقافات الأخرى. آنذاك تكون هوية مُحيّة، تحبي ذاتها من خلال تفاعلها وتلاّقحها مع ذات أخرى قريبة وبعيدة، تراجع ذاتها وتنتقد غيرها باستمرار حتى تستوي هوية متّجدة ومتزامنة مع مستجدات عصرها. وبهذا المنهج النّقدي الذي لا يطري الذات ولا يمتنع من قبول النقد من الغير يمكن للهوية أن تعالج أمراضها وتستدّمّج أفرادها وتحقّق أغراضها، وهذا "التحليل النّقدي هو وحده القادر على التمييز بين الزيد الذي يذهب جفاء، وبين ما ينفع الناس في كل موقف"¹ كما يؤكد محمد عابد الجابري.

عمليات التنشئة الاجتماعية المنفتحة قادرة على إدماج الأفراد إدماجاً سلساً وتلقائياً لا تتكلّف فيه في مؤسسات المجتمع التربوية والثقافية والتعلّيمية والإعلامية والاستهلاكية، لتشكل هويتهم النفسيّة والاجتماعية والمزاجية السوية والمنفتحة، عبر آليات: الاندماج والتكيّف والتقمص والاكتساب والتّوافق، حتى يصير "الأنّا الواحد" "أنا منفتح"، والذات المعزولة ركناً لا يُستغنّ عنّه في بناء المجموع وحفظه من السقوط. آنذاك فقط يملك الأفراد والشعوب من القدرات والإمكانات والفرص ما ييسّر لهم التعامل الإيجابي داخل المجموع، فيعبرون بشكل طبيعي عن النّمط الثقافي العام والمشترك من جهة، ويحيّون نمطّهم الثقافي الخاص فتتسع هويتهم وتتجدد من جهة أخرى.

لا تفيّد عملية التنشئة الاجتماعية والثقافية دوماً الانتقال من ضيق الهويات المعنزة والجامدة إلى العيش في كنف الغير عبر القبول بكل أشكال التطبيع السلوكي السلبي الذي يذيب الذات المستقبلة ويلغيها في الذوات الأخرى وكأنّها ناسخة للغير منتحلة لثقافته مغلوبة على أمرها ومنهزمة في عقر دارها، وإنما تتجاوزه إلى مشاركة واعية منها وبمقوماتها وبنموذجها مع الآخرين الذين يتقاسمون معها نعمة الوجود وروح الدين وثورة المعرفة وثروة البيئة، الماضي والحاضر والمستقبل، يقول هانس كوكлер: "يجب على الأنّا الهوية الثقافية أو الحضارية الخاصة ألا

¹ - الجابري، محمد عابد. مسألة الهوية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1995، ص28

تعتبر الآخر خطرا على هويته الخاصة، لكن يجب اعتباره حظا من أجل فهم العالم فيما جيدا، وضمنيا أيضا معرفة الذات في مرآة الحضارة الأخرى، يعني وعي الذات والآخر بطريقة نقدية¹.

بالانفتاح على الآخر انفتحوا واعياً ومستوعباً تتمكن الذات من إحياء ذاتها مستشرمة العناصر المشتركة مع غيرها، ومعززة لعناصرها الموروثة بعناصر وافدة تزيدها قوة واتساعاً وقابلية للتجدد والقبول بالتنوع والتعدد. إن الهوية عبارة عن صيرورة متغيرة وليس كينونة اصطفائية متوقفة عن النمو، مكتملة وجاهزة، حيث "لا تعطى الهوية مرة وإلى الأبد، فهي تحول وتتشكل على طول الوجود"²، وبناء عليه فتجديد الهوية يتطلب مما يتطلبه إحداث تغيير ذهني في الرؤية الحضارية وما يستتبعه من تغيير في منهجية التفكير والتحليل والتركيب. يقول عبد الرزاق الدواي: "للحوار بين الثقافات أخلاقيات يتوجب توفرها، ومراعاتها، في جميع المبادرات الرامية إلى إنعاشه وتفعيله وجعله مثمراً. فلكي يرسى على أساس سليم، ينبغي أن يقوم على مبادئ أساسية لعل أهمها: التسامح، والاعتراف بحق الاختلاف الثقافي، وممارسة النقد والنقد الذاتي". فمن شأن ذلك أن يساهم فعلاً في تهيئة أجواء معنوية وفكرية ملائمة تشجع على قبول مراجعة الآراء والآراء القبلية المتخذة إزاء الغير وثقافته، وفهم مرجعياتها ومركّز اهتماماتها³.

من الهوية المنغلقة إلى الهوية الجامحة

رغم ما بين الناس من اختلاف طبيعي وتباین ثقافي فإن الإنسانية واحدة في أصلها وتركيبها، حيث النفس واحدة متفرعة في أجسام الأمة الإنسانية على سطح المعمورة منذ بدء الخليقة إلى الأبد، فـ"ما كانت النفس الواحدة إلا لأن الإنسانية واحدة، والطريق واحدة، والغاية واحدة، وال نهاية المصيرية واحدة، انطلاقاً من واحدة الأصل الأول، والسبب الأول، الموصوف بالتوحيد والوحدة والوحدة والأحدية"⁴.

إن المشترك الإنساني وهو مجموع العناصر الكبرى التي تتوقف عليها حياة جميع الأدميين على ما بينهم من تعدد في الألوان والأذواق والأرزاق والأديان، أي هو الإنسان في هويته النواة قبل أن "يتسمى ثقافياً"، وهذا المشترك لا يلغى عنصر "الدين" كما تظن بعض الفلسفات الإنسانية والدهرانية، إنما يتضمنه ويستمد منه آيات الوحدة والرحمة وكل القيم الجامحة، ليكون هو "الضامن الوحيد لقيام سليم عالمي، وأمن إنساني، ووحدة بشريّة، بعيداً عن

¹- هانس، كوكلر. المسلمين والغرب؛ من الصراع إلى الحوار، ترجمة حميد لشهب، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، ط1، 1430هـ/2009م، ص 146

²- معلوم، أمين. الهويات القاتلة، قراءات في الانتماء والعولمة، ترجمة نبيل محسن، مطبعة ورد، دمشق، ط1، 1999، ص 25

³- الدواي، عبد الرزاق. في الفقاقة والخطاب، عن حرب الثقافات، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، بتصرف ص(95 و 181)

⁴- بنعبد، المهدى. عودة حي بن يقطان، دار النشر المغربية، المغرب، (سلسلة شارع)، عدد 16 ط1، 1997، 42/1

أشكال الصراع العسكري¹ الذي يجد سنته — غالباً — في تأويلات دينية تقرأ نصوص الدين المؤسسة والشارحة قراءة نفعانية مُغرضة.

كان الناس أمة واحدة، إخوة شركاء في أجسادهم وأرحامهم وطبيعتهم، يتقاسمون المنافع والمصالح، جيء بهم جميعاً من نفحة واحدة ونطفة واحدة بفطرة واحدة، وسخرت لهم ما به يقوم وجودهم ويتقوم. وهم اليوم ينتمون إلى الإنسانية الواحدة رغم تمايز الثقافات بين الأمم والشعوب، وهو تمايز صنعته مصالح الناس واعتقاداتهم وأوهامهم، قبل أن تتحول تلك المصالح والأوهام مع مرور الزمن إلى "حقائق صلبة" يقاس عليها التدين والتمدن.

واختيارنا لمفهوم المشترك الإنساني لا يفيد تبني نزعـة إنسانية مذهبية تُلغـي الدين أو تنتقص من الثقافات. وإنما هو نداءً بأصوات عاقلة متعددة يُهمـها أن يتعـقل أئمة العالم ويفـطنوا إلى ما به يُشـيد عمران إخـوة آدمـية متـخالقة، قوامـها الحياة مع الغـير بوصفـه شـريكـاً لا ضـيفـاً ولا غـريـباً. فلا تـزدـري ثـقـافةً ثـقـافةً، ولا يـلـغـي تـدـيـنـاً تـدـيـنـاً، ولا تـسلـطـ فـتـةـ على فـتـةـ، ذـلـكـ أـنـهاـ لاـ تـوجـدـ ثـقـافـةـ كـامـلـةـ، ولاـ يـوجـدـ تـدـيـنـ وـحـيدـ سـوـاءـ، ولاـ فـتـةـ وـحـيدـ نـاجـيـةـ. وإـلاـ فـسيـكـرـ المستـقبلـ أحـدـاـتـ المـاضـيـ، وـتـجـددـ الـفـتنـ الـتـارـيـخـيـةـ الـتـيـ تـدـسـيـ الإـنـسـانـ وـتـعـيقـ تـفـكـيرـهـ فيـ وـاقـعـهـ وـمـسـتـقـبـلـهـ، وـتـلـفـ خـلـفـ مـقـولـاتـ تـشـيـطـ الغـيرـ وـتـهـمـهـ بـالـمـؤـامـرـةـ وـالـخـيـانـةـ اـبـتـادـاـ.

الاقتناع بـهـوـيـةـ مشـترـكـةـ عن طـرـيقـ التـنـشـيـةـ الـاجـتمـاعـيـةـ وـالـقـافـيـةـ يـجـعـلـ الذـاتـ تـعـرـفـ بـالـآـخـرـ المـخـالـفـ، وـتـعـنىـ بالـبـحـثـ فـيـ ثـقـافـهـ عنـ عـنـاصـرـ الـوـحـدـةـ وـالـإـخـوةـ الـعـابـرـةـ لـتـضـارـيسـ التـارـيـخـ، وـإـمـكـانـاتـ التـعـاـونـ وـالتـكـامـلـ. وـبـالـتـالـيـ ضـرـورةـ الـانـفـتـاحـ عـلـىـ مـرـجـعـيـاتـ الآـخـرـينـ وـاحـترـامـ خـصـوصـيـاتـهـمـ الـثـقـافـيـةـ وـنـشـدـانـ الـقـيمـ الـمـشـترـكـةـ معـهـمـ دونـ استـعلاـءـ وـلاـ استـبـاعـ، موـازـاـةـ معـ مـراـجـعـةـ الـوعـيـ الذـاتـيـ المشـوـهـ بـالـتـمـثـلـاتـ التـرـاثـيـةـ وـالـإـيـديـوـلـوـجـيـةـ وـالـفـلـسـفـيـةـ الـمـتـقـلـصـةـ الـتـيـ تـصـدرـ عنـ سـوـءـ فـهـمـ كـبـيرـ فـيـ تـأـوـيلـ النـصـوصـ الـمـؤـسـسـةـ وـشـروـحـاتـهـاـ الـمـتـحـيـزـةـ وـالـجـامـدـةـ. معـ الـعـلـمـ أـنـ المشـترـكـ لـاـ يـطـلـبـ منـ الطـرـفـينـ التـنـكـرـ لـلـأـصـوـلـ الـمـرـجـعـيـةـ الـمـنـطـلـقـ مـنـهـاـ بـقـدـرـ ماـ يـطـلـبـ تـجـدـيدـ الـنـظـرـ فـيـهـاـ بـمـنـهـجـيـةـ تـسـتوـعـبـ الـآـخـرـ وـلـاـ تـلـغـيـهـ، وـتـحـضـرـهـ وـلـاـ تـنـفـيـهـ.

وـإـذـاـ كـانـ لـاـ بـدـ لـأـيـ ثـقـافـةـ الـيـوـمـ مـنـ الـعـيـشـ المشـتـرـكـ اـعـتـرـافـاـ وـقـبـولاـ بـوـاقـعـ الـاـخـتـلـافـ وـالـتـنـوـعـ بـيـنـ الثـقـافـاتـ وـالـشـعـوبـ، فـقـدـ ظـهـرـتـ الـحـاجـةـ إـلـىـ ضـرـورةـ تـجـدـيدـ الـعـالـمـ بـنـاءـ الـوـحـدـةـ الـآـدـمـيـةـ بـيـنـ الـأـمـمـ فـيـ أـمـةـ وـاحـدةـ، يـمـكـنـ تـسـميـتـهـ بـ"ـالـأـمـةـ الـأـمـ"ـ، وـهـذـهـ الـوـحـدـةـ الـآـدـمـيـةـ الـجـامـدـةـ لـاـ تـلـغـيـ الـتـدـافـعـ وـالـتـلـاقـ وـالـتـنـافـسـ، بلـ تـقـبـلـهـ وـتـنـظـمـهـ وـتـحـمـيهـ. إـنـ التـحدـيـ لـاـ يـقـعـ فـيـ نـبـذـ الـاـخـتـلـافـ وـمـحـوـ أـثـرـهـ أـوـ مجـرـدـ الـاعـتـرـافـ بـهـ، وـإـنـماـ يـقـعـ فـيـ كـيـفـيـةـ تـدـبـيرـاـ تـشـارـكـيـاـ يـسـهـمـ فـيـهـ الـجـمـيعـ كـلـ بـمـؤـهـلـاتـهـ وـقـدـرـاتـهـ وـإـنجـازـاتـهـ، دونـ أـنـ يـطـغـيـ طـرـفـ عـلـىـ طـرـفـ فـيـسـتـكـبـرـ عـلـيـهـ وـيـسـتـضـعـفـهـ وـيـشـبـرـ إـنـجـازـهـ.

¹ بنعبد، المهدى. أسئلة الإبداع والتجدد في فكر الدكتور المهدى بن عبد، مجلة " منتدى الحوار" ، عدد 23، مطباع أمبریال، الرباط، 2015، ص

وأول ما ينبغي استحضاره في النظر لموضوع تنظيم الاختلاف واستيعابه بغية استثماره في بناء عمران المشترك الإنساني هو قيمة الاعتراف بالغير، ليس اعترافاً مؤقتاً سرعان ما يت弟兄 الحلم به عند أول اختبار لصدقته، أو اعترافاً مشروطاً بالاستعلاء عليه وإيقائه مستجدياً. فالغير موجودٌ وجوده ضروري لوجود الذات ولا يتتصور وجود هذه الأخيرة إلا به ومعه في إطار حياة مجتمعية مشتركة، يقول هانس كينغ بهذا الصدد: "لا يُعرف الفرد إلى الخير وقواعده وطريقه وعلاماته إلا من خلال العمل الاجتماعي"¹، الذي يجتمع فيه مع غيره ويتوصل معه ويتناقض معه، ولا يحدث هذا إلا إذا أكتسبا معاً فضائل أخلاقية مشتركة تاحترم الغير ولا تقصيه، أو قل بتعبير طه عبد الرحمن التعامل وفق "مخالقة" عالمية، حيث "المحالقة لا تقييد بوطن معين، ولا بدولة محددة؛ فقد يكون وطنها العالم بإدارة عالمية، كما يكون وطنها قرية بإدارة محلية"². وهذه المحالقة هي البشرى التي تحملها "روح الدين" إلى "روح الإنسان" قبل بشريته، لإنجاز "روح العمران" قبل ماديته.

الفصل الثاني: الهوية الثقافية وأسس الانفتاح والتعايش العالمي

ما يظهر في عالمنا المعاصر من مظاهر تزيل الإنسان لإنسانيته وتتباهي لأعماله حتى قيل إن "الكائن المعاصر مدان حتى تثبت براءته"³، لـما أمسى يعيش في عالم عنيفٍ الصفاتُ الغالبة عليه -في نظر الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن⁴- هي أنه عالم المصالح المادية الخالية من الأخلاق، وعالم التنازع والنفاق، لا يمنع من أنه يحافظ في ذاكرته وذكرياته، و يحفظ من صميم مصلحته في حاضره ومستقبله حاجة قائمة إلى عالم لا يتظالم فيه الناس ولا يُضامون في حقوقهم و اختيارهم، وهو النداء الذي تجأر به في كل زمانٍ فئاتٍ تنادي إلى حكمة الحياة الائتمانية المشتركة بين الجميع، وتلك الفتنة هي "البقية الصالحة" التي يستقلّها الله من كل أمة وملة، بقيةٌ تنادي العالمين من غفلاتهم إلى الخير المشترك، وتمانع الظلم والعدوان وتنهى عن السوء والفحشاء والمنكر، وتسعى لدفع قيم الاستفساد والتخيير والتبيير في الأرض، قال الله تعالى: {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بِقِيَةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الدِّينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ وَمَا كَانَ رِبُّكَ لِيُهْلِكَ الْفَرْسَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ} (هود: 116-117).

الدين المشترك لا تختلف فيه الملل

جميع الأسئلة المُلحة والمشكلات المطروحة المتعلقة بقضايا الإنسان المعاصر تتسم بالكونية وتنسحب على جميع الثقافات تأثيراً وتأثراً، ونظراً لأهمية الاعتقاد الديني في الاجتماع البشري وتأثيره في قلب جميع

¹ - هانس، كينغ. مشروع أخلاقي عالمي، دور الديانات في السلام العالمي، ترجمة: جوزيف معلوم وأورسولا عساف، دار صادر، بيروت، ط1، 1998، ص 112

² - طه عبد الرحمن، من الإنسان الأبتر إلى الإنسان الكوثر، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، ط2، 2016، ص 37

³ - بعبد العالي، عبد السلام. امتداح الالفلسفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 2010، ص 43

⁴ - طه، عبد الرحمن. سؤل العنف بين الائتمانية والحوارية، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، ط1، 2017، ص 12

مجالات الحياة، ينصب الاهتمام عليه من مختلف التخصصات ومن جميع المناحي، لذلك نلاحظ تنظيم العديد من المؤتمرات والملتقيات الدولية، وإصدار ما لا يحصى من الوثائق والإعلانات والاتفاques، فضلاً عن غزارة البحث والتأليف والدراسة في ما يعني بموضوع "المشترك الديني"، غير أن الحكمة القاضية بتعابيش الجميع على نفس المسافة من بعضهم البعض، هي الاقتناع بأنه "لا إخلاص لمعتقد ما، ولا وسيلة لحمايته، إلا بقدر ما يسود التسامح بين مختلف المعتقدات، شريطة ألا تعارض أية واحدة منها القيم العليا الشمولية المشتركة"¹.

لذلك لا يمكن الحديث عن المشترك الإنساني بهويات منفتحة دون التأسيس له على مستوى الدين²، فلقد "بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة والجماعة وترك الفرقة والمخالففة"³، مع العلم أن "جميع الأنبياء وأممهم كانوا مسلمين، لأن الدين عند الله الإسلام في كل زمان ومكان". وقد أخبر الله عن نوح وإبراهيم وإسرائيل إلى الحواريين أنهم كانوا مسلمين مؤمنين⁴، قال تعالى: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلَ رَبَّنَا تَقَبَّلَ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرَيْتَنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرَنَا مَنَاسِكَنَا وَثُبُّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُرَيِّكِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفَهَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَا فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ فَقَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا تَبَّإِ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الْدِيَنَ فَلَا تَمُونُنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءً إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ أَبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَتَحْنُنُ لَهُ مُسْلِمُونَ تُلْكَ أُمَّةٌ قَدْ حَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (البقرة: 127-134)

لا شك إذن في أن الدين عند الله واحد لا تعدد في أصله، وهو الإسلام العام في جميع الرسالات النبوية، وعند جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، والوحي يدعو المسلمين إلى أن يقولوا: (آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنِّي أُنِيبُ إِلَيْهَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (العنكبوت: 40)، ولا يتعارض هذا مع ما يميز كل كتاب عن غيره، وما لحق به من تفسيرات أو تحرifات أو توجيهات... وهذا الأساس المشترك من "الهدى والنور" يشكل إطاراً ومرجعاً دينياً للتفكير في المشترك وبناء حضارته مع أهل الأرض قاطبة على الأسس الفلسفية الكبرى التي تحملها المطالب الكلية للدين، فيبني "المشترك الديني" على الإيمان بالله الذي "لا إله إلا هو" الذي خلق الإنسان من نفس واحدة نفح فيها من روحه، ثم يسر له السعي التعارفي والتعاوني لإقامة العمran حيث تُقضى حاجات الخلائق وتحتحقق بينهم المؤانسة والمخالفة بتعبير طه عبد الرحمن.

¹ - الحبابي، محمد عزيز. أوراق غدوية، الدفتر الأول: أزمة القيم، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1991، ص 81

² - ينظر: الفاروقى، اسماعيل. "الأساس المشترك بين الإسلام والمسيحية"، مجلة العلم والإيمان، العدد 6، 1396/1976، ص 64-87.

³ - البعووى، الحسين بن مسعود. معالم التنزيل (تفسير البعووى)، دار طيبة، الرياض، 1989هـ/1409هـ، 4/122.

⁴ - ابن تيمية، أحمد عبد الحليم. الرد على المنطقين، تحقيق عبد الصمد شرف الدين الكتبى، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1426هـ/2005م، ص 587.

الأسس الأخلاقية المشتركة وقيم التعايش الإنساني

بالتنشئة السليمة يتخلص الفرد والجماعة من داء "الاستعلاء الوهمي" بتعبير الفيلسوف الفرنسي موريس ميرلوبونتي¹، إذ العالم اليوم في حاجة إلى تربية أسرية واجتماعية وثقافية تتشكله من ظلمات الهوى والتدسية والخسنان، وتجدد رسالة ورسالية البقية الصالحة من الأمم السالفة والحالية، وتنتممها بالقيم الفاضلة والتجارب النافعة مما أفاء الله به على عباده تسخيراً وتسهيلاً، وما هذه القيم إلا آثارات الدين التي حافظ عليها الناس وتناقلها صالحوهم جيلاً بعد جيل. وهي قيم كلية تتسع لجميع الأفعال الإنسانية سواء المتعلقة بذات الفرد في خصيصة نفسه، أو بعلاقة الفرد أو الجماعة بالآخرين، أو بالبيئة الطبيعية أو بالعمران؛ وعن تلك القيم الكبرى تصدر قيم الصدق والأمانة والأخوة والترابط والتبادل والسلم والتعاون، وهي أيضاً مشتركة وخالدة، منسجمة مع الفطر السليمة والعقول الحكيمية.

وفي مقابل ذلك يذم الإسلام جميع الفواحش والرذائل، ما ظهر منها وما بطن؛ القتل والظلم والخيانة وشهادة الزور والحقد.. وينكر قبولها دينياً، لأنها يهان الإنسان وهو مُكرَّم، ولا يطغى وهو مؤمن، ولعل هذا هو ما يقصده هانس كينغ بقوله: "هناك قناعة لوحدة أساسية للأسرة الإنسانية وللمساواة ولقيمة كل البشر، هناك شعور بعدم المس بالفرد وضميره، هناك شعور بقيمة المجتمع الإنساني، هناك إقرار بأن القدرة لا تتوافق مع الحق، وأن القدرة الإنسانية لا يمكنها أن تكفي ذاتها، وأنها ليست مطلقة، أن الإيمان والحب والرأفة والترفع وقوة الروح والصدق هي كلها في النهاية أقوى من الحقد والضغينة والأثانية، هناك شعور بواجبنا أن نكون إلى جانب الفقراء والمظلومين ضد الأغنياء والظالمين، هناك أمل عميق بأن الإرادة الطيبة في آخر الأمر ستنتصر"²، هذه الإرادة الطيبة مفتاح لكل خير يعم الإنسانية...

الغيرة والأخوة الإنسانية

الناس إخوانك في الأدب والأرض والرسالة؛ في الدم والوطن والمصير، اعوجت مشاعرهم بآلام التاريخ، وتلاعبت بعقولهم مصالح الكبار، وتكرّسوا من سماء الحب إلى صحراء الحرب، فتحولوا من إخوة إلى أعداء. أما اليوم فتحيا الإنسانية يقطة جماعية للتخلص من مآسي الماضي والانتقال إلى الحياة المشتركة على وطن مشترك في هوية "أوطانية" مشتركة، لا تنمحي فيها الخصوصيات ولا تذوب فيها الاختلافات، وإنما تنتظم في عقد ميثافي تراحمي وتعاوني وتكاملـي.

¹ - ميرلوبونتي، موريس. (1908-1961) فيلسوف فرنسي معاصر. من أهم كتبه "بنية السلوك" و"فينومينولوجيا الإدراك"، ومهمة الفلسفة الفينومينولوجية في نظره هي تحقيق الرجوع إلى عالم الحياة الأصلي والبدئي وفي "العودة إلى الأشياء ذاتها". (<https://ar.wikipedia.org>)

² - هانس، كينغ. مشروع أخلاقي عالمي، دور الديانات في السلام العالمي، مرجع سابق، ص 117-118

الغير هو الذات الأخرى، هو الإنسان نفسه، هو الإنسانية التي يشترك أفرادها في الخلق والأرض والمصلحة والمصير، مضطراً إلى الكينونة مع الغير وبفضله لتحقيق حاجاتي النفسية والاجتماعية، أي مجموع الحاجات كما رتبها عالم النفس الأمريكي أبراهام ماسلو Abraham Maslow (1908-1970) من خلال ما يسمى بـ "هرم ماسلو" للاحتجاجات الإنسانية، فالناس في هذه النظرية شركاء ترتيب حاجاتهم في الحياة، ففي المرتبة الأولى تجد الحاجات الفيزيولوجية الأساسية، تليها حاجات الأمان، وبعدها الحاجات الاجتماعية، ثم الحاجة إلى التقدير والمكانة، وأخيراً الحاجة إلى تحقيق الذات.¹

وبناء عليه فإن العلاقة مع الغير حقاً هي أيضاً علاقة اشتراك في حاجات تؤسس لتعارف نفسي وحنين وجودي واجتماعي وعمري لا محيد عنه، إلا من جهة الغفلة عن حقيقة الاجتماع البشري أو عن السنن الكونية التي تنتظم الوجود العمري عموماً. ولعل هذا ما يؤكد ابن خلدون بقوله: "الاجتماع ضروري للنوع الإنساني. وإن لم يكمل وجودهم وما أراد الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه إياهم. وهذا هو معنى العمران".²

ولا يتصور إمكان القضاء على الاختلاف واحتفاء التناظر والتواجه باسم عالمية مستكبرة تُذلُّ الآخر وتستعبدنه، وإنما يتطلب تحقيق البناء المشترك لحضارة آدمية قوامها الكرامة والعدل والإحسان، "وحيث إنه ليس هناك أي أمل في بناء أي شيء على الإطلاق على احتيال عالمية زائفة مفروضة بالعنف ومؤبدة بنفي الآخر، فإن الرهان على أن هناك مجالاً مشتركاً للتعايش الأخوي ينبغي اكتشافه وبناؤه، يستحق عناء الإقدام عليه"³، وتبادل خبرات الوعي الإنساني وتجارب الشعوب واقتراحات الأمم من أجله، فهو مجال، لذا "يجب على الأنماط الهوية الثقافية أو الحضارية الخاصة ألا تعتبر الآخر خطراً على هويته الخاصة، لكن يجب اعتباره حظاً من أجل فهم العالم فهماً جيداً، وضمنها أيضاً معرفة الذات في مرآة الحضارة الأخرى، يعني وعي الذات والآخر بطريقة نقدية"⁴ مستقبلاً تستحضر المطالب الكلية والغايات الكبرى، ولا تلتفت إلى الجزئيات والتفاصيل التي لا تبني وإنما تزين أو تشين.

مراجع البحث

- إيان، كلارك. العولمة والتفكير، مركز الإمارات والدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ط 1، 2003م.
- ابن باجة، أبو بكر محمد بن يحيى. تدبير المتوحد، ضمن رسائل ابن باجة الإلهية، تحقيق وتقديم ماجد فخرى، دار النهار للنشر، بيروت، ط 1، 1968م

¹ - يراجع: Maslow, A. H Preface to motivation Theory. *Psychosomatic Medicine*, 5, 1943. 85-92

في:

https://journals.lww.com/psychosomaticmedicine/Citation/1943/01000/Preface_to_Motivation_Theory.12.aspx، تاريخ زيارة الموقع 14 أبريل 2017

² - ابن خلدون، عبد الرحمن. المقدمة، تحقيق عبد السلام الشدادي، بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، 68/1، 2005، 138

³ - سيرج، لاتوش. تغريب العالم، ترجمة خليل كلفت، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 2، 1999م، ص 138

⁴ - هانس، كوكлер. المسلمين والغرب؛ من الصراع إلى الحوار، مرجع سابق، ص 146

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار، جمهورية صربيا

- البعوي، الحسين بن مسعود. معالم التنزيل (تفسير البعوي)، دار طيبة، الرياض، 1409هـ / 1989م
 - بنعبد، المهدى. عودة حي بن يقطان، دار النشر المغربية، المغرب، (سلسلة شراع، عدد 16) ط1، 1997
 - بيذرو مارتينيث مونتاييث، وكارمن رويث برافو. أوروبا الإسلامية سحر حضارة ألفية، ترجمة: ناديا ظافر شعبان، مؤسسة الفكر العربي، لبنان، ط1، 2015.
 - الجابري، محمد عابد. مسألة الهوية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1995.
 - هانس، كينغ. مشروع أخلاقي عالمي، دور الديانات في السلام العالمي، ترجمة: جوزيف معرف واؤرسولا عسّاف، دار صادر، بيروت، ط1، 1998.
 - هانس، كوكلر. المسلمين والغرب؛ من الصراع إلى الحوار، ترجمة حميد لشہب، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، ط1، 1430هـ/2009م
 - الودغيري، عبد العلي. اللغة والدين والهوية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2000
 - الحبابي، محمد عزيز. أوراق غدوية، الدفتر الأول: أزمة القيم، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1991
 - حنفي، حسن. حصار الزمن، إشكالات، منشورات الاختلاف، الدار العلمية للعلوم، لبنان، ط1، 2007
 - طه، عبد الرحمن. سؤل العنف بين الائتمانية والحوارية، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، ط1، 2017
 - الكتبي، أبو إسحاق. رسائل الكتب الفلسفية، تحقيق عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1950
 - معرف، أمين. الهويات القاتلة، قراءات في الانتماء والعلومة، ترجمة نبيل محسن، مطبعة ورد، دمشق، ط1، 1999
 - سيرج، لاتوش. تغريب العالم، ترجمة خليل كلفت، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 1999
 - ابن عاشور، محمد الطاهر. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، دار الكتاب، تونس، ط1، 1977
 - الفاروقى، إسماعيل. التوحيد وأثره في الفكر والحياة، ترجمة السيد عمر، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، ط1، 2014م.
 - ابن رشد، محمد أبو الوليد. الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 2001م.
 - ابن خلدون، عبد الرحمن. المقدمة، تحقيق عبد السلام الشدادي، بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، 2005
 - غارودي، روجي. من أجل الحوار بين الحضارات، ترجمة ذوقان قرقوط، دار النفائس، بيروت، ط1، 1990
- Guy, Rocher. Introduction à la sociologie générale, tome 1, L'action Sociale, édition : Payot, 1968
- Maslow, A. H. Preface to motivation theory. *Psychosomatic Medicine*, 5, 1943

التسامح حق وليس منة وكرماً

أ. د. علي لاغا

الهيئة الإدارية للمؤسسة العالية للبحث العلمي /لبنان

تمهيد

لا تزال اللغة تشكل في معاني وتغيرات وأبعاد مصطلحاتها محفزاً مجتمعياً يثير الكثير من القضايا الجدلية، وموضوع ورقة البحث هذه مصطلح يطرح نفسه بقوة في سياق هذا المؤتمر الكبير لكونه بات وبكل اللغات مدار جدل يدار حول مفاهيمه ومدلولاته: هذا المصطلح هو التسامح.

وكما هو مبين في عنوان هذه الورقة، التسامح حق وليس منة ولا كرماً، هو إلزام بتلك المسافة التي تفصل نقايضين عن بعضهما وتحدد حقل التجاذب المغناطيسي بينهما وتحكم التفاوت الذي يمنع أحد من أن يعي على آخر ويعطي كل ذي حق حقه في ظل شريعة سمحاء واضحة المدلولات والأساليب والمقاصد.

إن موضوع هذه الورقة قضية تمت إثارتها منذ فترة في ندوة تحت عنوان : "مصطلحات توتر المجتمع اللبناني" ، نظمتها جامعة الجنان في طرابلس لبنان، تميزت بالصراحة والجرأة في الطرح، وقد شارك فيها رئيس جامعة الكسليلك في لبنان الآب حبيقة (رئيس الجامعة حالياً) ورائد الحركة الإسلامية في لبنان فتحي يكن (رحمه الله) ومفتى عكار السابق الدكتور أسامة الرفاعي ووزير الاعلام في لبنان في ذلك الوقت الأستاذ غازي العريضي ، وقد توليت رئاستها بوصفي كت عميداً لكلية الاعلام في جامعة الجنان في ذلك الوقت ومعداً لها، وأثناء تقديم الأب حبيقة (مسيحي ماروني) مداخلته، لفتني رفضه لمصطلح التسامح، ردأ على كلام المفتى أسامة الرفاعي ، لأن التسامح حسبما عرّفه بأنه منه من القوي على الضعيف، وهم لا يريدون هذه الشفقة. إضافة إلى رفض لمصطلح آخر هو الانصهار الوطني، الذي جاء على لسان أحد المحاضرين لأن الانصهار يعني الذوبان في المجموعة ، حيث عبر عن رفضه بقوله: "الانصهار الوطني ضياع الهوية الاصلية وهذا مرفوض." .

هذا الرد الصريح والاعتراض الواضح على استعمال مصطلح التسامح وترجمته بالفرنسية او الإنكليزية : Tolerance يشير بعمق على عدم إدراك المجتمع الحالي لحقيقة دلالة المصطلح والعافية الأولى من هذه الورقة هو تبيان المفهوم الفعلي للمصطلح حيث ان المصطلح هو ما تصالح واتفق عليه العلماء، مما قد يغير المعنى اللغوي للكلمة او يحتم تبديله وفق المجال الذي يستخدم فيه . Domaine du terme

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

وللمزيد من التوضيح، نورد في بداية هذه الورقة جردة لمختلف المعاني التي قد يحملها مصطلح التسامح Tolerance المستخدم في نصوص علمية بحثية تمثل حقيقة مفهوم هذا المصطلح الذي في شقه العلمي المتنامي إلى مجال علم الميكانيك يعني: المسافة الإلزامية بين جسمين متباينين ملزمين بالعمل جنباً إلى جنب دون أن يلحق أحدهما الأذى بالآخر.

واعتماداً على هذا المفهوم نذهب عميقاً في تفسير معنى التسامح باعتباره حقاً إلزامياً وليس منه من القوي على الضعيف. وهذا ليس مجرد اسقاط لغوي ولا تفسير لا أساس له، فكل أحكام الشريعة الإسلامية في تعامل كل فرد في المجتمع مع الآخر تتحتم إلزامية التسامح وليس التكريم والتفضل كما هو متعارف عليه تقليداً وكما هو متداول بين المسلمين وفي فهم غير المسلمين لمصطلح التسامح والذي يثير حفيظة من يرفضه لأنهم أقوباء وليسوا بحاجة للتصدق عليهم كما جاء في كلمة الأب حقيقة.

إن عرض مفهوم الإلزام، الحق، التسامح، سيعني الكثير في علاقة المسلم مع الآخر مسلماً كان أو غير مسلم، وسيظهر تميز الشريعة الإسلامية في حفظ حقوق الناس وحررتهم والتمتع بهويتهم وتحقيق إنسانية الإنسان وسلامة صحته النفسية والجسدية فيزيداد الترابط بين أبناء المجتمع وتنتشر المحبة والألفة بما بين مكوناته مما يصلب من بنية التماسك الوجداني في كل متطلباته، والتسامح بمعنى الحق الواجب تتفرد به حضارة الإسلام دون باقي الحضارات والنظم الإنسانية وبباقي الديانات الأخرى.

تعريف "التسامح" لغة واصطلاحاً:

تقديم هذه الفقرة تعريفاً لكلمة التسامح في اللغة ، كما ألغه الناس في أدبياتهم إضافة إلى التركيز على المعنى الاصطلاحي الذي يبرز مدلول الإلزام أو الحق.

التسامح في لسان العرب¹ :

سمح : السماحة والسامحة: الجود

وفي الحديث الشريف : السماح رباح ، أي المسامحة في الأشياء تريح صاحبها ... وقولهم الحنفية السمحاء ، ليس فيها ضيق ولا شدة ، وتقول العرب : عليك بالحق فإن فيه لمسماحاً ، أي لمتسعاً.. وعود سمح بين، السماحة والسموحة: لا عقدة فيه ... وتسويح الرمح : تتفيفه ... ورمح مسمح : ثقف حتى لأن، وقيل التسويف : السير السهل.

وفي القاموس المحيط² :

¹ ابن منظور ، لسان العرب، دار صادر مادة سمح

² الغيروزبادي، القاموس المحيط ، دار الفكر ، بيروت ، ج 1 ، باب الحاء ، فصل السين ، بدون طبعة وبدون تاريخ.

سمح : ككرم سماحة وسماحة وسمواحاً ... ككتاب جاد وكرم ، والمساهمة كالمسامحة ويقول العرب: " وإن فيه لسمحاً كمسكن أي متسعأً. "

أما مرادفات فعل تسامح:

أغضى ، تجاوز ، تجاهل ، تساهل ، تعالى ، تهاؤن ، جامل ، داري ، راعي ، عفا ، لاي ، لاطف ، لان.

أضداد كلمة "تسامح" (اسم) : التعصب ، التشدد، التزمت، تشدد، جهل ، حمق، رعنونة ، عقاب ، قصاص ، مجازاة معاقبة.

مضاد تسامح (فعل)

بغى ، شدد ، جار ، جازى، خشن ، سمح ، ظلم ، عاقب ، غلظ ، قاصص ، قسا.

وفي إثراء مقصود للمعنى الاصطلاحي لكلمة تسامح tolerance ، نورد بعض العبارات مع ترجمتها كما هي متداولة في قاموس المعاني الإلكتروني الحديث على الانترنت والذي يشير إلى البعد الدلالي لمصطلح التسامح في العلوم

التسامح في العلوم : (tolerance)

-over tolerance next stop

تجاوز سماح الوقوف التالي (سيارات)

Heat tolerance -

تحمل الحرارة

Manufacturing tolerance -

تفاوت الصنع المسموح

Manufacturing tolerance -

مسموحات التصنيع -

Manufacturing tolerance -

تفاوت مسموح به ميكانيكياً أثناء التصنيع (تقنية) -

Risk tolerance -

القدرة على تحمل المخاطر (مالية) -

Declaration on zero tolerance for FGM -

إعلان لا تسامح مع ختان الإناث -

Core tolerance field -

- مجال السماحة في النواة (تقنية) ¹

الفوائد :

من خلال بعض ما ورد في مسرد المعاني الخاص بكلمة التسامح ، نجد عبارات مثل : " يربح صاحبها " و " ليس فيها ضيق ولا شدة " . و " عليك بالحق فإنه فيه لمسحاً أى لمتسعاً " ، ما يدل على وجود صفة ثابتة وفي "المساهلة مربح" والربح مطلب وبدونه لا مصلحة ولا لزوم للتجارة، وفي الحنفية السمحاء، لا ضيق ولا شدة ، وهذه صفة ملزمة لذات الحنفية (ديانة إبراهيم الخليل عليه السلام) ، وفي مراجعة للآيات التي وردت بشأن ديانة إبراهيم الخليل عليه السلام ² يتبيّن أنها دين التوحيد والاستسلام لله عز وجل، ونبذ الشرك والكفر وكل ما يعبد من دون الله . وهذه كلها ملزمة، لذلك سميت الحنفية السمحاء.

وعبارة الحنفية السمحاء هي الإسلام، روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال:

قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأديان أحب إليك؟ قال: الحنفية السمحاء. ³

والحنيف هو المسلم.

التسامح في الحديث الشريف والأحكام الشرعية:

ورد في كتاب حادي الأرواح لابن قيم الجوزية، تحقيق زكريا عميرات ⁴: يقول الله عز وجل : انظروا إلى أهل النار هل تلقون من أحد عمل خيراً قط؟ قال : فيجدون في النار رجالاً فيقولون له : هل عملت خيراً فقط ؟ فيقول لا ، غير أنني كنت اسامح الناس في البيع والشراء . فيقول الله عز وجل : اسمحوا لعمدي بسماحته إلى عبيدي.

لقد استحق الجنة جزاء ما تسامح به مع الناس في البيع والشراء .

وبالتالي، بالعودة إلى مصطلح السماح أو التسامح في الشريعة الإسلامية نقول:

السماح في الشريعة الإسلامية إلزام:

من خلال جولة على بعض الأحكام الشرعية بين المسلمين ومن يجاورهم أو يعيش معهم، يتبيّن أن السماح إلزام وليس مجاله الأخذ والرد، في جولة مختصرة، مستعيناً بما كتبه الشيخ العالم يوسف القرضاوي: ⁵

1- الشريعة الإسلامية لا تفرض:

يقول الله تعالى: "أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين" سورة يونس: 99

¹ مادة Tolerance Almaany.com

² الآيات : سورة البقرة 135، سورة آل عمران : 95-66-65 ، سورة النساء 125 ، سورة الأنعام : 163-161 ، سورة النحل : 121-123

³ Fatwa.islamweb.net

⁴ Book.google.com.lb, books, ص 222

⁵ يوسف القرضاوي ، الأقليات الدينية والحل الإسلامي ، المكتب الإسلامي

9-أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

وقوله تعالى: " لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي " سورة البقرة: 256

والشريعة لا تفرض أحكامها على غير المسلمين، فلا تفرض عليهم الزكاة ولا القتال في جيش المسلمين ، وتكتف بهم بدل الزكاة والخدمة في الجيش ضريبة على الرؤوس ، أخفى منها النساء والأطفال والفقare والعجزين، وهي ما عرفت بالجزية ، ولهم أن يغيروا الاسم كما فعل نصارى تغلب، فعرضوا دفع صدقة ، ولم يقبلوا مصطلح الجزية، وبذلك فإنهم قبلوا المعنى وأبوا الاسم ، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ¹ :

2- الحكم الذاتي لغير المسلمين في مجتمع المسلمين :

في الأحوال الشخصية: هم أحرار بدينهم والحدود لا تقام عليهم ، ولهم محاكمهم الخاصة ، وكان رؤساء المحاكم الروحيون يقومون فيها مقام كبار القضاة أيضاً ، وقد كتبوا كثيراً من كتب القانون ولم تقتصر أحکامهم على مسائل الزواج ، بل كانت تشمل إلى جانب ذلك مسائل الميراث وأكثر المنازعات التي تخص المسيحيين وحدهم مما لا شأن للدولة به.²

"وبهذا نرى أن الإسلام لم يجبرهم على ترك أمر يونه في دينهم واجباً، ولا على فعل أمر يرون أنه عندهم حراماً، ولا على اعتناق أمر ديني لا يرون اعتقاده بموجب اختيارهم³.

ويمضي القرضاوي في حشد الأدلة على التسامح في الشريعة ، وكما سرّى فإن حكمه ملزم وليس اختيارياً ، مكرمة. "

قال تعالى : " لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم، أَن تبرّوهم وتقسّطوا إليهم، إِن الله يحب المُقْسِطِينَ . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فَأُولَئِكَ هُم الظالِمُونَ . سورة الممتحنة : ٩-٨ . ومعنى تبروهم : أي تعظوه وتحسنوا إليهم ، وأكثر ما استعمل هذا المصطلح للوالدين (بِّرِ الوالدين) وتقسّطوا: أي تعدلوا .

ودليل الإلزام الحديث الشريف عن عبد الله بن الزبير ، قال: قدمت قتيلة على ابنتهما أسماء بنت أبي بكر بهدايا... وهي مشركة، فأبىت أسماء أن تقبل هديتها وتدخلها بيتهما، فسألت عائشة النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى الآية السابقة " لا ينهاكم الله... إلى آخر الآية. فأمرها أن تقبل هديتها وأن تدخلها بيتهما " .⁴

¹ بتصرف عن القرضاوي ، الأقليات الدينية والحل الإسلامي ، م س ، ص 13

² المرجع نفسه ، بتصرف ، ص : 16

³يوسف القرضاوي، م. س. ص 17 بتصرف

⁴ الحديث أخرجه الشيخان والامام أحمد .

¹راجع محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط 7 سنة 1981م ، مجلد 3، ص 484 بتصرف.

دلالة المصطلح لحكم : لكم ما لنا وعليكم ما علينا :

جاء في شرح السير الكبير:

إذا أودع المسلمون قوماً من المشركين، فليس يحل أن يأخذوا شيئاً من أموالهم إلا بطيب أنفسهم، للعهد الذي جرى بيننا وبينهم ، فإن ذلك العهد في حرمة التعرض للأموال والنفوس بمنزلة الإسلام. فكما لا يحل شيء من أموال المسلمين إلا بطيب أنفسهم، فكذلك لا يحل شيء من أموال المعاهدين.

والحديث الشريف الذي استدل به عندما جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تمام العهود ، فقالوا: " إن حظائر لنا وقع فيها أصحابك ، فأخذوا منها بقللاً أو ثوماً". فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فنادى في الناس: إن رسول الله يقول : " لا أحل لكم شيئاً من أموال المعاهدين إلا بحق ".¹

ويقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

"أئمَا قَبَلُوكُمْ عَدْدَ الْذَّمَةِ لِتَكُونَ أَمْوَالَهُمْ كَأَمْوَالِنَا وَدَمَائِهِمْ كَدَمَائِنَا".

وعقد الذمة يشبه نيل المسلم تأشيرة دخول إلى بلد أوروبي ، غير مسلم، فهو بذلك دخل في عهد مع الدولة التي دخلها، ويحلل الفقهاء مساواة الذمي (المعاهد) للمسلم في بعض التكاليف المالية بأن الذمي بعقد الذمة صار له ما للMuslimين وعليه ما على المسلم ".²

وكثيرة الأدلة التي تثبت أن التسامح في الشريعة الإسلامية هو حق والتزام وليس كرماً.

إن هذه المساحة الإجبارية لا توجد إلا في الشريعة ، فإن درجات التسامح :

- أدناه : أدنى التسامح أن تدع لمخالفك حرية دينه ولا تجبره على اعتناق دينك أو مذهبك دون تعصب ولا تضييق.

- الوسطى : أن تترك لمخالفك ممارسة ما يطلب منه دينه.

- والدرجة التي تعلو في التسامح : " ألا تضيق على المخالفين فيما يعتقدون حله في دينهم أو مذهبهم ، وإن كنت تعتقد أنه حرام في دينك أو مذهبك، والشريعة في سماحتها لم تضيق على المسيحيين أكل الخنزير ، علمًا أنه محرم في اليهودية قبل الإسلام ، وشرب الخمور ".³

والشريعة تلزم المسلم بالبر بوالديه وإن كانا من المشركين: " وصاحبهما في الدنيا معروفاً " سورة لقمان 15

¹ محمد بن الحسن الشيباني (748-804 م) ، شرح السير الكبير، تحقيق صلاح الدين السنجد ، مجلد 1، ص 133، باب أموال المعاهدين، بدون تاريخ بدون طبعة.

² بتصريف ، نقلًا عن : عبد الكريم زيدان، أحکام النمیین، والمستأمنین، فی دار الإسلام ، مؤسسة الرسالۃ ، بيروت ، ط 1 سنة 1402-1982 م ص: 70-71

³ يوسف القرضاوي، م. س. ص 36-37 بتصريف

8-أبريل-2019 -نوفي بزار، جمهورية صربيا

والقرآن الكريم يصف الآبار في مشهد وصف أحوال أهل الجنة: " ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً. إنما نطعمكم لوجه الله لا تزيد منكم جزاءً ولا شكوراً" سورة الانسان 8-9 .
والأسير المقصود من كان مشركاً . يقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهم : " كان اسراؤهم يومئذ مشركين ، يشهد لهذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسرى ، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء."¹

وتتجلى سماحة الإسلام في معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل الكتاب، يهوداً كانوا أو نصارى ، فقد كان يزورهم، ويكرمهم، ويحسن إليهم، ويعود مرضاهم، ويأخذ منهم ويعطيهم، وذكر ابن اسحق في السيرة : أن وفد نجران وهم من النصارى، لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالمدينة ، دخلوا عليه مسجده بعد العصر، فكانت صلاتهم ، فقاموا يصلون في مسجده، فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعوهם .²
فاستقبلوا المشرق ، فصلوا صلاتهم .²

يقول القرضاوي: " والحقوق التي قررها الإسلام ليست مجرد حبر على ورق، بل هي حقوق مقدسة قررتها شريعة الله ، فلا يملك أحد من الناس أن يبطلها، وهي حقوق تحوطها وتحرسها ضمانات متعددة ."³
من رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملوك :

إن مقدمة الرسائل فيها شيء وأدب ليس بمقدور مسلم ان يغيّرها، أو يتغافلها، وهي أمر لأنها سنة على المسلم الإلتزام بها. جاء في رسالته إلى هرقل:

من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم⁴

وإلى أسقف الروم في القسطنطينية :

إلى ضغاطر الأسقف⁵

إلى المقوقس عظيم القبط⁶

من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس .⁷

وفي رسالته إلى الحارث بن علقمة ، أسقف نجران:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد النبي، إلى الأسقف أبي الحارث، وأساقفة نجران وكهنتهم ومنتبعهم، ورهبانهم،

¹ محمد علي الصابوني ، مختصر تفسير ابن كثير ، م، س ، مجلد 3 ، ص 582

² يوسف القرضاوي ، م. س. ص 40 بتصرف.

³ يوسف القرضاوي، المرجع نفسه، ص 35-36

⁴ محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبي والخلافة الراشدة ، دار النفائس، بيروت ، ط 6 سنة 1407 هـ 1987 م ص 109.

⁵ المرجع نفسه ، ص 115

⁶ المرجع نفسه ص 135

⁷ المرجع نفسه ص: 140

9-8 نوفي بazar. جمهورية صربيا

إن لهم ما تحت أيديهم، من قليل وكثير، من بيعهم وصلواتهم، ورهبانيتهم، وجوار الله ورسوله، لا يغير اسقف من اسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته، ولا يغير حق من حقوقهم ولا سلطانهم، ولا شيء مما كانوا عليه (على ذلك جوار الله ورسوله أبداً) ، ما نصحوا واصطلحوا فيما عليهم، غير متقلين بظلم ولا ظالمين.¹.

ونختم هذه اللطيفة بما جاء في معايدة بيت المقدس:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين ، أهل إيليا من الأمان :
أعطاهم أماناً لأنفسهم، وأموالهم، ولكنائسهم، وصلبانهم، وسقيمهها وبريئها وسائر ملتها، أن لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينقص منها ولا من حيزها ، ولا من صليبيهم ولا شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن إيليا معهم أحد من اليهود. ...².

الخلاصة:

كلمةأخيرة نوجز فيها خلاصة ورقة البحث هذه ونقول إن المدلول الاصطلاحي لكلمة التسامح حسب أحكام الشريعة الإسلامية يحمل الإلزام والحق وليس الكرم والجود والمنة. فكما سبق وذكرنا كثيرة هي الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تدل على هذه الإلزامية وتدفع بال المسلم إلى الالتزام بشرع الله في تعامله مع غير المسلمين في المجتمع، وذلك بالمحافظة على مسافة سماح التفاوت بينهما تمنع الاحتكاك والتآكل ، تماماً كما في محرك الطائرة او السيارة، حيث يضمن مفهوم التسامح أو tolerance في علم الميكانيك الانسياب العمل دون مشاكل، وهكذا بين البشر، فلكل حق معلوم ولا يبغى أحد على أحد، ولا إكراه في الدين، وعلاقات المسلمين مع أهل العهد والذمة محكومة بالتسامح الملزم المتحقق لحسن سير الحياة في مجتمع متعدد يعرف كل فرد فيه حقه وحده، ويعرف ان حريته تتوقف عندما تبدأ حرية الآخرين، ولنا في رسول الله أسوة حسنة.

¹ محمد حميد الله ، م.س. ص 179

² المرجع نفسه ص 488

مستوى تضمين مقررات الثقافة الإسلامية لقيم الحوار الواجب توافرها لدى طلاب الجامعة (جامعة القصيم نموذجاً - دراسة وصفية تحليلية)

د. أحمد بن محمد التويجري

أستاذ المناهج وطرق تدريس العلوم الشرعية بكلية التربية في جامعة القصيم

مستخلص البحث

هدف البحث إلى تحديد قيم الحوار الواجب توافرها لدى طلاب الجامعة، ومن ثم التعرف على مستوى تضمينها في مقررات الثقافة الإسلامية التي تدرس لطلبة المرحلة الجامعية، ومنها جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية، ومن ثم تم تقديم مقتراح حيال إبراز قيم الحوار في مقررات الثقافة الإسلامية. وقد اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي لجمع النتائج مستخدماً بطاقة تحليل لتحقيق أهداف البحث. وقد توصل البحث إلى جملة من النتائج ومن أبرزها: تفاوت النسب في مستوى تضمين مقررات الثقافة الإسلامية لقيم الحوار بشكل مباشر أو غير مباشر بدرجة متوسطة أو كبيرة، حيث تراوحت بين 84% إلى 91%， وبناء على ذلك قدم الباحث جملة من التوصيات المرتبطة بالنتائج والتي يؤمن أن يؤخذ بها أثناء تطوير مقررات الثقافة الإسلامية في المرحلة الجامعية، وختم البحث بتقديم بعض المقترنات البحثية المستقبلية لتناول ابعاد قيم الحوار وتعزيزها لدى الناشئة.

- الكلمات المفتاحية / قيم الحوار – مقررات الثقافة الإسلامية

مقدمة:

تمثل مقررات الثقافة الإسلامية أهمية بالغة في حياة الطالب الجامعي، وهي من أهم المقررات التي ينبغي العناية بها وتطويرها مواكبة للمتغيرات الطبيعية في ميادين الحياة، لكونها تتناول جوانب شرعية واجتماعية وثقافية واقتصادية عامة يحتاجها الطالب الجامعي في مرحلته العمرية قبل أن يبدأ مشواره العملي بعد تخرجه، ولاسيما إذ اعنت تلك المقررات بكمالها وشمولها لكل ما يصلح حياة الطالب الجامعي في حاضره ومستقبله؛ لتعطي الطالب معالم منهاج حياته ونبراس طريقه.

وبقدر ما يستزيد الطالب الجامعي من هذه المقررات علمًا وعملاً وفكراً وسلوكاً، بقدر ما يتضح طريقه وتستثير نفسه بأنوار العلم والعمل اللازم لإعداده مواطناً صالحاً ينفع نفسه ودينه ومجتمعه ووطنه، وما يميز مقررات الثقافة الإسلامية، أنها ترسم للطالب الجامعي منهاجاً واضحاً يتميز بشموله لكل اهتماماته، مستوعباً ما يطرأ عليه في واقعه معالجاً تلك المشكلات التي تنبثق مع مستجدات العصر مع اعتزازه بدينه القويم الكامل الشامل

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

لمتطلبات الحياة؛ حيث قال الله تعالى: (إِلَيْهِ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا..) سورة المائدة، آية: 3.

وينال تدريس مقررات الثقافة الإسلامية باهتمام ملحوظ في مجتمع المملكة العربية السعودية في أفراده ومؤسساته، حيث ركزت سياسة التعليم في المملكة على هذا الجانب، ونصت ضمن الأسس العامة التي يقوم عليها التعليم على أن "العلوم الدينية أساسية في جميع مراحل التعليم ، ومقررات الثقافة الإسلامية مواد أساسية في جميع سنوات التعليم " (وزارة المعارف، 1390هـ). وتتسنم مقررات الثقافة الإسلامية في نظام التعليم العام في المملكة العربية السعودية بالمرونة والقابلية للتتجديد واستيعاب القضايا والمستجدات، ومعالجتها في ضوء الشريعة الإسلامية ؛ إذ تشتمل على ثلاثة مكونات أساسية هي: علم مصطلح الحديث، الحديث الشريف ، الثقافة الإسلامية ، ويندرج تحت كل مكون عدد من الموضوعات ، وقد اشتمل المقرر الحالي على عدد من الموضوعات مثل حجية السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مكانة المرأة في الإسلام ، العولمة ، التعامل مع الشبكة العنكبوتية ، وكذلك موضوعات ثقافية عامة مثل : الصدق والكذب ، التدخين ، المال في الإسلام ، وغيرها..

ومتأمل لمفردات مقررات الثقافة الإسلامية في المملكة العربية السعودية يجد أنها مجالاً حيوياً اعتبرت بتعزيز قيم الحوار، حيث تتيح للطالب التعرف والفهم ، وممارسة الحوار بشكل إيجابي ملموس مع الآخرين.

ويلاحظاليوم اهتماماً كبيراً بثقافة الحوار وقيمه على مستوى الدول المتقدمة ، والدول النامية التي تسعى إلى الرقي والتقدم، وذلك من خلال تعزيز ثقافة الحوار داخل المجتمع ومؤسساته المختلفة إيماناً منها بأن ذلك يساعد المجتمع على إتقان الحديث في المجالات الحيوية المختلفة ، فالدول المتقدمة تخصص مقررات دراسية وأقساماً علمية بالجامعات لتعليم وتعلم فنون الحوار وأدابه ومهاراته. (العيبي ، 1434هـ، ص 18).

ومن هنا تبرز أهمية مقررات الثقافة الإسلامية بالمملكة العربية السعودية والتي تقوم بدور حيوي في تنمية قيم الحوار لدى الطلاب. حيث تتأكد الحاجة إلى تعزيز ثقافة الحوار وقيمه لدى أفراد المجتمع في ظل السرعة المعرفية الهائلة والتضاعف المستمر للمعلومات ، وهذا يتطلب فتح قنوات اتصال وتواصل فكري وثقافي واجتماعي دائم، كما تتأكد الحاجة للحوار بين أفراد المجتمع لمواجهة كثير من قضايا المجتمع المعاصرة في شتى الميادين المختلفة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وثقافياً ودينياً وأيديولوجياً، خاصة في ظل التقدم الهائل والعلومة التي يستخدمها العالماليوم في مجال الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات (مكتب التربية العربي لدول الخليج ، 1429هـ ، ص 14).

ولما للحوار من أهمية بالغة في النهوض بالأفراد والمجتمعات جاءت نتائج توصيات العديد من المؤتمرات والدراسات بإعطاء هذا الموضوع حيزاً من الدراسة والبحث ، ومن هذه التوصيات : توصية مؤتمر الوحدة الوطنية : "ثوابت وقيم" والذي نظمته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية خلال الفترة (1-3 ذو القعدة 1434هـ)

8-9 أبريل 2019 -نوفي بزار، جمهورية صربيا

الذي أوصى بضرورة ترسیخ مبدأ الحوار بين أبناء المجتمع ، في القضايا التي يختلفون عليها والتعامل مع الأطراف بكل احترام وتقدير (مجلة الحوار ، ١٤٣٥هـ ، ص ٢٥).

كما جاءت توصية مؤتمر الرباط الذي أقيم بتاريخ (14-16 يونيو 2005م) في المملكة المغربية بالرباط حول تعزيز الحوار بين الثقافات والحضارات من خلال مبادرات ملموسة ومستدامة، بتعزيز الحوار وقيمه في مختلف مراحل التعليم. ومن هذا المنطلق فقد اهتمت المملكة العربية السعودية بالحوار، حيث أنشأت مركز الملك عبد العزيز الوطني في عام ١٤٢٤هـ ، والذي يهدف إلى نشر ثقافة الحوار وقيمه بين أفراد المجتمع ، بالتعاون مع المؤسسات التعليمية والتربوية والاجتماعية.

وقد جاءت توصية دراسة المشاريع (١٤٣١هـ)، بتنمية مفهوم الحوار بين الطلاب عن طريق تشجيع إصدار المجالات والنشرات. كما أوصت دراسة الباني (١٤٢٨هـ) على أهمية توسيع مجال الحوار والاهتمام به داخل المؤسسات التعليمية . وأكدت دراسة العودة (١٤٣٩هـ) ، على ضرورة وأهمية ثقافة الحوار وقيمه عبر المؤسسات التربوية المختلفة ، وربطها بالقرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة والاقتداء بالأئباء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

ويعتبر الحوار الوسيلة الأسلم والأسمى في الدعوة والتواصل مع الآخرين والتي دعا إليها من خلال الآيات المختلفة الواردة في القرآن الكريم والتي منها قوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحَكْمَةِ وَالْمُوعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنْ رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ) سورة النحل، آية: ١٢٥. وقد قال الله عز شأنه في محكم التنزيل: (لَا تَجَادِلُ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (سورة العنكبوت، آية ٤٦).، كما ورد في القرآن الكريم عدد من الصور الحوارية ، مثل قوله تعالى: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تَجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) (سورة المجادلة، آية: ١). وقوله تعالى : (وَكَانَ لَهُ ثُمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يَحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعْزَزُ نَفْرًا) (سورة الكهف، آية : ٣٤) .

كما أن السنّة النبوية المطهرة ترخر بعدد من الحوارات ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يحاور المشركين والمنافقين والصحابة وزوجاته حتى الأطفال كان لهم نصيب من حواراته صلى الله عليه وسلم وهذا تأصيل نبوبي مطهر للحوار كمنهج شرعي أصيل.

ويُعدّ الحوار من أهم أسس الحياة الاجتماعية وضرورة من ضروراتها، فالحوار وسيلة الإنسان إلى تنمية أفكاره وتجاربه وتهيئة للعطاء والإبداع والمشاركة في تحقيق حياة متحضرة. (اللبودي، ٢٠٠٠م، ص: ١). وهنا يأتي دور مقررات الثقافة الإسلامية في تعزيز قيم الحوار لدى طلاب الجامعة ، من خلال توضيحها لما جاء بالقرآن الكريم

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

والسنة النبوية الشريفة، كمثل قوله: آ تعالى: (وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثُرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعْزُّ نَفْرًا) [سورة الكهف، آية 34].

والحوار يُعد من الأنشطة التي تحرر الإنسان من الانغلاق والانعزال، وتفتح له قنوات الاتصال والتواصل مع الآخرين التي تساهم في اكتساب المزيد من المعرفة والتقدم والرقي والوعي، ولكي تكتمل للحوار أسس نجاحه ، ويحقق أطرافه، والأهداف التي ينشدونها من ورائه يتحتم عليهم الالتزام بالمعايير الأخلاقية والاجتماعية والثقافية للسلوك التي تفرضها طبيعة الموقف والموضوع والأطراف المشاركة في الموضوع، وهذا الأمر لا يتم إلا من خلال تعزيز ثقافية الحوار ومهاراته لدى أفراد المجتمع. (المشوفي ، 2005م). لذا أصبح من الأهمية بمكان أن يتم تعزيز ونشر وتطوير وتنمية ثقافة الحوار ومهاراته لدى أفراد المجتمع بوجه عام ، وطلاب المرحلة الجامعية بوجه خاص من خلال المؤسسة الجامعية .

مشكلة البحث :

لقد دلت الاتجاهات والاهتمامات الدولية والعالمية المعاصرة في تناول الحوار وتأصيل مفهومه وتعزيز ثقافته وآدابه وفنونه ومهاراته من خلال الاهتمامات الكبرى للدول المتقدمة لقيم الحوار من أجل تعزيز ثقافته ومهاراته لدى أفراد المجتمع بشكل عام والطالب الجامعي بشكل خاص. ويؤكد(بكار، 2004م) أن المتعلم هو أحوج ما يكون إلى تعلم الحوار وتعزيز ثقافته ومهاراته وفياته وآدابه وأصوله وقيمه.

وعلى الرغم من أهمية قيم الحوار في حياة الطالب الجامعي، إلا أن الحوار تعلمًا وتعلیماً لا يحظى بالاهتمام والعناية التي تتناسب مع تلك الأهمية ومازالتنا بحاجة إلى إيجار الحلول المناسبة والخطط والبرامج والنماذج والصيغ التي تسهم في تعزيز ثقافة وقيم الحوار لدى المتعلم، وهذا يؤكد دور مقررات الثقافة الإسلامية في تعزيز قيم الحوار لدى طلاب الجامعة. وفي ضوء ذلك تتضح مشكلة الدراسة الحالية ، والتي يمكن صياغتها في الآتي:

ما مستوى تضمين مقررات الثقافة الإسلامية لقيم الحوار الواجب توافرها لدى طلاب الجامعة؟

أهداف البحث:

تسعى الدراسة الحالية إلى التعرف على:

قيم الحوار الواجب توافرها وتعزيزها لدى طلاب الجامعة .

- مستوى تضمين مقررات الثقافة الإسلامية في القيم الحوار الواجب توافرها لدى طلاب الجامعة (جامعة القصيم انموذجاً).

9-أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

- تقديم تصور مقترح يوضح الدور المناطق بمقررات الثقافة الإسلامية في الجامعات السعودية لتعزيز قيم الحوار لدى الطلاب في تلك المرحلة العمرية المهمة

أهمية البحث:

- يتزامن هذا البحث مع الاهتمامات المتزايدة على المستويين الدولي والمحللي بقيم الحوار.
- قد تسهم في لفت انتباه الباحثين في حقل المناهج وطرق التدريس في مجال التخصص للقيام بالدراسات والبحوث العلمية في مجال تنمية قيم الحوار لدى المتعلمين.

حدود البحث:

الحدود الموضوعية:

- اقتصر البحث على تعرف مستوى تضمين مقررات الواجب توافرها الثقافة الإسلامية في قيم الحوار لدى طلاب الجامعة (جامعة القصيم إنموذجاً..).

الحدود المكانية:

- اقتصر البحث على طلاب جامعة القصيم الدارسين لمقررات الثقافة الإسلامية في العام الجامعي 1440/1439 هـ

مصطلحات البحث:

مقررات الثقافة الإسلامية :

« مجموعة من المقررات الإسلامية التي تدرس لطلاب جامعة القصيم، وتشمل : المدخل إلى الثقافة الإسلامية ، الإسلام وبناء المجتمع ، النظام الاقتصادي في الإسلام، النظام السياسي في الإسلام، الأخلاق في الإسلام ، حقوق الإنسان في الإسلام، منهج الحوار وآدابه»

قيم الحوار:

يعرفها الباحث إجرائياً بأنها: مجموعة المعتقدات والأخلاقيات والمبادئ التي تجعل الفرد يتقبل ويحترم ويقدر الاختلاف والتنوع الثقافي والحضاري والفكري، ويفاعل مع الآخرين دون تجاوز أو تعصب.

معنى القيم اصطلاحاً:

معايير اجتماعية ذات صبغة انفعالية قوية وعامة ، وتتصل من قريب بالمستويات الخلقية التي تقدمها الجماعة.

وهي تلك المعايير التي جاء بها القرآن والسنة المطهرة ودعا إليها الإسلام وحث على الالتزام والتمسوا بها، وأصبحت محل اعتقاد واهتمام لدى المسلمين.

الإطار النظري:

وتهتم كثير من الدول المتقدمة بالحوار ولغة الكلام من خلال تخصيص أقسام علمية بالجامعات لتعليم فنون التواصل والحوارات، وتخصص مقررات منفصلة في المدارس لتعليم مهاراته وقواعداته وأدابه وأصوله وفنون التواصل الكلامي .

وقد أشارت الكثير من الدراسات إلى أن الجانب الحواري اللغوي الشفهي يشكل ما نسبته 95% من التواصل اللغوي، وأنه هو الأكثر شيوعاً بين فنون الحوار. (يونس ، 2001).

والمحتمل في أهمية تنمية وتعزيز ثقافة الحوار ومهاراته بسبب مواجهة ما يقع في حياتنا اليومية من سلبيات ومشاحنات يمكن سببها في تخلي أطراف الحوار عن الأسلوب الأمثل في إدارة الحوار وغياب ثقافة الحوار بين المتحاورين، ومن المؤكد أن غياب ثقافة الحوا بين أفراد المجتمع وكذلك غيابه في المؤسسات التربوية المختلفة يظهر مدى الخلل في العمل وضعف الصلاحة والتماسك بين أفراد المجتمع بل إن غياب الحوار هو انعكاس لضعف البنية العلمية والفكيرية في المجتمع (بن حميد ، 2003).

لذا يؤكد (بكار ، 2004) أن المتعلم هو أحوج ما يكون إلى تعلم الحوار وتعزيز ثقافته ومهاراته وفنياته وأدابه وأصوله، وعلى الرغم من أهمية ذلك في حياة المتعلم، إلا أن الحوار تعلمًا وتعليمًا لا يحظى بالاهتمام والعناية التي تتناسب مع أهميته، وما زلتنا بحاجة إلى إيجار الحلول المناسبة والخطط والبرامج والنماذج والصيغ التي تسهم في تعزيز ثقافة الحوار لدى المتعلم وإكسابه مهاراته وأصوله وفنياته وأدابه وأن تتم التربية من خلاله، وهذا يؤكد دور مقررات الثقافة الإسلامية في تعزيز قيم الحوار.

ويعد الحوار من أهم أسس الحياة الاجتماعية وضرورة من ضروراتها، فالحوار وسيلة الإنسان إلى تنمية أفكاره وتجاربه وتهيئة لها للعطاء والإبداع والمشاركة في تحقيق حياة متحضرة (اللبوبي، 2000م، ص 1) ولهذا جاءت هذه الدراسة التي توضح دور المقررات الثقافية الإسلامية في تعزيز قيم الحوار لدى طلاب الجامعة .

وتعد المؤسسات التربوية والتعليمية وخاصة الجامعية تهتم بغرس قيم الحوار وتنميتها لدى الأبناء لحفظ المجتمع تما斯كه وترابطه ، ومما يحمد للتربيـة الحديثـة أنها تهتم بـغرس الـقيم إنـما العـقل أكـثر من اهـتمـامـها بتلقـين المـعـرـفـة وتحـصـيلـها ، لـذـا فـهي تـضـعـ أخـلـاقـ المـعـلـم عـلـى قـيـمـهـ وأـولـيـاتـهـ.

ولا يختلف اثنان في جدوـيـ وأـهمـيـةـ قـيـمـ الـحـوـارـ وـالـتـسـامـحـ وـاحـتـرـامـ الرـأـيـ الـآـخـرـ، حيث لا بد منها من أجل بناء عـلـاقـاتـ إـنـسـانـيـةـ تـقـومـ عـلـىـ الحـبـ وـالـاحـتـرـامـ وـالـتـعاـونـ وـالـتـضـامـنـ. فالـحـوـارـ يـؤـدـيـ دورـاـ مـهـمـاـ فيـ تـنـضـيجـ القرـارـ الـاجـتمـاعـيـ وـالـسـيـاسـيـ وـإـشـعـارـ الـآـخـرـينـ بـالـمـسـؤـولـيـةـ، وـبـأـهمـيـةـ المـوـقـعـ الـذـيـ يـمـثـلـوهـ، فالـحـوـارـ فيـ الـإـسـلـامـ يـعـبـرـ عنـ قـيـمـ حـضـارـيـةـ؛ لأنـهـ أـسـلـوبـ الـأـنبـيـاءـ فيـ التـبـلـيـغـ وـالـدـعـوـةـ، فـقـدـ اـنـتـشـرـ الـإـسـلـامـ بـالـدـعـوـةـ وـالـوـعـظـ وـالـمـحـاجـةـ وـالـقـوـلـ الـحـكـيمـ وـالـذـيـ أـوـصـلـهـ إـلـىـ أـقـاصـيـ الـدـنـيـاـ.

ويؤكد عامر (2007، ص5) على أن طبيعة المرحلة الراهنة التي يعيشها العالم تستوجب وتفتقر إلى تنمية قيم الحوار لدى طلاب الجامعة ، فالحوار أحد الأدوات الحضارية للمجتمعات المعاصرة ، وإذا توسيـعـ أسـالـيبـ الحصولـ علىـ المـعـلـومـاتـ ، وـتـعـدـتـ الأـفـقـ الـمـعـرـفـيـ ، وـاـخـتـلـفـ الـاتـجـاهـاتـ الـثـقـافـيـةـ وـالـفـكـرـيـةـ ، وـتـرـتـبـ عـلـىـ هـذـاـ التـحـولـ الـمـعـرـفـيـ وـالـثـقـافـيـ الـاـهـتـمـامـ الـمـتـزاـيدـ بالـحـوـارـ لأنـهـ يـجـمـعـ الـقـلـوبـ، وـيـقـرـبـ الـمـسـافـاتـ، وـيـؤـدـيـ إـلـىـ نـشـرـ مـفـاهـيمـ التـبـادـلـ الـثـقـافـيـ.

ويأتي دور مقررات الثقافة الإسلامية في تعزيـزـ قـيـمـ الـحـوـارـ لـدـىـ طـلـابـ الجـامـعـةـ، منـ خـلـالـ تـوضـيـحـهاـ لـمـاـ جاءـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ وـالـسـنـةـ النـبـوـيـةـ الشـرـيفـةـ مـاـ يـؤـكـدـ أـهـمـيـتـهـ.

أهمية الحوار في مجال التعليم الجامعي :

يسـهمـ الـحـوـارـ فـيـ تـحـقـيقـ غـایـاتـ إـيـجـابـيـةـ عـدـدـ مـاـ يـسـعـدـ عـلـىـ تـقوـيـةـ

- تنمية تفكير الطالب الجامعي والمساعدة في تشكيل أفكارهم، فمناقشة موضوع ما يساعد على تقوية معرفتهم وزيادة قدرتهم على الفهم والتفكير(جابر، 1999، 19).

- تشكلـ الـحـوـارـاتـ الـأـبـنـيـةـ الـمـعـرـفـيـةـ لـلـطـلـابـ ، وـإـعادـةـ تـنظـيمـ الـخـبـرـاتـ وـالـمـوـافـقـ الـتـيـ يـوـاجـهـونـهـاـ، وـإـحدـاثـ قـنـاعـاتـ وـرـؤـىـ جـديـدةـ مـاـ يـجـعـلـ الـطـالـبـ قـادـرـاـ عـلـىـ اـتـخـاذـ موـافـقـ مـحـدـدـةـ تـجـاهـ مـاـ يـتـعـرـضـ لـهـ مـشـكـلـاتـ موـافـقـ.(نصر ، 1997 ، ص686).

- تنمية مهارات الاتصال المهمة مثل القدرة على صياغته الأفكار والتعبير عنها بوضوح والاستجابة للآخرين بطرق مناسبة.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار، جمهورية صربيا

- يزيد من قدرة الطالب على الاندماج والتفاعل وتبادل الرأي مع الآخرين (فنيل، 2000، ص 166)، ويحقق للطلاب الدافعية والإنجاز معاً.

- تدعم المشاعر الإيجابية في نفوس الطلاب وتزيد من شعورهم باثقة في النفس والفاخر والاعتزاز ، وتحقيق الذات ، ويبت القيم لديهم، ويخفف الصراعات والمشاعر العدائية ، وهو وسيلة لبناء شخصية الطالب الجامعي كفرد اجتماعي داخل المجتمع. (خلف الله، 1998 ، 65).

النماذج والتجارب المحلية والإقليمية والعالمية المعاصرة في مجال ثقافة الحوار ومهاراته وقيمه :

أولاً: جهود المملكة العربية السعودية :

تمثل ثقافة الحوار أحد المجالات التي أولتها المملكة العربية السعودية مزيداً من الاهتمام، وذلك بإنشائها " مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني" حيث يسعى المركز إلى توفير البيئة الملائمة الداعمة للحوار الوطني بين أفراد المجتمع كله من (الذكور والإناث) بما يحقق المصلحة العامة، ويحافظ على الوحدة الوطنية المبنية على العقيدة الإسلامية وذلك من يؤكد دور مقررات الثقافة الإسلامية في الجامعة لتعزيز قيم الحوار.

وذلك من خلال الأهداف التالية :

1. تكريس الوحدة الوطنية في إطار العقيدة الإسلامية وتعميقها عن طريق الحوار الفكري الهدف.
2. الإسهام في صياغة الخطاب الإسلامي الصحيح المبني على الوسطية والاعتدال داخل المملكة وخارجها .
3. معالجة القضايا الوطنية المختلفة من خلال قنوات الحوار الفكري وآلياته.
4. ترسیخ مفهوم الحوار وسلوكياته في المجتمع ، ليصبح أسلوبًا للحياة ومنهجًا للتعامل مع مختلف القضايا.
5. توسيع المشاركة لأفراد المجتمع في الحوار الوطني وتعزيز دور مؤسسات المجتمع في المشاركة في هذا الحوار.
6. تفعيل الحوار الوطني بالتنسيق مع المؤسسات ذات العلاقة.
7. بلورة رؤى إستراتيجية للحوار الوطني وتفعيل مخرجاته.

كما تهتم وزارة التعليم في المملكة العربية السعودية بثقافة الحوار، ومن ثم تعزيز قيمه، مستفيدة من التطورات السريعة التي تشهدها المملكة، ممثلة في الحراك السياسي والنهج الحواري الوطني الذي يدعمه خادم الحرمين الشريفين.

ثانيًا: جهود دولة الإمارات العربية المتحدة:

تسعى دولة الإمارات العربية المتحدة من خلال مؤسساتها التربوية والتعليمية إلى ترسیخ ثقافة الحوار وقيمه من خلال المناهج والمقررات الدراسية والأنشطة والفعاليات التربوية الطلابية ومن خلال كذلك ، الاستراتيجية المشتركة مع دول الخليج العربية في تنظيم البرامج التي تسهم في نشر وتنمية ثقافة الحوار وقيمه.

ثالثًا: جهود جمهورية مصر العربية (برنامج برلمان الطلائع في مصر):

سعت وزارة الشباب المصرية منذ إنشائها إلى تأهيل النشء والشباب ، وتفعيل مشاركته في الحياة العامة كأحد أهدافها ، وذلك من خلال عدد من الأنشطة وبرامج العمل ، ومنها تلك الخاصة بالتدريب على قيم الممارسة الديمقراطية ، وحرية التعبير وال الحوار ، وقبول الآخر، وذلك من خلال برامج برلمان الطلائع في مصر.

رابعًا: جهود منظمة اليونسكو لتعزيز ثقافة الحوار وقيمه، بتأكيدتها على ترسیخ مفهوم التنوع الثقافي لتعزيز التعايش وال الحوار ، ودعم التبادل الثقافي بين الدول ، تكريسها التعليم للجميع ، ونشر قيم الحوار وثقافته.

خامسًا: جهود المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم في تعزيز قيم الحوار وثقافته، وذلك من خلال اهتمامها بالثقافة الإسلامية وإبراز خصائصها والتعريف بمعالمها في الدراسات الفكرية والبحوث العلمية والمناهج التربوية، والعمل على التكامل والترابط بين المنظمات التربوية في الدول الأعضاء.

سادسًا: جهود دولة الكويت: تعد دولة الكويت من الدول المتقدمة في ترسیخ مفاهيم الحوار من خلال مؤسساتها التربوية والتعليمية ومن خلال مؤسسات المجتمع المدني لديها وتضمين قيم الحوار بالمناهج والمقررات الدراسية.

سابعًا: جهود مملكة البحرين:

في مملكة البحرين يمثل برلمان شباب البحرين ، نموذجًا لاهتمام مملكة البحرين بإعداد الشباب وتزويدهم بالمهارات السلوكية الالزمة لتنميتهم وتجهيزهم للقيام بدورهم في المستقبل في بناء الوطن والتعايش الحضاري مع الآخرين.

9-8 نوفي بزار، جمهورية صربيا

ثامنًا: تجربة سلطنة عمان في تنمية ثقافة الحوار، وذلك من خلال المناهج الدراسية والبيئية المدرسية ، وقد ورد ضمن مبادئ فلسفة التربية في سلطنة عمان أهمية تنمية القدرات العقلية للأفراد واتباع مهارات البحث والتفكير العلمي ومعرفة أكثر من لغة بهدف التواصل والتعرف مع الثقافات الأخرى بما يتوافق مع تعاليم الدين والتراث العماني الأصيل.

تاسعًا: الجهود الكندية (التجربة الكندية) :

تسعى كندا من خلال مؤسساتها التربوية والتعليمية على نشر ثقافة الحوار وتعزيزها بالقيام ببرامج تدريبية للمعلمين ولقاءات وندوات لتأسيس قيم الحوار.

عاشرًا: منتدى الوسطية للفكر والثقافة والحوار (المملكة الأردنية الهاشمية) :

تبني المنتدى إعادة إحياء منهج الوسطية من خلال تعمق منهج التوازن والاعتدال في الإسلام والدعوة إليه ونشر قيمه الإنسانية. وهدف المنتدى إلى المساهمة في تطوير الثقافة الوطنية والعمل على تعزيز الروابط مع الهيئات المحلية والعالمية وترسيخ مفاهيم الوسطية للفكر والثقافة في مجال الحوار.

حادي عشر: نموذج الحوار الحضاري بين منظمة المؤتمر الإسلامي والاتحاد الأوروبي وبين العالم الإسلامي والبيان :

ظهر مفهوم حوار الحضارات في إطار الاهتمام العالمي بالبعد الثقافي في العلاقات الدولية، حيث تؤثر الخصائص الثقافية للشعوب بين الدول، وتحقيق التعاون الدولي يتطلب توظيف تلك الخصائص بحكم الترابط بين السلوكيات السياسية والاقتصادية من ناحية والسلوكيات الثقافية من ناحية أخرى .

وتمثلت بعض تلك المخارج والتطبيقات الحوار الحضارات في مبادرة جامعة الدول العربية في نوفمبر 2001م ومشروع المنظمة الفرانكوفونية الدولية في أكتوبر 2001م ، ومبادرة الغاتيكان في نوفمبر 2001م ، ويُعد مؤتمر بين منظمة المؤتمر الإسلامي والاتحاد الأوروبي في استانبول بتركيا في 12-13 فبراير 2002م. وأكّدت هذه النماذج من الحوارات الحضارية على أهمية التسامح الثقافي وتعزيز قيم الحوار.

ومن خلال الجهود التي تبذل لها الدول والمنظمات لنشر قيم الحوار وثقافته ، تتضح أهمية دور مقررات الثقافة الإسلامية في تعزيز قيم الحوار لدى طلاب الجامعات ، " جامعة القصيم انموذجًا وتمثل قيم الحوار تلك

في :

أ) الإخلاص والتجرد والبعد عن الهوى:

فيجب على المحاور أن يدفع عن نفسه حب الظهور والتميز على الأقران ، وإظهار البراعة وعمق الثقافة ، والتعالي على النظرة والأنداد (حميد، 1415هـ ص36).

ب) قيم التسامح المبني على الاحترام المتبادل ، وعلى اعتماد مبادئ الحق والعدل والمساواة وحقوق الإنسان.

ج) التوصل الحضاري وإقامة الجسور بين الثقافات والحضارات ، واستثمار الرصيد المشترك بين الحضارات .

د) الإيمان برأي الآخرين في التعبير عن أنفسهم، وغرس ثقافة الحوار في نفوس طلابنا وممارسته (التوينجي ، 1431هـ) .

ه) الإطار العام لبناء الديمقراطية والرأي الآخر المختلف لدى الطلاب مما يتطلب ترسيخ واحترام الحق في التعبير عن مقاصد قد تبدو غير ذات قيمة أخلاقية.

و) تعد قيم الحوار أساساً للعلاقات البعيدة عن التوتر والتقطاع، وبمثابة بالشجرة الصالحة لمثمرة ثماًراً صالحة طيبة المساعدة على مواجهة صعوبات الحياة . (المطيري. 1440هـ).

ز) الإخلاص والتجرد والبعد عن الهوى ، حيث يدفع المتحاور عن نفسه حب الظهور والتميز على الأقران ، وإظهار البراعة وعمق الثقافة والتعالي على النظرة والأنداد. (باوزير ، 1431هـ ص106).

ح) الصدق : فقرن طلب الحق في أي حوارٍ تحرى الصدق ، وهو مسؤولية مشتركة بين جميع أطراف الحوار.

ط) الحلم والتسامح: ويرتبط بمساعدة مفاهيم كالحلم والغفو والهدوء والرفق واللين والتسامح (القحطاني ، 1430هـ ص 151).

ي) استخدام الألفاظ الجيدة : ويعنى به التزام المتحاورين بمنظومة القيم الأخلاقية الإسلامية ولها أثراً جيداً في لين الطرف الآخر وإيقاعه ، فهيا ترقق القلوب وتعمق المشاعر وترخي السمع وتشد الانتباه.

ك) ضبط النفس والبعد عن التعصب : فلا يتعصب الإنسان إلى شخص أو إلى رأي ، بل يبين قوله ودليله بأوضح حجة، فالحق يُعرف من خلال دليله. (الشترى 1427هـ).

ل) تقبل الرأي الآخر واحترامه .

م) يقوم الحوار على التواضع والاحترام المتبادل بين الأطراف وقبول وجهات النظر المختلفة. (فرات ، 1426هـ ، ص 174).

ن) الصبر : يعد الصبر جماع فضائل الحلم والغفو وكظم الغيظ ، والرفق واللين والتسامح .

9-8 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

وبنبرة دقيقة لسلوكيات طلاب جامعة القصيم ، نرى أن مقررات الثقافة الإسلامية تؤدي دورها في تعزيز قيم الحوار لدى طلاب الجامعة، مما يعكس بدوره على مجتمع المملكة العربية السعودية بالرقي والتقدم الحضاري الفعال.

وقد أكد (العجلان، 1437) ، على أهمية تضمين مقررات الثقافة الإسلامية في الجامعات السعودية للقيم الأصلية والعلمية، وضرورة تعزيز البناء القيمي لشخصية الطالب الجامعي من خلال تلك المقررات.

منهج البحث وإجراءاته:

تدرج البحث وفق منهجية علمية في البحوث التربوية، وقد تمثل في الخطوات التالية:

1. الإطلاع على الأدبيات التربوية والبحوث السابقة، ذات العلاقة بتضمين مقررات الثقافة الإسلامية لقيم الحوار الواجب توافرها لدى طلاب الجامعة.

2. بناء أداتي البحث، وتمثلان في :

- بطاقة تحليل لمحتوى مقررات الثقافة الإسلامية لطلاب جامعة القصيم.
- قائمة بقيم الحوار الواجب توافرها لدى طلاب جامعة القصيم.

وذلك باتباع الخطوات التالية:

- مراجعة الأدبيات والدراسات ذات الصلة .
- مراجعة خصائص واحتياجات طلاب الجامعة .
- مراجعة القوائم التي أعدت لقيم الحوار في الدراسات السابقة.
- وضع قائمة بقيم الحوار الواجب توافرها لدى طلاب الجامعة.
- عرض القائمة على المهتمين.
- تعديل القائمة في ضوء آراء المحكمين.
- تحويلها لقائمة معيارية.

3. إجراء عملية التحليل.

4. رصد النتائج .

5. تقديم التوصيات والمقررات.

منهج البحث :

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي المتمثل في تحليل مقررات الثقافة الإسلامية ، ويتمثل تحليل المحتوى في الوصف الكمي الذي يهدف إلى وصف الظاهرة بدقة وفق أسلوب علمي كمي منظم .

وللإجابة عن أسئلة البحث وتحقيق أهدافه، أعد الباحث أداتي البحث، وتم بناهما وفق الخطوات التالية:

أولاًً: إعداد قائمة بقيم الحوار الواجب توافرها لدى طلاب جامعة القصيم:

الهدف من القائمة:

هدفت القائمة إلى تحديد قيم الحوار الواجب توافرها لدى طلاب جامعة القصيم ، والتي يسعى البحث الحالي إلى تأكيد دور مقررات الثقافة الإسلامية في تعزيزها لدى هؤلاء الطلاب.

مصادر إعداد القائمة:

اشتقت هذه القائمة من خلال:

- الأدبيات والكتب التربوية التي تناولت قيم الحوار.

- الدراسات والبحوث العربية والأجنبية السابقة التي اهتمت بالحوار ومهاراته وقيمه.

- أهداف مقررات الثقافة الإسلامية بالمرحلة الجامعية.

- استطلاع رأي المتخصصين والخبراء ذات الصلة .

صدق القائمة/ الصدق الظاهري: الذي يقصد به مراجعة مدى انتفاء القائمة السابقة إلى المجال المعرفي نفسه الذي توجد فيه ، بمعنى أن الفقرات أو المجالات لا تنتمي إلى مجال آخر.

صدق المحكمين :

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار، جمهورية صربيا

بعد الانتهاء من إعداد قائمة قيم الحوار في صورتها المبدئية، تم عرضها على بعض الأساتذة المحكمين للتأكد من صحتها العلمية، وأخذ آرائهم بالحذف أو الإضافة أو التعديل والأخذ بمقترناتهم وآرائهم وصولاً بها إلى الصورة النهائية لهذه القائمة. وقد أشار بعض المحكمين إلى بعض الملحوظات التي أكدت على تضمين قائمة قيم الحوار التي يجب توافرها في مقررات الثقافة الإسلامية لتعزيز تلك القيم لدى طلاب الجامعة.

وصف القائمة في صورتها النهائية:

بعد عرض القائمة على المحكمين وإقرارها وصولاً للصورة النهائية لها، تم التوصل إلى قائمة تتضمن قيم الحوار التي يجب توافرها لدى طلاب الجامعة ، وقد بلغ عددها (6) قيم كما يلي :

- الإخلاص والتجرد والبعد عن الهوى.
- التسامح المبني على الاحترام المتبادل.
- التأصل الحضاري وإقامة الحوار بين الثقافات .
- الإيمان برأي الآخرين في التعبير عن أنفسهم.
- الصدق وتقبل الرأي الآخر واحترامه.
- ضبط النفس والبعد عن التعصب.

ثانياً: بطاقة تحليل المحتوى:

قام الباحث بعد إعداد قائمة قيم الحوار، بإعداد بطاقة التحليل، والمتضمنة للمجالات الستة لقيم الحوار، للتعرف على مدى توافر تلك القيم بمقررات الثقافة الإسلامية بجامعة القصيم . ومن ثم البدء بالتحليل وفق المبادئ والأسس التالية:

(أ) تحديد الهدف من التحليل: حيث قام الباحث بتحديد الهدف من التحليل والذي يمكن في تقويم مقررات الثقافة الإسلامية بجامعة القصيم، في ضوء توافر قيم الحوار.

(ب) تحديد فئات التحليل:

وحدة التحليل الفقرة، حيث يتم منها استخراج القيمة، فالقيمة لا يستدل عليها من مجموعة كلمات ، بل من معاني الفقرات (السيقلى ، 2012 ، ص 87).

ج) معايير فئات التحليل:

راعى الباحث عند تحديد فئات التحليل عدداً من الأسس، منها الانتماء الدقيق للمجال المعرفي والمهاري والوجاناني الذي تنتهي إليه هذه الفئات، وكذلك الشمول ، حيث يحاول الباحث من خلالها قدر الاستطاعة الإحاطة بمجلات قيم الحوار دون إغفال أي جانب من جوانبها. بالإضافة إلى تحديد وحدات التحليل لمعرفة التقدير الكمي للظاهرة المراد تحليلها ، والتي اعتمد فيها على تحديد الفقرة كوحدة للتحليل. ثم تحديد عينة التحليل، والتي تتمثل في مقررات الثقافة الإسلامية بجامعة القصيم .

ثبات أدلة التحليل:

تم التأكيد من ثبات التحليل من طريق تحليل الباحث لمقررات الثقافة الإسلامية بجامعة القصيم، وإعادة التحليل بعد مرور فترة زمنية(15 يوم) ثم تم استخدام معادلة هولستى لثبات التحليل، والتي تتضمن المعادلة التالية :

معامل ثبات التحليل = $(2 \times \text{عدد مرات الاتفاق}) \div (\text{عدد نتائج التحليل الأول} + \text{عدد نتائج التحليل الثاني})$. وقد بلغ معامل الثبات (87.6) مما تأكيد للباحث أن للتحليل معامل ثبات مرتفع ، وبذلك يتضح أن لبطاقة تحليل المحتوى مؤشرات إحصائية مقبولة ومطمئنة، وهو ما يؤكد صلاحيتها للاستخدام في الدراسة الحالية في تحليل مقررات الثقافة الإسلامية بجامعة القصيم.

تحديد فئة التحليل:

بما أن الهدف من التحليل هو تحديد قيم الحوار المتضمنة في مقررات الثقافة الإسلامية فقد تم اختيار « قيم الحوار » كفئة لتحليل محتوى تلك المقررات.

تحديد وحدات التحليل: اعتمد في هذه الدراسة على « قيم الحوار » الصريحة بشكل رئيس التي يمكن أن تكون واضحة من الطالب الجامعي أو القارئ الخارجي.

أدلة التحليل : وبعد ذلك أعد الباحث بطاقة تحليل المحتوى لقيم الحوار، في مقررات الثقافة الإسلامية .

حدود التحليل: حيث تمثلت حدود تحليل المحتوى بالآتي:

1) حدود مادية: مقرر الثقافة الإسلامية بمستويات المختلفة.

2) حدود زمانية : الفصل الدراسي الأول 1440 هـ

(3) حدود مكانية : المملكة العربية السعودية – جامعة القصيم.

- وتمثلت قيم الحوار تلك في :

- الإخلاص والتجرد والبعد عن الهوى.
- التسامح المبني على الاحترام المتبادل .
- التواصل الحضاري وإقامة الجسور بين الثقافات.
- الإيمان برأي الآخرين في التعبير عن أنفسهم.
- الصدق وتقبل الرأي الآخر واحترامه.
- ضبط النفس والبعد عن التعصب.

الأساليب الإحصائية: لمعالجة بيانات هذا البحث ، استخدم الباحث الأساليب الإحصائية التالية:

- معادلة هو لستى لحساب نسبة الاتفاق بين المحللين لتحديد ثبات التحليل.
- حساب التكرارات والنسب المئوية ، لحساب تكرار قيم الحوار ونسب تضمينها في مقررات الثقافة الإسلامية ،
بجامعة القصيم.

مناقشة النتائج وتفسيرها

تعد قيم الحوار من القيم الضرورية الواجب غرسها في نفوس طلاب الجامعات، وذلك نظراً لارتباط تلك القيم بكثير من الأمور الحياتية التي ترافق الإنسان من الصغر للكبر، ويسهل له سبل التعايش من حوله على كل المستويات الاجتماعية والدينية والسياسية والفكرية ، وقد تمثل الهدف الرئيسي من الدراسة في التتحقق من توافر قيم الحوار في مقررات الثقافة الإسلامية ، والواجب توافرها لدى طلاب الجامعة، لذلك كان على الباحث وضع قائمة تحليل محتوى مضمونة قيم الحوار التي يجب توافرها لدى طلاب الجامعة، والنظر ثانياً في توافر تلك القائمة في مقررات الثقافة الإسلامية محل الدراسة.

النتائج المتعلقة بالسؤال الرئيس للبحث والذي نص على:

ما مستوى تضمين مقررات الثقافة الإسلامية لقيم الحوار الواجب توافرها لدى طلاب الجامعة؟ « جامعة القصيم نموذجاً »

وللإجابة عن هذا السؤال تم حساب التكرارات والنسب المئوية لتوافر قيم الحوار في مقررات الثقافة الإسلامية لطلاب جامعة القصيم من خلال تطبيق بطاقة التحليل التي تم إعدادها والمشار إليها ، والتي أشارت إلى توافر قيم الحوار في مقررات الثقافة الإسلامية بجامعة القصيم بنسب متفاوتة يوضحها الجدول التالي : جدول رقم (1)

مجتمع تحليل مقررات الثقافة الإسلامية المقررة على طلاب جامعة القصيم

م	المقرر	النظام الاقتصادي في الإسلام	الأخلاق في الإسلام	النظام السياسي في الإسلام	الإسلام وبناء المجتمع	المدخل إلى الثقافة الإسلامية.	النسبة المئوية	عدد الصفحات الخاضعة للتحليل	عدد الصفحات المستبعدة	عدد الصفحات الكلية للمقرر
1							%84,9	141	25	166
2							%91,8	270	24	294
3							%91,3	230	22	252
4							%87,9	204	28	232
5							%91,7	222	22	244
6							%89,5	260	32	292
7							%91,9	125	11	136
	المجموع						%89,9	1452	164	1616

وبالاطلاع على الجدول تبين للباحث تضمين تلك القيم بمقررات الثقافة الإسلامية لطلاب جامعة القصيم بنسب مختلفة، وذلك عائد إلى طبيعة كل مقرر على حدة ، وحقيقة أن هذه النتيجة تشير إلى تلك الحالة العامة التي عهدها على مواطني المملكة العربية السعودية ، وخصوصاً فئة الشباب منهم، من جنوحهم إلى السلم والعيش في استقرار ونبذ التعصب ، وغير ذلك من الأمور التي نشهدها بين أوساطنا، فرغم الاضطرابات التي تصيب المنطقة بين الحين والآخر، إلا أن التوجه العام السعودي يسير نحو المسالمة والمواعدة والتزوع إلى الاستقرار، ومحاولة التعايش مع كل من يرد إلى المملكة للعمل أو للحج والعمرة وغير ذلك، مهمما كانت جنسيته ومهما كان مذهبها

ومهما كان عرقه وأستطيع أن أقول : أن انعدام العنف في المملكة العربية السعودية بأي شكل من أشكاله، إنما هو ناتج من هذه النواتج التي طمحت إليها مقررات الثقافة الإسلامية ، في إشاعة الإسلام والمحبة والمودة لكل من يعيش على أرض المملكة ، وكل ذلك نتيجة حتمية لتضمين قيم الحوار بمفردات الثقافة الإسلامية بجامعة القصيم.

وقد كشفت نتائج هذا البحث أهمية تضمين مقررات الثقافة الإسلامية لقيم الحوار الواجب توافرها لدى طلاب الجامعة ، وهذا مما أكدته الدراسات السابقة في هذا المجال، كدراسة الباني (1428هـ) ودراسة الشاعي (1431هـ)، ودراسة العبيد (1434هـ) ودراسة العودة (1439هـ) وغيرها من الدراسات التي أكدت على تنمية مفهوم الحوار بين الطلاب ضمن المقررات الدراسية، وعن طريق تشجيع إصدار المجلات والنشرات المهمة بالحوار بأبعاده المختلفة، والتي تؤكد على أهمية توسيع مجال الحوار والاهتمام به داخل المؤسسات التعليمية وغيرها ..

توصيات البحث ومقتراحته:

في ضوء هذه النتائج التي أسفرت عنها البحث ، يقدم البحث عدداً من التوصيات التي يمكن أن تسهم في تنمية قيم الحوار لدى طلاب الجامعة، وهي كما يلي :

-أن تتبني وزارة التعليم تشكيل لجنة من أعضاء هيئة التدريس في أقسام الثقافة الإسلامية في الجامعات السعودية من أجل مراجعة وتطوير مقررات الثقافة الإسلامية، للتأكد من تناولها لقيم الحوار الازمة لهذه المرحلة .

-صياغة أهداف محددة لكل مقرر من مقررات الثقافة الإسلامية لتنمية قيم الحوار لدى طلاب الجامعة.

-ضرورة تضمين مقررات الثقافة الإسلامية لقيم الحوار المشار إليها ، إضافة إلى القيم العقائدية والتشريعية ولدعوة والعلمية والسياسية الاقتصادية والأخلاقية والأسرية ، مع نشر توعية بأهمية تنمية قيم الحوار واستحداث الأساليب والوسائل العلمية والدعوية والثقافية المشاركة في تنمية تلك القيم وضرورة العلم على تأهيل عدد من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات السعودية للعمل على تنمية قيم الحوار وتوافرها لدى طلاب الجامعة.

-وضع برامج مستمرة لتنمية في الحوار لدى الطلاب في الجامعات السعودية.

-أهمية تركيز أعضاء هيئة التدريس على الرقي بالقيم الحوارية في العملية التعليمية.

-ضرورة التعاون بين الجامعات السعودية متمثلة بأقسام الثقافة الإسلامية؛ لتبادل الخبرات حلو تنمية قيم الحوار لدى طلاب الجامعة.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- ابن حميد، صالح عبدالله (1415هـ) أصول الحوار وآدابه في الإسلام ، جدة ، دار المنارة.
- ابن حميد ، صالح بن عبدالله (1424هـ): الحوار ملف المعرفة ، ثقافة الحوار وثقافة العنف ، مجلة المعرفة ، العدد (101) وزارة التربية والتعليم ، المملكة العربية السعودية، ص 1-2.
- الباني، ريم خليف (1428هـ) : ثقافة الحوار لدى طلابات المرحلة الثانوية في مدينة الرياض ودورها في تعزيز بعض القيم الخلقية، رسالة ماجستير — غير منشورة — جامعة الإمام محمد بن سعود.
- باوزير ، عادل أبو بكر سعيد (1431هـ) : دور معلم التربية الإسلامية في تنمية قدرات الحوار الوطني لدى طلاب المرحلة الثانوية، الرياض، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني.
- بكار ، عبدالكريم (2004م) : التربية من خلال الحوار ، مجلة الرابطة العدد (464) ، تصدر عن رابطة العالم الإسلامي ، أغسطس 2004م ص 16-19م.
- البدوي ، مني إبراهيم (2000م) : تنمية فتيات الحوار وآدابه لدى طلاب المرحلة الثانوية، (رسالة دكتوراه — غير منشورة — كلية التربية ، جامعة عين شمس).
- التويجري،عبدالعزيز بن عثمان (1431هـ/ 2010م): التواصل الحضاري والتفاهم بين الشعوب ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – ايسسكو .
- جابر، عبدالحميد (1999م): استراتيجيات التدريس الفعال ، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة.
- خلف الله، سلمان(1998م) الحوار وبناء شخصية الطفل: سلسلة المشكلات السلوكية للأطفال ، مكتبة العبيكان، ط1، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- الشاعي، عزام يوسف (1431هـ) : مسؤولية مدير المدرسة في تنمية مهارات الحوار التربوي لدى الطلاب من وجهة نظر مديرى المدرسة الثانوية بالمدينة المنورة، (رسالة ماجستير — غير منشورة — كلية الدعوة وأصول الدين ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة).
- عامر، توفيق (2007م) : الحوار لماذا؟ ندوة التراث العربي والحوار الثقافي ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة تونس، ص 5-12.
- الششري، سعد ناصر (1427هـ) : أدب الحوار ، الرياض ، دار كنوز أشبيليا.
- العبيد إبراهيم عبدالله (1434هـ) : توافق ثقافة الحوار لدى طلاب وطالبات كلية التربية ، بجامعة القصيم وعلاقتها بالتحصيل الدراسي، دراسة ميدانية تطبيقية على طلاب وطالبات كلية التربية بجامعة القصيم ، مجلة رسالة الخليج العربي ، مكتب التربية العربي لدول الخليج. الرياض.

9-8 نوفي بazar، جمهورية صربيا

- العجلان، عجلان بن محمد بن عبدالله 1437هـ : القيم الأصلية في مقررات الثقافة الإسلامية في الجامعات السعودية وسبل تطويرها والارتقاء بها من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس ، مع إيراد تصور مقتبس، (رسالة دكتوراه - غير منشورة - كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة).
- العودة، أروى بنت سليمان بن الحمد (1439هـ) : دور الأنشطة الطلابية في تنمية ثقافة الحوار لدى طالبات المرحلة الثانوية بمنطقة القصيم (دراسة ميدانية)، (رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة القصيم).
- فرحت، يوسف على (1426هـ 7-8 ربيع الأول) : الحوار أصوله وضوابطه وأثره في الدعوة الإسلامية ، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرا العصر ، كلية أصول الدين ، الجامعة الإسلامية بغزة ، فلسطين.
- القحطاني، جواهر بنت ذيب (1430هـ) : دور الأسرة السعودية في تنمية الحوار لدى الأبناء من منظور إسلامي ، الرياض، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني .
- قنديل، يس عبد الرحمن (2000م): التدريس وإعداد المعلم، ط3، دار النشر الدولي ، الرياض.
- المطيري ، سالم بن عبدالرحمن بن عبدالله (1440هـ) : دور ثقافة الحوار لدى المعلمين في حل بعض المشكلات الطلابية بالمرحلة الثانوية ، (رسالة ماجستير - غير منشورة - كلية التربية - جامعة القصيم)
- مكتب التربية العربي لدول الخليج (1429هـ) : نشر ثقافة الحوار لدى العاملين في المؤسسات التعليمية ، الرياض ، مكتب التربية العربي لدول الخليج .
- المشوخي، عبدالله (2005م) الحوار في الإسلام وأثره على الشباب، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن ، حملة التضامن الوطني ضد الإرهاب (الأمن رسالة الإسلام) 1426هـ / 2005م/ ص 225-242.
- نصر، حمدان علي (1997م): أثر استخدام نشاطات كتابية وكلامية مصاحبة لتنمية بعض مهارات القراءة الناقلة ، مجلة كلية التربية ، الجزء الثاني، جامعة الإمارات العربية المتحدة، ص(686).
- وزارة المعارف(1390) وثيقة سياسة التعليم بالمملكة العربية السعودية. الرياض.
- يونس ، فتحي على (2001م) : استراتيجيات تعليم اللغة العربية أسسه وإجراءاته ، سعد سماك للطباعة والنشر ، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

الحوار وأثره في تحقيق السلم الاجتماعي

د. عبدالله بن فهد اللحيدان

المشرف على برنامج التبادل المعرفي -وزارة الشؤون الإسلامية/المملكة العربية السعودية

مقدمة

الحوار منهج إسلامي أصيل، حافظ عليه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في جميع مراحل حياته مع القريب والبعيد والمواقف والمخالف والصديق والعدو، وجعله وسيلة للتعرف فالتألف ثم التعاون ، وهذه المراحل هي جوهر الحوار وثمرته على امتداد العصور، فالآية القرآنية الكريمة (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) أصل في الدعوة إلى تعارف افراد المجتمع و من خلال الالتقاء والحوار، يتحقق المبدأ الإنساني الجميل : (اسمع مني قبل أن تسمع عنّي)، وهذا ما جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يذهب بنفسه إلى أسواق العرب ومنتدياتهم ليعرف بنفسه ورسالته، ويسأل عن أحوال الأمم والشعوب وصفات زعمائهم وقادتها في

عهده .(1)

والتألف ثمرة التعارف؛ لأن النفوس البشرية السوية تتآلف حين تتعارف، ويؤدي ذلك إلى شيع الإحسان وترسيخ التعايش والتسامح بينهم وحين يحصل التآلف يصبح التعاون ممكناً بل أمراً طبيعياً محظياً يمارسونه بينهم لتحقيق مصالحهم وصون مكتسباتهم، ولذا قال تعالى في القرآن الكريم (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعنووا على الإثم والعدوان)؛ ذلك أن الإنسان مخلوق اجتماعي بفطرته يحتاج للتعاون مع الآخرين في جميع مجالات حياته، وقد جاء في حديث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (خير الناس أنفعهم للناس) فجعل نفع الناس مطلقاً – وليس المسلمين وحدهم – سمة ومعياراً للمسلم الحق.

ويتتج عن تعاون ابناء المجتمع مواجهة التحديات والتهديدات ، وإحلال الأمن مكان الخوف ، والاستقرار مكان الفوضى ، والتنمية مكان التخلف والثروة بدل الفقر ، والعدل مكان الظلم ، وقد شارك رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بنفسه في تحالف مع مجموعة من غير المسلمين بمكة على نصرة المظلومين وإنعتهم ، وقال عليه الصلاة والسلام (لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً ما يسرني أن لي به حمر النعم ، ولو دعيت إلى مثله في الإسلام لأجابت) . ومن المعروف أن العالم بأسره وخاصة شبه جزيرة العرب كانت تشهد حروبها كثيرة في زمن نشأة الرسول صلى الله عليه وسلم وقبل بعثته ، فكانت القبائل العربية تتقاول فيما بينها أو مع القبائل الأخرى بسبب أو بدون سبب ، وقد جاء الإسلام الحنيف ليخرج الناس من هذه الحياة الصعبة وينقلهم إلى حيث الأمان والامان

والسکينة، وكان الرسول صلی الله علیه وسلم حريصاً على إبعاد الناس تماماً عن الحروب وعن كل ما يؤدي إليها، وكان صلی الله علیه وسلم أيضاً يبحث دائماً عن الطرق السلمية والهادئة للتعامل مع المخالفين له.

إن إقرار السلام لا يعني انتفاء الحرب تماماً، بل إن الحرب وضعت في الشريعة لحفظ السلام وحمايته من المعتدين عليه، وقد أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين المؤمنين بأن يقاتلوا في سبيله، والله هو السلام، وأمرهم بأن يقاتلوا المعتدين وينصرُوا المعتدى عليهم الآمنين المسلمين.

إن السلام بمفهومه السلمي هو أمنية ورغبة أكيدة يتمناها كل إنسان يعيش على هذه الأرض، فالسلام يشمل أمور المسلمين في جميع مناحي الحياة ويشمل الأفراد والمجتمعات والشعوب والقبائل، فإن وجد السلام انتفت الحروب والصراعات بين الناس، وعمت الراحة والطمأنينة والحرية والمحبة والمودة بين الشعوب.

وفي القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة عدة قواعد وأحكام يبني عليها مفهوم السلام، مما يشكل للمسلمين قانوناً دولياً يسيرون عليه، وهذه القوانين والشروط الواجب توفرها حتى يتحقق السلام تظاهر في المساواة بين الناس، فالإسلام يقرر أنَّ البشر، بغض النظر عن اختلاف معتقداتهم وألوانهم وأسلتهم ينتسبون إلى أصلٍ واحدٍ، فهم إخوة في الإنسانية، ومنه قول النبي صلی الله علیه وسلم (كُلُّكُمْ لِآدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ)، لا فضلٌ لعربيٍ على أعجميٍ إلا بالتقوى).

كما أن الوفاء بالعهود، ومنع العدوان، وإيثار السلام على الحرب إلا للضرورة وإقامة العدل والانصاف، ودفع الظلم، من القواعد الأساسية لتحقيق السلام بين الشعوب والمجتمعات، فلا يعتدي أحدٌ على حق أحدٍ، ولا يظلم أحداً، فالإسلام يسعى دائماً إلى استقرار الأمة الإسلامية، كما يستعى إلى استقرار علاقات المسلمين بالأمم الأخرى.(2)

إن أثر الإسلام في تحقيق السلام الاجتماعي والعالمي يتجلّى في تعزيز التعايش السلمي وإشاعة التراحم بين الناس ونبذ العنف والتطرف بكل صوره ومظاهره، وكذلك في نشر ثقافة الحوار الهداف بين أتباع الأديان والثقافات لمواجهة المشكلات وتحقيق السلام بين مكونات المجتمعات الإنسانية وتعزيز جهود المؤسسات الدينية والثقافية في ذلك.

إن للسلام شأنًا عظيمًا في الإسلام، فما كان أمراً شخصياً ولا هدفاً قومياً أو وطنياً بل كان عالمياً وشموليّاً، فالسلام هو الأصل الذي يجب أن يسود العلاقات بين الناس جميعاً، فالمولى عز وجل عندما لم يخلق البشر ليتعادوا أو يتناحرُوا ويستعبد بعضهم بعضاً، وإنما خلقهم ليتعرفوا ويتآلفوا ويعين بعضهم بعضًا قال تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر واثنثي وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله علیم خبير (13) سورة الحجرات، فالإسلام يدعو إلى استقرار المسلمين واستقرار غيرهم ممن يعيشون على هذه الأرض، ويكشف لنا التاريخ أن جميع الثقافات كانت تواقة من أجل تحقيق السلام.

فالسلام ضرورة حضارية طرحها الإسلام منذ قرون عديدة من الزمن باعتباره ضرورة لكل مناحي الحياة البشرية ابتداءً من الفرد وانتهاءً بالعالم أجمع.

وقد حان الوقت لنقود أجيالنا إلى لغة الحوار تحقيقاً لشعار لا للإرهاب لا للقتل لا للدمار ولا للطائفية والعنف . وفي ورقي سأستعرض بالتفصيل جهود الحوار في المملكة العربية السعودية وأثرها في محاربة التطرف والطائفية وتحقيق السلم الاجتماعي والدولي .

خصائص فكر التطرف

إنّ القاسم المشترك لدعاة التطرف هو ”الاقصاء“، فمذهبهم صحيح لا يعرف الخطأ ومذهب مخالفتهم خطأ لا يعرف الصحة، ومن سلك سبيلهم سلك سبيل الإسلام ومن خالف سبيلهم خالف سبيل الإسلام، وإذا كان ”التسامح“ مع المخالفين في الدين من خصائص الإسلام فهل يعقل أن يقوم الإسلام على ”التسامح“ مع أتباع الملل الأخرى ويفعل ”التسامح“ بين مكونات ”الجامعة الإسلامية“؟ وهل يعقل أن يصل الغرور بفئة من الناس فيحتكرون النجاة لأنفسهم ويرمون سواد المسلمين في ”قمامنة“ ”الهلكة؟ قال صلى الله عليه وسلم (إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم) (على وجهين مشهورين : رفع الكاف وفتحها ، والرفع أشهر ، ويؤيده أنه قال سفيان الثوري فهو من أهلكهم قال الحميدي في الجمع بين الصحيحين : الرفع أشهر ، ومعناها أشد هلاكا ، وأما رواية الفتح فمعناها هو جعلهم هالكين ، لا أنهم هلكوا في الحقيقة . واتفق العلماء على أن هذا الذم إنما هو فيمن قاله على سبيل الإزراء على الناس ، واحتقارهم ، وتفضيل نفسه عليهم ، وتقييع أحوالهم ، لأنّه لا يعلم سر الله في خلقه .

ولا شك أن الإثارة وجه من وجوه تغيب الموضوعية، يلقطها الدين، ويرفضها العقل، ولهذا فإن الواجب على المرء أن يكون قصده كشف الحقائق، ووضع النقاط على الحروف، والدارس لفرق الإسلامية التي ظهرت على مسرح الساحة العقائدية يعلم يقيناً أن من أولى الفرق الإسلامية ظهوراً الخوارج الذين خرجوا من معسكر الإمام علي بعد حداثة التحكيم، ولا تميّنا المسألة من جانبها التاريخي، وإنما الذي يهمنا هو الخصائص التي اختص بها هؤلاء المتطرفين كفرقة من الفرق الإسلامية ومدى استصحاب دعوة التكفير لهذه الخصائص.

يقول محمد أبو زهرة في كتابه (تاريخ المذاهب الإسلامية)

وهذه الفرقة (أي :الخوارج) من أشد الفرق الإسلامية دفاعا عن مذهبها، وحماسة لأرائها، وأشد الفرق تدينا في جملتها، وأشدتها تهورا واندفاعا، وهم في اندفاعهم وتهورهم مستمسكون بألفاظ قد أخذوا بظواهرها وظنوا هذه الظواهر دينا لا يحيد عنه مؤمن ... ولم تكن الحماسة والتمسك بظواهر الألفاظ وحدها ما امتاز به الخوارج، بل هناك صفات أخرى منها : الرغبة في الموت، والاستهداف للمخاطر من غير داع قوي يدفع إلى ذلك ... وإنه من الحق أن الإخلاص كان سمة الكثرين منهم ولكنه إخلاص يصاحب الانحياز إلى ناحية معينة قد استولت على مداركهم ... وقد كان التعصب يسود جملتهم فهم لا يُسلّمون لخصومهم ولا يقتنعوا بفكرة مهما تكن قريبة من

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

الحق، أو واضحة الصواب، بل لا تزيدهم قوة الحجة عند خصومهم إلا إمعاناً في اعتقادهم وبحثاً عمّا يؤيده، والسبب في ذلك استيلاء أفكارهم على نفوسهم وتغلغل مذاهبهم في أعماق قلوبهم، واستيلاؤها على كلّ موضع تفكيرهم وطرق إدراكيهم، وكان فيهم مع ذلك لدد وشدة في الخصومة تمثلّ نزعتهم البدوية. وقد كان ذلك من أسباب تحيزهم إلى جانب فكرة واحدة والنظر إليها من هذا الجانب وحده غير معتبرين سواه ... وكانوا كما أشرنا يتمسّكون بظواهر القرآن، ولا يتجاوزون ذلك الظاهر إلى المرمي والمقصد والموضوع، وما يظهر لهم بادئ الرأي يقفون عنده ولا يحيطون عنه قيد أنملة ... وكانوا مع فصاحتهم يطلبون علم الكتاب والسنة، وفقه الحديث وآثار العرب ... فهم كانوا يحاولون أن يعرفوا علم القرآن والسنة من أهل الخبرة ولكن لأنّ أنظارهم جانبية لم ينتفعوا به انتفاعاً كاملاً. (3)

والحق أنّ هذا الصيغة يُبيّن بجلاء خصائص الخارج كما تصورها كتب الفرق الإسلامية، وإذا إسقطنا خصائص الخارج على دعوة التطرف نجد تطابق كبير. (4)

فرضاً أنّ دعوة التطرف من أشدّ الناس تدينا في الجملة، فتجدهم يحرصون حراساً منقطع النظير على تحقيق شكل ومظاهر الشريعة وكأنّه المقصود من وراء العبادات والتکاليف، ولهذا تراهم يُسرفون في رمي مخالفاتهم بترك وإهمال السنن النبوية، لأنّهم لم يُحقّقوا شكل الشريعة مثلهم وإنّما حُقّقو مقاصدها الذي هو لبّها ومعناها، ألم يصرخ عبد الله بن مسعود في الناس لما رأى سلم الأولويات بدأ في الاحتلال قائلاً: أَنْتُمْ أَكْثَرُ صِيَامًا وَأَكْثَرُ صَلَاةً وَأَكْثَرُ جِهَادًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ كَانُوا خَيْرًا مِنْكُمْ، قالوا: لِمَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قال: كَانُوا أَرْهَدَ فِي الدُّنْيَا وَأَرْعَبَ فِي الْآخِرَةِ.

وإذا دعوة التطرف من أشدّ الناس تهوراً واندفعاً ، ولهذا حكموا على مخالفاتهم بالكفر وقاموا برميهم في النار، والمشكلة كلّ المشكلة في اعتقادهم أنّهم هم الممثل الشرعي والوحيد للإسلام مما جعلهم يتّهرون ويندفعون، ولو قدر للغشاوة أن ترفع عن أبصارهم لتبيّن لهم أنّ الإسلام براء منهم.

وإذا دعوة التطرف من أشدّ الناس رغبة في الاستهداف للمخاطر من غير داع قوي يدفع إلى ذلك، وتلك هي آفة الذين يتّهبون أنّ ما يُقدمون عليه هو الحق وماذا بعد الحق إلا الضلال، والحقيقة أنّ "واقعة الحديبية" درس عملى لكلّ الذين يسارعون برمي أنفسهم في أتون المخاطر من غير داع قوي يدفع إلى ذلك، ولو قدر لدعوه التطرف شهود، "صلح الحديبية لا حتّجوا على رسول الله غداة توقيعها.

وإذا دعوه التطرف من أشدّ الناس الذين يسود التّعصب حوارتهم فتراهم لا يسلّمون لمخالفاتهم ولا يقتنعوا بفكرة مهما تكن واضحة الصواب، بل لا تزيدهم قوة الحجة عند مخالفاتهم إلا إمعاناً في أرائهم وبحثاً عمّا يؤيدها والسبب في ذلك استيلاء أفكارهم على نفوسهم وتغلغل مذاهبهم واستيلاؤها على كلّ موضع تفكيرهم وطرق إدراكيهم.

وإذا سطعت هذه الحقائق بعد هذه المقارنة تبيّن لنا مدى قرب دعوة التطرف من الخوارج، وظهر بما لا يدع أيّ مجال للشك أنّ هناك أكثر من تطابق بين الخوارج ودعوة التطرف .. إنّهما خرجا من رحم واحد.

جهود المملكة في محاربة التطرف، وتعزيز ثقافة الحوار

سعت حكومة المملكة العربية السعودية خلال العقدين الماضيين في العمل الجاد والبناء المثمر في محاربة ظاهرة التطرف والاقصاء والدعوة الى الحوار ففي عام 2008 افتتح الملك عبدالله رحمة الله في مدريد بأسبانيا المؤتمر العالمي للحوار بين الأديان ، وقال في كلمة الافتتاح : إن معاناة البشرية لا يمكن أن يكون سببها الدين ، وقال : إن المأسى التي مرت في تاريخ البشر لم تكن بسبب الأديان ، ولكن بسبب التطرف الذي ابتلي به بعض اتباع كل دين سواء سماوي وكل عقيدة سياسية . ودعا رحمة الله تعالى إلى حوار بناء مشمر بين أتباع الديانات . كما قامت وزارة الشؤون الإسلامية وبتوجيهات من خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان وولي عهده الأمين الأمير محمد بن سلمان وبقيادة معالي الدكتور عبداللطيف آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والارشاد بالعمل على ثلاثة اصعدة الصعيد الاول مكافحة خطاب التطرف والكراهية حيث شكلت في الوزارة لجان شرعية على مستوى المناطق وللجنة المركزية في المقر الرئيسي لمراقبة خطباء الجماعات التي تزيد على خمسة عشر الف جامع واحالة من ينهرج خطاب التحرير والتطرف لمناقشته في اللجان الشرعية ويقاع العقوبة المناسبة لمخالفته المنهج الشرعي الاسلامي الصحيح الذي يدعو للرفق والرحمة الصعيد الثاني تدريب واعادة تدريب الائمة والداعية على الاساليب الشرعية الصحيحة للدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة اما الصعيد الثالث فهو انشاء برنامج التبادل المعرفي الذي يهدف الى التواصل مع الجامعات والمراكز الاكاديمية والعلمية واتباع الاديان الاخرى لايضاح دعوة الاسلام للسلام والتعايش . وكانت هيئة كبار العلماء قد أصدرت بيانات متعددة حول التطرف بينت فيه المنهج الاسلامي بالدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وفي إطار جهود المملكة في محاربة فكر التطرف من خلال الحوار، تم إنشاء مركز محمد بن نايف للمناصحة والرعاية عام 2006 م من أجل تصحيح وتوعية أفكار المغرر بهم بالأفكار المنحرفة ، ويقوم بدمج المستفيدين بالمجتمع تدريجياً تمهدًا لجعلهم مواطنين صالحين.

ويعد المركز الأول من نوعه الذي يعمل على تصحيح أفكار وتأهيل أعضاء الجماعات المتشددة خاصة المحكومين في قضايا عنف بالمملكة، ويؤدي دوراً مهماً في تصحيح المفاهيم، والمراجعات الفكرية والدينية للعناصر المتشددة.

كما تم إنشاء مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني في العام 2004 م لتعزيز الوحدة الوطنية وحماية التسليح المجتمعي من خلال ترسیخ قيم التنوع والتعايش والتلاحم الوطني وهي الرسالة التي يعمل عليها مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني بدأب وفاعلية ، في وقت تواجه فيه المملكة الكثير من التحديات الإقليمية والدولية، التي

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

تضع المجتمع السعودي أمام مسؤوليته في الحفاظ على قيم الوحدة والثوابت الوطنية . ومن هنا بزرت أهمية الحوار الدائم بين شرائح المجتمع، للعمل الجاد والإسهام في قراءة ما يجيش به الواقع من إشكاليات وقضايا.(5)

والخريطة الحوارية التي رسمها مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني لا تصنع تضاريس أو أسوارا مغلقة بين اتجاه آخر، فالمركز يقف على مسافة واحدة بين مختلف الأطياف الفكرية، لأنه يجعل المواطن أساساً ترتكز عليه حواراته، ويدعو دائماً ، بشكل مباشر أو بشكل ضمني إلى أن يصل الحوار إلى تحقيق مبدأ احترام الرأي والرأي الآخر، والإعلاء من قيم التسامح، وصولاً إلى تحقيق التلاحم الوطني وتمتين أواصر التفاعل الاجتماعي بين مختلف الشرائح الوطنية . إن هذه الخريطة الحوارية تشارك في صنعها معظم الأفكار ومعظم التيارات داخل الوطن التي تمحو الأهواء الذاتية، وتعلّي من شأن الصالح الوطني العام . ولقد كشفت اللقاءات الوطنية للحوار الفكري التي عقدها المركز طوال السنوات الماضية، كشفت عن الحاجة الملحة للتواصل والتفاعل بين شرائح المجتمع . ففي أعوام ماضية كانت هذه الشرائح تعمل وفق دوائرها المغلقة عليها، كل حسب مجال اهتماماته وشخصه . مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني استطاع أن يجمع كل هذه المجالات في حوارات حقيقة . استطاع أن يقارب بين المذاهب والتيرات، واستطاع أن يجمع مختلف الفئات في حوار منتظم، فرأينا الأكاديمي إلى جوار المعلم، جوار المحامي، ورجل الأعمال، والطالب الجامعي، جوار الموظف، والطبيب والمهندس، والداعية، والواعظ، والشيخ، والمفكر، من الجنسين.

إن هذه الحوارات أفضت إلى تفاعل كبير، وإلى الوصول إلى قدر كبير من الأفكار والتصورات في مختلف اللقاءات التي عقدها المركز والتي يحتفظ المركز برصدتها ووثائقها . حاضنة فكرية ومركز لتوليد الأفكار : لقد نظم المركز وفق استراتيجيته الحوارية عشرات اللقاءات الحوارية الفكرية والدورات التدريبية، وقد شارك في نشاطاته أكثر من 500000 خمسمئة ألف مواطن ومواطنة من مختلف الشرائح والفئات الاجتماعية والعمريّة، يمثلون الأطياف الفكرية للمجتمع .

كما بذلت وزارة التعليم جهوداً لتوسيع الطلاب والطالبات بخطورة التطرف وحرمتها في الإسلام والآثام التي تقع على مرتكبيها وتحث المعلمين والمعلمات على توعية الطلاب والطالبات بذلك وتوجيههم إلى الطريق الصحيح وغرس حب الوطن في نفوسهم وان ينتقل التعليم من اسلوب التلقين الى اسلوب الحوار

وقد أصدرت المملكة جملة من الأنظمة والتعليمات واللوائح لاستخدام شبكة الإنترنت والاشتراك فيها بهدف مواجهة التطرف والاقصاء والترحيب بالرأي وال الحوار.

حفظ السلم الاجتماعي من خلال الحوار

التطرف من اعظم الاسباب التي تخل بالسلم الاجتماعي . حيث تقوم فئة صغيرة متطرفة بالنظر الى المجتمع وانه خرج عن القيم المثلية ويجب محاربته بكل السبل بما فيها استخدام العنف . والتطرف ظاهرة عالمية ليست قاصرة

على العالم الإسلامي فقد رأينا مؤخراً ما حدث في نيوزلندا من ارهاب ضد المسلمين قام به متطرفين بيض .اما أسباب التطرف في العالم الإسلامي فنعود غالباً إلى عدة أسباب من أهمها:

- الإعلام - الانترنت - الصحبة السيئة - الجهل بتسامح الإسلام ورحمته بالمخالفين - بعض الأمراض النفسية - المخدرات.

علماً أن هناك أسباب أخرى إلا أن هذه أهم الأسباب الفكرية والنفسية للتطرف.

ويعزى انتشار التطرف إلى توظيف الجماعات المتطرفة لعاملين أساسيين:

- استغلال العاطفة الدينية والعصبيات عند الشباب والمرأة في إظهار الصور المحزنة المستفزة في العالم الإسلامي مثل القتل والحرب والتشريد.

- تصريح أخطاء الدول والحكام وتوظيفها في خلق الكراهية لمواجهة الحكومات.

ويمكن معالجة التطرف من خلال الحوار على النحو التالي (6)

- تصحيح المفاهيم الخاطئة بطرح الأدلة من القرآن والسنة والواقع والحقائق.

- إعطاءهم الأصول والأسس العلمية التي تحميهم من الوقوع في الانحراف مستقبلاً.

- خلق الثقة بين المستفيدين ومحاورיהם وذلك بإعطائهم الحرية الكاملة في الحوار والسؤال بكل شفافية ووضوح.

- محاولة إظهار حجم الخطأ الذي وقعوا فيه وذلك ببيان مخالفتهم للأدلة الصحيحة وإبراز ما سيترتب عليه من النتائج والآثار السيئة والخطيرة.

- محاولة إظهار التناقض في أقوالهم وأفعالهم وذلك بسؤالهم عن بعض القضايا المشابهة لقضاياهم التي تورطوا فيها فيحكموا فيها بأحكام أخرى مخالفة ليتبين بذلك خطأوهم وبالتالي تراجعهم.

- طرح بعض الأسئلة المتعلقة ببعض الأحكام القانونية أو الشرعية ليتضيح لهم أفاق الشريعة ورحمتها وعدلها وتسامحها.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الهوامش

- 1- د عادل الشدي 1438
- 2- سلطان حميد الجسمي 2015
- 3- محمد ابوزهرة 2009
- 4- احمد رشيق بكيني 2017

9-8 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

5- مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني 2016

6- د محمد الفيفي 1440

المراجع:

1- مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني 2016

دور مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني في تحقيق التلاحم والتعايش الاجتماعي

<https://www.kacnd.org/News/NewsDetails/1292>

2- د محمد احمد الفيفي جهود المملكة في محاربة التطرف والكرهية
<http://kep.org.sa/?p=16973&lang=ar>

3- سلطان حميد الجسمى الاسلام دين السلام صحيفة البيان 9 مايو 2015

4- د عادل الشدي التبادل الثقافي في الاسلام مجلة التبادل المعرفي العدد السادس ربيع الثاني 1438 هـ

<http://kep.org.sa/wp-content/uploads/magazine/ar/arabic6.pdf>

5- د عبد العزيز التويجري الحوار من أجل السلام جريدة الحياة عدد 29 سبتمبر 2018

6- د خالد البديوي الحوار وبناء السلم الاجتماعي منشورات مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني الرياض 2011 م

7- محمد المؤمني السلم الاجتماعي في الاسلام نور للنشر 2018

8- محمد ابوزهرة تاريخ المذاهب الاسلامي دار الفكر العربي/القاهرة -2009/-

9- احمد رشيق بكيني 2017 دعوة التكفير في مستنقع الاستصحاب التاريخي

صوت الحكمة مركز للحوار والسلام في الأمانة العامة لمنظمة التعاون الإسلامي

<http://www.oic-cdpu.org/ar/Home>

دور القيم الاجتماعية و الدينية في تعزيز الإرشاد التربوي الأسري وتنمية ثقافة التضامن

في المجتمع الجزائري مقاربة سوسيولوجية في مدينة معسكر أنموذجًا

ذة. ميموني شهرزاد

جامعة مصطفى اسطنبولي معسكر / دولة الجزائر

مقدمة:

من المجتمع الجزائري بأزمنة تاريخية مختلفة كلها ساهمت في ترقيع هويته الثقافية ، و كان للاستعمار عميق الأثر فتغير بذلك الوجه الجزائري و راح يتخبط في ثنائيات لم يكن يعرف منها سوى أحادية ريف / مدينة ، جماعة / فرد ، عصبية / استقلالية؛ فدخل بذلك مفهوم المدينة بكل ما يحمله من تناقضات .

ولمّا كان الدين الإسلامي هو الدرع الواقي لهذا المجتمع وثلاثية ابن باديس "الجزائر وطننا العربية لغتنا الإسلام ديننا" إرثا ثقافيا صعبت مهمة التناقضات و غدت الطريق وعرة أمامها.

ما يهتمنا هو ما مدى تجذر مفهوم الجماعة في مقابل مفهوم الفرد ، ومفهوم العصبية في مقابل مفهوم الاستقلالية ، و القيم الدينية في مقابل القانون، وما حدود قيمة التعاون في ضبط السلوك الفردي والمحافظة على العلاقة العصبية ؟ أم أنّ الأمر توفيقي بين هذا و ذاك؟

تحتل القيم الدينية مكانة هامة في حياة الأفراد فهي بمثابة المعيار الضابط لسلوك الأفراد في المجتمع ، إذ تقاس المجتمعات بدرجة تمسكها بالقيم الدينية خاصة على المستوى الممارساتي التعاون قيمة دينية اخترناها لتكون محكّما للدراسة و معرفة مدى ارتباطها بالفضاء المدني المعسكري.

وهذا ما يعطي الموضوع أهمية القيم الدينية من جهة خاصة التعاونية منها وارتباطها بالمدينة كقضاء حضري.

اعتمدنا على خطة تضمنت مقدمة عامة تحتوي على أهم آليونات الموضوع :

- القيم الدينية.
- سوسيولوجيا المدينة
- التعاون و العلاقات الإنسانية عند ساكنة مدينة معسكر
- الفردية و العلاقات اللاشخصانية عند ساكنة مدينة معسكر.

الإشكالية:

أحدث الاستعمار الفرنسي في المجتمع الجزائري نوع من النقلة النوعية في ظل حملاته التحديثية التطويرية برم مفهوم الفرد بكل معاني الاستقلالية والاستحقاقية فتغير بذلك وجه المجتمع من المجال العام إلى المجال الخاص.

فال المجال العام يقوم على القيم الدينية التعاونية نابعة من النص الإسلامي قال تعالى: "تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان" (المائدة ٥٢) إلى مجال خاص قوامه الفردانية، المصلحاتية، الاستقلالية، فكيف إذن يلتقي العام بالخاص على أرضية مدينية؟ هذا ما يستوقفنا لطرح التساؤل الاشكالي التالي: ما مدى مزاحمة التعاون كقيمة دينية فردية والاستقلالية كقيمة مدينية في المجتمع الجزائري؟ كيف تساهم الأسرة من خلال ارشادها التربوي في تعزيز ثقافة التعاون؟

^١ - الفرضيات:

- إذا كانت المدينة مفهوم غربي بامتياز، أساسه الفردانية والاستقلالية فإن التعاون كقيمة دينية متتجذرة في النص الإسلامي تقوم من خلاله ساكنة المدينة بمارسته وتفعيله في المجتمع.
- تساهمن الأسرة من خلال تنشيتها الاجتماعية وإرشادها التربوي على غرس قيمة التعاون في أفرادها باعتبارها خلفية مدينية، قوامها الفردانية.

أهداف الدراسة:

- ابراز ثقافة التعاون كقيمة دينية مقتبسة من النص القرآني وطريقة تفعيله في المدينة.
- مكانة الأسرة ودور وسائلها التنشئية في الارشاد التربوي وتعزيز ثقافة التعاون داخل المدينة
- تسلیط الضوء على المدينة باعتبارها ظاهرة حضرية ، يمارس فيها قيم متنوعة ،على رأسها القيم الدينية (التعاون) - **المنهج:** تم اختيار المنهج الكيفي نوعه وصفي تحليلي لأنه الانسب لهذا النوع من الدراسات.
- **تقنيات البحث:** الملاحظة المنظمة و المقابلة النصف موجهة.

- **جتمع البحث:** إن مجتمع بحثنا هو منطقة "عين البيضاء" بمدينة معسكر دولة الجزائر.
- **العينة :** تم اختيار عينة مكونة من 20 حالة من بينهم 09 ذكور و 11 أنثى تم اختيارهم وفق أسلوب المعاينات الغير الإحتمالية ، نوعها قصدية .
- **البعد المكاني :** مدينة معسكر - دولة الجزائر.-
- **المقاربة النظرية :** الوظيفية.
- **النظرية الوظيفية السوسيولوجية:** ترتكز على دراسة الوظيفة السوسيولوجية للأنساق والبناءات السوسيولوجية مهما كان حجمها Marco Micro Analise روادها "براؤن مالنوفسكي ، باريتو، بارسونز، ليفي ستروس، ميرتون، هومانز"

- ركزوا على دراسة الأنساق أو المجتمعات الكبيرة، بينما تدرج كتابات كل من "ليفن" "زاندر" في دراسة المجتمعات الصغيرة، لكن كتابات "روبرت ميرتون" R.Merton تدرج ضمن ما أسماه بالنظريات المتوسطة والتي تجمع بين النظريات الكبرى والصغرى²

4- تحديد المفاهيم:

- في هذا العنصر المتعلق بتحديد المفاهيم سندرج على أهم المفاهيم وهي كلمات مفتاحية في رحلتنا البحثية هذه:

Valeurs Religieux	- قيم دينية
La ville	- مدينة
Ville Islamique	- مدينة إسلامية
L'espace	- مجال
Pratique	- ممارسة
Habitants	- ساكنة
Corporation	- تعاون

- **القيم الدينية valeurs Religieux :** هي القيم المنبعثة وال المؤسسة على أساس ديني، فهي اهتمام الفرد بمعرفة ما وراء العالم الظاهري، لأنه يريد معرفة أصل الإنسان ومصيره، ويرى وجود قوة خفية تسيطر على العالم الذي يعيش فيه، ويحاول الارتباط بهذه القوة بصورة معينة¹. فالأشخاص المتميزون بهذه القيم الدينية يقتلون تماماً بوجود الإله، كما أنهم ينفذون تعاليم دياناتهم بدقة ، تنقسم القيمة الدينية إلى شقين أساسين أولهما عقائدي وثانيهما تفكيزي² في القرآن الكريم يقول تعالى: "فيها كتب قيمة" سورة البينة الآية 3³ "الدين القيم" سورة البينة الآية 4⁴ ، وبالتالي فالإسلام كدين يعمل على إعلاء رأية القيم وجعلها في قمة النسق القيمي.

- المدينة: la ville

يعالج مصطلح المدينة سوسيولوجيا على أنه مرادف لـ *cité*، ترى أن المدينة تعمل ذلك الحس التاريخي، وفي الوقت الحاضر هناك نوع من التجزئة أو التفرقة النوعية⁵ يعرف"la ville" " Village" Muriel Montero لكنها ليست من ذات المعنى فهي من طبيعة مختلفة، يمكن تعريفها كمكان للإقامة، أين تعيش مجموعات تمتلك مهن مختلفة، ثم هي مجال مقسم: أماكن عامة، مقدسة وأخرى خاصة⁶ ، والمدينة في التعريف السوسيولوجي الغربي عند M. Weber قائمة على عقلانية وسائلها الاستحقاقية والكفاءة واللاشخصانية، تخصص وتقدم في التخصصات.

¹- ثريا التيجاني: القيم الاجتماعية والتلفزيون في المجتمع الجزائري- دار الهدى عين مليلة- الجزائر- 2011- ص69.

²- محمد شفيق: البحث العلمي مع تطبيقات في مجال الدراسات الاجتماعية- المكتب الجامعي- مصر- 2005- ص159.

³- القرآن الكريم.

⁴- القرآن الكريم

⁵- Madeline Grawitz: lexique des sciences sociales- 7e éditions Dalloz-2000- p62.

⁶- Muriel Montero: la ville – collection dirigé par pierre le Guérinel – Ellipses 2dition Marketing S.A Paris- 2002-p07.

8-أبريل 2019 -نوفي بزار. جمهورية صربيا

- يطرح هشام جعيط من خلال "الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية" على أن المدينة الإسلامية لها مميزات وخصائص مختلفة انغلاق الدار، توجد الأماكن العمومية بالمركز انقسام المدينة إلى أحياء. فالرؤية القديمة تنفي عن الإسلام وجود حياة حضرية حقيقة¹ إلا أن المدينة العربية الإسلامية "هي نتاج تمازجات حضارية مختلفة. إلا أن دراسة المدن الإسلامية في العصر الحديث ارتبط بحركة الاستشراف، وتضاربت آراء الباحثين حوله، فمنهم من رأى أن الحضارة الإسلامية ضد التمدن ومنهم من اهتم بإبراز دور الإسلام في تاريخ التمدن "فلومبارد" أشاد باهتمام الإسلام بالتمدن وازدهار التمدن الإسلامي ، "جانيت" تبين أن الإسلام دين تمدن، وإشارة للربط بين المدينة والإسلام عرج على التعريف الفقهى للمدينة.

أكّد "سبنسر" أن إنشاء المدن علامة على تمسّك المسلمين بدینهم الفريد بخصائصه مظهر المدينة الإسلامية يتمثل في نوع السكن "بيت مقام على عدة أدوار تحيط بالفناء المركزي، وفي الغالب ما يكون ملحق به بركة ما، ومواجه للداخل بعيداً عن ضجيج الحياة العامة وجليتها، أما شكل البيت فكان يتماشى مع متطلبات المناخ والحياة الأسرية والعقدية الإسلامية"²

سنعرض فيما يلي مفهوماً ذا صلة بمفهوم المدينة، وهو مفهوم "المجال" أو ما نجده تحت اسم آخر "الفضاء" وهو واحد من المفاهيم المتداولة في مجال البحث المديني.

المجال: l'espace

رأى Henri lefeuvre رائد الطرح المجالي أن دراسة المجال "ما هي إلا دراسة للمجال الاجتماعي الذي يحمل علاقة الإنتاج وإعادة الإنتاج الاجتماعي سواء تعلق الأمر في ذلك بالجوانب البيوفيزiolولوجية التي تنظم علاقة الجنسين أو علاقات الإنتاج وإعادة الإنتاج بتقسّمات العمل وتنظيماته فالمجال إذن ذو وظائف اجتماعية متراقبة".

- بنظرية جغرافية Lacoste لا يعبر عن المجال بـ "الإستراتيجية" فال المجال الفيزيقي هو مكان للتصارع تسعى المجموعات المتناثرة للسيطرة عليه ولتنظيم مختلف القوى الاجتماعية فيه".

- بنظرية أنثروبولوجية P. Bourdieu يعبر عن المجال " مجرد مجموع فرعى تابع لنسيق اجتماعي كلى محكم بنفس القوانين الاجتماعية ومتراكب بصفة لصيقة مع العوامل الأخرى الخاصة بذات البناء الاجتماعي " رأى M. Castells أن نظرية المجال جزء ضمن نظرية اجتماعية شاملة" أما علماء الاجتماع الحضري بفرنسا أمثال Maffesoli ، Rémy, Javeau, Cholas, Noschis la ville " يؤكّدون على "اجتماعية البنى المجالية بدلاً من مجالية البنى الاجتماعية"³ من جهته عبد النور جلولي* في نسجه الخيوط "المدينة الغائبة"

¹- هشام جعيط: الكوفة "نشأة المدينة العربية الإسلامية"- دار الطليعة- بيروت- ص ص 146-152.

²- لوجلي صالح الروي: علم الاجتماع الحضري- ط 1- دار النهضة العربية بنغازي- 2002- ص ص 193-194-198.

³- مختار مروف: الرابط الاجتماعي وعلاقته بالمكان- قراءة سوسيولوجالية في مشكل هذه الرابطة بالجزائر- منشورات كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية 2008

* - مهندس معماري، مهتم بالسكن الاجتماعي في الجزائر.

يطرح جملة مفاهيم ذات صلة "بالمجال": ترك المجال abandon de l'espace، حرية المجال séparation de l'espace¹، التفرقة المجالية libération de l'espace -المجالية spatialité يقول عنها "Jacques Levy" و "Florence Haegel" من خلال مصنفهما "Une lecture spatiale des identités" أنها مأخوذة من كلمة Espace هذه الأخيرة التي تعد بمثابة خزان رئيسي

- الممارسة : pratique

"l'habiter comme pratique des lieux" من خلال مصنفه "Mathis stock" يعطي للممارسة صيغة جغرافية فيريطها بالسكن Habiter يقول أن ممارسة الأماكن تظهر انطلاقاً من منبعين عظيمين:

(1) Michel de Certau (1990) الذي يرتكز على فكرة محورية هي أن المجال هو إطار ممرّس l'espace est un lieu pratiquer يقول المكان يصبح فضاء إذا دخلت عليه الممارسات.

(2) المنبع الثاني يظهر من خلال تساؤلات Werlin (1996) الذي يهتم بـ "ممارسة الترسيخ في العالم" مواضيع معنية تضعها في علاقة مع العالم

بالنسبة لـ M. Stock مجموعة الممارسات التي يقوم بها الفرد تعرف بـ "نمط الإسكان" ويضيف أن الفرد لا يسكن فقط في المكان الذي يسكن فيه فمهما كانت ممارسته للأماكن فهي تسهم في الإسكان² فكيف ستتبّدّى إذن ممارسات الأفراد العسكريين؟ ، أين ستصنّفها في الجانب المدني أم الدينى؟ أم أنها خليط من هذا وذاك؟

- ساكنة les habitants: أولاً لابد من الإحاطة بمصطلحات ذات علاقة habitat, habiter من خلال مؤلفه السابق: على أن مصطلحات "Habitat" و "Habiter" لهما استعمال مشترك في الجغرافيا.

Habiter هو امتلاك سكن والعيش فيه. Habitat هو المكان الذي نشغله، نعيش فيه، نعطيه معانٍ، يصبح مكاناً مأهولاً لنا بمعنى آخر هو ترتيب السكن به نميز بين السكن الحضري والريفي وبطريقة أكثر كلاسيكية habitat هو "مجموع وترتيب السكنات" في الدراسات المعاصرة للجغرافيا الحضرية أو السوسيولوجيا الحضرية يعرف "habiter" شغل سكن أو "إقامة" السوسيولوجيا الحضرية في سنوات 1960 قدّمت عدّة دراسات مهمّة حول أنماط السكن مقارنة بالجماعات

¹Abdenour Djellouli : La ville absente – Esprit Saniter 1995 –pp.48.61

* جغرافي، مهتم بالسكن والإسكان وممارسة الأماكن.

³ - Mathis stock: l'habiter comme pratique des lieux géographique – Espaces temps.net textuel, le 18/12/2004, http://espaces temps.net/document1138, html pp 1 – 12.

السكنية الكبرى فمسألة السكن لها مميزات فليس كل من هبّ ودبّ يسكن. بالنتيجة "السكّان" أو "السّاكنة les habitants هو الذين يقيمون في مكان ما وبالتالي هذا الوضع يخولهم بمجموعة من الحقوق كالمشاركة في الاقتراع وتأدية واجب "الوطنية"

تعرف "لি�تابان lita Bane" خبيرة الإسكان بمجال العلوم المتنزية في الهند، المنزل : أنه المكان الذي يقيم فيه أفراد تربط بينهم روابط حب وتعاطف وهو المكان الذي تتبع منه علاقة المحبة بين الأبوين وبين كل فرد في الأسرة التي تسعد بها الأطفال والكبار ، وهو المكان الذي تتم فيه استضافة الأهل والأصدقاء وهو المكان الذي ينعم فيه الفرد بالراحة والخصوصية والذي يشعر فيه بالأمان، وهو المكان الذي يسعد فيه الفرد بمارسته هوياته أو هو المكان الذي يحفظ فيه الفرد خزانة ماله، وهو المكان الذي يشع فيه الفرد فرديته ويرضى بها، وهو المكان الذي تحفظ فيه الثقافات الأساسية ومكونات العادات واللغة والتقاليد ثم تتناقل للصغار، وهو المكان الذي يشعر فيه الفرد باحترام الآخرين والوفاء والإخلاص والأمانة وأشياء أخرى ، يشعر ويستمتع بها الفرد. إنه مصدر العطاء والوفاء ومكان لممارسته الهوائيات والخلق والإبداع" فالسكن هو رمز الهوية الشخصية والأسرية¹

7-7 التعاون Corporation

هو عملية اجتماعية تمثل شكل من أشكال العلاقات والتفاعل داخل الجماعات، وهو اشتراك فردين أو أكثر في إنجاز أو تحقيق غاية أو مصلحة مشتركة . التعاون كمفهوم له ارتباط بمفاهيم مختلفة كمفهوم التضامن، هذا الأخير الذي يحمل معنى التأثير والتأثير، فهو عند بعض علماء الاجتماع نوعان:

ميكانيكى أي آلي فيه يندمج الفرد في مجتمعه ويأخذ بعاداته وتقاليده، وعضوياً يقوم على تقسيم العمل وبالتالي الالتزام بالوظائف والواجبات ، حيث يقول "ليون بور جوا" عن التضامن" أن الشخص يولد وعليه دين المجتمع الذي يدخل فيه، وهذا الدين الذي في ذهنه نحو الحاضر يتحتم عليه أن يدفعه للمستقبل وذلك بعمله على زيادة الأموال المادية والمعنوية التي ستختلف للأجيال القادمة"²

القيم الدينية والإسلام :

يعد الإسلام من أقوى الضوابط الاجتماعية التي تجعل الناس يتزمون بالقيم الحميدة والأخلاق الفاضلة، هذه القيم والأخلاق هي مصدر الممارسات والأفعال و مختلف العلاقات، فالالتزام المسلم بقيم الصدق والأمانة والإيثار، فهذه القيم لا تحدد طبائعه الأخلاقية فحسب بل تحدد أيضاً سلوكه وعلاقاته وتفاعلاته وسط الجماعة والمجتمع. عادة تبعث القيم والأخلاق من عدة مصادر أهمها الدين والتراث والعادات والتقاليد الاجتماعية والواقع الاجتماعي، فموضوع القيم في الإسلام هو حملة المبادئ والقواعد الأخلاقية والتي من خلالها يتحدد الحسن والقبح والعدل و الظلم و الحرية و المساواة والعدالة ...

¹ عبد القادر القصيري: الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية -ط1- دار النهضة العربية بيروت - 1999 - ص 169-170.

² حسين عبد الحميد أحمد رشوان: الدين والمجتمع "دراسة في علم الاجتماع الديني" - مركز الإسكندرية للكتاب-2004، ص ص 148-149.

فالدين الإسلامي على الوجه العام هو تلك الصلة بين الفرد و ربّه، اجتماعياً هو تلك الصلة بين الفرد و من حوله من أفراد، من خلال هذه الصلة يتبيّن مدى نظر الفرد لمصالحه الخاصة دون إهمال نفسه، و مدى مأثيرته لآخرين، قيمة الإيثار، وتغليب المصلحة العامة وهذا من خلال قيمة "العدل".

قياساً على المجتمع الجزائري ضعف قيم العدل فيه قلب الموازين، حيث انتشرت آفة اللصوصية "السرقة"، انتشار العنف، و بالتالي غياب العدل الذي يبحث عليه الدين دليل على ضعف الوازع الديني.¹

فإلاسلام بقيمه الدينية السمحاء من حرية ومساواة وعدالة، يلتقي مع الديانة اليهودية، هذه الأخيرة التي تؤكد على قيمة العمل من خلال "المترافق في عمله هو أخو المسرف" ، التأكيد على قيمة الصدقة قيمة العدل.

وكذا مع الديانة المسيحية من خلال قيمة التسامح، حيث يقول المسيح عليه السلام : "أحبوا أعداءكم، باركو لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، و صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم و يطردونكم". قيمة المساواة من خلال المبدأ القائل "ما لقيصر لقيصر و ما لله لله".²

4-1 أهمية القيم الدينية :

على اعتبار أنّ القيم الدينية بناء نظري وسلوك وعمل تطبيقي، فإنّها ذات أهمية بالغة في حياة الفرد والمجتمع، أهمية لا يمكن تجاهلها سواء على مستوى الفكر أو على مستوى التطبيق، سلطتها في الستور الموالية.

يذكر محمد كامل حتة بعضاً منها من خلال مؤلفه، "القيم الدينية والمجتمع" فباتت القيم الدينية لا تغّيرها ولا تبدلها هي جوانب هامة لها تأثيرها على حياة الإنسان و لها أهميتها في تأطير أساليب تفكيره ومعيشته.

إضافة لهذا يقول بأهمية القيم الدينية في تنظيم حياة الفرد والجماعة، مواكبتها للتطور، تطور حياة الإنسان واختلاف صور المجتمع. المساواة بين البشر، وإقامة العدل، والإحسان قوله و عملاً، النهي عن الفحشاء والمنكر، فالقيم الدينية هي تنظيم للحياتين الدينية والدنيوية. مواكبة التطور فهي لا تتبدل بتبدل الأمور الناتجة عن الحركة التنموية بل حتى أنها هي التي تحدد مسار هذا التطور.³

ومن هنا يكون الباحث قد عالج جوانب مهمة من القيم الدينية تتعلق بمسار التطور والتغيير، وعرضها للجانب التنظيمي. يشدد إميل دوركايم من جهته على أهمية القيم الدينية و تعزيز جانب التضامن و التماسک بين أفراد المجتمع من خلال ارتباطها بالشعائر الاحتفالية.⁴ فالقيم الدينية بهذا تساعد على تحقيق نسقية المجتمع، تمارس نوع من الضبط على السلوك الإنساني.⁵

¹- ثريا التيجاني: القيم الاجتماعية والتلفزيون في المجتمع الجزائري- دار الهدى عين مليلة- الجزائر- 2011- ص 101-102.

²- يعقوب المليحي: الأخلاق في الإسلام" مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية- مؤسسة الثقافة الجامعية الإسكندرية- 2003- ص 210-211.

³- محمد كامل حتة: القيم الدينية و المجتمع- دار المعارف القاهرة- 1983 - ص 242-243-245-247.

⁴- أنتوني غدنر : علم الاجتماع- ترجمة : فايز الصياغ- ط4- مركز دراسات الوحدة العربية - ص 585.

⁵- محمد أحمد محمد بيومي : علم الاجتماع الديني و مشكلات العالم الإسلامي - دار المعرفة الجامعية الأذربيجانية - 2003 - ص 396.

كمال الفرد على المستوى البدني، النفسي والاجتماعي غاية القيم الدينية من خلالها ينمو لدى الفرد الشعور بالعزة والقوة والوعي بالانتماء للجماعة والخروج من دائرة التشاوُم والانعزال، فاجتماعية الفرد بذلك هي هدف القيم الدينية.

حتى في المجتمعات العلمانية التي تفصل بين الدين والسياسة تبقى للقيم الدينية مكانتها وأهميتها، فهي تتغلغل في أعماق الأفراد، من خلالها يفتح باب حرية ممارسة الشعائر الدينية.¹

تمارس القيم الدينية نوع من التأثير على التغيير الاجتماعي والثقافي، وعليه هناك نوع من التأثير والتآثر بين القيم الدينية والتغيير الاجتماعي فكلاهما ضروري للثاني.

و في هذا الصدد نجد ماكس فيبر M. Weber الذي أكد على أهمية القيم الدينية في دعم الفعل الاقتصادي، فمن خلال عمله الشهير " الأخلاق البروتستانتية" طرح سؤال هام: ما مدى تأثير القيم الدينية للإصلاح البروتستانتي خاصة الاتجاه الكالفيني على تطور الرأسمالية الحديثة؟. و بالتالي بين فيبر كيف أنّ القيم الدينية الكالفينية أدّت وسهلت ظهور المجتمع الرأسمالي الحديث. فبحص فيبر بعمق العلاقة بين الأخلاق البروتستانتية والروح الرأسمالية ليجد أن La rationalisation الترشيد هو ما يميز الرأسمالية الحديثة.²

نحن هنا نتكلّم عن القيم الدينية في فترة تاريخية حوالي القرن 17، فالبروتستانتية الكالفينية هي حركة دينية إصلاحية قام بها كل من مارتن لوثر في ألمانيا وجون كالفن في فرنسا، تتميز بتوجهات اقتصادية : الاعتقاد بالله وبالحياة الأخرى، والأقرب إلى الله هو ذلك الذي لا يبتدرأ أمواله ويحافظ عليها ويستثمرها للصالح العام. فكالفن يقول: "إن الله يعلم مقدماً من سوف ينقذ، ومن سوف يستمر في العذاب الأخروي، فلا إقامة الشعائر ولا مجهد للأفراد سيغير ما قرره الله".³ فالكافينية بذلك بقدر إيمانها بالمبادئ السالفة الذكر تؤمن تماماً بفكرة القضاء والقدر.

عموماً فيبر قد أثبت أنّ القيم الدينية لها تأثير على النشاط الاقتصادي ، لذلك نحن كباحثين نجد أنّ القيم الدينية في غالبيتها تربط بالبروتستانتية الكالفينية والرأسمالية الحديثة، وهذا دليل على أهمية عمل فيبر رغم أنه قد وقع في فترة تاريخية تتناسب للماضي. وعليه في رأينا المتواضع فعل ماكس فيبر " الأخلاق البروتستانتية والروح الرأسمالية" يعد مرجعية هامة Référence إن لم نقل مصدراً للقيم الدينية وجب الوقوف عليه لإضفاء نوع من العلمية أكثر La scientificité على الموضوع.

ودون أن ننسى أهمية القيم الدينية في الإسلام وكيف أنها تمارس تأثيراً على أسواق القيم الأخرى، فالقيم السياسية يجب أن تؤسس على القيم الدينية و الحرب واجب ديني، و النظم التعليمية تعكس القيم الدينية الإسلامية، وكذا

¹- إسماعيل عبد الفتاح الكافي : موسوعة القيم والأخلاق الإسلامية - مركز الإسكندرية للكتاب - 2005 - ص 41-42.

²- محمد أحمد بدوي : علم اجتماع القيم- مرجع سبق ذكره - ص 137-144-145-148.

³- طارق كمال : أساسيات في علم الاجتماع الديني - مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية - 2009 - ص 130.

8-أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

الفنون، الآداب، النشاط الاقتصادي، فكل الأنشطة تؤسس على القيم الدينية.¹ بتحليل وظيفي لهذا فالقيم الدينية في الإسلام تتساند وظيفيا مع أنساق القيم الأخرى، و هذا كله لتأكيد نسقية النسق الكلي " الإسلام ". و تأكيداً لهذا كتب " فون جرونبوم " Von Grunebaum مقالا يؤكد فيه على أهمية القيم الدينية في المدن الإسلامية، فالقيم الدينية حسبه لها تأثير واسع على مختلف أنواع النشاطات للحياة الحضرية، فقد استنتج أن الصلاة التي تقام يوميا بشكل روتيني 5 مرات و صيام شهر رمضان كاملا، فهذا دليل على تأثير القيم و المعتقدات في طابع الحياة الحضرية.²

مواكبة التطور، مسيرة التغيير، تعزيز التضامن و التماสک بين أفراد المجتمع، تحقيق نسقية المجتمع من خلال كمال النسق الفرعي المتمثل في وحدة الفرد على مختلف المستويات، أخطبوطية القيم الدينية مع مختلف أنساق القيم الأخرى، علاقتها مع الفعل الاقتصادي هذا ما أكد عليه ماكس فيبر من خلال عمله " الأخلاق البروتستانتية و الروح الرأسمالية "، حيث أثبتت مدى فاعلية البروتستانتية الكالفينية في نمو الرأسمالية الحديثة، ليصبح بذلك ماكس فيبر مرجعا هاما للقيم الدينية. أهمية القيم الدينية في الإسلام، هذه كلها جوانب عزّزت من أهمية و مكانة القيم الدينية.

ما سنحاول طرحه من خلال هذه النافذة البحثية المتواضعة ليس القيم الدينية بصفة عامة بل واحدة من هذه القيم الدينية و هي قيمة التعاون. وظيفيا ما عملت على تأكيده و تعزيزه هو القيم الدينية بصفة عامة، والذي من خلاله أثبتت أهميتها هو بالتأكيد شيء ينطبق على مختلف الأنساق القيمية الفرعية بما فيها قيمة التعاون. و نظرا للأهمية النسقية لقيمة التعاون نحن نؤكد على و نحاول تأكيد تلك الأهمية و وظيفتها النسقية في ظل النسق الكلي " القيم الدينية ".

التنشئة الدينية و ترسیخ القيم التعاونية :

تعمل الأسرة بغض النظر عن نمطيتها على تشيط قيمتها التنشئوية الاجتماعية السياسية، الدينية، و بالارتكاز على الإسلام يتم تمرير ترسانة من التشريعات و القيم الدينية تكون للفرد و تبني شخصيته الدينية - على الخصوص - الناشئة و التي تمكّنه من التّفاعل.

و لمّا كانت القيم الدينية قوام المجتمع كانت الأمة الإسلامية في عهدها الأول مثلا للتحاب و التعااضد و كانت العلاقات بين الرّعاية و الرّعايا قائمة على الإعزاز و الحب لقوله صلى الله عليه وسلم: " حَيْرُ أَمْتَكُمُ الَّذِينَ ثُجِّوْنَهُمْ وَ يُصَلُّوْنَ عَلَيْكُمْ وَ تُصَلُّوْنَ عَلَيْهِمْ " (المنذري).

¹- محمد أحمد محمد بدوي : علم اجتماع القيم - مرجع سبق ذكره - ص 132.

²- محمد عاطف غيث : علم الاجتماع الحضري مدخل نظري - دار النهضة العربية - بيروت - ص 60.

و هذا دليل على صفاء النفوس و إقامة العدالة و نجاح الرسالة العامة التي يتعاون على إنجاجها كل الأفراد .
فإلاسلام يأكّل بين المسلمين، إخاء تزدهر من خلاله عراقة النّسب الإنساني².
الإخاء، التحاب، التعااضد، التعاون، قيم دينية ساهمت في تأكيد عراقة النّسب الإنساني .
فما مدى تأكيد و تعزيز قيمة التعاون في نفوس النّاشئة ؟ .

الرابط العصبي بالمفهوم الخلدوني - الجماعي يتأكّد من خلال إرساء عامل الزّمن فكلّما كان الزّمن طويلاً كان هذا كفيلاً للتعايش بين الأفراد، التّالُف، و من ثم التّواُدد و تثبيط مختلف القيم الدينية التعاونية .
و من خلال العنصر الشّبابي يتم تفعيل القيم التعاونية، الشباب الذين يقول عنهم ليفي ستروس من خلال مؤلفه "المتوسط الحزين" ، أرى في أعين الشباب النار و الكبار المهدوء".
و بالتالي من خلال هذا العنصر نكون قد وضّحنا وصمة الشباب، ثورتهم و غيرتهم على قيمهم الدينية .

- الجيرة و الضرورة الوظيفية :

يشير مصطلح الجيرة إلى " جماعة أولية غير رسمية توجد داخل منطقة أو وحدة إقليمية صغيرة تمثل جزءاً فرعياً من مجتمع محلي أكبر منها، و يسودها إحساس بالوحدة و الكيان المحلي ، إلى جانب ما تتميز به من علاقات اجتماعية مباشرة و أولية و وثيقة و مستمرة نسبياً".¹

قيمة التعاون من خلال الولائم و الجنائز :

فإلاسلام هو الرّاية التي من خلالها تبعث مختلف القيم الدينية بما فيها التعاونية و في مختلف المواقف المناسباتية .
الولادة، الختان، الأعراس، الجنائز، هي محطّات عمرية يمرّ بها الفرد، طقوس عبور بالمنظور الأنثروبولوجي ، و هي تعبير اجتماعي عن الشعور الديني بالمنظور السوسيولوجي ، تحتاج إلى التحام اجتماعي كتعبير عن استباب الضمير الجمعي بمفهوم دوركایم . فالجيرة ليست مجرد سكنات متجاورة إسمنتيا ، فلو كانت كذلك لكنّا كمجتمع أعطيناها مصطلحاً يليق بها، فالجيرة أعمق من ذلك فهي مجموع علاقات اجتماعية تربط بين الأفراد .
 تكونت هذه العلاقات لأنّ الفرد بطبيعة اجتماعية لا يمكنه العيش بمعزل عن الآخرين وحيداً .

يقول Raymod Ledrut أن التجاور السكّني هو "إقامة السكّان بعضهم قرب بعض، وهؤلاء السكّان غالباً ما يتعاشرون و يتزاورون و يتعاونون فيما بينهم" في شتى المجالات و من ذلك الحاجة إلى استعارة كمية من السكر أو الملح أو القهوة أو الزيت وغيرها في أثناء إعداد الوجبات الغذائية و استعارة بعض الأدوات المطبخية أو الحاجة إلى من يرعى طفلاً فترة وجيزة لاضطرار الأم إلى الخروج لسبب طاري ، و هم يشتركون معاً في الأفراح و الأحزان و في السراء و الضراء إلى غير ذلك .

فالمحافظة على علاقات طيبة مع الجيران و زيارتهم و تقديم يد العون لهم في مختلف المناسبات والمجالات كان ولا يزال واجب ديني لدى الشعوب العربية و الإسلامية في حالة غياب أب الأسرة ينوبه جاره¹ .

² - محمد الغزالى : هذا ديننا - ط 3 - دار الشرق - القاهرة - 1992 - ص 178 - 179 .

³ - السيد عبد العالى السيد: دراسات في علم الاجتماع الحضري - ج 1- دار المعرفة الجامعية الأذربيجانية- 2008 - ص 263 .

الأفراح والأحزان هي ظروف تبيّن مدى انعكاس العصبية- بالمفهوم الخلدوني- و بغض النظر عن الانتماء المكاني يبقى الإسلام دائما هو الواقع و الرابط بين الأفراد.

و يبقى المسجد هو المكان المقدس الذي يحافظ على روح التضامن بين الناس و المبنـع الرئيسي للقيم التعاونية. و يبقى الجار القريب أقرب من الأخ البعيد في مختلف المواقف المناسبة و خاصة ما تعلـق منها بالولائم و الجنائز.

التعاون في مناسبات مشتركة كالأفراح مثلا هو تعاون تابع عن خلفيات دينية يقول بورديو- ليعم بذلك الفرح الكل، فهذا يؤسس بطريقة أو بأخرى "عائلة كبيرة" تجمع بين أفرادها رابطة الأهلية و العصبية، أهل رغم انعدام وجود علاقة قرابة حقيقة بينهم.¹

- رمزية الأطباق المتبادلة عند الساكنة :

تبادل الأطباق بين الجيران يقلص المسافات بينهم و يفتح الباب على مصرعيه فتلتخص بذلك كل العائلات بغض النظر عن حجمها في عائلة واحدة كبيرة بقيم تعاونية، قيم الألفة، التسامح. بتحليل سوسيولوجي "الصحن" هو رمز لبعث روح التآلف بين الأفراد، فيه و بفضلـه تعرـفت عائلات و تواصلـت اجتماعـيا، و أعـطى للفضاء الاجتماعي الذي يسكنـه صبغـة اجتماعية باعـثـة لـلـقيمـ التعاونـيةـ. و من هنا يتـضحـ أنـ سـاكـنةـ معـسـكـرـ تـشـبـثـ بـالـقيمـ التعاونـيةـ التي تعـكـسـ صـورـةـ الإـسـلامـ، منـ خـالـلـ الـبعـدـ المـمـارـسـاتـيـ.

سوسيولوجيا المدينة:

المدينة هي نتاج تطور تاريخي، فقد أدخلـتـ عنـصرـ جـديـدـ فيـ العمـليـاتـ التـارـيـخـيةـ ذلكـ أـنـ الإـنـسـانـ قدـ اـعـتـمـدـ طـرـيقـةـ جديدةـ لـلـحـيـاـةـ لاـ تـعـتـمـدـ عـلـىـ الزـرـاعـةـ منـ الصـعـبـ جداـ تـبـعـ المـدـنـ تـارـيـخـياـ لأنـ الـحـقـائـقـ الـمـتـصـلـةـ بـالـمـدـنـ الـقـدـيمـةـ لهاـ طـابـعـ أـركـيـولـوجـيـ، وبـعـضـ المـدـنـ لـهـاـ تـارـيـخـ غـيرـ مـعـرـوفـ كـمـدـنـ الشـرـقـ الـأـوـسـطـ حيثـ تـقـولـ "جيـنـيفـيرـسـكـيرـزـ"ـ فـيـ مؤـلـفـهاـ "الـقـاـفـةـ الـحـضـرـيـةـ فـيـ مـدـنـ الشـرـقـ"ـ أـنـ الـامـتدـادـ الـتـارـيـخـيـ لـمـدـنـ الشـرـقـ الـعـتـيقـةـ تـعودـ جـذـورـهاـ لـمـاـ قـبـلـ الـإـسـلامـ، وـأـنـ نـموـهاـ مـرـتـبـتـ بـاـنـتـشـارـ الـإـسـلامـ

ستتناولـ منـ خـالـلـ هـذـاـ العـنـصـرـ ستـكونـ ماـ قـالـهـ Grafmeyer^{*}ـ عـنـ عـلـمـ الـاجـتمـاعـ الـحـضـرـيـ منـ خـالـلـ مؤـلـفـهـ "Sociologie urbaine"ـ عـلـىـ أـنـ هـذـاـ فـرعـ يـعـنـيـ بـ درـاسـةـ الـمـسـاـهـمـاتـ الـفـضـائـيـةـ أوـ الـمـجـالـيـةـ، المـمـارـسـاتـ الـاجـتمـاعـيـةـ فـيـ النـطـاقـ الـحـضـرـيـ، تنـظـيمـ الـمـدـنـ"ـ وـيـضـيـفـ فـيـ مـوـضـعـ آـخـرـ عـلـمـ الـاجـتمـاعـ الـحـضـرـيـ لـيـسـ كـلـ ماـ يـجـريـ فـيـ الـمـدـنـ بلـ هـيـ كـلـ ماـ يـتـعـلـقـ بـالـأـجزـاءـ "ـكـالـعـائـلـةـ، التـرـيـةـ..."ـ تـرـكـزـ عـلـىـ الـبـعـدـ الـحـضـرـيـ لـمـخـتـلـفـ مشـاهـدـ الـحـيـاـةـ

¹. محمد بلحاجي : الأسرة الجزائرية المعاصرة بين الثبات و التغيير في الوسط الحضري، دراسة ميدانية بمنطقة الغروات - مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع -جامعة وهران - السانيا - 2011-2012- ص 161.

¹- Pierre Bourdieu : Sociologie de l'Algérie - 8e édition des presses universitaires de France Novembre 2001- p55.

* فرنسي مختص في علم الاجتماع الحضري

الاجتماعية". هي دراسات كثيرة التفت حول دراسة "المدينة" وجعلت منه موضوعا سوسيولوجيا بامتياز يحتاج للاهتمام منهم Max Weber الذي ألف سنة 1921 المدينة ذات البعد التاريخي، حدد مختلف مميزات المدينة الاجتماعية الثقافية الاقتصادية.

تصنيف المدن:

المدينة ظاهرة قديمة ترجع إلى ما يقارب 8000 سنة، نتيجة التعقد الاجتماعي وعليه تختلف وظائف المدينة باختلاف الزمان، ولكل مدينة شخصيتها المستقلة عموما هناك عدة تقسيمات وتصنيفات للمدن سنحاول ذكر البعض منها:

1- تقسيم المدن من حيث الحجم:

يعد هذا النوع من التصنيفات من أبسط الأنواع، ومع هذا فنادرا ما يستعمله علماء الاجتماع عدا عند تفريقيهم بين الريف والحضر، فمن خلاله أوضح Mann الاختلافات التقليدية بين الريف والحضر في بريطانيا وقسم Reiss و Duncan المدن الأمريكية إلى 11 نموذج حسب الحجم هذا إضافة إلى تصنيفات أخرى.

فيما يلي ذكر البعض تلك التقسيمات التي تعتمد معيار الحجم:

- المدينة الصغيرة: تميز عن القرية وعن المدينة بموقع حضري يسيطر على المنطقة الريفية الواقعة على بعد منه هي مقر الحكومة والمركز الديني للبلاد تمارس المدينة الصغيرة نوع من التجارة البسيطة الداخلية، تفتقد رغم هذا للتقسيم الواضح للعمل.

- المدينة الصناعية: تميز بتقسيم العمل، تتمتع بموقع حضري مسيطر على الإقليم بريفه وحضره.

- المدينة العظمى أو الكبرى métropolitain تقريريا لها نفس خصائص المدينة الصناعية.

2- تقسيم المدن من حيث عدد السكان: طبقت هذا التقسيم معظم الدول في تقسيماتها الإدارية، ففرنسا مثلا: يعيش كل مجموعة من السكان في مركز واحد يشكلون تقريريا ألفين نسمة أوزيد قليلا، فهي بهذه النسبة تعد مجموعة حضرية، في حين كل مركز يقل عدد سكانه عن هذا الرقم يعتبر قرية ذات انتماء ريفي.

لائرلندا نسبتها الخاصة بها، فكل مجموعة يبلغ عددها 100 نسمة تعتبر مركز حضري¹

يعد هذا النوع من التقسيمات من أسهل وأشهر أنواع التقسيمات، أين تقسم المدن إلى 4 فئات: 1- مدينة صغيرة،

2- مدينة متوسطة، 3- مدينة كبيرة، 4- مدينة كبرى²

3- تقسيم المدن من حيث تطورها التاريخي: المراحل التاريخية المختلفة قد تركت آثارها على المدن من حيث طرق البناء وطرق حياتها المختلفة.

4- تقسيم المدن من حيث العوامل الاجتماعية الثقافية: في ضوء هذا المعيار صنف بعض العلماء المدن، حيث نجد كل من "ريد فيلد Redfield وسنجر signor" ميز بين المدن التي تسودها العقيدة الأرثوذك司ية

¹ حسين عبد الحميد أحمد رشوان: المدينة "دراسة في علم الاجتماع الحضري" – مرجع سابق ذكره – ص ص 69-71.

² عبد المنعم شوقي: مجتمع المدينة- مرجع سابق ذكره- ص 30.

والمدن المخالفة لتلك العقيدة ففي الصنف الأول من المدن تقوى وتستقر النظم الاجتماعية والثقافية السائدة بينما النوع الثاني من المدن يستجيب للتغيير الاجتماعي.

وقد ميز "فير" على ضوء بين مدن النبلاد ومدن الدهماء وميز "هاوزر Hauser" وشنور "schnore" بين مدن البدائيين والإقطاع كما تقسم المدن في شمال افريقيا إلى مدن نشأت في ظل الاستعمار الأوروبي، ومدن قامت من قبل الاستعمار الأوروبي أما مدن العصور الوسطى فتقسم إلى مدن اقتصادية، سياسية يظهر فيها العقلانيون بشكل بارز.

5- تقسيم المدن حسب المتغيرات الاقتصادية: في هذا الإطار قسم "بريس Bresse" المدن إلى مدن صناعية، مدن إدارية، مدن تجارية وأكد "لمبارد Lampard" أن الصناعة أساس تصنيف المدن في القرن 19، وان نمو المدن مرتبط بالنمو الاقتصادي "هاريس Harris وأولمان Ullmann" قاما بتصنيف المدن حسب موقعها المركزي، كل مدينة حسب تخصصها: مدن النقل

"كارل ماركس" وصف المدن في ضوء علاقات الإنتاج وميز بين مدن العبيد والمدن الإقطاعية والمدن الرأسمالية والمدن الاشتراكية وصنف "فانس Vance" وسوتكر "Sutker" وبوج "bogue" المدن في ضوء التعليم والاستثمار التجاري، واضعين بعين الاعتبار حجم المدن وسيطرتها على القرى المجاورة.

"هوزيلتر" أشار إلى وظيفة المدينة في ضوء نموها الاقتصادي، وصنف المدن إلى مدن منتجة، ومدن طفifie استهلاكية، حسب هوزيلتر يمكن أن تحول المدينة من نمط الآخر¹

6- تقسيم المدن من حيث درجة تقدمها: فقد حاول "ثورنديك" تقسيم المدن من حيث كمية ونوع الخدمات المقدمة لسكانها²

فقد استنتج ثورنديك من دراسته أن المدن التي يعيش فيها سكان طيبون يكسبون عن طريق العمل، عادة هذه المدن هي أكثر تقدما³

7- تقسيم المدن من حيث الأعمال التي تؤديها: هناك تقسيم "هالبرت بيرجل Bergel"⁴ يفيد هذا التقسيم من حيث الوصف، فهو بعيد كل البعد عن الدقة الالازمة في الدراسة الاجتماعية، مشكلة الكبri هي أن كل المدن تقريبا متعددة الأغراض وقد أعطى هاريس Harris تقسيما للمدن تضم تسعة (9) أنواع ببناء على دراسته لأنواع العمل التي يقوم بها الأهالي في كل مدينة⁵

- مميزات المدينة:

المدينة مجموعة مميزات تجعلها تختلف عن الكيانات الأخرى، يمكن تلخيصها فيما يلي:

¹- حسين عبد الحميد أحمد رشوان: المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري" مرجع سبق ذكره- ص 72-74.

²- حسين عبد الحميد أحمد رشوان: المدينة- مرجع سبق ذكره- ص 75.

³- عبد المنعم شوقي: مجتمع المدينة- مرجع سبق ذكره- ص 33.

⁴- حسين عبد الحميد رشوان: مرجع سبق ذكره- ص 75.

⁵- عبد المنعم شوقي: مرجع سبق ذكره، ص 31.

ـ ذات طبيعة إنسانية: للإنسان مميزات حيوية، نفسية، اجتماعية تحوّله للأكل والشرب والتنقل بحرية في الزمان والمكان، وطبيعته النفسية لأن يشعر ويتأمل ويتخيّل ويفرح، وطبيعته للعيش في مجتمع والتعامل مع أفراده والخضوع للمعاملات الاقتصادية، الأوضاع السياسية، التربوية، القانون، والمدينة كمجتمع محلي من الضروري أن تتعاون مع باقي المدن. المدينة أساليب وأوضاع لتفكير و العمل الإنساني، أي حياة الأفراد ذات صفات خاصة فيصدر عنهم أمر لا علاقة لها بطبعتهم الفردية.

ـ تلقائية النشأة: المدينة في بدايتها هي مجموعة متباينة من المنازل التي كان الغرض منها الإيواء، ثم تجتمع هذه المنازل مع بعضها التشكّل قرية، بتزايد السكان وتتنوع حرفهم تتسع القرية ويزداد الدخل القومي فيها لتصبح مدينة صغيرة، كثرة المصانع ووسائل المواصلات، ووسائل الاتصال الجمعي والخدمات تصبح مدينة رئيسية.

ـ ظاهرة عامة منتشرة في كل المجتمعات:

يمكن دراسة المدينة بشكل إحصائي لمعرفة مدى انتشارها، فهي ظاهرة تفرض نفسها على الأفراد في سائر أنحاء المجتمع.

ـ الموضوعية والشبيهة: يمكن دراسة المدينة كأشياء خارجية، والتشبيه هي ما قالها إيميل دوركايم حول الظاهرة الاجتماعية، وبالتالي يمكن قولها عن الظاهرة المدينية، عن ذاتنا التأثر بميولنا اتجاهاتنا الخاصة وهذه هي الموضوعية والشبيهة هي أن معرفتنا بها تستمد من الواقع¹

ـ الترابط: أي المدينة متصلة بأجزائها مورفولوجيا عن طريق المواصلات المختلفة على اعتبار ان النظام السياسي في المدينة يرتبط بمختلف الأنظمة التعليمية الاقتصادية الدينية والإدارية والتنظيمية فكل نظام يرتبط بالأنظمة الأخرى² وهذا يندرج ضمن النظرة الوظيفية القائلة بالتساند الوظيفي بين مختلف الأسواق الفرعية في إطار النسق الكلي الشمولي.

ـ مزودة بصفة الجبر والإلزام: فالأشخاص ملزمون بالخوض في غمار الحياة المدينية، وذلك رغبة في الاستفادة من خدماتها المختلفة كالتعليم، العلاج.....

ـ صفة الجاذبية: لكل فرد منطقة تكون بالنسبة له محل اهتمام وهي المنطقة التي يولد فيها، لكن المدن وما تتوفره من مميزات جعلت الفرد خاصة ذاك الذي له انتهاء ريفي يفضل الحياة المدينية على القروية لعدم توافر الخدمات الخضرية³

ـ خصائص المدن:

بطبيعة الحال لكل مدينة خصائصها التي تميزها عن باقي المدن والتي من الصعب اشتراكها بين مختلف المدن. فلكل مدينة ظروفها التاريخية وعوامل نموها، فقد حدّد "لويس ورث LOUIS WIRTH" خصائص التحضر في مقالته "التحضر كأسلوب حياة": الحجم، الكثافة، التجانس، وهي عناصر مرتبطة بعضها، وهذا ما يؤدي إلى

¹- حسين عبد الحميد أحمد رشوان: المدينة "دراسة في علم الاجتماع الحضري"- مرجع سبق ذكره- ص ص 60-61.

²- المرجع نفسه، ص 62.

³- المرجع نفسه، ص 62.

وجود تجمع من الناس يتسم بكبر الحجم وشدة الكثافة واللاتجанс ويعمل هؤلاء الناس في تعاون لتحقيق تنظيم معقد في المدينة كما تتميز المدينة بالطابع الجزئي للعلاقات الاجتماعية والاعتماد على بيئه صناعية.

بشكل عام تتميز العلاقات المدينية بـ:

- المهنة:

الوظائف الاجتماعية: الدين، الدفاع، الثقافة، الإدارة، الترفيه، الوظائف الاقتصادية: التجارة، الصناعة، الإنتاج الخدمات. في العصور الحديثة لم تعد المدينة مجرد وحدة جغرافية وايكولوجية فقط بل تعدت هذا، فهي إضافة لهذا وحدة اقتصادية أساسها تقسيم العمل وهذا ما يجعل وظائف المدينة متنوعة فلكل فرد في المدينة وظيفة ومهنة معينة، وبالتالي تخصص كل منطقة بنشاط خاص، وهناك أقسام للسكن، للتجارة، للصناعة، للتنزه، مناطق السكن تنقسم بدورها إلى مناطق للطبقات الفقيرة للطبقات المتوسطة، للطبقات الهينية، هذه الانقسامية بين المناطق والطابع التخصسي لا يمنع من التداخل فيما بينها شيئاً ما.

- المظاهر الثقافية:

ما يعبر المدينة هو الكبر والتنوع، فمن خلالها نرى العمارة الحديثة إلى جانب المباني القديمة، قصر، كوخ، سيارة فخمة ولّى عليها الدّهر وأحياء الأغنياء ملاصقة لأحياء الفقراء، كل هذه الأضداد تجتمع في المدينة، فالمدينة بوتقة تصهر فيها الأجناس والثقافات المختلفة، تشجّع على الفروق الفردية، اختلاف اللغات، اللهجات، أشكال اللباس، قيم متفاوتة بين الريفية والمستوردة الهدوء/الغضب، الهزل/الجد، الحركة العمرانية المتواصلة، هدم وبناء في كل جوانب المدينة.

الحياة المدينية تميز بالسرعة، فالناس يهربون في الشوارع والسيارات تتتسابق في الطرق، وتحركات الناس في المدينة لا يمكن الحد منها لكثتها، الازدحام في مختلف الأماكن، وهذا ما يجعل سكان للمدينة يتصرفون كأفراد وقليلًا ما يهتمون لبعضهم¹

بشكل أكثر تحديدًا يتكلم "عبد القادر لقجع" عن الخاصية الثقافية للمدينة أو علاقة الثقافة بالمدينة من خلال La ville: creuset d'une culture nouvelle "ville cultures et société en Algérie" بترجمتنا المتواضعة "المدينة قالب تصهر فيه الثقافة الجديدة" مدن، ثقافات ومجتمع بالجزائر" هذا النص كان موضوع الملتقى الوطني للبحث غدا المدينة، الشركة، المؤسسة نظم بالـ C.R.A.S وهران أيام 21/20 ديسمبر 1997 يقول عبد القادر لقجع من خلال هذا المقال أن الباحثين في مجال العلوم الاجتماعية والمدينة بالجزائر قد أداروا ظهورهم منذ زمن طويل، ومن هنا يتساءل حول المعنى المستمر في الممارسات الحضرية.

"Redfield, Linton, Herskovits" باحثون ركزوا على تعقد ظواهر التماقф وهذا لأنهم أخذوا بأهمية هذه الظواهر كسيرونة في طريق التحقيق.

"Edward Sapir" قد استعار من اللسانيات linguistique ليجد أن التماقف لا يؤدي إلى معنى محدد.

¹ - المرجع نفسه، ص 55-66.

يرى عبد القادر لقجع أن الثقافة الحضرية تسيطر على كل من يستقر بالمدينة وهي نفس فكرة Bernard Leptit الكافي، والتهميش إلى حد ما في العلوم الاجتماعية¹

- **الإنسان الحضري:**

مع نمو حجم المدينة تقل معرفة الأفراد بعضهم لتصبح بذلك العلاقات الاجتماعية علاقات سطحية، فالإنسان الحضري لا ينزعج من السير بين الناس في الشوارع، أو الجلوس معهم في أي مكان دون المعرفة الشخصية بهم. السفطسطنة – نسبة للسوفسطائية – هي ما يميز الفرد المدنيي، فقد يفقد ولاءه المباشر لعائلته وكلنه في الوقت يميل إلى فقدان علاقاته وصلاته المباشرة بأقاربه الآخرين.

فمن خلال المدينة يكون كل فرد مسؤول عن أخطائه، فهي لا تحمي الكسول، تشجع على العمل الخالق.

- **البيروقراطية:**

ربط "ممفورد" Mumford بين سمة التركيز الحضري داخل المدينة وامتداد خطوط الطرق البرية واتساع طرق التجارة، فكل الطرق تؤدي للعاصمة وخلف ذلك نجد الإدارة في العواصم الكبرى وزيادة الاعتماد على التنظيم الإداري في مختلف المجالات، ويرى أيضاً أن الاختراعات الآلية وأدوات الكتابة والطبع والنشر والتسجيل إضافة لأدوات التحكم والتوجيه والإرشاد ساعدت على قيام ظواهر بيروقراطية.

وعليه أصبح كل شيء أو يسير وفق قاعدة قانونية تنظيمية ويطلب سندات ووثائق وتبيرات.

- **التشريعات القانونية:**

وظيفتها الضبط الاجتماعي، تحل محل التقاليد، فهي وسيلة أساسية لتنظيم علاقات أفراد المدينة، وذلك لأن المدينة هي المركز الذي يحتوي على مختلف المؤسسات الاجتماعية الضرورية.

- **تمتد المدينة خارج حدودها:**

المدينة تؤثر على مختلف المناطق الواقعة خارج حدودها وذلك بفضل مركبها.²

لذلك نجد أعداد كبيرة من الناس يهاجرون نحو المدينة- التزوح الريفي - لتلبية حاجيات مختلفة.

- **التعاون و العلاقات الإنسانية عند ساكنة مدينة معسكر**

- **ممارسات ساكنة مدينة معسكر ذات خلفية تعاونية - .**

تلك هي فرضيتنا الأولى و التي سنحاول عرضها للتحليل من خلال مجموعة عناصر نسقية هدفها تحقيق وظيفية النسق الكلي - و هو الفرضية - و تأكيد نسقية قيمة التعاون ضمن شبكة القيم الدينية.

- **ثقافة الساكنة بالماضي :**

¹- Abdelkader lakjaa: la ville "creuset d'une culture nouvelle villes cultures et société en Algérie) opsit-- pp39-59.

² - حسين عبد الحميد أحمد رشوان: المدينة "دراسة في علم الاجتماع الحضري"-مرجع سبق ذكره -ص ص 67.68.69

8-أبريل 2019 -نوفي بزار، جمهورية صربيا

لقد عرفت البلدان العالم ثالثية-العام الثالث-بصفة عامة المغاربية أو بشكل أدق الجزائرية، حراك مجالي واسع، خاصة بعد انتهاء الأزمة الاستعمارية انتقالة فريدة من نوعها من فضاء ريف قائم على أساس و ضوابط محددة إلى فضاء مختلف تماماً كمّا و كيّفاً.

من فضاء يسوده "تقسيم العمل"، بمفهوم إميل دروكايم في حالته البسيطة بالأفراد يزاولون نفس الأعمال و يتشاربون من حيث الخصوص لنفس العوامل، يتعاملون بصفة تلقائية، يستجгиون لبعضهم بصفة آلية فهم بذلك متضامنون آلياً أو ميكانيكياً، إلى فضاء ينمو فيه تقسيم العمل فيسود ما يسمى بالتضامن العضوي، حيث يتضامن الأفراد عضويًا في الجسم الاجتماعي¹.

و عليه في الفضاء الحضري يكون الأعضاء قد استقرروا مهنياً و هم الآن يحتاجون للتبدل الوظيفي.

انتقلوا من "فضاء صغير، منعزل، ألمي متجانس، يربط بين أعضائه إحساس قوى التضامن ... و السلوك فيه تقليدي و تلقائي و شخصي"²، ففي هذا الفضاء لم يكن هناك حاجة و دعّة بالمفهوم الخلدوني للمخالصة أي المقابلة المالية للمقتنيات اليومية، فكل الحاجيات متوفرة بصورةها الطبيعية "الطازجة" إلى فضاء يعتمد نظام المخالصة، الحرّة...

من خلال هذه الإطلالة السريعة نكون قد قدمنا لمحنة عن ثنائية كانت و لازالت قائمة بل حتى أنها أصبحت محور بحوث و دراسات و هي الحضرية / الريف.

تقوم الحياة الحضرية اليوم على منطق الثنائيات تجانس / لا تجانس ، آلي / عضوي، وظيفي / عصامي أو ذاتي. من خلال ملاحظتنا و معايشتنا لمنطقة العين البيضاء، فهي منطقة مستحدثة -حديثة- تنتشر بها السكّنات الرّاقية الفخمة كما نرى السكّنات المتوسطة مما يعكس أطر و نظم ثقافية متفاوتة، هذا ما يتعلق بالجانب المونوغرافي، سكّانها نازحون من نقاط سكنية متفاوتة تتناسب لمعسكر، و هذا يحيلنا إلى عدّة تساؤلات:

ما حدود الاعتراف أو التمازن الثقافي بين هذه السّاكنة؟ و ما محل الثقافة بحد ذاتها حين اختلطها بهذه المساحة الجغرافية - التمازن-؟ و هل تتبدل الثقافة بتبدل المجال؟.

تحددت الكثير من الكتابات المتخصصة في المجال الحضري و البحث المديني على تغيير ملل ونحل الأفراد عقب الحراك المجالي، و هذا تأكيداً منهم على أهمية الفضاء المديني، و كيف أنه يمكن من تطبيق الأفراد بطبعاً جديدة منافية لسابقتها فيما مدى صدق هذا على منطقة دراستنا؟

تقول (الحالة 03) : " لقد كنت أسكن ببلدية مطمور، دامت مدة إقامتي هناك 09 سنوات، لقد كانت لي علاقات متباعدة، هناك لم يكن هناك فرق بيننا، كنّا نعيش معاً كعائلة كبيرة، أنا شخصياً لم أكن أحسن أنّي أقل أو أعلى مستوى منهم، كنّا نعيش بشكل عادي".

¹- عبد القادر القصيري: "الهجرة من الريف إلى المدينة"- دار التّهضبة العربية بيروت- 1992- ص 31.

²- السيد الحسيني : "المدينة" دراسة في علم الاجتماع الحضري"- دار المعرفة الجامعية- 2000- ص 117.

¹- Placide Rambaud : Société rurale et urbanisation - éditions du seuil 1969-p 20-22.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار، جمهورية صربيا

فالانسجام، التّجانس و الآلية هي ما كان يميّز الفضاء الأول، سألتها عن توضيح العائلة الكبيرة، فأجابت - بشفف معطية الموضوع أهميّة بالغة - : " لقد كنت أحسّ وكأني وسط عائلتي، وسط أمّي وأختي، كنت إذا احتجت لشيء ما قليل من الزيت أو السكر أستلف من عند الجيران، أي شيء كان دون الإطاحة أو الاستهانة - تغيّرت ملامح وجهها - أمّا الآن و في حيّي هذا تخيلي لو أنّي أرسل بابنتي لاستلاف شيء من السكر مثلاً عند جاري التي لا تربطني بها علاقة متينة بلاشك أنها ستستهين بي" (أ، 32، م، ليسانس).

هذه الأمور وإن كانت بسيطة، وإن كان البعض لا يعيّرها اهتماماً فهي في نظرنا ذات أهميّة بالغة، فاستلاف شيء من السكر أو الزيت ما هو إلا رمز لإرساء قيم التّآلف و التّواؤد بين النّاس، مما يُرسّي قيم الحميمية بين أهل الحي الواحد.

في نفس السياق تقول (الحالة 02) : " لقد كنّا يد واحدة، نستلف مختلف الأمور و هذا نظراً لصعوبة و غلاء المعيشة، فلقد كنّا نقدر المعيشة كنّت أترك ابنتي عند جاري ، تهتم بها كما لو كانت ابنتها و كذا بالنسبة لأنّائها عندي، نذهب معاً للحمام، لشراء شيء ما، أنا خيّاطة، أبيع لجارتي، و حتى وإن لم يكن لهنّ نقود فلا بأس يدفعنّ عندما يقدّرنّ" (أ، 40، م، ثانوي) ، ويقول (الحالة 09) : " ولدت وتزوجت في حيّي القديم، لقد ألغت ذاك المكان ، معظم وقتي كنّت أقضيه في العمل، و عدا ذلك رفقة العائلة، كانت لي علاقات حميمية مع الجيران، نُدرِّشُ، نحمل هم بعضنا، لقد كنّا نحب بعضنا كثيراً" (ذ، 45، م، جامعي).

فإنسان يبني و يكون رصيد ثقافي جدّ هام يكون بمثابة المرأة العاكسة لشخصية بحدّ ذاته، فمن خلال الجماعة التي نشأ و تفاعل معها يكون قد كون ضميره الجمعي. فرداً فاعلاً لا مُفعلاً، فإلي أيّ هدف يمكن لهذا الفرد الصمود في ظل حراك مجالي؟ فهل سيتمكن من الحفاظ على نسقه الثقافي الجماعي؟

- التّنشئة الدينية و ترسّيخ القيم التعاونية :

من خلال هذا العنصر، ارتأينا إجراء مقابلات مع مجموعة شباب يدرسون في الطور الثاني و الثالث - المتوسط و الثانوي - لماذا هذه الفئة بالذات؟ في مثل هذه المرحلة يكون الفرد واعي فكريًا و جسديًا، درجة الوعي هذه تمكّنه من بناء شخصيته وفق ما اكتسبه هو في حياته الشخصية و حسب ما اكتسبه من محیطه الأسري.

الأسرة باعتبارها النّواة الأولى التي من خلالها تبني شخصية الفرد الاجتماعية، فهي بمثابة البناء النّظري كما سيمارسه اجتماعياً، فتتّكون بذلك مختلف جوانب شخصيته النفسيّة، الاجتماعية، الدينية، و عليه فلا أحد ينكر هذا الدور لهذه المؤسسة، حيث قال الرّسول صلّى الله عليه و سلم : " كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، حَتَّى يَعْرُبَ عَنْهُ لِسَانُهُ، وَإِنَّمَا أَبْوَاهُ يُهَوِّدُهُ أَوْ يُنَصِّرُهُ أَوْ يُمَعِّجُسُهُ" (رواه البخاري و مسلم في فيض القدير و شرح الجامع الصغير للمناوي 5/33).¹

و يقول أيضاً صلّى الله عليه و سلم : " الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُهُ" (رواه أحمد).

¹ - هدى علي جواد الشّمري : الأخلاق في السنة النبوية - دار المناهج - عمان - 2009 - ص 90.

يتكلّم غرس الله عبد الحفيظ من خلال مقاله "الدينى و العائلي في المجتمع العربي و الإسلامى" أنّ المجتمع العربي و الإسلامي لا يزال خاضعاً لمقوله الإنسان الدينى بكل حمولاتها الدلالية، ما دام ميلاد كلّ فرد مقترب بمفهوم الحال "المبارك" المعترف بالشرط الدينى، و سيرورة تنشئته الاجتماعية التي تتقدّى بال المقدس، و عليه فالعائلة العربية و الإسلامية هي إنتاج ديني بالأساس¹.

فتعمل الأسرة بغض النظر عن نمطيتها على تشيط قيمتها التنشئوية الاجتماعية السياسية، الدينية، و بالارتكاز على الإسلام يتم تمرير ترسانة من التشريعيات و القيم الدينية تكون للفرد و تبني شخصيته الدينية - على الخصوص - الناشئة و التي تمكّنه من التفاعل.

و لما كانت القيم الدينية قوام المجتمع كانت الأمة الإسلامية في عهدها الأول مثلاً للتحاب والتّعاوض و كانت العلاقات بين الرّعاعة و الرّعاعيا قائمة على الإعزاز و الحبّ لقوله صلى الله عليه وسلم: " حَيْرُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَ يُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَ تُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ" (المنذري). و هذا دليل على صفاء النفوس و إقامة العدالة و نجاح الرّسالة العامة التي يتعاون على إنجاحها كلّ الأفراد . فالإسلام يأخى بين المسلمين، إخاء تزدهر من خلاله عراقة النّسب الإنساني².

الإخاء، التّحاب، التّعاوض، التعاون، قيم دينية ساهمت في تأكيد عراقة النّسب الإنساني .
فما مدى تأكيد و تعزيز قيمة التعاون في نفوس الناشئة؟ .

يقول (الحالة 16) : " خارج أوقات الدراسة أمars هوأيتي المفضلة و هي كرة القدم فألاعب رفقة أصدقائي، و هم جيرانى من نفس عمري تقريباً، ندرس معاً، نساعد بعضنا، فالجار أوصى به الرّسول صلى الله عليه و سلم، و إن لم نساعد بعضنا فمن سيساعدنا، الغريب مثلاً ، فنحن نتعاون في تنظيف الحي " (ذ، 19، غ، م، ثانوي)
- و في هذه اللحظة قاطعه (الحالة 19) : " و إن كان حيناً جديداً، و الطّرق كما ترين لا تزال في طور الأشغال ، فنحن نعمل على تنظيفه بأنفسنا بالتعاون بيننا وهذا قد اكتسبناه بال التربية، الأسرة ، و الإسلام يدعونا لهذا، نتعاون أحياناً في تنظيف المسجد، لكن في الفترة الأخيرة ما حدّ من نشاطنا هو ظاهرة الاختطاف، فصرنا لا نأمن أحداً"
(أ، 17، غ، م، الرابعة متوسط).

و أضاف (الحالة 18) : " إضافة إلى ما قاله أصدقائي و جيراني فنحن أبناء الحي الواحد نكاد نكون أبناء البيت الواحد، نأمل في المستقبل إلى تكوين جمعية أو لجنة الحي تهتم بشؤون و قضايا الحي الداخلية مثل الدول المتقدمة".(ذ، 16، غ، م، 4 متوسط).

و إن كان الحي في بدايات تكوين علاقاته و مونوغرافيته لكن البدايات موجودة، فمن خلال التنشئة الدينية يتم الحفاظ و العمل على استمرارية القيم الدينية بما فيها التعاونية.

¹ - غرس الله عبد الحفيظ: الدينى و العائلي في المجتمع العربي و الإسلامي - من موقع : <http://wwwalmultaka.net> نشر بتاريخ 2006.04.01 أطلع عليه يوم 2007.09.22 عدد صفحات المقال 04.

² - محمد الغزالي : هذا ديننا - ط 3 - دار الشروق - القاهرة - 1992 - ص 178 - 179 .

تقول (الحالة 17) : " حالياً علاقاتي لا تزال في بدايتها، فلقد انتقلنا إلى هذا الحي سنة 2011، كنّا نسكن ببلدية تيزى، سأحكي لك كيف كنّا هناك، هناك كان لدينا جيران كثُر وأصدقاء كثُر، كنت أتعاون رفقة جاراتي في صنع المأكولات و التبادل فيما بيننا، التعاون في مختلف نواحي الحياة الاجتماعية، لقد بقينا هناك 07 سنوات" (أ، 18، غ، م، 3 ثانوي).

الرابط العصبي بالمفهوم الخلدوني - الجماعي يتأكد من خلال إرساء عامل الرّمّن فكلّما كان الرّمّن طويلاً كان هذا كفيلاً للتعايش بين الأفراد، التّالف، و من ثم التّوادُّ و تشييط مختلف القيم الدينية التعاونية.

و من خلال العنصر الشبابي يتم تفعيل القيم التعاونية، الشباب الذين يقولون عنهم ليفي ستروس من خلال مؤلفه "المتوسط الحزين"، أرى في أعين الشباب النّار و الكبار الهدوء".

و بالتالي من خلال هذا العنصر نكون قد وضّحنا وصمة الشباب، ثورتهم و غيرتهم على قيمهم الدينية.

- الجيرة و الضرورة الوظيفية :

يشير مصطلح الجيرة إلى " جماعة أولية غير رسمية توجد داخل منطقة أو وحدة إقليمية صغيرة تمثل جزءاً فرعياً من مجتمع محلي أكبر منها، و يسودها إحساس بالوحدة و الكيان المحلي ، إلى جانب ما تتميز به من علاقات اجتماعية مباشرة و أولية و ثيقة و مستمرة نسبياً".¹

تونيز يقول أن الجيرة تقوم على أساس الضرورة الحيوية، أي أن الأسس لا يمكنها العيش بمعزل بعضها، فلا بد من الاتصال بأسس أخرى تجاورها مكانياً، وتوسيع العلاقات تنشأ الحياة المشتركة و التعاون الجماعي.

بتلر (Butler. E) يلخص جماعة العجيرة في 03 نقاط:

- .1 التّجاور المكاني لمجموعة من النّاس.
 - .2 التّمايز الفيزيقي أو الثقافي لهذه المنطقي
 - .3 المشاركة الفعلية بين المقيمين في هذه

يقول دييول : " عتبات المسكن، نوافذه، أبوابه، موقعه، كلّها نقاط مهمّة بواسطتها تتكون علاقات الساكن بالآخرين¹.

فالجيرة هي صورة من صور التّجمّع البشري تكونت نتيجة التّحام سكني على رقعة جغرافية فقاريت بينهم مجالياً. التّقارب المجالي هي فكرة طرحتها كل من شومبوردون (Chambordon.J.C) ولومار (Lemaire.M) (يُبَنِّا مدى تأثير فكرة التّقارب المجالي على إقامة علاقات و تكوين جماعات الجيرة، و هذا عقب قيامهما بدراسة

¹ - السيد عبد العالى السيد: دراسات فى علم الاجتماع الحضري - ج1- دار المعرفة الجامعية الأزارية- 2008 - ص 263.

¹ - سواليمة نورية : الساكن ، السكن و المحيط الممارسات و التمثّلات ، دراسة ميدانية بحي سكني بالكرمة ، وهان - رسالة لنيل شهادة ماجستير في الأدب واللغة العربية - جامعة السانجا - وهان - 2002 - 2003 - ص 78-85 - 93.

ميدانية، فالتقرب المجالي حسبهما لا يحقق دائماً بوتقة اجتماعية تنصهر داخلها الجماعة بل على العكس فقرب المكان غالباً ما يباعد بين الجيران².

فكيف تظهر الصورة الوظيفية بين الساكنة؟ يقول (الحالة 14) : "الإنسان عليه أن يكون اجتماعياً ويساهم في بناء المجتمع، فأنا شخصياً إذا أردت القيام بأي عمل فما أطيب مساعدة الجميع لأن الله عزّ وجلّ قال : " وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ حَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا .." و لأنّ في التعاون تطمئن النفوس و تقوى القلوب، أشعر في حبي هذا بالانتماء للجماعة" (ذ، 27، غ، م، ليسانس).

فالإنسان بعين سوسيولوجية بحاجة للالتحام، للعيش في بحبوحة الجماعة وهذا لاعتبارات كثيرة أهمها الاعتبار الديني.

ولما كان الإنسان محكوم دينياً، فهو ملزم باتباع قيم دينية تكون بمثابة صمام أمان لاختراق قلب الجماعة "القبول الاجتماعي"، يقول (الحالة 05) : "التعاون مع الجيران صفة حميدة لأنّه يخلق نوع من المحبة، إذا كان الجار في حاجة ماسة إلى جاره فمن الواجب والمفروض تقديم يد المساعدة، فالجار هو واحد من الأهل" (ذ، 60، م، إداري في المالية والإحصائيات).

فالتقرب المجالي إذن قد حقّق تقارب اجتماعي وأصبح الجار كفيلاً للأهلية . للجار حقوق الأهل تماماً ولذلك ينبهنا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هذه القضية في حديثه الشريف الذي روى عن إسماعيل بن أبي أُونس قال : حدّثني مالك عن يحيى بن سعيد قال : أخبرني أبو بكر بن محمد عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " مَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوصِي بِالْجَارِ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَثُهُ" (متفق عليه، أخرجه البخاري و مسلم و الترمذى و أحمد و أبو داود و ابن ماجة).

ويقول الإمام الغزالى أن حقّ الجار هو : "أن تبدأه السلام و تعوده في مرضه و تعزّيه في مصيّته و تهنه في فرحة و تصفح عن زلاته و لا تتطلّع إلى عوراته و لا تضيق طريقه إلى الدار و لا تفل عن ملاحظة داره إن غاب، و تتلطف بولده و ترشده إلى ما يجهله في أمر دينه و دنياه".¹

يقول (الحالة 02) : أشعر أنّي بين أهلي، فالتعاون أفضل بطبيعة الحال فنحن كجيران نحبّ بعضنا نتعاون في كل الأمور، و حتى أبناءنا ، فأنا شخصياً أرى ابني على الصدق ، الأمانة، احترام الكبير" (أ، 40، م، ثانوي). و تقول (الحالة 08) : "إذا أردت القيام بأي عمل يتطلب جهداً كبيراً فأطلب مساعدة الجيران أولاً ثم أهلي ثانياً إذا اقتضى الأمر" (أ، 40، م، 3 ثانوي).

فالجار للجار ضرورة وظيفية اقتضاها التجاور السكّني ، و لما كان الدين ترسانة تشريعات ونظم وقوانين على كل معتقداته الامثل له، كان على الفرد التسلح بقيمه الدينية من تعاون، إيجاد، تكافف، مهما كانت طبيعة انتماءه المجالي.

² - نفس المرجع - ص 94-95.

¹ - إسماعيل عبد الفتاح الكافى : موسوعة القيم والأخلاق الإسلامية - مرجع سبق ذكره - ص 174-175.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار، جمهورية صربيا

في الأحياء الجديدة يكون سكانها متواشدون من نقاط سكنية مختلفة و بالتالي من الصعب بما كان توحيدهم من البداية، لكن مع مرور الزمن يظهر التعاون و التعااضد و هذا لأن الدين الذي يجمعهم واحد. وإن ظهرت البنية التعاونية و الضرورة الوظيفية بين هذه الحالات فهناك حالات أخرى ممّن قابلناهم لم تتكيف بعد مع محیطها الجديد فهي تحس بالانتسال من محیط متجانس إلى آخر لا متجانس، و وسط أفراد لا يعرفونهم، محیط حضري تكثر الأقاويل عنه مشاكل، مخدرات، نقص ثقة إن لم نقل انعدامها نقص المعرفة بالآخرين، كل فرد مهم بأموره الشخصية و العائلية. يقول (الحالة 04): "سكنت هذا الحي منذ 07 أشهر ليس لدينا علاقات مع الجيران هنا عدا السلام، فكل واحد منغلق على نفسه، و بصرامة لا أود إقامة علاقات معهم أخاف، تعرفين المدينة و مشاكلها ليست كالريف"، فقلت له : "لكن في المستقبل بعد تعرفك على المكان أكثر، تعرف على الجيران أكثر خاصة إن تبين أنهم طيبون، ثم أن أولادك يدرسون كما قلت فتحتما سيتعرفون على أبناء الجيران، فهل ستمانع التعامل معهم و إقامة علاقات معهم" ، فابتسم و قال : "عندك حق فيما قلت، فأنا لا أزال جديدا و قد حكمت عليهم، فالجار هو ضرورة لا غنى عنها، في حي القديم كان جيراني بمثابة أهلي نتعاون في كل شيء، و الجار أوصى عليه النبي صلى الله عليه و سلم، و هذا من تعاليم ديننا، مما المانع من التعامل مع الجيران الجدد ويا ليتها تكون كالعلاقات القديمة مع جيراني السابقين" (ذ، 38، م ، دون مستوى).

يقول العربي لصاق و هو باحث في المجتمع المدني من خلال حصة لتحدث أنه في الأحياء القديمة هناك مبادرة ، عمل، تكافل، بين جميع أفراد الحي، و في الأحياء الجديدة يكون أناس مختلفون و بالتالي يصعب التوحيد بينهم في البداية لكن عنصر الوقت كفيل بظهور التعاون ، التعااضد.

بالنتيجة الحي ليس مجرد هيكل إسمنته بل روابط و علاقات¹ ، و نحن نقول أن الحي هو علاقات جوارية تربطها ضرورة وظيفية يُبيّنها عنصر الزمن.

- قيمة التعاون من خلال الولائم و الجنائز :

لقد حث الإسلام في العديد من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية على ضرورة مبادرة الجار بمساعدة جيرانه و الأخذ بيده، و هذه المساعدة تأخذ عدة أشكال :

المساعدة المادية التي يمنحها الغني لجاره الفقير، المساعدة الاجتماعية التي تحافظ على سمعة الجار و احترامه و صيانة شرفه و كرامته و الدفع عن حقوقه الاجتماعية و مختلف الأخطار التي يتعرض لها، و يحدّر الله من عدم مساعدة الجار و رفض تقديم المساعدات المادية و المعنوية له و عدم المشاركة في أفراده " أرأيَتَ الَّذِي يُكَذِّبُ

¹ - سعيد مقدم : كيف نعيش و نتعايش في أحياناً، حصة لتحدث - التلفزة الوطنية الجزائرية الثالثة A3 - بتاريخ : 11/03/2013، على الساعة 21:00 ليلا.

بِالَّذِينَ فَدَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتَمَ وَ لَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ، فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّيَنَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ،
الَّذِينَ هُمْ يُرَاوِونَ وَ يَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ" (سورة الماعون) ¹.

فإلاسلام هو الرأي التي من خلالها تبعث مختلف القيم الدينية بما فيها التعاونية و في مختلف المواقف المناسباتية.
الولادة، الختان، الأعراس، الجنائز، هي محطّات عمرية يمرّ بها الفرد، طقوس عبور بالمنظور الأنثروبولوجي، و هي
تعبير اجتماعي عن الشعور الديني بالمنظور السوسيولوجي، تحتاج إلى التحام اجتماعي كتعبير عن استتاب الضمير
الجمعي بمفهوم دوركايم.

يقول (الحالة 08) : " باللغة من أَنَّا قد سكَنَّا هذا الحي في شهر رمضان 2010، لكن هذا لم يمنعنا من إقامة علاقات مع الجيران، فالجار أقرب مَنِي من أهلي و التالي فهو في حسبة أهلي، تظهر روح التعاون خاصة في المناسبات عرس جنازة، عيد أو مناسبة أخرى، نستلف أغراض، آنية، أفرشة، وإن كانت جاري تعيش في مسكن ضيقٍ أعيشها مسكنى لإقامة زفاف ابنها أو ابنته و هذا ما حصل بالفعل ذات مرّة، و هي جارة غالية على قلبي" (أ، 40، م ، 3 ثانوي)

و تضيف (الحالة 12) : " نحن نسكن هنا منذ 3 سنوات و هي ليست بالقليلة ، لقد أَلْفَنَا هذا الحي، حتى أَنَّ جيراننا لا عيب فيهم لا يمكن أن أقول فيهم شيئاً، فإذا كان هناك عرس نتعاون، ونستلف الآنية الأفرشة، نساعد بعضنا في أعمال التنظيف و التحضيرات للعرس، وكذلك في حالة ولادة مولود جديد نفرح كلنا به، الجنائز بقدر الله عَزَّ و جلَ كذلك بنفس الطريقة" (أ، 21، غ، م، 2 متوسط)

و تقول (الحالة 15) : " يظهر التعاون خصوصاً في حالة الجنائز، و إذا كانت عائلة فقيرة فالكل يساعد بما لديه سواء بآنية، صحون ، موائد ... مهما كان نوع المساعدة، المهم تقديم يد العون، و في الأفراح كذلك، لكن ليس بنفس الصورة كما في الجنائز، فالمحضية أو الحزن أولى من الفرح" (أ، 30، غ، م، ليسانس). فالجيرة ليست مجرد سكنات متجاورة إسميتها، فلو كانت كذلك لكان مجتمع أعطيناها مصطلحاً يليق بها، فالجيرة أعمق من ذلك فهي مجتمع علاقات اجتماعية تربط بين الأفراد.

تكونت هذه العلاقات لأنّ الفرد بطبيعة اجتماعي لا يمكنه العيش بمعزل عن الآخرين وحيدا. يقول Raymod Ledrut أن التجاورة السككني هو "إقامة السككان بعضهم قرب بعض، وهؤلاء السككان غالباً ما يتعاونون و يتزاورون و يتعاونون فيما بينهم" في شتى المجالات و من ذلك الحاجة إلى استعارة كمية من السكر أو الملح أو القهوة أو الزيت و غيرها في أثناء إعداد الوجبات الغذائية و استعارة بعض الأدوات المطبخية أو الحاجة إلى من يرعى طفلاء فترة وجيزة لاضطرار الأم إلى الخروج لسبب طارئ، و هم يشتّرون معاً في الأفراح و الأحزان و في السراء و الضراء إلى غير ذلك.

فالمحافظة على علاقات طيبة مع الجيران و زيارتهم و تقديم يد العون لهم في مختلف المناسبات والمجالات كان و لا يزال واجب ديني لدى الشعوب العربية و الإسلامية في حالة غياب أب الأسرة ينوبه جاره¹.

¹ - إحسان محمد الحسن : علم الاجتماع الديني - مرجع سابق ذكره - ص 145 - 146

8-9 أبريل 2019 - نوفي بزار، جمهورية صربيا

الأفراح والأحزان هي ظروف تبيّن مدى انعكاس العصبية - بالمفهوم الخلدوني - وبغض النظر عن الانتماء المكاني يبقى الإسلام دائما هو الواقع والرابط بين الأفراد.

تقول (الحالة 13) : " لقد تعلّمت من والدي أمور كثيرة و خاصة أمي تعلّمت منها كيفية مساعدة الآخرين، في حيّ هذا إذا كان هناك فرح، تساعدهم في صنع الحلويات و مختلف التحضيرات، و في الأحزان أيضاً نساعدهم في أعمال البيت أو شراء المستلزمات التي يحتاجونها، و إذا كانت آنية و أفرشة غير كافية نعيّرهم، فالمساعدة تكون بكل شيء" (أ، 34، غ، م، 1 ثانوي)

تقريباً باختلاف الحالات و تباينها ألغت أذني على سماع إجابات مماثلة و إن كان البعض يفضل أمور أخرى - ستظهر من خلال الفصل الرابع - لكن تحديداً حول موضوع الولائم و الجنائز فالكل يتطرق على نفس الإجابة.

لتوضيح أكثر يقول (الحالة 14) : " في الحي السابق كنت أساهم في أعمال رفقة جيرانى سواء في السراء أو الضراء و هي الولائم، الأعراس، الجنائز، أعمال خيرية و كوننا مسلمين علينا اتباع الدين الإسلامي الذي يحث على التعاون و التآزر و التآخي و جمع الشمل، و بنفس الطريقة، نحن نتعاون في جميع المناسبات حتى أننا قمنا بجمع أموال من كل البيوت و قمنا بشراء القطيون ، أواني، طوابل، أفرشة، و وضعنا هذه الأغراض بالمسجد و نقوم بتقديمها إلى كل عائلة في حالة أعراس أو جنائز" (ذ، 27، غ، م، ليسانس).

و يبقى المسجد هو المكان المقدس الذي يحافظ على روح التضامن بين الناس و المنبع الرئيسي للقيم التعاونية. و يبقى الجار القريب أقرب من الأخ البعيد في مختلف المواقف المناسبة و خاصة ما تعلق منها بالولائم و الجنائز.

التعاون في مناسبات مشتركة كالافراح مثلاً هو تعاون تابع عن خلفيات دينية يقول بورديو - ليعم بذلك الفرح الكل، فهذا يؤسس بطريقة أو بأخرى " عائلة كبيرة " تجمع بين أفرادها رابطة الأهلية و العصبية، أهل رغم انعدام وجود علاقة قرابة حقيقة بينهم.¹

- رمزية الأطباق المتبادلة عند الساكنة :

لمّا كانت الجيرة ضرورة وظيفية كان الالتحام ضرورياً للحفاظ على المعالم الهوياتية للفضاء الاجتماعي. فالفضاء الاجتماعي الذي يأوي مجموعة سكنية ليس مجرد هيكل عمراني ترسم الطابع الأرشيفي-كتوري للمكان، بل يتعدّى هذا، فهو مجموع كتابات فردية اجتماعية فأعطت لاجتماعها صبغة حضرية مميّزة.

¹. محمد بلحاجي : الأسرة الجزائرية المعاصرة بين الثبات و التغيير في الوسط الحضري، دراسة ميدانية بمنطقة الغروات - مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع -جامعة وهران - السانيا - 2011-2012- ص 161.

¹ - Pierre Bourdieu : Sociologie de l'Algérie - 8e édition des presses universitaires de France Novembre 2001- p55.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار، جمهورية صربيا

و لأن الإسلام هو الغطاء الذي يندرج ضمنه الأفراد، كان لازما عليهم اتباع قيمه الدينية، و مبادئه فكانت بذلك تلك هي الصبغة التي تميّزهم، قال الرسول صلى الله عليه و سلم : " لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا ، وَ لَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَلَا أَذْلُكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابِبُّتُمْ، أَفْسُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ".

و قال معاذ : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : " قال الله تبارك و تعالى : " وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَّحَابِيْنَ فِيَّ، وَ الْمُتَّزاوِرِيْنَ فِيَّ، وَ الْمُتَبَادِلِيْنَ فِيَّ".

و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " وَ مَا تَحَابَ اثْنَانِ فِي اللَّهِ إِلَّا كَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَى اللَّهِ أَشَدَّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ"¹.

التّحاب، و التّبادل ، التّزاور من صبغة الإسلام و قيم لازمة على المسلمين، ثابت نصّها في الكتاب و السنة. إفشاء السلام بين الناس وحده ليس كفيلا لغرس قيم دينية بينهم و لكن يمكن القول أنه خطوة أولى مسموح به – لبلوغ أو للمحافظة على قيم دينية حبّها الإسلام.

يقول (الحالة 13) : " من عاداتنا إذا أعددت أكلة تقليدية أعطي منها لجارتي، و نفس الشيء هي أيضا تعطينا، أكلة كالككس و هي أكلة معروفة بمعسكر، وفيه أيضا، لدى جارة لا تعرف كيفية تحضير البغرير، فكلما أعددناها في البيت نعطيها منه، تصنعه و لكن ليس بطريقتنا، تعجبها طريقتنا، و الجار في حسبة أهل البيت

(أ، 34، غ م ، 1 ثانوي).

تقول (الحالة 08) : " هل تعلمين شيئاً الجار أقرب من الأهل، فهو الذي أراه و أتعامل معه يوميا، و بالتالي من الواجب احترامه، توقيره مساعدته و تبادل كل شيء معه، فأنا إذا أعددت أي أكلة أعطي منها لجارتي لأن الصدقة في المقربين من الجيران، حتى هي جاري كريمة إلى أقصى الحدود تبادلني الأطباق، فهناك أكلات كثيرة تعلّمتها منها، وجبات غذائية، حلويات، و هي أيضا تعلمت مني، لكل منا عاداته في الطّبخ لكن عندما سمعنا من بعضنا تعلّمنا أمور مختلفة" (أ، 40، م ، 3 ثانوي)

تضيف (الحالة 12) : " عندما نعدّ مأكولات و نعطي منها لجاراتي تفرح كثيرا، و هم أيضا يعطونا" (أ، 21، غ م، 2 متوسط).

تبادل الأطباق بين الجيران يقلّص المسافات بينهم و يفتح الباب على مصرعيه فتلخص بذلك كل العائلات بعض النظر عن حجمها في عائلة واحدة كبيرة بقيم تعاونية، قيم الألفة، التسامح.

تضيف (الحالة 15) : " تظهر الروح الجماعية خاصة في شهر رمضان، لو أتنّك ترين المنظر ما أجمله، حوالي ساعة أو أقل قبيل الآذان تبعث كل عائلة بابتها أو ابنتها و بيده صحن مغطى قائمة له : " خذ هذه إلى جارتنا فلانة"، به أي شيء من الأكل " معقودة"، " طبق حلو" ، " طبق زيتون" ، كلّها أكلات تبعث بالفرح في كل

¹ - يعقوب المليجي : الأخلاق في الإسلام - مرجع سبق ذكره - ص 166
343

بيت فلا تحسّ و أنت تتجوّل في شوارع هذا الحي بأنك غريب بين الغرباء، بل على العكس فأنت بين أهلك" (أ، 30، غ، م، ليسانس).

و تقول (الحالة 06) : "إذا أعددت أي أكلة تقليدية أو غير ذلك نعطي منها لجيранنا، فالجود و الكرم من شمائل الصالحين، هذا يخلق التقوى و المحبة بين الجيران ".(أ، 50، م، دون مستوى).

بتحليل سوسيولوجي "الصّحن" هو رمز لبعث روح التّالُف بين الأفراد، فيه و بفضلِه تعرّفت عائلات و تواصلت اجتماعياً، و أعطى للفضاء الاجتماعي الذي يسكنه صبغة اجتماعية باعثة للقيم التعاونية.

و من هنا يتّضح أن ساكنة معسكر تتشبّث بالقيم التعاونية التي تعكس صورة الإسلام، من خلال البعد الممارساتي.

- الفردية و العلاقات اللاشخصانية عند ساكنة مدينة معسكر.

- ممارسات ساكنة مدينة معسكر ذات خلفية مدينية، قوامها الفردية، العلاقات اللاشخصانية، الاستقلالية.

- من خلال هذا الفصل سنحاول طرح الوجه المديني للمنطقة قيد الدراسة محاولة منّا لمعرفة مدى تحرّر الفرد من قيود الجماعة، معطيا العنوان لنفسه لبلوغ درجة من الحرية، بناء حياة مستقلة مبنية على علاقات عقلانية.

- الاستقلالية و إذكاء روح الفردية بين الساكنة :

- تشجّع الحضريّة باستمرار على تأكيد روح "الفردية" فتحشد الجموع البشرية في المجتمع الحضري و الطابع الاختياري للروابط الحضريّة، تعدد الفرص و تنوعها و سهولة التنقل أو الحراك الاجتماعي، وتنوع اتماءات الأفراد و تعدد المصالح الموحدة بينهم، المنافسة، كلّ ذلك يجبر الفرد على اتخاذ قراراته بنفسه، و على التخطيط لحياته بطريقة فردية و بالتالي الحضريّة تفتح باب التمايزات و الفروق، فينبع على ساكن الحضر أن تكون لديه القدرة على أن يتحايل عليهم و أن يحمي ذاته من تحايلاتهم نحوه، الأمر الذي يضطره أن يتميّز على الآخرين، فتتفتّت بذلك الحياة الاجتماعية و تميّزها بطابع الفردية.¹

- و من الفردية "الفردانية" حيث يقول مارسال موس عن نص لإيلي هاليفي في المقام الأول يمكن أن نعني بالفردانية منهج لتأويل الظواهر الاجتماعية في موضوع علم الاجتماع، يمكنني أن أتّخذ كمقومات أولية الأفراد الذين يفترض بإطلاق أنّهم متمايزين بعضهم عن بعض و أنّهم مفكرون وأنانيون المناطون للتّكوين العقلي، يمكن وضع هؤلاء في مواجهة مع بعضهم.²

- فالإنسان ليعيش في وسط مديني هو مجبر على اتخاذ قراراته بنفسه، و بالتالي الاعتماد على النفس و التخطيط بعقلانية و بطريقة فردية لحياته، فبمجرد اختيار الفرد لنطّيه العيش المديني يكون قد خطى خطوة أولى نحو الفردية ما تعلّق بها من عقلانية و منطقية.

¹ - السيد عبد العاطي السيد: دراسات في علم الاجتماع الحضري- مرجع سابق ذكره- ص 235- 236.

² - أندرى لالاند : موسوعة لالاند الفلسفية- مجلد 2- منشورات عويدات- بيروت باريس- ص 657- 658.

9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

-يقول (الحالة 04) : " لقد اخترت العيش في المدينة لاستقر اجتماعياً، بما أني أعمل هنا في مدينة معسکر، اشتريت سكناً خاصاً، أريد أن أتحمل مسؤوليتي بمفردي و اتخاذ قراراتي وحدني، فأنا الآن مسؤول على عائلة و أبناء، عمل خاص و هذا هو طابع المدينة" (ذ، 38، م، دون مستوى)

-و يقول (الحالة 03) : " لقد انتقلنا للسكن هنا لنبني أنفسنا وحدنا، الآن أصبح لدينا أولاد فعلينا أن نتحمل مسؤوليتنا بمفردنا، تقريباً أنا لدى علاقات محدودة، أميل دائماً لاعتماد على نفسي، قد تقولين لي و الجيران أقول لك علاقاتي بهم محدودة في مناسبات فقط، في الغالب لا أترك أبنائي يلعبون في الخارج، أحب أن يلعبوا في الداخل لتفادي المشاكل" (أ، 32، م، ليسانس)

-تقول (الحالة 12) : " التعاون مع الجيران يشعرني بالسعادة لكن تعرفين ظروف الحياة صعبة والعيش في المدينة أصعب، فنحن نعتمد على أنفسنا في أمور مختلفة، إذا أردنا القيام بشيء نقوم به بأنفسنا، فأنا أهتم بأخي، أدرسه في الغالب أريده أن يبقى في البيت للّعب، الكثير من الأمور لا نعيّرها اهتماماً كبيراً فهي لا تحتاج لذلك"

(أ، 21، غ، م، 2 متوسط)

-فالمدينة مجال واسع يحتم على منتببيه المعقولة في التفكير و الطرح، المنطق في التعامل فالفرد فيها مهما كان فهو يعيش بين غرباء لا يعرف الكثير عنهم إن لم نقل لا يعرف شيئاً عنهم.

-فكثيراً ما يفضل العزلة و العيش في بحبوحة خاصة، و إن أحس بالضيق و الضجر فيفعل أي شيء عدا مخالطة الآخرين.

-تقول (الحالة 15) : " لا أنكر أنّي أعيش في وحدة، طبعاً أنا مع أسرتي لكنّي غالباً عندما أحس بالضيق أتجوّل بين المحلات و لوحدي غالباً إن لم أكن رفقة الأهل، فالوقت لا يستأنف، قد تأمّنهم في أمور الحياة اليومية لكن هناك أمور أنت وحدك المسؤولة عنها، أنت وحدك من يقرر فيها و لا أحد لا أحد أقول سيتّخذ القرار مكانك، أو يلومك عليه، لأنّ الأمر ببساطة لا يعنيه، و الذي تدخل فيها لا يعنيه يلقى ما لا يرضيه" (أ، 30، غ، م، ليسانس).

- من تدخل فيها لا يعنيه يلقى ما لا يرضيه" مثل كثيرة ما نسمعه، يضرب عند التدخل في شؤون الآخرين، في نظري هذا المثل مديني بامتياز، ففي المدينة لا أحد يتدخل في غيره لأنّه أمر لا يهمه لا يخصّه، و لأنّ الأفراد لا تربطهم صلة قرابة حقيقة، بل قرابة جوارية سكنية و بالتالي فمهما حاول التدخل فالمنطق و العقل لا ينصفانه.

-تقول (الحالة 11) : " في هذه الدّنيا ساعد نفسك بنفسك كي تواجه مصاعب الحياة و مشوار طريق مستقبلك، فالأخير بالاعتماد على النفس و التوكّل على الله" (أ، 18، غ، م، دون مستوى).

-المدينة، العقل، الفردية، الاستقلالية، مفاتيح لا يمكن العيش و الانخراط في الحياة الحضرية دون اعتمادها.

- المهنـة و درجة الاكتفاء من عوامل تأكـيد الفـردـية :

-المدينة هي عامل جذب للأفراد لتميزها بمجموعة مميزات، فهي ليست مجرد وحدة جغرافية وإيكولوجية، بل هي كيان اقتصادي، من خلالها يحضى الفرد بمكانة اجتماعية، ويستقر اجتماعياً.

-صعوبة الحياة في المدينة، طابع العلاقات اللاشخصانية القائمة على روح الحساب و منطق الثمن، المخالصة فلكل شيء ثمنه، القانون الوضعي القائم على بنود و أسس على الكل الانصياع له.

-الفرد المدين لا يخشى المشي وسط الغرباء، الجلوس بجانبهم أو حتى سؤالهم عن أمر ما بشرط عدم التدخل في حياتهم الشخصية.

فمن خلال المدينة تتحطم الروابط الشخصية نحو اللاشخصانية لذلك كثيراً ما نرى شخصان يتقيان في الشارع يسلمان على بعضهما و بعد دقائق ينصرف كلّ منهما لقضاء حاجياته.

-لتكون بذلك المهنة ضرورة لتحقيق الاكتفاء و التمكّن من مضاهات الحياة الحضرية.

-فهل كلّما استقر الفرد مهنياً و حصل على درجة من الاكتفاء كان في غنى عن العلاقات والقيم الدينية التعاونية، و آتجه وجهة مدينة؟

-يقول (الحالة 09) : "الآن تقريباً لدى علاقات لكنها محدودة ليس بنفس الطريقة السابقة تعرف العمل و طبيعته، تقريباً علاقاتي مع زملاء العمل و المواضيع حول العمل و بالتالي ليس لدي الوقت، بفضل العمل أنا أعيش هنا، ليس سهل العيش في المدينة و بدون عمل، مال لا يمكن أن تعيشي هنا، و هذه هي الحقيقة التي لا هروب منها"

(ذ، 45، م، جامعي)

و تقول (الحالة 10) : "قلت لك أنا موظفة، و بفضل هذه الوظيفة، طبعاً إلى جانب وظيفة زوجي تمكّنا من شراء بيت، و الحمد لله نحن مكتفون مادياً لا ينقصنا شيء و لا نحتاج إلى مساعدة أحد، علاقاتي تقريباً مع زملاء العمل، مع أهلي و أهل زوجي، و الوقت غير كافي لإقامة علاقات، ثم بصراحة لست بحاجة لهذه العلاقات، فأنا في بيتي مع زوجي و أبنائي علاقاتي معهم فقط، لا أحتاج لهم قد أتواصل معهم في حالة الواجب فقط و لفترة قصيرة كجنازة أو مناسبة ، فالناس مختلفين كما يقول المثل (أصابع اليد لا تشبه)" (أ، 40، م، جامعية).

-العمل، قلة الوقت، الاكتفاء ذاتياً، يجعل من العلاقات تطفو على السطح لتصبح فيليناً لا يزن أمام ظروف العمل.

-تقول (الحالة 11) : "بيننا و بين الناس علاقات خفيفة فقط، فنحن لا نحب التعرف عليهم، إنّك تعرفين الوقت صعب و الإنسان لا يستأمن و نخاف من المجهولين، فيكيفني العيش مع عائلتي والاعتناء بأخي المعاك، القيام بواجبي الديني أصلّي، أصوم في شهر رمضان و عادة في الأيام العادية، وبيننا و بين جيراننا و الناس علاقات عادية مثل بقية الناس سلام و بعض الحديث لا أكثر فنحن نخاف، و الوقت غير آمن، كثرت المشاكل اختطاف، مخدّرات ، و أنا فتاة، تغيّرت الرؤية للفتاة و العمل هو الشيء الذي يمكن الفرد من العيش في المدينة، حالياً أمي هي التي تعمل و لو أنه عمل متواضع، لكن بفضلها نحن نأكل الخبز، و بعد

شهر أو شهرين سأخرج من معهد التكوين المهني، و سنكتفي ماديا فلا تحتاج بعدها لأي مساعدة" (أ، 18، غ، دون مستوى).

-يضيف (الحالة 01) : "بفضل عملي أعيش عائلتي، فالفرد مهما كان سيجد نفسه في النهاية وحيدا وسط مجتمع لا يرحم، الحمد لله لدينا جيران طيبون لكن لكل منهم عائلة، مسؤوليات، و هذه المسؤولية تحتاج إلى رجل حديدي، مهنة تعيله على عقبات الزمن، قلت لك أني أستاذ و تعرفين ظروف العمل، تقريبا علاقاتي مع زملائي في العمل، تلاميذى، عائلتي، أنسابي، و الحمد لله أنا مكتفي من عملي هذا فلا أحتاج لمساعدة أحد، الحمد لله أتحمل كل تكاليف عائلتي علاج ابنتي، استكمال بناء بيتي... وهكذا" (ذ، 43، م، ليسانس).

-فالحياة في المدينة تطبع أفرادها بطابع العلاقات السطحية، تفرض امتهان مهنة لمجابهة مشاكلها المتنوعة.

-تقول (الحالة 13) : "أنا أعمل كاتبة، و لو أنّ أجراها محدود لكنه يكفيوني و يكفي عائلتي، يحمينا و يقوينا على مصاعب الحياة، لدى علاقات تواصل مع الجيران و الأهل لكنها تكاد تكون متعلقة بالمناسبات صرت أفضل الاهتمام بأمورى و أمور عائلتي وحدنا لا نشرك أحدا، فلكل همه الذي يكفيه، و إذا وجدت جار جيد، فهناك آخر مختلف أناي يجبّ نفسه لا يأبه لآخرين" (أ، 34، غ، م، 1 ثانوي).

-الفرد المدني مع الوقت سرعان ما تتأكد لديه ضرورة الاعتماد على النفس، استعمال العقل و إشغاله في كثير من الأمور، التفكير بمنطقية Raisonnement المتوقع.

-تبين دراسة ميدانية وجود ضعف واضح في العلاقات بين الجيران فقد أصبحت محدودة تتخذ طابع رسمي شكلي تختفي فيه صفة الحميمية التي كانت موجودة من قبل بين الجيران، حيث كانت الزيارات و الأطعمة و المأكولات، و الملاحظ ارتباط علاقات الجوار بالمصلحة المشتركة. التداخل والاختلاط بين الجيران أصبح مكروها لعدة أسباب كالعمل، و عدم وجود وقت فراغ حدوث مشاكل بين النساء أو الأطفال، أو عدم الاندماج بين الجيران.¹

و تبقى حداثة المنطقة عائقا عمليا أمام اندماج الأفراد.

- السكن و إذكاء طابع الاستقلالية:

السكن رمز من رموز الهوية، فقد كان و لا يزال مكان هام للفرد من خلاله يذكي طموحه وكل ما يريده.

-بنظرة معمارية Architectural نميز بين نمطين من السكن، السكن الدائري الذي يتوسطه حوش، الحوش الذي قال عنه "عبد بن جليد" من خلال "تشظي المجال الحضري الوهرياني (الجزائر) : ميكانيزمات، عوامل و تهيئة حضرية" و في إطار حديثه عن انفجار السكن في المجال العاصمي الوهرياني يتناول مصطلح "حوش"

¹ - سلوى السيد عبد القادر و آخر : الأنثربولوجيا و القيم - مرجع سبق ذكره- ص 326.

8-أبريل 2019 -نوفي بزار. جمهورية صربيا

Haouch على أنه يأخذ عدّة معانٍ، فهو يستعمل في الوسط الريفي ليعني به شكل البيت الريفي الذي يحتوي على ساحة داخلية مغلقة يشكل مجال حميمي للعائلة و بشكل عام "الحوش" لا يحتوي على أي فتحة على العالم الخارجي، فهو مغلق باستثناء باب الدخول، غير أنه مع النزوح الريفي تم نقله إلى المجال الحضري تعديلات تتلائم و الحياة المدنية حيث تم فتح عدّة نوافذ وأبواب تطل على الطريق¹.

- و هناك أيضا السكن الحداثي الذي يكاد يختفي فيه الحوض، نمط المهارات بلغة أخرى لقد تمت عصرنة "الحوش" ليتلاءم مع المجال المديني.

- في تحليلنا لهذه الورقة سعتمد على ملاحظات، معايير للمنطقة المدروسة و أنت تجوب أرجاء الحي لا ترى مهارات بل سكنات طبقية تقريبا في طور الإنجاز و إذا كانت قد اكتملت من الداخل تبقى من الخارج غير مكتملة البناء تعكس الجانب الاقتصادي لمكتسيبيها.

- فالساقنة في تغيير مجال إقامتها باتجاه هذه المنطقة أرادوا إثبات هويتهم الفردية، و الانحراف ضمن منظومة الاستقلالية على مختلف المستويات بداية بالاستقلالية السكنية وصولا للاستقلالية المادية.

- فقليلًا ما تجد كملحظ ، نساء يتكلّمن في الشارع فشيرة التواصل قد استبدلت بالباب والنّوافذ، لذلك قد نرى باب مفتوح قليلا خلفه امرأة تتكلّم إلى جارتها أو إلى ابنتها التي تلعب أمام الباب مباشرة قائلة لها : " العبي هنا لا تذهب بعيدا، سأراقبك بين الحين و الآخر" ، و هذا يدل على أهمية الفضاء السكاني للساقنة، و ما الفناء إلا فضاء سكنيا ممتدًا، لتلعب النافذة نفس دور الباب تقريبا، أو يحول إلى مكان لعب الأطفال، فتضيع فيه طفلها لأنّه محاط بسياح فيرافق الشارع و هو داخل البيت فتضمن بذلك عدم خروجه للشارع. لكن قد تغفل الأم عن ابنها و هذا ما لا يحبّذه البعض، أذكر جيدا عندما كانت الطفولة أمام البيت تلعب و الأم كانت تراقبها عبر النافذة، و مررت إحدى الجارات سلمت عليها قائلة لها : " أدخلني ابنتك للبيت دعيها تلعب في الحوش أو الغرفة".

- هذا دليل على أهمية السكن بحد ذاته كمجال إقامي و هو في حد ذاته يحمل عدّة دلالات فكان بذلك جديرا بالاهتمام.

- يقول "عبد المالك صياد Sayad A" في إحدى مقالاته على أن الجيران لم تعد تربطهم علاقات كما كانت في السابق فقد حلّت محلّها علاقات سطحية و باردة، مختارة و عقلانية فهذه هي طريقة الحياة داخل فضاء جديد و أطلق عليها "نموذج المخالطة الحالي"¹.

- حتى لا يرتبط الساكنون بالساقنة المجاورة فهو يسعى لضرب علاقة وثيقة مع محیطه السكاني الذي يعبر من خلاله عن فرديته و استقلاليته تلك التي يحتاج بها لأي تفاعلات خارجية.

¹- Abed Bendjlid : La fragmentation de l'espace urbain d'Oran (Algérie) "Mécanismes acteurs et aménagement urbain- Insniyat N° 05 Mai Aout 1998- p61 -73.

¹ - سوالمة نورية: الساكن، السكن و المحیط الممارسات و التمثالت- مرجع سبق ذكره- ص 99.

-تقول (الحالة 10) : " عندما أعود من العمل أبقى في بيتي أوضّبه، أنظفه تعرفين أمور البيت، خصّصنا غرفة خاصة تحتوي على سبورة جدارية لدراسة أبنائي فلا يحتاجون بذلك لأي مساعدة، أنشر غسيلي في السطح"(أ، 40، م، جامعي).

-السكن، الاستقلالية، الاكتفاء المادي ثلاثة مرتبطة بشكل وثيق، فالسكن يعبر عن الاستقلالية و الاكتفاء المادي يسهم في سرمان مفعوله فتصبح بذلك مكونة للفردية المدينية.

-تضيف (الحالة 11) : " علاقتي مع بيتنا هذا متينة، فلا أكاد أخرج للخارج إلا لقضاء حاجة كشراء شيء ما أو للدراسة، فالشارع أصبح غير آمن، شباب اليوم لا يعرف سوى... فالبيت أمن من الخارج"(أ، 18، غ، دون مستوى)

-عيش الفرد في سكنه و قلة اتصالاته بالعالم الخارجي، و إن كانت اتسمت بالبرودة و الطابع اللاشخصاني للعلاقات الاجتماعية تبقى سمة معبرة عن الصبغة الحضرية الجامحة و في هذا الإطار تأثير الفضاء على الأفراد"التطبيع"، يقول "جنيد حجيج" : "تنظيم الفضاء ظاهرة اجتماعية لا يمكن التقرب منها و فهمها إلا بالرجوع المباشر إلى الظواهر الاجتماعية الأخرى دراسة الفضاء معناه إبراز التفاعلات القائمة بين الفضاء و المجتمع في المرحلة الأولى، يجب فهم العمليات التي تحدث أو التي حدثت حتى تم بموجبها إنجاز الفضاء، ثم في مرحلة تالية يجب ملاحظة و تسجيل آثار هذا الفضاء على المجتمع ككل¹.

-للفضاء -بهذا- تأثيره على الأفراد، الأمر الذي لا يمكن إغفاله، و لما كان السكن مجالا متعدد الوجهات، أخطبوطي الاستعمالات حظي منتسبوه باستقلالية متميزة تذكرى الطابع الفردي المدنى.

– النشاط الجماعي عند الساكنة:

يتكلم عبد القادر لقجع من خلال : " المدينة قالب تصهر فيه الثقافة الجديدة (مدن، ثقافات ومجتمع بالجزائر" عن ظاهرة الحركات الجمعوية في الوسط الحضري و تنايمها خاصة في فترة ما بعد السبعينيات 1971م، و كيف أنه يعتبرها فن التصالح مع الصعوبات أو التعقيدات الجديدة للحياة الحضرية، حيث يقول أنه يمكن اعتبار الحركة الجمعوية" أنها رد فعل اجتماعي على فساد البنية الاجتماعية للرّابطة *Communauté* أو الجماعة المعنية بالتحضر".

-بمنطلقات ميدانية، يتكلّم عن انتفاضة أكتوبر 1988، كيف ساهمت في مضاعفة الجمعيات بالجزائر في مختلف المجالات ليجد 75 جمعية اجتماعية، 55 جمعية ثقافية، 44 ذات حقوق مختلفة، 42 دينية، 21 علمية، 40 مؤقتة متعلقة بالبيئة و السكن، 21 جمعية سياسية، 04 رياضية.

- عن العلاقة بين المجال الديني و المجال الرياضي تقول حنفي سامية صاحبة " à travers les âges Les sport Algérie " : " الفريق، الجمعية ... هم قبل كل شيء مكان التجمع لنفس الجماعة، هو شعور الانتماء لنفس الفريق له مميزات متجانسة (الشروط الاجتماعية، الدين، السن و خاصة الحي)" .

¹. عبد الرزاق أمقران : الفضاء العمراني، فضاء اجتماعي و ثقافي في مقاربة منهجية- مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية - العدد 16 - جوان 2007 - جامعة باتنة - الجزائر - ص 189.

- جيل الجمعيات ولد في العشريّة الأخيرة -حسب لقجع- حيث اختلّفت التسميات، ففي بلاد القبائل "Des Majliss" ، بالمرأة "tajmaat et leur Amokrane N'tadert Amemokal".

- مع ميلاد عصر التصنيع ظهرت جمعيات _البطالين، الإطارات، الخبراء، المتقاعدين، سكان الحي، المهتمون بالمحيط ضدّ التلوّث والأمراض البيئية الأخرى.¹

- بهذا يكون عبد القادر لقجع قد حفر معرفياً بمفهوم "ميشار فوكو" في مسألة النشاط الجماعي.

- حسب معرفتنا المتواضعة الجمعية تكونت لتمييز فئة عن أخرى، فيها و من خلالها يجتمع أفراد لتحقيق أهداف مشتركة".

- و لأنّ تكونها ضاربٌ في التاريخ، فارتبطتها بالمجال المدني شيء ضروري ضرورته اقتربت بظروف الحياة الحضرية، و طابع العلاقات الاجتماعية فيها. تقول (الحالة 13) : "نحن نلجأ للجمعية في حالة عدم وجود مساعدة، هناك جمعية إحسان للمعاقين ذهنياً و هي جمعية تملك كل المستلزمات آنية طاولات، كراسٍ، أفرشة، إذا لجأت إليها تعينك كل ما يلزمك، هي مدرسة لذوي الاحتياجات الخاصة، لقد ساعدتنا عندما قمنا بزفاف أخي، و أنا أرى بأن لها أهمية كبيرة" (أ، 34، غ، م، 1 ثانوي).

- "المعاقون ذهنياً" شريحة اجتماعية تشتراك في نفس الظروف على ذلك تم تكوين جمعية باسمها، وفي نفس الوقت تعمل على مساعدة المحتاجين و الذين يمرّون بظروف حرجة.

- السؤال المطروح ما الدافع لإنشاء مثل هذه الجمعيات؟ .

ثمّ أين هي تلك الروح العصبية التي ثمّ تأكّيدتها في الفصل السابق؟

يقول (الحالة 07) : " أتعامل مع جمعية الإصلاح والإرشاد و جمعية كافل اليتيم، حيث لها أهمية كبيرة في الربط بين الناس و الهيئات الإدارية، و عضو في جمعية المجد (المعوقين) و الاتحاد العام للمعوقين و نادي السلام

"

(ذ، 42، م، 3 ثانوي).

و تقول (الحالة 08) : " أنا أيضاً لدى نفس الانتفاء الجماعي لما قاله - الحالة 07 - و بالطبع لها أهمية كبيرة"

"

(أ، 40، م، 3 ثانوي).

- الفرد المدني لا يمانع في أن يكون له انتفاء جماعي، فهو يرى فيها و في وجودها أهمية كبيرة، من خلالها تحل مختلف مشاكله.

- قلة معارف الفرد المدني، و محدودية علاقاته، انعدام أو تقلّص ثقته فيمن حوله كلّها عوامل -حسبنا- تساعد في اعتماد الفرد على الجمعيات. فالجمعيات بالنسبة له منفذ من خلاله تلبّي كل حاجياته.

¹ Abdelkader Lkjaa : La ville "creuset d'une culture nouvelle (ville, cultures , et Société en Algérie) – Opsit – p -39-59

9-8 نوفي بزار، جمهورية صربيا

- فالفرد المدنيي بهذا حقل وجهة ثقته من الأفراد بعدما كان يعتمد مفهوم الجماعة إلى المؤسسات، وفق منطق العقلانية و النّضج . و الفردانية و الثقافة و هو منطق الحياة المدنية بتعبير Fanny Colonna¹.
- يضيف (الحالة 14) : " أنا أنتمي إلى جمعية اسمها جمعية أصدقاء البيئة، حيث أقوم أنا وأصدقائي بغرس الأشجار، و حتى تنظيف الأحياء، نقدم هدايا لأجمل الأحياء" (ذ، 27، غ، م، ليسانس)
- و يقول (الحالة 01) : " أتعامل مع جمعية الإصلاح والإرشاد" (ذ، 43، م، ليسانس).
- فالاتتماء لجمعية ما قد يكون هواية، كما قد يكون سمة معبرة للحياة الحضرية و رغم وجود المُعادين للنشاط الجمعوي تبقى الجمعيات كمؤسسات قائمة في الوسط الحضري.
- و عن النّزعة المضادة للجمعية يقول (الحالة 05) : " لا أتعامل مع أي جمعية، و لا أنخرط في أي هيئة" (ذ، 60، م، إداري في المالية و الإحصائيات).
- و كذا بالنسبة (للحالة 06)، (الحالة 12)، (الحالة 15) و غيرها من الحالات، و حتى أن هناك من رفض التعامل بقطعية معها لا في الحاضر و لا في المستقبل.

- المجال العام يتفتت:

- المجال العام / المجال الخاص ثنائية سنحاول تفكيركها من خلال هذه الورقة.
- أما المجال العام من مجال العلاقات و الribatations التي ينسجها الأفراد نسجاً نسقياً محاولة منهم للمحافظة على التّسقى الكلّاني، هو مجال قائم على الاختلافية و قبول المختلف فالكلّ فيه يحترم فردانية الآخر لتحقيق التّنسقية الكلّية، هو مجال يعتمد على "تنتهي حرّيتك عندما تبدأ حرّية الآخرين".
- بينما يقابله المجال الخاص الذي يحتل فيه الفرد المركز، هو مجال يسمح باستقلالية الفرد على جميع المستويات، هو مجال يتبع أمام الفرد فرصة ممارسة نموذج الحياة الذي يختاره هو، هو المجال الذي له فيه مطلق الحرّية.

-فال المجال العام يؤسس لمفهوم المجتمع بنظرة وظيفية، في حين المجال الخاص يؤسس لمفهوم الفرد فتصبح بذلك ثنائية المجتمع / الفرد.

-طرحت هذه الثنائية التي هي عبارة عن أضداد في العديد من الكتابات ك " Norbert Elias, François Dubet " هذا الأخير صاحب الأنا/النّحن، يطرح مفهوم الضّبط Configuration لتجاوز هذه التّضادية، يقول أنّ فرد/مجتمع تعدّ صورتان أو نموذجان مختلفان، في طرحه لمفهوم الضّبط يعطي مثال : لـ 04 لاعبين يجلسون حول طاولة، تمثي اللعبة وفق دور كلّ لاعب و اختياراته و قراراته.

¹. Fanny Colonna : Paysans et encadreurs "A propos des transferts de savoirs et modèles entre villes et campagnes Algérie, de A Nouschi et autres : système urbain et développement au Maghreb, office des publications universitaires Alger 1983- p322.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

-من جهته Edgar Morin "الفكر المعقد" هو عالم اجتماع و فيلسوف فرنسي و استناداً لـ Blaise Pascal "يؤكد" يستحيل فهم الأجزاء بمعزل عن الكل و كذا فهم الكل بدون فهم محدد للأجزاء" و هذا لفهم ما يسمى "الفكر المعقد".

-قال حول مفهوم "الكلية Holisme" و الفردية" يجب إثراء مفهوم المجتمع من كلّ التواحي عندما يكون هناك تفاعل بينه و بين مفهوم الفرد، و هذا يخلق مجتمع متكملاً يرتكز على الأفراد و هذا لا يعني أنّ الأفراد بطريقة عكسية ليسوا ضروريين للمجتمع، الأفراد يحتاجون المجتمع و هذا الأخير بدوره يحتاج الأفراد "فالعلاقة تبادلية".¹

-فانتقال الفرد و درجته من فضاء إلى آخر كلّ هذا له تأثيره على نمطية عيشه فهو بخروجه من المجال العام و انخراطه ضمن منظومة المجال الخاص يكون قد انتقل من مستوى يحقق من خلاله فرديته و يبرز بشكل آخر متميّز.

-فهل في تحقيق فرديته انسلاخ كلي عن قيمته التنشئوية -التعاونية منها- فكراً و ممارسة؟.

-انتقال الفرد إلى الفضاء المدني محاولة منه لثبتت أقدامه على أرضية من خلالها يتحقق فردانيته التي كانت في الأساس مُنمحات في الجماعة.

-في إطار الجماعة الكلّ يهتم لأمر الكلّ أو بكلام آخر فأمر الفرد مهم عند بقية الأفراد لأنّه مكونة من مكونات الجماعة، فهو ليس وحده المسؤول على تحمل متابعته تربية ابنه، فهل سيواصل العيش في المدينة بنفس هذه التنمطية؟.

-يقول (الحالة 07) : " أنا أب ل 03 أطفال ذكورين و أنثى، في مسألة الأخلاق لا أمانع في أن يشاركتي الآخرين تربية أبني، فنحن قد ربينا على هذه الطريقة و أسعى جاهداً على تربية أبني بنفس هذه الطريقة، فلو ضرب أحد أبني لسلوك أخلاقي ما سأفرح كثيراً، بل حتى أني سأجازيه لأنّه سلوك من صلب الإسلام و من تعاليم ديننا"

(ذ، 42، م، 3 ثانوي).

- في نفس السياق تقول (الحالة 08) : " مثلما قال زوجي سجاري جارنا إذا قام بهذا الفعل الأخلاقي، لكن أين هو هذا الجار، فكل واحد منشغل في نفسه، أولاده بل حتى أنّهم صاروا لا يهتمون بالآخرين ما قولون و ما يفعلون"

(أ، 40، م، 3 ثانوي).

-يقول (الحالة 05) : " الجار هو واحد من الأهل فإذا ضرب ابني لسلوك أخلاقي أنا أربح بهذا الجار، وأزيد ابني ضرباً أكثر مما ضرب"

(ذ، 60، م، إداري في المالية والإحصائيات).

-و يضيف (الحالة 01) : " طبعاً سأجاري جاري لأنّه سلوك شهم، لكن عن أيّ أخلاق تتحدثين و عن أيّ مجتمع، فالناس مختلفين و نادراً ما ستتجدين مثل هذا النوع، غالباً لكل واحد طباعه و أفعاله، الذي تتحدثين

¹ - Dominique Glayman: L'essentiel pour comprendre la sociologie- Ellipses édition Marketing SA, 2012- P17-19

عنه وجدته في جيبي القديم كنا كلنا يد واحدة، لكن هنا تقريبا إن وجدت جارا يضرب به المثل في القيم والدين ستجدين آخر و آخرين مختلفين" (ذ، 43، م ، ليسانس).

- بمقابل هذه الحالات المؤيدة نجد حالات أخرى، من ضمن عينة بحثنا، رافضة تماما وبالطلاق، و تدعوا بالانسلاخ الكلّي عن النّمط الحياتي القبلي معتبرا نفسه المسؤول الوحيد على تربية ابنه.

- يقول (الحالة 09) : " طبعا أنا أمانع تماما، فابني أو ابنتي، أبنائي، عموما مسؤوليتي وحدّي ولا أحب تدخل أحد فيهم" (ذ، 45، م، جامعي).

- ثم في إطار الجماعة انحراف الأفراد من مهمّة الجماعة تطويعهم فهل هذا التطويع يستمر في المدينة ؟

- تقول (الحالة 03) : " بصراحة كل واحد مسؤول على تصرفاته و لا أحد من حقه التدخل في شؤونه، فهو ليس من أقارينا، أهلنا، هو جار فأنا أشعر حياله بالألم، فإن لم أستطع أن أنصّحه بالفعل وبمساعدة زوجي في هذه الحالة، فإن لم تستطع فبقلبك" (أ، 32، م، ليسانس).

- يقول (الحالة 13) : " أتجنّبه و تكون المعاملة معه سطحية، أتركه و شأنه أتجنّبه" (أ، 34، غ، م، 1 ثانوي).

- وفي الجماعة من لا يمتثل لقانونها القيمي الديني فهو من البداية منبوذ و يُمحى من القائمة –قائمة العضوية– فهل هو كذلك في المدينة ؟.

- يقول (الحالة 11) : " لا أريد التدخل فأترك هذا للقانون، فأنا أحاول أن أضمن منزلي جيدا، أما مشاكل الناس فلا أتدخل فيها" (أ، 18، غ، م، دون مستوى).

- و تقول (الحالة 15) : " لم تبقى القيم الدينية مثل زمان، فهناك ابتعاد عن الدين في العلاقات الاجتماعية، وأصبح الدين في القلب كما يقول المثل" (أ، 30، غ، م، ليسانس).

- تقول (الحالة 02) : " لقد أصبحت العلاقات فردية، وأصبح الاهتمام بالجانب المادي فقط أين هي الأسرة الكبيرة، فهناك نقص في التواصل و التضامن فنجد أغلب الناس يؤدون الفرائض و لكن القلة القليلة يفقهون معناها فتجدinya يصلّي و لا ينهي عن المنكر و الفحشاء، لا يصلّي جاره ، لا ... ماذا عسانى أقول" (أ، 40، م، ثانوي).

- "نفسي نفسي" كلمة تكررت بين بعض الحالات لتعبر تشرذم المجال العام و تفتتة. و ما ساهم في تفتت المجال المدني يقول عبد الله العروي "يفكّك التلفاز الفكر الجماعي المدني و يدفع الناس إلى الانكماس على حياتهم العائلية، يشجّع الذهنية الترفيعية على حساب الذهنية الإنتاجية".¹

- السؤال المطروح و الذي لا نستطيع الإجابة عنه إلا إذا عاودنا تجربة بحثية في مشاريع مستقبلية، إن شاء الله.

- هل سيستعيد المجال العام قوامه؟ أم أنه سيتواصل مسيرته الانمائية في ظل المجال الخاص؟.

- على مستوى الممارسة تتأكد الفرضية الأولى القائل نصّها :

- ممارسات ساكنة مدينة معسكر ذات خلقية تعاونية-

¹ - عزيز لزرق : العولمة و نفي المدينة- ط1- دار توبقال للنشر - الدار البيضاء- المغرب- 2002- ص 24.

فصحيح أنّ الفرد في المدينة يريد أن يستقل بحياته بامتهان مهنة تعيله على الحياة، سكن خاص يميّزه، حياة خاصة مختلفة لكنه لا يزال محكوم دينيا بقيم دينية تعاونية لا يستطيع بأي صورة أو صيغة التخلص منها، فهي تعتبر الدرع الواقي له لمسيرة اعتماده مع الحياة المدنية.

- الخاتمة :

ختاما لهذه التجربة البحثية القيم الدينية هي تلك الأحكام والضوابط التي تسير حياة الأفراد والمجتمعات، والتي تبني في المجتمعات الإسلامية على أساس ديني خالص فلا تكاد تخرج عن الإسلام . فالتعاون قيمة دينية متجلّدة في النص الإسلامي و من خلال معايشتنا لساكنة "عين البيضاء" خصيّبة بمعسّر تبيّن مدى تأصل هذه القيمة الدينية من خلال ذاك الجانب الثقافي للساكنة و ما مدى التشبيث الفكري بالأصول السكنية الأولى ، ثم من خلال العنصر الشبابي تم تفعيل التنشئة الدينية من خلال ترسیخ القيم التعاونية إلى جانب العلاقات الإنسانية الجوارية منها كعلاقة فاعلة لا منفعة في الفضاء المدني و نسقيتها الوظيفية من خلال البعد الممارستي للساكنة . غدت الولائم و الجنائز و الأطباق المتبادلة مؤشرات نسقية ناجعة لتأكيد وظيفة النسق التعاوني الكلّي و عوامل مؤكّدة على التساند البيني نسقي – نسقي .

فتأكّدت بذلك الفرضية الأولى القائل نصها :

- ممارسات ساكنة مدينة معسّر ذات خلفية تعاونية و تتأكد بذلك العلاقات التعاونية القائمة على أساس عصبيّي تعاوني .

في مقابل هذا تتضاءل حصة الفرضية الثانية القائلة :

- ممارسات ساكنة مدينة معسّر ذات خلفية مدنية قوامها الفردية ، العلاقات اللاشخصانية ، الاستقلالية . تبقى المدينة بمقوماتها الفردية ، السطحية ، اللاشخصانية ، الاستقلالية بالمؤشرات المدروسة المهنة و درجة الاكتفاء ، السكن و النشاط الجماعي بعيدة إلى حدٍ ما عن المجتمع المدني المعسّري المحكم دينيا . إذ في ظل الإسلام المؤسّط للقيم الدينية التعاونية يتم قمع العلاقات الفردانية . لنفتح المجال في الأخير للعلاقة فردية / تعاونية و ما مدى اكتساح الواحدة على حساب الأخرى للتاريخ لفضاء مدني " معسّري " لمحاولة بحثية أخرى

قائمة المراجع:

I – باللغة العربية

1- المصادر والمراجع:

- 1- القرآن الكريم
- 2- الكافي إسماعيل عبد الفتاح ، 2005،موسوعة القيم و الأخلاق الإسلامية – مركز الإسكندرية للكتاب –
- 3- أندي لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية – مجلد2-منشورات عويدات- بيروت باريس

2- الكتب:

8-أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

- 1- أحمد محمد محمد بدوي: علم اجتماع القيم -دار المعرفة الجامعية - 2002.
- 2- النيجاني ثريا، 2011، القيم الاجتماعية والتلفزيون في المجتمع الجزائري- دار الهدى عين مليلة الجزائر-
- 3- السيد الحسيني ،2000، المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري" - دار المعرفة الجامعية-
- 4- السيد سلوى عبدالقادر، عباس محمد إبراهيم،2010، الأنتropolجيا والقيم - دار المعرفة الجامعية - الأزاريطة-
- 5- السيد عبد العالى السند،2008، دراسات في علم الاجتماع الحضري - ج 1- دار المعرفة الجامعية الأزاريطة- 2008
- 6- أنتوني غدنز ،-ترجمة : فايز الصياغ، علم الاجتماع - ط 4- مركز دراسات الوحدة العربية -
- 7- الشمرى هدى علي جواد،2009 الأخلاق في السنة النبوية- دار المناهج - عمان -
- 8- القصير عبد القادر،1992،المهجرة من التراث إلى المدينة - دار النهضة العربية بيروت-
- 9- القصير عبد القادر،1999، الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية - ط 1- دار النهضة العربية بيروت-
- 10- شوقي عبد المنعم،1981، مجتمع المدينة - ط 7 - دار النهضة العربية - .
- 11- رشوان حسين عبد الحميد أحمد ،2004، الدين والمجتمع "دراسة في علم الاجتماع الديني"- مركز الإسكندرية للكتاب.
- 12- رشوان حسين عبد الحميد أحمد رشوان،1998، المدينة" دراسة في علم الاجتماع الحضري - ط 1 ، الاسكندرية- المكتب الجامعي الحديث - الأزاريطة -
- 13- طارق كمال ،2009،أسسات في علم الاجتماع الديني - مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية .
- 14- لزرق عزيز،2002، العلومة ونفي المدينة- ط 1- دار توبقال للنشر - الدار البيضاء- المغرب-
- لوجلي صالح الزوي،2002،علم الاجتماع الحضري- ط 1- دار النهضة العربية بنغازي-
- 15- محمد إحسان الحسن،2005، علم الاجتماع الديني - ط 1 - دار وائل للنشر -
- 16- محمد أحمد محمد بيومي ،2003، علم الاجتماع الديني و مشكلات العالم الإسلامي - دار المعرفة الجامعية الأزاريطة
- 17- محمد الغزالى ،1992، هذا ديننا - ط 3 - دار الشروق - القاهرة -
- 18- محمد شفيق،2005، البحث العلمي مع تطبيقات في مجال الدراسات الاجتماعية- المكتب الجامعي - مصر-
- 19- محمد كامل حنة،1983، القيم الدينية و المجتمع- دار المعارف القاهرة.
- 20- محمد عاطف غيث ،علم الاجتماع الحضري مدخل نظري - دار النهضة العربية - بيروت -
- هشام جعيط، الكوفة "نشأة المدينة العربية الإسلامية"- دار الطليعة- بيروت -.
- 22- يعقوب المليجي،2003، الأخلاق في الإسلام " مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية- مؤسسة الثقافة الجامعية الإسكندرية-

3-المجلات:

- 1- عبد الرزاق أمقران ،2007، الفضاء العمراني، فضاء اجتماعي وثقافي في مقاربة منهجية- مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية - العدد 16- جوان - جامعة باتنة - الجزائر -
- 2- مختار مروفل،2008، الرابط الاجتماعي وعلاقته بالمكان- قراءة سوسيومجالية في مشكل هذه الرابطة بالجزائر- منشورات كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية 2008.

4- الرسائل:

8-9 أبريل 2019 - نوفي بزار، جمهورية صربيا

1- سواليمة نورية ، 2002، الساكن ، السكن و المحيط الممارسات و التمثّلات ، دراسة ميدانية بحثي سكني بالكرمة وهران

- رسالة لنيل شهادة ماجستير في الأنثروبولوجيا - جامعة السانينا - وهران -

2- محمد بلحاجي ، 2012 ، الأسرة الجزائرية المعاصرة بين الثبات و التغير في الوسط الحضري ، دراسة ميدانية بمنطقة الغروات - مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع -جامعة وهران - السانينا -

5- النصوص الإلكترونية :

1- عبد الحفيظ غرس الله: الديني والعائلي في المجتمع العربي والإسلامي - من موقع: http://www.almultaka.net نشر بتاريخ 01-04-2006 اطلع عليه 22-09-2007 -

5- الحصص التلفزيونية:

- مقدم سعيد: كيف نعيش ونعيش في أحياننا؟ - حصة لتحدث - التلفزة الجزائرية الثالثة يوم 11/03/2013 على الساعة 21سا.

II- باللغة الأجنبية: (الفرنسية)

1- Les Dictionnaires :

1- Madeline Gawitz : lexique des sciences sociales- 7^e Editions Dalloz 2000.

2- Les Ouvrages :

1- Fanny Colonna ,1983, paysans et encadreur « A propos des Transferts de savoirs et modèles entre ville et campagne en Algérie –de A. Nouschi et autre : système urbain et développement au Maghreb – office publications universitaire Alger

2- Muriel Montero: *la ville* – collection dirigé par pierre le Guérin – Ellipses 2^e édition Marketin Pierre Bourdieu ,2001, sociologie de l'Algérie- 8^{ème} édition des presses universitaires de France Novembre .

3- Placide Rambaud ,1969, société rurale et urbanisation- 1^{er} édition du seuil, Paris.

3- Les Revues :

- 1- Abdelkader Lakjaa ,1998 ,la ville « creuset d'une culture nouvelle (ville, culture et société en Algérie)- Insaniyat, n 5 Mai – Aout .
- 2- Abdenour Djellouli ,1995, la ville absente- Esprit saniter.
- 3- Abed Bendjlid ,1998, la fragmentation de l'espace urbain d'Oran (Algérie) « Mécanisme acteurs et aménagement urbain » Insaniyat n5 Mai – Aout.

4- Les sites :

- 1- Mathis Stock : l'habiter comme pratique des lieux géographique –Espaces-temps.net, textuel, le 18/12/2004. <http://espacestemps.net/document1138.html>.

- الملاحق :

- دليل المقابلة :

- المعلومات السوسيومهنية :

- الجنس :

- المستوى التعليمي :

- المهمة :

- الحالـة المدنـية:

8-أبريل 2019 -نوفي بزار. جمهورية صربيا

- 1-أين كنت تسكن سابقاً؟
- 2-كم بقيت هناك؟
- 3-كيف كانت علاقاتك مع جيرانك؟ أهلك؟ حيّك؟
- 4-أين كنت تذهب إذا أردت الخروج؟
- 5-هل كنت تساهم في أعمال رفقة جيرانك؟ ما هي؟ مما اكتسبت هذا؟ وفي حالة لا ، لماذا؟
- 6-متى انتقلت إلى سكنك الجديد؟ السنة
- 7-هل ألغت المكان؟
- 8-من جاء ليهنتهك بسكنك الجديد؟ هل جاء جيرانك السابقين ، الجدد؟
- 9-هل لديك علاقات الآن؟ مع أهلك؟ جيرانك؟ حيّك؟
- 10-هل لازلت تواصل في بناء علاقات مع جيرانك ، حيّك بنفس الطريقة السابقة؟
- 11-إذا أردت الخروج أين تذهب؟ و رفقة من؟
- 12-هل لازلت تساهم في أعمال رفقة جيرانك؟ ما هي ، مما اكتسبت هذا؟ وفي حالة لا لماذا و ما هو السبب؟
- 13-إذا أردت القيام بعمل ما من يساعدك : تقوم به بنفسك؟ أم تطلب مساعدة أهلك ، جيرانك ، لماذا؟ ما أسبابك؟
- 14-كيف تشعر في حيّك هذا : هل تشعر بالانتماء و كأنك وسط أهلك؟ أم أنك تحس بالوحدة و تفتقد للأنسنة؟
- 15-إذا كنت عاملا هل تركت يوما إبنك عند جيرانك؟ هل اهتموا به؟ في حالة أنك لا تترك ابنك عند أحد لماذا؟ ما أسبابك؟
- 16-في مناسبة ما هل تتبادل الزيارات مع جيرانك؟ تتعاونون؟ تستلفون آنية مثلاً أم أنك تلتجأ للجمعية لتساعدك؟
- 17-ما هي الجمعيات التي تعرفها و التي تعامل معها؟ فيما تنشط؟ هل ساعدتك؟ و هل ترى أهميتها؟
- 18-إذا أعددت أكلة تقليدية ما هل تعطي منها لجارك؟ لماذا؟ هل يعادلك هو أيضاً؟ في حالة لا لماذا؟
- 19-و في رأيك أيهما أحسن التعاون بين الجيران أم الاعتماد على النفس؟
- 20-يقوم الجار بدور المريض في كثير من الأحيان ، فإذا ضرب إبنك من جيرانك لسلوك أخلاقي فما ردة فعلك؟ هل هي نفس ردة فعلك في سكنك السابق؟
- 21-في حالة وقوع سرقة أمامك و في حيّك ، سرق جارك فماذا تفعل؟
- 22-إذا كان لجارك سلوكيات سيئة فماذا تفعل؟ تتصحّه ، تتقيه ، أم ترحل لتسكن مكان آخر؟
- 23-ماذا تقول عن القيم الأخلاقية هل لازالت أم تدنت؟ و ما هو السبب في رأيك؟
- 24-بين حياتك في حيّك القديم و حيّك الجديد أيهما أحسن و لماذا؟
- 25-ما الذي تغير و ما الذي بقي : تعاون ، علاقات مختلفة ، علاقات تجاورية أم أن العلاقات أصبحت فردية تقوم على المصلحة؟
- 26-صلة ، صوم ، صدقة ، زكاة هل لازالت موجودة تقوم بها؟ و ما مدى تأثيرها في حياتك و علاقاتك اليومية؟
- توضيح المعطيات السوسيومهنية لأفراد العينة :

الحالة	الجنس	السن	الحالة المدنية	المستوى الدراسي	المهنة
الحالة 01	ذكر	43	متزوج	ليسانس	أستاذ

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

ماكثة بالبيت	ثانوي	متزوجة	40	أنثى	الحالة 02
ماكثة بالبيت	ليسانس	متزوجة	32	أنثى	الحالة 03
تاجر	دون متوسط	متزوج	38	ذكر	الحالة 04
متقاعد	إداري في المالية والإحصائيات	متزوج	60	ذكر	الحالة 05
ماكثة بالبيت	دون مستوى	متزوجة	50	أنثى	الحالة 06
مربي مختص	3 ثانوي	متزوج	42	ذكر	الحالة 07
مربيه مختصة	3 ثانوي	متزوجة	40	أنثى	الحالة 08
موظف	جامعي	متزوج	45	ذكر	الحالة 09
موظفة	جامعية	متزوجة	40	أنثى	الحالة 10
ماكثة بالبيت	دون مستوى	غير متزوجة	18	أنثى	الحالة 11
ماكثة بالبيت	2 متوسط	غير متزوجة	21	أنثى	الحالة 12
كاتبة	1 ثانوي	غير متزوجة	34	أنثى	الحالة 13
مستشار التوجيه المدرسي	ليسانس	غير متزوج	27	ذكر	الحالة 14
أستاذة	ليسانس	غير متزوجة	30	أنثى	الحالة 15
طالب	3 ثانوي	غير متزوج	19	ذكر	الحالة 16
طالبة	3 ثانوي	غير متزوجة	18	أنثى	الحالة 17
طالب	4 متوسط	غير متزوج	16	ذكر	الحالة 18
طالبة	4 متوسط	غير متزوجة	17	أنثى	الحالة 19
طالب	3 متوسط	غير متزوج	18	ذكر	الحالة 20

قيمة العدل الإلهي في القرآن الكريم ودورها في تعزيز قيم الحوار الديني

د. يوسف العايب

مخبر الدراسات العقدية ومقارنة الأديان جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة/

الجزائر

مقدمة:

لا شك أن المرجعية الكامنة الموجهة والمتحكمة في السلوك البشري ما يؤمن به من منظومة اعتقادية وقيمية تساهم في الكثير من مواقفه وأحكامه على الواقع المادي والروحي والفكري والبشري الذي يتحرك فيه، وكلما كانت هذه المنظومة القيمية خاصة واضحة المعالم ومتحكمة في النفس، كلما كان سلوكات الإنسان منسجمة وما يؤمن به من منظومات في الفكر والعقيدة والأخلاق.

ولا شك أن من أهم ما يسهم في الحوار السلس بين المسلم وغيره منبني البشر مهما اختلف معهم إثنينياً ودينياً وجغرافياً هو ترسیخ القيم القرآنية المؤسسة أصلاً للحوار والتعايش والتفاهم والمتمثلة في فطريّة الاختلاف ومصالح الخلق والعدل الإلهي، هذا الأخير الذي لا بد من تفصيل القول فيه من خلال التناول القرآني للظواهر الدينية المختلفة والمُخالفة والفرق بين منهج القرآن الكريم في تحليل المقولات الفكرية وأخذها بالفقد والتقويم، ومنهجه في التعامل مع أصحاب المقولات المُخالفة

إن استيعاب هذه القيمة القرآنية المتتمثلة في العدل كفيل بترشيد العقل المسلم ودفعه إلى قبول الآخر والتعامل معه وفق ما شرعه الله تعالى، ولعل أكبر دليل على هذا هو ما شهدته الحضارة الإسلامية في أوج وأبهى عصورها عندما قبلت الآخر وتعاشرت معه وأنصفته في المعاملات الاجتماعية والخلافات العلمية والمجادلات الدينية.

وهذا ما نحتاج إليه في عصرنا اليوم من عودة واستحضار القيم القرآنية في كل معاملاتنا ومنها تعاملاتنا مع الآخر، فالعدل هو صمام الأمان والطريق نحو ترسيخ مفاهيم التعايش التسامح والحوار إلى عقل المسلم وترسيخها في سلوكه.

تتلخص فرضية البحث في مدى تشبع العقل المسلم بفلسفة العدل الإلهي من خلال التناول القرآني للقضايا الخلافية خاصة مع أهل الكتاب، وإلى أي مدى يمكن لهذه القيمة الأخلاقية والاعتقادية أن توجه سلوك الإنسان – المسلم – وتغذيه بقيم التسامح والتوئام والتفاهم وقبول الآخر.

ويهدف البحث إلى بيان منهج القرآن الكريم في التعامل مع الآخر من الناحية الفكرية ومن الناحية التعاملية، كما يهدف إلى بيان قيمة العدل الإلهي ودورها في ترشيد السلوك الإنساني إذا فهمنا مضامينها الأخلاقية والقيمية والسلوكية.

يشمل البحث مقدمة وخاتمة وأربعة مباحث، الأول بعنوان: العدل في القرن الكريم، والثاني: منهج القرآن في نقد عقائد المخالفين، والثالث: منهج القرآن في التعامل مع المخالفين، والمبحث الرابع والأخير: دور قيمة العدل في تعزيز وترسيخ قيم التسامح والتعايش والتفاهم

المبحث الأول العدل في القرآن الكريم:

ورد لفظ العدل في أكثر من ثمانية عشر موضعا في القرآن الكريم، كلها بمعنى الإستقامة ومحاباة الجور، ويمكن تقسيم هذه الآيات إلى أربعة محاور:

أولاً: أمر الله تعالى عباده بالعدل: في مثل قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَإِلَحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَا عَنِ الْفُحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ¹

ثانياً: أمر الله تعالى أنبياءه بالعدل: وأمر الله تعالى أنبياءه بالعدل من الأهمية بمكان، ذلك أنهم يتعاملون مع من يخالفهم ويكتنفهم العداوة والبغضاء، ومع هذا أمروا بالعدل والإستقامة في كل الظروف والأحوال: فَلَذِلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَبَعَ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنَّتِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمِعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ²

ثالثاً: اشتراط الله تعالى العدل في جملة من الأشياء: ومنها:

العدل في القول: وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاصَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (152)

العدل في الحكم: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمًا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا³

العدل في الشهود: فَإِذَا بَلَغُنَّ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِفُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوْ دَوْيَ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مِنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَنْقِي اللَّهُ يَجْعَلُ لَهُ مَحْرَجاً (2)

العدل في كاتب العقود: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَشُمْ بِدِينِ إِلَى أَجْلٍ مُسَمًّى فَأَكْتُبُوهُ وَلَيُكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ⁴

¹ التحلل/90

² الشورى/15

³ النساء/58

⁴ البقرة/282

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

العدل في الحاكمين: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَتَّمْ حُرُمَةٍ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُّتَعَدِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ دَوَا عَدْلٌ مِنْكُمْ هَدِيًّا بِالْعُلُوِّ الْكَعْبَةُ أَوْ كَفَّارَةً طَعَامٌ مَسَاكِينٌ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِرَاطًا مِّمْضَى إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو اِنْتِقَامٍ¹

رابعاً: النهي عن مجانية العدل: بعدما أمر الله تعالى بالعدل، نهى عباده عن كل ما من شأنه أن يحدوه بهم إلى عدم إقامة العدل والقسط بين الناس، ومن الأمور التي ركز عليها القرآن الكريم البعضاء المفضية إلى الظلم وعدم إقامة العدل، واتباع الهوى الحامل على الجور ومجانية العدل.

فيقول تعالى عن البعضاء المفضية إلى عدم إقامة العدل بين الناس: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ حَسِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ²

ويتحدث تعالى عن اتباع الهوى الذي يكون سبباً في الجور وعدم العدل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَبَعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلُوْوا أَوْ ثُرِّعُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ حَسِيرًا³

المبحث الثاني منهج القرآن في نقد عقائد المخالفين:

ذكرنا في المبحث الأول حديثاً عن العدل من خلال وروده في آيات القرآن الكريم، وفي هذا المبحث سنوجه الحديث إلى تطبيق مفهوم ودلائل العدل الإلهي في كلام المولى عز وجل ونقدمه لعقائد المخالفين، وكيف يتجلّى لنا العدل الإلهي في معرض النقد ومناقشة عقائد المخالفين، وما يستفيده المسلم اليوم من هذا المنهج القرآني في نقد المخالفين له عقدياً ومذهبياً وفكرياً

هناك الكثير من الآيات القرآنية التي ينقد فيها المولى عز وجل عقائد وشائعات المخالفين سواءً أكانوا من أهل الكتاب أو من غيرهم، وكل هذه الآيات تحتاج إلى تأمل وتدبر وتفكير من أجل استخلاص قيمة العدل في مجال دراسة الأديان ونقدتها أو دحضها، ومدى تأثير هذه القيمة القرآنية على الدراسات المعاصرة للأديان، وعلاقتها بالموضوعية والعلمية.

ولا تسع المقام وحصر كل الآيات التي تتكلم عن نقد العقائد في القرآن الكريم سنجاول التركيز على بعض الآيات التي تنتقد عقائد أهل الكتاب وخاصة النصارى منهم:

نقد سلوكيات وأخلاق أهل الكتاب:

تعرض القرآن الكريم في أكثر من آية لنقد سلوكيات وأخلاق أهل الكتاب، وبيّن في أكثر من موضع فساد بعض الأخلاق التي اتصفوا بها، وكان العدل في الحكم على أخلاقهم ومعاملاتهم السائد في كل الآيات، وهذا من خلال أسلوب التخصيص والتبعيض، وبعد عن التعميم، ففي كل مرة ينتقد فيها القرآن الكريم خلقاً معيناً وإلا وتتجدد

¹ المائدة/59² المائدة/8³ النساء/135

التخصيص أو الإستثناء حاضراً كشاهد على عدله سبحانه وتعالى في الحكم على المخالفين والتمييز بين الصالح منهم والفاسد.

وكمثال على هذا الأسلوب القرآني الدال على عدله سبحانه وتعالى نقرأ في سورة التوبة قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الْذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقِدُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ"¹

يقول الطاهر بن عاشور في تفسير هذه الآية: "استئناف ابتدائي لتنبيه المسلمين على نقائص أهل الكتاب، تحقيراً لهم في نفوسهم، ليكونوا أشداء عليهم في معاملتهم، فبعد أن ذكر تأليه عامتهم لأفضل من أحبارهم ورهبانهم المتقدمين: مثل عزيز، بين للمسلمين أن كثيراً من الأخبار والرهبان المتأخرین ليسوا على حال كمال، ولا يستحقون المقام الديني الذي يتحلون به، والمقصود من هذا التنبيه أن يعلم المسلمون تماليء الخاصة والعامة من أهل الكتاب، على الضلال وعلى مناواة الإسلام، وان غرضهم من ذلك حب الخاصة الاستیثار بالسيادة، وحب العامة الاستیثار بالمزية بين العرب."².

ويضيف قائلاً: "وأسند الحكم إلى كثير منهم دون جميعهم لأنهم لم يخلوا من وجود الصالحين فيهم مثل عبد الله بن سلام ومخيريق."³.

فضفة البخل وكثير الأموال والفضة والذهب، وأكل أموال الناس بالباطل والصد عن سبيل الله هي صفة كما أثبت تعالى لكثير من أهل الكتاب ولكن ليست صفة مطردة في مجموعهم كلهم، وهذا من عظيم عدله تعالى فهو لا يحكم بفساد الأمة الكبيرة بفساد معظمها كما قال محمد رشيد رضا في تفسيره المنوار: " وإن سباد هذه الجريمة المزرية إلى الكثرين منهم دون جميعهم من دقائق تحري الحق في عبارات الكتاب العزيز، فهو لا يحكم على الأمة الكبيرة بفساد جميع أفرادها أو فسقهم أو ظلمهم، بل يسند ذلك إلى الكثير أو الأكثر، أو يطلق اللفظ العام ثم يستثنى منه، فمن الأول: قوله تعالى في اليهود: "وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت ليس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت ليئس ما كانوا يصنعون" (62 : 5) ، وقد نبهنا في تفسير هذه الآيات وأمثالها على هذا العدل الدقيق في أحكام القرآن على البشر ، وإنما نكرره لعظيم شأنه ، وذكرنا منه هنا بعض ما نزل في أهل الكتاب ، من قبيل تفسير القرآن بالقرآن 4".

ونفس الكلام ينطبق على قوله تعالى في سورة آل عمران، عندما انتقد سبحانه وتعالى صفة خيانة الأمانة عند أهل الكتاب، فميز سبحانه وتعالى بين فئتين منهم، فئة حريصة على أداء الأمانات حتى ولو كانت ذات قيمة عظيمة فلا تغريها ولا تدفعها إلى عدم ردها لأهلها، وفئة دينها أكل الأمانات حتى ولو كانت بسيطة ولا قيمة لها

¹ التوبة / 34

² الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سجنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997، ج: 11، ص: 174

³ المصدر نفسه، ص: 175

⁴ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية للكتاب، 1366هـ - 1947م، ط: 2، ج: 10، ص: 345

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

فقال تعالى: "وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمُنْهُ بِقُنْطَارٍ يُؤْدِهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمُنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤْدِهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمَّيْمَنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ"¹

يقول الطاهر بن عاشور في تفسير هذه الآية: "والمقصود من الآية ذم الفريق الثاني إذ كان من دينهم في زعمهم إباحة الخون قال: ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل فلذلك كان المقصود هو قوله: ومنهم من إن تأمينه بدينار لا يؤده إليك إلخ ولذلك طول الكلام فيه، وإنما قدم عليه قوله: ومن أهل الكتاب من إن تأمينه بقنطران إنصافاً لحق هذا الفريق، لأن الإنفاق مما اشتهر به الإسلام"²

وتبعاً لأسلوب القرآن في إنصاف أهل الكتاب والعدل في الحكم ونقد أخلاقهم وسلوكياتهم، يحدثنا القرآن الكريم عن أخلاق من تبع عيسى عليه السلام - في مدحهم ويشني عليهم لما اتصفوا به من حسن الأخلاق، ثم يستدرك على ما ابتدعواه في دينهم من طرق في العبادة والسلوك لم يشرعها الله تعالى فضوا وأضلوا، يقول تعالى في سورة الحديد: "ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَا هَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسْفُونَ"³

نقد عقيدة التشليث:

على الرغم من محورية عقيدة التشليث في الدين المسيحي، إذ لا تقوم قائمة المسيحية دون القول بالتشليث، إلا أن الأدلة النصية الصريحة عليها من العهد الجديد تكاد لا تذكر، فإذا تغاضينا عن الأدلة التي يستشهد بها المسيحيون على هذه العقيدة من العهد القديم والجديد، والتي أغلبها ناتج عن التأويل وتحميم النصوص ما لا تحتمل، فإن النصوص الصريحة الموجودة في العهد الجديد عن عقيدة التشليث تعد على الأصابع، ومن تلك النصوص قول متى في إنجيله: "فَاذْهَبُوا وَتَلَمِّذُوا جَمِيعَ الْأَمَمِ، وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الَّاَبِ وَالْاَبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُّسِ"⁴، ويعلق ابن تيمية على هذا النص مبيناً قول المسيح عليه السلام - إن صحة نسبة النص إليه: "مرروا الناس أن يؤمنوا بالله ونبيه الذي أرسله وبالملك الذي أنزل عليه الوحي الذي جاء به، فيكون ذلك أمراً لهم بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وهذا هو الحق الذي يدل عليه صريح المعقول وصحيح المقتول".⁵

ومن تلك النصوص الصريحة على عقيدة التشليث ما جاء في الفقرة الخامسة من رسالة يوحنا الأولى، والتي يطلق عليها علماء الأديان اسم الفاصلة اليوحانية، حيث ورد في هذه الفقرة التصریح بعقيدة التشليث، يقول يوحنا

¹ آل عمران/75² الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سخنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997، ج: 3، ص: 285.³ الحديد/27⁴ متى: 28، 19.⁵ تقى الدين ابن تيمية. تقى الدين، الجواب الصحيح لمن بدأ دين المسيح، تحقيق: مجموعة من الدكاترة، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ط: 2، 1999 م، ج: 2، ص: 98.

في هذه الرسالة: "فَإِنَّ الَّذِينَ يَشْهُدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ ثَلَاثَةٌ: الْأَبُ، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُّسُ. وَهُوَ لَاءُ الْثَّلَاثَةِ هُمْ وَاحِدٌ".¹

ونفس الأمر نجده في القرآن الكريم فعلى الرغم من محورية عقيدة التشليث في الديانة المسيحية إلا أن القرآن لم يتعرض لها بالنقد والإبطال إلى في نص واحد صريح وهو قوله تعالى في سورة المائدة: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثٌ ثَلَاثَةٌ، وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ، وَإِنْ لَمْ يَتَنَاهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمْسِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ".²

والمتأمل في النص القرآني يجد بأن الله تعالى لم يشمل بخطابه كل النصارى، فلم يقل تعالى: لقد كفر النصرى الذين يشلون توؤمنون بالتشليث أو الذين يعتقدون بثلاثة الآلهة، وإنما قال تعالى "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثٌ ثَلَاثَةٌ..". فنسب تعالى الكفر والخروج عن التوحيد والإيمان بالله لكل من قال بمقولة التشليث سواء أكان من النصارى أو من غيرهم.

وتاريخيا وفي علم الأديان الأمر معروف وشائع أن عقيدة التشليث من العقائد التي عرفتها الكثير من الديانات والحضارات عبر التاريخ مثل الديانة المصرية القديمة والديانة الهندوسية والبابلية وغيرها³، وما الديانة المسيحية إلا واحدة من تلك الديانات المتأخرة الآخنة بهذه العقيدة وهذا مصداقاً لقوله تعالى: "وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمُسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذُلِّكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ"⁴ وإن كان الأمر متعلقاً بعقيدة البناء إلا أنه يصدق على الكثير من العقائد الوثنية التي وجدت طريقاً لها إلى بعض الأديان السماوية كاليهودية والمسيحية.⁵

وهذا من عدل الله سبحانه وتعالى في تعامله مع النصارى ونقد عقائدهم انه لم ينسب التشليث أو القول به إليهم مباشرة وإنما نسبه إلى كل قائل به معتقد فيه سواء أكان منهم أو من غيرهم، فكل من قال به فقد خرج من دائرة التوحيد إلى دائرة الكفر.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى يتجلى العدل الإلهي في هذه الآية في نقد المعقائد المسيحية في أن القرآن الكريم إنما أنزل على محمد – صلى الله عليه وسلم – في القرن السابع للميلاد، وهو القرن الذي شهد الكثير من الصراعات العقدية بين الفرق المسيحية، وظهرت الفرق المألهة للسيد المسيح – عليه السلام – والمثلثة وإن كانت الأكثر انتشاراً مع ظهور الإسلام، إلا أنه شهد كذلك بقاء بعض الفرق الأخرى التي لا تقول بالتشليث وإن كانت تؤمن إما ببنوة المسيح أو بألوهيته كما سيأتي الحديث عنها لاحقاً.

¹ رسالة يوحنا الأولى: 5، 7.

² المائدة / 73

³ محمد بن الطاهر التبير البهروتي، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، تحقيق: د/ محمد عبد الله الشرقاوي، دار الكتب، 1989، ص:

54

⁴ التوبية / 30

⁵ محمد بن الطاهر التبير البهروتي، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص: 54 وما بعدها

فلم يعمم القرآن الكريم حكمه على كل المسيحيين بالكفر والخروج عن دائرة التوحيد، وإنما حكم بالكفر على كل مسيحي يتخذ من التشليث عقيدة له، فقال تعالى: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثٌ ثَلَاثَةٌ.." وهذا المنهج القرآني يعلم المسلم ضرورة التفصيل في التعاطي مع الجزئيات وعدم إطلاق الأحكام العامة والابتعاد عن التعميم.

وعلى الرغم من أن الفرق المسيحية التي لا تقول بالتشليث أو التي تؤمن بتأليه المسيح ولكن لا تعتقد التشليث أو التي ما زالت تعتقد على الأقل ببشرية المسيح مثل الأبيونية أو الآريوسية والتي خرجت من أرض فلسطين واتخذت من بلاد العرب ملجأ لها هروباً من الإضطهادات التي مورست عليها من طرف المسيحيين أنفسهم، على رغم من ضآلته عددهم مقارنة بال المسيحيين القائلين بالتشليث إلا أن المولى عز وجل في القرآن الكريم خص من يقول بالتشليث فقط بالكفر ولم ينسبه إلى مجموع المسيحيين.

وهذا درس للمسلم في التعامل مع الأديان الأخرى ونقدتها أو بيان تهافتها بطلانها عليه أن يراعي كل الجزئيات وأن يدرس الدين في التاريخ مبيناً ما تتميز به كل فرقة دون الأخرى، وهذا الوعي أدركه علماء الإسلام قدימה، وفي هذا يقول العامراني في كتابه "الإعلام بمناقب الإسلام": "...إن تبيان فضيلة السيء على شيء بحسب المقالات بينهما قد يكون صواباً وقد يكون خطئاً، وصورة الصواب معلقة بشئين أحدهما: ألا يوقع المقايسة إلا بين الأشكال المتتجانسة، أعني ألا يعمد إلى أشرف ما في هذا فيقيسه بأرذل ما في صاحبه، ويعمد إلى أصل من أصول هذا فيقابله بفرع من فروع ذلك، والآخر: ألا يعمد إلى خلة موصوفة في فرقة من الفرق غير مستفيضة في كافتها فينسبها إلى جملة طبقاتها"¹

ويحكي أبو الحسن الأشعري في كتابه "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلحين" عن مجانية بعض العلماء العدل في أحکامهم على مخالفיהם من أصحاب الديانات والمذاهب الأخرى، فيقول: "فإنه لا بد لم أراد معرفة الديانات والتمييز بينها من معرفة المذاهب والمقالات، ورأيت الناس في حكاية ما يحكون من ذكر المقالات، ويصنفون في التحل والديانات، من بين مقصري فيما يحكيه، وغالط فيما يذكره من قول مخالفيه، ومن بين تارك للتصني في روايته لما يرويه من اختلاف المخالفين، ومن بين من يضيف إلى قول مخالفيه ما يظن أن الحجة تلزمهم به، وليس هذا سبيل الريانين ولا سبيل الفتناء المميزين، فحداني ما رأيت من ذلك على شرح ما التمس شرحه من أمر المقالات، واختصار ذلك وترك الإطالة والإكثار، وأنا مبتدئ شرح ذلك بعون الله"²

نقد عقيدة تأليه المسيح:

إذا كانت عقيدة التشليث بالرغم من محورتها في المعتقد المسيحي إلا أن النصوص الدالة عليها كما مر علينا في العهد الجديد قليلة جداً، فإن عقيدة تأليه المسيح من العقائد المسيحية التي يستدل عليها المسيحيون اليوم بأكثر من نص في العهد الجديد خاصة في رسائل بولس.

¹ أبو الحسن العامراني، الإعلام بمناقب الإسلام، تحقيق د/ أحمد عبد الحميد غراب، ط: 1، 1988 م، الرياض، ص: 23.

² أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلحين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ج: 1، ص: 15.

وعلى الرغم من كثرة النصوص المسيحية الدالة على ألوهية المسيح في المعتقد المسيحي إلا أن القرآن الكريم لم يرد عليها صراحة إلا في نص واحد صريح و مباشر وهو قوله تعالى في سورة المائدة: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ"¹

وقوله تعالى في آخر السورة: وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ فُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهُيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَ تَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ (116)"²

والمتأمل في النص الأول يلحظ بجلاءً أسلوب القرآن الكريم في التخصيص والتبعيض والتعيين، والبعد عن التعميم والإجمال، وهو ما يصدق فعلاً على الحقيقة التاريخية للديانة المسيحية والتي أشرنا إليها سابقاً بأنه ليست كل الفرق المسيحية قد اتى ظهور الإسلام متتفقة على تاليه المسيح، حتى ولو كانت مقارنة بالفرق المألهة قليلة العدد والأتباع إلا أنها كانت موجودة ومنتشرة في ربع الإمبراطورية الرومانية وببلاد العرب وإفريقيا إلى ظهور الإسلام.

ولذا فإن حكم الله تعالى بالكفر عند نزول الآية لم يشمل كل النصارى، وإنما كان موجهاً إلى كل نصراني يعتقد في المسيح شيئاً من الألوهية، وقد ذهب بعض المفسرين منهم فخر الدين الرازي إلى أن المقصود بهذه الآية فرقة بعينها هم العياقة نسبة إلى يعقوب البرادعي والتي ظهرت في القرن الرابع للميلاد واستمرت إلى يومنا هذا تحت مسمى الأرثوذكسية، وإن كان هذا تاريخياً غير صحيح لأن حتى الملكانية وهي الفرقة التي ظهرت في نفس القرن رداً على اليعقوبية كانت تقول بنفس المقوله.

يقول الرازي في تفسيره: "اعلم أنه تعالى لما استقصى الكلام مع اليهود شرع هاهنا في الكلام مع النصارى فحكى عن فريق منهم أنهم قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم، وهذا هو قول اليعقوبية لأنهم يقولون: إن مريم ولدت إلها، ولعل معنى هذا المذهب أنهم يقولون: إن الله تعالى حل في ذات عيسى واتحد بذات عيسى"³ ويعقب محمد رشيد رضا على كلام الرازي بقوله: "واعلم أن أمثال الزمخشري والبيضاوي والرازي لا يعتد بما يعرفون عن النصارى فإنهم لم يقراءوا كتبهم، ولم يناظروهم فيها وفي عقادتهم إلا قليلاً، وإنما يأخذون ما في كتب المسلمين منهم قضايا مسلمة"⁴

وعلى كل حال فإن الذي يهمنا هو تخصيص المولى عز وجل الكفر بطائفة معينة من النصارى هم الذين اعتقدوا في المسيح الألوهية، أما من اعتقاد بشريته ورسوليته فلا يدخل في هذا الخطاب.

¹ المائدة/72² المائدة/116³ فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ج: 12، ص: 59⁴ محمد رشيد رضا، ج: 6، ص: 255

وقد يقول قائل عند حديث المولى عز وجل عن عقيدة البناء لماذا أجمل الله تعالى كل النصارى في خطابه عندما قال في سورة التوبية: "وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذُلِّكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (30)" وهذا لأنّه عقيدة البناء في تاريخ الفكر المسيحي تختلف عن عقيدة ألوهية المسيح، فإذا كانت الأخيرة لم تقل بها كل الفرق المسيحية إلى ظهور الإسلام، فإن عقيدة البناء قد قالت بها كل الفرق المسيحية قديماً وحديثاً.

حتى الفرق التي عرفت بالتوحيد مثل الأبيونية والآريوسية تبنت فيما بعد عقيدة البناء، حتى وإن لم تكن بنفس المدلولات اللاهوتية عند الفرق المائلة، إلا أنها تأثرت وآمنت بها، وجعلت من المسيح أحياناً ابناً لله بالتبني كما قال بذلك آريوس ومن تبعه، وأحياناً ابناً لله بالمعنى المجاري الذي يفيد القرب والتفضيل وهذا من قبيل قوله تعالى : "وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى تَحْنُ أَبْنَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّاؤُهُ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِدُنُوِّيُّكُمْ بِإِنْ شَرْ مِمْ حَلْقَ يَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (18)"¹

يقول الرازي: " قال ابن عباس : إن النبي صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود إلى دين الإسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا : كيف تخوفنا بعقاب الله ونحن أبناء الله وأحبابه ، فهذه الرواية إنما وقعت عن تلك الطائفة ، وأما النصارى فإنهم يتلون في الإنجيل الذي لهم أن المسيح قال لهم : " أذهب إلى أبي وأبيكم " وجملة الكلام أن اليهود والنصارى كانوا يرون لأنفسهم فضلاً على سائر الخلق بسبب أسلافهم الأفضل من الأنبياء حتى انتهوا في تعظيم أنفسهم إلى أن قالوا : نحن أبناء الله وأحبابه . "².

نقد عقيدة الصليب والفداء:

تعتبر عقيدة الصليب والفداء من أهم العقائد في الديانة المسيحية، وتؤكد الأنجليل في إصلاحات مطولة مسألة صليب المسيح ذاكراً الكثير من تفاصيل القبض عليه، وما كنته وصلبه قم دفنه وقيامته وصعوده إلى السماء³، ويؤكد بولس على هذه العقيدة المحورية والتي بدونها لا قيمة ولا تفسير لباقي العقائد الأخرى فيقول في رسالته إلى أهل كورنثوس: " وإن لم يكن المسيح قد قام، فباطل كرازتنا، وباطل أيضاً إيمانكم ".⁴

وعلى رغم هذه الأهمية الكبيرة لهذه العقيدة في الديانة المسيحية، وعلى الرغم من شناختها إذ هي الأساس الذي به تفسر البناء وألوهية المسيح وتجسده وثلاثة الأقانيم، إلا أن الله تعالى فندتها ونقدتها بنص واحد في القرآن الكريم وهو قوله تعالى :

"وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَبَّوْهُ وَلَكِنْ شَيْءٌ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَلَّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بل رَقَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (158) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا"⁵

¹ المائدة/18

² فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، ج: 4، ص: 154.

³ منقد بن محمود السقار، هل افتدا المسيح على الصليب، كتاب إلكتروني، ص: 02.

⁴ رسالة بولس إلى أهل كورنثوس الأولى: 14/15

⁵ النساء/157-159

9-8 نوفي بزار، جمهورية صربيا

والمتأمل في الآية يجد عدل الله تعالى وإنصافه في الكلام والحكاية عنهم جلياً، فكما تقدم أن هذه العقيدة هي أساس كل العقائد المسيحية الأخرى، وعلى رغم هذا فإن الله تعالى قرر في كتابه بأنها لم تكن على الأقل إلى ظهور الإسلام محل إجماع بين المسيحيين وهذا مطابق للحقائق التاريخية التي ثبتت بأن هناك من ¹ المسيحيين من كان ينكر مسألة الصليب ويُكفر قائلها مثل اليهودية المتنصرة *Judiochristianisme* والأبيونية والأريوسية فيما بعد، وما جاء في إنجيل برناما² الذي ينكره المسيحيون ويُطابق إلى حد بعيد ما جاء في القرآن الكريم والذي ينكر مسألة الصليب ويؤكد على الشبيه الذي صلب بدل المسيح.

ويأتي التمييز في القرآن الكريم بين المؤمنين بالصلب وغيرهم في موضوعين من الآية:

الأول قوله تعالى: "وَإِنَّ الَّذِينَ احْتَلَمُوا فِيهِ لَفِي شَاءٍ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ إِلَّا اتِّبَاعُ الظَّنِّ..".

فالاختلاف في مصير المسيح –عليه السلام– دليل على أن مسألة الصليب ليست محل اتفاق بين المسيحيين إلى حين نزول القرآن الكريم، يقول صاحب كتاب "الدم المقدس الكأس المقدسة": "كلما درس الشخص كتب الإنجيل أكثر، اكتشف النقاضات الواضحة بينها، في الحقيقة هي لا تتفق حتى في اليوم الذي تم فيه الصليب..."³.

وذكر ميشيل بجنت أيضاً أن المصلوب هو الخائن يهودا الأسخريوطى، الذي صلب بدلاً من المسيح المروع⁴.

وأهم الفرق المسيحية المنكرة للصلب قبل ظهور الإسلام الباسيليديون والكورنيشون والكاربوكريتون والساطرينوسية والماركيونية والبارديسيانية والسيرتشيون والبارسكاليونية والبولسية والماينيسية، والتاتيانيسية والدوسيتية والمارسيونية والفلسطينية والهرمسيون، وبعض هذه الفرق قريبة العهد بالمسيح، إذ يرجع بعضها للقرن الميلادي الأول⁵.

فالاختلاف في صلب المسيح كما هو حقيقة تاريخية فهو حقيقة قرآنية أثبتها المولى عز وجل، ولم يقل لنا كل النصارى يؤمنون بها، بل وقع الاختلاف بينهم فمنهم القائل بها ومنهم المنكر لها.

والثاني في قوله تعالى: "وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا"

وهنا تخصيص ثان في نفس الآية، على اختلاف أوجه التفسير في من يعود عليه ضمير "موته" هل على المسيح –عليه السلام– أم على المسيحي نفسه، وفي كل الأحوال ثبتت البة أن من أتباع المسيح من يؤمن

¹ اليهودية المتنصرة: يطلق هذا المصطلح مقابل مصطلح المسيحية البولسية، فال الأولى هي المسيحية التي رفضت تعاليم بولس وأصرت علىبقاء على تعاليم المسيح معتقدة فيه البشرية، أما المسيحية البولسية فهي المسيحية المألهة للمسيح والمعتقدة فيه اعتقادات مخالفة لما جاء به المسيح عليه السلام.

² إنجيل بنابا، الفصل 213 - 221

³ ميشيل بجنت وآخرون، الدم المقدس الكأس المقدس، ت: محمد الواكد، ط: 2، 2008، سوريا ص: 448

⁴ ميشيل بجنت وآخرون، نفس المرجع، ص: 490.

⁵ تاریخ الزيارة: 27/02/2019 على الساعة 09:22 دقيقة <http://www.ebnmaryam.com/vb/t27600.html>

9-8 آبریل 2019 -نوفی بازار. جمهوریہ صربا

بال المسيح — عليه السلام — غير مصلوب سواء قبل موته أو من الممكن أن يعوده — عليه السلام — في آخر الزمان، وهو درس آخر في التخصيص والعدل في الحكم بعيداً عن التعميم والإجمال.

المبحث الثالث منهج القرآن في التعامل مع المخالفين:

العدل في الحديث عن المخالف:

فآلية واضحة في التمييز بين طوائف أهل الكتاب فهم ليسوا على قدر واحد من الصلاح، وليسوا كذلك على قدر واحد من الفساد، فلا بد من التمييز خاصة في إطلاق الأحكام.

يقول ابن عاشور في تفسيره: "وعدل عن أن يقال : منهم أمة قائمة إلى قوله من أهل الكتاب : ليكون هذا الثناء شاملاً لصالحي اليهود ، وصالحي النصارى ، فلا يختص بصالحي اليهود ، فإن صالحية اليهود قبلبعثة عيسى كانوا متمسكين بدینهم ، مستقيمين عليه ، ومنهم الذين آمنوا بعيسى واتبعوه ، وكذلك صالحون النصارى قبل بعثة محمد - صلى الله عليه وسلم - كانوا مستقيمين على شريعة عيسى ، وكثير منهم أهل تهجد في الأديرة والصوماع وقد صاروا مسلمين بعد البعثة المحمدية".²

ويذكر محمد رشيد رضا في تفسيره أن هذه الآية من العدل الإلهي الذي يلزم الحجة لكل أهل الكتاب، فلا يدع لهم مجالا للطعن في القرآن الكريم وأنه ساوي بينهم وبين الفاسدين منهم، وهو استعماله لهم غي نفس الوقت فيقول رحمة الله تعالى عليه: "هذه الآية من العدل الإلهي في بيان حقيقة الواقع وإزالة الإيهام السابق ، وهي دليل على أن دين الله واحد على ألسنة جميع الأنبياء، وأن كل من أخذنه بإذعان ، وعمل فيه بأخلاق فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، فهو من الصالحين ، وفي هذا العدل قطع لاحتجاج أهل الكتاب الذين يعرفون من أنفسهم الإيمان والأخلاق في العمل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - يعني الأستاذ : أنه لو لا مثل هذا النص لكان لهم أن يقولوا : لو كان هذا القرآن من عند الله لما ساوانا بغيرنا من الفاسقين ونحن مؤمنون به مخلصون له - وفيه استعمالة لهم وتناه عن التفرقة بين الأمم والملل التي لم يكن يعرف فيها أحد الفريقين بفضيلة ولا مزية للآخر ، كأنه بمجرد مخالفته له في بعض الأشياء - وإن كان معذورا - تتبدل حسناته سيئات ، وظاهر أن هذا كالذى

۱۱۵-۱۱۳ / عمان آل

² الطاهر بن عاشور، المصدر السابق، ج: 4، ص: 58-59.

قبله في أهل الكتاب حال كونهم على دينهم خلافاً لمفسرنا) الجلال (وغيره الذين حملوا المدح على من أسلم منهم ، فإن المسلمين لا يمدحون بوصف أنهم أهل الكتاب وإنما يمدحون بعنوان المؤمنين ¹.

ومن الأمثلة الدالة على العدل الإلهي في الحكاية عن أهل الكتاب قوله تعالى في سورة المائدة: "لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا إِلَيْهِمْ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوْدَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا إِلَيْهِمْ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِرْتَبِيِّينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكِبُرُونَ" ²

ففي الآية حكم ومدح لبعض النصارى وهم الذين اتبعوا المسيح – عليه السلام – وقالوا "إنا نصارى" من نصرة المسيح، فكل من اتبع المسيح حقاً سيتصف بهذه الصفات من التواضع والحب والمودة، وكل من خالف ما جاء به المسيح – علسه السلام – لا تشمله هذه الصفات التي حددتها الآية الكريمة

وبسبب هذه الاختصاص هو المعايشة والاحتكاك، فقد احتك العرب بالنصارى قبل الإسلام وعرفوا من بعضهم هذه الصفات خاصة المودة والتواضع التي عرف بها بعض القساوسة والرهبان، يقول الطاهر بن عاشور: "إنما كان وجود القسيسين والرهبان بينهم سبباً في اقتراب مودتهم من المؤمنين لما هو معروف بين العرب من حسن أخلاق القسيسين والرهبان وتواضعهم وتسامحهم . وكانوا منتشرين في جهات كثيرة من بلاد العرب يعمرون الأديرة والصوماع والبيع ، وأكثراهم من عرب الشام الذين بلغتهم دعوة النصرانية على طريق الروم ، فقد عرفهم العرب بالزهد ومسالمة الناس وكثراً ذلك في كلام شعرائهم".

ولا بد للمسلم من الاستفادة من هذه الإشارات القرآنية في تعامله مع الآخرين، لأنها إشارات خالدة إلى يوم الدين، تعطي للمسلم منهجاً في التعامل مع الآخر بعيداً عن أسلوب التعميم والإجمال الذي عادة ما يقود إلى الخطأ ومجانبة الصواب، وهذا ما يقرره سيد قطب حيث يقول في تفسير هذه الآية: "وهذه الإرشادات الربانية ما تزال ؛ والتقريرات التي تضمنها ذلك الكتاب الكريم ما تزال . والذين يحملون دعوة الإسلام اليوم وغداً خليقون أن يتلقوا هذه التقريرات وتلك الإرشادات كأنهم يخاطبون بها اللحظة ؛ ليقرروا على ضوئها مواقفهم من شتى طوائف الناس ؛ ومن شتى المذاهب والمعتقدات والأراء ، ومن شتى الأوضاع والأنظمة وشتى القيم والموازين . . اليوم وغداً وإلى آخر الزمان" ⁴.

وفي القرآن الكريم الكثير من الآيات التي يصعب الحديث عنها كلها في هذا المقام، والتي تثبت عدل الله تعالى في الحكاية عن أهل الكتاب وذكر صفاتهم إما الحسنة منها أو السيئة، والمتأمل في نصوص هذه الآيات يجد منهج القرآن واضحًا في حكايته عن الآخر ومنهم أهل الكتاب، ومن معالم هذا المنهج:

التخصيص: وهذا في مثل قوله تعالى: "وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمُنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَأَكْفَرُوا أَخْرَهُ لَعْنَهُمْ يَرْجِعُونَ" ⁵.

¹ محمد رشيد رضا، المصدر السابق، ج: 4، ص: 60.

² المائدة 82

³ الطاهر بن عاشور، المصدر السابق، ج: 7، ص: 8.

⁴ سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، 2011، ج: 2، ص: 159.

⁵ آل عمران/72

9-8 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

" وَدَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضْلُونَكُمْ وَمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ"¹.

البعيض: ومثاله قوله تعالى: "لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا إِلَيْهُمْ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَفْرَئِهِمْ مَوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكِبُرُونَ"²

وقوله تعالى: "لَيَسُوا سَوَاءٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَاتِمَةٌ يَتَلَوَّنَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ"³.

التكثير: "تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا فَعَمْتُ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي العَذَابِ هُمْ حَالُدُونَ"⁴.

"قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقْيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَلَيَزِدُنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رَّبِّكُمْ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْتِسْ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ"⁵.

" وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدُوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْنَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (62) لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمُ وَأَكْلِهِمُ السُّحْنَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ"⁶.

وخلاصة المبحث أن العدل الإلهي هو الحاكم في نقد أو ذكر عقائد المخالفين ومنهم أهل الكتاب، ولذا على المسلم في دراسته للأديان أن يتحرى العدل في أحکامه، أو أن يكون موضوعيا وعليا بال المصطلح الحديث، وأن يتعد عن الذاتية والتعميم والحكم عن أهل الأديان الأخرى دون علم ودرية.

العدل في التعامل مع المخالف:

من المسائل المهمة التي تظهر عدل الله سبحانه وتعالى منهج القرآن الكريم في العامل مع المخالفين من أهل الكتاب وغيرهم، فالاختلاف العقدي له أسلوب ومنهج في المعالجة وهو النقد والدحض والإبطال بالعلم والموضوعية كما سبق بيانه، وهو لا يمنع أبدا الاحتكاك والمصالحة والمعاشرة أو ما يسمى اليوم بالتعايش الإسلامي، أو العيش المشترك أو التعارف والتعاون بالمصطلح القرآني.

الأمر بالعدل: يقول تعالى: "لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُفَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُحْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُفْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُفْسِطِينَ"⁷.

فالأمر بالقسط والعدل في التعامل مع الآخر، مطلب شرعى ومنهج قرآنى، وهو أول معلم من معالم المنهج القرآنى في التعامل مع الآخر المخالف.

¹ آل عمران/69.

² المائدة/82.

³ آل عمران / 113.

⁴ المائدة/.80.

⁵ المائدة/.68.

⁶ المائدة/.68.

⁷ الممتحنة/.8.

حسن المجادلة: ومن صور العدل في التعامل مع الآخر من خلال القرآن الكريم حسن المجادلة والأدب في الحوار والكلام أو الدعوة، يقول تعالى: "وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ"¹

احترام دين المخالف: وهذا صريح في قوله تعالى: "وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُبُو اللَّهَ عَدْوًا بِعَيْرٍ عَلِيٍّ كَذِلِكَ رَبَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَّا كَلَّمُهُ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبَّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"²

اعترف الإسلام باختلاف البشر وأنه يمثل ظاهرة اجتماعية طبيعية، وفي هذا يقول تعالى في القرآن الكريم: "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَوْنَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِنَذِلِكَ خَلَقُهُمْ"³ بل إن الاختلاف بين البشر سبب مهم من أسباب اجتماعهم وتعارفهم وتبادلهم للمعارف: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارِفُوا"⁴.

وما دام الناس يختلفون في ألوانهم وألسنتهم، وطبائعهم وطرق معايشهم، وفي البيئة التي يحيون فيها، وفي الثقافة التي ينتملون منها، فإنهم لا شك يختلفون في آرائهم وتفكيرهم ودياناتهم⁵.

وقد قرر الله تعالىحقيقة الاختلاف بين البشر في كتابه العزيز، وعده ذلك آية من آياته جل وعلا، قال تعالى {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْخَلْفَاتِ الْمُسْتَكَمِّلَاتِ وَالْأَوْانِكَمِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ آيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ}⁶

والقرآن الكريم يؤكّد لنا حقيقة قانون الاختلاف إذا لا مجتمع بدون هذا القانون الاجتماعي قال تعالى : "كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا احْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا احْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا احْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ"⁷.

ويؤكّد الشيخ طاهر ابن عاشور رحمة الله سنة الاختلاف فيقول: "إِنْ جَعَلْهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً فِي الدِّينِ مُنْتَفِيَةً، أَيْ مُنْتَفِيَةً دَوَامَهَا عَلَى الْوَحْدَةِ فِي الدِّينِ وَإِنْ كَانُوا قدْ وُجِدوا فِي أَوَّلِ النِّشَاءِ مُتَنَقِّلِينَ فَلَمْ يَلْبِسُوا حَتَّى طَرَا الاختلاف بَيْنَ ابْنَيْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : { كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً }⁸ وَقَوْلُهُ : { وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً }

¹ العنكبوت / 46² الأنعام / 108³ هود / 118-119⁴ الحجرات / 13

⁵ أبي محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسى، التبيه على الأسباب التي أوجبت اختلاف المسلمين في آرائهم ومذاهبهم واعتقاداتهم، تج: أحمد حسن كحيل، حمزة عبدالله النشرى، دار المريخ: الرياض، ط (2)، 1982، ص: 3

⁶ الروم / 22⁷ البقرة / 213⁸ البقرة / 213

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

فاختلقوا¹ ؟ فعلم أن الناس قد اختلفوا فيما مضى فلم يكونوا أمة واحدة ، ثم لا يدرى هل يقول أمرهم إلى الاتفاق في الدين فأعقب ذلك بأن الاختلاف دائم بينهم لأنّه من مقتضى ما جُبِلت عليه العقول² .

ولقد أدرك علماء الإسلام الأوائل على مختلف تخصصاتهم هذه الحقيقة الإلهية في أبعادها الاجتماعية، فانطلقوا إلى التعامل مع الآخر آخذين بالاعتبار أن ما يقومون به لا يمكن بحال من الأحوال أن يقضي على هذا التنوع والاختلاف، وإنما عملهم عبارة عن مجهد دعوي للاقتراب من الآخر ، سواء قبل ما يدعون إليه أو رفض، ولذا لم يكن الجدل في الإسلام عبارة عن قهر وغصب وصراع، بقدر ما كان يحمل في طياته الأبعاد الحقيقة للحوارات الحضارية بين الشعوب والأمم، لا من أجل دفعها للدخول في الإسلام فقط – وإن كان هذا هو المراد الأول والأسمى – بل ومن أجل القضاء على ما قد يُفضي إليه الاختلاف من تعصب وتزمت قد يقول في نهاية الأمر إلى عنف وإرهاب.

المبحث الرابع: دور قيمة العدل في تعزيز وترسيخ قيم التسامح والتعايش والتفاهم

من خلال تحليل بعض محتوى آي الكتاب العزيز التي تتحدث خاصة عن أهل الكتاب، والتركيز على قيمة العدل الإلهي التي تتجلّى في كل آية من حديثه تعالى عن المخالفين، نصل في هذا المبحث إلى صورة توظيف هذه القيمة اليوم في حواراتنا مع المخالفين من جهة، ومن جهة أخرى في دراساتنا للأديان والمذاهب المخالفة للإسلام، مما يساعد على نشر قيم التسامح والتعايش والتفاهم بين الناس أجمعين.

فالمسلم لما يعلم بأنه مطالب بالعدل والقسط مع كل المخالفين مهما اشتد الخلاف معهم، وأن الاختلاف لا يدفعه أبداً إلى الجور والظلم وبعد عن تشخيص الحقائق كما هي عليه في الواقع، فهذا يجعل منه إنساناً

إذا كان السبب وراء الجدل الإسلامي الكتابي هو الفهم العميق لسنة الاختلاف الدافع نحو الاحتكاك ومخالطة الآخر، فإن المقصود من المخالطة هو الوصول إلى الفهم الصحيح لطبيعة المخالف من أجل التواصل معه إيجابياً داخل المجتمع والدولة الواحدة.

والمتأمل في النصوص الجدلية لعلماء الإسلام يجد ذلك واضحاً في كتاباتهم، فأغلبهم كان يعتمد في مناقشاته على كتبهم أو محادثاتهم وبينى مواقفه على أساس الاحتكاك بهم، وهذا من أجل الوصول إلى الفهم العميق بطبيعة دينهم وثقافتهم، ومن ثم حسن التعامل معهم سواء دعوة أو نقداً أو تعايشاً.

فابن حزم على سبيل المثال الذي كان من كبار علماء الإسلام مجالة لأهل الكتاب والذي ألف موسوعة في الأديان تحت اسم "الفصل في الملل والآهواء والنحل" كان لا يتحدث عن دين اليهود والنصارى عن جهالة ولا عن وراثة، بل كان يتحرى العدل والصدق من أجل الفهم العميق لمن يعيشون معه داخل المجتمع الواحد، ولذا كان

¹ 19 يومنس /

² الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج: 7 ، ص: 215.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

–رحمه الله– يجمع ما أمكنه من نسخ التوراة ويطلع عليها بنفسه¹، كما كان واسع الإطلاع والمعرفة بتاريخ اليهود السياسي والديني² وبجغرافية بلادهم³، بل كان يسعى بنفسه لسؤال علماء اليهود عن المعانى العامضة التي لا يفهمها⁴، وأحياناً يدخل في مناقشات شفوية معهم⁵، يقول رحمة الله في مقدمته كتابه –قوله يعبر عن مدى موضوعيته في دراسته للأديان وعن أهدافه التواصيلية المبنية على أساس العلم والحقيقة كما هي عليه–: "إإن كثيراً من الناس كتبوا في افتراق الناس في دياناتهم ومقالاتهم كتباً كثيرة جداً بعض أطال وأسهب وأكثر وهجر واستعمل الأغالط والشعب فكان ذلك شاغلاً عن الفهم قاطعاً دون العلم، وبعض حذف وقصر وقلل واختصر واضرب عن كثير من قوى معارضات أصحاب المقالات فكان في ذلك غير منصف لنفسه في أن يرضى لها بالغين في الإبانة وظالماً لخصمه في أن لم يوفه حق اعترافه وبخساً حق منقرأ كتابه إذ لم يغنه عن غيره وكلهم إلا تحلة القسم عقد كلامه تعقيداً يتعدى فهمه على كثير من أهل الفهم وحلق على المعانى من بعد حتى صار ينسى آخر كلامه أوله وأكثر هذا منهم ستائر دون فساد معانيهم فكان هذا منهم غير محمود في عاجله وآجله . قال أبو محمد رضي الله عنه فجمعنا كتابنا هذا مع استخارتنا الله عز وجل في جمعه وقصدنا به قصد إيراد البراهين المنتجة عن المقدمات الحسية أو الراجعة إلى الحس من قرب أو من بعد على حسب قيام البراهين التي لا تخون أصلاً مخرجها إلى ما أخرجت له وأن لا يصح منه إلا ما صحت البراهين المذكورة فقط. إذ ليس الحق إلا ذلك وبالغنا في بيان اللفظ وترك التعقيد راجين من الله تعالى على ذلك الأجر الجزيل وهو تعالى ولـي من تولاه ومعطي من استعطاه لا إله إلا هو وحسينا الله ونعم الوكيل"⁶.

وأقرباً من هذا نجده عند الشهرياني الذي صر في مقدمة كتابه أن الغرض منه هو العبرة والاستبصر، وهذا بعدهما اطلع واقترب من ديانات وثقافات المخالفين، فيقول: " فلما وفقني الله تعالى لمطالعة مقالات أهل العالم من أرباب الديانات والمملل واهل الأهواء والنح، والوقوف على مصادرها ومواردها، واقتناص أوانسها وشواردها، أردت أن أجمع ذلك في مختصر يحوي جميع ما تدين به المتدينون، واتحده المتخلون، عبرة لمن استبصر، واستبصر لمن اعتبر...".⁷

أما البيروني في كتابه "تحقيق ما للهند من مقوله مقبولة في العقل أو مرذولة" فإنه أراد أن يطور معرفة المسلمين ببقية الأديان، وقادت دراسته على عمل ميداني قوامه المعاينة والحكاية والمقارنة، وكان عمله بمثابة بحث استطلاعي مهـّ لانتشار الإسلام في الهند. انتهج في الكتاب منهاجاً جـّبه التعلـّق والتعميم، ولذا نجده

¹ ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، (جدة: شركة مكتبات عكاظ، طـ1، 1402هـ/1982م، ج: 1، ص: 121).

² نفسه، 193/1، 197.

³ نفسه، 103 /1، 104.

⁴ نفسه، 141/1، 142.

⁵ نفسه، 152/1.

⁶ ابن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، جـ1، ص: 11.

⁷ الشهرياني، الملل والنحل، تـحـ: عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبـيـ، 1968، جـ1، ص: 9.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

يقول عن منهجه في كتابه: "وليس الكتاب كتاب حجاج وجدل حتى استعمل فيه بإيراد حجج الخصوم ومناقضة الرائع منهم عن الحق"¹.

خاتمة:

سنة الاختلاف سنة اجتماعية إلهية، {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَأُونَ مُخْتَلِفِينَ } {إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلَذِلِكَ خَلَقُوكُمْ }²، فمنذ أن خلق الله الخلق والناس على طبائع وأخلاق وانتماءات شتة، مختلفون في لغاتهم وألوانهم وأديانهم وأعراقهم، وما الاختلاف الحاصل الحال اليوم في مجتمعاتنا يبدع من الأمر، بل هو استمرار لسنة الله وحكمته في الخلق، لكن عندما يغيب الوعي والفهم والحكمة، وعندما يسود التعصب والنظرة الواحدية الإقصائية، وتتضخم الأنفة التي لا ترى في مرآة الوجود إلا نفسها، فإن الاختلاف الذي هو مراد الله وحكمته في الخلق يتحول إلى كابوس يهدّد حياة البشرية واستمرار وجودها، وهذا من خلال ما يتولّد من التعصب والتفرّد من مضاعفات في السلوك السلبي للبشر، فعوضا عن التسامح والتعايش والتعاون والتكافل والتقارب والتعارف، يسود القصاء والقمع والتطرف والإرهاب والإكراه.

وهذا الذي تعانيه المجتمعات المعاصرة عموما، والمتنوعة الثقافات والديانات والأعراق خصوصا، والمجتمعات المسلمة على الوجه الأخص.

من هنا تأتي ضرورة التركيز على ترسیخ قيم التسامح والتعايش في وعي المجتمعات، باعتبارها قيما إنسانية إسلامية وقرآنية، وهذا من خلال تعميق الوعي بالقيم القرآنية وعلاقتها بالنشاطات الاجتماعية والعلقانية وهذا مثل قيمة العدل وإيحائهما في فكر المجتمع باعتبارها من الواجبات الشرعية الاجتماعية التي لا تقل أهمية عن الواجبات الشرعية الفردية.

إن استحضار قيمة العدل ومكانتها في القرآن الكريم كفيلة بجعل القيم الأخرى التي نسعى بنشرها في المجتمع مثل التسامح والتعايش والتقارب وغيرها، كفيلة بجعلها قيما سهلة الفهم بسيطة التطبيق، لأنها تأتي من باب امثال ما جاء عن رب العزة العدل والأمر بالعدل.

قائمة المصادر والمراجع:

- (1) القرآن الكريم
- (2) العهد الجديد
- (3) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحقون للنشر والتوزيع، تونس، 1997، ج: 11.
- (4) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية للكتاب، 1366هـ - 1947م، ط: 2، ج: 10.
- (5) تقي الدين ابن تيمية. تقي الدين، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: مجموعة من الدكتورة، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ط: 2، 1999م، ج: 2.
- (6) محمد بن الطاهر التتير البيروتي، العقائد الوثنية في الديانةنصرانية، تحقيق: د/ محمد عبد الله الشرقاوي، دار الكتب، 1989.

¹ البيروني، تحقيق ما للهند من مقوله مقبولة في العقل أو ممزولة، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الهند، ص: 116.

² هود/ 118-119

9-8 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

- (7) أبو الحسن العامري، الإعلام بمناقب الإسلام، تحقيق د/ أحمد عبد الحميد غراب، ط: 1، 1988 م، الرياض.
- (8) أبو الحسن الأشعري، مقالات إسلاميين واختلاف المصلحين، تحقيق: محمد محبي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ج: 1.
- (9) فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ج: 12.
- (10) منقذ بن محمود السقار، هل افتدانا المسيح على الصليب، كتاب إلكتروني.
- (11) إتحيل بنايا
- (12) ميشيل بجنت وآخرون، الدم المقدس الكأس المقدس، ت: محمد الواكد، ط: 2، 2008، سوريا .
- (13) <http://www.ebnmaryam.com/vb/t27600.html> تاريخ الزيارة: 27/02/2019 الساعة 09:22 دقيقة
- (14) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، 2011، ج: 2.
- (15) أبي محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسى، التنبية على الأسباب التي أوجبت اختلاف المسلمين في آرائهم ومذاهبهم واعتقاداتهم، ته: أحمد حسن كحيل، حمزة عبدالله النشرتي، دار المريخ: الرياض، ط (2)، 1982.
- (16) ابن حزم، الفصل في الملل والهوا والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، (جدة: شركة مكتبات عكاظ، ط 1، 1402هـ/1982م، ج: 1.
- (17) الشهريستاني، الملل والنحل، ته: عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي، 1968، ج: 1.
- (18) البيروني، تحقيق ما للهند من مقوله مقبولة في العقل أو مرذولة، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الهند.

أثر الفقهاء المسلمين في تعزيز مفهوم الحوار مع المخالف

د. عادل بن عبد الله السعوي

الأستاذ المشارك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية -جامعة القصيم /المملكة العربية السعودية

مقدمة:

إن الحمد لله نحمنه ونستعينه ونستغفره ونعود بالله من شرور أنفسنا وسعيّات أعمالنا ، من يهدى الله فلا مضل له ومن يضللا فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده رسوله صلى الله عليه وسلم تسليناً كثيراً .

أما بعد ، فإن الخلاف بين البشر حاصل ولا بد ، قال الله تعالى: (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين . إلا من رحم ربكم ولذلك خلقهم)⁽¹⁾ . وهو ممتد امتداد البشرية لا يخلو منه عصر ولا مصر ، وإن نظرة سريعة لحال المسلمين اليوم تكشف حجم الخلل في التعامل مع الخلاف والمخالف. وليس الاختلاف مع الآخرين في ذاته مشكلة وإنما المشكلة الأكبر هي كيفية التعاطي مع هذه الاختلافات ومنهجية الرد على المخالف واستيعابه أو إقصائه.

وليس بخاف أن أكثر من يتعامل مع الخلاف هم الفقهاء فلا تكاد تخلو مسألة شرعية من اختلاف فقهي، وعند النظر في المسائل الفقهية في مطانها من كتب الأئمة الفقهاء ير الناظر تبايناً بين اختلافهم واختلافها لا من حيث المضمون فحسب وإنما من حيث النهج والتعامل مع الخلاف وتسويقه ، وإن العجب لا ينقضي حين يرى المرء اختلافات تهوي بأخلاق إلى الحضيض وتستدر مكتون النفوس من سوء اللفظ وناشر العبرة في الوقت الذي يرى أن السلف المقتدى بهم والمدلل بكلامهم كانوا يتعاملون مع الاختلاف تعاماً راقياً فكانوا يتداولون وجهات النظر في حوار مذهب راقي ، يختلفون في الرأي والمذهب ويختلفون في القلوب ويتحدون في الهدف والغاية ، وكأن خلف اليوم ليسوا من سلف الأمس!

وإيماناً مني بأن نهوض الأمة واستفاقتها يبدأ من تصحيح النظر وتصويب منهج الاختلاف والتعامل معه وإشاعة روح الحوار بين المختلفين الذي يتحقق معه تأليف القلوب وصفاء النفوس ، فقد كتبت هذه الورقات في أثر الفقهاء المسلمين في تعزيز مفهوم الحوار مع المخالف ودوره في استيعاب الخلافات وقبول المخالف فيما يسوغ فيه الخلاف.

⁽¹⁾ سورة هود : 118-119 .

8-9 أبريل 2019 -نوفي بزار. جمهورية صربيا

وقد جعلت هذا البحث في مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة:

المقدمة وفيها بيان الغرض من البحث وأهميته.

المبحث الأول : في التعريف بالاختلاف الفقهي، ونشأته وأسبابه.

المبحث الثاني: في أنواع الاختلاف والحكمة من وجود الاختلاف الفقهي.

المبحث الثالث : الحوار والمناظرة لدى الفقهاء، الآداب والممارسة.

المبحث الرابع: أثر دراسة اختلاف الفقهاء في تعزيز مفهوم الحوار وتحقيق الائتلاف.

الخاتمة والتوصيات.

المبحث الأول : التعريف بالاختلاف الفقهي، ونشأته وأسبابه.

التعريف بالاختلاف الفقهي:

الاختلاف في اللغة مصدر اختلف ، واختلف ضد اتفق ، ويقال : تخالف القوم واختلفوا ، إذا ذهب كل واحد منهم إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر.

ويقال : تخالف الأمان ، واختلفا إذا لم يتفقا وكل ما لم يتساو : فَقَدْ تخالف واختلف⁽¹⁾.
والمقصود به في الاصطلاح الفقهي : تباين الآراء وأن يذهب كل عالم إلى رأي غير رأي الآخر.

ويستعمل الفقهاء لفظ الخلاف والاختلاف بنفس المعنى فيعبرون بأحد هما عن الآخر ، وذهب بعض من كتب في هذا الشأن إلى التفريق بين المفردتين ، فمفردة الاختلاف تدل على التنوع والتعدد فالاختلاف هو تنوع الآراء والمعايرة في الطرح، ومنه قول الله تعالى: (فاختلف الأحزاب من بينهم)⁽²⁾ قوله : (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله)⁽³⁾ . أما مفردة الخلاف فهي من المعارضة كقوله تعالى : (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه)⁽⁴⁾ قوله : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيّبهم عذاب أليم)⁽⁵⁾ .

⁽¹⁾ المحكم والمحيط الأعظم مادة (خ ل ف) 239/2 . ، لسان العرب مادة (خلف) 82/9 ، المصباح المنير (خلف) 179.

⁽²⁾ سورة الزخرف : 65.

⁽³⁾ سورة الشورى : 10.

⁽⁴⁾ سورة هود : 88.

⁽⁵⁾ سورة النور : 63 . وينظر : أدب الاختلاف للشيخ عبد الله بن بيه في موقعه الرسمي : <http://www.binbayyah.net/portal/research/138>

وربما كان في اختلاف عبد الله بن مسعود مع أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنهما في الإتمام في الحج ، ربما كان فيها دليلاً لهذا التفريق فإن ابن مسعود اختلف مع عثمان رضي الله عنهما في الرأي الفقهي لكنه لم يخالفه في الفعل لما في ذلك من البلاء والفتنة وقال رضي الله عنه : (الخلاف شر)⁽¹⁾. فكانه سوغ الاختلاف في الرأي المحتمل ونهى عن المخالفة المؤدية إلى الفتنة .

هذا التفريق الذي ذهب إليه البعض لا نرى الفقهاء يعتقدون به فنجد لهم يقيمون إحدى المفردتين مقام الأخرى فيعاملونهما معاملة المترادفين ، وعلى هذا فأسير في هذا البحث اعتباراً للاستعمال الدارج.

نشأة الاختلاف الفقهي وأسبابه:

قبل الحديث عن نشأة الاختلاف الفقهي بين فقهاء الإسلام، لابد أن أشير إلى ان الاختلاف وتباین الآراء ووجهات النظر قديم قدم البشرية ، مما زالت عقول البشر تتفاوت وإدراکهم للحقائق يتباين ، ومواهبهم الفطرية وقدراتهم تختلف ، واختلاف البيئات والظروف الحياتية لم تزل مؤثرة على الفكر والتصور .

قال الله تعالى : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) وهل يعود اسم الإشارة في قوله : (ولذلك خلقهم) إلى الاختلاف أم الرحمة؟ على قولين للمفسرين أرجحهما أنه يعود إلى الاختلاف فللاختلاف خلقهم⁽²⁾.

والاختلاف في الجملة ظاهرة طبيعية مقبولة ما دامت في إطارها المشروع ولم تصل إلى حد التفرق المذموم والجور والطغيان.

وكما يقع الخلاف بين البشر فقد وقع بين ملائكة الرحمن، فقد جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة الرجل الذي قتل مائة نفس ثم تاب وخرج مهاجراً إلى بلد الطاعة فمات في طريقه فاختلف فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب والقصة مشهورة⁽³⁾.

ووقع الاختلاف بين صفة البشر أنبياء الله ورسله فيحدثنا القرآن الكريم عن الخلاف بيننبي الله داود وابنهنبي الله سليمان عليهما السلام في حكم الزرع إذ نفشت فيه الغنم ثم أتى الله تعالى عليهما فقال : (ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً)⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ رواه بهذا اللفظ أبو داود في كتاب المنسك، باب الصلاة بمنى من حديث ابن مسعود برقم (199/2) 1960 ، وأصل الحديث في الصحيحين البخاري 1/368 ، ومسلم 1/483 ، دون قوله: "الخلاف شر".

⁽²⁾ تفسير ابن حجر الطبرى 15/538.

⁽³⁾ الحديث في الصحيحين ، فواه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب حديث الغار برقم (3283) 1280/3 ، ومسلم في كتاب التوبه ، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله برقم (2766) 2118/4.

⁽⁴⁾ سورة الأنبياء : 79 . وينظر: أدب الاختلاف للشيخ عبد الله بن بيته.

نشأة الاختلاف الفقهي:

ولم يكن الفقهاء المسلمين بمنأى عن طبيعتهم البشرية، فقد اختلفوا في كثير من الفروع الفقهية، وكان اختلاف أئمة الفقه المتبعين ناشئاً عن اختلاف من سبّهم، فإن الخلاف الفقهي بدأ في عصر النبوة ، فقد اختلف الصحابة رضي الله عنهم في بعض الواقع اختلف اجتهاد لا اختلف هو، والنبي صلى الله عليه وسلم بين ظهراً منهم، وهو ما ضيق الخلاف في ذلك العصر ؛ إذ إن حكمه قاطع لكل اجتهاد وحاكم على فهمه وقوله، ومن أمثلة الاختلاف التي حصلت زمن النبوة: قصة صلاة العصر فيبني قريظة، فقد صح عن ابن عمر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم لنا لما راجع من الأحزاب: (لا يصلين أحد العصر إلا فيبني قريظة) فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلى حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلى، لم يرد منا ذلك! فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنف واحداً منهم⁽¹⁾. وهكذا فقد أورث الأمر المجمل اختلافاً في الفهم فتوقف البعض عند اللفظ النبوي الشريف فلم يتجاوزه إلى ما وراء ذلك من المقاصد والمعانٍ ، وذهب آخرون إلى اعتبار القصد النبوي من اللفظ وأنه حث على إسراع المسير لا غير. كان هذا الاختلاف في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، ولما مات عليه الصلاة والسلام حصلت الخلافات من بعده، وكانت أكثر مما كانت عليه زمان حياته لأن وجوده عليه الصلاة والسلام كان قاطعاً وفيصلاً في الحكم ، فاختلف الصحابة رضي الله عنهم في مسائل مشهورة من الدين، فقد اختلفوا في عدة الحامل المتوفى عنها زوجها⁽²⁾ ، واختلفوا في متعة الحج⁽³⁾ ، وغيرها من المسائل.

كانت هذه إلماحة إلى نشأة الخلاف الفقهي، غير أن الاجتهادات الفقهية لعلماء المسلمين قد توسيطت تبعاً لاتساع رقعة الدولة الإسلامية وكثرة الفتوحات وتعدد النوازل، ويمكننا أن نفرق بين نشأة الخلاف الفقهي ابتداء وهو ما سبق الحديث عنه وبين مراحل تطور الخلاف الفقهي .

تطور الاختلاف الفقهي

ذكرت أن الخلاف الفقهي وجد زمن النبي صلى الله عليه وسلم، لكنه وجد على نطاق ضيق؛ لأن الناس كانوا يصدرون عن رأيه صلى الله عليه وسلم إن اختلفوا ويفزعون إليه في كل حادثة ونازلة تنزل بهم.

ثم اختلف الصحابة من بعده صلى الله عليه وسلم، وكان الخلاف هنا أكثر اتساعاً، فقد انقطع الوحي ولم يعد أمامهم إلا الاجتهاد فيما بين أيديهم من النصوص، وإعمال الفكر فيها لاستنباط أحكام ما يستجد. ولما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وكثرة الفتوحات، وكثير الداخلون في دين الله، تعددت النوازل والمستجدات، وتفرق بقية الصحابة في الأمصار، واجتهدوا في استنباط أحكام النوازل التي لم يرد بشأنها نص خاص ، فتعددت الآراء تبعاً

⁽¹⁾ رواه البخاري في كتاب الجمعة بباب صلاة الطالب والمطلوب راكباً وإيماءً حديث رقم (904) 321/1.

⁽²⁾ صحيح مسلم 2/1122.

⁽³⁾ صحيح مسلم 2/895.

لاختلافهم في قدر ما أخذوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظوه، ثم أخذ تلامذتهم ذلك عنهم، وهكذا تشعب الخلاف وامتد، حتى تبلورت في ذلك العصر المدارس الفقهية باختلاف الأمصار والشيوخ، فابن عباس في مكة، وابن عمر في المدينة، وابن مسعود في الكوفة، وأبو موسى في البصرة، ومعاذ بالشام. فصار لهم أتباع ومدارس، وهكذا امتد الأمر إلى زمن الأئمة المتبوعين: أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل.

أسباب الاختلاف الفقهي

تعددت أسباب الاختلاف بين الفقهاء ومع التأكيد على أن اختلافهم ضرورة لا يمكن تصور عدم وجوده فيمكن إجمال أسباب الاختلاف الفقهي فيما يلي:

- 1 أن يجهل الفقيه النص الشرعي فلا يبلغه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبخاصة إذا ما علمنا تأخر تصنيف كتب السنة المشهورة.
- 2 قد يبلغ الحديث الفقيه لكنه لا يثبت عنده فلا يأخذ به، بينما قد يثبت عند غيره فيحتاج به ويرتب عليه أحکاماً شرعية.
- 3 قد يبلغه الحديث ويثبت عنده لكنه لا يرى فيه دلالة في مسألة الخلاف إما لخفاء المعنى على الفقيه أو إجماله أو تردد ، وهذا السبب يرجع إلى فهم الفقيه⁽¹⁾.
- 4 يختلف الفقهاء في قواعد التعارض والترجح وهذا بدوره ينعكس على اختياراتهم الفقهية.
- 5 محدودية النصوص الشرعية وتعدد الواقع، فالنصوص محدودة والواقع غير محدود فلا بد من القياس والنظر في علل الأحكام وغرض الشارع والمقاصد العامة للشريعة وتحكيمها في الواقع والنوائل المستجدة، وفي هذا يحصل التباين والاختلاف بين فهوم العلماء وترجيحاتهم بين الاحتمالات؛ فتختلف أحکامهم في المسألة الواحدة⁽²⁾.
- 6 كما أن الاختلاف البشري سبب من أسباب الاختلاف الفقهي، فلكل عالم شخصيته المستقلة وسماتها وطريقة تفكير خاصة به، وله طبيعته التي جُبل عليها من حيث الصلابة والليونة ونحو ذلك مما تصطبغ به آراؤه في المسائل الاجتهادية. وكان أبو جعفر المنصور يشير إلى ذلك وهو يوصي الإمام مالكا حين أشار عليه بتأليف "الموطأ" : "ضع أنت للناس كتاباً ينتفعون به تجنب فيه رخص ابن عباس وشداد ابن عمر وشواذ ابن مسعود"⁽³⁾.

⁽¹⁾ ينظر رفع الملام عن الأئمة الأعلام ص 9 وما بعدها.

⁽²⁾ ينظر : بحث الاختلاف في مسائل الفروع لا يسبب الفرقة : في مجلة المجمع الفقهي الإسلامي ص 88 .

⁽³⁾ مقدمة ابن خلدون 1/18.

المبحث الثاني: أنواع الاختلاف والحكمة من وجود الاختلاف الفقهي

يقسم الاختلاف باعتبار حكمه إلى نوعين:

اختلاف مذموم ، واختلاف محمود.

- 1- الاختلاف الفقهي المذموم وهو ما كان في المسائل الثابتة بالأدلة القطعية، كالخلاف في قطع يد السارق وفرض الحجاب ، أو كان فيما حصل فيه الإجماع الثابت عن أهل العلم. ومن الاختلاف المذموم كذلك الخلاف الناشئ عن الهوى والجهل والتucciب ، قال الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كُبَرَ مَا هُمْ بِالْغَيْبِ)⁽¹⁾.

- 2- الاختلاف الفقهي محمود وهو ما يجري في المسائل العلمية الظنية غير القطعية، كالخلاف في نصاب قطع يد السارق ، والخلاف فيما يجب تغطيته في الحجاب ونحو ذلك ، وفي مثل هذا الاختلاف أقر رسول الله صلى الله عليه وسلم المختلفين في قصة صلاة العصر فيبني قريظة، فقد جاء في الحديث عن ابن عمر قال : "فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَعْنِفْ وَاحِدًا مِّنْهُمْ"⁽²⁾. ومثل هذا الاختلاف هو الذي وقع بين الصحابة رضي الله عنهم.

ويقسم الاختلاف الفقهي باعتبار التنوع والتضاد إلى قسمين:

- 1- اختلاف نوع وهو ما يمكن فيه الجمع بين القولين .

- 2- اختلاف تضاد وهو ما لا يمكن الجمع فيه بين القولين⁽³⁾.

الحكمة من وقوع الخلاف الفقهي:

الخلاف الفقهي واقع قدرًا ولا يتصور أن لا يقع، وما كان ذلك كذلك إلا لحكمة أرادها الله وهو الحكيم العليم. إذ إن في الاختلاف الفقهي السائع رحمة بالعباد، وهو إثراء للمدرسة الفقهية وقدح للأذهان واستشارة للعقول، والاختلاف السائغ يجعل الأمة في سعة من أمر دينها وشرعيتها فلا تنحصر في تطبيق رأي فقهي واحد لا تتعداه إلى غيره، بل إذا ضاق بالأمة مذهب أحد الأئمة الفقهاء في وقت ما أو في أمر ما وجدت في المذهب الآخر سعة ورفقاً ويسراً⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ سورة غافر : 56.

⁽²⁾ سبق تحريرجه.

⁽³⁾ شرح مقدمة التفسير للشيخ محمد بن عثيمين ص 29 .

⁽⁴⁾ ينظر بحث الاختلاف في مسائل الفروع لا يسبب الفرقة ص 88.

فالمسلمون اليوم ينعمون بنعمة الاختلاف المذهبى والفقهي، فهم يعيشون اليوم فى بقاع شتى وفي بيئات مختلفة يصعب فيها حملهم على مذهب واحد.

قال أبو المظفر السمعاني: " وكان هذا النوع من الاختلاف رحمة من الله لهذه الأمة؛ حيث أيدهم باليقين ثم وسع على العلماء النظر فيما لم يجدوا حكمه في التنزيل والسنة "⁽¹⁾.

وألف رجل زمن الإمام أحمد كتاباً سماه "الاختلاف" فقال له : سمه كتاب السعة⁽²⁾.

ويقول عمر بن عبد العزيز رحمة الله: " ما أحب أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا، لأنه لو كان قوله واحداً كان الناس في ضيق"⁽³⁾.

قال الشاطبي رحمة الله : ومعنى هذا أنهم فتحوا للناس باب الاجتهاد وجواز الاختلاف فيه لأنهم لو لم يفتحوه لكان المجتهدون في ضيق؛ لأن مجال الاجتهاد ومجالات الظنون لا تتفق عادة كما تقدم، فيضيir أهل الاجتهاد مع تكليفهم باتباع ما غالب على ظنونهم مكلفين باتباع خلافهم وهو نوع من تكليف ما لا يطاق، وذلك من أعظم الضيق فوسع الله على الأمة بوجود الخلاف الفروعي فيهم فكان فتح باب الأمة للدخول في هذه الرحمة، فكيف لا يدخلون في قسم من رحم ربكم؟! فالاختلاف في الفروع كاتفاقهم فيها والحمد لله"⁽⁴⁾.

وليس مقصودي من إيراد مثل هذه النقويلات أن يفتح المجال للانتقاء من أقوال الفقهاء بالهوى والتشهي ومن قبل عامة الناس فهذا مسلك مذموم ، وإنما كان الاختلاف توسيعة في حق العلماء الذين يبذلون الوسع في استبطاط الأحكام الفقهية فيما يعرض لهم وليس عامة الناس يُمكّن من الانتقاء .

ومن المتقرر لدى أهل الاختصاص أنه لا يمكن لطالب علم الفقه أن يتဖقه دون معرفة الخلاف الفقهى ومذاهب أهل العلم ، يقول قتادة رحمة الله: " من لم يعرف الاختلاف لم يشم الفقه بأنفه"⁽⁵⁾. وقال سعيد بن أبي عروبة "من لم يسمع الاختلاف فلا تدعوه عالما"⁽⁶⁾. فالعلم بالخلاف ضروري في الترجيح والاختيار فربما خفي عليه قول كان هو الصواب الأرجح وربما رد حقاً لأنه لم يطلع عليه فليس الحق محصوراً في قول إمام أو مذهب.

⁽¹⁾ الانتصار لأصحاب الحديث ص48.

⁽²⁾ مجموع فتاوى ابن تيمية 14/159.

⁽³⁾ المواقفات 4/125 ، والاعتراض 2/170 .

⁽⁴⁾ الاعتراض 2/170 .

⁽⁵⁾ جامع بيان العلم وفضله 2/46 .

⁽⁶⁾ جامع بيان العلم وفضله 2/46 .

9-8 نوفي بزار، جمهورية صربيا

وإذا كان الطالب مضطراً إلى دراسة اختلاف الفقهاء فإنه سيرى كيف كانوا يختلفون في الآراء مع اتفاق القلوب، وسيتعلم كيف يختلفون ويتصدر كل فريق لرأيه بأدب جم واحترام للمخالف في جو حوار صحي وأمن فكري يشجع على الإبداع الفكري ويعث عليه.

المبحث الثالث: الحوار والمناظرة لدى الفقهاء، الآداب والممارسة:

كان ما ذكر آنفًا توطئة لابد منها للوصول إلى حقيقة اختلاف الفقهاء وكنهه وطبيعة تعاملهم معه، والناظر في كتب الفقهاء التي اعتنوا فيها بذكر خلاف العلماء ومذاهبهم واستدللاتهم يرى فيما كتبوا سمواً ورقياً واحتراماً لآراء المخالفين⁽¹⁾، فمن يطالع مثل المبسوط للسرخسي الحنفي ، أو التمهيد لابن عبد البر المالكي ، أو المجموع للنووي الشافعي ، أو المعني لابن قدامة الحنبلية ، يرى كيف بلغ العدل والإنصاف وتوقير بعضهم بعضًا مع اختلافهم في الرأي، لا يمنع أحدهم الانتصار لرأيه وحشد الأدلة عليه وتهين رأي مخالفه ان ينصف مخالفه ويتأدب معه ويحاوره بألفاظ عبارة ويناقش آرائه من غير تسفيه ولا تحقيير. إن من يطالع كتب هؤلاء الأئمة وغيرهم من عني بذكر الخلاف يراهم يوردون الأقوال المخالفة لمذاهبهم منسوبة لأصحابها بألفاظ عبارة وتوقير لقائلها، ثم يوردون أدلة مخالفتهم كاملة من غير حيف ولا نقص، ثم يناقشونها بسعة صدر واحترام للعلم ووجه استدلاله ونظره من غير تنقص ولا تقليل من شأن المخالف، فلا ينتقص بعضهم قدر بعض ولا يحتقر بعضهم رأي بعض، وتتسع صدورهم للرأي المخالف والخلاف السائغ ، وربما ترك بعضهم مذهب إمامه وشيخه إلى مذهب إمام غيره اتباعاً للدليل وبحثاً عن الحق ، فهذا القاضي أبو بكر بن العربي المالكي يدع مذهب إمامه في وجوب الزكاة في كل ما خرج من الأرض إلى قوله أبا حنيفة فيقول: "أما أبو حنيفة فجعل الآية مرآته فأبصر الحق"⁽²⁾ . ويخالف الإمام ابن القيم رأي إمام مذهبه ورأي شيخه ابن تيمية في مسألة نسك التمتع في الحج فيأخذ برأي ابن عباس -رضي الله عنهما- في المسألة ويقول : " وأنا إلى قوله -يعني ابن عباس -أميل منه إلى قول شيخنا"⁽³⁾ ، والإمام النووي يترك مذهب إمامه في عدم انتقاد الوضوء بأكل لحم الإبل فيرجح النقض فيقول: " وهذا المذهب أقوى دليلاً وإن كان الجمھور على خلافه"⁽⁴⁾ .

⁽¹⁾ وهذا هو الشائع العام في كتبهم وأما النادر الشاذ فلا اعتبار به ولا حكم له وقد شنع العلماء على الإمام أبي محمد بن حزم تطاوله على الأئمة والخط من أقدار المخالفين.

⁽²⁾ الجامع لأحكام القرآن 7/101 .

⁽³⁾ زاد المعاد 2/193 .

⁽⁴⁾ شرح صحيح مسلم 3/288 .

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

إن نَفْسُ الْحَوَارِ مَعَ الْمَخَالِلِ وَاحْتِرَامُهُ وَعَذْرَهُ وَالْعَدْلُ مَعَهُ وَالْإِنْصَافُ يَظْهُرُ بِجَلَاءِ فِي مَصْنَفَاتِ الْفَقَهَاءِ؛ حَتَّى إِنَّ الْقَارِئَ لِيَرَاهُمْ يَوْرُدُونَ رَأْيَ الْمَخَالِلِ ثُمَّ يَبْحُثُونَ عَنْ دَلِيلٍ يُمْكِنُ أَنْ يُحْتَجَّ بِهِ لِرَأْيِهِ - إِنَّ لَمْ يَوْرُدْ هُوَ دَلِيلًا عَلَى قَوْلِهِ - ثُمَّ يَنَاقِشُونَ الدَّلِيلَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي إِنْصَافِ عَزِّ نَظِيرِهِ.

إن الدارس للخلاف الفقهي حين يرى هذا التواضع العلمي والتراحم والإنصاف من النفس ليدعوه إلى تطبيق ذلك عملياً، وينبغي أن تؤثر فيه هذه المناقشات العلمية فينحو نحو سلفه وعلمائه فينصف من نفسه، ويأخذ المخالف بالرحمة واللين ، ويبحث عن الحق جهده يقبله ممن أتى به كائناً من كان.

وبالتأمل في تناول الفقهاء الخلاف الفقهي وجدت أنهم التزموا آداباً اوصلتهم إلى هذا الرقي في التعامل مع المخالف ، وعلى دارس الفقه أن يتلزمها ليسمو خلافه كأسلافه.

آداب الاختلاف عند الفقهاء:

1- إخلاص النية لله وحده ، وهذا جوهر المسألة ولبّها وعليه المدار وهو ظاهر في إنصافهم ودورانهم مع الدليل حيث دار.

2- البحث عن الحق واتباعه من أي طريق جاء ، موافقة من أتى به ولو كان مخالفًا للمذهب ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حق الشيطان لما علّم أبا هريرة قراءة آية الكرسي عند النوم : " صدقك وهو كذوب "(¹) فأرشد أبا هريرة إلى قبول قول الشيطان ما دام موافقاً للحق.

3- البدء بالاتفاق عليه بين الطرفين ثم النقاش في المختلف، وهو ما يسمى اليوم (تحرير محل النزع) وهو يعزز الجوانب المتفق عليها بين المختلفين ويحجم دائرة الخلاف ويجعلها في أضيق نطاق وأقل صورة، والعناية بهذا الأصل يفيد الدارس في شتى مجالات حياته وفي سائر تعاملاته مع الاختلافات العلمية والعملية أياً كانت، مما يتفق عليه المختلفون أكثر مما يختلفون فيه، والعناية بمواطن الخلاف وإبرازها توهم أنها الأصل والغالب بينما الواقع أن مواطن الاتفاق هي الأصل والأغلب وموضع الاختلاف هي الفرع والأقل ، وإبراز جوانب الاختلاف وإظهارها يورث التراحم والمحبة والألفة ، والعكس إن صورت مواطن الاختلاف أنها الأعم الأغلب وأغفلت جوانب الاتفاق.

4- حسن الاستماع والإنصات وعرض أدلة المخالف وبيان وجه استدلاله منها، واحترام وجهة نظر المخالف فيها.

(¹) رواه البخاري في كتاب الوكالة بباب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكل حدث رقم (2187) .812/2

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

- 5 توجيه النقد للقول لا قائله وللفكرة لا صاحبها، فينقد الرأي وتوجه له الاعتراضات العلمية دون المساس بشخص قائله، فيحترم صاحب الرأي ويحفظ مقامه مع الرد على فكرته ومناقشتها. ونحن اليوم أحوج ما نكون لمثل هذا في معالجة خلافاتنا على اختلاف مستوياتها وموضوعاتها.
- 6 استعمال الأدوات العلمية في نقد الرأي والفتوى ، فليس النقد عن هوئ وتشهي ، وإنما يكون وفق قواعد علمية ومقدمات صحيحة ، فليس للنقد مكان ولا وجه إن لم يلتزم بمعاييره العلمية الدقيقة.
- 7 حسن العبارة وانتقاء الفظ ، والعجب ممن يطلب مع مخالفيه غليظ الكلام وسيء اللفظ ويستوحش من سهل العبارة ولين المقال وكأن الحق لا يتأتى إلا مع فاحش القول وجفاء العبارة! وقد قال الله تعالى : (وقولوا للناس حسنا)⁽¹⁾ ، قال القرطبي رحمه الله: "فدخل في هذه الآية اليهود والنصارى فكيف بالحنيفي؟!"⁽²⁾
- وفي هذا الزمن تشتد الحاجة إلى مثل هذا الأدب في المناقضة والحوارات مع المخالف، مع كثرة الاختلافات وتنوع المخالفين، وهي أعظم وسيلة لاستجلاب محبة المخالف وموذته.
- 8 العلم والإحاطة بمسألة الخلاف قبل الخوض فيها .
- 9 إحسان الظن بالمخالف ، قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم)⁽³⁾.

المبحث الرابع: أثر دراسة اختلاف الفقهاء في تعزيز مفهوم الحوار وتحقيق الائتلاف

إن التزام ما جرى عليه فقهاء الإسلام السابقون من أدب الخلاف وحسن الحوار مع المخالف جدير بأن يروض الإنسان على الائتلاف وقبول التعددية الفكرية والعلمية السائغة ، الأمر الذي سينعكس إيجاباً على الأمة الإسلامية واجتماع كلمتها، وينعكس كذلك على علاقة المسلمين بغيرهم من المخالفين، وهو أعظم وسيلة يدعو بها الإنسان إلى الحق الذي يعتقده ويحب الناس فيه، إضافة إلى عظيم أثر هذه الأخلاق في الحوار والتعامل مع المخالف في استقامة أحوال الناس على مستوى الأفراد والأسر والمجتمعات والدول، وبخاصة أن الخلافات اليوم - كما هو مشاهد - تتعدد وتشعب على مستوى الأفراد والمجتمعات وبين أصحاب الملة الواحدة وبين أصحاب الملل المختلفة، ومع إغفال الحوار الحسن والأدب مع المخالف تزداد الهوة بين الناس وبعظام الشقاق بما لا تستقيم الحياة معه. وإن المسلمين اليوم إن تغافلوا عن منهج أسلافهم - في الحوار مع

⁽¹⁾ سورة البقرة : 83 .

⁽²⁾ الجامع لحكام القرآن 16/2 .

⁽³⁾ سورة الحجرات آية 12 .

المخالف والأدب معه- ولم يتأثروا بطريقتهم في التعاطي مع الخلاف فإن هذا الخلاف سيؤول إلى فرقة وتباغض وتشاحن، وهذا ما نراه اليوم في الخلافات السائغة بين المسلمين التي ما كان ينبغي أن تفرق الصدف وتشحن القلوب، ولئن كان التزام المتقدمين بحسن الخلاف وأدبه فضيلة محمودة فهو اليوم فرض لازم، وتنقية القلوب وتصفية النفوس من غلواء الخلاف واجب متأكد.

وأولى الناس بمراعاة أدب الحوار والخلاف هم دارسو العلم الشرعي، إذ ينبغي أن تصطبخ حياتهم وأخلاقهم بما تعلموا ودرسوا وشاهدوا من حسن الحوار مع المخالف والأدب معه واحترام وجهة نظره والحفاظ على حقه في التعبير عن رأيه في أمن فكري وحرية علمية تثري الحراك العلمي الفكري بكلفة صوره في المجتمع ويصنع بيئه محفزة على الإبداع، يؤمن فيها الفرد أن يصادر رأيه أو يقصى.

الحوار الذي يصنع جواً صحيحاً ينجب العظماء والقادة، هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم يمشي في طريق ومعه الحسن فرأى تمرة في الطريق فالتقمها رضي الله عنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "كخ كخ! ارم بها! أما علمت أنها لا تحل لنا الصدقة!"⁽¹⁾ إنه حوار رفيع بين معلم البشرية النبي القائد العظيم صلى الله عليه وسلم مع طفل صغير آنذاك، لم ينس النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أن يحاور هذا الطفل على صغر سنه ولم يكتف بنهيءه عن الأكل من تمر الصدقة بل بين له ووضع في تشريع عظيم للأمة أن الحوار هو الوسيلة الأولى في توضيح الحق وبيانه وفي تقويم السلوك وإبداء الآراء بلا فرض ومصادرة لآراء الآخرين.

ويحكى الله لنا صورة أخرى من صور الحوار البناء بين إبراهيم الخليل عليه السلام وابنه إسماعيل يقول الله تعالى: (فلما بلغ معه السعي قال يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستتجدني إن شاء الله من الصابرين) سورة الصافات 102. لم يكن إبراهيم عليه السلام بحاجة إلى أن يبين لابنه قصة الرؤيا فهي أمر من الله لا يمكن مراجعته ولكنها التربية على الحوار والمناقشة وبيان المسوغ والمبرر لاتخاذ القرار، ثم تأمل في أدب الحوار الجم: (فانظر ماذا ترى) تلطف في عرض الفكرة وإيصال الأمر بما لا مزيد عليه؛ ولئن كان هذا صنيع خير خلق الله وأفضل رسالته مع من دونهم فإن عامة الناس أحق بهذا النهج وال الحوار وأولى به.

إن هذه الصورة الراقية من صور الحوار بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه الحسن وال الحوار بين خليل الله إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، هي التي أنشأت جيلاً عظيماً غير وجه الأرض وجعل منه مجتمعاً مثالياً. ولعل جزءاً كبيراً من ويلات البشرية هي بسبب التخلّي عن نهج الحوار وتبادل الرأي في جو تسوده الطمأنينة والأمن الفكري.

⁽¹⁾ رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب ما يذكر في الصدقة للنبي صلى الله عليه وسلم 127، ومسلم في كتاب الزكاة، باب تحريم الزكاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم 751/2.

وفي التراث الفقهي الضخم نماذج تستحق الوقوف والتأمل في حسن الاختلاف بين أئمتنا وفقهائنا، ويحسن أن أورد شيئاً منها للاعتبار والتأسي:

قال يونس الصدفي : ما رأيت أعقل من الشافعي ، ناظره يوما في مسألة ، ثم افترقا ، ولقيني ، فأخذ بيدي ، ثم قال: يا أبا موسى ، ألا يستقيم أن تكون إخواناً وإن لم تتفق في مسألة⁽¹⁾ . وقال الإمام أحمد بن حنبل : لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق ، وإن كان يخالفنا في أشياء فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً⁽²⁾ .

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: ولو كان كلما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يبق للمسلمين عصمة ولا أخوة⁽³⁾ . وقال رحمه الله: وببلاد الشرق من أسباب تسلط التتر عليها كثرة التفرق والفتنة بينهم في المذاهب وغيرها⁽⁴⁾ .

ويقول أيضاً : "وهكذا مسائل النزاع التي تنازع فيها الأمة في الأصول والفروع إذا لم ترد إلى الله والرسول لم يتبيّن فيها الحق، بل يصير فيها المتنازعون على غير بينة من أمرهم، فإن رحمهم الله أقر بعضهم بعضاً، ولم يبغ بعضهم على بعض، كما كان الصحابة في خلافة عمر وعثمان يتنازعون في بعض مسائل الاجتهداد فيقر بعضهم بعضاً، ولا يعتدى عليه، وإن لم يرحموا وقع بينهم الاختلاف المذموم، فبغى بعضهم على بعض، إما بالقول مثل تكفيره وتفسيقه، وإما بالفعل مثل حبسه وضرره وقتله . وهذه حال أهل البدع والظلم كالخوارج وأمثالهم، يظلمون الأمة ويعتدون عليهم، إذا نازعوهم في بعض مسائل الدين، وكذلك سائر أهل الأهواء، فإنهم يتبعون بدعة، ويكررون من خالفهم فيه"⁽⁵⁾ .

الخاتمة والتوصيات:

تبين من خلال هذا البحث أن الاختلاف سنة كونية ماضية وأن الخلاف الفقهي جزء من الخلافات البشرية المتعددة وللخلاف الفقهي أسبابه ومبراته وليس هو في كل الأحوال شرًّا وبلاًء بل منه ما يكون سعة ورحمة ، وتبين لنا أن فقهاء الشريعة هم أكثر من تطرق للخلاف في مصنفاتهم وعالجوه، وقد سنوا لمن بعدهم طريقة وأدباً رفيعاً في التعاطي مع الخلاف والتعامل مع المخالف والحوار معه، وحري بمن تتلمذ على كتبهم أن ينحو نهجهم. وأختتم هذا البحث بذكر توصيات أوجزها في النقاط التالية:

1 - أهمية تأصيل حقيقة الخلاف المشروع منه والممنوع ، وكيفية التعاطي معه.

⁽¹⁾ سير أعلام النبلاء 16/10

⁽²⁾ سير أعلام النبلاء 11/371

⁽³⁾ مجموع فتاوى ابن تيمية 24/172

⁽⁴⁾ مجموع فتاوى ابن تيمية 22/254

⁽⁵⁾ مجموع فتاوى ابن تيمية 17/311

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

- 2 ضرورة اهتمام المشايخ وأساتذة الجامعات بإبراز منهج الأئمة في تعاطيهم مع مسائل الخلاف وتعاملهم مع المخالف ، وتطبيق ذلك عملياً في الدراسات الفقهية.
- 3 ضرورة تدريس فقه الخلاف وأدب الحوار مادة مستقلة في الجامعات والكليات وأن يكون التدريس نظرياً وتطبيقياً.
- 4 ينبغي على كافة المسلمين وبخاصة أهل الرأي منهم والحل والعقد أن يشعروا روح الحوار ويطبقوه واقعاً عملياً ويردوا الناس على آداب الخلاف وتأليف القلوب .
- 5 التركيز على طلبة التعليم العام وتوعيتهم بضرورة اتخاذ الحوار سبيلاً لا محيد عنه ولا بديل في التعامل مع الخلافات، وتوعيتهم بأداب الخلاف وتولى وزارات التربية والتعليم هذا الجانب.
هذا والله أعلم وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

المصادر والمراجع

- الاعتصام، لإبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي / الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
- الانتصار لأصحاب الحديث ، لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني، الناشر: مكتبة أضواء المنار، 1417، تحقيق: محمد بن حسين الجيزاني.
 - تفسير الطبرى (جامع البيان في تأویل القرآن)، لأبي جعفر محمد بن جریر الطبرى، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1420-2000، تحقيق: أحمد محمد شاكر.
 - جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر: يوسف بن عبد الله النميري ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، 1398.
 - الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الناشر: دار الشعب، القاهرة.
 - رفع الملام عن الأئمة الأعلام ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، 1413.
 - سنن الإمام أبي داود ، للإمام سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، الناشر : دار الفكر ، / تحقيق : محمد محبي الدين عبد الحميد.
 - سنن الإمام الدارمي، للإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، الناشر : دار الكتاب العرين بيروت، 1407 ، تحقيق: فواز أحمد زمرلي ، وخالد السبع العلمي.
 - سير اعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413 ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، ومحمد نعيم العرقسوسي.

9-8 أبريل 2019 -نوفي بزار. جمهورية صربيا

- صحيح الإمام البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، الناشر : دار ابن كثير ، بيروت ، 1987-1407 ، تحقيق د. مصطفى ديب البغا.
- صحيح الإمام مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، الناشر : دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبر الباقي.
- لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن منظور ، الناشر: دار صادر، بيروت .
- مجلة المجمع الفقهي الإسلامي – السنة الثانية- العدد الثاني.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1416 .
- المحكم والمحيط الأعظم ، لابن سيده علي بن إسماعيل المرسي ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، تحقيق: عبد الحميد هنداوي.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد الفيومي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت.
- مقدمة ابن خلدون ، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، الناشر دار القلم ، 1984.
- الموافقات ، لإبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، تحقيق: عبد الله دراز.
- موقع فضيلة الشيخ د. عبد الله بن محفوظ بيه
<http://www.binbayyah.net/portal/research/138>

القيم في المنهاج المدرسي وآليات التطبيق والفعالية الاجتماعية

قراءة استقرائية تحليلية لأنموذج منهاج التربية الإيمانية لمؤسسة الشيخ عمي سعيد

ذ.تامتلت إبراهيم

جامعة غرداء / الجزائر

ملخص البحث:

ينحصر المنهاج التقليدي في تقديم ألوان من المعرفة إلى الطلبة، ثم التأكد عن طريق الاختبارات بمدى اكتساب المتعلمين لها، في حين أن المنهاج الحديث يسعى إلى توفير بيئة إيجابية للمتعلم، يتوافر فيها جميع الخبرات التي يمكن أن يستفيد بها في جميع المجالات، بما يحقق النمو الشامل علمياً، اجتماعياً ثقافياً، رياضياً، فنياً... .

بالرغم من الفلسفة الشاملة الحديثة للمنهاج؛ غير أن تأملات عابرة لنواتج التعلم في البعد الوجداني وبالخصوص في الجانب القيمي نلحظ نتائج ضئيلة إذا ما قورنت بالجوانب المعرفية والمهارية، بل إن الواقع يُظهر في سلوك بعض المتعلمين تشربهم لقيم مناقضة وغير متفقة كلية مع وظيفة المدرسة وغاية التعليم، وبخاصة ما يتعلق منها بالتنشئة على القيم العلمية –التفوق، الامتياز- أو القيم الاجتماعية –التعاون، الإيثار- أو القيم الأخرى- العدل، الوسطية، الاعتدال، تقبل الرأي الآخر، تحمل المسؤولية، التسامح وغيرها-، مما يتطلب إعادة النظر في المنهاج.

في المداخلة سيتم التعرض لمنهاج التربية الإيمانية لمؤسسة الشيخ عمي سعيد بغرداية من خلال فلسنته وغاياته وأهدافه ومقارنته واستراتيجيته التطبيقية... . ويتضمن المنهاج مجموعة قيم سيتم التركيز عليها في تصنيفي المحتوى والشدة، كما أن المنهاج يعد مكملاً لمنهاج وزارة التربية الوطنية التي تتسم بالاتجاه المادي في حين أن المنهاج يركز على الجانب الوجداني والروحي.

مقدمة:

يعتبر الحوار إحدى المرتكزات التربوية التي وظفها الله تعالى في كثير من المواقف حيث "يهدّب المشاعر ويوقف الوجدان ويربي العواطف الربانية ويجيب عن أسئلة السائلين..."، ويدع مظهراً من مظاهر تجلّي العناية الإلهية بالإنسان؛ ليتعثّر بإنسانيته ويستمر في مناجاة ربِّه وتفهم آياته وتشريعه، ويستلهم الثقة بربِّه، ويحيي في نفس الفرد الأمل المشرق والحب المزدهر والإيمان والصبر على جميع مشقات الحياة وظروفها..." (عبد الرحمن

النحلاوي، 2007 ص14)، ومن أمثلة الحوار في كتاب الله ما وقع بين لقمان العلّي عليه السلام وابنه وهو يعظه بمجموعة من النصائح التي بها يسعد في دنياه وآخرته، لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لِقَمَانَ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعْظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرِكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ... وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَأَتَبْعِ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنْتُمْ تَعْمَلُونَ... إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (سورة لقمان، الآية 16-19).

ومن حيث السيرة النبوية استخدم الرسول ﷺ أسلوب الحوار في اللقاءات التربوية التي يعقدها مع أصحابه؛ واتّخذه سبيلاً لتعليمهم "أو لتوجيههم، أو اهتمامهم أو إلى تحقيق هدف معين أو القيام بسلوك فكري أو اعتقادي أو اجتماعي أو أخلاقي أو تعبدِي" (عبد الرحمن النحلاوي، 2007 ص14)، لما له من أهمية بالغة في تنمية العقول، وراحة للنفس...، ومن بين الحوارات التي وظفّها أنه ﷺ كان جالساً فقال لعلي بن أبي طالب-كرم الله وجهه-: (ألا أذلك على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة؟ أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وأن تعفو عن من ظلمك). (أحمد عبده عوض، د.س، ص46).

يخاطب الرسول ﷺ عقل الصحابي في أسلوب تعليمي وتسويقي قصد التوجيه والتّصح فقال له: ألا أذلك على أكرم الأخلاق لتفلح في الدنيا والآخرة؟.

من خلال المثال نستنتج أن النبي ﷺ يريد زرع القيم من خلال الحوار الهادئ، فالحوار له دور كبير في تعليم القيم الإسلامية التربوية لدى الفرد الناشئ، لما فيه من تزويد لاكتساب المعرف وتنمية المهارات المختلفة والاتجاهات السلوكية البناءة لدى الفرد. من هذا الاتجاه جاءت سلسلة مناهج التربية الإيمانية لتخليق جوا من العبودية الخالصة لدى المتعلم في وعاء من الاستراتيجيات الحديثة -الاكتشاف- وتحاول بذلك تغيير البيئة الأسرية من خلالها.

إلى هنا نطرح التساؤلين الآتيين: ما مفهوم المنهاج وخصائصه وأسسه؟ ما هي الاستراتيجية المعتمدة في المنهاج بالنسبة للمتعلم والمعلم والآباء؟

مفهوم المنهاج الحديث:

- "مجموعة الخبرات التربوية، التي تهيئها المدرسة للتلاميذ سواء داخلها أو خارجها، بغرض مساعدتهم على النمو الشامل المتكامل في كافة الجوانب؛ العقلية الثقافية الدينية الاجتماعية الجسمية النفسية والفنية نمواً يؤدي إلى تعديل سلوكهم ويكتفل لهم تفاعلهم بنجاح مع بيئتهم ومجتمعهم وابتکارهم حلولاً لما يواجههم من مشكلات"¹
- جميع الخبرات (النشاطات أو الممارسات) المخططة التي توفرها المدرسة لمساعدة الطلبة على تحقيق النتائج التعليمية المنشودة إلى أفضل ما تستطيعه قدراتهم. وهو كل دراسة أو نشاط أو خبرة يكتسبها أو

¹- الوكيل، المفتى (2013)، المناهج – المفهوم، العناصر، الأسس، التنظيمات، التطوير - مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، ص6.

يقوم بها المتعلم تحت إشراف المدرسة وتوجيهها سواء أداخل الصف كان أم خارجه. وهو جميع أنواع النشاطات التي يقوم الطلبة بها، أو جميع الخبرات التي يمرون فيها تحت إشراف المدرسة وبتوجيه منها سواء أداخل أبنية المدرسة كان أم خارجها. كما أن المنهاج مجموعة من الخبرات المرتبة التي تهيئها المدرسة للطلبة تحت إشرافهم بقصد مساعدتهم على النمو الشامل وعلى التعديل في سلوكهم. كم أنه مجموعة الخبرات التربوية الاجتماعية والثقافية والرياضية والفنية والعلمية... الخ التي تخططها المدرسة وتهيئها لطلبتها ليقوموا بتعلمها داخل المدرسة أو خارجها بهدف إكسابهم أنماطاً من السلوك، أو تعديل أو تغيير أنماط أخرى من السلوك نحو الاتجاه المرغوب، ومن خلال ممارستهم لجميع الأنشطة الالزمة والمصاحبة لتعلم الخبرات نساعدهم في إتمام نموهم¹

- من المفهومين للمنهاج الحديث نخلص إلى الآتي:
- ❖ يتضمن المنهاج خبرات تربوية أو خبرات مرتبة وهي خبرات مفيدة تعمم تحت إشراف المدرسة لإكساب التلاميذ مجموعة من المعلومات والمهارات والاتجاهات المرغوبة.
- ❖ تتتنوع الخبرات بتنوع الجوانب التي ترغب المدرسة في إحداث النمو فيها، ولا تركز على جانب واحد فقط من جوانب النمو كما هو الحال في المنهاج التقليدي.
- ❖ يحدث التعلم بمرور المتعلم بالخبرات المختلفة ومعايشته ومشاركته في مواقف تعليمية متنوعة.
- ❖ لا تقتصر بيئة التعلم على حجرة الدراسة أو ما يدور داخل جدران المدرسة، إذن فتتعدى ذلك إلى البيئة الخارجية؛ معامل ملاعب فناء مصنع حقل معسكرات وغيرها، وبالتالي تعرض المتعلم لخبرات مباشرة وغير مباشرة.
- ❖ يسعى المنهاج من خلال هذه الخبرات إلى النمو الشامل المتكامل للمتعلم والذي يؤدي إلى تعديل سلوكه، وحصيلته نجا المتعلم في البيئة والمجتمع.
- ❖ توظيف المتعلم لعقله في معالجة ومواجهة التحديات والمشكلات التي توجد في بيئته ومجتمعه ومحاولة التكيف والتوفيق معها.
- ❖ العمل على تكوين تفكير خصيب لدى المتعلم وذلك بابتكار حلول متعددة للمشكل و اختيار الأنسب منها وفق الظروف المحيطة.

أسس بناء المنهاج الأساسي:

1. **الأساس الفلسفـي:** تعرف فلسفة التربية بأنها تطبيق النظريات والأفكار الفلسفـية المتصلة بالحياة في ميدان التربية وتنظيمها في منهاج خاص، من أجل تحقيق الأهداف التربوية المرغوب فيها، وكلما اتفقت فلسفة المدرسة مع الفلسفة التي يؤمن بها المجتمع كلما أدى إلى بناء وتكامل وحدة المجتمع وتحقيق أهدافه.

¹- كمال عبد الله، عبد الله قلي مدخل إلى علوم التربية، مطبوعة جامعية، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، ص 39.

تعد كذلك النشاط الفكري المنظم الذي يتخذ الفلسفة وسيلة لتنظيم العملية التربوية وتنسيقها وانسجامها وتوضيح القيم والأهداف التي تنشد تحقيقها.

يلعب الأساس الفلسفى دوراً كبيراً في تحضير المناهج المدرسي وتحديد أهدافه و اختيار محتواه وأنشطته وأساليب تقويمه، وهناك علاقة وطيدة بين الفلسفة والتربية؛ لأن الفلسفة تمثل البعد النظري للإنسان في الحياة، والتربية تمثل الجانب التطبيقي للمفاهيم النظرية الخاصة بالإنسان داخل النظام الاجتماعي، ولربط هذه الفلسفات لابد من توضيح نظرتها إلى المناهج والمعلم والطالب وطرق التدريس والوسائل التعليمية. ومن أبرز هذه الفلسفات "الأزلية، المثالية، الواقعية، البراجماتية، التجددية، الماركسية..."

2. الأساس الاجتماعي: مجموعة المقومات أو الركائز ذات العلاقة بالمجتمع الذي يعيش فيه المتعلم، والتي يجب مراعاتها عند بناء المناهج، وهو أقوى أساس المناهج، وتعنى بحاجة المجتمع، من كفايات أكademie، وقوى عاملة مدرية، وتعزيز قيمة العمل النافع، والتوازن بين النظرية والتطبيق واحترام العمل... يقصد بالمجتمع في معناه الإجمالي إطار عام يحدد العلاقات التي تنشأ بين جمع من الأفراد يستقرون في بيئه معينة تنشأ بينهم مجموعة من الأهداف والرغبات والمنافع المشتركة المتبادلة، وتحكمهم مجموعة من القواعد والأساليب المنظم لسلوكهم وتفاعلاتهم.

ويعتبر التفاعل الاجتماعي أساس كل نظام اجتماعي وهو عملية التأثير المتبادل بين أفراد المجتمع أو جماعاته أو مؤسساته في مواقف مباشرة أو غير مباشرة عن طريق تداخل الأدوار فيما تؤديه من وظائف تخدم الفرد والمجتمع. ومن أبرز صور التفاعل "التعاون، التنافس، الصراع، الاحتواء، التغيير، الثقافة..."

3. الأساس النفسي: مجموعة القواعد أو الركائز ذات العلاقة بطبيعة المتعلم وخصائص نموه و حاجاته، واهتماماته، وقدراته، وميوله، و حول طبيعة عملية التعلم التي يجب مراعاتها عند وضع المناهج وتنفيذها. ولابد عند التعرض للأسس النفسية من دراسة بعض الموضوعات ذات العلاقة، منها: مبادئ النمو؛ ويعرف النمو على أنه مجموعة من التغيرات المتتابعة والتدرجية التي تسير حسب نظام متكملاً، والتي تظهر في كل جوانب الكائن الحي "التكتوني والوظيفي".

4. الأساس المعرفي: مجموعة المعاني والمعتقدات والأحكام والمفاهيم والتصورات الفكرية، التي تتكون لدى الفرد نتيجة لمحاولاته المتكررة لفهم الظواهر والأشياء والمواضيعات المحيطة به. وتنافوت في طبيعتها "المعرفة الناتجة عن خبرة مباشرة، المعرفة الناتجة عن خبرة غير مباشرة" "المعرفة الذاتية، المعرفة الموضوعية".¹

5. الأساس القيمي: يمكن التركيز على هذا المستوى من خلال تصنيف القيم فقد تعددت التصنيفات المقترحة لها وجاءت معبرة عن فلسفة أصحابها ونظرتهم للقيم كمفهوم ونظريه منظمة، فلاحظ تصنيفات خاصة بالفلسفه وأخرى لعلماء النفس والتربية، وكل تصنيف منها يعتمد معياراً محدداً محاولاً أن يضم

¹- عبد السلام يوسف الجعافرة (2015)، المناهج -أسسها وتنظيمها-، دار وائل، ط1، ص 156-174.

تحت هذه منظومة القيم الخاصة بالعلم الذي يعالجها، مما يجعل هذه التصنيفات وجهات نظر لكل منها إيجابياته وسلبياته، ونعرض فيما يأتي لأهم هذه التصنيفات التي تعتمد ستة معايير هي¹:

1/ معيار محتوى القيمة (Dimension of Content): اعتمد عالم النفس الألماني (سبانجر Spranger Types of Men)، حيث قسم الناس إلى ستة أنماط بناء على القيم الأساسية التي يعتقدون بها ويتمثل محتوى التصنيف في (القيم النظرية، القيم الاقتصادية، القيم الجمالية، القيم الاجتماعية، القيم السياسية، القيم الدينية)

3/ معيار شدة القيمة ودرجة الالتزام التي تفرضها (Dimension of Intensity): ترتبط شدة القيمة بأمرتين (*درجة الإلزام التي تفرضها على الفرد. *الجزء أو العقوبة التي تقررها وتوقعها على من يخالف القيمة)، وبمقدار درجة الإلزام والجزء تكون شدة القيمة أو ضعفها وتنقسم إلى قيم ملزمة وقيم تفضيلية وقيم مثالية.

خصائص المنهاج التربوي: يرى الدكتور أبو عامر أنه لا بد أن تتوفر في المنهج التربوي الناجح عدة خصائص تمثل في:

- ❖ الأصلية : الانبعاث من ثقافة الأمة الأصلية.
- ❖ المرونة: القدرة على استيعاب المفاهيم الحديثة والواقع الجديد والتجارب الإنسانية المفيدة لإضافتها لمناهج التربية.
- ❖ الواقعية: سهولة تطبيقه على أرض الواقع بعيداً عن التحليل في عالم المثاليات.
- ❖ السهولة: سهولة تقديمها للأجيال من قبل المربين والمرشدين.
- ❖ الحداثة: الاعتماد على الدراسات العلمية الحديثة والقدرة على الاستفادة من التقنيات الحديثة في إيصاله للفرد المسلم.²

أهداف المنهاج التربوي ومستوياته ومجالاته:

- ❖ الغايات: عبارات فلسفية عامة واسعة، طموحة تتسم بالتجريد والمثالية والتعقيد بعيدة المدى من حيث مدة تطبيقها، يقوم بوضعها سلطة سياسية قائمة، يشترك فيها جميع مؤسسات المجتمع.
- ❖ المرامي والمقاصد: أقل عمومية وتجريد من الغايات وأكثر وضوحاً وتحديداً منها، ترتبط بنظام مؤسسة معينة وتظهر على مستوى التسيير الإداري والعلمي جلية في أهداف البرامج والمواد التعليمية بالنسبة للمؤسسة التربوية، قابلة للتغيير وآفاق أقصر أمد.

¹ - ماجد ركي الجlad. تعلم القيم وتعليمها: تصور نظري وتطبيقي لطائق واستراتيجيات تدريس القيم. مرجع سابق. ص 46-51.

2- موقع بصائر، المنهاج التربوية .. حديث في الأهمية والخصائص وضرورة التطوير، <https://basaer-online.com/2016/02>

- ❖ الأهداف العامة: أقل تحديداً وتدقيقاً من الأهداف الخاصة، تتحقق عند نهاية محور أو مقرر أو سلسلة...، يعلن عنها عند بداية وضع البرامج والمقررات الدراسية، تصف مجالات سلوك شخصية "المتعلم" المعرفية، وجدانية، نفسحركية"
- ❖ الأهداف الخاصة: ترجمة الأهداف العامة إلى أهداف للدروس، قابلة للملاحظة والقياس تتحقق عند نهاية حصة دراسية معينة.
- مجالات الأهداف التربوية:**

المجال الأول: المجال المعرفي: صنف بلوم 1956م الأهداف المعرفية إلى ست عمليات ذهنية متسلسلة هرمية متفاوتة في سهولتها وصعوبتها وهي:

- مستوى التذكر
- مستوى الفهم
- مستوى التطبيق
- مستوى التحليل
- مستوى التركيب
- مستوى التقويم

المجال الثاني: المجال الوجداني: طور كراشول 1964م ورفاقه نموذجاً لهذا المجال مكون من خمسة مستويات رئيسية هي:

- ❖ المستوى الأول: الاستقبال: يشير إلى الأوضاع التعليمية التي يتتبه فيها المتعلم إلى المثيرات أو الظواهر المحيطة به والتي تنطوي عليها تلك الأوضاع، ويتمثل في الرغبة للانتباه إلى ظاهرة أو مثيرات معينة، ويتألف من ثلاثة أجزاء:
- مرحلة الوعي: تشير إلى أنماط وعي المتعلم بالظواهر أو المثيرات التي تستدرج انتباهه وتستثير سلوكه الشعوري، ملاحظة اللون أو اللباس...
- مرحلة الرغبة في الاستقبال: تشير إلى مدى رغبة المتعلم في توجيه الانتباه إلى مثيرات معينة، وتترواح هذه الرغبة بين التسامح والانتباه النشط والفعال، الانتباه الشديد إلى تعليمات المعلم، الاستماع باحترام الآخرين.
- مرحلة ضبط الانتباه: الحالة التي يتحكم فيها المتعلم في عملية توجيه الانتباه نحو بعض المثيرات المفضلة لديه على الرغم من وجود مثيرات أخرى منافسه.
- ❖ المستوى الثاني: الاستجابة: يتعدى هذا المستوى الانتباه إلى الظاهرة لينتقل إلى الرغبة في التفاعل مع حدث من خلال بعض أعمال المشاركة، ليندمج فيها وصولاً إلى الشعور بالارتياح والرضا أثناء الانهماك بعض النشاطات التعليمية.

❖ المستوى الثالث: التقييم: يتناول سلوك المتعلم الذي يعزى فيه قيمة معينة للمثيرات أو الظواهر أو المادة التعليمية، وتشير عادة إلى الاعتقادات أو الاتجاهات التي يتبعها المتعلم وتبين نوعاً من الثبات في مواقف المتعلم إزاء بعض الموضوعات، تنجم هذه المواقف عند المتعلم نتيجة التزامه بهذه القيمة وليس الإذعان. وينقسم هذا المستوى إلى:

- مرحلة تقبل القيمة: إظهار الاعتقاد ببعض الأشياء كالاعتقاد بأهمية مادة الرياضيات أو التربية الاجتماعية في الحياة العملية.

- مرحلة تفضيل القيمة: يسعى المتعلم فيها إلى درجات أعلى من اليقين والاعتقاد بالقيمة والموضوعات المرتبطة بها، ويتجلّى ذلك في النشاط الزائد الذي يظهره نحوها، كالرغبة في المزيد من المساعدة والرغبة في توضيح بعض الأهداف الاجتماعية.

- مرحلة الالتزام بالقيمة: يتجسد في الولاء لفلسفة أو مبدأ أو جماعة أو فكرة أو احتجاجه على الانحراف.

❖ المستوى الرابع: تنظيم القيم "إعطاء قيمة": ينصب الاهتمام في هذا المستوى على تجميع عدد من القيم وحل التناقضات بينها، والبدء ببناء نظام قيمي داخلي ثابت، لذلك يكون التركيز هنا على المقارنة والتراكيب، أي المقارنة بين القيم والوصول إلى تركيب جديد وهذا التركيب يتعرض للتغيير والتعديل بإضافة قيم جديدة. ينقسم هذا المستوى إلى:

- مرحلة تكوين مفهوم القيمة: يقوم المتعلم بعملية التصور العقلي للقيم التي يجب عليه اكتسابها، (صياغتها على نحو لفظي، أو إدراك العلاقة التي تربطها بالقيم السابقة) كمقارنة العقائد بالسلوك أو التمييز بين النظرية والتطبيق.

- مرحلة تنظيم المنظومة القيمية: تشير إلى أنماط السلوك التي يظهرها المتعلم عندما تكون منظومته القيمية متوازنة على نحو جيد، أي عندما تتسم العلاقات المنظمة للقيم ذات اتساق داخلي وتألف منطقي، مما يشير إلى نوع من التوازن الديناميكي، تتفاعل فيه القيم بحيث يتولد عنه قيم جديدة، أو تركيبات قيمة ذات مستوى تجريدي أعلى.

❖ المستوى الخامس: مستوى الوسم بقيمة (التميز بقيمة): يصبح الفرد في هذا المستوى له شخصية متميزة، حيث تنظم القيم التي لها مكان في الترتيب الهرمي لقيم الفرد في نظام متسق داخلياً، ويقوم الفرد بأفعال تبعاً للقيم التي يتقبلها، وبذلك يوسم المتعلم بقيمة تدل على طراز حياته أو أسلوب سلوكه كأن يوصف بالتعاون أو الصدق أو الاندفاع... نتيجة التوافق بين سلوكه وما يعتقد. ينقسم هذا المستوى إلى:

- مرحلة التهيء المعمم: يكتسب فيها المتعلم مجموعة من الاتجاهات العقلية أو الميول أو النزعات أو الاستعدادات تمكنه من تعليم عملية التحكم بسلوكه بحيث يمكن تمييزه من خلال هذه الاتجاهات.

- مرحلة الوسم: وهي قمة مرحلة التذويت، وتشير إلى مجموعة الأهداف النهائية العامة التي يكتسبها في الميدان العاطفي الانفعالي بحيث يجعل منه شخصاً فريداً بحيث تتكامل اعتقاداته واتجاهاته ونزعاته واستعداداته وقيمته في فلسفة كلية شاملة تسم حياته.

المجال الثالث: المجال النفسي: تعرف على أنها أي نشاط سلوكي ينبغي أن يكتسب فيه سلسلة من الاستجابات الحركية.

❖ المهارات ذات جانبين:

- الأول: نفسي وفيه يدرك الحركة ويفكر فيها ويستوعبها.
- الثاني: ممارستها.

❖ يتضمن تعليم المهارة الخطوات الآتية:

- المعرفة العقلية للمهارة بجميع أجزائها وخطوات أدائها: المعرفة النظرية للمهارة.
- تمثل واستعمال الخطوات الأدائية للمهارة ذهنياً: محاولة استعادة الخطوات على مستوى الذهن.
- الممارسة الفعلية للمهارة: ممارسة المهارة بشكل فعلي وعملي مع الاستعانة بالتجذير الراجعة لتعديل الأداء أثناء الممارسة وتصحيحه.

- مرحلة الاعتياد على الأداء: بعد التكرار تصبح أشبه بالعادة ولا يحتاج إلى بذل الكثير من الانتباه والتفكير.
(التآزر الحس حركي)

❖ تمّ تصنیف المجال النفسي إلى أربع فئات أساسية:

- الفئة الأولى: الحركات الجسمية الإجمالية: استخدام الجسم ككل لأداء مهارة معينة: المشي، القفز، السباحة.
- الفئة الثانية: الحركات المتناسقة الدقيقة: الحركات الدقيقة التي يجب أن يكتسبها المتعلم ليؤدي مهارات معينة كحركة العين والأصابع واليد مثل الإمساك بالقلم والكتابة وتناسق قيادة السيارة.
- الفئة الثالثة: مجموعة التواصل غير اللفظي (الإيماءات): قدرة المتعلم على التواصل مع الآخرين دون استخدام الكلام، تعبير الوجه، الحركات الإيمائية الجمالية، حركة اليدين للتعبير عن التضامن...
- الفئة الرابعة: فئة التواصل اللفظي الفعال: يستخدم المتعلم الكلام ونبرة الصوت للتواصل مع الآخرين (الأداء اللفظي المعبر عن المعنى كالنطق الواضح وتغيير الصوت – النغمة الاستفهامية، العاطفية، الخطابية–)

❖ مستويات المجال النفسي: حدد كيلر خمس مستويات للسلوك الأدائي:

❖ المستوى الأول: التقليد والمحاكاة.

❖ المستوى الثاني: الأداء الحركي للمهارة.

❖ المستوى الثالث: الأداء الذي يتطلب التناسق.

❖ المستوى الرابع: المهارات الحركية المركبة.

❖ المستوى الخامس: الأداء الطبيعي للمهارة (البساطة أو المركبة).

الاستراتيجية المعتمدة في منهج التربية الإيمانية:

1. مفهوم إستراتيجية التعلم بالاكتشاف:

- عملية تنظيم المعلومات بطريقة تمكن المتعلم أن يذهب أبعد من هذه المعلومات.
- الطريقة التي يتم فيها تأجيل الصياغة اللغوية للمفهوم أو التعليم.
- محاولة الفرد الحصول على المعرفة بنفسه، فهو يعيد صياغة المعلومات بهدف التوصل إلى معلومات جديدة.

- سلوك المتعلم للانتهاء من عمل تعليمي يقوم به بنفسه دون مساعدة من المعلم.

2. خصائص التعلم بالاكتشاف:

- توفير الظروف وتهيئة البيئة التعليمية الازمة لجعل التلاميذ يكتشفون المعلومات بأنفسهم حيث تجعل منهم محور العملية التعليمية بدلاً من المعلم.
- استهداف استخدام العمليات العقلية بدلاً من مجرد المعرفة البسيطة ومن أمثلة ذلك ما جاء في مستويات الأهداف في مصنفة "بلوم" التحليل، التركيب، التقويم.
- تنظيم وتصميم الموقف التعليمي يجعل دور التلميذ كمكتشف وذلك بوضعه أمام مشكلات تثير انتباذه وتحفظه على إعمال عقله والخطيط بنفسه لرسم خطوات الحل.
- يؤكد التعلم بالاكتشاف على التجريب، شريطة أن لا تكون التجارب مرسومة خطياً مسبقاً لدى التلاميذ.
- التأكيد على الأسئلة والإشكال لا على الإجابة، فالأسئلة هنا بمثابة الموجه والمنشط لإثارة دافعية التلاميذ، والمهم هنا ليس إيجاد الإجابات الصحيحة بقدر ما هو كيفية إيجادها والتوصل إليها.
- لا يحسم العملية التعليمية بمجرد الوصول لحل المشكلات، إنما يحاول جعلها مستمرة وذلك بطرح بدائل أخرى يمكن أن تكون منطلقاً لإشكالات أخرى أو حلولاً محتملة لنفس الإجابة المتوصل إليها.

3. خطوات إستراتيجية التعلم بالاكتشاف:

- طرح المعلم لمشكلة مثيرة لضمان استشارة دوافع المتعلمين واهتمامهم وينقودهم لإيجاد الحل.
- تحطيط المشكلة بشكل يمكن المتعلمين من التبصر بالمبادئ التي تقوم عليها المشكلة.
- الحفاظ على شد انتباه المتعلمين وإثارة دافعيتهم حتى تحقيق الهدف وهو الوصول إلى الحل (القيام بمجموعة أنشطة: طرح الأسئلة، الإغلاق وتزويدهم بالدلائل المناسبة، التأكيد من توفر المعرفة السابقة، توفير مناخ يحفز على التفكير بتلقائية..)

4. مستويات التعلم بالاكتشاف:

- تختلف المستويات من حيث توجيه المعلم ومشاركته للمتعلم في العملية التعليمية في تقديم الإرشادات والتعليمات .. ويمكن إيجاز هذه المستويات في ثلاثة:

- **الاكتشاف الموجه:** يقوم هذا المستوى على نشاط كل من المعلم والتلميذ للوصول إلى الأهداف التعليمية المراد تحقيقها، وهنا يتطلب حل المشكلات عن طريق تزويد التلاميذ بتعليمات كافية وتوفير الظروف المناسبة وتوضيح الغرض من كل خطوة ضمن خطوات الاكتشاف، مع التوجيه المستمر من قبل المعلم. ويمكن تلخيص أهم العناصر الأساسية للأكتشاف الموجه في:

- استئثار دافعية المتعلم للأكتشاف.
- العمل على ربط الخبرات السابقة بالخبرات المراد اكتشافها.
- توفير المناخ الذي يساعد على الاكتشاف.
- مساعدة المتعلم على التخمين أو الحدس بطريقة علمية.
- التأكد من صحة التخمين أو الحدس.
- مساعدة المتعلم على التخمين الصحيح.

الاكتشاف شبه الموجه: حيث يضع المعلم التلاميذ في موقف مشكل ويقدم بعض التوجيهات العامة، ويفحّزهم لاكتشاف الحل بأنفسهم، ويُشترط ألا تكون لدى التلاميذ معرفة سابقة بالنتائج المطلوب منهم الوصول إليها.

الاكتشاف الحر: يعتبر أرقى أنواع الاكتشاف، ويستحسن أن لا يتم توجيه الطلبة إليه إلا بعد التمكن من المستويين السابقين، حيث يواجه تلاميذ مشكلة محددة ثم يطلب منهم الوصول إلى الحل ويترك لهم حرية صياغة الفروض وتصميم خطوات النشاط بأنفسهم..

فالاكتشاف عموماً في مستوى التلاميذ هو عملية الوصول إلى شيء موجود من قبل غير أنه لم يكن معروفاً للمكتشف، ويتم ذلك عن طريق التصميم والإعداد المحكم للموقف التعليمي (توفير الوسائل، التوجيه المستمر..) وهذا ما يحقق التمكن من المعلومة بشكل أعمق ويعزز أخيراً ما يسمى التعلم الذاتي والتعلم المستمر.

5. طرق التعلم بالاكتشاف:

■ **طريقة الاكتشاف الاستقرائي:** تعتبر الطريقة التي يتم الوصول من خلالها من حالات خاصة إلى تعميمات باستخدام الحدس والمنطق، حيث يكشف مفهوم ما بدراسة مجموعة من الأمثلة النوعية لهذا المفهوم، ويكون هذا الأسلوب من جزئين: الأول من الدلائل والتي تؤيد الاستنتاج الذي هو الجزء الثاني، وقد تجعل الدلائل الاستنتاج موثقاً به، وهذا يتوقف على طبيعة تلك الدلائل وهناك عميقات يتضمنها أي درس اكتشاف استقرائي وهما التجريد والتجمّع.

- تتميز طريقة الاكتشاف الاستقرائي بمجموعة من المميزات منها:
 . المعلومات التي يكتسبها التلاميذ بعد الاكتشاف تظل في أذهانهم لمدة أطول من التلاميذ الذين اعتمدوا الحفظ.

. مساعدة التلاميذ إجرائياً على استخدام وانتهاج أسلوب التفكير العلمي.

- طريقة الاكتشاف الاستدلالي: ويصطلاح عليها كذلك الاكتشاف الاستباطي، ويقصد بها الانطلاق من تعميمات إلى حالات خاصة باستخدام المنطق والحدس العلمي، ومعنى بالاستباط أو الاستدلال هنا معالجة الأفكار من خلال استخدام قواعد المنطق من أجل تكوين تعميمات يمكن أن تطبق في مواقف أخرى مشابهة.

وبتعبير آخر التوصل إلى التعميم أو المبدأ المراد اكتشافه عن طريق الاستنتاج المنطقي من المعلومات التي سبق دراستها ويكون سر نجاح هذه الطريقة في قدرة المعلم على تقديم جملة من الأسئلة الموجهة (يتدرج في طرحها من الأسئلة الواضحة السهلة إلى المركبة..) والتي تقود التلاميذ إلى استنتاج المبدأ أو المفهوم المرغوب.

ويتطلب لإتباع هذه الطريقة الشروط التالية:

- تحليل المعطيات.
- تحليل المطلوب.
- إيجاد العلاقة بين المعطيات والمطلوب.

■ طريقة الاكتشاف القائم على المعنى والاكتشاف القائم على غير المعنى:

- الأول: يضع التلميذ في وضعية مشكلة تتطلب حل مشكلة ما، ويشارك التلميذ مشاركة إيجابية في عملية الاكتشاف، وهو على وعي وإدراك لما يقوم به من خطوات ولما يشير إليه المعلم من توجيهات وإرشادات.
- الثاني: يوضع التلميذ في وضعية مشكلة وتوجيه المعلم وإتباع تعليماته، لكن دون فهم للخطوات أو وعي بخطواتها، وإنما عليه فقط التنفيذ.

6. أهمية التعلم بالاكتشاف:

- يشير "برونر" إلى أن الاكتشاف هو العملية والطريقة التي يصل بها الأطفال إلى معلومة ما جديدة، بمعنى أن الاكتشاف بموجب هذا التعريف يعني أي طريقة يكتسب بها الطفل معرفة ما باستخدام مصادره العقلية أو الفيزيائية.
- فالتعلم وفق طرق الاكتشاف يحدث نتيجة معالجة التلميذ للمعلومات وإعادة تركيبها وصياغتها بنفسه بتوجيه من المعلم، ويميز التعلم بالاكتشاف عدة مزايا منها:
- تعلم كيفية تتبع الدلائل وملاحظة وتسجيل النتائج، ما يمكن المتعلم من التعامل مع مشكلات جديدة.
- منح المتعلم فرصة عدة للتوصول إلى الحل باستخدام التفكير المنطقي.
- يعود ويمكن المتعلم من التفكير الناقد وهذا باستهداف المستويات العقلية العليا لدى المتعلم كالتركيب والتحليل والتقويم،
- تعويد المتعلم على عدم الاستسلام والتبعية التقليدية في اكتساب المعرفة.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

- ينمي مهارات التفكير العليا كالتفكير الإبداعي والنقدi.
- يحفز دافعية المتعلم إلى التعلم الذاتي بما يوفره من تشويق وإثارة (تعزيز مستمر في كل خطوة).
- تساعد المتعلم على الطرق المنهجية والعلمية في الوصول للمعلومة.
- يساعد علىبقاء أثر التعلم بصورة أعمق، مع تكوين اتجاه إيجابي نحو المادة المعلمة.
- يكسب المتعلم الثقة بنفسه، وينمي لديه الاعتماد على النفس والشعور بالاستقلالية.

7. معوقات التعلم بالاكتشاف: قد تعترض طريقة التعلم بالاكتشاف جملة من المعوقات منها:

- صعوبة التخطيط المحكم والتصميم الشامل للأنشطة التعليمية.
- يتطلب التعلم بالاكتشاف توفير العديد من الوسائل التعليمية لتوضيح وتيسير الموقف التعليمي.
- طول المدة الزمنية التي يتطلبها التعلم بالاكتشاف خاصة مستوى الاكتشاف الموجه.
- طول وكتافة المقرر والتي لا تتناسب وضيق الوقت.
- عدم تكوين المعلمين على إدراك وممارسة المرونة الموجهة في أبعاد وجوانب التعلم بالاكتشاف.
- يمكن أن يواجه بعض التلاميذ (دون المستوى خاصة) صعوبة مع هذه الطريقة من التعلم.
- الكثير من إيجابيات التعلم بالاكتشاف لا تظهر في اختبارات التحصيل العادي كونها تستهدف القدرات العقلية الدنيا (كالحفظ..) لدى التلاميذ.

(33) **أنموذج منهج التربية الإيمانية للمرحلة المتوسطة:** يتكون المنهاج من كتاب المتعلم ودليل المعلم لكل مستوى –أربعة كتب للمتعلم وأربعة أدلة للمعلم- مع دليل خامس للمعلم وهو شامل للمرحلة يضم قضايا تربوية موزعة على أقسام الدليل نوردها في:

- خصائص مرحلة المراهقة وتوجيهات تربوية.
- توجيهات تربوية عامة.
- الأسس والكافئات والأهداف.
- خطوات بناء الدرس.

في هذه المداخلة سنركز على بعض العناصر:

1- كفاءات مدرس التربية الإيمانية. (الكفاءة العلمية، الكفاءة الأدائية التربوية –المهارة في الأداء التربوي، المهارة في بناء العلاقات، كفاءات تتعلق بالمادة) (دليل الأستاذ إلى كتاب التربية الإيمانية –قضايا تربوية-ص 39)

2- المقاربة المعتمدة: تمّ اعتماد المقاربة البنائية إذ هي الإطار الذي يواجه المتعلم وضعیات تعلمية جديدة بالبحث والتقصي، وذلك بتجنيد موارده المختلفة (معارف، قدرات، مهارات...) من أجل بناء موارد جديدة... حيث يجب أن تضفي على الدرس حيوية ونشاطاً وتفاعلًا بين مختلف الأطراف الفاعلة فيه.

يمكن للأستاذ أن يستعين في إنجاز هذه الأنشطة بنـ العمل في مجموعات، العمل الثنائي، العمل الفردي، العمل الجماعي. وله ان يختار من الطرق ما يناسب الموضوع أو النشاط، خاصة إذا كان متمنـكا وصاحب تجربة في تدريس المنهـاج، أما إن كان مبتدئا فعليه أن يختار العمل الجماعي في إنجاز الأنشـطة لضمان غـنـاء البرنامج.

الاجتهـاد في تحـديد الحـجم السـاعـي لـكل وضعـية أو نـشـاطـ. تـدـريـبـ المـعـلـمـ عـلـىـ الـابـتـاعـادـ مـنـ الـأـجـوـبـةـ الـمـبـاشـرـةـ نـعـمـ / لا دون شـرحـ أو تـعلـيلـ.

3- الأسس المنهجية في التأليف المدرسي:

■ الأسس التـربـويـةـ: (المـرـجـعـيـةـ المـعـتـمـدةـ الـمـنـطـلـقـاتـ الـأـسـاسـيـةـ لـلـمـنـهـاجـ،ـ الـأـهـدـافـ تـحـديـهاـ فـيـ مـصـفـوفـةـ خـاصـةـ بـهـاـ)ـ

■ أـسـسـ أـخـرـىـ:

- التركـيزـ عـلـىـ الـمـعـلـمـ باـعـتـبارـهـ مـحـورـ الـعـمـلـيـةـ الـتـعـلـيمـيـةـ الـتـعـلـيمـيـةـ.
- اـعـتـمـادـ الـمـنـهـاجـ الـبـنـائـيـ الـذـيـ يـعـتـمـدـ عـلـىـ تـحـرـيـكـ وـتـنـشـيـطـ مـوـارـدـ الـمـعـلـمـ السـابـقـةـ مـنـ أـجـلـ بـنـاءـ مـوـارـدـ جـدـيـدةـ،ـ وـكـذـاـ توـظـيـفـ مـوـارـدـهـ فـيـ وـضـعـيـاتـ الـحـيـاةـ الـمـخـلـفـةـ الـتـيـ تـعـرـضـهـ.
- اـعـتـمـادـ الـمـذـهـبـ الـنـفـعـيـ فـيـ التـرـيـةـ،ـ وـالـذـيـ يـرـىـ أـنـ قـيـمةـ الـمـعـرـفـةـ إـنـماـ تـحـدـدـ بـمـاـ تـحـقـقـهـ مـنـ فـائـدـةـ وـمـنـفـعـةـ عـلـىـ الـفـردـ وـالـمـجـتمـعـ؛ـ وـهـوـ مـاـ يـبـرـزـ بـشـكـلـ وـاضـحـ فـيـ اـسـتـثـمـارـ الـمـعـرـفـةـ،ـ وـإـدـمـاجـ مـكـونـاتـهـ فـيـ الـحـيـاةـ الـعـامـةـ.
- مـرـاعـةـ الـفـروـقـ الـفـرـديـةـ بـيـنـ الـمـعـلـمـيـنـ خـاصـةـ مـاـ تـعـلـقـ بـمـوـضـعـ الـأـنـشـطـةـ وـمـسـتـوـيـاتـهـ وـصـيـغـهـاـ.

4- التـقوـيمـ: تـعدـ الـأـنـشـطـةـ التـقوـيمـيـةـ اـمـتـادـاـ لـلـدـرـسـ وـتـنـمـةـ لـبـنـائـهـ،ـ إـذـ قـدـ يـكـنـشـفـ الـأـسـتـاذـ مـنـ خـالـلـهـ قـصـورـاـ فـيـ فـهـمـ فـكـرـةـ أـوـ خـطـأـ فـيـ الـفـهـمـ وـقـدـ يـسـدـ بـهـاـ ثـغـرـةـ فـيـ الـدـرـسـ.

- الـاجـهـادـ فـيـ أـنـ تـكـوـنـ الـأـنـشـطـةـ التـقوـيمـيـةـ أـقـرـبـ إـلـىـ اـسـتـثـمـارـ الـدـرـسـ مـنـ اـسـتـظـهـارـهـ.
- مـجـالـ الـإـثـرـاءـ: يـلـمـسـ الـأـسـتـاذـ التـوـسـعـ بـغـرـضـ الـتـبـيـيـطـ وـالـتـوـضـيـعـ أـوـ الـإـثـرـاءـ الـمـعـرـفـيـ وـالـتـوـجـيـهـ السـلـوكـيـ وـالـبـنـاءـ الـوـجـدـانـيـ مـنـ خـالـلـ:

- مـسـاحـاتـ مـخـفـفـةـ وـمـشـوـقـةـ عـلـىـ شـكـلـ جـداـولـ اوـ رـسـومـاتـ بـيـانـيـةـ،ـ إـضـافـةـ إـلـىـ أـنـهـ تـسـاعـدـ تـلـامـيـذـ النـمـطـ الـبـصـرـيـ عـلـىـ الـفـهـمـ وـالـاستـيعـابـ.

- صـورـ مـعـبـرـةـ.

- مـقـالـاتـ لـلـمـطـالـعـةـ.

- قـامـوسـ الـمـصـطـلـحـاتـ.

- الـمـحـيـطـ: الـأـخـذـ بـعـينـ الـاعـتـارـ الـإـمـكـانـاتـ الـفـعـلـيـةـ لـلـمـؤـسـسـاتـ التـرـبـويـةـ الـمـعـتـمـدةـ،ـ مـاـ دـفـعـنـاـ إـلـىـ التـقـصـيرـ مـنـ الـمـنـهـاجـ،ـ وـالـتـخـفـيفـ مـنـ الـأـنـشـطـةـ الـبـنـائـيـةـ.

- الـاجـهـادـ فـيـ مـرـاعـةـ الـبـيـئةـ الـاجـتـمـاعـيـةـ فـيـ اـخـتـيـارـ النـمـاذـجـ وـالـأـمـثلـةـ الـتـيـ تـلـبـيـ حاجـاتـ الـمـجـتمـعـ وـتـخـدـمـ أـهـدـافـهـ.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار، جمهورية صربيا

- الاقتراب من واقع التلميذ تبسيطًا للمعنى ومعالجة لبعض الأخطاء التصورية والسلوكية.
- أنشطة التقويم: التقويم نشاط يرافق العملية التعليمية-التعلمية في مختلف مراحلها — تقويم تشخيصي، تقويم تكيني، تقويم تجمعي -تحصيلي-
- تقتصر الكتب المدرسية للمرحلة المتوسطة على القسم الثالث من التقويم (التقويم التحصيلي) وعلى الأستاذ أن يجتهد في أنشطة تقويمية تشخيصية وتكونية حسب الموضوع والوضعية والحجم الساعي.
- الهدف من الأنشطة التقويمية: (—قياس مدى استيعاب المتعلم وتمكنه من المقرر وتحكمه في الكفاءات—قياس مدى أداء المعلم وتمكنه من تحقيق الأهداف —قياس مدى قوة المنهاج وفاعليته) والهدف من هذا التشمين والتطوير أو اقتراح البديل والحلول.
- إجابات الأنشطة التقويمية في دليل كل مستوى نموذجية ولا يمكن حرمان التلاميذ من إجابات شبيهة أو مقارنة.
- أنشطة المشروع: المشروع نشاط أو مجموعة من الأنشطة بوحدات متباعدة ضمن المقرر الدراسي، يمارسها المتعلمون بتوجيه من المعلم؛ وذلك لتطبيق أو توظيف أو استخدام ما تم اكتسابه من معارف ومهارات سواء كانت معرفية، أو أدائية أو وجدانية أو اجتماعية. وتكون متصلة بحياة الطلبة ومنبثقة من حاجاتهم ورغباتهم. (انظر خطوات إعداد المشروع الأول ص 93 في دليل معلم السنة الرابعة متوسط، أستثمر تعليماتي في مشروع ص 29 في كتاب الطالب التربية الإيمانية سنة رابعة متوسط) —بعد المحور الأول حقائق ومفاهيم —الكون، الإنسان، الحياة والمصير—

5- خطوات بناء الدرس:

- وضعية الانطلاق: (أهداف الدرس، إشكال أو سؤال تمهدى —أفكراً وتأمل—، نشاط تمهدى —مدخل للبحث والاكتشاف—)
- وضعية بناء التعلمات: (نشاط بناي للبحث والاكتشاف - فترة للتوزع والتعمق)
- وضعية التقويم والاستثمار: أنشطة ختامية —للاستثمار والتقييم—
- منهاج التربية الإيمانية والتواصل مع الآباء: ينطلق منهاج من فلسفة إشراك الأسرة في المفاهيم والتصورات من خلال الأنشطة التربوية المتضمنة فيه؛ بصنفيها البنائية والتقويمية، علماً أن المحتوى المعرفي الوجداني المتضمن في الكتاب يتعمق أحياناً إلى درجة تعمقه أكثر من مستوى المتعلم... وبالتالي يأخذ إشراك الآباء جانبيّن:
- اللقاءات الدورية مع الآباء: يتم تنظيم هذه اللقاءات دورياً حوالي موعدين في السنة، والغرض منها:
 - ✓ تحسين الآباء بأهمية المادة العلمية المقدمة للمتعلم.
 - ✓ الإجابة على اسئلة الأولياء وتقديم تصورات واضحة لبعض المفاهيم الإيمانية العميقـة.
 - ✓ التركيز على أهمية الجانب الوجداني "الروحي" بالنسبة للمتعلم

- الأنشطة الموجهة للأسرة: عبارة عن أنشطة يكلف بها المتعلم للعمل فيها وسط الأسرة وبإشرافهم وذلك

في جلسات خاصة مريحة، وتهدف إلى:

- ✓ إشراك الآباء في اكتساب ما يتعلمه الآباء.
- ✓ تكوين الأسرة من خلال الأبناء.
- ✓ إيجاد آلية تواصل مفتوحة بين الآباء والأبناء.
- ✓ غرس الاتجاهات والقيم الروحية الإيمانية وسط الأسرة عن طريق إيجاد جو روحي بعيد عن التعصب والصراعات التافهة.
- ✓ الرفع من مستوى تفكير الآباء وتصحيح التصور تجاه الخالق.

خاتمة: تعد الفلسفة المعتمدة في بناء المنهاج —قديم، حديث— خطوة هامة في تحديد المنهج المتبعة في بنائه —المقاربة، الاستراتيجية—، غير أن الدور الأساس في تجسيد مضمون المنهاج فعلياً في الواقع يقوم على أساس طريقة أداء الأستاذ ميدانياً فهو المترجم والناطق للمعارف والمهارات المتضمنة فيه، ومن هذا المنطلق يعد مفهوم محاكاة نماذج حديثة في المناهج —عملية التطوير— والتكوين المستمر للأستاذ في المجالات المتعددة ذات العلاقة بالموقف التعليمية محك نجاح المنهاج أو فشله، مع الأخذ بعين الاعتبار قدرات المتعلم واستعداداته من جهة وحاجاته ومتطلبات عصره من جهة أخرى. أمام هذا العمل العميق في الموقف التعليمي يبرز دور الأسرة في الإشراف بل المراقبة المستمرة في تجسيد المعارف النظرية المكتسبة في المدرسة ليكون هذا المنهاج أداة لفتح الحوار والمناقشة المفتوحة وفق الضوابط العلمية المنهجية في الوسط الأسري.

قائمة المراجع:

1. استراتيجيات التدريس والتعلم نماذج وتطبيقات/2010 / آمال جمعة عبد الفتاح محمد/ دار الكتاب الجامعي، العين الإمارات العربية المتحدة، ط 1.
2. قابلية التعلم/ 1986 / أحمد صيداوي/ معهد الإنماء العربي، بيروت لبنان/ ط 1.
3. التربية العامة / 2009/ عبد الله قلي، فضيلة حناش/ سند للتقويم المتخصص/المعهد الوطني للتقويم مستخدمي التربية وتحسين مستواهم، الجزائر / دط.
4. مناهج التربية الإيمانية—المراحل المتوسطة—، مجموعة من الأساتذة، 2012-2017.
5. عبد السلام يوسف الجعافرة (2015)، المناهج—أسسها وتنظيمها—، دار وائل، ط 1.
6. ماجد ركي الجلالد. تعلم القيم وتعليمها: تصور نظري وتطبيقي لطرائق واستراتيجيات تدريس القيم.
7. الوكيل، المفتى (2013)، المناهج—المفهوم، العناصر، الأسس، التنظيمات، التطوير— مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 1.
8. استراتيجيات التدريس / / حسن شحاته ...

مقالات ومطبوعات:

9-8 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

1. حنا عوكر /2007/ التعلم بالاكتشاف، طريقة رائدة في تنمية مهارات التفكير وتعزيزها/ المجلة التربوية – العدد 41 – تشنرين الأول.
2. كمال عبد الله، عبد الله قلي مدخل إلى علوم التربية، مطبوعة جامعية، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله.

الأحكام الفقهية المعززة لقيمة العدل في فقه الأسرة

د. حسن بن أحمد بن بكرى السميري

أستاذ بكلية العلوم والآداب بشرورة -جامعة نجران/ المملكة العربية السعودية

ملخص البحث:

يمثل العدل قيمة كبرى لدى جميع المجتمعات، ولكن يحتاج الناس لنماذج تطبيقية لتعزيز هذه القيمة، في نفوسهم، وليرتّلواها سلوكاً في تعاملاتهم، وشريعتنا الإسلامية الغراء فيها من الأحكام العملية ما يعزّز هذه القيمة، ومنها الأحكام الفقهية في فقه الأسرة، والبحث يجيب عن تساؤل مهم:

هل في هذه الأحكام ما يعزّز قيمة العدل لدى أفراد الأسرة بدايةً من الزوجين، وانتهاءً بمن يتفرع منها من نسل؟

وما هو تفصيل هذه الأحكام؟ إن وجدت.

وكيف تعزّز قيمة العدل؟

وما الجواب عما يثار من تساؤلات وإشكالات في هذه الأحكام، خصوصاً عند غير المسلمين؟.

أهداف البحث:

1- بيان كمال الشريعة الإسلامية في حفاظها على القيم وتعزيزها.

2- بيان مفهوم العدل وقيمه في الشريعة الإسلامية؟

3- تقديم نموذج تطبيقي لتعزيز قيمة العدل من خلال الأحكام الفقهية في فقه الأسرة.

منهج البحث: المنهج الاستقرائي والاستباطي.

خطة البحث:

تمهيد:

المبحث الأول: حقيقة العدل في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: قيمة العدل في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الأحكام الفقهية المعززة لقيمة العدل في فقه الأسرة، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الخطبة.

المطلب الثاني: عقد الزواج.

المطلب الثالث: العشرة بين الزوجين.

المطلب الرابع: توابع النكاح (الطلاق - الخلع - الفسخ - الإيلاء - الظهار - اللعان - العدد).

المطلب الخامس: النفقات.

9-8 أبريل 2019 - نوفي بازار، جمهورية صربيا

المطلب السادس: الحضانة.

الخاتمة: نتائج البحث والتوصيات.

تمهيد:

الحمد لله الذي خلق فسوى، خلق الزوجين الذكر والأثني، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له في الآخرة والأولى، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدالله رسوله المصطفى، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه مصابيح الدجى، أما بعد:

فإن الله تعالى حكم بين خلقه بالعدل التام فشرع لكل جنس ما يناسبه، فالله تعالى أعلم بخلقه، وأجرى هذه الأحكام في جميع شرائعه، فأحكام الله تعالى كلها عدل، ومن المعلوم أن العدل يمثل قيمة كبيرة لدى جميع المجتمعات، ولكن يحتاج الناس لنماذج تطبيقية لتعزيز هذه القيمة في نفوسهم، وللiterateها سلوكاً في تعاملاتهم، وشرعيتنا الإسلامية الغراء فيها من الأحكام العملية ما يعزز هذه القيمة، ومنها الأحكام الفقهية في فقه الأسرة، ولذلك استعنت بالله تعالى في كتابة هذا البحث للإجابة عن تساؤل مهم وهو:

هل في هذه الأحكام ما يعزز قيمة العدل لدى أفراد الأسرة بداية من الزوجين، وانتهاءً بمن يتفرع منهما من نسل؟

وما هو تفصيل هذه الأحكام؟ إن وجدت.

وكيف تعزز قيمة العدل؟

وما الجواب عما يثار من تساؤلات وإشكالات في هذه الأحكام، خصوصاً عند غير المسلمين؟.

أهداف البحث:

1- بيان كمال الشريعة الإسلامية في حفاظها على القيم وتعزيزها.

2- بيان مفهوم العدل وقيمة في الشريعة الإسلامية؟

3- تقديم نموذج تطبيقي لتعزيز قيمة العدل من خلال الأحكام الفقهية في فقه الأسرة.

منهج البحث: المنهج الاستقرائي والاستباطي.

خطة البحث:

تمهيد:

المبحث الأول: حقيقة العدل في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: قيمة العدل في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الأحكام الفقهية المعززة لقيمة العدل في فقه الأسرة، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الخطبة.

المطلب الثاني: عقد الزواج.

المطلب الثالث: العشرة بين الزوجين.

المطلب الرابع: توابع النكاح (الطلاق - الخلع - الفسخ - الإيلاء - الظهار - اللعان - العدد).

المطلب الخامس: النفقات.

المطلب السادس: الحضانة.

الخاتمة: نتائج البحث والتوصيات.

وأسأل الله تعالى الإعانة والسداد والتوفيق، وأن يتقبل هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، نافعاً لعباده.

المبحث الأول: حقيقة العدل في اللغة والاصطلاح:

أولاً: حقيقة العدل في اللغة:

قال ابن فارس: العين والدال واللام أصلان صحيحان، لكنهما متقابلان كالمتضادين: أحدهما يدل على استواء، والآخر يدل على اعوجاج.

ومثّل للأصل الأول بالعدل من الناس: المرضي المستوى الطريقة. يقال: هذا عدل، وهما عدل.

والأصل الآخر فيقال في الاعوجاج: عدل. وانعدل، أي انرج.⁽¹⁾

وقال ابن منظور: في أسماء الله سبحانه: العدل، هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم، وهو في الأصل مصدر سمي به فوضع موضع العادل، وهو أبلغ منه لأنّه جعل المسمى نفسه عدلا⁽²⁾.

والعدل: ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور. عدل الحاكم في الحكم يعدل عدلاً وهو عادل من قوم عدول وعدل، وعدل عليه في القضية، فهو عادل.

والعدل: الحكم بالحق، يقال: هو يقضي بالحق ويعدل.

والعدل من الناس: المرضي قوله وحكمه.

وتعديل الشهود: أن تقول إنهم عدول. وعدل الحكم: أقامه. وعدل الرجل: زكاه⁽³⁾.

ثانياً: حقيقة العدل في الاصطلاح:

العدل اصطلاحاً: عُرِفَ بتعريفات منها:

1- الأمر المتوسط بين طфи الإفراط والتفرط⁽⁴⁾.

2- الاعتدال والثبات على الحق⁽⁵⁾.

3- فعل كل مفروض من عقائد وشرائع وسير مع الناس في أداء الأمانات وترك الظلم والإنصاف وإعطاء الحق⁽¹⁾.

(1) مقاييس اللغة (246/4-247).

(2) لسان العرب، لابن منظور (11/430).

(3) ينظر: لسان العرب، لابن منظور (11/430) وما بعدها، الكليات للكھنوي، (ص: 640).

(4) التعريفات، للجرجاني (ص: 147)، التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي (ص: 237).

(5) الحدود الأنبياء والتعريفات الدقيقة (ص: 73).

-4 العدل: هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ما له. ⁽²⁾

5- العدل في الحكم بين الناس، وهو: فصل الحكومة على ما في كتاب الله سبحانه وتعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لا الحكم المجرد بالرأي. ⁽³⁾

المبحث الثاني: قيمة العدل في القرآن الكريم:

ورد العدل في مواضع في القرآن الكريم، وهي حسب ترتيب السور:

1- قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبِلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ (٤٨ البقرة).

2- قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبِلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْتَهَى شَفَاعَةً﴾ (١٢٣ البقرة). والمراد بالعدل في الآيتين الكريمتين الفدية؛ وإنما قيل للفدية من الشيء والبدل منه عدل، لمعادلته إياه وهو من غير جنسه؛ ومصيره له مثلاً من وجه الجزاء، لا من وجه المشابهة في الصورة والخلقة⁽⁴⁾.

3- قوله تعالى: ﴿وَلَيُكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ (٢٨٢ البقرة). وهذا في كتابة الدين، أمر الله تعالى أن يكتب كتاب الدين بين الطالب والمطلوب كاتب بالعدل، أي: بالقسط والحق، ولا يكتب إلا ما اتفقا عليه من غير زيادة ولا نقصان، ولا تقديم أجل ولا تأخير، ولا يجُر في كتابته على أحد⁽⁵⁾.

4- قوله تعالى: ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِعُ أَنْ يُمَلِّئَ هُوَ فَلِيمَلِلَ وَلِيُهُ بِالْعَدْلِ﴾ (٢٨٢ البقرة). وهذا الأمر ورد في تتمة أحكام كتابة الدين في الآية نفسها، وهي أطول آية في القرآن الكريم، بأن كان الذي عليه الحق سفيهاً، أي جاهلاً بالإملاء، أو طفلاً صغيراً، أو مبذرًاً مفسداًً لماله أو سفيهاً في دينه، أو ضعيفاًً أي شيخاً كبيراً، أو ضعيف العقل لعنته أو جنون، أو لا يستطيع أن يملأ هو لخرس أو عيًّ أو عجمة أو حبس أو غيبة لا يمكنه حضور الكاتب، أو جهل بما له وعلىه، فليملل وليه، أي: قيئمه بالعدل أي: بالصدق والحق، أو يملل صاحب الحق، يعني إن عجز من عليه الحق من الإملاء، فليملل ولدي الحق وصاحب الدين بالعدل لأنه أعلم بحقه⁽⁶⁾.

5- قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خُفْتُمْ أَلَا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكْتُ أَنِمَائِنُكُمْ﴾ (٣ النساء). وهذا فيمن خشي من تعداد النساء ألا يعدل بينهن⁽⁷⁾.

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (416/3).

(2) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، (412/1)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (2/465)، الكليات للحفاوي، (ص: 640)، تاج العروس من جواهر القاموس، (421/34).

(3) فتح القدير، للشوكانى (1/555).

(4) تفسير الطبرى (1/35).

(5) ينظر: تفسير البغوى (1/349) تفسير ابن كثير (1/724).

(6) تفسير البغوى (1/349-350).

(7) ينظر: تفسير ابن كثير (2/212).

6- قوله تعالى: ﴿إِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعُدْلِ﴾ (٥٨ النساء). أي: أن تحكموا بالإنصاف والسوية إذا

قضيتم بين من ينفذ عليه أمركم، أو يرضى بحكمكم. ^(١)

7- قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُم﴾ (١٢٩ النساء). وهذا في المحبة القلبية، وما يتبعها

من الاستمتعاع . لأن الحب والبغض خارجان عن الكسب فلا يتأنى العدل فيما، ومع ذلك نهي الرجل عن الميل إلى التي يحب في النفقة والقسم؛ ف يأتي الشابة التي تعجبه، ويدع الأخرى بغير قسم ولا نفقة، وأما ما يتعلق بالقسم في الليالي والأيام والنفقة فيجب العدل فيها، بل عليه أن يعدل بينهن في مرضه كما يفعل في صحته، إلا أن يعجز عن الحركة فيقيم حيث غلب عليه المرض، فإذا صح استأنف القسم، والضابط هنا: أنه في كل ما كان المرء مدفوعاً مضطراً، فإنه غير مكلف في ذلك، وفي كل ما كان باختيار منه وإشار غير عليه، فإنه مكلف في ذلك، والحب مما يدفع المرء فيه ويضطر، ولا صنع له فيه، لم يكلف التسوية فيما يكون مدفوعاً فيه مضطراً؛ لأنه لا يملك التسوية،^(٢) ويشهد لهذا المعنى ما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل، ويقول: «اللهم هذا قسمي، فيما أملك فلا تلمني، فيما تملك، ولا أملك». قال أبو داود: يعني القلب^(٣).

8- قوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَبَعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا﴾ (١٣٥ النساء). أمر الله تعالى المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط، والقوام: مبالغة من القائم، والقسط: العدل، ومعناه: كونوا قائمين بالعدل شهداء لله؛ لأنهم إذا شهدوا بالحق وقاموا بالعدل، كانوا شهداء لله، ولو على أنفسكم، فإن قيل: كيف يشهد على نفسه؟ قيل: شهادته على نفسه: هي

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٨٠/٢).

(٢) ينظر: تفسير الشافعي (٦٧٣/٢) تفسير عبد الرزاق الصناعي (٤٨٢/١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٠٨٣/٤) تفسير الماتريدي (٣٨٠-٣٧٩/٣) تفسير القرطبي (٢١٦/٤).

(٣) سنن أبي داود (٢٤٢/٢) رقم (٤٣٧/٢) سنن الترمذى (١١٤٠) رقم (٤٣٧) و قال: حديث عائشة هكذا رواه غير واحد، عن حماد بن سلمة، عن أبي يوب، عن عبد الله بن زيد، عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم، ورواه حماد بن زيد، وغير واحد، عن أيوب، عن أبي قلابة مرسلا، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم وهذا أصح من حديث حماد بن سلمة. النسائي في السنن الكبرى (١٥٠/٨) رقم (٨٨٤٠) و قال: أرسله حماد بن زيد. سنن ابن ماجه (١٤٤/٣) رقم (١٩٧١) وغيرهم، قال الطحاوي في تعليقه على الحديث: فتأملنا ما في هذا الحديث وما المعنى الذي قصد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "اللهم هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك" ، وهو غير ملوم في ذلك إذ كان ذلك مما لا فعل له فيه فكان معنى ذلك عندنا والله أعلم على الإشراق والرحمة منه عليه السلام من الله أن يكون قد علم منه في قسمته بينهن ، وإن كان لم يخرج فيها عن العدل ميلاً من قلبه إلى بعضهن بما لم يمل بمثله إلى بقietهن ، وذلك مما هو منهي عنه و ماما العباد فيه سواء كما قد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في التحذير من مثل ذلك، كما قد حدثنا أحمد بن الحسن بن القاسم الكوفي أبو الحسن، حدثنا وكيع بن الجراح، عن همام بن يحيى، عن قتادة، عن النضر بن أنس، عن بشير بن نهيك، عن أبي هريرة، قال: قال: رسول الله عليه السلام: "من كانت له زوجتان فكان يميل مع إحداهما عن الأخرى جاء يوم القيمة وأحد شقيه مائل، أو قال: ساقط ". وقد روي في تأويل قول الله تعالى: {ولن تستطعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم} [النساء: ١٢٩] . أن ذلك أريد به ما يقع في قلوبكم لبعضهن دون بعض ، وذلك معفو لهم عنه إذ لا يستطيعون دفعه عن قلوبهم غير أنه قد يجوز أن يكون زيد على ذلك ما يجتلبوه إلى قلوبهم، فكان الذي كان من رسول الله عليه السلام مما أراده من ربه على الإشراق وعلى الرحمة مما يسبق إلى قلبه مما قد يستطيع رده عنه مع قوله من غلبه عليه ، وهذا عندنا والله أعلم مثل الذي في حديث حصين الخزاعي مما قد علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه أن يدعوه به ربه تعالى أن يغفر له ما أخطأه، وما تعمد، وما أخطأه فهو غير مأمور به لما خاف عليه أن يكون تقريره مما تعمده، وقد رويانا هذا الحديث فيما تقدم منا في كتابنا هذا، والله نسألة التوفيق. شرح مشكل الآثار (٢١٥/١-٢١٧).

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

الإقرار، وأن يقولوا الحق، ولو على الوالدين والأقربين، سواء كان المشهود عليه غنياً أو فقيراً، سواء كان المشهود له غنياً أو فقيراً، ولا تمنعوا عن الشهادة للعني لغناه، ولا عن الشهادة على الفقير لفقره، وكُلُّا أمرهما إلى الله، فالله أعلم بهما. {فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا} قيل: معناه: فلا تتبعوا الهوى بأن تعدلوا، أي: لتكونوا عادلين، كما يقال: لا تعص ففترضي ربك، وقيل: معناه: لا تتبعوا الهوى لتميلوا من الحق إلى الباطل.⁽¹⁾

9- قوله تعالى: ﴿فَجَزَاءُ مِثْلٍ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ دَوَا عَدْلٌ مِنْكُم﴾ (٩٥ المائدة). وهذا في جزاء الصيد للمحرم أو في الحرم، يحكم به ذوا عدل منكم يعني بالجزاء، وإنما ذكر اثنين، لأن الصيد يختلف في نفسه، فافتقر الحكم بالمثل إلى عدلين. وقوله تعالى: منكم يعني: من أهل ملتكم⁽²⁾.

10- قوله تعالى: ﴿أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أُمْرِهِ﴾ (٩٥ المائدة). يعني عدل الطعام صياماً في كفارة جزاء الصيد للمحرم أو في الحرم ، وفيه ثلاثة أقواب: أحدها: أنه يصوم عن كل مد يوماً ، قاله عطاء ، والشافعي. والثاني: يصوم عن كل مد ثلاثة أيام ، قاله سعيد بن جبير. والثالث: يصوم عن كل صاع يومين⁽³⁾.

11- قوله تعالى: ﴿أَثَنَانِ دَوَا عَدْلٌ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ عَيْرِكُم﴾ (١٠٦ المائدة). وفي هذه الآية الكريمة يخبر الله تعالى خبراً متضمناً للأمر بإشهاد اثنين على الوصية، إذا حضر الإنسان مقدمات الموت وعلاقته، فينبغي له أن يكتب وصيته، ويشهد عليها اثنين ذوي عدل منمن تعتبر شهادتهما، {أَوْ آخَرَانِ مِنْ عَيْرِكُم} أي: من غير أهل دينكم، من اليهود أو النصارى أو غيرهم، وذلك عند الحاجة والضرورة وعدم غيرهما من المسلمين، {إِنْ أَنْتُمْ ضَرِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ} أي: سافرتم فيها {فَأَصَابَتُكُمْ مُصِيبَةُ الْمُؤْمِنِ} أي: فأشهدوهما، ولم يأمر بشهادتهما إلا لأن قولهما في تلك الحال مقبول، ويؤكد عليهما، بأن يحبسا {مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ} التي يعظمونها، {فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ} أنهما صدقوا، وما غيرا ولا بدلاً هذا {إِنْ ارْتَبَثْتُمْ} في شهادتهم، فإن صدقتموهما، فلا حاجة إلى القسم بذلك⁽⁴⁾.

12- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِيَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ (٨ المائدة). قال الطبرى في تفسيرها: يعني بذلك جل ثناؤه: يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله محمد، ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القياًم لله شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائهم، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم فتجروا ما حددت لكم في أعدائهم لعدواتهم لكم، ولا تقصرروا فيما حددت لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم لولايتم لكم، ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدي، واعملوا فيه بأمرى. وأما قوله: "ولا يحرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا" فإنه يقول: ولا يحملنكم عداوة قوم على ألا تعدلوا في حكمكم فيهم وسيتركم بينهم، فتجروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من العداوة⁽⁵⁾.

(1) ينظر: تفسير القرآن للسعانى (488/1-489).

(2) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (1/586).

(3) ينظر: تفسير الماوردي = النكت والعيون (2/68).

(4) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص: (246-247).

(5) ينظر: جامع البيان في تأویل القرآن (10/95).

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

13-

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (١٦ الأنعام). وهذه الآية في استفتاح سورة الأنعام، يقول ابن جرير معناها: يقول تعالى ذكره، معجبًا خلقه المؤمنين من كفرة عباده، ومحتجًا على الكافرين: إنَّ إِلَهَ الَّذِي يَجْبُ عَلَيْكُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ، حَمْدُهُ، هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، الَّذِي جَعَلَ مِنْهُمَا مَعَايِشَكُمْ وَأَقْوَاتَكُمْ، وَأَعْوَامَكُمُ الَّتِي بِهَا حَيَاكُمْ. فَمِنَ السَّمَاوَاتِ يَنْزَلُ عَلَيْكُمُ الْغَيْثُ، وَفِيهَا تَجْرِي الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِاعْتِقَابٍ وَاحْتِلَافٍ لِمَصَالِحِ الْحُكْمِ. وَمِنَ الْأَرْضِ يَنْبَثُ الْحَبُّ الَّذِي بِهِ غَذَاكُمْ، وَالشَّمَارُ الَّذِي فِيهَا مَلَادُكُمْ، مَعَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْرِ الَّتِي فِيهَا مَصَالِحِ الْحُكْمِ وَمَنَافِعِكُمْ بِهَا، وَالَّذِينَ يَجْحَدُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِمَا أَنْعَمَ بِهِمْ عَلَيْهِمْ مِنْ خَلْقٍ ذَلِكَ لَهُمْ وَلَكُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ "بَرِّبِّهِمْ" ، الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ وَأَحَدُهُ "يَعْدِلُونَ" ، يَجْعَلُونَ لَهُ شَرِيكًا فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَاهُ، فَيَعْبُدُونَ مَعَهُ الْإِلَهَةَ وَالْأَنْدَادَ وَالْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ، وَلَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ شَرِيكٌ فِي خَلْقِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا فِي إِنْعَامِهِمْ عَلَيْهِمْ بِمَا أَنْعَمَ بِهِمْ عَلَيْهِمْ، بَلْ هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِذَلِكَ كُلَّهُ، وَهُمْ يَشْرِكُونَ فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَاهُ غَيْرَهُ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَبْلَغُهُمَا مِنْ حِجَةَ، وَأَوْجَزُهُمَا مِنْ عَظَةَ، لَمْنَ فَكَرْ فِيهَا بِعُقْلٍ، وَتَدَبَّرْهَا بِفَهْمٍ^(١).

14- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾ (٧٠ الأنعام). وهذا ورد في سيلق قوله تعالى: {وَذَرْ} الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهاوا} يعني: الكفار الذين إذا سمعوا آيات الله استهزءوا بها وتلاعبوا عند ذكرها، {وَغَرْتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرْ بِهِ} أي: وعظ بالقرآن، أي: ذكرهم ليؤمنوا، كيلا تهلك نفس بما كسبت، {لَيْسَ لَهَا} أي لتلك النفس، {مِنْ دُنُونَ اللَّهِ وَلِيَ} قريب، {وَلَا شَفِيعٌ} يشفع في الآخرة، {وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ} أي: تقد كل فداء، {لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا} {أُولَئِكَ الَّذِينَ أَبْسَلُوا} أسلموا للهلاك، {بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ}^(٢).

15- قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلٌ لِكَلِمَاتِهِ﴾ (١١٥ الأنعام). أي: صدقًا في الأخبار وعدلاً في الطلب، فكل ما أخبر به فحق لا مرية فيه ولا شك، وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه، وكل ما نهى عنه باطل، فإنه لا ينهي إلا عن مفسدة^(٣).

16- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (١٥٠ الأنعام). وفي هذه الآية الكريمة خطاب ربنا تبارك وتعالى وجل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم، والمراد به أصحابه والمؤمنون به، فقال: (ولا تتبع أهواه الذين كذبوا بآياتنا) ، يقول: ولا تتبعهم على ما هم عليه من التكذيب بوحى الله وتنزيله، في تحريم ما حرم، وتحليل ما أحل لهم، ولكن اتبع ما أوحى إليك من كتاب ربك الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، (والذين لا يؤمنون بالآخرة) ، يقول: ولا تتبع أهواه الذين لا يؤمنون بالآخرة، فتكذب بما هم به مكذبون من إحياء الله خلقه بعد مماتهم، ونشره إياهم بعد فنائهم، (وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) ، يقول: وهو مع تكذيبهم بالبعث بعد

(1) ينظر: جامع البيان في تأویل القرآن (11/251-252).

(2) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (3/155-156).

(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (3/322).

المماث، وجحودهم قيام الساعة، بالله يعدلون الأوثان والأصنام، فيجعلونها له عدلاً ويختذلونها له ندًا يبعدونها من دونه⁽¹⁾.

17- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ (١٥٢ الأنعام). أي: {وإذا قلت} قوله في حكمة أو شهادة أو نحوهما {فاعدلوا} فيه {ولو كان} أي المقول له أو عليه {ذا قربى} أي ذا قرابة منكم ولا تميلوا نحوهم أصلًا⁽²⁾.

18- قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أُمَّةٌ يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (١٥٩ الأعراف). أي: {ومن قوم موسى} يعني: بنى إسرائيل، {أمة} أي: جماعة، {يهدون بالحق} أي: يرشدون ويدعون إلى الحق. وقيل: معناه يهتدون ويستقيمون عليه، {وبه يعدلون} أي: بالحق يحكمون وبالعدل يقومون⁽³⁾.

19- قوله تعالى: ﴿وَمِنْنَ حَلَقْنَا أُمَّةً يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (١٨١ الأعراف). أي: {ومن خلقنا أمة} أي: عصابة، {يهدون بالحق وبه يعدلون} قال عطاء عن ابن عباس: يريد أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وهم المهاجرون والتابعون لهم بإحسان. وقال قتادة: بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ هذه الآية قال: "هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها، "ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون"⁽⁴⁾.

20- قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٧٦ النحل). وهذا من أمثال القرآن الكريم، {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ} ولد آخرس لا يفهُم ولا يفهُم. لا يقدِّرُ على شيءٍ من الصنائع والتداير لنقصان عقله. وَهُوَ كُلُّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ عِيالٌ وَثَقَلَ عَلَىٰ مَنْ يَلِي أَمْرَهُ، أَيْنَمَا يُوَجِّهُ حِيثُمَا يَرْسِلُهُ مَوْلَاهُ في أمر، لا يأتِ بِحَيْرَةٍ بِنَجْحٍ وَكَفَايَةٍ مَهُمْ. {هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ} ومن هو فهم منطبق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل لمجتمع الفضائل، {وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}، وهو في نفسه على طريق مستقيم، لا يتوجه إلى مطلب إلا وبلغه بأقرب سعي، وإنما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لأنهما كمال ما يقابلهما، وهذا تمثيل ضربه الله تعالى لنفسه وللأصنام لإبطال المشاركة بينه وبينها أو للمؤمن والكافر⁽⁵⁾.

21- قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ (٩٠ النحل). قال الطبرى في تفسيرها: إن الله يأمر في هذا الكتاب الذي أنزله إليك يا محمد بالعدل، وهو الإنفاق، ومن الإنفاق: الإقرار بمن أنعم علينا بنعمته، والشكر له على إفضاله، وتولي الحمد أهله، وإذا كان ذلك هو العدل، ولم يكن للأوثان والأصنام عندنا يد تستحق الحمد عليها، كان جهلاً بنا حمدنا وعبادتها، وهي لا تنعم فتشكر، ولا تنفع فتعبد، فلزمتنا أن

(1) ينظر: جامع البيان في تأویل القرآن (١٢/٢١٤).

(2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٣/١٩٩).

(3) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (٣/٢٩٠).

(4) ينظر: المرجع السابق (٣/٣٠٨).

(5) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأویل (٣/٢٣٥).

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولذلك قال من قال: العدل في هذا الموضع شهادة أن لا إله إلا الله.

(1)

22- قوله تعالى: ﴿إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ (٦٠ النمل). وهذا وصف للمشركين أنهم قوم ضلال، يعدلون عن الحق، ويجررون عليه، على عمد منهم لذلك، مع علمهم بأنهم على خطأ وضلال، ولم يعدلوا عن جهل منهم، بأن من لا يقدر على نفع ولا ضر، خير من خلق السموات والأرض، وفعل هذه الأفعال، ولكنهم عدلوا على علم منهم ومعرفة، افتقاء منهم سُنّة من مضى قبلهم من آبائهم. (2)

23- قوله تعالى: ﴿وَأَمْرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُم﴾ (١٥ الشورى). قيل: اللام في لِأَعْدِلَ بمعنى: أن، التقدير: بأن أعدل بينكم. وقيل المعنى: وأمرت بما أمرت به من التبليغ والشرع لكي أعدل بينكم، فحذف من الكلام ما يدل الظاهر عليه. (3)

24- قوله تعالى: ﴿فَإِنْ فَاءَتْ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَقُصْطُوا﴾ (٩ الحجرات). وهذا في الاقتتال بين المؤمنين الذي لا ينبغي أن يكون، أمر الله تعالى بالإصلاح بين الطائفتين المقتلتين بالعدل، أي: أعدلوا بينهم فيما كان أصاب بعضهم بعض، بالقسط، وهو العدل. (4)

25- قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذُوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ (٢ الطلاق). {وأشهدوا} على الطلاق والرجعة {ذوي عدل منكم} أي: رجلين مسلمين عديلين، لأن في الإشهاد سداً لباب المخاصمة، وكتمان كل منهما ما يلزمها بيانه. (5)

26- قوله تعالى: ﴿الَّذِي حَلَقَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ (٧ الإنطمار). قال مقاتل: يريد عدل خلقك في العينين والأذنين واليدين والرجلين فلم يجعل إحدى اليدين أطول ولا إحدى العينين أوسع، وتقريره ما عرف في علم التشريح أنه سبحانه ركب جنبي هذه الجهة على التساوي حتى إنه لا تفاوت بين نصفيه لا في العظام ولا في أشكالها ولا في ثقبها ولا في الأوردة والشرايين والأعصاب النافذة فيها والخارجة منها. وقال عطاء عن ابن عباس: جعلك قائماً معتدلاً حسن الصورة لا كالبهيمة المنحنية، وقال أبو علي الفارسي: عدل خلقك فأخرجك في أحسن التقويم، وبسبب ذلك الاعتدال جعلك مستعداً لقبول العقل والقدرة والفكير، وصيرك بسبب ذلك مستولياً على جميع الحيوان والنبات، وواصلًا بالكمال إلى ما لم يصل إليه شيء من أجسام هذا العالم. (6)

(1) ينظر: جامع البيان في تأویل القرآن (٢٧٩/١٧).

(2) ينظر: جامع البيان في تأویل القرآن (٤٨٤/١٩).

(3) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣٠/٥).

(4) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٧٥/٧).

(5) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص: (٨٦٩).

(6) ينظر: مفاتيح الغيب (٣١/٧٦).

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

وفي {عدلك}، قراءتان، فقراءة عامة قرء المدينة ومكة والشام والبصرة (فعدلك) بتشديد الدال، وقرأ عامة قراء الكوفة بتخفيفها، قال ابن حجر: من قرأ ذلك بالتشديد وجّه معنى الكلام إلى أنه جعلك معتدلاً معدّل الخلق مقوّماً، وكأن الذين قرعوه بالتفخيف، وجّهوا معنى الكلام إلى صرفك وأمالك إلى أيّ صورة شاء، إما إلى صورة حسنة، وإما إلى صورة قبيحة، أو إلى صورة بعض قراباته. وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إنهم قراءتان معروفتان في قراءة الأمصار صحيحتها المعنى، فبأيتها قرأ القارئ فمصيب، غير أنّ أعجبهما إلى أن أقرأ به قراءة من قرأ ذلك بالتشديد، لأن دخول "في" للتعديل أحسن في العربية من دخولها للعدل، ألا ترى أنك تقول: عدّلتك في كذا، وصرفتك إليه، ولا تكاد تقول: عدّلتك إلى كذا وصرفتك فيه، فلذلك اخترت التشديد.⁽¹⁾

وبعد هذا التطواف في معاني العدل ووروده في القرآن الكريم تتضح قيمته في القرآن الكريم والشريعة الإسلامية، فالله تعالى أمر به، وأحكامه تعالى كلها عدل، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يعدل بين الناس، وأمر تعالى بإشهاد المتصفين به، فالعدل شرط في شهادة الشهود، وركن من أركان القضاء والحكم بين الناس، وأمر الكاتب في كتابة الديون أن يكتب بالعدل، وأن يملل الولي بالعدل، ورتب على خوف عدم العدل الاقتصار على زوجة واحدة في النكاح، وأمر به في الحكم بين الناس، ونهى عن اتباع الهوى لتفويته العدل، وأمر بقول العدل ولو كان على قريب، وأن لا يحمل بعض الناس على عدم العدل معهم، بل المأمور به العدل حتى مع العدوّ المبغض، وأنثني الله تعالى على من اتصف به من خلق ومن قوم موسى من يقوم بالعدل، وجعل المتصف بالعدل الذي يأمر به هو الخيار في المثل الذي ضربه الله تعالى لنفسه وللأصنام لإبطال المشاركة بينه وبينها، أو للمؤمن والكافر، والعدل متفق على حسنها والظلم متفق على قبحه، والعدل أساس العمران وسبب الاستقرار ، وطريق الأمان والأمان، والسلامة والإسلام، وكلّ ما خرج عن العدل إلى الجور فليس من الشريعة، يقول ابن القيم: فإن الشريعة مبنها وأسسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى البعث؛ فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل؛ فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله - صلى الله عليه وسلم - أتم دلالة وأصدقها، وهي نوره الذي به أبصر المبصرون، وهداه الذي به اهتدى المهددون، وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل، فهي قرة العيون، وحياة القلوب، ولذة الأرواح؛ فهي بها الحياة والغذاء والدواء والنور والشفاء والعصمة، وكل خير في الوجود فإنما هو مستفاد منها، وحاصل بها، وكل نقص في الوجود فسيبه من إضاعتها، ولو لا رسوم قد بقيت لخربت الدنيا وطوى العالم، وهي العصمة للناس وقوم العالم، وبها يمسك الله السموات والأرض أن تزولا، فإذا أراد الله سبحانه وتعالى خراب الدنيا وطى العالم رفع إليه ما بقي من رسومها؛ فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي عمود العالم، وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة.⁽²⁾

(1) ينظر: جامع البيان في تأویل القرآن (24/269-271).

(2) إعلام المؤمنين، لابن القيم (3/11-12).

المبحث الثالث: الأحكام الفقهية المعاززة لقيمة العدل في فقه الأسرة:

المطلب الأول: الخطبة:

الزواج من آكد سنن المرسلين، قال تعالى: ﴿وَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَرْوَاجًا وَذُرَيْتَهَا﴾ (38 الرعد). والزواج تسبقه الخطبة: وهي طلب الزواج من المرأة بالوسيلة المعروفة بين الناس⁽¹⁾، فإن حصلت الموافقة فهي مجرد وعد بالزواج، لا يحل للخاطب بها شيء من المخطوبية، بل تظل أجنبية عنه حتى يعقد عليها، ومن وقع في قلبه خطبة امرأة شرع له النظر إليها قبل أن يخطبها، وقد دلت عليه السنة في أكثر من حديث، منها حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، أنه خطب امرأة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «انظر إليها، فإنه أخرى أن يؤدم بينكمما». ⁽²⁾ قال الترمذى بعد ذكره الحديث: ومعنى قوله: «أخرى أن يؤدم بينكمما»، قال: أخرى أن تدوم المودة بينكمما. ⁽³⁾ وقال البغوى: أي: يكون بينكمما المحبة والموافقة. ⁽⁴⁾

وهذه المشرعية للنظر للمخطوبية استثناء من وجوب غض البص عن الأجنبية؛ لما يتربّ عليه من المصلحة في إقدام الزوجين على الزواج عن بيتهما، ولتحصل الموافقة وتدوم العشرة والمودة فيما إذا حصل الزواج، أو بالانصراف عنه في حال لم تحصل الرغبة، وهذا مما يعزّز العدل في بناء الحياة الزوجية فيؤدي الزوج الحقوق للزوجة عن طيب نفس ورغبة، وتقابله الزوجة بأداء واجباتها الزوجية برضاء ونشاط، وقد اعتاد الناس في العصر الحاضر أن يرتبا مجلساً للنظر للمخطوبية تحفّه السكينة والنية الصالحة بحضور أحد محارمها أو بعضهم، فتدخل المخطوبية ويرى منها الخاطب وترى منه، وينظر إليها وتنظر إليه، وربما تجاذباً أطراف الحديث، فإذا كتب النصيب لهم في هذا الزواج كان مبناه متيناً مبنياً على مودة ووئام، وهذا أدعى لإقامة العدل في الحياة الزوجية والبعد عن الظلم وهضم الحقوق.

ومن الأحكام الفقهية المعاززة لقيمة العدل في الخطبة أنه لا يحل لمسلم أن يخطب على خطبة أخيه المسلم، لما روى أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «لا يخطب الرجل على خطبة أخيه». ⁽⁵⁾ ولأنه نهي عن الإضرار بالأديمي المعصوم، فكان على التحرير، ⁽⁶⁾ وب مجرد وقوع الخطبة الأولى يحصل التحرير سواء علم الآخر بالرضا من المرأة أم لم يعلم، لكن إذا انتهى الحال إلى عدم وقوع الرضا منها فتلك الخطبة كأنها لم تكن؛ لعرض مانع من ثبوتها وهو عدم الرضا، ولا يقال إنها لا تحرم الخطبة على الآخر إلا إذا علم بالرضا بل تحرم عليه ما لم يعلم بعدم الرضا عملاً

(1) الوجيز في فقه السنة والكتاب العزيز، ص: (280).

(2) سنن الترمذى (389/3) رقم (1087) قال: وفي الباب عن محمد بن مسلم، وجابر، وأبي حميد، وأبي هريرة، وأنس «هذا حديث حسن» وقد ذهب بعض أهل العلم إلى هذا الحديث، وقالوا: لا بأس أن ينظر إليها ما لم ير منها محراً، وهو قول أحمد، وإسحاق.

(3) سنن الترمذى (389/3) رقم (1087).

(4) شرح السنة للبغوى (17/9).

(5) صحيح مسلم (1029/2) رقم (1408).

(6) المعني (7) (146/7).

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

بالنهي ووقفا على حكمه⁽¹⁾، وهذا الحكم عدل ودفع لظلم الخاطب الأول، لأن من سبق إلى مالم يسبق إليه مسلم فهو أحق به، ولهذا لا تجوز الخطبة على خطبه، ففيها إضرار به وتقويت لحقه، وهذا ظلم تدفعه الشريعة وتمنعه. ومن الأحكام الفقهية المعززة لقيمة العدل في الخطبة أيضا تحريم خطبة المعتدة عن الوفاة والطلاق الثالث ، لقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ إِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ (235 البقرة). فيحرم التصريح بخطبتهما ويجوز التعريض بخطبة المعتدة؛ لأنه لما أباح التعريض دل على أن التصريح محرم، وأن التصريح لا يتحمل غير النكاح، فلا يؤمن أن يحملها الحرص على النكاح أن تخبر بانقضاء العدة، والتعريض يتحمل غير النكاح فلا يدعوها إلى الإخبار بانقضاء العدة.⁽²⁾ وهذا فيه حفظ لحق الزوج الأول، وحفظ للأنساب أن تختلط، وهذا من إقامة العدل في هذه الأبواب.

المطلب الثاني: عقد الزواج:

عقد الزواج شأنه عظيم في الإسلام، وقد قال الله تعالى في شأنه: ﴿وَاحْدُنَّ مِنْكُمْ مِيئَاتًا غَلِيلًا﴾ (21 النساء). فوصفه بالغلوة لقوته وعظمته، وقالوا: صحبة عشرين يوما قرابة، فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج؟⁽³⁾

ولهذا حُفِّ عقد الزواج بشروط وأركان لا يصح إلا بها، تنويها بشأنه وتعظيمها لقدرها ، فمن الفقهاء من جعل أركانه الإيجاب والقبول فقط، ومنهم من يضيف الولي والمحل (الزوج والزوجة)، ومنهم من يضيف الشاهدين، على تفصيات فيها عندهم، وكذلك تفصيل في شروط الصحة واللزموم، وهذا للفرق بين النكاح الصحيح المشروع، والسفاح الباطل الممنوع.⁽⁴⁾

ويظهر تعزيز قيمة العدل في عقد النكاح في اعتبار أركانه وشروطه، فالعلاقة الزوجية علاقة ظاهرة بيّنة يحتفى بها في الشريعة المطهرة، ويحفظ بعقدها الحقوق وتؤدى الواجبات، وتحتفظ بها مصلحة الإعفاف ثم الإنحصار وتكتير نسل الأمة، وليس كالسفاح الممنوع الذي تهضم فيه حقوق المرأة ولا أرب للطرف الآخر فيه إلا قضاء الوطر.

المطلب الثالث: العشرة بين الزوجين.

الأصل في العشرة بين الزوجين أن تكون العشرة بينهما بالمعروف كما قال تعالى: ﴿وَعَاشُوْهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (19 النساء). وأن للزوجة على زوجها كالمذى له عليها بالمعروف، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (288 البقرة). أي للنساء على الأزواج مثل الذي عليهم للأزواج بالمعروف قال ابن عباس في معناه: إني أحب أن أتزين لامرأتي كما تحب امرأتي أن تزين لي لأن الله تعالى قال:

(1) السيل الجرار المتدقق على حدائق الأزهار، ص: (350).

(2) ينظر: المجموع شرح المهدب، مع تكميلة السبكي والمطبي (16/256-257).

(3) مفاتيح الغيب (10/16).

(4) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (229/2)، والشرح الصغير (2/334 – 335)، ومغني المحتاج (3/139)، وكشاف القناع (5/37) عن الموسوعة الفقهية الكويتية (4/233).

{ولهن مثل الذي عليهم بالمعروف}⁽¹⁾، وإذا تزوج الرجل أكثر من زوجة وجب عليه العدل : في النفقة والبيتوة، والتأمين في اليوم، والليلة؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَا تَعْدِلُونَ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكْتُ أَيْمَانُكُمْ﴾ (النساء). والمعنى كما ذكره الكاساني: أي: إن خفتم أن لا تعدلوا في القسم والنفقة في نكاح المثنى، والثلاث، والرابع، فواحدة ندب سبحانه وتعالى إلى نكاح الواحدة عند خوف ترك العدل في الزيادة، وإنما يخاف على ترك الواجب، فدل أن العدل بينهن في القسم والنفقة واجب.⁽²⁾

قال ابن قدامة: لا نعلم بين أهل العلم في وجوب التسوية بين الزوجات في القسم خلافاً.⁽³⁾

قال أبو حيان الأندلسي: ونبه تعالى على انتفاء استطاعة العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل البنة، ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن، وفي ذلك عذر للرجال فيما يقع من التفاوت في الميل القلبي، والتعهد، والنظر، والتأمين، والمفاكهة. فإن التسوية في ذلك محال خارج عن حد الاستطاعة، وعلق انتفاء الاستطاعة في التسوية على تقدير وجود الحرص من الإنسان على ذلك. وقيل: معنى أن تعدلوا في المحبة قاله: عمر، وابن عباس، والحسن. وقيل: في التسوية والقسم. وقيل: في الجماع.⁽⁴⁾

وليس المراد أن يضبط زمان النهار بقدر ما عاشر فيه إحداهما بعاشر الأخرى بقدره بل ذلك في البيتوة وأما النهار ففي الجملة، وهناك تفصيلات في العدل في القسم يذكرها الفقهاء وهي نماذج تطبيقية تدل على سمو الشريعة الإسلامية، وأنها قائمة على تمام العدل في هذه الأبواب، ومن هذه الصور أن الزوج يقسم للزوجة المريضة، والرتقاء، والقرناء، والحائض، والنفساء، والمحرمة، والتي آلى منها أو ظاهر؛ لأن المقصود الإيواء والسكن، وذلك موجود في حقهن. وأما المجنونة: فإن كان يخاف منها سقط حقها من القسم؛ لأن الإيواء والألفة لا تحصل معها. وإن لم يخف منها وجب لها القسم؛ لأن الإيواء يحصل معها ويقسم الزوج المريض والمجبوب والعين والمحرم؛ لأن الأنس يحصل به، وإن كان مجنوناً يخاف منه لم يقسم له الولي؛ لأنه لا يحصل به الأنس، وإن كان لا يخاف منه نظر فإن كان قد قسم لواحدة في حال عقله، ثم جن قبل أن يقضي لزم الولي أن يقضي للباقيات قسمهن منه، كما لو كان عليه دين. وإن جن قبل أن يقسم لواحدة منها، فإن لم ير الولي أن له مصلحة في القسم.. لم يقسم لهن، وإن رأى الولي المصلحة له في القسم.. قسم لهن؛ لأنه قائم مقامه.⁽⁵⁾

(1) معلم التنزيل في تفسير القرآن (267/1-268).

(2) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (332/2).

(3) انظر: المعنى، لابن قدامة (10/235).

(4) البحر المحيط في التفسير (4/88).

(5) ينظر: البحر الرائق (3/234) الذخيرة للقرافي (4/454) البيان للعماني (9/509) وما بعدها.

ومن النماذج التطبيقية لتمام العدل أن الزوجة المسلمة والكتابية سواء في القسم، قال ابن المنذر أجمع كل من حفظ عنه من أهل العلم، على أن القسم بين المسلمة والذمية سواء. وذلك لأن القسم من حقوق الزوجية، فاستوت فيه المسلمة والكتابية، كالنفقة والسكنى.⁽¹⁾

ومن العدل في عشرة الزوجة وجوب مهر المثل لها إذا تزوجت بدون مهر، أو لم يسم لها مهر، والمقصود بهم المثل مهر مثل نسلها من قبيلة أبيها، وضابط العدل والمماطلة في هذا الجانب تمثل في عدة خصال أوصلها بعض الفقهاء إلى خمسة عشر خصلة هي الجمال، والمال، والحسب، والعلم، والعقل، والسن، والعدرة، أي: البكار، ورسم البلدان، وأن لا يكون لها ولد، وحال الوقت، وحال الزوج⁽²⁾.

وكل هذه الأحكام وتفاصيلها نماذج لاعتبار قيمة العدل في أحكام فقه الأسرة، لتستمر حياة الزوجين في وئام، تؤدى فيه الواجبات، وتحفظ فيه الحقوق، وينشأ داخل هذه الأسرة المستقرة جيل يتشرب معاني العدل ويراهما شاهدة في سلوك الأبوين، ويتمثلها بعد في أخلاقه وتعاملاته.

المطلب الرابع: توابع النكاح (الطلاق - الخلع - الفسخ - الإيلاء - الظهار - اللعان - العدد):

1. الطلاق:

الأصل في الحياة الزوجية الديمومة والوئام، ولكن ربما يفسد الحال بين الزوجين ويكون في بقاء رابطة الزوجية مفسدة لكل منهما، فكان في تشريع الطلاق تخلص لهما من المفاسد والضرر، كما أن الطلاق حل لعقد النكاح على نحو لا تضيع فيه حقوق أحد الزوجين، فالطلاق قضية مشروعة لقوله تعالى: ﴿فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ (1) الطلاق). وقوله: ﴿الْطَّلاقُ مَرَّتَانِ﴾ (229 البقرة). ، وعلى وقوعه انعقد الإجماع، وأن استباحة البعض ملك الزوج على الخصوص، المالك الصحيح القول يملك إزالة ملكه كما في سائر الأملاك، وأن مصالح النكاح قد تنقلب مفاسد، والتوفيق بين الزوجين قد يصير تنافرا، فالبقاء على النكاح حينئذ يشتمل على مفاسد من التبغض والعداوة والمقت وغير ذلك، فشرع الطلاق دفعا لهذه المفاسد، ومتى وقع لغير حاجة فهو مباح مبغوض؛ لأنه قاطع للمصالح، فسبب الطلاق الحاجة إلى الخلاص عند تباين الأخلاق وعرض البغضاء الموجبة عدم إقامة حدود الله تعالى، وشرعه رحمة منه سبحانه وتعالى.⁽³⁾ فبقاء النكاح مع بقاء ما ينقض الحياة الزوجية مفسدة محضة، وضرر مجرد بإلزام الزوج النفقة والسكنى، وحبس المرأة، مع سوء العشرة، والخصوصة الدائمة من غيرفائدة، فاقتضى ذلك شرع ما يزيل النكاح، لتزول المفسدة الحاصلة منه.⁽⁴⁾

واستمرار السعادة والاستقرار بين الزوجين غير مضمون، ولهذا جاءت حكمـة مشروعية الطلاق، وحله لإشكاليات الحياة الزوجية، فالطلاق ليس مشكلة في ذاته، بل هو حل لمشكلات عميقة بين الزوجين تعذر معها استمرار

(1) ينظر: المغني (309/7).

(2) ينظر: التنف في الفتاوي، للسعدي (ص 298)، المدونة (2/162)، الذخيرة، للقرافي (4/367).

(3) ينظر: الاختيار لتعليق المختار (3/121) رد المحتار على الدر المختار (3/282).

(4) ينظر: المغني (7/363) شرح منتهى الإرادات (3/73) المبدع (6/292).

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

العلاقة بينهما، فربما قصر أحد الزوجين في الأخذ بأسباب السعادة الزوجية، وربما أخذنا به، ولكن جدّ في حياة الزوجين الهاتنين ما يثير بينهما القلاقل والشقاق، كمرض أحدهما أو عجزه وربما كان ذلك بسبب عناصر خارجة عن الزوجين أصلًا، كالأهل والجيران وما إلى ذلك، وربما كان سبب ذلك انصراف القلب وتغييره، فيبدأ بنصح الزوجين وإرشادهما إلى الصبر والاحتمال، وبخاصة إذا كان التقصير من الزوجة، قال تعالى: ﴿وَعَاشُوْهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهُوْهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرُهُوْا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ حَبْرًا كَثِيرًا﴾ (19 النساء).

إلا أن مثل هذا الصبر قد لا يتيسر للزوجين أو لا يستطيعانه، فربما كانت أسباب الشقاق فوق الاحتمال، أو كانوا في حالة نفسية لا تساعدهما على الصبر، وفي هذه الحال: إما أن يأمر الشرع بالإبقاء على الزوجية مع استمرار الشقاق الذي قد يتضاعف وينتج عنه فتن، أو جريمة، أو تقصير في حقوق الله تعالى، أو على الأقل تفويت الحكمة التي من أجلها شرع النكاح، وهي المودة والألفة والنسل الصالح، وإنما أن يأذن بالطلاق والفرق، وهو ما اتجه إليه التشريع الإسلامي، وبذلك علم أن الطلاق قد يتمحض طرقاً لإنهاء الشقاق والخلاف بين الزوجين؛ ل Rosenstein الزوجان بعده حياتهما منفردين أو مرتبطين بروابط زوجية أخرى، حيث يجد كل منهما من يألفه ويتحمله، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِي اللَّهُ كُلًا مِنْ سَعْتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ (130 النساء).⁽¹⁾

ويظهر تعزيز قيمة العدل في الطلاق من أنه ربما يفسد الحال بين الزوجين ويكون فيبقاء مفسدة لكل منهما، فكان في تشريع الطلاق تخلص لهما من المفاسد والضرر، وأن في الطلاق حل لعقد النكاح على نحو لا تضيع فيه حقوق أحد الزوجين، وينطلقان بعده لحياة أرحب وأكثر سعة.

2. الخلع:

عصمة النكاح بيد الزوج، وقد تبغض الزوجة زوجها وترغب في الطلاق منه، والزوج لا يرغب في طلاقها؛ لما تحمله من نفقات في المهر وتجهيز المسكن ونحو ذلك، فشرع الخلع بأن تدفع المرأة للرجل شيئاً مقابل حل عقد النكاح حتى لا يكون في هذا ضرر بواحد منهما، وفي المقابل لما كان للزوج قطع النكاح إذا كره الزوجة، كان من العدل أن يكون للزوجة طلب الخلع من الزوج إذا كرهته مع دفع قدر من المال له، أو تنازلها عن بعض حقوقها. والخلع بضم الخاء من الخلع بفتحها وهو النزع سمي به لأن كلاً من الزوجين ليسان الآخر قال تعالى: ﴿هُنَّ لِيَسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَسٌ لَهُنَّ﴾ (187 البقرة). فكانه بمفارقة الآخر نزع لباسه، والخلع: الإزالة ومنه خلع الوالي عزله، وشرعها: إزالة العصمة بعوض من الزوجة أو غيرها.⁽²⁾

ويسمى الافتداء؛ لأنها تفتدي نفسها بمال تبذلها. فإذا كرهت المرأة زوجها، لخليقه، أو خلقه، أو دينه، أو كبره، أو ضعفه، أو نحو ذلك، وخشيته أن لا تؤدي حق الله تعالى في طاعته، جاز لها أن تخالله بعوض تفتدي به نفسها منه؛ أو خافت أن يبغضها فلا يو匪ها حقها، فلها أن تفتدي منه ويطلقها.⁽³⁾

(1) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (29 ص 9-10).

(2) ينظر: أنسى المطالب (241-240/3) مغني المحتاج (431-430/4) حاشية العدوبي (86-85/2) المغني (324-323/7) المبدع (267/6).

(3) ينظر: المحلي (511/9) المغني (7/324-323).

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

وفائدة الخلع: تخلص الزوجة من الزوج على وجه لا رجعة له عليها إلا برضاهـا.⁽¹⁾

ودليل مشروعية الخلع قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ (البقرة: 229). أي فلا إثم على الزوجين لا على الرجل فيما أخذ، ولا على المرأة فيما أعطت، ومن السنة ما روى البخاري من حديث ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - : أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس، ما أعتبر عليه في خلق ولا دين، ولكنني أكره الكفر في الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أترددين عليه حديقته؟» قالت: نعم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقبل الحديقة وطلقها تطليقة».⁽²⁾، وفي لفظ عند البخاري قالت: «ولكنني لا أطيقه».⁽³⁾ والآية الكريمة نزلت في ثابت وامرأته، وهو أول خلع في الإسلام، وحكمه الجواز إلا أن يكون مضرًا لها، فتبذل العوض لتخليص من ظلمه فيحرم أخذها، ويرده وينفذ طلاقه، والمعنى فيه أنه لما جاز أن يملك الزوج الانتفاع بالبضع بعوض جاز أن يزيل ذلك الملك بعوض كالشراء والبيع فالنكاح كالشراء والخلع كاليبيع وأيضاً فيه دفع الضرر عن المرأة غالباً.⁽⁴⁾ وهذا من تمام عدل الشريعة الإسلامية ومراعاتها الفطرة السليمة، ودفعها الضرر مهما كان مصدره، ومهما كان فاعله.

3- الفسخ:

فسخ النكاح يكون إما بسبب وجود عيب في أحد الزوجين لا يعلم به الآخر ولا يرضى به ككون أحدهما مجنياناً أو مجذوماً فكان فسخ النكاح من العدل، ف الخيار الفسخ يثبت لكل واحد من الزوجين لعيـب يجده في صاحبه في الجملة، وإما أن يكون بسبب عدم استكمال العقد لأحد شروطه أو أركانه كما لو تم العقد على البكر دون ولـي أو بدون شاهدين، أو تزوج من يحرم عليه نكاحها كأخته من الرضاعة وهو لا يعلم فكان فسخ النكاح من العدل، وإما أن يكون بسبب وجود ضرر في بقاء النكاح كما في فسخ النكاح حالة إعسار الزوج بالنفقة أو المهر وطلب الزوجة الفسخ، أو في حاله الشقاق بين الزوجين فكان فسخ النكاح في هذه الحالات من العدل، وهذا الفسخ منه ما تقع به الفرقـة بين الزوجين، ولو قوع الفرقـة بين الزوجين أسباب، منها اختيار المرأة نفسها لعيـب الجـب في الزوج ، والعنة والخصاء والخنوـثـة، ومنها التـفـريق لعدم الكـفاءـة أو لـنقـصـانـ المـهـرـ، ومنها إباء الزوج الإسلام بعد ما أسلـمت زوجـتهـ ، ومنها إباء الزوجة الإسلام بعد ما أسلـم زوجـهاـ المشـركـ أو المـجوـسيـ، ومنها ردة أحد الزوجـينـ على تفصـيلـاتـ يـذـكـرـهاـ الفـقهـاءـ، ومنها الرـضـاعـ إذا ثـبـتـ حـرـمـتـهـ بـيـنـ الزـوـجـينـ بـعـدـ النـكـاحـ، ومنـهاـ إـنـ أـسـلـمـ أـحـدـ الزـوـجـينـ عـلـىـ وجـهـ لاـ يـقـرـئـهـ عـلـيـهـ فـيـ الإـسـلـامـ بـأـنـ كـانـتـ الزـوـجـةـ مـثـلاـ،⁽⁵⁾ فـثـبـوتـ خـيـارـ فـسـخـ النـكـاحـ لـأـحـدـ الزـوـجـينـ بـسـبـبـ التـغـيـيرـ بـهـ

(1) المبدع (6/267).

(2) صحيح البخاري (7/46) رقم (5273).

(3) صحيح البخاري (7/47) رقم (5275).

(4) ينظر: البناءة شرح الهدایة (5/506-507) تبیین الحقائق (2/268-267) المقدمات الممهدات (1/555-553) أنسى المطالب (3/430-241) مغنى المحتاج (4/349) حاشية (3/441-442) مذهب الجليل (3/508-509) أنسى المطالب (3/441-442) مغنى المحتاج (4/349) حاشية (3/447) مواهب الجليل (3/447).

(5) ينظر: بدائع الصنائع (2/336-340) غمر عيون البصائر (2/103-104) الناج والإكليل (5/66) شرح مختصر خليل للخرشي (3/168) حاشية (4/349) مغنى المحتاج (4/342) حاشية (3/442-441) مذهب الجليل (3/447) مواهب الجليل (3/509-508).

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

أو لضرر أصحابه، أو فوات شرطه أو مقصوده من النكاح من محاسن الشريعة، وتحقيقها وتعزيزها لقيمة العدل في بناء الحياة الأسرية.

4. الإيلاء:

الإيلاء في اللغة: هو اليمين قال القائل، وفي الشريعة: يمين يمنع جماع المنكوبة⁽¹⁾، وقد كان الإيلاء طلاقا في الجاهلية، فجعله الشرع طلاقاً مؤجلاً وغير حكمه وخصه بالحلف على الامتناع من وطء الزوجة مطلقاً أو أكثر من أربعة أشهر بقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرْبُصُ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ﴾ (226 البقرة). الإيلاء هو حلف الزوج على الامتناع من وطء زوجته مطلقاً، أو أكثر من أربعة أشهر، فحقيقة الإيلاء هي اليمين بمنع وطء الزوجة إما صريحًا كقوله والله لا أطوئ أكثر من أربعة أشهر، أو تضمناً كحلفه أن لا يلتقي معها أو لا يغتسل من جنابة منها، والإيلاء محرم لأنّه يمين على ترك واجب، فإذا وقع الإيلاء ضربت للمولى مدة أربعة أشهر ولا يطالب بالوطء فيهن، وابتداء المدة من حين اليمين ، فإذا مضت الأربعة أشهر ولم يطأ ولم تعفه الزوجة التي آلى منها ورافعه إلى الحاكم فإنه يأمره بالفيئة، أي الرجوع للجماع ، فإن أبي المولى الفيضة أمره الحاكم بالطلاق؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (226) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (227-226 البقرة). فإن لم يطلق المولى طلاق الحاكم عليه، ولا تطلق بمجرد مضي المدة، وتظهر قيمة العدل في أحكام الإيلاء في أن الإيلاء كان طلاقا في الجاهلية، فلم يعتبره الإسلام طلاقاً وجعل له أحكاماً خاصة به، وأن من حق الزوج أن يرجع في الإيلاء قبل المدة المحلوف عليها ويكون عليه كفارة يمين، وأن الإيلاء لما كان فيه ظلم للزوجة بالحلف بترك معاشرتها وجعلها معلقة لا هي مطلقة ولا ذات زوج، جعل الشرع من حق الزوجة مطالبة الزوج بحقها في الوطء أو رفع أمرها إلى القاضي طلباً للفيء أو الطلاق، فإن لم يرجع الزوج أو يطلق طلاق عليه القاضي رفعاً للضرر عن المرأة.⁽²⁾

5. الظهار:

الظهار: أن يقول الزوج لامرأته أنت على كظهر أمي، وكان الظهار طلاقا في الجاهلية، وكان الرجل إذا كره زوجته ولم يرد لها أن تتزوج ظاهر منها فتحرم عليه تحريم مؤبدا لا تحل له أبدا، وتبقى معلقة لا هي ذات زوج ولا خلية تنكح غيره، فغير الشرع حكم الظهار إلى تحريم مؤقت بالكافرة من غير أن يكون مزيلاً للنكاح، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقْبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَسَّأَا ذَلِكُمْ ثُوَّاعْنَوْنَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ حَسِيرٌ﴾ (3) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَسَّأَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِطْلَاعًا سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ (3-4 المجادلة). فيكفر الزوج قبل الوطء ودعاعيه بأن يعتق رقبة، فإن لم يجد صام شهرين متتابعين،

البجيري على المنهج (388-386/3) حاشية الجمل (506-505/4) المغني (7-184/185) العدة شرح العمدة (1/414) الكافي (3/46).

(1) ينظر : المبسot (19/7) مواهب الجليل (106-105/4) أنسى المطالب (347/3) و (355/3) مغني المحتاج (5/15-16) و (5/23-24) شرح منتهى الإرادات (3/155-156).

(2) ينظر: المبسot (19/7) البنية (5/488-491) مواهب الجليل (4/105-106) شرح مختصر خليل للخرشي (4/88-90) أنسى المطالب (3/347) و (3/355) مغني المحتاج (5/15-16) و (5/23-24) شرح منتهى الإرادات (3/155-156) و (3/161) كشاف القناع (5/353-354) و (5/362-363).

فإن لم يستطع أطعم ستين مسكينا، وحكم الظهار التكليفي محرم بالكتاب كما أخبر الله عز، وجل فقال: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ إِنْ أُمَّهَا نِسَاءُهُمْ إِلَّا اللَّاتِي وَلَدَنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكِرًا مِنَ الْقَوْلِ وَرُورًا﴾ (2)، وتظهر قيمة العدل في الظهار في تغيير حكم الجاهلية فيه بما يحصل فيه نوع ردع للزوج، وعدم المجادلة).⁽¹⁾، وإيجاد المخرج الشرعي للحفاظ على كيان الأسرة ووقايتها من الشتات.

6. اللعان:

اللعان: شهادات مؤكّدات بالأيمان مقرونة باللعنة في جانب الزوج، وبالغضب في جانب الزوجة، قائمة مقام حد القذف في حق الرجل ومقام حد الزنا في حق الزوجة، والأصل فيه قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْءُونَ أَرْوَاحَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ أَهُمْ شُهَدَاءَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (6) وَالخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (7) وَيَدْرُأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشَهَّدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (8) وَالخَامِسَةُ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (6-9 النور). فيبتدىء القاضي بالزوج فيشهد أربع مرات يقول في كل مرة أشهد بالله أني لمن الصادقين فيما رميتهما به من الزنا، ويقول في الخامسة لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا، ويشير إليها في كل مرة، ثم تشهد المرأة أربع مرات تقول في كل مرة أشهد بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماي به من الزنا، وتقول في الخامسة غضب الله عليها إن كان من الصادقين فيما رماي به من الزنا، وإذا كان القذف بنفي الولد تقول المرأة في كل مرة فيما رماي به من الزنا في نفي الولد، ويأتي بدل ضمائر الغيبة بضمائر المتكلّم فيقول: لعنة الله علي، وإنما عدل الفقهاء عنها أدبا في الكلام واتباعا للآية الكريمة، وكررت كلمات الشهادة لتأكيد الأمر، ولأنها أقيمت من الزوج مقام أربعة شهود من غيره ليقام عليها الحد، وهي في الحقيقة أيمان، وبيّن بالزوج؛ لأن لعنه سبب عن قذفه، فيدرأ عن نفسه الحد، وسبب للعنانها؛ لأن الموجب للحد عليها لكونه مثل البينة، ولقوله تعالى بعد ذكر لعنه: ﴿وَيَدْرُأُ عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ (8 النور). فدل على توجه العذاب عليها، وإذا تم اللعان ترتب عليه سقوط حد القذف عن الزوج، وانتفاء النسب للولد إذا نفاه، وسقوط حد الزنا عن الزوجة، والفرقة بينهما، وتأييد التحرير،⁽²⁾ ويظهر العدل في أحكام اللعان من كونه حقا لكل من الرجل والمرأة، ليدفع الرجل عن نفسه عار زنا الزوجة؛ ولئلا ينسب إليه من ليس من صلبه، ولتدفع المرأة به عن نفسها تهمة الزنا، وأن الله تعالى ساوي فيه بين عدد الشهادات والأيمان بين الرجل والمرأة، وأن الله تعالى ساوي في الآخر المترتب على اللعان بين الرجل والمرأة حيث إنه يتربّط على اللعان سقوط حد القذف عن الرجل، وسقوط حد الزنا عن المرأة.

(1) ينظر في معنى الظهار وأحكامه: المبسوط (223/6-224) تبيان الحقائق (3-2/3) الناج والإكليل (422/5) مواهب الجليل (4/112) تحفة المحتاج (177-178/8) مغني المحتاج (29/5) نهاية المحتاج (7-82/82) كشاف القناع (368/5-369) المبدع (3/7) الباية (5-488/4) شرح مختصر خليل للخرشي (4/88-90) أنسى المطالب (3/23-347) و (3/355) و (3/347) شرح منتهى الإرادات (3/155-156) و (3/362) و (5/363).

(2) ينظر في معنى اللعان وأحكامه: الباية (5/569-570) شرح الهدایة (4/278-279) تبيان الحقائق (3/17) الذخيرة (4/98-100) أنسى المطالب (3/383-384) نهاية المحتاج (7-113/115) و (7/123-124) المعنى (8/58-59) و (8/85-87) شرح منتهى الإرادات (3/181-182) و (3/184).

7. العدد:

العدد جمع عدة وهي لغة: الإحصاء، مأخوذه من العدد لاشتمالها على العدد من الأقراء أو الأشهر غالباً.
وفي الشريعة: ترخيص يلزم المرأة عند زوال النكاح أو شبته، والتربص التثبت والانتظار، قال الله تعالى: ﴿فَتَرِبَّصُوا
إِهٗ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (25 المؤمنون).

وقيل: مدة منع النكاح لفسخه أو موت الزوج أو طلاقه.

وقيل: المدة التي جعلت دليلاً على براءة الرحم.

وقيل: اسم لمدة تترخيص فيها المرأة لمعرفة براءة رحمها أو للتبعد أو لتفجعها على زوجها.⁽¹⁾

وبراءة الرحم تحصل بوضع حمل أو مضي أقراء أو أشهر، وهي ثلاثة أنواع: القرء وهو الحيض على الصحيح والأشهر والحمل، وقد أوجب الله تعالى العدة حفظاً للأنساب وتحصيناً للفروج، ونهى عن عقد النكاح فيها نهي تحرير؛ لأن العقد لا يراد إلا للوطء، فكان ذلك ذريعة إلى اختلاط الأنساب، فشرعت العدة صيانة للأنساب وتحصيناً لها من الاختلاط، ورعاية لحق الزوجين والولد والناتج الثاني، والمغلب فيها التبعد بدليل أنها لا تنقضي بقراء واحد مع حصول البراءة به فقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحَ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ (235 البقرة). وهو انقضاء العدة، ونهى تبارك وتعالى عن المواعدة فيها فقال: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَنَذُكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا ثُوَاعِدُوهُنَّ سِرًا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (235 البقرة). والقول المعروف هو التعريض بالمواعدة دون الإفصاح بها، وذلك مثل أن يقول: إنك على لكريمة، وإنني فيك لراغب، وإن يقدر أمر يكن، وما أشبه ذلك.

والعدة أربعة أقسام: معنى محض، وتبعه محض، ومجتمع الأمرين والمعنى أغلب، ويجتمع الأمران والتبعه أغلب، فالأول عدة الحامل، والثاني عدة المتوفى عنها زوجها التي لم يدخل بها، والثالث عدة الموطوءة التي يمكن حلها ممن يولد لمثله، سواء كانت ذات أقراء أو أشهر، فإن معنى براءة الرحم أغلب من التبعه بالعدد المعتبر لغبة ظن البراءة، والرابع كما في عدة الوفاة للمدخول بها التي يمكن حملها وتمضي أقراؤها في أثناء الشهور، فإن العدد الخاص أغلب من براءة الرحم بمضي تلك الأقراء.⁽²⁾ والعدة شرعت لحكمة، فعدة الوفاة قيل: هي تبعه محض لا يعقل معناه، وهذا أبطله ابن القيم وقال: فالصواب أن يقال: هي حرير لانقضاء النكاح لما كمل، ولهذا تجد فيها رعاية لحق الزوج وحرمة له، ألا ترى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان من احترامه ورعايته حقوقه تحرير نسائه بعده، ولما كانت نساؤه في الدنيا هن نساؤه في الآخرة قطعاً، لم يحل لأحد أن يتزوج بهن بعده، بخلاف غيره؛ فإن هذا ليس معلوماً في حقه، فلو حرمت المرأة على غيره لتضررت ضرراً محققاً بغير نفع معلوم، ولكن لو تأيمت على أولادها كانت محمودة على ذلك، وقد كانوا في الجاهلية يبالغون في احترام حق الزوج وتعظيم حرير هذا العقد غاية المبالغة من ترخيص سنة في شر ثيابها وحفلتها، فخفف الله عنهم ذلك بشريعته التي جعلها رحمة وحكمة ومصلحة ونعمة، بل هي من أجل نعمه عليهم على الإطلاق، فله الحمد كما هو أهله، وكانت أربعة أشهر وعشراً

(1) ينظر: البحر الرائق (138/4) المقدمات الممهدات (519/1) مغني المحتاج (78/5) كشاف القناع (411/5).

(2) ينظر: البحر الرائق (138/4-139) الناج والإكليل (470/5-471) المقدمات الممهدات (519/1) شرح مختصر خليل للخرشي (4136/4) مغني المحتاج (78/5) كشاف القناع (411/5).

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

على وفق الحكمة والمصلحة؛ إذ لا بد من مدة مضروبة لها، وأولى المدد بذلك المدة التي يعلم فيها بوجود الولد وعدمه؛ فإنه يكون أربعين يوماً نطفة، ثم أربعين علقة، ثم أربعين مضغة فهذه أربعة أشهر، ثم ينفح فيه الروح في الطور الرابع، فقدر بعشرة أيام لظهور حياته بالحركة إن كان ثم حمل. ⁽¹⁾

وأما حكمة عدة الطلاق ففيها حق لله، وهو امتثال أمره وطلب مرضاته، وحق للزوج المطلق وهو اتساع زمن الرجعة له، وحق للزوجة، وهو استحقاقها للنفقة والسكنى ما دامت في العدة، وحق للولد، وهو الاحتياط في ثبوت نسبة وأن لا يختلط بغيره، وحق للزوج الثاني، وهو أن لا يسقي ماءه زرع غيره، ورتب الشارع على كل واحد من هذه الحقوق ما يناسبه من الأحكام؛ فرتب على رعاية حقه هو لزوم المنزل وأنها لا تخرج ولا تخج... رتب على حق المطلق تمكينه من الرجعة ما دامت في العدة، وعلى حقها استحقاق النفقة والسكنى، وعلى حق الولد ثبوت نسبة وإلحاقه بأبيه دون غيره، وعلى حق الزوج الثاني دخوله على بصيرة ورحم بريء غير مشغول بولد لغيره؛ فكان في جعلها ثلاثة قروء رعاية لهذه الحقوق، وتمكيل لها، وقد دل القرآن على أن العدة حق للزوج عليها بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكْحُنُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾ (49) الأحزاب). فهذا دليل على أن العدة للرجل على المرأة بعد الميسىس، وقال تعالى: ﴿وَبُعْلُوتُهُنَّ أَحَقُّ بِرِدَّهُنَّ فِي ذَلِكَ إِنَّ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ (228 البقرة). فجعل الزوج أحق بردها في العدة؛ فإذا كانت العدة ثلاثة قروء أو ثلاثة أشهر طالت مدة الترخيص لينظر في أمرها هل يمسكها بمعرف أو يسرحها بحسان ⁽²⁾.

وتظهر قيمة العدل في أحكام العدد في أن العدة تجمع بين حق الله تعالى وحق الزوج المطلق أو المتوفى وحق الزوجة وحق الولد وحق الزوج الثاني وحق المجتمع، حق الله تعالى وهو امتثال أمره وطلب مرضاته، وحق الزوج المطلق في الطلاق الرجعي في إعطاء فرصة له إذا ندم على الطلاق وأراد مراجعة زوجته، وحق الزوج المتوفى في الإحداد وإظهار تأثير فقده في المنع من التزين والتجميل، وحق الزوجة في النفقة والسكنى في مدة العدة، وحق الولد إذا كانت المعنة حاملة في ثبوت نسبة لوالده وفي النفقة وتوباعها، وحق للزوج الثاني، وهو أن لا يسقي ماءه زرع غيره، وحق المجتمع في عدم اختلاط الانساب، ورتب الشارع على كل واحد من هذه الحقوق ما يناسبه من الأحكام، وهذا غاية العدل ومراعاة مصالح الأنام.

المطلب الخامس: النفقات:

النفقات جمع نفقة، من الإنفاق، وهو الإخراج ولا يستعمل إلا في الخير، يعبر الفقهاء بالنفقات دون الغرامات، والنفقة اسم بمعنى الإنفاق.

وشرع: الإدرار على الشيء بما به يقوم بقاوه. ⁽³⁾

وقيل: كفاية من يمونه خبزاً وإداماً وكسوة وسكننا وتوباعها. ⁽¹⁾

(1) إعلام الموقعين (52-51/2).

(2) ينظر: إعلام الموقعين (53-52/2).

(3) العناية شرح الهداية (378/4).

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

والنفقة قسمان: نفقة تجب للإنسان على نفسه إذا قدر عليها، وعليه أن يقدمها على نفقة غيره،⁽²⁾ فعن جابر بن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ «ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذلي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا» يقول: فيبين يديك وعن يمينك وعن شمالك.⁽³⁾

ونفقة تجب على الإنسان لغيره، وأسباب وجوبها ثلاثة: النكاح والقرابة، والملك، وأقوى أسبابها الزوجية لأنها معاوضة وسواها معاوضة، وسبب وجوب هذه النفقة للزوجة على زوجها قيل: استحقاق الحبس الثابت بالنكاح للزوج عليها. وقيل: ملك النكاح للزوج عليها. وقيل: القوامة واحتجوا بقوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (34 النساء). فأوجب النفقة عليهم لكونهم قوامين، والقوامة تثبت بالنكاح فكان سبب وجوب النفقة النكاح،⁽⁴⁾ ولقوله ﷺ : "فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهم عليكم رزقهن وكسوتهم بالمعروف".⁽⁵⁾

ويلزم الزوج نفقة زوجته وكسوتها وسكنها بما يصلح لمثلها بالمعروف، فعلى زوج ما لا غنى لزوجته عنه، ويعتبر ذلك الحاكم عند النزاع بحالهما، وسبب وجوبها احتباسها عند الزوج إذا كان يتهدأ له الاستمتاع وطأ أو دواعيه أو التحسين لمائه بعد زوال النكاح، فهي لما صارت محبوسة عنده في حقه عجزت عن الاكتساب والإإنفاق على نفسها، فلو لم تستحق النفقة عليه لماتت جوعاً، فتبيّن أن إيجاب النفقة على الزوج لدفع الهلاك عن المرأة لكونها محبوسة على الدوام لحقه ، وأما نفقة الأقارب والعتيق ونفقة المماليك من الأدباء والبهائم فلقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكَسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (233 البقرة). وقوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (23 الإسراء). ومن الإحسان الإنفاق عليهما عند حاجتهم وحديث هند بنت عتبة رضي الله عنها: «خذى من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكتفى بنيك» متفق عليه.⁽⁶⁾ ولأن ولد الإنسان بعضه وهو بعض والده، فكما يجب عليه أن ينفق على نفسه وأهله فكذلك على بعضه وأهله، ونفقة الأقارب تجب بشروطها التي يفصل فيها الفقهاء، ولا يتسع المجال للاستطراد فيها.⁽⁷⁾ وتظهر قيمة العدل في النفقات من جهة أن الشّرع أوجب نفقة

(1) شرح متنى الإرادات (3/224).

(2) مغني المحتاج (5/148).

(3) صحيح مسلم (2/692) رقم (997).

(4) بداع الصنائع (4/16).

(5) صحيح مسلم (2/886) رقم (1218).

(6) صحيح البخاري (9/71) رقم (7180) صحيح مسلم (3/1338) رقم (1714) واللفظ له.

(7) ينظر: بداع الصنائع (4/16) العناية شرح الهدایة (4/382-378) الاختيار لتعليق المختار (4/3) كشف الأسرار (4/330-336) الجوهرة (4/3) التاج والإكليل (5/541-592) شرح مختصر خليل للخرشی (4/183-184) تحفة المحتاج (8/301-304) مغني المحتاج (5/148-151) أنسى المطلب (3/442-443) الفروع (5/577-582) شرح متنى الإرادات (3/224-225) . (3/239-238).

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

الزوجات على الأزواج لكون الزوجات محبوبات لحق الأزواج ممنوعات من الخروج من بيت الزوجية إلا بإذنه، وأوجب النفقات بقدر الكفاية لدفع حاجة المنفق عليه، وأوجب نفقة الأقارب بشرط يسار المُنْفِق وفقر المُنْفِق عليه وعجزه عن الكسب، إلى غير ذلك من الشروط التي يذكرها الفقهاء وهذا من تمام العدل والإحسان، بل إن الشريعة الإسلامية أوجبت نفقة البهيمة إذا ملكها الإنسان أو حازها، ورتب أشد الوعيد على من عذبها أو تسبب في هلاكها تقضيرًا وعدوانًا، فعن أبي هريرة رض، عن رسول الله صل قال: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلا هي أطعمتها، ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض، حتى ماتت هزلا». ⁽¹⁾ وخشاش الأرض بفتح الخاء المعجمة وهي هوامها وحشراتها وقيل: صغار الطير. ⁽²⁾

فسبحان من وسعت رحمته جميع المخلوقات، وعمَّ بعلمه البشر والبهائم العجمادات.

المطلب السادس: الحضانة:

الحضانة: فتح الحاء أشهر من كسرها مأخوذ من الحضن بكسر الحاء وهو ما تحت الإبط للكشكح وهو ما بين الخاصرة والضلع الخلفي وهي لغة الحفظ والصيانة. ⁽³⁾

وشرعًا: صيانة العاجز والقيام بمصالحة. ⁽⁴⁾

وقيل: حفظ من لا يستقل بأموره وتربيته بما يصلحه. ⁽⁵⁾

وقيل: حفظ من لا يستقل بأمور نفسه عما يؤذيه لعدم تميزه كطفل وكبير معجون. ⁽⁶⁾

وقيل: حفظ صغير ومعجون ومعتوه وهو المختل العقل بما يضرهم وتربيتهم بعمل مصالحهم. ⁽⁷⁾

وتنهي الحضانة للصغرى بالتمييز، وأما بعده إلى البلوغ فتسمى كفالة قاله الماوردي. وقال غيره تسمى حضانة أيضاً. ⁽⁸⁾

والحضانة نوع ولاية وسلطنة، لكن الإناث أليق بها؛ لأنهن أشفق وأهدى إلى التربية وأصبر على القيام بها وأشد ملازمة للأطفال، وأقدر على القيام بشؤون الطفل كغسل رأس الطفل وغسل يديه وغسل ثيابه ودهنه وتكحيله وربطه في المهد وتحريكه لينام ونحوه، وذلك أن الصغار لما بهم من العجز عن النظر لأنفسهم والقيام بحوائجهم؛ فهم مضطرون لمن يقوم بحضانتهم، والأصل في الحضانة كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وإجماع

(1) صحيح مسلم (4/2210) رقم (2619) شرح النووي على مسلم (6/207).

(2) شرح النووي على مسلم (6/207).

(3) أنسى المطالب (3/447) البيان للعاماني (11/278) مغني المحتاج (5/191) كشاف القناع (495).

(4) منح الجليل (4/420).

(5) أنسى المطالب (3/447).

(6) مغني المحتاج (5/191).

(7) كشاف القناع (5/495).

(8) أنسى المطالب (3/447) مغني المحتاج (5/191).

الأمة، فاما الكتاب غير ما آية، منها قوله في الأبوين: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (24 الإسراء). وفي الأمهات قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أُولَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتَمَّ الرَّضَاعَةُ﴾ (233 البقرة). ، فالأم أحق برضاعة ابنها وكفالته إلى أن يستغني عنها بنفسه، وقال تعالى حاكيا عن اخت موسى عليه الصلاة والسلام أنها قالت لآسيبة امرأة فرعون: ﴿هَلْ أَذْلَكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ (12) فردناه إلى أميه كني تَقَرَّ عَيْنَهَا وَلَا تَخْرَئَ (12-13 القصص). ، ومن السنة ما روی عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو: أن امرأة قالت: يا رسول الله، إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وثدي له سقاء، وحجرى له حِواً، وإن أباه طلقني، وأراد أن يتزععه مني، فقال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أنت أحق به ما لم تنكحي".⁽¹⁾ وأما الإجماع فلا خلاف بين أحد من الأمة في إيجاب كفالة الأطفال الصغار؛ لأن الإنسان خلق ضعيفاً مفتقاً إلى من يكفله ويربيه حتى ينفع نفسه ويستغني بذاته، فهو من فروض الكفاية، لا يحل أن يترك الصغير دون كفالة ولا تربية حتى يهلك ويضيع⁽²⁾.

والحضانة تكون للنساء في وقت وتكون للرجال في وقت والأصل فيها النساء؛ لأنهن أشدق وأرق وأهدى إلى تربية الصغار ثم تصرف إلى الرجال؛ لأنهم على الحماية والصيانة وإقامة مصالح الصغار أقدر وجعل الشرع ولاية ذلك إلى من هو مشيق عليهم فجعل حق التصرف إلى الآباء لقوة رأيهم مع الشفقة والتصرف يستدعي قوة الرأي وجعل حق الحضانة إلى الأمهات لرفقهن في ذلك مع الشفقة وقدرهن على ذلك بنزوم البيوت والظاهر أن الأم أحلى وأشدق من الأب على الولد فتحتمل في ذلك من المشقة ما لا يتحمله الأب ، وفي تفويض ذلك إليها زيادة منفعة للولد، فإذا بلغت البنت المحسنة احتاجت إلى التزويج وولاية التزويج إلى الأب وصارت عرضة للفتنة ومطمئة للرجال، وبالرجال من الغيرة ما ليس للنساء فيتمكن الأب من حفظها على وجه لا تتمكن الأم من ذلك ، أما الغلام إذا استغنى فقد احتاج إلى تعلم أعمال الرجال والأب على ذلك أقدر واحتاج إلى من يثق به ويؤدبه والأب هو الذي يقوى على ذلك، وأن صحبة النساء مفسدة للرجال فإذا ترك عندها ينكسر لسانه ويميل طبعه إلى طبع النساء، فلهذا يدفع إلى الأب بعد ذلك، وترتيب الأولى بالحضانة يراعى فيه الأصلح للمحضون كما هو تفصيلها عند الفقهاء.⁽³⁾

ولا ثبتت الحضانة إلا على الطفل أو المعتوه، فأما البالغ الرشيد، فلا حضانة عليه، وإليه الخيرة في الإقامة عند من شاء من أبويه، فإن كان رجلا، فله الانفراد بنفسه، لاستغنائه عنهما، ويستحب أن لا ينفرد عنهما، ولا يقطع بره

(1) سنن أبي داود (588/3) رقم (2276) والحاكم في المستدرك (225/2) رقم (2830) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(2) المقدمات الممهدات (564/1).

(3) المبسط (207/5) بداع الصنائع (42-41/4) المقدمات الممهدات (564-562/1) من الجليل (4/ ص 420-424) أنسى المطالب (447/3) البيان للعمري (11-278/283) مغني المحتاج (195-191/5) المغني (240-238/8) كشاف القناع (497-495/5).

عنهم، وإن كانت جارية لم يكن لها الانفراد ولأبيها منعها منه؛ لأنه لا يؤمن أن يدخل عليها من يفسدها، ويحلق العار بها وبأهلها، وإن لم يكن لها أب، فلوليها وأهلها منعها من ذلك.⁽¹⁾

ويظهر تعزيز قيمة العدل في الحضانة من جهة أن الصغار لما كان بهم من العجز عن النظر لأنفسهم والقيام بحواجبهم؛ جعل الشعّر ولاية ذلك إلى من هو مشفق عليهم، وجعلت الحضانة حقاً لكل من الرجال والنساء من المستحقين لها، وذلك لقدرة الرجال على الحماية والصيانة وإقامة مصالح الصغار، ولصبر النساء على القيام برعایة الصغار ومزيد شفقتهن، كما أن مشروعية الحضانة فيها حفظ حقوق الصغار والكبار معاً، والمحضون إذا كان ممّيزاً وافتقر والداه، كان له الحق في اختيار حاضنه منهما إذا صلحاً لذلك، ولا يجبر على أحدهما، وعلى حاضن الصغير من الأب أو الأم إذا كان مفترقين ألا يمنع الآخر من رؤية المحضون وزيارتة والاطمئنان على أحواله، فالحمد لله الذي وسعت شريعته في أحکامها الكثير واليسير، وعمّ برحمته وعدله الكبير والصغير.

الخاتمة: وفيها نتائج البحث والتوصيات:

أولاً: النتائج:

- 1- العدل: ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور. عدل الحكم في الحكم يعدل عدلاً وهو عادل من قوم عدول وعدل، وعدل عليه في القضية، فهو عادل، والعدل: الحكم بالحق، يقال: هو يقضي بالحق ويعدل. وقيل: الأمر المتوسط بين طيف الإفراط والتغريط. وقيل: العدل: هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ما له. وعرف بتعريفات أخرى.

- 2- تتضح قيمة العدل في القرآن الكريم والشريعة الإسلامية، بأن الله تعالى أمر به، وأحكامه تعالى كلها عدل، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يعدل بين الناس، وأمر تعالى بإشهاد المتصفين به، فالعدل شرط في شهادة الشهود، وركن من أركان القضاء والحكم بين الناس، وأمر الكاتب في كتابة الديون أن يكتب بالعدل، وأن يملأ الولي بالعدل، ورتب على خوف عدم العدل الاقتصار على زوجة واحدة في النكاح، وأمر به في الحكم بين الناس، ونهى عن اتباع الهوى لتفوته العدل، وأمر بقول العدل ولو كان على قريب، وأن لا يحمل بعض الناس على عدم العدل معهم، بل المأمور به العدل حتى مع العدوّ المبغض، وأثنى الله تعالى على من اتصف به من خلق ومن قوم موسى ممن يقوم بالعدل، وجعل المتتصف بالعدل الذي يأمر به هو الخيار في المثل الذي ضربه الله تعالى لنفسه وللأصنام لإبطال المشاركة بينه وبينها، أو للمؤمن والكافر، والعدل متفق على حسناته والظلم متفق على قبحه، والعدل أساس العمران وسبب الاستقرار ، وطريق الأمان والأمان، والسلامة والإسلام، وكلّ ما خرج عن العدل إلى الجور فليس من الشريعة.

- 3- النظر للمخطوبية مما يعزّز العدل في بناء الحياة الزوجية فيؤدي الزوج الحقوق للزوجة عن طيب نفس ورغبة، وتقابله الزوجة بأداء واجباتها الزوجية برضاء ونشاط، وقد اعتاد الناس في العصر الحاضر أن يرتباً مجلساً للنظر للمخطوبية تتحقق السكينة والنية الصالحة بحضور أحد محارمها أو بعضهم، فتدخل المخطوبية ويرى منها

(1) المغني (239/8).

الخاطب وترى منه، وينظر إليها وتنظر إليه، وربما تجاذباً أطراف الحديث، فإذا كتب النصيб لهما في هذا الزواج كان مبناه متيناً مبنياً على مودة ووئام، وهذا أدعى لإقامة العدل في الحياة الزوجية والبعد عن الظلم وهضم الحقوق.

4- تحريم خطبة المسلم على خطبة أخيه عدل ودفع لظلم الخاطب الأول، لأن من سبق إلى مالم يسبق إليه مسلم فهو أحق به، ولهذا لا تجوز الخطبة على خطبته، ففيها إضرار به وتفويت لحقه، وهذا ظلم تدفعه الشريعة وتنمنعه.

5- تحريم خطبة المعتدة عن الوفاة والطلاق الثلاث ،فيحرم التصریح بخطبتها ويجوز التعريض بخطبة المعتدة؛ لأنه لما أباح التعريض دل على أن التصریح محرم، وأن التصریح لا يتحمل غير النکاح، فلا يؤمن أن يحملها الحرص على النکاح أن تخبر بانقضاء العدة، والتعريض يتحمل غير النکاح فلا يدعوها إلى الإخبار بانقضاء العدة، وهذا فيه حفظ لحق الزوج الأول، وحفظ للأنساب أن تختلط، وهذا من إقامة العدل في هذه الأبواب.

6- يظهر تعزيز قيمة العدل في عقد النکاح في اعتبار أركانه وشروطه، فالعلاقة الزوجية علاقة ظاهرة بيّنة يحتفي بها في الشريعة المطهرة، ويحفظ بعدها الحقوق وتؤدي الواجبات، وتحقق بها مصلحة الإعفاف ثم الإنجاب وتكتير نسل الأمة، وليس كالسفاح الممنوع الذي تهضم فيه حقوق المرأة ولا أرب للطرف الآخر فيه إلا قضاء الوطـر، دون تحمل لمسؤوليات أو أداء واجبات.

7- ندب سبحانه وتعالى إلى نکاح الواحدة عند خوف ترك العدل في الزيادة، وإنما يخاف على ترك الواجب، فدل أن العدل بين النساء في القسم والنفقة واجب، فالشريعة الإسلامية قائمة على تمام العدل في هذه الأبواب، ومن هذه الصور أن الزوج يقسم للزوجة المريضة، والرقاء، والقراء، والجائز، والنفساء، والمحرمة، والتي آلى منها أو ظاهر؛ لأن المقصود الإيواء والسكن، ويقسم الزوج المريض والمجبوب والعنين والمحرم؛ لأن الأنس يحصل به، وإن كان مجذوناً يخاف منه لم يقسم له الولي؛ لأنه لا يحصل به الأنس، وإن كان لا يخاف منه نظر فإن كان قد قسم لواحدة في حال عقله، ثم جن قبل أن يقضي لزم الولي أن يقضي للباقيات قسمهن منه، كما لو كان عليه دين، ومن النماذج التطبيقية لتمام العدل أن الزوجة المسلمة والكتابية سواء في القسم، وذلك لأن القسم من حقوق الزوجية، فاستوت فيه المسلمة والكتابية، كالنفقة والسكنى، ومن العدل في عشرة الزوجة وجوب مهر المثل لها إذا تزوجت بدون مهر، أو لم يسم لها مهر، والمقصود بمهر المثل مهر مثل نسلها من قبيلة أبيها، وكل هذه الأحكام وتفاصيلها نماذج لاعتبار قيمة العدل في أحكام فقه الأسرة، لستمر حياة الزوجين في وئام، تؤدي فيه الواجبات، وتحفظ فيه الحقوق، وينشأ داخل هذه الأسرة المستقرة جيل يتشرّب معاني العدل ويراهما شاهدة في سلوك الأبوين، ويتمثلها بعد في أخلاقه وتعاملاته.

8- يظهر تعزيز قيمة العدل في الطلاق من أنه ربما يفسد الحال بين الزوجين ويكون فيبقاء مفسدة لكل منهما، فكان في تشريع الطلاق تخلصاً لهما من المفاسد والضرر، وأن في الطلاق حل لعقد النکاح على نحو لا تضيع فيه حقوق أحد الزوجين.

9- عصمة النکاح بيد الزوج، وقد تبغض الزوجة زوجها وترغب في الطلاق منه، والزوج لا يرغب في طلاقها؛ لما تحمله من نفقات في المهر وتجهيز المسكن ونحو ذلك، فشرع الحلع بأن تدفع المرأة للرجل شيئاً مقابل حل

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

عقد النكاح حتى لا يكون في هذا ضرر بواحد منهم، وفي المقابل لما كان للزوج قطع النكاح إذا كره الزوجة، كان من العدل أن يكون للزوجة طلب الخلع من الزوج إذا كرهته مع دفع قدر من المال له، أو تنازلها عن بعض حقوقها.

10- ثبوت خيار فسخ النكاح لأحد الزوجين بسبب التغیر به أو لضرر أصحابه، أو فوات شرطه أو مقصوده من النكاح من محاسن الشريعة، وتحقيقها وتعزيزها لقيمة العدل في بناء الحياة الأسرية.

11- لما كان في الإيلاء ظلم للزوجة بالحلف بترك معاشرتها وجعلها معلقة لا هي مطلقة ولا ذات زوج، جعل الشرع من حق الزوجة مطالبة الزوج بحقها في الوطء أو رفع أمرها إلى القاضي طلباً للفيء أو الطلاق، فإن لم يرجع الزوج أو يطلق طلق عليه القاضي رفعاً للضرر عن المرأة.

12- تظهر قيمة العدل في الظهار في تغيير حكم الجاهلية فيه بما يحصل فيه نوع ردع للزوج، وعدم الإضرار بالزوجة، وإيجاد المخرج الشرعي للحفاظ على كيان الأسرة ووقايتها من الشتات.

13- يظهر العدل في أحكام اللعان من كونه حقاً لكل من الرجل والمرأة، ليدفع الرجل عن نفسه عار زنا الزوجة؛ ولئلا ينسب إليه من ليس من صلبه، ولتدفع المرأة به عن نفسها تهمة الزنا، وأن الله تعالى ساوي فيه بين عدد الشهادات والأيمان بين الرجل والمرأة، وأن الله تعالى ساوي في الأثر المترتب على اللعان بين الرجل والمرأة حيث إنه يتربّط على اللعان سقوط حد القذف عن الرجل، وسقوط حد الزنا عن المرأة.

14- تظهر قيمة العدل في أحكام العد في أن العدة تجمع بين حق الله تعالى وحق الزوج المطلق أو المتوفى وحق الزوجة وحق الولد وحق الزوج الثاني وحق المجتمع، حق الله تعالى وهو امتنال أمره وطلب مرضاته، وحق الزوج المطلق في الطلاق الرجعي في إعطاء فرصة له إذا ندم على الطلاق وأراد مراجعة زوجته، وحق الزوج المتوفى في الإحداث وإظهار تأثير فقده في المنع من التزين والتجميل، وحق الزوجة في النفقة والسكنى في مدة العدة، وحق الولد إذا كانت المعتدة حاملاً في ثبوت نسبة لوالده وفي النفقة وتوابعها، وحق للزوج الثاني، وهو أن لا يسقي ماءه زرع غيره، وحق المجتمع في عدم اختلاط الانساب، ورتيب الشارع على كل واحد من هذه الحقوق ما يناسبه من الأحكام، وهذا غاية العدل ومراعاة مصالح الأنام.

15- تظهر قيمة العدل في النفقات من جهة أن الشرع أوجب نفقة الزوجات على الأزواج لكون الزوجات محبوسات لحق الأزواج ممنوعات من الخروج من بيت الزوجية إلا بإذنه، وأوجب النفقات بقدر الكفاية لدفع حاجة المتفق عليه، وأوجب نفقة الأقارب بشرط يسار المتفق وفق المتفق عليه وعجزه عن الكسب، إلى غير ذلك من الشروط التي يذكرها الفقهاء، وهذا من تمام العدل والإحسان، بل إن الشريعة الإسلامية أوجبت نفقة البهيمة إذا ملكها الإنسان أو حازها، ورتيب أشد الوعيد على من عذبها أو تسبب في هلاكها تقصيراً وعدواناً.

16- يظهر تعزيز قيمة العدل في الحضانة من جهة أن الصغار لما كان بهم من العجز عن النظر لأنفسهم والقيام بحوائجهم؛ جعل الشرع ولاية ذلك إلى من هو مشفق عليهم، وجعلت الحضانة حقاً لكل من الرجال والنساء من المستحقين لها، وذلك لقدرة الرجال على الحماية والصيانة وإقامة مصالح الصغار، ولصبر النساء على القيام برعاية الصغار ومزيد شفقتهن، كما أن مشروعية الحضانة فيها حفظ لحقوق الصغار والكبار معاً، والمحضون إذا كان مميتاً وافترق والداه، كان له الحق في اختيار حاضنه منهما إذا صلحاً لذلك، ولا يجبر على أحدهما، وعلى حاضن

الصغير من الأب أو الأم إذا كان مفترقين ألا يمنع الآخر من رؤية المحضون وزيارته والاطمئنان على أحواله، فالحمد لله الذي وسعت شريعته في أحكامها الكثير واليسير، وعم برحمته وعدله الكبير والصغير.

الوصيات:

- 1 على دارسي الفقه أن ييزروا القيم التي تضمنتها الأحكام الفقهية ومنها قيمة العدل، في أحكام الفقه عامة، ويستوي في ذلك العبادات والمعاملات وفقه الأسرة والقضاء والجنایات والفرائض والوصايا والأوقاف.
- 2 ينبغي أن يكون لواضعى المقررات الدراسية في التعليم العام والمعاهد المتخصصة والجامعات دور كبير في إبراز القيم ضمن أهداف مقررات الفقه، وخصوصا قيمة العدل.
- 3 على مراكز البحوث والجامعات أن تدرج ضمن خططها البحثية موضوعات تهتم بتعزيز القيم وخصوصا قيمة العدل في الأحكام الفقهية، إظهاراً لمحاسن الإسلام، وبيان أن أحكامه مبنية على العدل التام.
- 4 على المهتمين بالإعلام إنتاج البرامج التي تغرس القيم وخصوصاً قيمة العدل في نفوس الصغار والكبار، والإفادة من الإرث الكبير لتراثنا الفقهي الراهن في هذا الجانب، حتى تتشعب نفوس المشاهدين والمتابعين بقيمة العدل وتتمثله سلوكاً وتعاملاً وأخلاقاً.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. الاختيار لتعليق المختار، للإمام عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي البلاذري، مجد الدين أبي الفضل الحنفي (ت 683هـ)، وعليها تعليقات: الشيخ محمود أبو دقحة ط: طبعة الحلبى: 1356هـ-1937م-القاهرة.
3. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم = تفسير أبي السعود، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
4. أنسى المطالب شرح روض الطالب، للشيخ زكريا بن محمد بن زكريا الأنصارى ، زين الدين أبي يحيى السنى (ت 926هـ)، تحقيق/د. محمد محمد تامر. ط:دار الكتب العلمية، الأولى: بيروت - 1422 هـ - 2000 هـ.
5. إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفى: 751 هـ)، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وأثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، شارك في التخريج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1423 هـ.
6. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوى (المتوفى: 685هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلى، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ.
7. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، المؤلف: زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: 970هـ)، وفي آخره: تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوسي الحنفي القادري (ت بعد 1138 هـ)، وبالحاشية: منحة الخالق لابن عابدين، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية – بدون تاريخ.
8. البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسى (المتوفى: 745هـ)، المحقق: صدقى محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: 1420 هـ.
9. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، المؤلف: علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: 587هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، 1406 هـ - 1986 م.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بزار، جمهورية صربيا

10. **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، المؤلف: مجذ الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ)، المحقق: محمد علي التجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
11. **البنيان شرح الهدایة**، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: 855هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.
12. **البيان في مذهب الإمام الشافعي**، المؤلف: أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العماني اليمني الشافعي (المتوفى: 558هـ)، المحقق: قاسم محمد النوري، الناشر: دار المنهاج - جدة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م.
13. **تاج العروس من جواهر القاموس**، المؤلف: محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الرَّبَّيدِي (المتوفى: 1205هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهدایة.
14. **التاج والإكليل لمختصر خليل**، المؤلف: محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغزناطي، أبو عبد الله المواق المالكي (المتوفى: 897هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1994 م.
15. **تبیین الحقائق شرح کنز الدقائق وحاشیة الشلّبی**، المؤلف: عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى: 743 هـ)، الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يonus بن إسماعيل بن يونس الشلّبی (المتوفى: 1021 هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1313 هـ.
16. **التجريد لنفع العبيد = حاشية البجيري على شرح المنهاج** (منهج الطالب اختصره رَكِيَا الأنصارى من منهاج الطالبين للنبوى ثم شرحه في شرح منهج الطالب)، المؤلف: سليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرِيِّ المصري الشافعى (المتوفى: 1221هـ)، الناشر: مطبعة الحلبي، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1369 هـ - 1950 م.
17. **تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج** (على ترتيب المنهاج للنبوى)، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعى المصرى (المتوفى: 804هـ)، المحقق: عبد الله بن سعاف اللحيانى، الناشر: دار حراء - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1406هـ.
18. **تفسير الإمام الشافعى**، المؤلف: الشافعى أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ)، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرمان (رسالة دكتوراه)، الناشر: دار التدمرية - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1427 - 2006 م.
19. **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - 1419 هـ.
20. **تفسير القرآن العظيم**، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامه، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420 هـ - 1999 م.
21. **تفسير القرآن**، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعانى التميمي الحنفى ثم الشافعى (المتوفى: 489هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1997 م.
22. **تفسير الماتريدي (تأویلات أهل السنة)**، المؤلف: محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

23. **تفسير الماوردي = النكت والعيون**، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
24. **تفسير عبد الرزاق**، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصناعي (المتوفى: 211هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، سنة 1419هـ.
25. **التوقيف على مهام التعريف**، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، الناشر: عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت-القاهرة، الطبعة: الأولى، 1410هـ-1990م.
26. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معاذا اللويحي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ - 2000م.
27. **جامع البيان في تأويل القرآن**، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبرى (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 2000م.
28. **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م.
29. **الجوهرة النيرة**، المؤلف: أبو بكر بن علي بن محمد الحدادي العبادي الزبيدي اليمني الحنفي (المتوفى: 800هـ)، الناشر: المطبعة الخيرية، الطبعة: الأولى، 1322هـ.
30. **حاشية العدوى على شرح كفاية الطالب الريانى**، المؤلف: أبو الحسن، علي بن أحمد بن مكرم الصعیدي العدوی (نسبة إلى بنی عدی، بالقرب من منفلوط) (المتوفى: 1189هـ)، المحقق: يوسف الشیخ محمد البقاعی، الناشر: دار الفکر - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1414هـ - 1994م.
31. **الحدود الأنفقة والتعريفات الدقيقة**، المؤلف: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنیکی (المتوفى: 926هـ)، المحقق: د. مازن المبارك، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت، الطبعة: الأولى، 1411هـ.
32. **دقائق أولى النهى لشرح المنتهي المعروف بشرح منتهي الإرادات**، المؤلف: منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى (المتوفى: 1051هـ)، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1993م.
33. **الذخيرة**، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: 684هـ)، المحقق: جزء 1، 8، 13: محمد حجي، جزء 2، 6: سعيد أعراب، جزء 3 - 5، 7، 9 - 12: محمد بو خبزة، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1994م.
34. **رد المحتار على الدر المختار**، المؤلف: ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: 1252هـ)، الناشر: دار الفكر-بيروت، الطبعة: الثانية، 1412هـ - 1992م.
35. **زاد المسير في علم التفسير**، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدى، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422هـ.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

36. سنن ابن ماجه ت الأرناؤوط، المؤلف: ابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: 273هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بلي - عبد اللطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م.
37. سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275هـ)
38. سنن الترمذى، المؤلف: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الصحاك، الترمذى، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج 4، 5)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبى - مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م.
39. السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراسانى، النسائى (المتوفى: 303هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شبلى، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركى، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
40. السيل الجرار المتدايق على حدائق الأزهار، المؤلف: محمد بن علي بن عبد الله الشوكانى اليمنى (المتوفى: 1250هـ)، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الطبعة الأولى.
41. شرح السنة، المؤلف: محيى السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوى الشافعى (المتوفى: 516هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامى - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، 1403هـ - 1983م.
42. شرح مختصر خليل للخرشى، المؤلف: محمد بن عبد الله الخرسى المالکى أبو عبد الله (المتوفى: 1101هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة - بيروت، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
43. شرح مشكل الآثار، المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدى الحجري المصري المعروف بالطحاوى (المتوفى: 321هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى - 1494 هـ، 1415 هـ - 2003 م.
44. صحيح البخارى=الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخارى الجعفى، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (بصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
45. صحيح مسلم المسند الصحيح المختصر ينقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربى، بيروت.
46. العدة شرح العمدة، المؤلف: عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد، أبو محمد بهاء الدين المقدسي (المتوفى: 624هـ)، الناشر: دار الحديث، القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1424هـ 2003 م.
47. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبى (المتوفى: 756هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996 م.
48. العناية شرح الهدایة، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومي البابرتى (المتوفى: 786هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بزار، جمهورية صربيا

49. غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، المؤلف: أحمد بن محمد مكي، أبو العباس، شهاب الدين الحسيني الحموي الحنفي (المتوفى: 1098هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1405هـ - 1985م.
50. فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - 1414هـ.
51. فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب المعروف بحاشية الجمل (منهج الطلاب اختصره زكريا الأنصاري من منهاج الطالبين للنwoي ثم شرحته في شرح منهج الطلاب)، المؤلف: سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري، المعروف بالجمل (المتوفى: 1204هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
52. الفواكه الدوani على رسالة ابن أبي زيد القيروانى، المؤلف: أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوى الأزهري المالكى (المتوفى: 1126هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1415هـ - 1995م.
53. الكافي في فقه الإمام أحمد، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقى الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1994م.
54. كتاب التعريفات، المؤلف: علي بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ - 1983م.
55. كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدين علي بن سليمان المرداوى، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامى ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: 763هـ)، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركى، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1424هـ - 2003م.
56. كشاف الفناع عن متن الإقناع، المؤلف: منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى (المتوفى: 1051هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية.
57. كشف الأسرار شرح أصول المزدوى، المؤلف: عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخارى الحنفى (المتوفى: 730هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامى، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
58. الكليات معجم في المصطلحات والفرق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القرىمي الكفوبي، أبو البقاء الحنفى (المتوفى: 1094هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.
59. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414هـ.
60. المبدع في شرح المقنعم، المؤلف: إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (المتوفى: 884هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1997م.
61. المبسوط، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: 483هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1414هـ - 1993م.
62. المجموع شرح المذهب ((مع تكميلة السبكي والمطيعي)) ، المؤلف: أبو زكريا محيى الدين يحيى بن شرف النwoي (المتوفى: 676هـ)، الناشر: دار الفكر.
63. المعحر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربى (المتوفى: 542هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافى محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422هـ.

9-8 نوفي بزار، جمهورية صربيا

64. المحقق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م.
65. المحلى بالآثار، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت.
66. المدونة، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبهي المدني (المتوفى: 179هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1415هـ - 1994م.
67. المستدرک على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدویه بن یعیم بن الحکم الصبی الطھمانی النیسابوری المعروف بابن البیع (المتوفی: 405هـ)، تحقیق: مصطفی عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1411هـ - 1990م.
68. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسیر البغوي، المؤلف: محیی السنّة، أبو محمد الحسین بن مسعود البغوي (المتوفی: 510هـ)، المحقق: حققه وخرج أحادیثه محمد عبد الله التمر - عثمان جمعة ضمیریة - سلیمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1417هـ - 1997م.
69. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشريیني الشافعی (المتوفی: 977هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1415هـ - 1994م.
70. المغني لابن قدامة، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفی: 620هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1388هـ - 1968م.
71. مفاتيح الغیب = التفسیر الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التیمی الرازی الملقب بفخر الدین الرازی خطیب الری (المتوفی: 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420هـ.
72. مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزوینی الرازی، أبو الحسین (المتوفی: 395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م.
73. المقدمات الممهدات، المؤلف: أبو الولید محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفی: 520هـ)، تحقیق: الدكتور محمد حجي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1408هـ - 1988م.
74. منح الجليل شرح مختصر خليل، المؤلف: محمد بن أحمد بن محمد علیش، أبو عبد الله المالکی (المتوفی: 1299هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1409هـ/1989م.
75. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحاجاج = شرح النووی على مسلم، المؤلف: أبو زکریا محبی الدین یحیی بن شرف النووی (المتوفی: 676هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، 1392.
76. مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطراویسی المغری، المعروف بالخطاب الرعنی المالکی (المتوفی: 954هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الثالثة، 1412هـ - 1992م.
77. الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، عدد الأجزاء: 45 جزءاً، الطبعة: (من 1404 - 1427هـ)، ..الأجزاء 1 - 23: الطبعة الثانية، دارالسلاسل - الكويت، ..ال الكويت، ..الأجزاء 24 - 38: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوہ - مصر، ..الأجزاء 39 - 45: الطبعة الثانية، طبع الوزارة.

9-8 نوفي بazar. جمهورية صربيا

78. **النُّفَفُ فِي الْفَتاوِيِّ**, المؤلف: أبو الحسن علي بن الحسين بن محمد السُّعْدِي, حنفي (المتوفى: 461هـ), المحقق: المحامي الدكتور صلاح الدين الناهي, الناشر: دار الفرقان / مؤسسة الرسالة - عمان الأردن / بيروت لبنان، الطبعة: الثانية، 1984 – 1404.
79. **نِهايَةِ الْمُحْتَاجِ إِلَى شِرْحِ الْمُنْهَاجِنِ** المؤلف: شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (المتوفى: 1004هـ), الناشر: دار الفكر, بيروت, الطبعة: ط أخيرة – 1404هـ/1984م.
80. **الْوَجِيزُ فِي فَقْهِ السَّنَةِ وَالْكِتَابِ الْعَزِيزِ**, المؤلف: عبد العظيم بن بدوي بن محمد, قدم له: فضيلة الشيخ / محمد صفوت نور الدين, فضيلة الشيخ / محمد صفوت الشوادفي, فضيلة الشيخ / محمد إبراهيم شقرة, الناشر: دار ابن رجب – مصر, الطبعة: الثالثة، 1421 هـ – 2001 م.

قيمة العدل والإنصاف ودورها في الدعوة إلى الله

من خلال كتاب سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي

د. طالب بن أحمد الهمامي

أستاذ مساعد بكلية العلوم والآداب بشرورة -جامعة نجران /السعودية

ملخص البحث:

إن العالم اليوم يشهد متغيرات متسارعة ، وتحديات متعددة في مجالات متنوعة ومتباينة ، تختلف عمليات التأثير والتأثير فيما بينها بحسب طبيعة كل مجال وسياقاته ، والعوامل المؤثرة فيه سلباً وإيجاباً.

وإن المتأمل في المصادر الإسلامية يجدها زاخرة بالكثير من القيم التربوية التي سطر المسلمون بها أعلى معاني السمو الأخلاقي والرقي الروحي لمواجهة تلك التحديات وغيرها.

بل إنهم رسموها في أجيال الأمة الناشئة، فعاشت أمتنا الإسلامية فترة من الزمان رائدة للعالم وفي مقدمة الدول العالمية، وسطر التاريخ تلك القيم في سير وحياة أولئك الأفذاذ .

ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتكشف شيئاً من أهم تلك القيم وهما قيمة العدل والإنصاف ودورها في نشر الدعوة إلى الله من خلال كتاب سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي – رحمه الله.-

أهداف الدراسة:

- 1 - بيان أهمية قيمة العدل والإنصاف ..
- 2 - إبراز مواقف السلف الصالح في ترسیخ هذه القيمة في عقول الناشئة وتربيتهم عليها منهجاً وسلوكاً.
- 3 - تسليط الضوء على الدور التربوي لهذه القيمة في نشر العلم والدعوة إلى الله.

مشكلة الدراسة:

القيم تعكس على مستقبل الإنسان وتكييفه مع الحياة وفق مراد الله، وهذا في الحقيقة راجع إلى أن القيم تمثل محددات نمتلكها.

9-8 أبريل 2019 -نوفي بزار، جمهورية صربيا

ومن بين أهم تلك القيم التي يحتاجها كل داعية ومربي ، قيمة العدل والإنصاف فبهما تتحقق الكثير من المنافع التربوية والعلمية والدعوية على مختلف المجالات ، وعلى مستوى المجتمعات والمؤسسات التربوية والتعليمية والدعوية.

منهجية الدراسة:

اتبعت في هذه الدراسة المنهج التأريخي الاستقرائي والاستباطي، حيث جمعت نماذج من مواقف السلف الصالح التي تبرز دور هذه القيمة التربوية الحوارية وتعليقات الذهبي عليها، ومن ثم استخلصت القواعد التربوية من هذه المواقف وبيّنت أثراها في نشر العلم والدعوة إلى الله، مدعماً هذه النتائج والقواعد بنصوص الوحي المقدس وموافقة أهل الاختصاص في هذا المجال.

وقد وُسمت هذه الدراسة بعنوان(قيمة العدل والإنصاف عند السلف الصالح ودورها في نشر الدعوة إلى الله) – وقد جعلتها في تمهيد ومبثرين وخاتمة :

والتمهيد اشتمل على : التعريف بمصطلحات الدراسة.

والباحث الأول : قيمة العدل والإنصاف عند السلف الصالح – رضي الله عنهم -.

وفيه مطلبان : المطلب الأول : بيان أهمية قيمة العدل والإنصاف في حياة السلف الصالح رحمهم الله .

المطلب الثاني : قواعد تربية مستقاة من هذه القيمة.

والباحث الثاني : دور قيمة العدل والإنصاف في نشر العلم والدعوة إلى الله

وفيه مطلبان : المطلب الأول : دور هذه القيمة التربوية الحوارية في نشر العلم .

المطلب الثاني : دور هذه القيمة التربوية الحوارية في نشر الدعوة إلى الله.

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

والحمد لله أولاً وآخرًا...

مقدمة:

الحمد لله الذي جعل للمؤمنين شرعةً ومنهاجاً وأبان للسالكين طریقاً ليس فيه اعوجاجاً، وأرشد التائهيین إلى سبیله فدخل الناس في دینه أزواجاً، وصلى الله وسلم على رسول الهدی ومصباح الدجی الذي أرسله الله نوراً وهاجاً، وجعل سنته للسائرين بحراً ثجاجاً وطريقته للمصلحین قوة وحجاجاً وسلم تسليماً كثیراً، أما بعد:

إن العالم اليوم يشهد متغيرات متسرعة، وتحديات متعددة في مجالات متعددة ومتباينة، تختلف عمليات التأثير والتأثير فيما بينها بحسب طبيعة كل مجال وسياقاته ، والعوامل المؤثرة فيه سلباً وإيجاباً.

وإن المتأمل في المصادر الإسلامية يجدها زاخرة بالكثير من القيم التربوية التي سطر المسلمون بها أعلى معاني السمو الأخلاقي والرقي الروحي لمواجهة تلك التحديات وغيرها.

بل إنهم رسخوها في أحياط الأمة الناشئة، فعاشت أمتنا الإسلامية فترة من الزمان رائدة للعالم وفي مقدمة الدول العالمية، وسطّر التاريخ تلك القيم في سير وحياة أولئك الأفذاذ .

والقيم تتعكس على مستقبل الإنسان وتكييفه مع الحياة وفق مراد الله، وهذا في الحقيقة راجع إلى أن القيم تمثل محددات نمتلكها.

ومن بين أهم تلك القيم التي يحتاجها كل داعية ومربي ، قيمة العدل والإنصاف فبهما تتحقق الكثير من المنافع التربوية والعلمية والدعوية على مختلف المجالات ، وعلى مستوى المجتمعات والمؤسسات التربوية والتعليمية والدعوية.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتكشف شيئاً من أهم تلك القيم وهما قيمة العدل والإنصاف ودورها في نشر الدعوة إلى الله من خلال كتاب سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي – رحمه الله.-

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في تناولها لأحد الموضوعات المهمة – موضوع القيم – وبالتحديد قيمة العدل والإنصاف، وتبين أهمية الدراسة في بعض الجوانب من أهمها:

1 – يؤكد المتخصصون ⁽¹⁾ على أهمية القيم وتعدد مجالاتها، وإعادة دراسة هذا الموضوع كل فترة زمنية؛ لما يحدث عامل الزمن من تغيرات في أنساق القيم وتبدلاته في أحوال الناس مما يجب أن نتوقف لنشهد أثر تلك القيم، وبالتالي نطور دور مؤسساتنا في تنميتها.

2 – أن هذه الدراسة توضح قيمة العدل والإنصاف لدى سلفنا الصالح وكيف كانت سلوكاً ومنهجاً يسيرون عليه.

3 – تبرز الدراسة دور هذه القيمة في نشر العلم والدعوة إلى الله.

4 – توضح هذه الدراسة إمكانية ترسيخ هذه القيمة في الواقع المعاصر.

أهداف الدراسة:

1 – بيان أهمية قيمة العدل والإنصاف عند السلف الصالح.

2 – إبراز مواقف السلف الصالح في ترسيخ هذه القيمة في عقول الناشئة وتربيتهم عليها منهجاً وسلوكاً.

3 – تسليط الضوء على الدور التربوي لهذه القيمة في نشر العلم والدعوة إلى الله.

⁽¹⁾ كما يؤكد ذلك د. سعيد إسماعيل في كتابه (جامعات تحت الحصار) دار عالم الكتب، القاهرة، 2008م، ص 12.

الدراسات السابقة:

لقد اطلعت على بعض الرسائل العلمية والدراسات التي تتحدث عن القيم بمنظور عام وفي مجالات محددة وتطبيقاتها على فئات معينة مثل:

1 – دراسة (عبدالمجيد العياصرة) المفاهيم والقيم المتخصصة في قصص الأنبياء في القرآن الكريم ودلالاتها التربوية، أطروحة دكتوراه من جامعة اليرموك، 2010 م.

2 – دراسة (سمر محمد علي إسماعيل رياضة) القيم التربوية في قصة نبي الله سليمان – عليه السلام – وتطبيقاتها التربوية. رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، 2014 م.

وتتفق الدراسة الحالية والدراسات السابقة في تناولها موضوع القيم ؛ إلا أنها اختلفت عنها في بعض الجوانب منها:

1 – أن هذه الدراسة تركز على قيمة العدل والإنصاف.

2 – الدراسو الحالية تركز على مواقف وأقوال السلف تجاه هذه القيم.

3 – اتخذت الدراسة أنوذجاً تطبيقياً وهو الإمام الذهبي – رحمة الله – وكتابه سير أعلام النبلاء.

4 – اتخذت الدراسة المنهج التأريخي والاستقرائي والاستباطي منهجاً لها بخلاف الدراسات السابقة.

حدود الدراسة:

سوف تركز الدراسة على ترجم أعلام الأمة الكبار الذين رسخوا هذه القيمة بأقوالهم وأعمالهم وسلوكهم، ودورهم البارز في نشر العلم والدعوة إلى الله عن طريق هذه القيمة التربوية، (الإمام الذهبي – رحمة الله –).

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في إمكانية تطبيق هذه القيمة في واقعنا المعاصر وتجاوز التحديات التي تقف أمام ذلك وكيفية الإفاداة منها في تربية الأجيال المسلمة.

ويمكن تحديد مشكلة الدراسة في الإجابة عن التساؤلات التالية:

س – ما إمكانية تطبيق قيمة العدل والإنصاف في واقعنا المعاصر؟

س – هل هناك صعوبات وتحديات تواجهنا في تطبيق هذه القيمة؟

س – كيفية الإفاداة من سير أعلام الأمة الذين طبقوا هذه القيمة في حياتهم؟

منهجية الدراسة:

9-8 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

اتبعت في هذه الدراسة المنهج التأريخي الاستقرائي والاستنباطي، حيث جمعت كثيراً من مواقف السلف الصالح التي تبرز دور هذه القيمة التربوية الحوارية ومن ثم استخلصت القواعد التربوية من هذه المواقف وبينت أثرها في نشر العلم والدعوة إلى الله، مدعماً هذه النتائج والقواعد بنصوص الوحي المقدس وموافقة أهل الاختصاص في هذا المجال.

خطة الدراسة البحثية:

جعلتها في تمهيد وبحثين وخاتمة :

والتمهيد اشتمل على : التعريف بمصطلحات الدراسة.

والباحث الأول : قيمة العدل والإنصاف عند السلف الصالح – رضي الله عنهم - .

وفيه مطلبان : المطلب الأول : بيان أهمية قيمة العدل والإنصاف في حياة السلف الصالح رحمهم الله .

المطلب الثاني : قواعد تربوية مستقاة من هذه القيمة.

والباحث الثاني : دور قيمة العدل والإنصاف في نشر العلم والدعوة إلى الله

وفيه مطلبان : المطلب الأول : دور هذه القيمة التربوية الحوارية في نشر العلم .

المطلب الثاني : دور هذه القيمة التربوية الحوارية في نشر الدعوة إلى الله.

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

والحمد لله أولاً وآخرًا.

التمهيد: التعريف بمصطلحات الدراسة.

تتضمن مصطلحات الدراسة الكلمات التالية:

أولاً: القيم:

جمع قيمة وهي واحدة القيم وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء، يقال: قومت السلعة... والاستقامة: الاعتدال، وقومت الشيء فهو قوي، أي مستقيم، والقوام العدل. ⁽¹⁾

ومما يتبين أن مادة (قوم) ⁽²⁾ استعملت في اللغة لعدة منها:

1 – قيمة الشيء وثمنه.

⁽¹⁾ انظر: الصحاح للجوهرى (5 / 2017) .

⁽²⁾ انظر: الصحاح للجوهرى (5 / 2017) ولسان العرب لابن منظور (12 / 500) والقاموس المحيط (1152).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار، جمهورية صربيا

2 – الاستقامة والاعتدال.

3 – نظام الأمر وعماده.

4 – الثبات والدوم والاستمرار.

والأقرب إلى هذه الدراسة أن المراد بالقيمة هي الثبات والدوم والاستمرار على الشيء، ولذا لا يمكن أن يكون للشيء قيمة إلا إذا داومت عليه وأصبح سلوكاً ومنهجاً.

وفي الاصطلاح: هي: (القوامة التي تقوم عليها الحياة الإنسانية وتحتفل بها عن الحياة الحيوانية، كما تختلف الحضارات بحسب تصورها لها).⁽¹⁾

وقيل: (حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتمياً بمجموعة من المبادئ والمعايير التي ارتضتها الشرع محدداً المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك).⁽²⁾

وقيل: "مجموعة من الأهداف والقوانين والمثل العليا التي توجه الإنسان سواء في علاقته بالعالم المادي أو الاجتماعي أو السماوي".⁽³⁾

وقيل: "مجموعة المفاهيم والتصورات التي يصدرها الفرد بدرجات متفاوتة من التفضيل للأشياء والمواضيعات وذلك في ضوء تقديره وتقييمه لهذه الموضوعات".⁽⁴⁾

ولعل الأقرب أن القيم هي مجموعة المبادئ والمعايير التي حددتها الشرع المطهر حتى تصبح سلوكاً ومنهجاً لمتبعي هذا الشرع.

ثانياً: العدل

في اللغة: العدل خلاف الجور، وهو القصد في الأمور، وما قام في النقوص أنه مستقيم، من عَدْلٍ يَعْدِلُ فهو عادل من عُدُولٍ وعَدْلٍ، يقال: عَدْلٌ عليه في القضية فهو عادل. وبسط الوالي عَدْلُه.⁽⁵⁾

والعدل في الاصطلاح هو: (أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه).⁽⁶⁾

⁽¹⁾ انظر: الثقافة الإسلامية تخصصاً ومادةً وقسمًا علمياً، عبدالله الطريقي وآخرون، (14) ط 1، 1417 هـ.

⁽²⁾ انظر: القيم بين الإسلام والغرب، د. مانع المانع (15) دار الفضيلة، ط 1 ، 1426 هـ .

⁽³⁾ انظر: الرائد في اللغة، جبران مسعود (470) مكتبة لبنان، بيروت، 1986 م.

⁽⁴⁾ انظر: ارقاء القيم، عبداللطيف خليفة، (23) سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2007 م.

⁽⁵⁾ انظر: الصحاح للجوهري (5 / 2017) ولسان العرب لابن منظور (12 / 500) والقاموس المحيط (1152) .

⁽⁶⁾ الأخلاق والسير لابن حزم (81) .

9-8 نوفي بزار، جمهورية صربيا

وقيل هو: (عبارة عن الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عما هو محظوظ دينًا) ⁽¹⁾.

وقيل هو: (استعمال الأمور في مواضعها، وأوقاتها، ووجوهاها، ومقاديرها، من غير سرف، ولا تقصير، ولا تقديم، ولا تأخير) ⁽²⁾.

والمحظوظ من هذه التعريفات أن العدل هو استعمال الأمور في مواضعها ومقاديرها من غير زيادة ولا نقصان.

ثالثاً: الإنصاف

الإنصاف إعطاء النصف من نفسه، ⁽³⁾ وقال الفيروز أبادي: والإنصاف: العدل والاسم: النصف والنصفة محركتين. ⁽⁴⁾

وفي الاصطلاح: قال المناوي: الإنصاف: هو العدل في المعاملة بأن لا يأخذ من صاحبه من المنافع إلا ما يعطيه، ولا ينيله من المضار إلا كما ينيله. وقيل: هو استيفاء الحقوق لأربابها واستخراجها بالأيدي العادلة والسياسات الفاضلة، وهو والعدل توءمان نتيجتهما على الهمة وبراءة الذمة ⁽⁵⁾.

والفرق بين الإنصاف والعدل: أن الإنصاف إعطاء النصف، والعدل يكون في ذلك وفي غيره، ألا ترى أن السارق إذا قطع قيل إنه عدل عليه ولا يقال إنه أنصف، وأصل الإنصاف أن تعطيه نصف الشيء وتأخذ نصفه من غير زيادة ولا نقصان. ⁽⁶⁾

ويظهر من أوجز التعريفات للإنصاف: أنه إعطاء الحقوق لأهلها سواء في حالة الرضا أو الغضب أو الحب أو الكره، أو القرب أو البعد.

المبحث الأول: قيمة العدل والإنصاف عند السلف الصالح - رضي الله عنهم -

وفي مطلبان:

المطلب الأول: بيان أهمية قيمة العدل والإنصاف في حياة السلف الصالح رحمهم الله .

⁽¹⁾ التعريفات للجرجاني (187).

⁽²⁾ تهذيب الأخلاق للجاحظ (28).

⁽³⁾ انظر: لسان العرب، ابن منظور(332/9).

⁽⁴⁾ القاموس المحيط للفيروز أبادي(856).

⁽⁵⁾ التوقيف على مهامات التعريف، لعبدالرؤوف المناوي (65) عالم الكتب، القاهرة، ط 1 ، 1410 هـ.

⁽⁶⁾ انظر: معجم الفروق اللغوية، أبوهلال العسكري (80).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار، جمهورية صربيا

لقد أرسل الله رسله وأنزل معهم ميزان العدل؛ ليقوم الناس بالقسط، وما ذلك إلا لأهمية العدل والإنصاف في حياة الناس، قال تعالى: **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًاٍ مِّنْ أُمَّتِنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُولُوا إِنَّمَا
بِالْقِسْطِ وَأَنَّلَّا أَحَدٌ يُفْسِدُ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرَسُولُهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ
اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ** [الحديد: 25].

ووردت نصوص قرآنية وأحاديث نبوية كثيرة تأمر بالعدل والإنصاف وترغب فيه، وتمدح من يقوم به.

قال ابن القيم: "إن الله سبحانه وأرسل رسله وأنزل كتبه؛ ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به الأرض والسموات، فإذا ظهرت أمارات العدل، وأسفر وجهه بأي طريق كان؛ فثم شرع الله ودينه".⁽¹⁾

والعدل هو الخلق العظيم الذي يجمع محسن الأخلاق كلها، وبه يستقيم حال الناس، والدعاة إلى الله مأمورون بالعدل التزاماً ودعوة، يلتزمونه سلوكاً ويدعون إليه خلقاً ومنهاجاً. وتتضاح أهمية هذه القيمة عند السلف الصالح في النقاط التالية:

أولاً: العدل والإنصاف في الأحكام والأقوال:

**بُنِيتْ شَرِيعَةُ مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَلَى الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَحْكُومٍ تَنْزِيلَهُ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ
بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۝ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ** [النحل: 90].

وانظر إلى تميز السلف الصالح – رحمهم الله – في انتهاج هذه القيمة – العدل والإنصاف – في أقوالهم وأحكامهم على الآخرين، ففي ترجمة سعيد بن زيد – رضي الله عنه – يقول الذهبي – رحمه الله –: «فهذا ما تيسر من سيرة العشرة، وهم أفضل قريش، وأفضل السابقين المهاجرين، وأفضل البدريين، وأفضل أصحاب الشجرة، وسادة هذه الأمة في الدنيا والآخرة.

فأبعد الله الرافضة ما أغواهم، وأشد هواهم، كيف اعترفوا بفضل واحد منهم، وبخسوا التسعة حقهم، وافتروا عليهم بأنهم كتموا النص في علي أنه الخليفة؟.

فوالله ما جرى من ذلك شيء، وأنهم زوروا الأمر عنه بزعمهم، وخالقو نبيهم، وبادروا إلى بيعة رجل منبني تيم، يتجر ويتكسب، لا لرغبة في أمواله، ولا لرهبة من عشيرته ورجاله، ويحك أي فعل هذا من له مسكة عقل؟ ولو جاز هذا على واحد لما جاز على جماعة، ولو جاز وقوعه من جماعة، لاستحال وقوعه والحالة هذه من ألوف من

(1) الطرق الحكمية، ابن القيم (19).

سادة المهاجرين والأنصار، وفرسان الأمة، وأبطال الإسلام، لكن لا حيلة في براء الرفض، فإنه داء مزمن، والهوى نور يقذفه الله في قلب من يشاء، فلا قوة إلا بالله».⁽¹⁾

هذا والله هو العدل مع خيرة هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم ، وما وقع فيه الرافضة والخوارج من تقصّهم وتجريحهم هو عين الظلم والبهتان، فالبعد عن نهجهم الجائر هو ما أكدته أقوال السلف وأحكامهم في الذب عن الصحابة – رضي الله عنهم – بالغالي والنفيس.

ومن العدل في الأحكام، ما بينه أهل السنة والجماعة في منهجمهم تجاه الفرق الضالة، وأن أهل السنة وسط عدل

بين الغالي والجافي، وهذا ما أمر الله به نبيه – صلى الله عليه وسلم – بقوله: **فَلِذِكْرِ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا امْرَتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءِهِمْ وَقُلْ إِمَّا نَّأَنَّا مِنْ كِتَابٍ وَأَمْرَتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ تَعَالَى جَمِيعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ** [الشورى: 15]

قال الطبرى: "أمر نبى الله – صلى الله عليه وسلم – أن يعدل، فعدل حتى مات صلوات الله وسلامه عليه".⁽²⁾

فهذا هو المنهج الحق وهو العدل في الحكم والتوجيه والمسير؛ الذي سار عليه السلف الصالح وما بدّلوا تبديلاً.

ثانياً: العدل والإنصاف أساس الملك والتمكين:

جاء عند الذهبي – رحمه الله – في السير ثناؤه على قضاة العدل، لأن القضاء العادل سبب التمكين والبقاء للملك، فقال في ترجمة عافية بن يزيد: «كان من العلماء العاملين، ومن قضاة العدل». ⁽³⁾

ويؤيد هذا ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة؛ ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام".⁽⁴⁾

وهذا يبين لنا أن العدل أساس الملك والتمكين في الأرض، وما أقيمت العدل والقسط في أرض إلا كتب الله لأهلها النصر والتمكين والبقاء.

ثالثاً: انتشار الأمن بالعدل والإنصاف:

العدل سبب الأمان، فإذا أخذ الناس حقوقهم ساد الأمن بينهم، وانتشرت الطمأنينة في النفوس، ويشعر الناس بالاستقرار.

⁽¹⁾ سير أعلام النبلاء للذهبي (141_140/1) ترجمة رقم 6.

⁽²⁾ الجامع لأحكام القرآن، الطبرى (517/21).

⁽³⁾ سير الأعلام (399/7) ترجمة رقم 145.

⁽⁴⁾ مجموع الفتاوى، ابن تيمية (146/28).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بزار، جمهورية صربيا

وهذا ما بيئنه الذهبي – رحمه الله – في ترجمة عبد الرحمن الناصر سلطان الأندلس، فقال: «ولم يزل عبد الرحمن يغزو حتى أقام العوج، ومهد البلاد، ووضع العدل، وكثُرَ الأمان،... وصارت الأندلس أقوى ما كانت وأحسنها حالاً»⁽¹⁾

بالعدل يعم الأمان، وتخدم الفتنة، وتزدهر البلدان بالعمارة والعلم، وتومن السبل، ويسود رغد العيش، قال – صلى الله عليه وسلم –: «من أصبح منكم آمناً في سربه معافاً في جسمه عنده طعام يومه فكأنما حيزت له الدنيا».⁽²⁾

رابعاً: تطبيق الشريعة هو العدل والإنصاف:

إنَّ تطبيق شرع الله في الأرض هو العدل والإنصاف الذي قامت عليه السماوات والأرض، ومن تطبيق شريعة الله وإقامة العدل بين الناس، تطبيق الأحكام على القوي والضعيف والشريف والوضيع، ففي ترجمة البرسقي يقول الذهبي – رحمه الله: «وكان ديناً عادلاً، حسن الأخلاق، وصى قاضيه بالعدل، بحيث إنه أمر زوجته أن تدعى عليه بصدقها، فنزل إلى قاضيه، وجلس بين يديه، فتأدب كل أحد».⁽³⁾

وقد جاء في حديث عائشة – رضي الله عنها – أنَّ قريشاً أهملهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله – صلى الله عليه وسلم –؟ فقالوا: ومن يجرئ عليه إلا أساميَّة، حب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فكلمه أساميَّة، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : «أتشفع في حد من حدود الله؟» ثم قام فاختطبه، فقال: «أيها الناس، إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعنا يدها».⁽⁴⁾

بهذا العدل استقرت الدولة الإسلامية عبر العصور المتالية، ونصرها الله على الأعداء، كما قال الله تعالى: الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَرِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ هُدِمَتْ صَوَاعِعُ وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ [الحج: 40].

⁽¹⁾ سير الأعلام (267/8) ترجمة رقم 62.

⁽²⁾ أخرجه البخاري في الأدب المفرد (112) رقم (300) والترمذمي في أبواب الزهد (152/4) رقم (2346) وقال: حسن غريب، وصححه ابن حبان (445/2) رقم (671) وقال ابن حجر في مشكاة المصاييف حديث حسن (15/5)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (408/5) رقم (2318).

⁽³⁾ سير الأعلام (512/19) ترجمة 295.

⁽⁴⁾ أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الغار (4/ 175) رقم (3475) ومسلم في كتاب الحدود بباب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود (3/ 1315) رقم (1688).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار، جمهورية صربيا

قال ابن القيم – رحمه الله –: "ومن له ذوق في الشريعة، واطلاع على كمالها،... تبيّن له أنَّ السياسة العادلة جزء من أجزاءها، وفرع من فروعها".⁽¹⁾

والدعوة إلى الله جزء من هذه الدولة المنصورة، فمتي قام الدعاة بالعدل سلوكاً ومنهجاً انتشرت دعوتهم، وعم نفعهم البلاد والعباد، وآمن بهذه الدعوة أهل الملل والنحل المخالفة، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

المطلب الثاني: قواعد تربية مستقاة من هذه القيمة.

يتضح من قراءة كتاب سير أعلام البلاء عدة قواعد تربية للدعاة وطلبة العلم يمكن الإفادة منها في حياتهم الدعوية منها:

أولاً: الإنفاق مع المبتدعة:

1 – ذكر مالهم وما عليهم:

قال الذهبي – رحمه الله – في ترجمة عبد بن عبد الله: «أول من تكلم بالقدر في زمان الصحابة، وكان من علماء الوقت على بدعته».⁽²⁾

وقال أيضاً في ترجمة عمران بن حطان: «من أعيان العلماء، لكنه من رؤوس الخوارج».⁽³⁾
والذهبـي – رحمـه الله – عندـما يذـكر ما عندـهم من العـلم وـما فيـهم من الـبدع المـنكرـة يـبيـن للـدعاـة أـنـ هـذا منهـج الإنـفاق خـاصـة فيـمـن تحـمـل أـمانـة النـقلـ.

ومع عدوـ السنـة يـظـهر الإنـفاق عندـ الذهبـي – رـحـمـه الله – فـلـم يـتعـصـب لـمـنهـج ولا لـشـيخ ولا لـهـوىـ، بل قالـ الحقـ الذي أـوجـبه اللهـ عـلـى العـلـماء الصـادـقـينـ، فـفـي تـرـجمـة أـحمدـ بنـ أـبي دـؤـادـ يـقـولـ: «الـقـاضـي الـكـبـيرـ،... الـجـهـميـ، عـدوـ أـحمدـ بنـ حـنـبلـ، كـانـ دـاعـيـة إـلـى خـلـقـ الـقـرـآنـ، لـهـ كـرـمـ وـسـخـاءـ وـأـدـبـ وـافـرـ وـمـكـارـ».⁽⁴⁾

وهـذا أـكـبـرـ شـاهـد عـلـى عـدـلـ وـإـنـفـاقـ أـهـلـ السـنـة معـ مـخـالـفـيـهـمـ، وبـهـذا عـدـلـ وـإـنـفـاقـ اـنـتـشـرـ الـعـلـمـ وـعـمـتـ الدـعـوـةـ أـرـجـاءـ الـمـعـمـورـةـ آـنـذـاكـ.

2 – أـنـ بـعـضـ الشـرـ أـهـونـ وـأـخـفـ مـنـ بـعـضـ:

⁽¹⁾ الطرق الحكمية، ابن القيم (5)

⁽²⁾ سير الأعلام (158/4) ترجمة رقم .76

⁽³⁾ سير الأعلام (214/4) ترجمة رقم .86

⁽⁴⁾ سير الأعلام (169/11) ترجمة رقم .71

ومن قواعد العدل والإنصاف مع أهل البدع التفريق بين البدع فبعضها أهون وأخف من بعض، وأهل البدع أيسر من الكفرة الأصلين وهلم جرا، قال الذبيحي - رحمة الله - : " قلت: ومن كفر ببدعة - وإن جلت - ليس هو مثل الكافر الأصلي، ولا اليهودي، والمجوسى، أبي الله أن يجعل من آمن بالله ورسوله، واليوم الآخر، وصام، وصلى، وحج، وزكي - وإن ارتكب العظام، وضل، وابتدع - كمن عاند الرسول، وعبد الوثن، ونبذ الشرائع، وكفر، ولكن نبراً إلى الله من البدع وأهلها".⁽¹⁾

ثم جاء التأكيد على أن بين أهل البدعة من البون الشاسع ما يجعل الدارس والناظر في أحوالهم لا يحكم عليهم بحكم واحد على حد سواء، ممثلاً على ذلك بمرجئة الفقهاء مع غلاتهم.

ففي ترجمة عبد المجيد بن أبي رجاد قال الذبيحي - رحمة الله - : «وكان من المرجئة، ومع هذا فوثقه: أحمد، ويعيبي بن معين، وقال هارون بن عبد الله الحمال: ما رأيت أخشع لله من وكيع، وكان عبد المجيد أخشع منه.

قلت: خشوع وكيع مع إمامته في السنة، جعله مقدماً، بخلاف خشوع هذا المرجع - عفا الله عنه - أعادنا الله وإياكم من مخالفة السنة ».⁽²⁾

وهذا شأن السلف الصالح مع مخالفتهم من أهل البدع حيث يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمة الله : "قد يكون الرجل على طريقة من الشر عظيمة، فينتقل إلى ما هو أقل منها شرًا وأقرب إلى الخير، فيكون حمد تلك الطريقة ومدحها لكونها طريقة الخير الممدودة، مثل ذلك:... النحل التي فيها بدعة، قد يكون الرجل راضياً فيصير زيدياً، فذلك خير له، وقد يكون جهيمياً قدرياً فيصير جهيمياً غير قدرى، أو قدرياً غير جهيمي، أو يكون من الجهمية الكبار، فيتجهم في بعض الصفات دون بعض ونحو ذلك".⁽³⁾

وهذا عين الإنفاق والعدل مع المخالفين من أهل البدع.

3- أن المبتدع الذي لا يدعو لبدعته ليس كمن يدعو لها:

ومن قواعد الإنفاق مع المبتعدة أن الداعية لبدعته ليس كمن لا يدعو لها، وهذا قمة الإنفاق والعدل، ففي ترجمة يعيبي بن حمزة: «قلت: دام على القضاء ثلاثين عاماً، وكان ثبتاً في الحديث، وإن كان يميل إلى القدر فلم يكن داعية». ⁽⁴⁾

وهذا دليل على أن الداعية أشد خطراً من غيره لأنه ينشر مذهبة فيفضل به كثيراً من الناس.

⁽¹⁾ سير الأعلام (10/202) ترجمة رقم 45.

⁽²⁾ سير الأعلام (9/434).

⁽³⁾ الاستقامة لابن تيمية (464-465).

⁽⁴⁾ سير الأعلام (8/355) ترجمة رقم 99.

ثانياً: الإنصاف مع أهل العلم:

ترجم الأعلام وسيرهم في العدل والإنصاف بمثابة قواعد علمية وأطر منهاجية يسيراً عليها الدعاة في التعامل مع العلماء، وقد بلغ سلفُ هذه الأمة الذروة من الأخلاق يملكون أوجهاً وزمامها، حيث حلقو في سماء التقوى والورع، حكمو بإنصاف ولو على أنفسهم، وقد جمعت من مواقفهم في الإنصاف والعدل مع العلماء والدعاة، الشيء الكثير الذي لا يتسع المجال لسرده، وسأكتفي من القلادة بما أحاط بالعنق، وجعلتها كما يلي:

1 - إذا ثبتت إمامـة الرـجل بيـقـين فـلا تـزوـل وـتهـدر بـزـلة وـاحـدة:

قال الذهبي - رحمه الله - عـدة مواضع: «إذا ثبتـت إمامـة الرـجل وفضـله، لم يضرـه ما قـيل فـيه، وإنـما الكلام فيـ العلمـاء مـفتـقر إلى وزـن بالـعدـل والـورـع».⁽¹⁾

وقـال أـيـضاً: «والـكمـال عـزـيز، وإنـما يـمدـحـ العـالـمـ بكـثـرة مـالـهـ منـ الفـضـائـلـ، فـلا تـدـفـنـ المـحـاسـنـ لـورـطـةـ، ولـعلـهـ رـجـعـ عنـهـ، وقد يـغـفـرـ لـهـ باـسـفـراـغـهـ الـوـسـعـ فيـ طـلـبـ الـحـقـ ولاـ قـوـةـ إـلـاـ بـالـلـهـ».⁽²⁾

وـالـأـئـمـةـ مـعـذـورـونـ فـيـ اـجـتـهـادـهـمـ وـإـنـ أـخـطـأـوـاـ، فـيـغـفـرـ لـهـمـ مـاـلـاـ يـغـفـرـ لـغـيـرـهـمـ، أـلـمـ تـرـ أـنـ المـاءـ إـذـاـ بـلـغـ الـقـلـتـيـنـ لـاـ يـحـمـلـ الـخـبـثـ، كـمـاـ قـالـ الرـسـولـ - صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - لـعـمـرـ - رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ - فـيـ قـصـةـ حـاطـبـ - رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ - : «وـمـاـ يـدـرـيـكـ يـاـ عـمـرـ لـعـلـ اللـهـ قـدـ اـطـلـعـ عـلـىـ أـهـلـ بـدـرـ فـقـالـ: اـعـمـلـوـاـ مـاـ شـئـتـمـ فـقـدـ غـفـرـتـ لـكـمـ».⁽³⁾

وقـالـ الـذـهـبـيـ - رـحـمـهـ اللـهـ -: «وـلـوـ أـنـ كـلـ مـنـ أـخـطـأـ فـيـ اـجـتـهـادـهـ - مـعـ صـحـةـ إـيمـانـهـ، وـتـوـخيـهـ لـاتـبـاعـ الـحـقـ - أـهـدـرـنـاهـ، وـبـدـعـنـاهـ، لـقـلـ مـنـ يـسـلـمـ مـنـ الـأـئـمـةـ مـعـنـاـ، رـحـمـ اللـهـ الـجـمـيعـ بـمـنـهـ وـكـرـمـهـ».⁽⁴⁾

وـقـدـ جـاءـ عـنـ النـبـيـ - صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ -: «إـذـاـ حـكـمـ الـحـاـكـمـ فـاجـتـهـادـ ثـمـ أـصـابـ فـلـهـ أـجـرـانـ، وـإـذـاـ حـكـمـ فـاجـتـهـادـ ثـمـ أـخـطـأـ فـلـهـ أـجـرـ».⁽⁵⁾

فيـدـلـ الـحـدـيـثـ أـنـ الـعـالـمـ إـذـاـ أـخـطـأـ فـيـ اـجـتـهـادـهـ وـهـوـ مـسـتـوـفـ آـلـةـ الـاجـتـهـادـ فـلـهـ أـجـرـ، لـبـذـلـهـ الـوـسـعـ فـيـ الـاجـتـهـادـ، فـلـاـ يـهـدـرـ وـيـبـدـعـ وـيـضـلـلـ بـسـبـبـ اـجـتـهـادـهـ وـلـوـ خـالـفـ الـحـقـ فـيـ الـمـسـأـلـةـ، وـفـيـهـ دـلـيـلـ أـنـهـ شـرـيـعـةـ رـبـانـيـةـ لـيـسـ لـأـمـزـجـةـ الـبـشـرـ

⁽¹⁾ سير الأعلام(8/448) ترجمة رقم 115.

⁽²⁾ سير الأعلام (16/285) ترجمة رقم 200.

⁽³⁾ أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير بباب الجاسوس (4/59) رقم (3007) ومسلم في كتاب فضائل الصحابة بباب من فضائل أهل بدر وقصة حاطب (4/1941) رقم (2494).

⁽⁴⁾ سير الأعلام(14/373_376) ترجمة رقم 214.

⁽⁵⁾ أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة بباب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (9/108) رقم (7352) ومسلم في كتاب الأقضية بباب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (3/1342) رقم (1716).

وأهواهم فيها سيل، كما قال الله تعالى: **وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ أَلَّسْمِيعُ**

الْعَلِيمُ [الأنعام: 115]

2 - التبيين والتثبت من خصائص أهل العدل والإنصاف:

في ترجمة إسحاق بن راهويه مانصه: «أن أبا داود السجستاني يقول: إسحاق بن راهويه تغير قبل موته بخمسة أشهر، وسمعت منه في تلك الأيام، فرميت به.

قلت: فهذه حكاية منكرة، وفي الجملة، فكل أحد يتعلل قبل موته غالباً ويمرض، فيبقى أيام مرضه متغيرة القوة الحافظة، ويموت إلى رحمة الله على تغييره، ثم قبل موته ييسير يختلط ذهنه، ويتشاشى علمه، فإذا قضى، زال بالموت حفظه.

فكان ماذا؟ ألم يمثل هذا يلين عالم قط؟! كلا والله، ولا سيما مثل هذا الجبل في حفظه وإتقانه،... ومع حال إسحاق وبراعته في الحفظ، يمكن أنه - لكونه كان لا يحدث إلا من حفظه - جرى عليه الوهم في حديثين من سبعين ألف حديث، فلو أخطأ منها في ثلاثين حديثاً، لما حط ذلك رتبته عن الاحتجاج به أبداً، بل كون إسحاق تتبع حديثه، فلم يوجد خطأ قط سوى حديثين، يدل على أنه أحفظ أهل زمانه». ⁽¹⁾

وهذا دليل على أن المؤمن لا يتسع في إطلاق الأحكام ولو رواها ثقات، فإذا وجدت الشبهة حينها وجب التحقق.

3- بيان محاسن العالم المتalking فيه إنصاف وعدل:

ومن قواعد الإنفاق في حق العلماء أن تذكر محاسنهم وفضائلهم ولا يغmate حقهم.

في ترجمة عكرمة مولى ابن عباس - رحمه الله - قال الذبيحي - رحمه الله -: «وقد نعموا على هذا العالم أخلاقاً وآراءً... وكان أول ما أحدث فيهم رأي الصفرية... كان عكرمة من أهل العلم، خرج له مسلم مقروناً بطاؤوس في الحج، فالذين أهدروه كبار، والذين احتاجوا به كبار - والله أعلم بالصواب». ⁽²⁾

والإنفاق يقتضي هذا البيان، كما قال محمد بن سيرين - رحمه الله -: "ظلم لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما رأيت وتكلتم خيره". ⁽³⁾

⁽¹⁾ سير الأعلام (379_377/11) ترجمة رقم 79.

⁽²⁾ سير الأعلام (34-19/5) ترجمة رقم 9.

⁽³⁾ انظر: البداية والنهاية، ابن كثير (275/9).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار، جمهورية صربيا

وهذا مصدق لقوله تعالى: **وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أُمَّةٌ يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ** [الأعراف: 159]، هذا هو الإسلام وهذا هو الإنصاف في أروع صوره ومقاماته، حيث بينت الآية: أن من قوم موسى - عليه السلام - جماعة عظيمة يهدون الناس بالحق الذي جاءهم به من عند الله تعالى، ويعدلون به دون غيره إذا حكموا بين الناس، لا يتبعون فيه الهوى،... فإن الأمم العظيمة لا تخلو من أهل الحق والعدل، وهذا من بيان القرآن للحقائق، وعدله في الحكم على الأمم. ⁽¹⁾

4- عدم التعصب لشخص أو مذهب إنصاف:

هذا يبيّن النهج القويم في الحكم على الناس، فمتى حكم الداعية على الناس بهواه، أو متغصباً لشيخه أو مذهبة فقد جاوز الصواب، وحاد عن الحق، ولم يك منصفاً في حكمه بل جائز فيه.

والحكم على الناس بهوى وعصبية ينكره جميع أهل العلم والفضل، كما ينكره أصحاب الصنعة في نقد الرجال والحكم عليهم، فيكون صاحبه مخالفٌ لما عليه سبيل المؤمنين.

وعلى هذا النهج تأتي المحبة والاتباع والأخذ بالأقوال، فما دام أن العالم وافق السنة والحق في المسألة فهو حبيبا، قال الذهبي - رحمه الله -: «ونحب العالم على ما فيه من الاتباع والصفات الحميدة، ولا نحب ما ابتدع فيه بتأويل سائغ، وإنما العبرة بكثرة المحسن». ⁽²⁾

قال الشوكاني - رحمه الله -: "إإن وطنت نفسك أيها الطالب على الإنصاف وعدم التعصب لمذهب من المذاهب، ولا لعالم من العلماء، بل جعلت الناس جميعاً بمنزلة واحدة في كونهم منتمين إلى الشريعة، محكوماً عليهم بما لا يجدوا لأنفسهم عنها مخرجاً، ولا يستطيعون تحولاً، فضلاً عن أن يرتفعوا إلى واحد منهم، أو يلزمهم تقليده وقبوله قوله، فقد فرت بأعظم فوائد العلم، وريحت بأنفس فرائده". ⁽³⁾

5 - الذب عن أهل العلم إنصاف وعدل:

قال الذهبي - رحمه الله - ذاباً عن الإمام أحمد - رحمه الله - ممن انتقصوه: «قلت: أحسبهم يظنونه كان محدثاً ويس، بل يتخيلونه من بابة محدثي زماننا، ووالله لقد بلغ في الفقه خاصة رتبة الليث، وممالك، والشافعي، وأبي يوسف، وفي الزهد والورع رتبة الفضل، وإبراهيم بن أدهم، وفي الحفظ رتبة شعبة، ويحيى القطان، وابن المديني، ولكن الجاهل لا يعلم رتبة نفسه، فكيف يعرف رتبة غيره». ⁽⁴⁾

⁽¹⁾ تفسير المنار، رشيد رضا (9/307).

⁽²⁾ سير الأعلام(20/45 - 46) ترجمة رقم 20.

⁽³⁾ أدب الطلب، الشوكاني (89).

⁽⁴⁾ سير الأعلام(11/321) ترجمة رقم 78.

9-8 نوفي بزار، جمهورية صربيا

فليس من الإنفاق والعدل أن تنتهك حرمة العالم ولا يذب عنه، بل هذا منهج رباني وتوجيه نبوى، قال رسول الله - رحمه الله - : "من ذب عن عرض أخيه بالغيبة كان حقاً على الله أن يعتقه من النار ». ⁽¹⁾

فمن هنا يتضح أن التزام التخلق بهذه القواعد العدلية المنصفة في حياة الداعية تصبح لديهم قيمة تربوية لا تنفك عنهم بأية حال، وتأثر في السلوك والتعامل وانجداب القلوب إليه.

المبحث الثاني: دور قيمة العدل والإنصاف في نشر العلم والدعوة إلى الله

وفي مطلبان:

المطلب الأول: دور هذه القيمة التربوية الحوارية في نشر العلم .

يكمن الدور المؤثر للتخلق بهذه القيمة التربوية في حياة الداعية وأهل العلم في اتصافهم بهذه المعالم التالية:

أولاً: حفظ مكانة العلماء وتقديرهم :

الإنصاف والعدل مع أهل العلم فيه حفظ لمكانة العلماء ومعرفة منازلهم التي بوأهم الشرع الحنيف إياها، فإن أعظم نشر للعلم بيان هذه المكانة.

فمن علماء الصحابة الذين حفظوا لنا السنة الصحابي الجليل أبو هريرة - رضي الله عنه - ساق الذهبي - رحمه الله - بسنده راداً على من تقص حقه ونال منه، فيقول: «... ما كانوا يأخذون من حديث أبي هريرة إلا ما كان حديث جنة أو نار.

قلت: هذا لا شيء، بل احتاج المسلمين قديماً وحديثاً بحديثه، لحفظه، وجلالته، وإتقانه، وفقهه، وناهيك أن مثل ابن عباس يتأنب معه، ويقول: أفت يا أبا هريرة... وأين مثل أبي هريرة في حفظه، وسعة علمه». ⁽²⁾

وأبوهريرة - رضي الله عنه - غلت في كرهه وذمه ونالت منه الرافضة، وافتقرت عليه، لإرادتهم هدم الدين وتحريف السنة، وذلك بالليل من حملتها والمبلغين لها، أمثال أبي هريرة - رضي الله عنه -، فجاء هذا البيان تبياناً لمكانة هذا الإمام العظيم والصحابي الجليل، ويكتفيه عن ذلك كله، أنه ممن رضي الله عنه، واختاره الله لصحبة النبي - صلى الله عليه وسلم -، كما قال ابن مسعود - رضي الله عنه -: "من كان منكم متأسياً فليتأسس بأصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم -؛ فإنهم كانوا أبراً هذه الأمة قلوباً وأعمقها علمًا وأقلها تكلفاً وأقومها

⁽¹⁾ أخرجه أحمد في المسند(583/45) رقم (27609) بلفظ (لحم أخيه) والطبراني في المعجم الكبير(105/24) والبيهقي في شعب الإيمان (105/10) وصححه الألباني في صحيح الجامع (1071/2) برقم (6240).

⁽²⁾ سيرالأعلام (614/2) ترجمة رقم 126.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار، جمهورية صربيا

هدياً وأحسنها حالاً، قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه - صلى الله عليه وسلم - ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم ؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ".⁽¹⁾

وبهذا النهج تحفظ مكانة العلماء لأن الطعن فيهم طعن فيما نقلوه لنا من الشريعة المطهرة فتأكد حفظ مكانتهم وتقديس منزلتهم لتقديس نصوص الوحي لها.

ثالثاً: بيان محسن العلماء لتلقي الطلاب عنهم:

من العدل والإنصاف بيان محسن العالم ليتشر علمه ويؤخذ عنه، ففي ترجمة قتادة بن دعامة السدوسي يقول الذهبي - رحمه الله - : « وهو حجة بالإجماع إذا بين السماع، فإنه مدلس معروف بذلك، وكان يرى القدر - نسأل الله العفو -.

ومع هذا، فما توقف أحد في صدقه، وعدالته، وحفظه، ولعل الله يعذر أمثاله ممن تلبس ببدعة يزيد بها تعظيم الباري وتنزييه، وبذل وسعه، والله حكم عدل لطيف بعباده، ولا يسأل عما يفعل، ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعلم تحريره للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعرف صلاحه وورعه واتباعه، يُغفر له زله، ولا نصلله ونطرحه وننسى محسنه، نعم، ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك».⁽²⁾

ويؤيد هذا قوله تعالى: يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِمْنَوْا كُوْنُوا قَوَّامِيْنَ لِلَّهِ شَهِدَآءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِيْنَكُمْ شَيْئَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَأَنْقُوْا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ حَبِّيرٌ بِمَا تَعْمَلُوْنَ [آل عمران: 8].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مؤكداً منهج أهل السنة في هذه المسألة: " ومن سلك طريق الاعتدال عظم من يستحق التعظيم، وأحبه ووالاه، وأعطى الحق حقه، فيعظم الحق، ويرحم الخلق، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسنيات، فيحمد ويذم، ويثاب ويُعاقب، ويحب من وجهه ويبغض من وجهه، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، خلافاً للخوارج والمعتزلة ومن وافقهم ".⁽³⁾

ثالثاً: الثناء على أهل العلم بالتفوى والعبودية:

لا يمدح العالم بتلبسه بالبدع والانحراف في حبائل الأهواء، وإنما يُثنى عليه بما اتصف به من العبودية والتقوى والخوف من الله، ففي ترجمة السمان: « وكان يقال في مدحه: إنه ما شاهد مثل نفسه، كان تاريخ الزمان

⁽¹⁾ جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر (947/2)..

⁽²⁾ سير الأعلام(5) 271/5 - 273 ترجمة رقم 132.

⁽³⁾ منهاج السنة النبوية، ابن تيمية (543/4- 544).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار، جمهورية صربيا

وشيخ الإسلام. قلت: وذكر أشياء في وصفه، وأنني يوصف من قد اعتزل وابتعد، وبالكتاب والسنة فقل ما انتفع؟
فهذا عبرة، والتوفيق فمن الله وحده...».⁽¹⁾

فهذا دليل على دور هذه القيمة التربوية في نشر العلم والأخذ عنهم فهم مصابيح الدجى وأئمة الهدى، ولا يمكن لطلاب العلم معرفة العالم الناصح من غيره مالم ننصف مع العلماء الربانيين ونبين محاسنهم وتضلعهم في العلم.

المطلب الثاني: دور هذه القيمة التربوية الحوارية في نشر الدعوة إلى الله.

يظهر دور هذه القيمة عند الدعاة الملتزمين بها منهجاً وسلوكاً في النقاط التالية:

أولاً: تأييد الحكام والملوك للدعوة:

لا يمكن لأي دعوة أن تنتشر بقوة مالم يكن لها سلطان يؤازرها ودولة تحميها وتقف في صفها، والحاكم المسلم الذي اتصف بالعدل والإنصاف هو نعمة ومنة من الله على أهل العلم والدعوة، وقد كثُر الحيف والتفرط في الحكم على ولاة أمر المسلمين منذ عهد الصحابة - رضي الله عنهم - إلى يومنا هذا. وما زالت أفكار أهل الضلال تقذف بالسم الزعاف سبباً وتنقصاً وتکفيراً لولاة الأمور، بل وصل بعض الطوائف أن تعدد عليهم بالقتل والخروج وتآلية العامة عليهم، فانتشرت الفوضى وعم البلاء.

ومنهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع ولادة الأمور والحكام من المسلمين واضح ومعروف لدى من لديه بصيرة من علم، وهو منهج الإنصاف والحق في الحكم عليهم، سواءً في حياتهم أو بعد مماتهم.

ففي ترجمة معاوية - رضي الله عنه - يقول الذبيحي - رحمه الله -: «قلت: حسبك بمن يؤمن به عمر، ثم عثمان على إقليم - وهو ثغر - فيضبطه، ويقوم به أتم قيام، ويرضي الناس بسخائه وحلمه، وإن كان بعضهم تألم مرة منه، وكذلك فليكن الملك.

وإن كان غيره من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خيراً منه بكثير، وأفضل، وأصلح، فهذا الرجل ساد وساس العالم بكمال عقله، وفط حلمه، وسعة نفسه، وقوه دهائه ورأيه، وله هنات وأمور، والله الموعود... ومعاوية: من خيار الملوك الذين غالبوا عليهم ظلمهم، وما هو ببريء من الهنات - والله يغفو عنه -⁽²⁾.

وفي ترجمة يزيد بن معاوية قال الذبيحي - رحمه الله -: «وينزيد ممن لا نسبه ولا نحبه، وله نظرة من خلفاء الدولتين، وكذلك في ملوك النواحي، بل فيهم من هو شر منه، وإنما عظم الخطب، لكونه ولد وفاة النبي -

(1) سير الأعلام (58/18) ترجمة رقم 26.

(2) سير الأعلام (132/3 - 159) ترجمة رقم 25.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار، جمهورية صربيا

صلى الله عليه وسلم - يتسع وأربعين سنة، والعهد قريب، والصحابة موجودون، كابن عمر الذي كان أولى بالأمر منه، ومن أئبها، وجده». (١)

فهذا الإنصاف يُظهر لنا وضوح المنهج عند السلف، والعدل في الأحكام، وسلامة صدورهم على من مضى، وإيكال أمرهم إلى الله، فما أعظم الإنصاف!.

ومهما يكن من شيء في بيان حسنات الحاكم وما قدمه للأمة من إنجازات ولو كان فيه ظلماً فهذا هو الإنصاف وبه تنتشر الدعوة والخير ويعم الأمان والطمأنينة في البلاد.

وهذا النهج في الإنصاف مع الأباء هو ما كان عليه الصحابة - رضي الله عنهم - في التعامل مع أمراء زمانهم، فعن عبد الرحمن بن شمامسة، قال: أتيت عائشة أسألها عن شيء، فقالت: ممن أنت؟ قلت: رجل من أهل مصر، فقالت: كيف كان صاحبكم لكم في غزاتكم هذه؟ فقال: ما نقمنا منه شيئاً، إن كان ليموت للرجل منا البعير فيعطيه البعير، والعبد فيعطيه العبد، ويحتاج إلى النفقة، فيعطيه النفقة، فقالت: أما إنه لا يمنعني الذي فعل في محمد بن أبي بكر أخي أن أخبرك ما سمعت من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، يقول في بيته هذا: «اللهم، من ولني من أمي أمتني شيئاً فشق عليهم، فاشقق عليه، ومن ولني من أمي أمتني شيئاً فرق بهم، فارفق به». (٢)

ثانياً: الألفة والاجتماع بين المسلمين:

الإنصاف والعدل مع المذاهب الإسلامية له دور كبير في نشر الدعوة إلى الله حيث تجتمع القلوب وتتوحد صفوف أهل التوحيد والملة ، بينما الظلم الشنيع في ذكر المساوى وعدم ذكر المحسن وما قدمته المذاهب الفقهية للأمة من إنجازات يؤخر الدعوة ويتربّع عليه انحسارها في صدق دون الآخر.

وقد جاء المثل على هذا النوع في كتاب السير بالإنصاف والعدل مع الظاهرية - أتباع داود الظاهري - ففي ترجمة داود بن علي الظاهري، يقول الذهبي - رحمه الله - : «قلت: للعلماء قولان في الاعتداد، بخلاف داود وأتباعه: فمن اعتقد بخلافهم، قال: ما اعتقدنا بخلافهم لأن مفرادتهم حجة، بل لتحقق في الجملة، وبعضها سائع، وبعضها قوي، وبعضها ساقط، ثم ما تفردوا به هو شيء من قبيل مخالفة الإجماع الظني، وتندى مخالفتهم لإجماع قطعي، ومن أهدرهم، ولم يعتد بهم، لم يعدهم في مسائلهم المفردة خارجين بها من الدين، ولا كفرا بهما، بل يقول: هؤلاء في حيز العوام، أو هم كالشيعة في الفروع، ولا نلتقي إلى أقوالهم، ولا ننصب معهم الخلاف، ولا

(١) سير الأعلام (٤) - ٣٦/٣٨ ترجمة رقم 8.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة بباب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائز، والبحث على الرفق بالرعاية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم (٣/١٤٥٨) رقم (١٨٢٨).

9-8 آبریل 2019 - نوفی بازار. جمهوریة صربیا

يعتني بتحصيل كتبهم، ولا ندل مستفيتاً من العامة عليهم. وإذا تظاهروا بمسألة معلومة البطلان، كمسح الرجلين، أدبناهم، وعززناهم، وألزمناهم بالغسل جزماً.⁽¹⁾

ومن الإنفاق مع المخالفين من أهل السنة اتباع هذا المنهج:

١- أن الجماعة لا تهدر ويغط حرقها يسب خطأ فرد من أفرادها.

2- قبل الحكم على الجماعة لابد من التثبت من أخطائهم لمناصحتهم فيها.

3- لا يجوز تكفير جماعة من المسلمين مالم يتيقن وقوعهم في الشرك، فدخولهم الإسلام بيقين فلا يخرجون منه إلا بيقين.

4- التحذير من أخطاء الجماعة المسلمة، وبيان ماتحويه كتبهم من أخطاء، هذا نص للآمة، وإنصاف للجماعة.

5- إذا خالفت الجماعة نصاً شرعياً متفق على الاستدلال به، فإنه يبين لها الحق وتلزم به، والحق أحق أن يتبع.

وقال المعلم - رحمه الله -: " وبالجملة فأسلافنا على ثلات طبقات:

١- من وضح لنا اعتقاده بالكتاب والسنّة، فهو لاء الدين، نتولاهم.

2- من وضح لنا تهاؤنه بالكتاب والسنة، فعلينا أن نتبرأ منهم.

3 . قوم خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئاً عسى الله أن يعفو عنهم ويغفر لهم وعليينا أن نحمد لهم فيما أصابوا فيه ونبرأ مما أخطأوا فيه والله المستعان".⁽²⁾

وهذه الإشارات التربوية يحسن التخلق بها وجعلها منهج حياة للداعية وطالب العلم كي تبلغ الدعوة الآفاق ويكتب الله لها القبول والانتشار والمؤازرة من المخلصين وأهل الصدق والتقوى.

الخاتمة

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً وبعد:

فهذا البحث المختصر حول موضوع من الأهمية بمكان وقد خلصت لعدة نتائج هي:

أولاً: - النتائج:

¹⁾ سس الأعلام (105 104/13) ترجمة رقم 55.

²⁾ التكيا بما في تأسيس الكوثرى، من الآيات ، المعلم (329/2).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار، جمهورية صربيا

1- إبراز عدّة فوائد عدلية منصفة في التعامل مع الآخرين يحسن بالداعية وطالب العلم التخلق بها.

2- أن قيمة العدل والإنصاف من أهم وسائل نشر العلم والدعوة.

3- أن أعظم وسيلة في ترسیخ القيم التربوية هي إيجاد نماذج حية للأجيال المسلمة يمكنهم الاقتداء بهم.

ثانياً: التوصيات:

وبعد هذه النتائج للبحث فإني أوصي بعدة توصيات:

1- أن يعطى هذا الموضوع عناية فائقة في ظل التغيرات الجديدة في التربية والتعليم.

2- الاهتمام الأمثل بالتقنيات الحديثة لإيصال مثل هذه القيم لجميع فئات المجتمع.

وختاماً إن كان من قصور في هذا البحث فهو من طبيعتي البشرية، وإن كنت هديت للصواب فهو محض توفيق رباني عسى الله أن يوزعني شكر نعمته، وهو ربى عليه توكلت وإليه أنيب.

المصادر والمراجع:

- الإحسان في تقرير صحيح ابن حبان (صحيح ابن حبان)، محمد بن حبان أبو حاتم، الدارمي، البستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بليان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1408 هـ.

- الأخلاق والسير، ابن حزم الأندلسي، ط 2، عام 1399 هـ، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعرف للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1، 1419 هـ.

- أدب الطلب ومتنه الأرب، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عبدالله يحيى السريحي، دار ابن حزم، لبنان، ط 1، 1989 م.

- التوقيف على مهامات التعريف، عبدالرؤوف المناوي، عالم الكتب، القاهرة، ط 1 ، 1410 هـ.

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيامه- صحيح البخاري -محمد إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير، دار طوق النجاة، ط 1 ، 1422 هـ.

- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، (صحيح مسلم)، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- الاستقامة ، أبو العباس ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ط 1 ، 1403 هـ.

- الاعتصام، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الشقير وآخرون، دار ابن الجوزي، السعودية، ط 1، 1429 هـ.

9-8 نوفي بزار، جمهورية صربيا

- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط 1 ، 1418 هـ.
- الرائد في اللغة، جبران مسعود، مكتبة لبنان، بيروت، 1986 م.
- الثقافة الإسلامية تخصصاً ومادةً وقسماً علمياً، عبدالله الطريقي وآخرون، ط 1 ، 1417 هـ.
- القيم بين الإسلام والغرب، د. مانع المانع، دار الفضيلة، ط 1 ، 1426 هـ .
- تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة الطبع: 1990 م.
- التعريفات ، علي محمد الجرجاني ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1 ، 1983 م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط 1 ، 1420 هـ.
- جامع البيان في تأویل القرآن، أبو جعفر الطبری، تحقيق: أحمد محمد شاکر، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط 1 ، 1420 هـ.
- جامعات تحت الحصار، د سعيد إسماعيل ، دار عالم الكتب، القاهرة، 2008 م،
- جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر بن عبد البر، تحقيق: أبي الأشباع الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، ط 1 ، 1414 هـ 1994 م.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط 2 ، 1384 هـ.د الحديث، أمين الريحاني ، دار الجيل، بيروت.
- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنقوط وآخرون، دار الرسالة، بيروت ، ط 1 ، 1430 هـ.
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث، تحقيق: شعيب الأرنقوط - محمد كامل قره بلي ، دار الرسالة، بيروت ، ط 1 ، 1430 هـ.
- سنن الترمذى، محمد بن عيسى الترمذى، تحقيق: بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة الطبع : 1998 م.
- السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط 1 ، 1421 هـ.
- سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق: د. بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ، ط 2 ، 1422 هـ.
- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق: عبدالعلي عبدالحميد، مكتبة الرشد، السعودية، ط 1 ، 1413 هـ.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملائين - بيروت ، الطبعة: الرابعة 1407 هـ- 1987 م.
- صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي.

9-8 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن قيم الجوزية، تحقيق: نائف بن أحمد الحمد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط 1، 1428هـ.

- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط 8، 1426هـ - 2005م.

- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل ابن منظور، دار صادر - بيروت، ط 3، 1414هـ.

- مجموع الفتاوى، أبو العباس ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، 1416هـ.

- المعجم الكبير، سليمان بن أبيوب الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط 2 .

- منهاج السنة النبوية، أبوالعباس ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ط 1 ، 1406 هـ، 1986 م.

- التكيل لما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، عبدالرحمن المعلمي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط 2 ، 1406 هـ، 1986 م.

البناء القيمي و التوافق النفسي لدى المراهقين مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي

ذ. زواني نزيهة / د. وندلوس نسيمة نسيبة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية —جامعة مولود معمر تizi وزو /الجزائر

ملخص البحث:

هدفت الدراسة التعرف على مستوى التوافق النفسي لدى المراهقين مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي، و الفروق الموجودة في مستوى التوافق النفسي حسب الجنس و الحوار الأسري . كما هدفت إلى التعرف على القيم السائدة لدى هؤلاء المراهقين و الفروق الموجودة في القيم حسب الجنس، الحوار الأسري و مدة استخدام هذه الموقع. لتحقيق هذه الأهداف تم إتباع المنهج الوصفي و تطبيق مقياس القيم الفارقة لـ Prince الذي يقيس القيم التقليدية و العصرية و مقياس التوافق النفسي للشناوي و عباس (2014) على عينة تكونت من 203 مراهق و مراهقة من مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي . أسفرت النتائج على وجود مستوى متوسط للتوافق النفسي مع إتباع المراهقين للقيم التقليدية و بالدرجة الأولى قيمة أخلاقيات النجاح في العمل. توصلت أيضاً إلى وجود فروق بين الذكور والإناث في التوافق الشخصي لصالح الذكور و التوافق الأكاديمي لصالح الإناث و عدم وجود هذه الفروق في التوافق الأسري و الاجتماعي و التوافق النفسي بشكل عام. ضف إلى ذلك، هناك فروق بين الجنسين دالة فقط في قيمة الاهتمام بالمستقبل لصالح الذكور، و لا توجد فروق في القيم السائدة حسب الحوار الأسري و مدة استخدام موقع التواصل الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية : موقع التواصل الاجتماعي، التوافق النفسي، القيم، الحوار الأسري .

مقدمة:

لقد أحدثت التطورات التكنولوجية الحديثة في منتصف عقد التسعينيات من القرن الماضي، نقلة نوعية وثورة حقيقة في عالم الاتصال، حيث انتشرت شبكة الإنترنت في أرجاء المعمورة كافة، وربطت أجزاء هذا العالم المتراوحة بفضائها الواسع، ومهدت الطريق للمجتمعات كافة للتقارب والتعارف، وتبادل الآراء والأفكار والرغبات، واستفاد كل متصل بهذه الشبكة من الوسائل المتعددة المتاحة فيها، و أكدت الدراسات الحديثة هذا المعنى، فقد أشارت دراسة المهوس(2009) نقاً عن الطيار(2014) إلى أن أهم النتائج المترتبة على هذه التقنية فتح مجالات خصبة من التواصل المعلوماتي، وظهر لدى الفرد مفهوم القرية الكونية الصغيرة التي تحفي فيها عناصر الزمان والمكان والمسافات والحدود، لتحدث موقع التواصل الاجتماعي بذلك نقلة نوعية في العلاقات

والتفاعلات الاجتماعية، إذ ساعدت الأفراد في تلبية احتياجاتهم المختلفة للاتصال بالآخرين، الحصول على المعلومات، وتكوين الصداقات والعلاقات ... وما إلى ذلك بعيداً عن الاتصال المباشر بالعالم الخارجي.

ولقد وجدت كل الفئات العمرية ضاللتها في شبكات التواصل الاجتماعي، وخير دليل على ذلك زيادة مرتادي تلك الشبكات، فقد ترتب على انتشار شبكات التواصل الاجتماعي تزايداً مطرداً في استخدامها حتى وصل عدد المستخدمين حوالي 04 ملايين، و هو ما بينه التقرير العالمي سنة 2012 حيث أشار إلى أن الجزائر تحتل الترتيب الرابع عربياً بعد كل من مصر و السعودية و المغرب. و خلال فترة لم تتجاوز أربعة سنوات تضاعف عدد المستخدمين لهذه الوسائل، حيث كشف التقرير الصادر عن الموقع الرسمي للفيسبوك ان عدد مستخدميه في إفريقيا يقارب 127 مليون مستخدم منها 27% في المغرب العربي. وحسب الدول الإفريقية فإن مصر هي الأولى بـ 27.9 مليون مستخدم تليها الجزائر بـ 12.1 مليون مستخدم، ثم المغرب و تونس (يطو و بن شهيدة، 2018) و أمام هذا الارتفاع في نسبة مستخدمي هذه الوسائل التكنولوجية، وجد الباحثون أنفسهم يتبعون مستجدات العصر ومواكبة لأهم التطورات التي تمس المجتمع في كافة جوانبه، فوجهت مجدهاتهم للكشف عن ايجابيات وسلبيات هذه الشبكات، وإبراز مدى تأثيراتها على حياة الأفراد خاصة لدى فئة الشباب الجامعيين التي كانت مستهدفة بشكل كبير على سبيل المثال دراسات (أبوصعيليك و الزبون، 2013؛ أبو عاذرة، 2017) و دراسات (الخولي، 2013، الدبيسي و الطاهات، 2013؛ الشهري، 2014؛ الصويان، 2014؛ العتيبي و الراشدي، 2013؛ القدوسي، 2012؛ المفوز، 2011) المشار إليها في دراسة الزبون و آخرون (2017). وتعود القيم واحدة من القضايا التي دار حولها جدل كبير نتيجة التغيرات والمستجدات في العصر الحديث، ولاسيما مع تنامي موجات العولمة، إذ يرى البعض أن موقع التواصل الاجتماعي الإلكتروني باتت تسيطر في الآونة الأخيرة على أوقات وأفكار الشباب و بالتالي اثرت على العلاقات الاجتماعية وصلة الرحم بشكل سلبي، أما البعض الآخر فيرى أن استخداماتها مفيدة كالتعرف على عادات وحضارات وثقافات الشعوب الأخرى.

ونظراً لكون القيم محدداً هاماً من محددات السلوك الإنساني، فقد كان من الضروري إخضاع المنظومة القيمية للشباب للملاحظة، المتابعة و الوقوف على مدى تأثيرها بشبكات التواصل الاجتماعي سلباً أو إيجاباً، وهو ما استهدفته العديد من الدراسات التربوية، النفسية والاجتماعية، كدراسة محمود (2012) نقلأ عن الزبون و آخرؤن (2017) التي كشفت عن جملة من التأثيرات السلبية والايجابية التي طالت المنظومة القيمية لدى الشباب الجامعي المصري. تمثلت التأثيرات السلبية بمساهمة شبكات التواصل الاجتماعي بتزييف وعيهم بقيمة الانتفاء للوطن، وتدني قيمة الوقت لديهم، وتجاهلهم للمحافظة على الممتلكات العامة، وتدني ثقتهم بقيمة المساواة في المجتمع، وضعف تمسكهم بالتقاليد والعادات الاجتماعية، وتقليل الم ospas الأجنبي، واضعاف الروابط الأسرية، وانهيار العلاقات الاجتماعية، وتدني ثقتهم بالمنتج الوطني وغيرها من السلبيات التي أصابت قيم الشباب الجامعي في المجتمع المصري. وأشارت الدراسة أيضاً إلى الأثر الايجابي لشبكات التواصل الاجتماعي المتمثل في تعزيز

مفهوم المسؤولية الاجتماعية لدى الشباب، ودورها في تكريس قيمة التعاون ومساعدة الآخرين، وأهميتها في احترام الأفراد للنظام العام.

ونفت نتائج دراسة الشارخ (2012) أن يكون لوسائل التواصل الاجتماعي أثر سلبي، كأن تكون بدليلاً عن التواصل العائلي لدى الطلبة السعوديين الدارسين في جامعة الدمام، بمعنى أن دورها في إضعاف العلاقات الاجتماعية والروابط العائلية ضعيف، وذلك لأن لل سعوديين صلات القربي وقوة روابطهم العائلية، بالإضافة إلى أن التقاليد السعودية تحول دون ذلك . أثبتت نتائج دراسته أيضاً عدم احتمالية ظهور فجوة محتملة بين الشباب والمجتمع من جراء استخدامهم شبكات التواصل الاجتماعي لأن الدعم الذي يتلقونه من عائلاتهم كافي لتقوية علاقاتهم الاجتماعية العائلية.

و لم تكن هاتين الدراستين الواردتين اللتان اهتمتا بموضوع القيم و مدى تأثيرها باستخدام موقع التواصل الاجتماعي، بل ظهرت على الساحة العلمية دراسات أخرى كدراسات (الخواولة، 2014 نقلًا عن النيرب، 2016؛ الزبون و آخرون، 2017؛ الطيار، 2014؛ النيرب، 2016؛ مصطفى و آخرون، 2017) و التي توصلت في معظمها إلى ارتفاع الأنساق القيمية المتمثلة في القيم الدينية و القيم السياسية و العملية، أما القيم الاقتصادية و الاجتماعية فكانت بدرجة متوسطة.

تعرف القيم في المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات واقعين مختلفين قيم تقليدية أصلية تمثلها مؤسسات التنشئة الاجتماعية التقليدية كالأسرة والمساجد، وقيم حديثة ترعاها وسائل الإعلام والاتصال أو الشبكات الاجتماعية.

و لقد تبين من عملية استعراض الأديبيات في البيئة الجزائرية اهتمام بعض التخصصات (علم الاجتماع، الإعلام و الاتصال ، العلوم السياسية و علم النفس) بالعوائق المترتبة عن استخدام موقع التواصل الاجتماعي كدراسات (نومار، 2012؛ جيدور، 2017 ؛ هتهات، 2014).

كما تم التوصل أيضاً إلى بعض الدراسات التي اهتمت بالنسق القيمي أو المنظومة القيمية بما في ذلك النسق القيمي لدى المراهقين في المرحلة الثانوية. و قد اختلفت أهداف الباحثين في تناول هذا الموضوع، إذ هناك من اهتم بالتعرف على النسق القيمي لدى مختلف الشرائح العمرية و المكانة الاجتماعية (صوکو، 2009؛ سوفي، 2009؛ سي محمد، 2013، عايد، 2017؛) أو من حيث علاقتها بعض المتغيرات كالطموح الدراسي و المتغيرات الاجتماعية و الاقتصادية للأسرة(حشلافي و إبراهيم، 2016) و القدرة على التفكير الابتكاري (الرقاي، 2001). أما في علاقتها مع استخدام موقع التواصل الاجتماعي، فلم يتم الوصول- في حدود البحث- إلا لثلاث دراسات و هي للباحثين يطو و بن شهيدة (2018) التي هدفت التعرف على حجم استخدام المراهقين لموقع التواصل الاجتماعي و ما يمكن أن تفرزه على الممارسة و القيمة الاجتماعية و الهوية الثقافية. و دراستي الباحث(بومدين، 2010، 2017) الذي اهتم بدراسة العلاقة بين البناء القيمي و استخدام موقع التواصل الاجتماعي لدى فئات عمرية مختلفة أو تأثير هذه الأخيرة على القيم السائدة لدى مستخدميها.

هذا من جهة، و من جهة ثانية، هناك من يرى أن المجتمع الافتراضي الذي توجده موقع التواصل الاجتماعي تمثل مجتمعا سلبيا يفقد الشخص القدرة على التفاعل والتعامل مع الواقع الحياة الاجتماعية ومع الناس من حوله، مما يؤدي إلى تدني مستويات التوافق النفسي لدى المستخدم، إلا أنه قد يكون لها حسب البعض أثر إيجابي على الجوانب الاجتماعية، فالأشخاص في هذه المواقع قد يوجدون مجتمعات افتراضية تتحقق الترابط والتواصل الاجتماعي بناء على اهتماماتهم وأفكارهم واتجاهاتهم ، كما بيته دراسة Mecheel (2010) نقاً عن الشناوي و عباس(2014) حيث أوضحت أن موقع التواصل الاجتماعي غيرت أنماط حياة المراهقين، وطريقة تواصلهم الاجتماعي مع مجتمعاتهم الافتراضية والحقيقة.

وكون التوافق النفسي من بين المفاهيم التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بمرحلة المراهقة فقد عمد الباحثون سواء على المستوى العربي أو المحلي إلى دراسته من خلال علاقته ببعض المتغيرات كالوعي الذاتي (الخالدي، 2014) الخبرات الصادمة و استراتيجيات المواجهة(عوض، 2017) إدمان الأنترنت (العصيمي، 2010) إستخدام شبكة التواصل الاجتماعي(شناوي و عباس، 2014) تشكل هوية الأنا و مفهوم الذات (عسيري، 2003) الاتجاهات نحو المدرسة (معاش، 2013)

و في علاقته مع النسق القيمي لم يتم التوصل في البيئة المحلية –في حدود البحث- إلا لدراسة واحدة و هي للباحثة شرقى (2017) التي أجرتها على المراهقين في المرحلة المتوسطة و الثانوية غير مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي. توصلت نتائج الدراسة إلى عدم وجود اختلاف ترتيب القيم بين طلبة المرحلة المتوسطة والثانوية، كما أثبتت وجود علاقة ارتباطية موجبة بين القيم (الدينية، النظرية، الاجتماعية) وعدم وجود علاقة دالة بين القيم (الاقتصادية، السياسية، الجمالية) والتوافق النفسي الاجتماعي، وأثبتت عدم وجود فروق دالة إحصائيا بين الذكور والإإناث في القيم (الدينية، النظرية) (وجود فروق في القيم) الاجتماعية والجمالية (الصالح الإناث، والقيم الاقتصادية والسياسية) (الصالح الذكور). كما تم إيجاد فروق دالة إحصائيا بين طلبة المتوسطة والثانوية في القيم (الدينية، والسياسية) (الصالح الإناث، وعدم وجود فروق في القيم) الاجتماعية، الاقتصادية. و أثبتت وجود فروق بين الذكور والإإناث في التوافق النفسي الاجتماعي الصالح الإناث، وعدم وجود فروق دالة في التوافق النفسي الاجتماعي بين طلبة المتوسطة والثانوية. أظهرت النتائج أيضا أن ترتيب القيم لدى ذوي التوافق النفسي الاجتماعي المرتفع ظهر كما يلي : الدينية، الاجتماعية، النظرية، الاقتصادية، السياسية و أخيرا الجمالية، ولدى ذوي التوافق النفسي المنخفض كما يلي : الدينية، الاجتماعية، الاقتصادية، النظرية، السياسية و الجمالية.

يستخلص مما سبق وجود نوع من التضارب في النتائج بخصوص تأثير استخدام موقع التواصل الاجتماعي على البناء القيمي لمستخدميه. ضف إلى ذلك، ندرة مثل هذه الأبحاث في البيئة العربية و الجزائرية بالخصوص مع فئة المراهقين، و غياب- في حدود البحث الحالي- دراسات تناولت البناء القيمي و التوافق النفسي لدى المراهقين في المرحلة الثانوية مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي. انطلاقا مما سبق جاءت هذه الدراسة كمحاولة لملاء هذه الفجوة العلمية و التعرف على مستوى التوافق النفسي لدى المراهقين مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي و

التعرف على البناء القيمي أو بمعنى آخر القيم السائدة لديهم هل هي القيم التقليدية أو العصرية و ذلك على ضوء بعض المتغيرات. وقد تبلورت فكرة الدراسة في التساؤلات التالية:

ما مستوى التوافق النفسي لدى المراهقين مستخدمو موقع التواصل الاجتماعي ؟ ما هي القيم السائدة لدى المراهقين مستخدمو موقع التواصل الاجتماعي؟ هل هناك فروق في مستوى التوافق النفسي بأبعاده تعزى للجنس و الحوار الأسري؟ هل هناك فروق في القيم بأبعادها تعزى للجنس، الحوار الأسري و مدة استخدام موقع التواصل الاجتماعي ؟ استناداً للأسئلة المطروحة تمت صياغة الفرضيات التالية :

- فرضيات الدراسة

- هناك فروق في مستوى التوافق النفسي بأبعاده تعزى للجنس .
- هناك فروق في مستوى التوافق النفسي بأبعاده تعزى للحوار الأسري.
- هناك فروق في القيم بأبعادها تعزى للجنس.
- هناك فروق في القيم بأبعادها تعزى للحوار الأسري.
- هناك فروق في القيم بأبعادها تعزى لمدة استخدام موقع التواصل الاجتماعي.

- أهمية الدراسة

تتجلى الأهمية النظرية للبحث في محاولة معرفة النسق القيمي لدى المراهقين مستخدمو موقع التواصل الاجتماعي وترتيب هذه الأنماط ومدى الاختلاف أو الاتفاق أو التقارب في نسق القيم عند عينة البحث، من أجل التنبؤ بسلوك المراهق وتفسير الاختلاف في السلوك وذلك من أجل التوجه نحو الناحية التطبيقية لغرض إعداد البرامج و الخطط أو تغييرها عبر الوسائل والقنوات المختلفة. كما تكمن أهمية البحث في كونه يطرح قضية لا طالما كانت محل نقاشات ألا وهي الحوار الأسري و دوره في تعزيز أو دعم القيم السائدة.

- المفاهيم الإجرائية للدراسة

- **للبناء القيمي** : يقصد به في هذه الدراسة الترتيب الذي تتخذه القيم فيما بينها من خلال النتيجة التي يحصل عليها المراهق في مقياس القيم الفارقة.
- **التوافق النفسي**: هي الدرجات المتحصل عليها من طرف المراهقين مستخدمو موقع التواصل الاجتماعي على مقياس التوافق النفسي للشناوي و عباس(2014)

- الإطار النظري لدراسة

- القيم

ظل موضوع القيم بعيداً عن مجال الدراسات النفسية لفترة من الزمن، حيث كان لدى علماء النفس اعتقاد بأن دراسة الأحكام القيمية تقع خارج نطاق البحث الإمبريالية، كما أنها لا تخضع للقياس وينظر إليها على أنها بمثابة قوى عميقة لا تخضع للمعالجة التجريبية المعملية (خليفة، 1992).

نقلًا عن شرقي (2017) يرجع الفضل في دراسة القيم من الناحية النفسية أولاً إلى السيكولوجي الألماني Spranger الذي قدم عام 1928 كتاباً بعنوان "Types of men" بين فيه أن الناس يتوزعون بين ستة أنماط تبعاً لسيادة واحدة من القيم التالية: النظرية، الاقتصادية، السياسية، الاجتماعية، الجمالية والدينية.وثانياً إلى السيكولوجي الأمريكي Thurstone الذي نشر عام 1954 مقالاً بعنوان "قياس القيم: منظور سيكولوجي"، قدم فيه تصوّراً لمعالجة القيم في إطار البحث العلمي النفسي، ثم تالت بعد ذلك بحوث لدراسة القيم وخاصة ضمن علم النفس الاجتماعي . فأصبح موضوع القيم جزءاً من اهتمامات علماء النفس الاجتماعي مثل (Hammer, Wach, 1994; Schwartz, 1990; Fischer, 1996; Feertchack, 2003).

حسب أمين الحق محمد(2017) نقلًا عن الحازمي (2017) تعد القيم من وجهة نظر التربويين هي المعايير الموجهة لحياة الفرد و سلوكه، فهي الأساس في الدافعية و السلوك، فقدان القيم أو ضياعها أو عدم تعرفها يجعل الفرد يندمج في أعمال عشوائية يسيطر عليه الإحباط التام لعدم إدراك جدوى ما تقوم به من أفعال.

رأى يوسف عبد الفتاح(1990) أن القيم ظاهرة دينامية متطرفة، لذلك لابد من النظر إليها من خلال الوسط الذي تنشأ فيه و الحكم عليها حكماً موقفياً و ذلك بحسبها إلى المعايير التي يضعها المجتمع في زمن معين و بإرجاعها إلى الظروف المحيطة بثقافة المجتمع. و عرف Sagiv و Scwgartz (1995) القيم على أنها أهداف مرغوبة تتباين في أهميتها، و تفيد كمبادئ توجيهية في حياة الإنسان(السيد، 2005)

و تعتبر القيم ضرورة هامة يلجأ إليها الفرد للحكم على أشياء ما و يتضح هذا في تعريف أبو جادو(1998) عندما رأى أنها إهتمام أو إختيار و تفضيل أو حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتمياً بمجموعة من المبادئ و المعايير التي وضعها المجتمع الذي يعيش فيه، و الذي يحدد المرغوب فيه و المرغوب عنه.

تشكل القيم لدى الفرد في منظومة أو نظام تعلوه القيم التي تتتصدر الأهمية لدى الفرد – حسب الأولوية أحياناً - أي أن القيم تندرج في سلم شخصي يميز كل فرد عن غيره أي أن لكل فرد نسقه القيمي الخاص به، الذي يشكل من تجاربه وخبراته الذاتية، عن الأشياء والأشخاص والمواضيع والأفكار (سي محمد، 2013).

وتكتسب القيم حسب البطش (1990) المشار إليه في دراسة الزبون و آخرون(2017) أهمية خاصة لدورها الفاعل في توجيه ميول الأفراد واهتماماتهم نحو أيديولوجية سياسية أو دينية أو اجتماعية أو اقتصادية معينة، فهي الوسيلة التي من خلالها يعبر الفرد عن نفسه، وهي التي تساعدته على التبرير المنطقي للسلوكيات والاعتقادات والاتجاهات والتصورات غير المقبولة اجتماعياً. و تلعب القيم أيضا دوراً في مجال الوقاية، وذلك سواء فيما يتعلق

بالوقاية من الإصابة بالأمراض النفسية، أم الوقاية من بعض المشكلات الخطيرة كمشكلة تعاطي المخدرات. وأوضحت نتائج الدراسات أن الحياة المستقرة في ظل القيم الدينية والأخلاقية كانت أحد العوامل الهامة في وقاية الأفراد من الإصابة بالأمراض النفسية حيث كان الدين عاملا هاما في مساعدتهم على التكيف (بوعطيط، 2012). كما تحفظ القيم للجماعة روحها وتماسكها داخل أهدافها التي ارتضتها لنفسها وهي تساعد المجتمع بأفراده وجماعاته المختلفة على التمسك بمبادئ ثابتة ومستقرة تحفظ له هذا التمسك والثبات اللازمين لممارسة حياة اجتماعية سليمة ومستقرة (مرسي عبد العليم، 2001).

ونظراً لأهميته اهتم عدد من الباحثين عملية بناء وتطوير القيم، إذ عليها تعقد الكثير من الآمال لتحقيق طموحات وأمال المجتمع. وتعتبر دراسة خليفة (1992) عن "ارتفاع نسق القيم من الطفولة إلى المراهقة لدى تلاميذ المدارس الحكومية بمصر"، من أبرز الدراسات التي هدفت لاستكشاف الأشكال أو المظاهر التي تتبلور من خلالها هذه القيمة والتغير الذي يطرأ عليها من مرحلة لأخرى بشكل يوضح عن مسار نموها وارتفاعها عبر العمر. من بين النتائج المتوصل إليها عن طريق إتباع الأسلوب العرضي، أن مرحلة المراهقة المتأخرة تعرف بارتفاع نسق القيم، إذ يتوجه نحو المزيد من التكامل بظهور نسق قيمي يستوعب معظم المظاهر الفرعية للقيم (الإنجاز، المساواة، الصدق، الأمانة و العدالة). كما تميزت بظهور عامل التوجّه نحو الآخرين وإقامة علاقة معهم. كان الذكور أكثر توجّها نحو الاستقلال والتفرد، في حين أن الإناث أكثر توجّها نحو التفاعل مع الأصدقاء، و تميزت الإناث أيضاً بالتجاهل الديني.

وتتنوع القيم لتشمل القيم الاجتماعية التي تهتم بالفرد وميله نحو المجتمع والتضحيّة من أجله والعمل على تحقيق السعادة لآخرين، والقيم الأخلاقية التي تعبّر عن خلق الفرد وطبعه في تعامله مع الآخرين في المجتمع الذي ينتمي إليه، والقيم الاقتصادية التي تشير إلى اهتمام الفرد وميله إلى ما هو نافع ومفيد والاهتمام بزيادة الإنتاج وعمليات التسويق والاستثمار الأموال. أما الجمالية فهي تعبّر عن اهتمام الفرد وميله إلى ما هو جميل من ناحية الشكل أو التوافق، والنظر إلى العالم المحيط به نظرة تقدير لتكوينه وتنسيقه وانسجامه وتوافقه الشكلي (الزبون و آخرون)، (2017).

بين كل من (الجماعي، 2010؛ راتب، 2005) المشار إليهما في دراسة مصطفى و آخرون(2017) أن الشباب قد يجد نفسه أمام نوعين من القيم: قيم تقليدية ورثها عن الثقافة السائدة، وقيم جديدة تهدى إليه من التطور الاقتصادي والعلمي والتكنولوجي ومن ثم فإنه لا يبقى أمام الشباب سوى أحد الخيارين : اما ان يثور على القديم، وأما أن يتقبل القديم تحت ضغوط العرف والتقاليد وعوامل التربية ويؤدى ذلك في النهاية إلى توليد الصراع بداخله بين ما هو تقليدي وما هو جديد. فعدم تأصيل القيم السليمة لدى الأفراد والتناقض بين قيم الفرد وما يجده في المجتمع المحيط به يعتبران عاملين رئيسيين في ظهور الشخصية غير السوية التي من ابرز ملامحها عدم التوافق الشخصي وكذلك عدم التوافق مع الآخرين.

نقاً عن (بوعطيط، 2012) تحتوي القيم على ثلاثة عناصر لا يمكن فصل إحداها عن الأخرى لأنها تندمج وتتدخل لتعبر في النهاية عن وحدة الإنسان والسلوك، فهي يحتوي على ثلاثة عناصر مثلها مثل الاتجاهات والمعتقدات وهي:

-المكون المعرفي : يتضمن إدراك موضوع القيمة وتمييزه عن طريق العقل أو التفكير ومن حيث الوعي بما هو جدير بالرغبة والتقدير، ويمثل معتقدات الفرد وأحكامه وأفكاره ومعلوماته عن القيمة، أو بمعنى آخر وضع أحد موضوعات التفكير على بعد أو أكثر من أبعاد الحكم.

- المكون الوجداني : ويشمل الانفعالات والمشاعر والأحساس الداخلية، وعن طريقه يميل الفرد إلى قيمة معينة، ويتصل هذا المكون بتقدير القيمة والاعتذار بها ، وفي هذا الجانب يشعر الفرد بالسعادة لاختيار القيمة ويعلن الاستعداد للتمسك بالقيمة على الملا.

-المكون السلوكى: تظهر في هذا الجانب القيمة، فالقيمة هنا تترجم إلى سلوك ظاهري، ويتصل هذا الجانب بممارسة القيمة أو السلوك الفعلى، والقيم بناء على هذا التصور تقف كمتغير وسيط أو كمعيار مرشد للسلوك أو الفعل.

و لقد أشار العديد من الباحثين (التابعي، 1999؛ المعايطة، 2000؛ زهران، 1985؛ محمد شفيق، 1997؛ مرععي، 1984؛ Golfin، 1972) نقلا عن شرقى (2017) أن القيم تتصرف بمجموعة من الخصائص. الثبات، إلا أن ثباتها نسبي فهي قابلة للتغير، فكثيراً ما يتغير النسق القيمي و يعاد ترتيبه من جديد. و تتميز أيضاً بالهرمية، أي أن قيم كل فرد تكون مرتبة تنازلياً طبقاً لأهميتها له من الأهم فالملهم، حيث تسود لدى كل فرد القيم الأكثر أهمية بالنسبة له. ضف إلى ذلك، تنبثق من خلال التطبيع الاجتماعي، فهي تصور اجتماعي الذي يتحدد من خلال معايير المجتمع.

و ترتبط القيم بالأفكار و المبادئ و الاتجاهات المقبولة في المجتمع و من ثم فهي توضح الطرق و الوسائل المختلفة التي يجب أن يسلك في ضوئها الإنسان حتى يحقق أهدافه، كما تعبّر عن خصائص حضارية، ففي كل فترة زمنية هناك تصور كامل للقيم و لما هو مقبول و ما هو مرفوض و هي تتضمن خصائص تبع من الحضارة التي يعيش فيها الفرد. وحسب أبو جادو (1998) القيمة ذات قطبين في الجملة: فهي إما هذا الوجود أو ذاك، إنها حق أو باطل، خير أو شر.

تعتبر القيم ذات أهمية لتحقيق الصحة النفسية للأفراد وتوافقهم مع ذواتهم ومع المحیط الذي يعيشون فيه، وذلك لأن القيم مرتبطة بذات الفرد وتشكل وجهة نظره للحياة وطريقته في التعامل الاجتماعي، وتعبر عن تفضيلاته وسلوكاته داخل الجماعة ومن ثم فهي تساهم في تحقيق التكيف النفسي، كما أن القيم تحديد المعايير الاجتماعية أو ما هو مقبول أو مرفوض في مجتمع معين وثقافة معينة فتشكل سلوك الفرد وتعامله الاجتماعي مما يؤثر في توافقه النفسي والاجتماعي، ويؤدي الصراع القيمي أو عدم اتساق القيم لدى الفرد إلى حدوث اضطرابات في الشخصية وسوء التوافق، فالمضطربين النفسيين مثلا غالباً ما نجدتهم مُعادين لقيم المجتمع ويرفضون الانصياع لها

ويظهرن عدائية اتجاه القيم وخصوصاً الخلقية والاجتماعية منها، مما يؤدي بهم إلى الإحساس بعدم الانتماء للمجتمع، لهذا يكون تعديل القيم واحداً من وسائل وأساليب العلاج النفسي.

في هذا السياق أشارت دراسة الجموعي (2013) عن القيم الاجتماعية وعلاقتها بالتوافق النفسي والاجتماعي لدى الطالب الجامعي على عينة مكونة من 502 طالباً من طلبة السنة الثانية والستة الثالثة بمعهد العلوم الاجتماعية بجامعة الوادي أن القيم الاجتماعية ترتبط ارتباطاً موجباً بالتوافق النفسي والاجتماعي بأبعاده (الانفعالي، الصحي، الأسري ، أو الاجتماعي) لدى الطالب الجامعي.

- التوافق النفسي

يعتبر موضوع التوافق من المواضيع الأساسية والهامة في علم النفس كما في أغلب الدراسات الإنسانية، فقد كان وما زال محوراً للاهتمام في العديد من الدراسات والأبحاث فهو يعتبر دليلاً ومؤشرًا على الصحة النفسية والسلامة من الاضطرابات والمشاكل النفسية ، وحيث إن الإنسان يمر بعدة مراحل للنمو في حياته وكل مرحلة تتطلب من الفرد القيام بأدوار اجتماعية ونفسية معينة بدءاً من مرحلة الطفولة المبكرة وانتهاء بمرحلة الشيخوخة مروراً بمراحل المراهقة والنضج ، وهذا ما يستوجب تعديلاً مستمراً في سلوكه وتغييره ومتطلبات المرحلة ليصل لحالة التوافق التي تمكنه من العيش بسلام داخلي مع نفسه كما هو مع محبيه الاجتماعي وأداء أدواره بكفاءة وفاعلية.

ولقد تعددت التعبيرات والمصطلحات التي ترمي للتعبير عن حالة الصحة النفسية للفرد من ذلك :الاتزان الانفعالي ، السواء ، العقل السوي ، التوافق.. وهذا الأخير هو الأكثر شيوعاً عند المشتغلين بعلم النفس بل هو شائع لدى المشتغلين بالعلوم السلوكية بصفة عامة (الكحلوت، 2011).

ويشير مفهوم التوافق النفسي حسب كفافي(1990) إلى وجود علاقة منسجمة مع البيئة و تتضمن القدرة على إشباع معظم حاجات الفرد و تلبية معظم المطالب البيولوجية و الاجتماعية والتي ينبغي على الفرد تلبيتها و على هذا الأساس فالتوافق يتم بالإشباع في إطار العلاقة المنسجمة مع البيئة. في نفس الصدد، رأى إبراهيم ناصر(2004) بأن التوافق النفسي هو القدرة على استعادة الفرد لاتزانه الداخلي نتيجة إشباعه لدروافعه الداخلية. وبالتالي يشعر بالرضا و يتبع عن ذلك تقبيله لذاته و ثقته بها واعتماده عليها.

عرف القرطي (2003) التوافق بأنه اتزان الفرد مع نفسه أو تناgeme مع ذاته بمعنى مقدرته على مواجهة وحسن ما ينشأ داخله من صراعات ويتعرض له من إحباطات، ومدى تحرره من التوتر والقلق الناجم عنها، ونجاحه في التوفيق بين دوافعه ونوازعه المختلفة، ثم انسجام الفرد مع ظروف بيئته المادية والاجتماعية عموماً بما فيها من أشخاص آخرين وعلاقات وعناصر و مجالات و موضوعات وأحداث.

و من مظاهر التوافق النفسي حسب ما رأه كل من ماسلو (1971) و عبد السلام الغفار (1976) نخلا عن سني(2015) الرضا عن النفس، الشعور بالسعادة و الراحة النفسية من خلال إشباع الحاجات النفسية الأساسية و تحقيق الذات واستقلال القدرات من خلال فهم النفس و التقييم الواقعي الموضوعي للقدرات.

نقلاً عن راشد و عيسى علي (2011) يتكون التوافق الشخصي والاجتماعي والدراسي من مجموعه من الأبعاد متمثلة في :

-الرضا عن الذات:

عرف الرضا عن الذات بأنها نظرة الفرد واتجاهه نحو ذاته ومدى تقدير هذه الذات من الجوانب المختلفة كالدور والمركز الأسري والمهني ، وبقية الأدوار التي يمارسها في مجال العلاقة بالواقع. و الرضا عن الذات هو الثقة بالنفس والرضا عنها واحترام الفرد لذاته وإنجازاته واعتزازه برأيه وبنفسه وقبله لها واقتناع الفرد بأن لديه من القدرة ما يجعله نداً للآخرين.

- الشعور بالكفاءة والثقة بالنفس:

يتحدد مفهوم الثقة بالنفس من فهم الإنسان لذاته فهماً حسناً، لما له من تأثير كبير في سلوكه، والذي يؤدي بالإنسان إلى النجاح والكفاءة في السلوك بما يتفق مع المفهوم الصحيح للذات، والذي ينشأ من تنشئتها الاجتماعية والتربية السليمة وتكوين الخبرات الشخصية في المواقف التي يعيشها في أثناء عملية تنشئته، في جميع مؤسسات تنشئته الاجتماعية كالأسرة والمدرسة وجماعة الرفاق وأماكن احتكاكه بالآخرين.

- النضج الانفعالي والمقدرة على ضبط النفس:

يقصد بالنضج الانفعالي قدرة الفرد على التحكم بانفعالاته ومرنة التصرف والسيطرة في الموقف الصعبة أو المواقف التي تتطلب قدرًا كبيراً من التروي. ويدرك الخطيب(2006) أن الشخص حتى يكون قادرًا على الاستقلال في التفكير وعلى التوافق على المستوى الشخصي والاجتماعي لابد أن تكون لديه قدرة عالية على ضبط النفس والتحكم في الذات. كما ذهب الدخيل(2002) إلى أن الطلاب الذين يشاركون في النشاط المدرسي يكونون أكثر قدرة على ضبط النفس.

المهارات الاجتماعية:

تكمّن المهارات الاجتماعية هي قدرة الفرد على إظهار الأنماط السلوكية والأنشطة المدعومة إيجابياً والتي تعتمد على البيئة، وتفيّد في عملية التفاعل الإيجابي مع الآخرين في علاقات اجتماعية متنوعة بأساليب مقبولة اجتماعياً في كل من الجانب الشخصي والاجتماعي، وفي الاعتماد على نفسه في حياته اليومية.

و حسب (Glass و Castles، 1986) المهارات الاجتماعية هي مجموعة من السلوكيات الصريحة مثل التواصل البصري، الإيماءات والاستجابات اللغوية المحددة للمثيرات الاجتماعية.

المقدرة على التفاعل الاجتماعي:

من خلال التفاعل الاجتماعي لأعضاء الجماعة تنشأ نواتج جماعية مثل المعايير، والقيم، والأفكار النمطية... الخ، التي لا تقلل من أنشطة الأفراد ذلك بأنها تندمج وتنقل إلى الأفراد.

الإجراءات الميدانية للدراسة

يتناول هذا الجزء من الدراسة الإجراءات المنهجية التي تم إتباعها لتحديد العينة و خصائصها ، الأدوات المطبقة و الأساليب الإحصائية المستعملة لمعالجة المعطيات .

- منهج الدراسة

اقتضت طبيعة الدراسة الحالية استخدام المنهج الوصفي المقارن الذي يعتمد على دراسة الظاهرة في الواقع كما هي موجودة ، و يهتم بوصفها بدقة و التعبير عنها كميا و كييفيا . كما يسهم في تحديد إذا ما كان هناك فروق بين المتغيرات، و عليه فإن الغرض من استخدام هذا النوع من المناهج البحثية يتمثل في تحديد وجود فروق أو عدم وجودها بين المتغيرات موضوع الدراسة و يتم من خلالها التعرف على علاقة استخدام موقع التواصل الاجتماعي بالتوافق النفسي و القيم السائد.

عينة الدراسة

- العينة الاستطلاعية : تم اللجوء إليها لمعرفة الخصائص السيكومترية لأدوات البحث، و قدر حجم عينة إستطلاعية 120 مراهق و مراهقة متوسط العمري 17.5 سنة.

- عينة الدراسة الأساسية : تم اختيار عينة الدراسة عن طريق المعاينة غير الاحتمالية و بالضبط المعاينة العرضية التي تعرف على أنها الطريقة التي تسمح للباحث بسحب عينة من مجتمع البحث حسب ما يليق به و احتمال اختيار عنصر ما بأن يكون ضمن العينة غير معروف و غير محدد مسبقا (أنجرس ، 2004).

و قد تم وضع شرطين أساسيين لاختيار العينة هما: أن يكون أفراد العينة من الجنسين و من مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي .

- حجم العينة: تكون العينة من 203 فرد (100 ذكر، 103 أنثى) تتراوح أعمارهم من 16 إلى 20 سنة بمتوسط عمرى (17.19) سنة و انحراف معياري (0.97).

- خصائص العينة:

يتميز أفراد العينة بالخصائص كما هي موضحة في الجداول التالية:

جدول (01) : توزيع أفراد العينة حسب الخصائص الاجتماعية (الديمغرافية)

الجنس	الحالات	العائلية	يعيشان معاً	الذكور	الإناث	المجموع
المتغيرات				% ت	% ت	%
يعيشان معاً	منفصلان	مطلقات	الأب متوفى	87	95	42,9%
الحالات	العائلية	مطلقات	الأب متوفى	46,8%	182	89,7%
ال الحال	العائلية	مطلقات	الأب متوفى	0,0%	1	0,5%
يعيشان معاً	منفصلان	مطلقات	الأب متوفى	0,5%	1	1,5%
				11	3	5,4%

9-8 أبريل 2019 -نوفي بازار . جمهورية صربيا

3,0%	6	1,5%	3	1,5%	3	الأم متوفية	
2,5%	5	1,0%	2	1,5%	3	بدون مستوى	المستوى
11,3%	23	8,9%	18	2,5%	5	إبتدائي	التعليمي للأب
16,7%	34	7,9%	16	8,9%	18	متوسط	
33,5%	68	20,7%	42	12,8%	26	ثانوي	
30,0%	61	11,3%	23	18,7%	38	جامعي	
9,4%	19	4,4%	9	4,9%	10	بدون مستوى	المستوى
10,3%	21	6,9%	14	3,4%	7	إبتدائي	التعليمي للأم
14,8%	30	7,9%	16	6,9%	14	متوسط	
36,9%	75	17,7%	36	19,2%	39	ثانوي	
26,1%	53	12,3%	25	13,8%	28	جامعي	

جدول رقم (02) توزيع أفراد العينة حسب ظروف إستخدام موقع التواصل الاجتماعي

المتغيرات	الجنس	الذكور		الإناث		المجموع	
		%	ت	%	ت	%	ت
فتح مدة							
من 2 إلى 3 سنوات	ال التواصل الاجتماعي	22,2%	45	14,8%	30	7,4%	15
4 سنوات وأكثر	ال التواصل الاجتماعي	66,0%	134	28,1%	57	37,9%	77
البيت فقط	تصفح مكان	44,3%	90	26,6%	54	17,7%	36
الثانوية فقط	موقع صفحات التواصل	1,0%	2	0,5%	1	0,5%	1
مقاهي الأنترنت	موقع صفحات التواصل الاجتماعي	6,9%	14	1,5%	3	5,4%	11
كلها معا		38,4%	78	16,3%	33	22,2%	45
البيت و المقاهي		3,9%	8	0,5%	1	3,4%	7
البيت و الثانوية		5,4%	11	5,4%	11	0,0%	0
أقل من ساعتين	عدد ساعات	23,2%	47	10,8%	22	12,3%	25

9-8 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

31,5%	64	13,8%	28	17,7%	36	من 2 إلى 4 ساعات	تصفح
45,3%	92	26,1%	53	19,2%	39	5 ساعات و أكثر	صفحات موقع التواصل الاجتماعي
55,2%	112	31,0%	63	24,1%	49	مناقشة الأهل	مناقشة الأهل
44,8%	91	19,7%	40	25,1%	51	عدم مناقشة الأهل	
23,6%	48	18,7%	38	4,9%	10	عدد أصدقاء 50 و أقل	موقع التواصل الاجتماعي
16,7%	34	10,3%	21	6,4%	13	100 - 51	
9,4%	19	5,9%	12	3,4%	7	150-101	
3,4%	7	2,0%	4	1,5%	3	200-151	
6,4%	13	2,5%	5	3,9%	8	250 - 201	
40,4%	82	11,3%	23	29,1%	59	251 و أكثر	

- أدوات الدراسة

تمثلت الأدوات المستخدمة في هذه الدراسة فيما يلي:

استبيان المعطيات الديموغرافية: تم بناء استبيان أساس توقعاته تبثق من المعرفة النظرية ، يغطي بعض الخصائص الديمografية المتعلقة بالمبحوثين .يتكون هذا الإستبيان من 10 أسئلة، الهدف منها التعرف على البيانات الشخصية و العائلية، كما تهدف التعرف على ظروف استخدام موقع التواصل الإجتماعي من حيث مدة فتح صفحات موقع التواصل الإجتماعي، عدد الساعات و أصدقاء موقع التواصل الإجتماعي، مكان تصفحها، القيم المكتسبة من هذه الموقع و مدى مناقشة الوالدين محتوى المعلومات المكتسبة من هذه الموقع.

- مقياس القيم الفارقة: وضع هذا المقياس من طرف Prince و أسماه The Differential Values Inventory و نقله جابر عبد الحميد إلى العربية. يتكون المقياس من 64 زوجاً من العبارات تدور حول أشياء قد يرى الفرد أن من الواجب عملها أو الشعور بها أو من غير الواجب عملها أو الشعور بها. يتكون كل عنصر من 64 من عبارتين على المجيب أن يختار واحدة منهما، إحداها تمثل قيمة تقليدية و الأخرى تمثل قيمة عصرية، و يتحدد إتجاه المجيب عن المقياس و غلبة القيم العصرية أو التقليدية بإختياره لـ 64 عبارة تمثل قيمة من بين 128 عبارة. يقوم المقياس على تصنيف القيم إلى نوعين: قيم تقليدية أو أصلية، و قيم منبثقة أو عصرية، و كل نوع منها يضم فروعاً أربعة هي:

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

- أخلاقيات النجاح في العمل (قيمة تقليدية) مقابل قيم الاستمتاع بالصحة والأصدقاء (قيمة عصرية).
- الإهتمام بالمستقبل (قيمة تقليدية) مقابل الاستمتاع بالحاضر (قيمة عصرية).
- إستقلال الذات (قيمة تقليدية) مقابل مسيرة الآخرين (قيمة عصرية).
- التشدد في الخلق والدين (قيمة تقليدية) مقابل النسبة والتساهل (قيمة عصرية).

بعد أن يختار المبحوث عبارة من العبارتين في كل فقرة إما (أ)، (ب) و يضع علامة (+) أمام العبارة المختارة. يصحح المقياس و تحسب كل عبارة تمثل القيم التقليدية بدرجة واحدة اي أن أعلى درجة في المقياس هي 64 و أقل درجة هي (00) و التي تمثل القيم العصرية. و على الرغم من أن هذه العلامات ممكنة إلا أن الفرد عامة يختار عددا من هذه العبارات و عددا من تلك (السيد، 2005).

- الخصائص السيكومترية للمقياس

لحساب خصائص الإستبيان السيكومترية تم تطبيقه على 120 مراهق و مراهقة متوسطهم العمري 17.5 سنة و ذلك بعد عرضه على مجموعة من أساتذة علم النفس ذوي الخبرة في مجال البحث العلمي بجامعتي مولود معمرى تيزى وزو وجامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر-2 و الذي قدر عددهم (13) حيث طلب منهم إبداء الرأى حول بنود الإستبيان من حيث سلامة اللغة و مدى ملائمة كل بند بالنسبة لأفراد العينة . تم حساب نسبة اتفاق المحكمين(80%) لكل عبارة ، ولم يتم استبعاد أي عبارة مع تعديل صياغة بعض العبارات بناء على آراء السادة المحكمين، وبذلك يكون الاستبيان قد خضع لصدق المحتوى أو الظاهري .

بعد التأكد من الصدق الظاهري للإستبيان ، تم حساب صدقه الداخلي الذي يسمح بالحصول على تقدير صدقه التكويني أو البنائي الذي يقصد به مدى تقييم الإستبيان للبناء النظري الذي صمم لقياسه . و قد تحقق هذا النوع من الصدق من خلال حساب العلاقة الإرتباطية بين درجة كل بند من بنود الإستبيان و الدرجة الكلية للبعد و العلاقة الإرتباطية بين درجة كل بند و الدرجة الكلية للإستبيان. أظهرت نتائج المعالجة الإحصائية لدرجات الأفراد على مقياس القيم الفارقة وجود علاقة إرتباطية دالة بين درجة كل بند من بنود الإستبيان و الدرجة الكلية لكل بعد و الإستبيان ككل . و الجدول الموالي يوضح نتائج ذلك :

جدول رقم (03) : معاملات الإرتباط بين كل بند مقياس القيم الفارقة مع الدرجة الكلية لكل بعد و إستبيان ككل

البند	الإرتباط	البند	الإرتباط	البند	الإرتباط	البند	الإرتباط
الإستبيان	البعد	الإستبيان	البعد	الإستبيان	البعد	الإستبيان	البعد
** 0.689**	55	** 0.709**	37	** 0.802**	19	**	*** 01

0.626		0.687		0.732		0.423	0.423					
	**	0.543**	56	**	0.804**	38	**	0.777**	20	**	**	02
0.439			0.696			0.707			0.702	0.691		
	**	0.763**	57	**	0.559**	39	**	0.722**	21	**	**	03
0.750			0.504			0.639			0.704	0.713		
	**	0.732**	58	**	0.670**	40	**	0.774**	22	**	**	04
0.749			0.587			0.631			0.641	0.659		
	**	0.704**	29	**	0.582**	41	**	0.787**	23	**	**	05
0.623			0.495			0.692			0.599	0.694		
	**	0.721**	60	**	0.782**	42	**	0.806**	24	**	**	06
0.695			0.730			0.746			0.728	0.791		
	*	0.337**	61	**	0.760**	43	**	0.719**	25	**	**	07
0.513			0.721			0.722			0.708	0.800		
	**	0.487**	62	**	0.695**	44	**	0.672**	26	**	**	08
0.479			0.621			0.655			0.731	0.776		
	**	0.721**	63	**	0.565**	45	**	0.483**	27	**	**	09
0.602			0.568			0.392			0.518	0.659		
	**	0.640**	64	**	0.724**	46	**	0.697**	28	**	**	10
0.568			0.585			0.539			0.549	0.681		
	**	0.450**	47	**	0.597**	29	**	**	**	**	**	11
		0.361			0.368				0.696	0.762		
	**	0.630**	48	**	0.628**	30	**	**	**	**	**	12
		0.546			0.329				0.460	0.584		
	**	0.652**	49	**	0.716**	31	**	**	**	**	**	13
		0.644			0.614				0.622	0.617		
	**	0.595**	50	**	0.717**	32	0578**		**	**	**	14
		0.555			0.739					0.608		
	**	0.683**	51	**	0.661**	33	0.537*		**	**	**	15
		0.681			0.616					0.333		
	**	0.717**	52	**	0.681**	34	**	**	**	**	**	16
		0.666			0.606				0.400	0.442		

9-8 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

	**	0.629**	53	**	0.662**	35	**	**	17
0.550				0.567			0.693	0.426	
	**	0.717**	54	**	0.670**	36	**	**	18
0.625				0.634			0.625	0.619	

** قيم الإرتباطات دالة عند مستوى الدلالة 0.01 . * قيم الإرتباطات دالة عند مستوى الدلالة 0.05

يلاحظ من خلال الجدول رقم (03) أن قيم معاملات الإرتباط بين درجة كل بند و بين الدرجة الكلية للإستبيان جميعها دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (0.01) ، مما يعني أن بنود الإستبيان متتجانسة مع الإستبيان ككل ، و هذا يدل على التجانس الداخلي له مما يعطي مؤشرا على صدقه . كما يتضح من خلال الجدول أن جميع الدرجات الخاصة بمعاملات الإرتباط بين درجة كل بند و البعد الخاص به كانت جميعها دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (0.01) ، وبالتالي تعطي الثقة في الإستبيان و صلاحيته للتطبيق . ولحساب ثبات الإستبيان، تم الاعتماد على طريقة ألفا كرونباخ لكل بعد من أبعاد الإستبيان و الإستبيان ككل.

جدول رقم (04) : حساب الثبات بطريقة معامل ألفا كرونباخ .

الأبعاد	عدد البنود	قيمة ألفا كرونباخ
أخلاقيات النجاح في العمل و يقابلها قيمة الإستمتعان بالصحبة و الأصدقاء)	16	0.87
الاهتمام بالمستقبل مقابل الإستمتعان بالحاضر	16	0.88
استقلال الذات مقابل مسايرة الآخرين	16	0.79
التشدد في الخلق و الدين (تقليدية) مقابل النسبية و التسامح	16	0.71
الدرجة الكلية	64	0.82

يتضح من نتائج الجدول رقم (04) الخاص بثبات مقياس القيمة الفارقة باستخدام معامل ألفا كرونباخ أن قيم معامل الخاصة بالأبعاد تراوحت من (0.71) إلى (0.88) . أما فيما يخص بقيمة ثبات المقياس ككل فقد بلغت (0.82) ، مما يشير إلى أن المقياس توفر فيه درجة جيدة من الثبات تناسب غرض البحث العلمي و تعطيه ثقة لدى الباحثين في ثبات نتائجه عند التطبيق .

- **مقياس التوافق النفسي :** تم استخدام مقياس التوافق النفسي الذي أعده شناوي و عباس (2014) . يهدف هذا المقياس إلى تحديد مستوى التوافق النفسي لدى المراهقين. يتكون المقياس من 63 بندًا مقسمة إلى

04 مقاييس فرعية: التوافق الشخصي و فقراته (17-1)، التوافق الأسري و فقراته (18-33)، التوافق الاجتماعي و فقراته (34-51) و التوافق الأكاديمي و فقراته (52-63).

تكون الإجابة وفقاً لسلم ليكرت ذي المستويات الخمسة من "أوافق بشدة" و التي يحصل عندها المبحوث على 5 درجات إلى " لا أوافق بشدة" و التي يحصل عندها المبحوث على درجة واحدة (1) ، و هذا في حالة العبارات الإيجابية و العكس في حالة العبارات السلبية.

- الخصائص السيكومترية لمقياس التوافق النفسي: لحساب خصائص المقياس السيكومترية تم إتباع نفس الخطوات السابقة الذكر أي التأكد من الصدق الظاهري أولاً ، ثم حساب صدقه الداخلي و قد من خلال حساب العلاقة الإرتباطية بين درجة كل بند من بنود المقياس و الدرجة الكلية للبعد و العلاقة الإرتباطية بين درجة كل بند و الدرجة الكلية للمقياس. أظهرت نتائج المعالجة الإحصائية لدرجات الأفراد على المقياس وجود علاقة إرتباطية دالة بين درجة كل بند من بنود المقياس و الدرجة الكلية لكل بعد و المقياس ككل. و الجدول الموالي يوضح نتائج ذلك:

جدول رقم (05): معاملات الارتباط بين كل بند مقياس التوافق النفسي مع الدرجة الكلية لكل بعد و المقياس ككل

		البند الإرتباط		البند الإرتباط		البند الإرتباط		البند الإرتباط		البند الإرتباط	
المقياس	البعد	المقياس	البعد	المقياس	البعد	المقياس	البعد	المقياس	البعد	المقياس	البعد
0.569**	0.886**	61	0.736**	0.788**	41	0.554**	0.684**	21	0.505*	0.504*	01
0.539**	0.893**	62	0.564**	0.620**	42	0.540**	0.591**	22	0.448**	0.551**	02
0.558**	0.824**	63	0.726**	0.848**	43	0.485**	0.583**	23	0.565**	0.632**	03
			0.542**	0.546**	44	0.620**	0.783**	24	0.587**	0.686**	04
			0.404**	0.448**	45	0.492**	0.326**	25	0.366**	0.523**	05
			0.471**	0.515**	46	0.625**	0.698**	26	0.622**	0.688**	06
			0.496**	0.526**	47	0.394**	0.665**	27	0.537**	0.716**	07
			0.559**	0.655**	48	0.518**	0.576**	28	0.533**	0.641**	08
			0.562**	0.667**	49	0.670**	0.655**	29	0.521**	0.522**	09
			0.741**	0.782**	50	0.371**	0.486**	30	0.685**	0.706**	10
			0.643**	0.707**	51	0.560**	0.644**	31	0.326**	0.519**	11

9-8 نوفي بزار، جمهورية صربيا

	0.441*	0.373**	52	0.624**	0.699**	32	0.718**	0.817**	12
	0.433**	0.635**	53	0.669**	0.743**	33	0.436**	0.448**	13
	0.608**	0.691**	54	0.438**	0.449**	34	0.684**	0.753**	14
	0.467**	0.306**	55	0.483**	0.696**	35	0.277*	0.496**	15
	0.437**	0.598**	56	0.520**	0.616**	36	0.675**	0.774**	16
	0.644**	0.734**	57	0.446**	0.646**	37	0.586**	0.763**	17
	0.754**	0.788**	58	0.485**	0.671**	38	0.591**	0.701**	18
	0.637**	0.675**	59	0.599**	0.654**	39	0.689*	0.821**	19
	0.548**	0.842**	60	0.663**	0.763**	40	0.680**	0.753**	20

**قيم الإرتباطات دالة عند مستوى الدلالة 0.01 . * قيم الإرتباطات دالة عند مستوى الدلالة 0.05

يلاحظ من خلال الجدول رقم (05) أن قيم معاملات الارتباط بين درجة كل بند و بين الدرجة الكلية للمقياس جميعها دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (0.01) و مستوى الدلالة (0.05) ، مما يعني أن البنود متجانسة مع المقياس ككل ، و هذا يدل على التجانس الداخلي له مما يعطي مؤشرًا على صدقه . كما يتضح من خلال الجدول أن جميع الدرجات الخاصة بمعاملات الارتباط بين درجة كل بند و بعد الخاص به كانت أغلبها دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (0.01) ، وبالتالي تعطي الثقة في المقياس و صلاحيته للتطبيق. ولحساب ثبات المقياس ، تم الاعتماد على طريقة ألفا كرونباخ لكل بعد من أبعاد المقياس و المقياس ككل.

جدول رقم (06) : حساب ثبات مقياس التوافق النفسي بطريقة معامل ألفا كرونباخ

الأبعاد	عدد البنود	قيمة ألفا كرونباخ
التوافق الشخصي	17	0.79
التوافق الأسري	16	0.84
التوافق الاجتماعي	18	0.88
التوافق الأكاديمي	12	0.82
التوافق النفسي	63	0.83

9-8 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

- الأساليب الإحصائية المستعملة: بعد جمع المعطيات ، فرزها وتفریغها في جداول قصد معالجتها إحصائياً باستعمال برنامج الرزنامة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS 20 ، تم تحليل بيانات الدراسة بالأساليب الإحصائية التالية: معامل ارتباط بيرسون لحساب الصدق الداخلي لبنود الأدوات ، معامل ثبات ألفا كرونباخ لحساب ثبات أدوات الدراسة، التكرارات و النسب المئوية لوصف خصائص عينة الدراسة. كما تم استخدام الاختبار "ت" للفروق و تحليل التباين.

– عرض نتائج الدراسة

- عرض نتائج التساؤل الأول نص التساؤل على ما يلي : ما مستوى التوافق النفسي لدى المراهقين مستخدمو موقع التواصل الاجتماعي؟ للإجابة على التساؤل تم استعمال المتosteات الحسابية و الانحراف المعياري، كما هو موضح في الجدول رقم (07)

جدول (07): مستوى التوافق النفسي بأبعاده لدى المراهقين مستخدمو موقع التواصل الاجتماعي

التوافق النفسي وأبعاده	العدد الافتاد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المستوى
التوافق الشخصي	203	3,42	0,51	متوسط
التوافق الأسري	203	3,77	0,71	مرتفع
التوافق الاجتماعي	203	3,51	0,59	متوسط
التوافق الأكاديمي	203	3,58	0,65	متوسط
التوافق النفسي	203	3,57	0,44	متوسط

يتضح من الجدول (07) أن مستويات التوافق النفسي بأبعاده متوسطة لأن متosteاتها الحسابية تتراوح بين (3,42 و 3,58) وهذه المتosteات جاءت قيمها ضمن المستوى المتوسط الذي حدد صاحب المقياس (شناوي و عباس، 2014)، أي بين (2,34 و 3,67) التي باستثناء بُعد التوافق الأسري الذي جاءت قيمة متوسطة مرتفعة (3,77) تتراوح بين (3,68 و 5,00). وبالتالي فإن مستوى التوافق النفسي بشكل عام وأبعاده متوسط باستثناء بُعد التوافق الأسري.

- عرض نتائج التساؤل الثاني: نص التساؤل على ما يلي : ما القيم السائدة لدى المراهقين مستخدمو موقع التواصل الاجتماعي؟ للإجابة على التساؤل تم استعمال المتosteات الحسابية و الانحراف المعياري، كما هو موضح في الجدول رقم (08).

جدول (08): القيم السائدة لدى المراهقين مستخدمو موقع التواصل الاجتماعي

9-8 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

	القيمة السائدة	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	عدد الأفراد	القيم وأبعادها
					تقلدية
	0,16	0,54	203		أخلاقيات النجاح في العمل (تقلدية) مقابل قيم الاستمتاع بالصحبة والأصدقاء (عصرية)
	0,15	0,51	203		الاهتمام بالمستقبل (تقلدية) مقابل الاستمتاع بالحاضر (عصرية)
	0,14	0,55	203		استقلال الذات(تقلدية) مقابل مسيرة الآخرين (عصرية)
	0,15	0,53	203		التشدد في الخلق والدين (تقلدية) مقابل النسبية والتساهل (عصرية)
	0,1	0,53	203		القيم

يتضح من الجدول (08) أن القيم السائدة لدى المراهقين مستخدمي الأنترنت تقلدية، بحيث أن المتوسطات الحسابية لقيم وأبعادها تتعذر القيمة المتوسطة (0,50) بانحرافات معيارية متقاربة فيما بينها. بحيث أن المتوسطات الحسابية تتراوح بين (0,51) في قيمة الاهتمام بالمستقبل مقابل مسيرة الآخرين و (0,55) في قيمة استقلال الذات مقابل مسيرة الآخرين. بمعنى أن المراهقين مستخدمي الأنترنت يتميزون بأخلاقيات النجاح والاهتمام بالمستقبل واستقلال الذات والتشدد في الخلق والدين ولا يتميزون بالاستمتاع بالصحبة والأصدقاء والاستمتاع بالحاضر ومسيرة الآخرين والنسبة والتساهل.

عرض نتائج الفرضية الأولى : نصت الفرضية : " هناك فروق في مستوى التوافق النفسي بأبعاده لدى المراهقين مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي تعزى للجنس ". للتحقق من هذه الفرضية تم استخدام إختبار "ت". فتم الحصول على النتائج كما هي مبينة في الجدول رقم (09).

جدول (09): دلالة الفروق في التوافق النفسي بأبعاده لدى المراهقين مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي تعزى للجنس (ذكر، أنثى).

الدلاله وأبعاده	الدلاله	درجات الحرية	قيمة "ت"	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	عدد الأفراد	الجنس	التوافق الشخصي	التوافق الأسري
0,001	201	3,46**	0,52	3,54	100	ذكر			
			0,47	3,30	103	أنثى			
0,31	195,85	1,02	0,64	3,82	100	ذكر			

9-8 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

			0,78	3,72	103	أنثى	
0,57	201	0,56	0,55	3,48	100	ذكر	التوافق الاجتماعي
			0,62	3,53	103	أنثى	
0,002	201	3,07**	0,65	3,44	100	ذكر	التوافق الأكاديمي
			0,63	3,72	103	أنثى	
0,67	201	0,40	0,41	3,58	100	ذكر	التوافق النفسي
			0,46	3,55	103	أنثى	

** قيمة "ت" دالة عند 0,01 و 0,05

يتضح من الجدول (09) وجود فروق دالة احصائيا بين الذكور والاناث في التوافق الشخصي والتوافق الأكاديمي ($p < 0,05$), بحيث جاءت المتوسطات الحسابية لكل منهما متباعدة (3,30 مقابل 3,54) في التوافق الشخصي، و (3,44 مقابل 3,72) في التوافق الأكاديمي. في حين لا توجد فروق بين الذكور والاناث في التوافق الأسري والتوافق الاجتماعي والتوافق النفسي بشكل عام ($p > 0,05$), والتي جاءت متوسطاتها متقاربة جدا (3,58 مقابل 3,72) في التوافق الأسري، و (3,53 مقابل 3,48) في التوافق الاجتماعي، و (3,55 مقابل 3,55) في التوافق النفسي عامة. وبالتالي توجد فروق دالة احصائيا بين الذكور والاناث في التوافق الشخصي لصالح الذكور والتوافق الأكاديمي لصالح الاناث، ولا توجد فروق دالة احصائيا بين الذكور والاناث في التوافق الأسري والاجتماعي والتوافق بشكل عام.

عرض نتائج الفرضية الثانية : نصت الفرضية : " هناك فروق في مستوى التوافق النفسي بأبعاده لدى المراهقين مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي تعزى للحوار الأسري ". للتحقق من هذه الفرضية تم إستخدام إختبار "ت". فتم الحصول على النتائج كما هي مبينة في الجدول رقم (10).

جدول (10): دلالة الفروق في التوافق النفسي بأبعاده لدى المراهقين مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي تعزى إلى الحوار الأسري (نعم، لا).

الدلالـة	درجـات الحرـية	قيـمة "ت"	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابـي	عـدـد الأـفـراد	الـحـوار الأـسـري	الـتوافق النفـسي	الـتوافق الشـخصـي	وأـبعـادـه
0,09	201	1,70	0,50	3,48	112	نعم			
			0,51	3,35	91	لا			
0,03	195,85	2,15*	0,69	3,87	112	نعم			
			0,73	3,65	91	لا			

9-8 آبریل 2019 -نوفی بازار. جمهوریہ صربا

نعم	التوافق الاجتماعي						
لا							
نعم	التوافق الأكاديمي						
لا							
نعم	التوافق النفسي						
لا							

* قيمة "ت" دالة عند 0,05 ** قيمة "ت" دالة عند 0,01

يتضح من الجدول (10) وجود فروق دالة احصائية في التوافق الأسري والتوافق الأكاديمي والتوافق بشكل عام بين المراهقين الذين يتحاورون مع أسرهم والذين لا يتحاورون ($p < 0,05$)، بحيث جاءت المتوسطات الحسابية لكل منهما متباعدة (3,87 مقابل 3,65) في التوافق الأسري، و (3,68 مقابل 3,46) في التوافق الأكاديمي، و (3,64 مقابل 3,47) في التوافق النفسي بشكل عام. في حين لا توجد فروق بين المراهقين الذين يتحاورون مع أسرهم والمراهقين الذين لا يتحاورون في التوافق الشخصي والتوافق الاجتماعي. وبالتالي توجد فروق دالة احصائية بين المراهقين الذين يتحاورون مع أسرهم والذين لا يتحاورون في التوافق الأسري والتوافق الأكاديمي والتوافق بشكل عام لصالح المراهقين الذين يتحاورون مع أسرهم، ولا توجد فروق دالة احصائية بينهما في التوافق الشخصي والتوافق الاجتماعي .

عرض نتائج الفرضية الثالثة : نصت الفرضية : " هناك فروق في القيم بأبعاده لدى المراهقين مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي تعزى للجنس ". للتحقق من هذه الفرضية تم استخدام إختبار "t". فتم الحصول على النتائج كما هي مبينة في الجدول رقم (11).

جدول (11): الفروق في القيم بأبعادها لدى المراهقين مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي تعزى للجنس (ذكر، أنثى).

الدلالـة	درجـات	قيـمة	الانحراف	المتوسـط	عـدد	الجـنس	أـلـقـيـمـاتـ وـأـبعـادـهـ
الحرـيةـ	"ـتـ"	ـالـمـعـيـارـيـ	ـالـحـاسـبـيـ	ـالـأـفـرـادـ			
0,82	201	0,22	0,15	0,54	100	ذكر	أخـلاقـيـاتـ النـجـاحـ فـيـ الـعـمـلـ (ـ تـقـليـدـيـةـ)ـ مـقـابـلـ قـيمـ
			0,16	0,54	103	أنـثـىـ	الـإـسـتـمـنـاعـ بـالـصـحـبـةـ وـالـأـصـدـقـاءـ (ـ عـصـرـيـةـ)
0,008	201	2,69	0,14	0,54	100	ذكر	الـإـهـتمـامـ بـالـمـسـتـقـبـلـ (ـ تـقـليـدـيـةـ)ـ مـقـابـلـ الإـسـتـمـنـاعـ
			0,14	0,49	103	أنـثـىـ	بـالـحـاضـرـ (ـ عـصـرـيـةـ)

9-8 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

0,06	201	1,86	0,14	0,53	100	ذكر	إستقلال الذات(تقليدية) مقابل مسائية الآخرين (عصرية)
			0,14	0,57	103	أنثى	
0,07	201	1,83	0,16	0,51	100	ذكر	التشدد في الخلق والدين (تقليدية) مقابل النسبية والتساهل (عصيرية)
			0,15	0,55	103	أنثى	
0,75	201	0,32	0,09	0,53	100	ذكر	القيم
			0,10	0,54	103	أنثى	

**قيمة "t" دالة عند 0,05 و 0,01

يتضح من الجدول (11) وجود فروق دالة احصائية بين الذكور والإناث في قيمة الاهتمام بالمستقبل مقابل الاستمتناع بالصحبة فقط ($p < 0,05$), بحيث جاء متوسط الذكور (0,54) أكبر من متوسط الإناث (0,49). في حين لا توجد فروق دالة احصائية بين الذكور والإناث في القيم الأخرى؛ أخلاقيات النجاح مقابل الاستمتناع بالصحبة، واستقلال الذات مقابل مسائية الآخرين، والتشدد في الخلق والدين مقابل النسبية والتساهل وفي القيم السائدة بشكل عام ($p > 0,05$). وبالتالي توجد فروق دالة احصائية بين الذكور والإناث في قيمة الاهتمام بالمستقبل مقابل الاستمتناع بالصحبة ولا توجد فروق في القيم السائدة الأخرى لدى المراهقين مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي.

عرض نتائج الفرضية الرابعة : نصت الفرضية : " هناك فروق في القيم بأبعاده لدى المراهقين مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي تعزى للحوار الأسري ". للتحقق من هذه الفرضية تم إستخدام اختبار "t". فتم الحصول على النتائج كما هي مبينة في الجدول رقم (12).

جدول (12): الفروق في القيم بأبعادها لدى المراهقين مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي تعزى للحوار الأسري (نعم، لا).

القيم وأبعادها	الحوار	عدد الأفراد	الدرجات	المتوسط	الانحراف	قيمة المعياري	الحرية	الدلاله
أخلاقيات النجاح في العمل (تقليدية) مقابل قيم الإستمتناع بالصحبة والأصدقاء (عصيرية)	نعم	112		0,55	0,14	0,89	201	0,37
الإهتمام بالمستقبل (تقليدية) مقابل الإستمتناع بالحاضر (عصيرية)	نعم	112		0,51	0,15	0,60	201	0,55

9-8 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

0,39	201	0,86	0,14	0,56	112	نعم	إستقلال الذات(تقليدية) مقابل مسائية الآخرين (عصيرية)
				0,15	0,54	91	لا
0,59	201	0,55	0,16	0,54	112	نعم	التشدد في الخلق والدين (تقليدية) مقابل النسبية والتساهل (عصيرية)
				0,15	0,52	91	لا
0,51	201	0,66	0,09	0,54	112	نعم	القيم
				0,11	0,53	91	لا

يتضح من الجدول (12) عدم وجود فروق دالة احصائيا بين المراهقين الذين يتحاورون مع أسرهم والذين لا يتحاورون في القيم السائدة وأبعادها الأربع ($p > 0,05$), بحيث جاءت متوسطات الذين يتحاورون مع أسرهم متقاربة جداً مع متوسطات الذين لا يتحاورون في القيم وأبعادها. فعلى سبيل المثال جاء متوسط المراهقين الذين يتحاورون مع أسرهم (0,55) ومتوسط المراهقين الذين لا يتحاورون (0,53) في أخلاقيات النجاح في العمل مقابل الاستمتاع بالصحبة والأصدقاء، ومتوسط المراهقين الذين يتحاورون (0,51) ومتوسط المراهقين الذين لا يتحاورون (0,52). وبالتالي لا توجد فروق دالة احصائيا في القيم السائدة لدى المراهقين مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي حسب الحوار الأسري (يتحاورون، لا يتحاورون).

- عرض نتائج الفرضية الخامسة : نصت الفرضية : " هناك فروق في القيم بأبعاده لدى المراهقين مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي تعزى مدة إستخدام هذه المواقع ". للتحقق من هذه الفرضية تم إستخدام تحليل التباين. فتم الحصول على النتائج كما هي مبينة في الجدول رقم (13).

جدول (13): دلالة الفروق في القيم وأبعادها لدى المراهقين مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي تعزى إلى مدة استخدام موقع التواصل الاجتماعي (سنة أو أقل، من 2 إلى 3 سنوات، 4 سنوات أو أكثر).

القيم وأبعادها	مصدر التباين	مجموع درجات	متوسط	قيمة "ف"
أخلاقيات النجاح في العمل (تقليدية) مقابل قيم الاستمتاع بالصحبة والأصدقاء (عصيرية)	بين المجموعات داخل المجموعات الكلي	0,015	2	0,008
		4,97	200	0,025
		4,98	202	
الإهتمام بالمستقبل (تقليدية) مقابل الإهتمام بالحاضر (عصيرية)	بين المجموعات داخل المجموعات الكلي	0,104	2	0,05
		4,22	200	0,02
		4,33	202	

9-8 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

0,34	0,02	2	0,045	استقلال الذات(تقليدية) مقابل مسيرة الآخرين بين المجموعات	
				داخل المجموعات	
				الكلي	
0,75	0,007	2	0,014	التشدد في الخلق والدين (تقليدية) مقابل بين المجموعات	(عصيرية)
0,49	0,007	2	0,014	القيم بين المجموعات	

يتضح من الجدول (13) قيم "ف" غير دالة احصائيا، لذا لا توجد فروق دالة احصائيا بين المراهقين في القيم السائدة حسب مدة استخدام موقع التواصل الاجتماعي (سنة أو أقل، بين 2 و 3 سنوات، 4 سنوات أو أكثر) ($p > 0.05$) ، بحيث أن مدة استخدام موقع التواصل الاجتماعي لدى المراهقين لا تؤثر على القيم السائدة لديهم.

خاتمة و توصيات:

تعد القيم القاعدة الأساسية التي يقوم عليها المجتمع و التي تؤدي لتماسك و تطور المجتمع بجانب العلاقات الاجتماعية القائمة بين أفرادها. و للقيم مكانة مهمة في حياة الفرد و المجتمع، و لها أهميتها بالنسبة للمراهقين فتعمل على وقايتهم من الانحراف و تساهم في بناء شخصيتهم و قدرتهم على التكيف مع الحياة و مشكلاتها. على الرغم من أن هناك عمل مباشر يجري مع الأبناء في الكثير من الأسر، حيث يكون التفاعل وجهاً لوجه ممكناً ، إلا أنه سيكون مرغوباً للحكومات والمنظمات غير الحكومية المجتمعية أن تقوم بسلسلة من الإجراءات لتعزيز الوعي وتنمية المهارات لمساعدة المراهقين على استخدام الإنترنت في بيئة آمنة. و على ضوء النتائج المتوصّلة إليها يمكن تقديم بعض التوصيات المتمثّلة في :

- إنشاء خطوط متصلة بالإنترنت، من أجل دعم الأولياء و مساعدتهم على الإبلاغ عن الجرائم على الإنترت المرتكبة على أبنائهم وتقديم المشورة.
- إنشاء موقع أو منصات إنترنت لتزويد المراهقين و الآباء بقاعدة تعليمية. يكون محتوى هذه المواقع كل ما يتعلق بأمن الإنترت، إلا أن الأمر يتطلب تحدّيه بانتظام نظراً للتغيير السريع للإنترنت بحيث لا يمكن أن تنجح التدابير التكنولوجية إلا بمواكبة وتيرة التطور. و تعتبر التدابير التي تبني داخل الأسرة الأكثر فعالية ودينونة، والتي تتطوّر

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

على المجتمع والتعليم والتمكين، حتى يتمكن المراهقون من اتخاذ الخيارات الصحيحة والاستفادة من السلطة المتولدة من الأنترنت.

المراجع:

- إبراهيم ناصر (2004). *التنشئة الاجتماعية*. الطبعة الأولى دار عمار للنشر والتوزيع. عمان.
- أبو جادو، محمد علي.(1998). *سيكولوجية التنشئة*. دار المسيرة. الأردن
- أبوصعيليك، ضيف الله عودة و الزبون، محمد سليم.(2013). أثر شبكات التواصل الاجتماعي على اتجاهات طلبة الجامعات في الأردن. مؤةة للبحوث والدراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 28، العدد 07 .323 -359.
- أبو عاذرة، أسماء عودة.(2017). *المهارات الاجتماعية و التفكير الإيجابي و علاقتها بآدeman شبكات التواصل الاجتماعي لدى طلبة جامعة الأزهر بغزة*. قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في علم النفس. قسم علم النفس. كلية التربية. جامعة الأزهر - غزه.
- الجموعي، مومن بكوش. (2013). *القيم الاجتماعية وعلاقتها بالتوافق النفسي والاجتماعي لدى الطالب الجامعي*. رسالة ماجستير في علم النفس الاجتماعي .جامعة بسكرة.
- الحازمي، محمد بن عبد الله.(2017). دور الأسرة في تنمية القيم الخلقية لدى الطفل في ضوء التربية الإسلامية. *المجلة الدولية للتربية المتخصصة*، المجلد (6)، العدد (6)، 155 – 166 .
- الحالدي، عبد الرحمن بن منيف.(2014). *الوعي الذاتي وعلاقته بالتوافق النفسي لدى طلاب وطالبات المرحلة الثانوية*. مشروع بحثي كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في التوجيه والإرشاد التربوي. برنامج الدراسات العليا التربوية. جامعة الملك عبد العزيز. المملكة العربية السعودية.
- الزبون، أحمد محمد ، أبو ملحم، محمد حسني و العواملة، عبد الله أحمد. (2017). درجة تأثير شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية على المنظومة القيمية لطلبة كلية عجلون الجامعية. *المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية*. المجلد،10 ، العدد 3. 331-357.
- الرقاي، نادية مصطفى.(2001). *القدرة على التفكير الابتكاري في علاقتها بالقيم و بعض المتغيرات السيكوسوسنولوجية الأخرى لدى عينة من طلبة الجذع المشترك بمعهد علم النفس جامعة وهران بالجزائر*. جامعة متوري . قسنطينة. عدد 15 جوان. 35-58.
- السيد، إبراهيم السيد أحمد.(2005). *البناء القيمي و علاقته بالتنشئة الاجتماعية و الدافعية للإنجاز*. دراسة ميدانية مقارنة على عينة من الطلاب الإندونيسيين و الماليزيين الدارسين بالجامعات المصرية. رسالة دكتوراه. قسم العلوم الاجتماعية. معهد البحوث و الدراسات الآسيوية. جامعة الرقازيق.
- الطيار، فهد بن علي.(2014). *شبكات التواصل الاجتماعي و أثرها على القيم لدى طلاب الجامعة "توبير نموذجا"*. دراسة تطبيقية على طلاب جامعة الملك سعود. *المجلة العربية للدراسات الأمنية و التدريب*. المجلد 31 . العدد 61. 193-226.

8 أبريل 2019 - نوفي بازار، جمهورية صربيا

- العصيمي، سلطان عائض مفرح.(2010). إدمان الأنترنت و علاقته بالتوافق النفسي الاجتماعي لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة الرياض. رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العلوم الاجتماعية تخصص الرعاية و الصحة النفسية. كلية الدراسات العليا. جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
- القرطي، عبد المطلب.(2003). في الصحة النفسية .الطبعة 2. دار الفكر العربي . القاهرة
- الكحلوت، أمانى حمدى شحادة.(2011). دراسة مقارنة للتوافق النفسي الاجتماعي لدى أبناء العاملات وغير العاملات في المؤسسات الخاصة في مدينة غزة. قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في علم النفس. قسم علم النفس. كلية التربية. الجامعة الإسلامية- غزة.
- النيرب، نسرين محمود محمد.(2016). الشعور بالوحدة و علاقتها بالنسق القيمي لمدمني موقع التواصل الاجتماعي من طلبة الجامعات بمحافظات غزة. قدم هذا البحث إستكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في برنامج الصحة النفسية والمجتمعية. كلية التربية. الجامعة الإسلامية. غزة.
- بوعطيط، سفيان .(2012). القيم الشخصية في ظل التغير الاجتماعي و علاقتها بالتوافق المهني . رسالة دكتوراه علوم في علم النفس العمل و التنظيم. قسم علم النفس و علوم التربية و الأرطوفونيا. كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية. جامعة متنوري- قسنطينة-
- بومدين، مخلوف.(2017). المنظومة القيمية في ظل تكنولوجيا الإعلام و الاتصال- الأنترنت بدینة المسيلة نموذجا-. أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع تخصص إدارة الموارد البشرية. قسم علم الاجتماع. كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية. جامعة محمد لمين دbagien. سطيف 2.
- بومدين، مخلوف.(2010). أثر الأنترنت على القيم الاجتماعية في الوسط الحضري. دراسة ميدانية بعض نوادي الأنترنت بمدينة مسيلة. مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع تخصص علم الاجتماع الحضري. قسم علم الاجتماع والديموغرافيا. كلية الآداب و العلوم الاجتماعية. جامعة محمد بوضياف " المسيلة " .
- جيدور، حاج بشير.(2017). أثر وسائل التواصل الاجتماعي في عملية التحول الديمقراطي في الدول العربية: دراسة مقارنة. أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم السياسية تخصص تنظيمات سياسية و إدارية. قسم العلوم السياسية. كلية الحقوق و العلوم السياسية . جامعة محمد خيضر . بسكرة.
- حشلافي، أحمد و ماحي، إبراهيم.(2016) علاقة النسق القيمي بالطموح الدراسي في ضوء المكانة الاجتماعية الاقتصادية للأسرة. مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية . العدد 26 . 451- 456.
- خليفة، عبد اللطيف محمد (1992). ارتقاء القيم (دراسة نفسية) عالم المعرفة: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت
- راشد، محمد يوسف أحمد و عيسى علي.(2011). التوافق الدراسي والشخصي والاجتماعي بعد توحيد المسارات في مملكة البحرين (دراسة ميدانية على طلبة المرحلة الثانوية بالمحافظة الوسطى). مجلة جامعة دمشق . المجلد 27 . 740- 701
- سني، أحمد.(2015). تقدیر الذات وعلاقته بالتوافق النفسي لدى المسن- دراسة ميدانية على عينة من المسنين بمراکز رعاية الشیخوخة-. رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس الأسري. قسم علم النفس و الأرطوفونيا. كلية العلوم الاجتماعية. جامعة وهران 2.

9 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

- سي محمد، سعدية.(2013) . الأنساق القيمية لدى تلاميذ نهاية المرحلة الثانوية. الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية. العدد 10. 38-27.
- شرقى، حورية.(2017). النسق القيمي و علاقته بالتوافق النفسي و الإجتماعي لدى طلبة المراحل المتوسطة و الثانوية. دراسة ميدانية بالمدارس المتوسطة و الثانوية لمدينة مستغانم. رسالة مقدمة لنيل دكتوراه في علم النفس تخصص دراسة الجماعات و المؤسسات. قسم علم النفس و الأرطوفونيا. كلية العلوم الإجتماعية. جامعة وهران.2
- شناوى، سامي أحمد و عباس، محمد خليل.(2014). إستخدام شبكة التواصل الإجتماعي (الفايسبوك) و علاقته بالتوافق النفسي لدى المراهقين. جامعة. المجلد 18 العدد 2. 118-75.
- صوکو، سهام.(2009). واقع القيم لدى المراهقين في المؤسسة التربوية. دراسة ميدانية بثانوية بوحنة مسعود - فرجحية ميلة. مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الإجتماع تخصص تنمية و تسير الموارد البشرية. قسم علم الإجتماع. كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية. جامعة متوري. قسنطينة.
- عايد ،كمال.(2017). تكنولوجيا الإعلام و الإتصال و تأثيراتها على قيم المجتمع الجزائري – الشباب الجامعي لتلمسان نموذجا- . أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه لـ م د تخصص علم الإجتماع الإتصال. قسم علم الإجتماع. كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية. جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان.-
- عسيري، عبير بنت محمد حسن.(2003). علاقة تشكل هوية الأنما بـ كل من مفهوم الذات و "التوافق النفسي و الإجتماعي و العام" لدى عينة من طالبات المرحلة النهائية بمدينة الطائف. بحث مقدم كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في الإرشاد النفسي. قسم علم النفس. كلية التربية. جامعة أم القرى. المملكة العربية السعودية.
- عوض، رشا أديب محمد.(2014). آثار إستخدام موقع التواصل الإجتماعي على التحصيل الدراسي للأبناء في محافظة طولكرم من وجهة نظر ربـات البيوت. قدم هذا البحث كمشروع تخرج استكمالاً للحصول على درجة البكالوريوس تخصص خدمة اجتماعية. كلية التنمية الاجتماعية والأسرية. جامعة القدس المفتوحة.
- عوض، سمر خليل علي.(2017). الخبرات الصادمة الناجمة عن العدوان الإسرائيلي و إستراتيجيات مواجهتها و علاقتها بالتوافق النفسي لدى طلبة المرحلة الثانوية في قطاع غزة. قام هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في علم النفس. قسم علم النفس. كلية التربية. جامعة الأزهر - غزة.
- كباجة، سنا عادل إبراهيم. (2015). التغير القيمي و علاقته بهوية الذات و الإغتراب النفسي لدى طلبة الثانوية العامل في قطاع غزة. قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في علم النفس. قسم علم النفس تخصص إرشاد نفسي. قسم إرشاد نفسي و توجيه تربوي. كلية الدراسات العليا. الجامعة الإسلامية. غزة.
- كفافي، علاء الدين (1990).الصحة النفسية .الطبعة الثالثة. هجر للطباعة و النشر و التوزيع و الإعلان . القاهرة.
- نومار، مريم نريمان.(2012). استخدام موقع الشبكات الاجتماعية وتأثيره في العلاقات الاجتماعية . دراسة عينة من مستخدمي موقع الفايسبوك في الجزائر. مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال تخصص الإعلام وتكنولوجيا الاتصال الحديثة. قسم العلوم الإنسانية. جامعة الحاج لخضر- باتنة.

9-8 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

- مصطفى حمدي أحمد، عبد الصمد محمد على، أحمد محمد صالح، يسري عبد المولى و فتیان یاسین علی. (2017). أثر موقع التواصل الاجتماعي على التغير القيمي لدى الشباب الريفي بمحافظة سوهاج. **Magazine of Agricultural Sciences Assiut Journal**. 49. العدد 03. 288-311.
- معاش، حياة. (2013). الإتجاهات نحو المدرسة وعلاقتها بالتوافق النفسي الاجتماعي. دراسة ميدانية على عينة من تلاميذ بعض الثانويات بمدينة بسكرة. مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس تخصص علم النفس الاجتماعي. قسم العلوم الاجتماعية. جامعة محمد خيضر بسكرة.
- هتهات، مسعودة. (2014). المشكلات النفسية و الاجتماعية لدى المراهقين المتمدرسين مستخدمو الأنترنت. دراسة ميدانية بمدينة ورقلة. مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس تخصص الصحة النفسية و التكيف المدرسي. قسم العلوم الاجتماعية . كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية. جلمعة قاصدي مرياح . ورقلة.
- يطو، عبد الغني و بن شهيدة، أحمد. (2018). الصورة السمعية البصرية وتأثيراتها على القيم والممارسات لدى تلاميذ الثانويات (شبكات التواصل الاجتماعي، الفايسبوك " Facebook " نموذجا) دراسة ميدانية تلاميذ الثانويات بلدية عين الترك. مجلة التدوين. العدد 11. 210-218.

التسامح في الإسلام: المفهوم والضوابط

أ.د. علي بن عمر السحيبياني

رئيس قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم / السعودية

تمهيد:

الحمد لله عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، وصل اللهم على عبدك رسولك محمد صلى الله عليه وسلم.

وبعد:

فإن التسامح هو الخلق الأسمى والقيمة العليا لدى البشرية جميعاً، وكلما كان الإنسان متحلياً بهذا الخلق وموصوفاً به كلما كان أقرب من الكمال الإنساني.

التسامح يعتبر من أعظم الوسائل في قوة الترابط بين الإنسان وأخيه الإنسان على المستويين الفردي والجماعي. ولذلك كان التسامح مطلباً ذاتياً خلقياً، ومطلباً دينياً تشريعياً، ومطلباً اجتماعياً سياسياً، فلا شك أن نرى بياناً أو تقريراً أو إشعاراً أو حتى حواراً لدى أي جهة عالمية كانت أو محلية إلا وهي تحث في مطلعه على أهمية التسامح كمطلوب رئيس من شأنه أن يحقق الطمأنينة والأمان ويحفظ الحقوق والحريات.

وقد حث ديننا الحنيف على التحلي بهذا الخلق الكريم، والدعوة إليه، وبأصحابه الدرجة الرفيعة والثواب الجزييل؛ وفيما يلي استعراض قيمة هذا الخلق ومفهومه وضوابطه من منظور الإسلام.

- المبحث الأول: مفهوم التسامح:

- التسامح لغة.

التسامح في اللغة يأتي على وجهين:

"الأول: من "السماح"، و"السماحة" بمعنى الجود والعطاء؛ يقال: "سمح به" أي أجاد وأعطى. الثاني: من "التسامح" بمعنى التساهل في التعامل؛ يقال: "تسامحو" أي "تساهلو"⁽¹⁾.

(1) ينظر: مختار الصحاح (ص: 153).

- التسامح اصطلاحاً.

هو خلق كريم يعطي صاحبه القدرة على تحمل الآخرين، والعفو عنهم، وبذل الإحسان إليهم؛ يمثله قول الله تعالى: {وَالْكَاظِمِينَ الْعَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: 134].

ويتحدد المعنى الاصطلاحي للسامحة من خلال معرفة مدلولها اللغوي الذي يدل على السلامة والسهولة، وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمححة»⁽¹⁾. قال ابن حجر: "السامحة: السهلة، أي أنها مبنية على السهولة"⁽²⁾. والسامحة تشمل أصول الدين وفروعه وصورها لا تنحصر، فعقيدة الإسلام سمححة وشرعيته سمححة، وتمتد صور السماحة إلى المعاملة، قال صلى الله عليه وسلم: «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشتري وإذا اقتضى»⁽³⁾، وبوب البخاري رحمه الله للسامحة في هذا الحديث بالسهولة فقال: "باب السهولة والسامحة في الشراء والبيع"⁽⁴⁾، قال ابن حجر: "وفي الحديث: الحث على السماحة في المعاملة واستعمال معالي الأخلاق وترك المشاجحة والحضر على ترك التضييق على الناس في المطالبة وأخذ العفو منهم"⁽⁵⁾ (6).

- مفهوم التسامح في الإسلام.

إنه مما لا شك فيه أن كلمة التسامح تحمل في طياتها أكثر من مدلول، وتستخدم في أكثر من معنى، ولذلك قد يستعملها البعض بإفراط أو بتغريط فيخرجها عن معناها الذي أراده الله تعالى، فكان لزاماً أن يكون هناك مفهوماً معيناً ومحدداً لهذه الكلمة من خلال المنظور الإسلامي يجعلها واضحة المعالم ظاهرة المعنى.

ولا شك أن هذا المفهوم ينحصر في المعنيين اللغوي والاصطلاحي لكلمة "التسامح"، فهي تعني القدرة على العطاء بمعناه المادي والمعنوي، كما تعني القدرة على التحمل والتحلم في معاملة الآخرين ومن ثم العفو والصفح عن جهالتهم وتجاوزهم؛ شريطة ألا يؤثر هذا التسامح في الحقوق والواجبات، ولا يمس العقائد والشريائع، ولا يكون كذلك في الحدود التي حددها الله تعالى، ولا في القضاء الذي هو منوط بالعدل والمساواة بين جميع الأطراف، كما يشترط في التسامح ألا يكون سبباً في ارتكاب المعاصي والوقوع في المحرامات.

يقول فخر الدين الرازي: "الحقوق التي تستوفى من الناس وتؤخذ منهم إما أن يجوز إدخال المساهلة والسامحة فيها وإنما أن لا يجوز؛ أما القسم الأول: فهو المراد بقوله: {حُذِّرَ الْعَفْوُ} ويدخل فيه ترك التشدد في كل ما يتعلق

(1) البخاري تعليقاً (16/1).

(2) فتح الباري (1 / 94).

(3) البخاري (2076).

(4) البخاري (3 / 157).

(5) فتح الباري (4 / 217).

(6) سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين (ص: 5).

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

بالحقوق المالية ويدخل فيه أيضاً التخلق مع الناس بالخلق الطيب وترك الغلطة والفاظطة كما قال تعالى: {وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا تَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ}، ومن هذا الباب أن يدعو الخلق إلى الدين الحق بالرفق واللطف كما قال تعالى {وَجَادِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}، وأما القسم الثاني: وهو الذي لا يجوز دخول المساعدة والمسامحة فيه فالحكم فيه أن يأمر بالمعروف؛ والمعروف هو كل أمر عُرف أنه لا بد من الإتيان به، وأن وجوده خير من عدمه، وذلك لأن في هذا القسم لو اقتصر على الأخذ بالعفو ولم يأمر بالعرف ولم يكشف عن حقيقة الحال لكن ذلك سعيًا في تغيير الدين وإبطال الحق وأنه لا يجوز⁽¹⁾.

إذا فالتسامح والعفو في المنظور الإسلامي يكون في المعاشرة والصحبة من خلال المعاملات الشخصية لا في العقيدة والواجبات الشرعية؛ فليس في عقيدة الإسلام ولا شريعة الله يكون التغاضي والتسامح، وإنما يكون في الأخذ والعطاء والصحبة والجوار، لأن التغاضي عن الضعف البشري، والعطف عليه، والسامحة معه، واجب شرعي وغاية إنسانية⁽²⁾.

ولقد ضرب لنا النبي صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في هذا الخلق الكريم وجسده لنا حتى أصبح واقعاً ملماً موسى بعيداً عن المثالية والنظيرية، وليس هذا بعجب فقد بلغ صلوات الله وسلامه عليه من الكمال الإنساني ما لم يبلغه غيره من البشر؛ قالت عائشة وهي تصف سماحة النبي صلى الله عليه وسلم: «ما خير النبي صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يأثم، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط، حتى تنتهك حرمات الله، فيبتقم لله»⁽³⁾.

هذا الحديث الشريف يعد أصلاً في تعريف مفهوم التسامح من منظور الإسلام، حيث يقرر أن كل شيء من الممكن التسامح فيه والتجاوز عنه، إلا ما يكون من الإثم والحرام الذي يعرض صاحبه لسخط الله وعقابه.

- مفهوم التسامح في الأديان الأخرى.

إن الأديان السماوية السابقة جميعها باعتبار أنها من عند الله واحد تمثل حلقات متصلة ومتماضكة يشد بعضها ببعضها البعض، وهي بهذا الاعتبار تبث تعاليمها بهدف إصلاح الخلق جميراً وتنادي فيهم بأن يتبعوا جميعاً نداء الحق الذي يأخذ بيده الإنسان من غيابات الظلم والجهل إلى نور العدل والعلم ليرتقي الإنسان إلى أعلى درجات الكمال المسموح له على مستوى بشرته.

وخلق التسامح يمثل السمة البارزة والركيزة الأساسية للوصول إلى هذا الهدف السامي؛ لذلك كان مطلباً رئيسياً على مستوى كل الأديان.

(1) تفسير الرازي (23/125).

(2) في ظلال القرآن (4/364).

(3) أخرجه البخاري (6786)، ومسلم (2327).

ولم يكن الإسلام أول من نادى بالتسامح، وإنما أشاد به وأقره، ووضع له ضوابط وحدوداً في إطار التنبيه على أهميته ومشيراً إلى دوره في نشر روح الإخاء الإنساني؛ ولأن التحليل بخلق التسامح مع الآخرين هو في حقيقة الأمر إحسان إلى النفس باعتبار أن جميع الأنسنة مردها جمياً إلى نفس واحدة؛ النفس الأولى التي نشأت عنها جميع الأنسنة؛ فالله جلت قدرته خلق جميع الإنسان من نفس واحدة قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً} [النساء: 1]، وقال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [الأعراف: 98]، وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيُسْكِنَ إِلَيْهَا} [الأعراف: 189] وقال تعالى: {خَلَقْتُمْ مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلْتُمْ مِنْهَا زَوْجَهَا} [الزمر: 6].

ومن ثم نادت جميع الأديان بهذا الخلق؛ فجاء في الكتاب المقدس [اصحاح متى 5: من آية 38-41]: "سمعتم أنه قيل: عين بعين ونفس بنفس، وأما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر، بل من لطمرك على خدك الأيمن فتحول له الآخر أيضاً، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً، ومن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين"

وجاء في إنجيل لوقا [6: آية 73]: "ولا تَدِينُوا فَلَا تُدَانُوا، لَا تَقْضُوا عَلَى أَحَدٍ فَلَا يُقْضَى عَلَيْكُمْ، اغْفِرُوا يُغْفَرُ لَكُمْ" وجاء في التوراة: "لا تنتقم مما فعله الآخرين بك، ولا تذكر ابن شعبك بذلك، وأحب لغيرك كما تحب لنفسك".

- مفهوم التسامح من منظور الحضارات الإنسانية.

إن مفهوم التسامح على مستوى الحضارات الإنسانية والتي ترفع شعار التعايش والمواطنة بعض الطرف عن المعتقدات الدينية يختلف إلى حد كبير عن منظوره في الإسلام والأديان السماوية الأخرى، لأن التسامح عندهم يرتكز على ركينين أساسين، وهما: الحقوق والوجبات، فعلى كل إنسان أن يؤدي ما عليه، ويطلب الذي له، وفيما عدا ذلك مطلوباً منه أن يكون متسامحاً، ولو أدى تسامحه هذا إلى التعايش مع ما يتصادم مع معتقداته الدينية، أو قناعاته الشخصية؛ فالتسامح هو نوع من القدرات التي تتحتم على الإنسان العيش مع المتغيرات، والتصرف السوي مع كافة الاختلافات والتدخلات مع تعليم ثقافة احترام تلك الاختلافات، مما يتيح بيئة تكاملية من التعاملات البشرية القائمة على مبادئ المساواة واحترام الآخر؛ إذ يتضمن التسامح في مجتمعات الغرب السماح لأمر ما أن يحدث أو يفعل على الرغم من كراهيته كنوع من التعامل مع الاختلافات، ذلك تماماً ما تمثله سلطة تلك الدول تجاه بعض الأمور مثل الخمور، والمخدرات وغيرها من المسمومات التي الأصل فيها المنع.

يقول أحد الدعاة إلى التسامح بهذا المفهوم: "إنَّ التسامح يُعد خطأً حضارياً يقضي بمنح الآخرين حرية التعبير عن الآراء والأفكار التي تُغيِّر الآخرين، كما يسمح بالعيش وفقاً للمبادئ والمعتقدات التي لا تَدِينُ بها سوية؟ إنَّ التسامح أصبح إذاً مسألةً لا يمكن فصلها عن الحرية وحقوق الإنسان؛ إنَّ التسامح يجب أن يشمل الجميع، وكل الأديان على وجه الأرض"⁽¹⁾.

ويقول آخر: "يجب على الجميع ترك التعصبات، وأن يتبادلوا زيارة الجماعات والكنائس مع بعضهم البعض، لأنَّ اسم الله يُذكر في جميع هذه المعابد مadam الكل يجتمعون لعبادة الله، فلا خلاف بين الجميع، فليس منهم أحدٌ يعبد

(1) جريدة الحياة، عدد 12398، يوم الخميس 28/9/2017م.

الشيطان، فيحققُ للمسلمين أن يذهبوا إلى كنائس النصارى، وصوماع اليهود، وبالعكس يذهب هؤلاء إلى المساجد الإسلامية⁽¹⁾

والحاصل: أنهم توصلوا إلى قناعة تصل إلى حد الاعتقاد أنه يستحيل التعايش والمواطنة بدون التسامح مع الآخر، فاتفقوا بذلك مع الإسلام في جانب، وفارقوه في آخر؛ اتفقوا معه في ضرورة التسامح كنوع من أنواع التواصل مع الآخر، وفارقوه في ضوابطه التي وضعها الإسلام باعتباره بصيراً بما ينفع الإنسان وعليماً بما يضره.

ومن ثم كان من الضروري دراسة ضوابط التسامح من منظور الإسلام حتى لا يتحول هذا المفهوم العظيم إلى تهاون وتفرط؛ فتضييع بذلك الحقوق وتنتهك الحريات.

- المبحث الثاني: ضوابط التسامح:

1- ضوابط التسامح بين المسلمين.

ينقسم الناس في هذا الخلق الكريم إلى ثلاثة أقسام؛ طرفان ووسط:

- الطرف الأول: أهل الإفراط فيه والغلو: وهم الذين يضعون التسامح والعفو في غير موضعه؛ إما أن يتسامح ويفعوا عمن لا يستحق؛ كالظالم والمستهتر والمتكبر الذين لا يزيدتهم التسامح والعفو إلا ظلماً وتمرداً وغروراً؛ فمثل هؤلاء لا يصلح في حقهم هذا الخلق السامي، وإما أن يكون العفو عن ذلة ومهانة وعدم قدرة على رد الاعتداء؛ فهذا عفو ليس محموداً، وإنما هو عجز ومهانة، وتضييع للحقوق.

- الطرف الثاني: أهل التفريط والإضاعة: وهم الذين فرطوا في هذا الخلق الرفيع وأصبح ليس لهم هم إلا الانتقام من كل من أخطأ في حقهم، ولو كانت الهفوة منه زلة عابرة، أو خطأ غير مقصود؛ فلا يغفرون زلة ولا يصفحون عمن ارتكب في حقهم مذلة.

- الطرف الثالث أهل العدل والإنصاف: وهم الذين وضعوا العفو في موضعه الذي يحبه الله عز وجل ويرضاه؛ فلم يتجاوزوا فيه الحد، ولم يكونوا من عفوهם ناشئ عن ذلة ومهانة وعجز لا عن حلم وعفو واقتدار، ولم يفترطوا في هذا الخلق حتى أضعوه بسبب شهوة الانتقام والانتصار للنفس، بل هم على حظ كبير من هذا الخلق الذي يعفون به عن ظلمهم أو أخطأ في حقهم ممن لم يكن الظلم مهنته ولا التكبر والغرور صفتة، وإنما هو زلة عابرة أو خطأ غير مكرر أو مقصود⁽²⁾.

يقول تعالى: {وَجَزِءٌ سَيِّئَةٌ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} (40) ولَمَنْ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (41) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْعُدُونَ فِي الْأَرْضِ بِعَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (42) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} (43) {الشورى: 41-43}.

(1) انظر: الفرقان في بيان حقيقة التقارب والتسامح بين الفرق والأديان (ص: 50).

(2) التوازن والعدل والوسطية في العفو والصفح لعلي بن نايف الشحود- موسوعة البحوث والمقالات العلمية عن الموسوعة الشاملة.

تضمنت هذه الآيات ضوابط التسامح بين المسلمين، وقررت بعض الأصول التي يجب مراعاتها عند المسامحة والعفو؛ فالأخلاص في الجزاء هو مقابلة السيئة بالسيئة؛ كي لا يتبعج الشر ويطغى، حين لا يجد رادعاً يكفيه عن الإفساد في الأرض فيمضي وهو آمن مطمئن! ذلك مع استحباب العفو ابتغاء أجر الله وإصلاح النفس من الغيظ، وإصلاح الجماعة من الأحقاد، والعفو حينئذ استثناء من تلك القاعدة، ولا يكون إلا مع المقدرة على جزاء السيئة بالسيئة، فهنا يكون للعفو وزنه ووقيعه في إصلاح المعتمدي والمسامح سواء، فالممعتمدي حين يشعر بأن العفو جاء سماحة ولم يجيء ضعفاً يخجل ويستحيي، ويحس بأن خصمه الذي عفا هو الأعلى، والقوى الذي يغفو تصفو نفسه وتعلو، فالعفو عندئذ خير لهذا وهذا.

ويقول تعالى: {وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمٍ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَيِّلٍ}، والذي ينتصر بعد ظلمه، ويجري السيئة بالسيئة، ولا يعتدي، ليس عليه من جناح، وهو يزاول حقه المشروع، فما لأحد عليه من سلطان، ولا يجوز أن يقف في طريقه أحد، إنما الذين يجب الوقوف في طريقهم هم الذين يظلمون الناس، ويغدون في الأرض بغير الحق، فإن الأرض لا تصلح وفيها ظلم لا يقف له الناس ليكتفوا ويعذبونه وفيها بغي ولا يجد من يقاومه ويقتضى من فاعله، والله يتوعد الظالم الباغي بالعذاب الأليم، ولكن على الناس كذلك أن يقفوا له ويأخذوا عليه الطريق.

ويقول تعالى: {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}، فهذا أمر بالتوزن والاعتدال وضبط النفس والصبر والسامحة في الحالات الفردية، وعند المقدرة على دفع الظلم وحين يكون الصبر والسامحة استعلاه لا استخدامه وتجملاً لا ذلاً.

ومجموعة النصوص في هذه القضية تصور الاعتدال والتوازن بين الاتجاهين وتحرص على صيانة النفس من الحقد والغيظ، ومن الضعف والذل، ومن الجور والبغى، وتعلقها بالله ورضاه في كل حال، وتجعل الصبر زاد الرحلة الأصيل⁽¹⁾.

قال ابن القيم «والفرق بين العفو والذل: أن العفو إسقاط حرك جوداً وكرماً وإحساناً مع قدرتك على الانتقام؛ فتؤثر الترك رغبة في الإحسان ومكارم الأخلاق، بخلاف الذل؛ فإن صاحبه يترك الانتقام عجزاً وخوفاً ومهانة نفس؛ فهذا مذموم غير محمود، ولعل المنتقم بالحق أحسن حالاً منه؛ قال تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَعْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ}، مدحهم بقوتهم على الانتصار لنفوسهم، وتقاضيهم منها ذلك حتى إذا قدروا على من بغي عليهم وتمكنوا من استيفاء ما لهم عليه ندبهم إلى الخلق الشريف من العفو والصفح فقال: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَ وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}، فذكر المقامات الثلاثة: العدل وأباحه، والفضل ونذر إليه، والظلم وحرمه، وقال بعض السلف في هذه الآية: كانوا يكرهون أن يستذلوا، فإذا قدروا عفواً، فمدحهم على عفو بعد قدرة، لا على عفو ذل وعجز ومهانة، وهذا هو الكمال الذي مدح سبحانه به نفسه في قوله: {فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا} (النساء: من الآية 149)⁽²⁾

قال ابن عثيمين: في قوله تعالى {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: 134] : قد نفهم من هذا الكلام أن العفو مطلقاً محمود ومأمور به، ولكن ليكن معلوماً لديكم أن العفو إنما يُحمد إذا كان

(1) في ظلال القرآن (411/8-412).

(2) الروح: (ص 513، 514) باختصار.

8-أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

العفو أَحْمَدُ، ولهذا قال الله تعالى: {وَجَرَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَأْ وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [الشوري: 40] فجعل العفو مقوتاً بالإصلاح، وهل يمكن أن يكون العفو غير إصلاح؟ الجواب: نعم. قد يكون هذا الذي اجترأ عليك وجنى عليك رجلٌ شرير، معروف بالشر والفساد، فلو عفت عنه لتمادي في شره، وفساده، فما هو الأفضل حينئذ، أن نعفو أو نأخذ بالجريمة؟ الأفضل أن نأخذ بالجريمة؛ لأن في ذلك إصلاحاً قال شيخ الإسلام: الإصلاح واجب، والعفو مندوب. فإذا كان في العفو فوات الإصلاح فمعنى ذلك أننا قدمنا مندوباً على واجب. وهذا لا تأتي به الشريعة. وصدق رحمة الله⁽¹⁾.

ويقول الشيخ الشنقيطي: "أما إذا كان رجلاً شريراً لا يزداد بالعفو إلا شراً، ولا يزداد إلا تسلطاً على دماء المسلمين وأذيتهم، كأن قتل فعلي عنه، ثم قتل مرة ثانية، وعرف منه بعد القتلة الثانية أنه على حاله، وأنه مصر على بغيه، ومصر على كبره، ومصر على أذيته للناس، فهذا لا يجوز أن يسلط على دماء المسلمين، فالعفو عنه إبقاء لشره، ومن هنا نص جماعة من أهل العلم على أنه لا تشرع الشفاعة في مثل هذا، فمثل هؤلاء لا يعانون على الإضرار بالناس والإضرار بمجتمعاتهم والإضرار بالأبرياء، فهؤلاء إذا عفي عنهم تسلطوا على دماء المسلمين، وتسلطوا على الناس بأذيتهم والإضرار بهم، وليس الأمر خاصاً بالقتل بل إنه شامل لكل عقوبة، بحيث إذا كان الجاني يتسلط ويزداد أذية وبغيًا وفسادًا فمثله لا يعانون على بغيه وفساده⁽²⁾.

2- ضوابط التسامح مع غير المسلمين:

خلق الله تعالى الخلق لعبادته وفطح لهم على توحيده وطاعته {وَلَكِنِ احْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ}، وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي حَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ}؛ فالله أراد لهم بإرادته الدينية الإيمان والخير، وأراد لهم الشيطان وذلة السوء الكفر والشر، قال تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ لَيْسَ لَكُمْ وَيَهْدِي كُمْ سُبْئَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (26) والله يُريدُ أن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُريدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيَالًا عَظِيمًا (27) يُريدُ اللَّهُ أَنْ يُحَفِّظَ عَنْكُمْ وَحَلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (28)}، ولذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب، وأقام الحجج، فمن الناس من قبل الحق ودخل الإيمان طائعاً مختاراً، ومن الناس من رفض قبول الحق ودخل في الكفر طائعاً مختاراً.

وقد وضع الله فوارق بين المؤمنين والكافر في الدنيا والآخرة، ونهى عن التسوية بين الفريقين، وجعل لكل فريق جزاءً وأحكاماً في الدنيا والآخرة، ووضع لكل فريق اسمًا مميزةً، كالمؤمن والكافر، والبَرِّ والفاجر، والمشرك والموحد، والفاسن والمنافق، والمطيع والعاصي، ونهى عن التسوية بين المخالفين في هذه الأسماء والسلوكيات فقال سبحانه: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ احْتَرَخُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}، وقال تعالى: {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ}، يعني لا نجعلهم سواء، لأن ذلك لا يليق بعدل الله، وأمر الله المؤمنين بالبراءة من الكفار والمشركين ولو كانوا من أقاربهم ، قال تعالى: {فَإِذْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا

(1) العلم لابن عثيمين (ص: 183).

(2) شرح زاد المستقنع عن الموسوعة الشاملة.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبْدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ } ، وهذا أصل من أصول الإيمان والدين مُتقرّرٌ في الكتاب والسنة وكتب العقيدة الصحيحة لا يُماري فيه مسلم، ولكننا في هذه الأيام نجد البعض تحت مسمى سماحة الإسلام وتقرب وجهات النظر مع الآخرين يهدم بعض أصول الدين فقرأنا مثلاً في بعض الصحف-نقاً عَمَّا دار في بعض المؤتمرات- محاولة واقتراحًا من بعض المشاركين أن يترك لفظ الكافر ويُستبدل بلفظ مسلم وغير مسلم، أو يقال : المسلم والآخر!! وهل معنى ذلك أن نترك ما ورد في القرآن والسنة وكتب العقيدة الإسلامية من لفظ الكفر والشرك، والكفار والمشركين، فيكون هذا استدراكاً على الكتاب والسنة، فيكون هذا من المحادة لله ولرسوله؟ ومن تغيير الحقائق الشرعية، فنكون من الذين حرفوا كتاب ربهم وسنة نبيهم، ثُمَّ ما هو الدافع لذلك؟ هل هو إرضاء الكفار، فالكافر لن يرضوا عنا حتى نترك ديننا، قال تعالى : {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّىٰ تَتَّبَعَ مِلَّتَهُمْ } ، وقال تعالى : {وَلَا يَرَأُونَ يُقَاتِلُوكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَاعُو } وقال تعالى : {وَدُوا لَوْ تَكُفُّرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُوُنُونَ سَوَاءٌ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أُولَيَاءَ حَتَّىٰ يُهَا جِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} ، ثُمَّ إنه لا يجوز لنا إرضاء الكفار والتماس موادهم لنا وهم أعداء لله ولرسوله، قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوّي وَعَدُوّكُمْ أُولَيَاءُ ثُلُّقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقُدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءُكُمْ مِنَ الْحَقِّ} .

وإنْ كانْ مُرَاد هؤلاء المُنَادِين بـتغيير هذه المُسَمَّيات الشرعية: التلطف مع الكفار وحسن التعامل معهم فهذا لا يكون على حساب الأصول الشرعية بل يكون ذلك بما شرعه الله نحوهم، وذلك بالأمور التالية:

1 - دعوتهم إلى الإسلام الذي هو دين الله الذي شرعه للناس كافة، قال تعالى: {إِذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} ، فنحن ندعوه لصالحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

2 - عقد الصلح معهم إذا طلبوا ذلك، قال تعالى: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلِيمِ فَاجْحُنْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ} ، وكذلك إذا احتاج المسلمين إلى عقد الصلح معهم وكان في ذلك مصلحة للمسلمين، كما صالح النبي صلى الله عليه وسلم الكفار في الحديبية، وبموجب الصلح يتم التمثيل الدبلوماسي بينهم وبين المسلمين.

3 - عدم الاعتداء عليهم بغير حق، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْنُوا قَوَامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجِرُّنَّكُمْ شَنَآنَ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىِ} .

4 - الإحسان إلى من أحسن منهم إلى المسلمين فلم يقاتلوا المسلمين ولم يخرجوهم من ديارهم، قال تعالى: {لَا يُنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُفْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} .

5 - التعامل معهم في المنافع المباحة من تبادل التجارة وتبادل الخبرات النافعة والاستفادة من علومهم الدنيوية والمفيدة لنا في حياتنا.

6 - الوفاء بالعهود معهم ، واحترام دماء المعاهدين وأموالهم وحقوقهم، لأنَّ لهم ما للMuslimين ، وعليهم ما على المسلمين، قال تعالى : {فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ} ، وقال تعالى : {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَاحُوكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} ، والنفس التي حرَّم الله هي نفس المسلم ونفس المعاهد ، ومن قتل معاهداً متعمداً فقد قال فيه النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَنْ قَتَلَ مُعاهداً لَمْ يَرِحْ رائحةَ الجنةِ، وإنْ رِيحَهَا لِيوجَدْ منْ مَسِيرَةِ أَربعِينِ سَنَةً" رواه

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

البخاري، ومن قتل معاهداً خطأً فهو كمن قتل مؤمناً خطأً، عليه الدية والكافرة، قال تعالى : {وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيَانِقٌ فَدِيَةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقْبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرٍ مُتَنَاعِنٍ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْمًا حَكِيمًا} (١).

إن دعوة الإسلام إلى المسامحة مع غير المسلمين ليس ذلا ولا تنازلا عن شيء من الدين، والكافر لا يعاملون في الشريعة معاملة واحدة؛ لأنها قائمة على العدل، فهم أنواع، فمنهم كفار محاربون وكفار مسلمون، فالكافر المحاربون لا يجوز أن يفعل لهم معروفٌ، ولا نوع من البر، ولا الصلة، ما داموا قائمين بالحرب، {إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّيَنِ فَاتَّلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرُجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهِرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلُّهُمْ وَمَنْ يَتَوَلُّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [المُمْتَنَعَة]: 9.

وينبغي التفريق بين أعمال القلوب وأعمال الجوارح، فالمحبة والمودة من أعمال القلوب ولا يجوز أن يجعل لكافر أبداً، وأما المعاملة الحسنة والبر والعدل والإحسان والأخلاق الصالحة: فهذه من أعمال الجوارح التي تبدل لجميع الخلق على حسب مراتبهم وأحوالهم، قال ابن الوزير في مسألة الولاء والبراء، والتکفیر، والتفسیق، وما يتعلق بذلك : "هذا كله في الحب الذي هو في القلب وخالصة لأجل الدين وذلك للمؤمنين المتقين بالإجماع، وللمسلمين الموحدين إذا كان لأجل إسلامهم، وتوحيدهم عند أهل السنة، وأما المنافعة، وبذل المعروف، وكظم الغيظ، وحسن الخلق، وإكرام الضيف، ونحو ذلك، فيستحب بذلك لجميع الخلق، إلا ما كان يقتضي مفسدة، كالذلة، فلا يبذل للعدو في حال الحرب، كما أشارت إليه الآية: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّيَنِ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ} " (٢)

ومما يجب أن يعلم: أن دعوة الكفار بعامة وأهل الكتاب بخاصة إلى الإسلام واجبة على المسلمين بالنصوص الصريحة من الكتاب والسنة، ولكن ذلك لا يكون إلاً بطريق البيان والمحادلة والتي هي أحسن، وعدم التنازل عن شيء من شرائع الإسلام، وذلك للوصول إلى قناعتهم بالإسلام ودخولهم فيه، أو إقامة الحجة عليهم ليهلك من هلك عن بيته، ويحيا من حي عن بيته، قال الله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ يَبْيَنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا تَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}.

أما مجادلتهم، واللقاء معهم، ومحاورتهم لأجل النزول عند رغباتهم، وتحقيق أهدافهم، ونقض عرى الإسلام، ومعاقد الإيمان، فهذا باطلٌ يأبه الله ورسوله والمؤمنون، والله المستعان على ما يصفون، قال الله: {وَاحْذَرُوهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ عَنْ بَعْضٍ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَاغْلُمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضٍ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ} (٣).

3- ضوابط التسامح مع الجماعات والفرق الإسلامية:

عن حذيفة بن اليمان، قال يا رسول الله، كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: نعم. قال حذيفة: فهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هدبي، ويستنون بغير سنتي، تعرف منهم وتتذكر، فقال حذيفة: يا رسول الله، فهل بعد هذا الخير

(1) ينظر مقال للشيخ صالح الفوزان نشره جريدة الوطن عدد 1735 في 23/5/1426هـ .

(2) إيهار الحق على الخلق (ص: 371).

(3) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء الفتوى رقم 19402 في 25/1/1418هـ.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

من شر؟ قال: نعم، دعاء على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟ قال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بأسنتنا، قلت: يا رسول الله، فما تأمنا عند ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعترض تلك الفرق كلها، ولو أن بعض على أصل شجرة حتى يدرك الموت وأنت على ذلك⁽¹⁾.

هذا الحديث العظيم يبين لنا أن الواجب على المسلم: لزوم جماعة المسلمين، والتعاون معهم في أي مكان، فمتى وجد المسلم من يدعو إلى الحق ساعدتهم وصار معهم، وأعانهم وشجعهم وثبتهم على الحق وال بصيرة، فإذا لم يجد بالكلية فإنه يلزم الحق، وهو الجماعة، ولو كان واحداً، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه لعمرو بن ميمون: "الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك"⁽²⁾.

فعلى المسلم أن يطلب الحق، فإذا وجد من يدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإلى العقيدة الصحيحة - في أي مكان، فليكن معهم يلتمس الحق ويصبر عليه ويكون مع أهله، هذا هو الواجب على المسلم.
فإن الفرقة الناجية: هي الجماعة المستقيمة على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم؛ من توحيد الله، وطاعة أوامره وترك نواهيه، والاستقامة على ذلك قولًا وعملًا وعقيدة، هم أهل الحق وهم دعاة الهدى ولو تفرقوا في البلاد، فإذا كانوا على طريقة التوحيد والإيمان بالله ورسوله، والاستقامة على دين الله الذي جاء به الكتاب وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بفهم أهل السنة والجماعة.

ولا بد أن نتعاون جميعاً على البر والتقوى، وأن نعالج مشاكلنا بالعلم والحكمة والأسلوب الحسن، فمن أخطأ في شيء مما يتعلق بالعقيدة، أو بما أوجب الله، أو ما حرم الله، نبهنا عليه بالأدلة الشرعية بالرفق والحكمة والأسلوب الحسن، حتى ينصاعوا إلى الحق، وحتى يقبلوه، وحتى لا ينفروا منه، هذا هو الواجب على أهل الإسلام أن يتعاونوا على البر والتقوى، وأن يتناصحوا فيما بينهم، وأن لا يتخاذلوا فيطعمون العدو.

وأما من دعا إلى غير كتاب الله، أو إلى غير سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، أو دعا إليهما بغير فهم السلف وجماعة أهل العلم المعتبرين فهذا ليس من الجماعة، بل من الفرق الضالة الهالكة⁽³⁾.

فإن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بين لنا دريا واحداً يجب على المسلمين أن يسلكوه وهو صراط الله المستقيم ومنهج دينه القويم، يقول الله تعالى: {وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَمَنْ فَرَّقَ بَيْنَهُمْ ذَلِكُمْ وَصَاحُوكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} كما نهى رب العزة والجلال أمة محمد صلى الله عليه وسلم عن التفرق واختلاف الكلمة؛ لأن ذلك من أعظم أسباب الفشل وتسلط العدو كما في قوله جل وعلا: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّقُوا} وقوله تعالى: {شَرِيكٌ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّيْتُ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أُوحِيَنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ} وهذه دعوة إلهية إلى اتحاد الكلمة وتألف القلوب.

(1) البخاري (7084)، ومسلم (1847).

(2) أخرجه الالكائي في شرح أصول الاعتقاد (160).

(3) مجموع فتاوى عبد العزيز بن باز (8/ 179 - 183).

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

والجماعات إن كانت كل واحدة تضلل الأخرى وتنقد أعمالها فإن الضرر بها حينئذ عظيم والعواقب وخيمة؛ فالواجب على علماء المسلمين توضيح الحقيقة ومناقشتها كل جماعة ونصح الجميع بأن يسيروا في الخط الذي رسمه الله عباده ودعا إليه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ومن تجاوز هذا واستمر في عناده لمصالح شخصية أو لمقاصد لا يعلمها إلا الله، فإن الواجب التشهير به والتحذير منه ممن عرف الحقيقة، حتى يتتجنب الناس طريقهم وحتى لا يدخل معهم من لا يعرف حقيقة أمرهم فيضله ويسرقه عن الطريق المستقيم الذي أمرنا الله باتباعه في قوله جل وعلا: {وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ إِنْ كُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاحُوكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}.

ومما لا شك فيه أن كثرة الفرق والجماعات في المجتمع الإسلامي مما يحرض عليه الشيطان أولاً وأعداء الإسلام من الإنس ثانياً؛ لأن اتفاق كلمة المسلمين ووحدتهم وإدراكيهم الخطر الذي يهددهم ويستهدف عقيدتهم يجعلهم ينشطون لمكافحة ذلك والعمل في صف واحد من أجل مصلحة المسلمين ودرء الخطر عن دينهم وبладهم وإخوانهم، وهذا مسلك لا يرضاه الأعداء من الإنس والجن، فلذا هم يحرضون على تفريق كلمة المسلمين وتتشتت شملهم وبذر أسباب العداوة بينهم⁽¹⁾.

والحاصل:

أن أهل السنة لا يجدون غضاضة في التسامح واللين مع كل من يدعوا إلى كتاب الله وسنة رسول الله بفهم سلف الأمة، أما المخالفون لمنهج السلف فالواجب التحذير منهم والتشهير بهم ومحاجبة مجالسهم وعدم الحضور معهم والاجتماع بهم.

قال الإمام أحمد رحمه الله: "الذي كنا نسمع وأدركنا عليه من أدركنا من أهل العلم: أنهم كانوا يكرهون الكلام والجلوس مع أهل الرأي، وإنما الأمور في التسليم والانتهاء إلى ما كان في كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا في الجلوس مع أهل البدع والرأي ترد عليهم، فإنهم يلبسون عليك ولا هم يرجعون، فالسلامة إن شاء الله في ترك مجالستهم والخوض معهم في بدعتهم وضلالتهم"⁽²⁾.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى، وقد لا ينقطع الواسط إلا بنوع من الخشونة، لكن ذلك يُوجب من النظافة والنعومة، ما تَحْمِدُ معه ذلك التخشين"⁽³⁾.

وقال ابن القيم: "وكل هذه الكتب المتضمنة لمخالفنة السنة: غير مأذون فيها، بل مأذون في محقها وإتلافها، وما على الأمة أضر منها، وقد حرّق الصحابة رضي الله عنهم جميع المصاحف المخالفة لمصحف عثمان رضي الله تعالى عنه لَمَّا خافوا على الأمة من الاختلاف، فكيف لو رأوا هذه الكتب التي أوقعت الخلاف والتفريق بين الأمة"⁽⁴⁾

(1) مجموع فتاوى عبد العزيز بن باز (4/136-137).

(2) الإبانة الكبرى لابن بطة (2/471-472).

(3) مجموع الفتاوى (28/53).

(4) الطرق الحكمية (ص 275).

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

وقال إبراهيم بن ميسرة رحمة الله تعالى: "من وقَرَ صاحب بدعة فقد أغان على هدم الإسلام"⁽¹⁾.

وقال الفضيل بن عياض: "المؤمن يقف عند الشبهة، ومن دخل على صاحب بدعة فليست له حرمة"⁽²⁾.

وقال عبد الله بن عمر السرخسي رحمة الله تعالى: "أكلتُ عند صاحب بدعة أكلة، فبلغ ذلك ابن المبارك فقال: لا كلامته ثلاثين يوماً"⁽³⁾.

وقال الإمام الصابوني في وصف عقيدة السلف: "ويغضبون أهل البدع... ولا يسمعون كلامهم ولا يجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين ولا ينظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم، التي إذا مررت بالآذان وقرت في القلوب ضررت، وجرت إليها الوساوس"⁽⁴⁾

وقال بكر أبو زيد: "وقد كان السلف رحمة الله يحتسبون الاستخفاف بهم، وتحقيرهم، ورفض المبتدع وبدعه"⁽⁵⁾.

- المبحث الثالث: شبهات حول التسامح:

1- العلاقة بين تسامح الإسلام وبين الأمر بالقتال.

يمكنا الجمع بين سماحة الإسلام والأمر بالقتال من خلال جانبين رئيسين:

الأول: مشروعية القتال في الإسلام لم يكن من أهدافه حمل الناس بالقوة المسلحة على اعتناق الإسلام؛ لأنه في القرآن العظيم نصاً واضحاً وصريحاً ومحكماً يمنع من هذا الهدف، وهو قوله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} .

الثاني: القتال في الإسلام يخلو - منهجاً وسيرة - من أن يكون عقاباً على الكفر الأصلي الذي ولد عليه صاحبه ونشأ فالكفر أعظم الذنوب، ومع ذلك فالامر فيه موكول إلى الله سبحانه يعاقب عليه في الآخرة بالخلود في النار، أما في الدنيا فليس لأحد أن يعاقب صاحب الكفر الأصلي بالقتل عليه أو القتل ودم الكافر كفراً أصلياً مصون كماله وعرضه، إلا إذا حارب المسلمين أو انضم لمن يحاربهم، فيكون هو الذي أهدر دم نفسه ذلكم هو الإسلام، وتلك هي سماحته الرحيمة.

حيث لم تكن شريعة الإسلام أحادية في مشروعية القتال، فالقرآن الكريم يقص علينا أنَّ كثيراً من الأنبياء مارسوا القتال بإذن الله فقال: {وَكَأَيْنَ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} .

وال تاريخ النبوى لبني إسرائيل حافل بالمعارك بين الأنبياء ومعارضيهم، فليس القتال إذًا مسبة ولا نقيبة؛ لا في الإسلام ولا في غير الإسلام من الرسائل السابقة.

(1) اللالكائي في السنة (139/1).

(2) المصدر نفسه (140 /1).

(3) نفس المصدر (139/1).

(4) عقيدة السلف المطبوع ضمن الرسائل المنبرية (131/1).

(5) حلية طالب العلم (ص29).

ومشروعية القتال في الإسلام من الضرورات التشريعية التي يلجأ إليها المسلمون حين لا يكون من حيلة إلا القتال، وهو لم يُشرع في الإسلام ليكون وسيلة للبطش والتجبر والقهر، وحاجاً في سفك الدماء ونهب الأموال والتشفي الأهوج، بل شرع لردع الظلم، وحماية الحق، ورعاية الفضيلة ولرد العدون، شرع لإقرار التوازن في الأرض، وإشاعة السلام والأمن، والقضاء على الطغيان، وفي هذا الإطار كانت معارك المسلمين في عصر النبوة، وعصر الخلافة الراشدة، ومن سار سيرتهم من ولادة الأمور.

ومن الأهداف العليا في مشروعية القتال في الإسلام حماية الدين والعقيدة، ودحر الفتنة، وحماية المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، وكل أولئك مقاصد نبيلة، وقيم إنسانية مقدسة يجب أن تحمى وتصان؛ قال تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونُ فِتْنَةٌ وَيَكُونُ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ اتَّهَمُوهُ فَلَا عُذْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ}، وقال تعالى: {وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوُلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرِبَةِ الظَّالِمُونَ أَهْلُهَا وَاجْعَلُ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا}

فالقتال في الإسلام ضرورة وإجراء استثنائي له موجباته ودعائيه، فهو كما قال أمير الشعراء شوقي مخاطباً رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : وال Herb في حق لديك شريعة ومن السموم الناقعات دواء . فالقتال مشروع في الإسلام ليس في ذلك ريب، ولكنه قتال محفوف بقيم وضوابط حتى لا يساء استعماله كما يساء استعمال كثير من الواجبات والحقوق.

يقول تعالى: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِلِينَ}.

هذه الآية اشتملت على أربعة ضوابط للقتال المأمور به:

الأول: أن يكون القتال في سبيل الله أي لنصرة الحق لا في نزوات شخصية أو عنصرية.

الثاني: أن يكون مقصوراً على من قاتلنا فعلاً أو عزم على قاتلنا يقيناً أو ظناً قوياً تؤيده قرائن الأحوال الواردة عن العدو.

الثالث: ألا يكون اعتداءً وتجاوزاً من جانبنا كقتل الشيوخ والنساء والذرية والضعفاء والرهبان المعتزلين في خلواتهم أو بيوتهم.

الرابع: الترهيب من الاعتداء بعد النهي عنه، بأن الله لا يحب المعتدلين.

وقوله: {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} أي في نصرة الحق، سواء أكان هذا الحق لإعلاء كلمة الله بحماية الدين، أو كان للدفاع عن الضعفاء أو لردع الظلم في آية صورة من صوره، أو لحماية ديار الإسلام أو مقدساته، وقد أفتى الإمام مالك - رضي الله عنه - بأن من يقاتل دون ماله إذا اعتقد عليه فهو قتال في سبيل الله.

أمثال هذه الظروف تجعل القتال مشروعًا على سبيل الوجوب: فاحتلال الأقطار الإسلامية، والاعتداء على حرمات المسلمين، والعبث بحرمات نسائه وفتياته، وهدم دور العبادة واعتداء العدو على مقدسات المسلمين، كل هذه الظواهر تجعل القتال واجباً على كل قادر من المسلمين، لتصان الدماء وتحفظ الديار، وتحمي الأعراض.

أما الضوابط في السنة وفي سيرة الخلفاء يمكن التعبير عنها بكلمة جامعة وهي: حظر ضرب الأهداف المدنية - كما هو معروف في الفقه الدولي الحديث - أي أن الجيش حين يخوض حرباً واجبة شرعاً، فعليه أن يقتصر في حربه

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار، جمهورية صربيا

على قتال من حمل السلاح من العدو وجابهنا به، أو شارك فيه بأي لون من ألوان المشاركة، كالتحطيط، ونقل المؤن والعتاد والجنود إلى ميدان القتال، أو المؤسسات الحربية ومركز القيادات وإصدار الأوامر وتدبير شئون القتال.

أما النساء والأطفال وكبار السن ورجال الدين والرهبان الذين حبسوا أنفسهم في أديرتهم ومعابدهم ولم تكن لهم صلة بأمور الحرب الدائرة، وكذلك الزروع والماشية والمؤسسات المدنية كمخازن المياه والتموين الغذائي للمدنيين، والطرق غير الحربية، ومراكز الطاقة الحيوية المتصلة بحياة العامة اليومية، والمدارس والمعاهد والجامعات والمستشفيات المدنية، فهذه كلها لا يتعرض لها بسوء أخذناً بسنة صاحب الرسالة - صلى الله عليه وسلم - وخلفائه الراشدين، والاعتداء عليها داخل في الاعتداء المنهي عنه في الآية الحكيمية التي تقدم نصها.

هذا هو ما يرجحه كثير من الفقهاء ولكنه مشروط بشرط عادل ومهما وهو: ألا يعتدي علينا العدو بضرب هذه الأهداف لدينا، فإذا اعtdى العدو علينا بضرب الأهداف المدنية جاز لنا ضرب ما تصل إليه أيدينا من منشآته المدنية، معاملة بالمثل، لقوله تعالى: {فَمِنْ اعْتَدَ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَ عَلَيْكُمْ}

- وضوابط القتال تتنوع ثلاثة أنواع:

الأول - ضوابط قبل بدء القتال؛ منها: ألا نقاتل العدو إلا إذا سُدّت كل الطرق أمام التوصل إلى عقد اتفاق سلمي حول النزاع الناشب بيننا وبينه.

ومنها ألا نبدأهم بالقتال حتى يبدأونا هم به مع أخذ الحذر الدقيق منهم، وترقب حركاتهم حتى لا نؤخذ على غرّة. ويجوز مبدأهم بالقتال في حالات الضرورة.

ومنها أنه إذا كان بيننا وبين العدو عهد بعدم الاعتداء، وبدرت منه بوادر قوية على خيانة العهد وجب علينا أن نعلمه بنقض العهد من جانبنا قبل أن نقاتلاته، عملاً بقوله تعالى:

{وَإِمَّا تَحْافَنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ}.

الثاني - ضوابط في أثناء القتال:

وهي كل ما تقدم في تفسيره الاعتداء المنهي عنه، ونصييف إليها هنا أمرين:

الأول: عدم المُثْلَة بقتلى الأعداء كقطع أطرافهم وتعليقهم على حوامل أو أعمدة، أو بقر بطنهم أو تلطيخ وجومهم بماء مشوهه، فقد ثبت النهي عن المثلة؛ لأنها عمل حقير ولا تليق بكرامة الإنسان مسلماً كان أو غير مسلم.

الثاني: الاستجابة إلى كف القتال إذا طلب العدو ذلك شريطة ألا يكون مخادعاً لنا في التقدم بهذا الطلب، وذلك

عملاً بقوله تعالى: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}.

الثالث - ضوابط ما بعد القتال: وهي ضربان:

الأول: سلوكيات تتعلق بآثار القتال وما نتج عنه، وأبرز هذا الضرب التصرف في الأسرى إن وجدوا، وكان المصير فيهم في أول الأمر أن يقتلوا، كما جاء التوجيه في غزوة بدر الكبرى بعد أن تصرف النبي في أسرى قريش نازلاً على رأي أبي بكر، فأطلق سراحهم بعد أخذ الفدية منهم؛ فنزل الوحي معتاباً: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُشْخَنَ في الْأَرْضِ ثُرِدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}. ثم عافياً: {لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَكُمْ فِيمَا أَخْذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (68) فَكُلُّوا مِمَّا عَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيَّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}.

ثم جاء التخيير بين المَنَّ على الأسرى - إطلاق سراحهم مجاناً - وبين أخذ الفدية منهم، والأمر يرجع إلى تقدير إمام المسلمين أين يرى المصلحة كما جاء في قوله تعالى: {فَإِذَا لَقِيْتُمُ الَّذِيْنَ كَفَرُوا فَصُرِبَ الرِّقَابُ حَتَّىٰ إِذَا أَثْحَنْتُمُوهُمْ فَشَدُّوْا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً}.

وقد توسع الفقهاء في وجوه التصرف في الأسرى، فراد بعضهم على ماورد في الآية وجهين أو ثلاثة، منها جواز القتل والاسترقاق، والمعول عليه ما ورد في القرآن نفسه، لأنه قطعي الشبه والدلالة معاً.

وعلى كل فإن معاملة الأسرى - وهو في الأسر - يجب أن تكون بالحسنى.

الضرب الثاني: سلوكيات سلوكيات الواقع المسلمين بعد القتال مع إحراز النصر: وهي الالتزام الكامل بمنهج الله من التواضع وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونصر الله وإتباع هديه في كل شئون الحياة الخاصة والعامة: {الَّذِيْنَ إِنْ مَكَنَّا هُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورُ}.

إن النصر والتمكين في الأرض من أعظم النعم على المسلمين بعد الإيمان بالله، وشكر هذه النعم يكون بطاعة الله ورسوله لا بالسعى في الأرض فساداً، والطغيان على عباد الله، هكذا وجه القرآن المسلمين.

وفي هذا الإطار المحكم من التوجيه الإسلامي الحُلُقي جرت معارك المسلمين مع أعدائهم في صدر الإسلام، ويمكن تقسيم تلك المعارك والغزوات قسمين:

أ- غزوات كان سببها الدفاع عن حرمات الله وحقوق المسلمين كغروتي أحد والأحزاب، ومن قبلهما غزوة بدر الكبرى، إذ كان الهدف لقريش وحلفائها من هذه الغزوات هو مداهمة المسلمين في مقرهم الجديد (المدينة) والقضاء عليهم وعلى الإسلام معاً.

ب- غزوات كان سببها تبليغ الدعوة كغزوات الفرس والروم والمناطق الخاضعة لهما.

وفي هذه الغزوات كان القتال هو اختيار العدو لا المسلمين، كما هو معروف من منهج الدعوة⁽¹⁾.

2- العلاقة بين تسامح الإسلام وبين أمره بالحدود والعقوبات:

لقد تميزت الشريعة الإسلامية عن غيرها من الشائع والقوانين في التشريع الجنائي ووضع العقوبات المناسبة لأفعال الناس التي تضر بالأنفس والأموال والأعراض وغيرها، حيث أضفت الشريعة على هذه العقوبات أولى من السماحة واليسر، بحيث تتقبلها النفس الإنسانية في كل أحوالها بل تطالب بها إذا وقعت مثل تلك الأفعال، ويمكن أن نبين هذه السماحة والسعة من خلال بيان عقوبتين فقط، وهما:

أ - عقوبة قتل النفس:

إن قتل النفس بغير حق يعد من أكبر الجرائم وأعظمها عند الله تعالى، يقول الله عز وجل: {وَلَا تَقْتُلُوْا النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَاحِبُمْ بِهِ لَعْنَكُمْ تَعْقِلُوْنَ}.

(1) سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله وال العلاقات الإنسانية منهاجا ... وسيرة (ص: 151-158).

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار، جمهورية صربيا

وقد جعل الله - تعالى - قتل النفس الواحدة بمثابة قتل الناس جميعاً، وإحياء نفس بمثابة إحياء لجميع الناس، يقول الله تعالى: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِعَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَانَمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا}.

ويقول عليه الصلاة والسلام: «لروال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم»⁽¹⁾.

قتل النفس فعل شنيع وجريمة عظيمة، لا بد أن يكون له عقاب يتناسب مع هذا الجرم والفعل، فكان حكم الله القتل مقابل القتل، لقوله عز وجل: {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذْنَ بِالْأُذْنِ وَالسِّنَ بِالسِّنِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ}.

ويظهر يسر الإسلام وسماحته في تطبيق العقوبة على القاتل من خلال النقاط الآتية:

- لا يؤخذ أحد بجريمة أحد، أي أنه لا يعاقب إلا القاتل نفسه، وليس لأهله وذويه وقبيلته شأن في فعله وتطبيق العقوبة عليه، بدون تعسف أو تعد، بخلاف ما كانت عليه الجاهلية، حيث كانت تشب حروب وتنتهك أعراض، ويقتل بالرجل أكثر من الواحد، كلها بسبب جريمة قتل وقعت لأحد أفرادهم، لقوله عز وجل: {وَمَنْ قُتِلَ مَظُلُومًا فَقَدْ جَعَلَنَا لَوْلَيْهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقُتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا}.

- إن من يسر الإسلام وسماحته أن جعل المجال مفتوحاً أمامولي أمر المقتول وخierre بين إحدى ثلات: القصاص أو الديمة أو العفو، لقوله صلى الله عليه وسلم: «من أصيب بدم أو خبل (الخبل الحراح) فهو بال الخيار بين إحدى ثلات: إما أن يقتضي أو يأخذ العقل أو يغفو، فإن أراد رابعة فخذلوا على يديه فإن فعل شيئاً من ذلك ثم عدا بعد فقتل فله النار خالداً فيها مخلداً».

- ومن يسر الإسلام أيضاً وسماحته قبل تطبيق هذه العقوبة أنه يغري أهل المقتول بما عند الله تعالى، إذا تجاوزوا عن القاتل وغفروا عنه، لقوله صلى الله عليه وسلم: «ما عفا رجل إلا زاده الله به عزا ولا نقصت صدقة من مال ولا عفا رجل قط إلا زاده الله عزرا»⁽²⁾.

- ومن سماحة الإسلام ويسره أنه اشترط في جواز تطبيق القصاص اتفاق أولياء الدم جميعاً على هذا القصاص، فإذا وُجد من بينهم من عفا عن القاتل وإن كانت امرأة فإن الحكم يسقط، ويمنع القصاص.

وكذلك إذا كان من بين أولياء الدم من لم يبلغ سن التمييز أو كان غائباً، فإنه يتنتظر بلوغه أو عودته من غيبته لأخذ رأيه، فإن عفا عن الجاني فإن الحكم يسقط، وقد يأخذ ذلك سنيناً وأعوااماً، وفي ذلك حكمة ربما ينسى هؤلاء الأولياء حنفهم على دمهم وتتخفف الوطأة عليهم، فيكون العفو حينها أقرب إلى القصاص.

ب - عقوبة الزنا:

(1) أخرجه النسائي (3992)، والترمذى (1395)، وابن ماجه (2619)، وصححه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (1395).

(2) أخرجه بهذا اللفظ أحمـد (9643)، وأصله فى صحيح مسلم (6684).

وجريدة الزنا من الجرائم الأخلاقية التي تفسد الأسر والمجتمعات وتضييع الأنساب وتفشي الضغائن والأحقاد، لذلك كانت هذه الجريمة من الكبائر التي توعد الله فاعلها بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، لقوله عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ يُجْبِونَ أَنَّ تَشْيَعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}.

وعقوبة الزاني الرجم للمحسن والجلد لغير المحسن، وفي هذا يسر وسماحة، وذلك بتتناسب العقوبة مع طبيعة الزاني نفسه، فالزاني الشيب أعظم جرمًا من الزاني غير المحسن، لذلك جاءت عقوبته أقسى وأشد وهي الرجم. ومن يسر الإسلام وسماحته في إنفاذ العقوبة على الزاني أنه طلب شهادة أربعة أشخاص على الفاحشة، وهذا من باب التحري الزائد، وتجنبًا لتطبيق العقوبة، وحتى لا يقع الناس في أعراض غيرهم، ليس هذا فحسب وإنما حدد عقوبة الذي يقذف الآخرين ويتهمهم بالزنا من غير أن يحضرها أربعة أشخاص فحينها ينال عقوبة القذف، يقول الله تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْتُقُونَ الْمُحْكَمَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَادَةً فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدًا وَلَا تَعْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}.

ومن أجل إقرار هذا المبدأ لدى الأمة كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحاول تجنب تطبيق حد الزاني، ويحاول إيجاد للمعترف بالزنا أعدارًا لعله يتراجع عن اعترافه، فقد «أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فناداه فقال: يا رسول الله، إني زنيت، فأعرض عنه حتى ردد عليه أربع مرات فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أبك جنون؟ قال: لا. قال: فهل أحصنت؟ قال: نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اذهبوا به فارجموه. قال ابن شهاب: فأخبرني من سمع جابر بن عبد الله. قال: فكنت فيمن فرجمناه بالمصلى فلما أذلقته الحجارة هرب فأدركناه بالحرقة فرجمناه»⁽¹⁾.

وقد عمل الإسلام على تخفيف وقوع الزنا ومحاولة الستر على مرتكبها، وأن تتم التوبة بينه وبين الله تعالى، فالأمر يرجع إلى الله تعالى يوم القيمة إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه⁽²⁾.

3- العلاقة بين سماحة الإسلام وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الجهاد الدائم الذي يقوم به المسلم، وهو أصل مهم من أصول قيام حضارة الإسلام إذ لا قيام لشريعة الإسلام بدونه، وهو قطب الدين الأعظم، والمهم الذي ابعث الله له النبيين أجمعين، ودليل كمال الإيمان وحسن الإسلام، وهو سر أفضلية هذه الأمة؛ لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ حَيْرَ أَمَّةٍ أَخْرَجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110]، وصمام أمن الحياة، وضمان سعادة الفرد والمجتمع، يثبت معاني الخير والصلاح في الأمة، ويزيل عوامل الشر والفساد من حياتها، ويقضي عليها أولاً بأول؛ حتى تسلم الأمة وتسعد، ويهيا الجو الصالح الذي تنمو فيه الآداب والفضائل، وتحتفى فيه المنكرات والرذائل، ويتربي في ظله الضمير العفيف، والوجدان اليقظ، ويكون الرأي العام المسلم الحر الذي يحرس آداب الأمة وفضائلها، وأخلاقها وحقوقها، و يجعل لها شخصية وسلطاناً هو أقوى من القوة، وأنفذ من القانون، ويعث الإحساس بمعنى الأخوة والتكافل والتعاون

(1) البخاري (7167)، ومسلم (4420).

(2) اليسر والسماحة في الإسلام لفلاح بن محمد الصغير (ص44).

على البر والتقوى، واهتمام المسلمين بعضهم ببعض، وهو سبب النصر والتمكين في الدنيا، وسبب النجاة في الآخرة، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفترة، وفشت الصلاة، وشاعت الجهلة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل في الدين، وعمة من عمد المسلمين، وخلافة رب العالمين، والمقصود الأكبر من فائدة بعث النبيين، وهو فرض على جميع الناس مثنى وفرادي بشرط القدرة والأمن.

وقد ذكر أهل العلم أن المنكر إن كان يندفع بالمرتبة الأدنى فلا ينبغي السير إلى الأعلى؛ فإن كان المنكر يندفع باللسان فلا يجوز دفعه باليد، وإن كان يندفع بالتعريف لم يجز التوبیخ، وهكذا في سائر المراتب.

والضابط في هذا هو "الاقتصار على قدر الحاجة"، وكون العلماء قد نصوا على ذلك فإنهم لم يتركوا ذلك مجرد قواعد نظرية لا علاقة لها بالواقع، بل نصوا على أن من يتعدى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويتجاوز القدر المسموح به والمتاح إليه في دفع المنكر وإزالته، فإنه يضمن ما تجاوز به في النفس والمال، يقول الإمام الغزالي: «أما كيفية الدفع، فيجب فيه التدرج، فإن اندفع بالكلام لم يضر، أو بالضرب لم يجرح، أو بالجرح لم يقتل، وإذا اندفع لم يتابع»⁽¹⁾.

فهروب الزاني بعد الزنا يعني أن المنكر قد اندفع ولم يبق إلا العقوبة، وليس لآحاد الرعية، وفي حالة التعدي عليه بالقتل بعد الهروب القصاص على المتعدى؛ لأن عقوبة غير المحسن الجلد لا القتل، فاعتبر القتل تعدياً يلزم فيه الضمان الذي هو القصاص، ويقول الإمام النووي: «ومن اقتصر في إبطالها على الحد المشروع فلا شيء عليه، ومن جاوزه فعليه التفاوت بين قيمتها مكسورة بالحد المشروع وبين قيمتها منتهية إلى الحد الذي أتى به، وإن أحرقها فعليه قيمتها مكسورة الحد المشروع»⁽²⁾.

قال الشيخ عبد القادر عودة: «حكم التجاوز في دفع المنكر: إذا استعمل المدافع في النهي عن المنكر أو تغييره وسيلة تزيد عما يقتضيه الحال فهو مسئول عن هذه الزيادة، وكذلك إذا تعدى الحدود المقررة لوسيلة من الوسائل، فإذا عرف فاعل منكر فقدفه فهو مسئول عن القذف؛ لأن القذف لا يدخل في التعنيف، وإذا كان المنكر يندفع بالتعنيف أو التهديد ضرب فاعل المنكر أو جرمه فهو مسئول عن الضرب والجرح، وإذا اندفع المنكر بضربة واحدة أو جرح واحد فضربة ضربة ثانية أو جرحه جرحاً ثانياً فهو مسئول عما فعل بعد اندفاع المنكر.

وإذا كان المنكر يندفع بتغييره باليد فليس له أن يتعدى الحدود المقررة للتغيير، فإذا كان المنكر شرب الخمر أو إحرافها فإن تغيير المنكر يكفي فيه إراقة الخمر، فإذا أتلف الموائد المنصوبة في محل الخمار أو الأبواب أو الأمتدة أو أحرقها فهو مسئول عن ذلك.

ولا محل للنهي عن المنكر أو تغييره قبل مباشرة المنكر أو بعد مباشرته؛ لأن مباشرة المنكر هي التي تحل النهي عنه أو تغييره دفعاً للمنكر، فإذا لم يقع المنكر فلا يمكن اعتبار ما يقع على قاصد فعل المنكر دفعاً وإنما هو اعتداء، وإذا

(1) الوسيط في المذهب (531/6).

(2) روضة الطالبين وعمة المفتين (18/5).

انتهى فاعل المنكر من فعله فما يقع عليه من أفعال أو ما يوجه إليه من أقوال بسبب فعل المنكر لا يعتبر دفعاً للمنكر وإنما اعتداء على فاعله.

والأصل أن ما يدفع به المنكر مباح ولا يعتبر جريمة ما دام لم يتعد الحدود المقررة لدفع المنكر، لكن إذا تعدد أفعال دفع المنكر إلى الغير وأصابته خطأً اعتبر الفعل بالنسبة للغير خطأ ولو أنه صدر من فاعله متعمداً إيهاه؛ لأن الفعل المباح ضد فاعل المنكر محرم ضد غيره، فالنعمد لا عبرة به؛ لأنه تعمد فعل مباح والقاعدة أن من تعمد فعلاً مباحاً فأخطأ في فعله يسأل عن نتيجة الخطأ باعتباره مخططاً لا عاماً⁽¹⁾.

4- العلاقة بين سماحة الإسلام وبين الحب والبغض في الله.

لقد اشتبه على كثير من ينتسب إلى العلم فضلاً عن غيرهم من العامة مسألة الفرق بين التسامح وبين المودة والبغض في الله وكيفية الجمع بينهما، فظن أن أمر الإسلام بالتسامح مع الآخر إنما يعني مودتهم والتقارب إليهم بما يرضيهم. ويتجلى هذا التشابه وهذا اللبس في خطاب أرسله سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز إلى شيخ الأزهر بمصر؛ حيث جاء فيه ما نصه: "إلى حضرة الأخ سماحة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، شيخ الأزهر، وفقه الله للخير. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ أما بعد: فقد اطلعت على مقالة لسماحتكم نشرتها صحيفة الجزيرة السعودية في عددها الصادر في يوم الجمعة 16 / 5 / 1415 هـ بعنوان: "علاقة الإسلام بالأديان الأخرى" ورداً في أولها من كلامكم ما نصه: "الإسلام يحرص على أن يكون أساس علاقاته مع الأديان والشعوب الأخرى هو السلام العام والود والتعاون؛ لأن الإنسان عموماً في نظر الإسلام هو مخلوق عزيز كرمه الله تعالى وفضله على كثير من خلقه؛ يدل لهذا قول الله تعالى في سورة الإسراء: {ولَقَدْ كَرِمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيَّابَاتِ وَفَضَلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ حَلَقَنَا تَقْضِيَّاً}، والتكريم الإلهي للإنسان بخلقه وفضله على غيره يعد رباطاً سامياً يشد المسلمين إلى غيرهم من بني الإنسان. فإذا سمعوا بعد ذلك قول الله تعالى في سورة الحجرات: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا حَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكْرِ وَأَنْشَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَاكُرُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَمِيرٌ} أصبح واجباً عليهم أن يقيموا علاقات المودة والمحبة مع غيرهم من أتباع الديانات الأخرى، والشعوب غير المسلمة؛ نزولاً عند هذه الأخوة الإنسانية، وهذا هو معنى التعارف الوارد في الآية ...". إلخ.

ولقد كدرني كثيراً ما تضمنته هذه الجمل من المعاني المخالفة للآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ورأيت من النصح لسماحتكم التنبية على ذلك؛ فإنه لا يخفى على سماحتكم أن الله سبحانه قد أوجب على المؤمنين بغض الكفار، ومعاداتهم، وعدم مودتهم وموالاتهم، ما في قوله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أُولَئِكَ بَعْضٌ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} وقال سبحانه في سورة آل عمران: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُوْلَا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُحْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ} وقال سبحانه في سورة الممتحنة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أُولَئِكَ ثُلُّقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءُكُمْ مِنَ الْحَقِيقِ يُحْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ شُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

(1) التشريع الجنائي الإسلامي (510/1-511).

9-8 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

حَرَجْتُمْ جَهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِي تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَحْقَيْتُمْ وَمَمْ يَفْعَلُهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلُ إِنْ يَتَقْفَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءٍ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ وَالسِّتَّةُ بِالسُّوءِ وَوَدُوا لَوْ تَكْفُرُونَ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبُعْضَاءُ أَبْدَى حَتَّى شُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} الآية. وقال سبحانه في سورة المجادلة: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ} الآية.

ف بهذه الآيات الكريمة وما جاء في معناها من الآيات الأخرى كلها تدل على وجوب بعض الكفار، ومعاداتهم، وقطع المودة بينهم وبين المؤمنين حتى يؤمنوا بالله وحده.

أما التعارف الذي دلت عليه آية الحجرات فلا يلزم منه المودة ولا المحبة للكفار، وإنما تدل الآية أن الله جعلبني آدم شعوباً وقبائل ليتعرفوا، فيتمكنوا من المعاملات الجائزة بينهم شرعاً كالبيع والشراء وتبادل السفراء، وأخذ الجزية من اليهود والنصارى والمجوس ... وغير ذلك من العلاقات التي لا يترتب عليها مودة ولا محبة.

وهكذا تكرير الله سبحانه لبني آدم لا يدل على جواز إقامة علاقة المودة والمحبة بين المسلم والكافر، وإنما يدل ذلك على أن جنس بني آدم قد فضل الله على كثير من خلقه.

فلا يجوز أن يستبطن من الآيتين ما يخالف المحكمات المتقدمة وغيرها الدالة على وجوب بعض الكفار في الله ومعاداتهم، وتحريم مودتهم وموالاتهم؛ لما بينهم وبين المسلمين من البون العظيم في الدين.

والواجب على أهل العلم تفسير القرآن بما يصدق بعضه ببعضه، وتفسير المشتبه بالمحكم، كما قال الله جل وعلا: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأَخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَإِنَّمَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ رَيْغُ فَيَتَبَعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ} الآية، مع أن الحكم بحمد الله في الآيات المحكمات المذكورة وغيرها واضح لا شبهة فيه، والآياتتان اللتان في التعارف والتكرير ليس فيهما ما يخالف ذلك⁽¹⁾.

ولعلي بهذا العرض الموجز أوضحت معنى التسامح وأهم ضوابطه، وبعض الشبهة المثارة حوله.
هذا والله أرسال أن يجعل هذا العمل صالحًا خالصاً لوجهه. والحمد لله رب العالمين.

(1) مجموع فتاوى عبد العزيز بن باز (189/8-193).

رهان القيم وتحديات الحوارات المعاصرة

ذ.أنس بوابرين

جامعة المدينة العالمية-ماليزيا

مقدمة:

الحمد لله حق حمده، وأصلى وأسلم على الرحمة المهدأة، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد، فلا جرم أن المشروع النهضوي، الذي قامت عليه الأمة في تاريخ الحضارة الإسلامية، استمد قوته من وجود نماذج واقعية، ومقامات مشهودة، صدحت بجوهر البلاغ الرياني الأثيل، المترع بالقيم، فتمثله في أبيه صورة، تعاشق فيها الترتيل مع التنزيل، وكان طبيعيا في مسيرة الانتقال من مرحلة النص المؤسس، إلى مرحلة التبصرة والاهتداء؛ من وجود سجال فكري حاد. بيد أن رجالات الاهتداء أنبياء، و مصلحين، لم يستغفلاهم جور الأفكار، وانتكاس الأحوال، عن نهج الحوار الأصيل، الممعن في استيعاب المخالف روبا وفكرة، ومحاججته على النحو الأمثل، قيمة ومنهجا.

أولاً: مشكلة البحث:

في خضم السجال الفكري، الذي تشهده المجتمعات المعاصرة، والذي آل إلى اندحار الفعل الحضاري المنشود؛ آلت الإنسانية إلى آفاق مسلودة، يغيب فيها الاستيعاب والتعايش المشروع، وفي هذا السياق استحوذ سؤال الخلاص من هذه الورطة على كثير من المقاربات، وكان التساؤل المركزي هو: هل هناك منهج راسخ، ونموذج فريد لحوارات قيمة، تنهض ببعض واقع متسمامي، تُبعث فيه الإنسانية من لهيب الصراع الحضاري القائم؟

ثانياً: فرضيات البحث:

ما من ريب أن حضارة المسلمين التي أوجعت في بناء الإنسان بناء يتنا gamm مع صميم ما قامت عليه السمات والأرض؛ من قيم فاضلة ، قد رسمت في مشهد "البيان" خطوة رشيدة، تعتمد تفاصيلها منهجاً قيمياً متوازناً دقيقاً، يكفل تدبير الخلاف، ويستوعب الاختلاف، ويؤسس للحق بحق، ويكشف الباطل بحججة وبرهان، والمفروض أنه وجدت نماذج حقيقة في ثنايا هذه الحضارة القيمية، ضمت إلى قوة الحق الذي سعت إلى إعلانه، والدعوة إليه؛ منهجاً متفرداً، يصلح للاستلهام، بل واعتماده مصدراً في بناء الحوار القيمي الفعال .

ثالثاً: قضايا البحث:

- ❖ الـحوارات الـقيمية: ثـنائيةـ التـنظير وـ التـطـبيق
- ❖ المـصدرـيةـ فـيـ النـموـذـجـ الـحـوارـيـ إـلـاسـلامـيـ
- ❖ مـركـبةـ الـقيـمـ فـيـ بـنـاءـ الـحـوارـ الـحـضـارـيـ المـنشـودـ.

رابعا: الأهداف :

- بيان مركزية القيم في ترشيد الحوار الإنساني.
- إبراز غنى التجربة الإسلامية في حقل القيم الحوارية.
- الكشف عن المنهج الإسلامي الحواري الفريد في محاججة صنوف المقولات.
- بناء خطة راشدة لتدبير الخلاف .

خامسا: المنهج:

- المنهج الاستقرائي: حيث عمد الباحث إلى استقراء النصوص المصدرية ذات الخصوصية القيمية في الحوار وتحليل مفردات الخطاب الحواري في وقائع جزئية لاستخلاص الأسس والقواعد المنهجية الكلية للقيم الحوارية.

- المنهج الاستبatiي : من خلال تحليل كليات المعطيات الحوارية للوقوف على جزئياتها وما تحمله من دلالات مركزية .

سادسا: خطة البحث:

افتتحت بحثي —هذا— بمقدمة، بينت فيها أهمية الموضوع ، وأهداف البحث، خطته، ومنهجه. ولما كان البحث في هذا الموضوع ذا أهمية بالغة، حاولت إبراز الإشكال الذي سعى إلى الإجابة عنه، من خلال نماذج تطبيقية، وأمثلة شاذة، من القرآن الكريم، والسنة المطهرة.

وقد انتظم هذا البحث أربعة فصول، واشتمل كل فصل على مباحثين، ثم اختتمت بخاتمة، حاولت من خلالها، بيان ما توصلت إليه من النتائج، من خلال ما بُث فيه من القضايا، مبرزاً ما خلصت إليه مما أزعجم أنه حل لمشكلة البحث، وأعقبت ذلك بقائمة المصادر والمراجع، ثم ذيلت البحث بفهرس الموضوعات.

الفصل الأول : القيم الحوارية : المفهوم والمنهج

يشكل تفكيك مركب (القيم الحوارية)، مدخلا أساسا لبناء تصور مفهومي دقيق، يتيح لنا تعميق الوعي بالأبعاد الدلالية للمفهوم، لتحديد تشكالاته المختلفة، وامتداده على المستوى الإنساني العام .

المبحث الأول : القيم وال الحوار: المفهوم والتاريخ والأسس.**أولاً القيم : سؤال المفهوم :**

قد لا تسلم محاولة تحديد هذا المفهوم من تعقيد، لأنه تتجادبه حقول ابستمولوجية، ومعرفية مختلفة، تجعل سياقاته متباعدة، لاسيما مع استحضار معطى التطور المفهومي، بيد أنه لا مناص من بسط التحديدات الأولية، التي شكلت منطلقا تداوليا لهذا المفهوم .

« القيمة »: هي واحدة القيم، فالقيمة ثمن الشيء بالتقدير، تقول تقواهواه فيما بينهم، والقوم العدل¹، وما لفلان قيمة إذا لم يدم على شيء، والقائم في الملك الحافظ له¹.

¹ الجوهري،الصحاح في اللغة: مادة (قوم) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملاتين : بيروت، الطبعة: الرابعة، 1407هـ- 1987م، ج2، ص102.

فالقيمة في أصلها المعجمي دالة على عدة معان منها :

- الثمن
- العدل والاعتدال
- الدوام
- الحفظ

و يقال في اللغة اللاتينية «*valeres*»؛ وفي اللغة الفرنسية «*valeurs*»؛ ويقال في اللغة الإنجليزية «*values*»، ترجع كلمة «*valeur*» في أصلها الاشتقافي، إلى الفعل اللاتيني «*valeo*»، ويعني «أنا قوي»، و «أنا في صحة جيدة». كما تدل على الشجاعة و البسالة *vaillance*². ومن خلال ما تقدم، يمكننا القول أن القيم (هي مجموع القواعد والأسس المعيارية التي تتسم بالدوام وتروم الاعتدال) .

ثانياً: الحوار : المفهوم والأسس.

أما الحوار، فقد أشارت المعاجم اللغوية أن الجذر حور دال على التغيير والرجوع عن الشيء أو إليه. يقال: "حَوْرُ الْكَلَامِ أَيْ غَيْرِهِ"³ وكذلك: تحاوروا تراجعوا الكلام بينهم". ومنه قوله تعالى {إِنَّهُ طَئِنَ أَنْ لَنْ يَحُورُ} [الإنشقاق: 14] أي لـ :

و من الناحية الاصطلاحية هو: "حديث بين طرفين أو أكثر، حول قضية معينة، الهدف منها الوصول إلى الحقيقة، بعيداً عن الخصومة والتعصب، بل بطريقة علمية، إقناعية، ولا يُشترط فيها الحصول على نتائج فورية"⁴. و نظراً لما للحوار من "فضائل خاصة أصبحت تعد اليوم عنواناً على وعي الأمة، وتقديمها" ⁵ كما يقول طه عبد الرحمن؛ فإنه يقوم على مجموعة من الأسس المترابطة، والمنتظمة على نحو دقيق، تكفل له وجوداً موضوعياً، يتنا gamm مع ما يستشرفه من آفاق إنسانية، وكونية، أقتصر منها على أساسين:

الأساس الأول : ركيزة العلم المفضي إلى الحجة :

العلم مطلب هام، يدفع عن بيئة الحوار العبث واللغط، ويسمح بالتأصيل، وصياغة مشترك متين أساسه، يتيح للأفكار أن تتوارد في بساطه، وبهيئة ظروف الإقناع، ويوفر شروط التخاطب الملائمة، فإن لم يتحصل الإقناع في النهاية، فلا أقل من أن تغلب قوة العقل، ويسود نور العلم، الذي ينبع من سواد الاختلاف، المفضي إلى تعميق الهمة بين أطراف الحوار، وذلك أن الجهل صاد عن تقويب المسافات بين المختلفين، وحائل أكيد من بناء قواعد التفاهم، بل

¹ الصاحب بن عباد ، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، د.ن، ذ.م، الطبعة الأولى، 1414هـ-1994م، ج 2 ص 7.

JOHN. Laird, *The idea of value*, 1929²

³ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط 3، دون تاريخ، ج 1، ص 212.

⁴ خالد بن محمد المغامسي، الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية ، ط 1، الرياض: مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، 1425هـ، ص 32.

⁵ طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديده علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، ط 2، 2000م، ص 20.

الجهل مظنة الالتفاهم، وعربون الخصومات والنزاعات، وليس المقصود بالعلم هنا، مفهومه العام، ولكن المراد هو العلم بقضية التنازع بين طرفي النزاع، وفقه مآلات الاختلاف في تلك القضية بعينها، وكذا في شواكلها من الأقضية، التي هي محل النزاع ، و استعداد العقل لتقليل النظر فيها، و استدعاء التأمل في تفاصيلها، وإدراك ما يتحقق من المصالح حال التفاهم الجزئي أو التام .

ولهذا كان العلم أحد الدعائم التي أسس عليها القرآن الحوار ، والجدال، كما قال سبحانه {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ} [الحج:8] فإنه المقدمة للاهتداء، وحامل الكتاب المنير، المتضمن للاستدلال، والنظر العقلي، الذي يهتدي به العقل من جميع الجهات، وذلك أن حقيقة الجهل العدم، والعدم خواء، لا يترك أثرا ، ولا يخلف علامه للاهتداء ، بل كل الآفات عنه انبثقت ، وإليه آلت ، ولهذا نهى الله على قوم مجاجحتهم بغير علم فقال : {هَأَنْتُمْ هُؤُلَاءِ حَاجِجُتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجِجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [آل عمران:66] ، قال الجصاص: « وفي هذه الآية أوضح دليل على صحة الاحتجاج للحق؛ لأنَّه لو كان الحجاج كلَّه محظوراً، لما فرق بين المحاجة بالعلم وبينها، إذا كانت بغير علم »¹ .

المحاجة بغير علم، والحوار بلا سلطان، كبر يغمر القلب بحجب الريف، فيمنع من التأمل والتفكير، كما قال سبحانه {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبِيرٌ مَا هُمْ بِالْغَيْرِ فَاسْتَعِدُ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [غافر:56]. وكثير من الحوارات كان الفشل حليفها؛ لأنَّ أحد أطراف الحوار، يغمره الانتشاء بالذات، والتعالي بالفكرة، ما أسمهم في اعتراض المشكلات، وتعيق الأزمات، وارتفاع الخصومات.

الأساس الثاني : التجرد ودرء التحجر

إنَّ الحوارات القيمية، تبني على التحرر التام من المنطلقات المصلحية، ذات الحدود الضيقة ، وتنطلق في قبول الآخر من آفاق واسعة ، مستصحبة في ذلك مرونة يقضي بها الوعي العميق بآفاق التفاهم، متجردة عن الأجواء الانفعالية التي تحكم كثيراً من الخطابات في العادة، هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإن حيطة الأفكار والقناعات والمبادئ بسياج الأنانية، والتعالي، والتجدد، يجعلها متهافة، تبحث لها عن وجود، من خلال تقويض كيان الأفكار والقناعات الأخرى، حتى وإن كانت هذه الأخيرة أسعد بالحججة، والصدقية.

المبحث الثاني : القيم الحوارية: أنماط وآلات

مما سبق يمكننا تحديد ماهية القيم الحوارية على أنها : (جملة الأصول المعيارية المعتدلة التي تحكم التخاطب الإنساني والهادفة إلى ترسیخ المشترك الكوني بطريقة إقناعية وفقاً لمقتضى المصلحة الوجودية).

ويبقى سؤال المنهج في ظل هذا التحديد المفهومي قائما ؛ ذلك أن إحدى صور الاستيعاب التي تحف أبعاد كل مفهوم ؛ هو منهجه القائم عليه ، وفي ظني أن المفاهيم ، متى شردت عن مناهج موضوعية تمتلك مقومات الثبات والمصداقية ، فإنها حتما تخسر رهان وجودها ، وتبقى معزولة عن (بيئة التجلّي) ، مسؤولة في (بيئة التحلّي) ، فلا تعود

¹ الجصاص، أحكام القرآن ،الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1415هـ/1994م، ج2 ص298.

أن تكون زخرفاً مصطلحياً ، ينتهي بفنية الصياغة ، ولا يكاد يجاوزها إلى مستوى تنزيل الدلالة إلى واقع وأنماط تتمفصل فيه محددات ذاك المفهوم، وتقول إليه .

ومامن ريب أن إحدى مناطقات القوة في المفاهيم القرآنية ، هو استدعاها لمنهج فريد ، يكفل لها التمام ، ويتحقق لها الكمال على صُعدَ عدَة ، ومانحن بتصده ، في مفهوم القيم الحوارية ، وبمحاولة استقرائية ، يتضح لنا أن المنهج الذي رسمه الكتاب العزيز ، وشهدت بها الواقع والأحداث ، في تاريخ الحضارة الإسلامية ؟ نيط به من علائق السمات ، ودقيق الركائز ، ما لم تعرف الأمم ولا الحضارات مثله ولا قريباً منه . ومن هذه الركائز والسمات على وجه الإيجاز :

أولاً : الإذن بالحوار على أعلى مستوى في مشهد التباهي ، في المقام العلي :
 في أحد مشاهد العظمة؛ على وهن المحاور، و جلال من يأذن بالحوار يومئذ جل وعز، وهيبة الموقف، ودلالة كافية الملابسات الحافة بهذه الحال ، أن الحوار لا ينهض بتغيير الحقائق بعد أن كشفت، ومع ذاك يؤذن للعبد بين سيده بالمحاججة في مشهد حواري رهيب ، يقول رب سبحانه {يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُؤْفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُون} [النحل:111]، هو (القسط الحواري) إذن الذي أمر به رب جلاله، حيث قال: {فُلَّ أَمْرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لِهِ الدِّينَ كَمَا بَدَأْكُمْ تَعُوذُون} [الأعراف:29]،
 متجلياً في أبيه صوره ، وأعلى تمثاله .

"**وَالْمُجَادَلَةُ: دِفَاعٌ بِالْقُولِ لِتَخَلُّصِ مِنْ تَبِعَةِ فِعْلٍ**"¹، ومن عجب أن تتسع دائرة المجادلة ، لتشمل المؤمن والكافر ، يقول أبو حيان:

(والظاهر عموم كل نفس ، فيجادل المؤمن والكافر ، وجداه بالكذب والجحد)² وذاك لعمري أحد تجليات الإحسان والعدل الذي أمر به رب سبحانه في {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعُدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعْظِمُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون} [النحل:90].

ثانياً : تخليل مقول المحاورات بلا تلفيق :

كم حكى القرآن من حوارات الخصوم ؟ بل وخلد ذكرها مع الذكر؟ فتالت آي الكتاب العزيز أواخر على أوائل ، تصور المشاهد الحوارية ، أبدع تصوير وأدقه ، و" لا يخفى على أحد ماجاء به القرآن الكريم من أساليب ونماذج في المحاجرة كثيرة ومتعددة حسبنا شاهداً عليها ورود مادة (القول) بصيغة صرفية مختلفة في مواضع جد متعددة "³ فمرة بصيغة (قالوا) ، ومرة بصيغة (قال) ، ومرة بصيغة (سيقول) ، وتارة بصيغة (يقولون) وهلم جراً ، وقد يجري في ميدان

¹ الطاهر بن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 م، د.ط، ج 14 ص 302.

² أبو حيان ، البحر المحيط في التفسير ، دار الفكر ، بيروت ، د.ط ، 1420 هـ ، ج 6 ص 602.

³ طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديده علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط2، 2000 م، ص 21 .

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

الحوار من طيش الأفكار ، وزغل المحاججات ، ما يستنكف المحاور من عرضه ، لاسيما وهو في سياق بيان غلطه ، وتهجين لغطه ، وقد تطيش الدعاوى بأصحابها ، فتحملهم على السباب ، والفجور في الخصومة ، بل والتجنى على الجناب العلي ، بصفة مقيمة ، لامراعاة فيها لأدنى مراتب القيم الحوارية ، بيد أن الكتاب الذي إحدى سماته المركزية عدم الريب ، يصون كلام القائل برغم رداعته ، ويعرضه كما هو من غير افتاء أو تقول على قائله ، كل ذلك صونا لأمانة مائبث فيه ، و إمعانا في الإنصاف ، ودفعا للريب أو الشك الذي قد يُدعى عليه.

إننا نقرأ في التشنيع ماحكى الله عن اليهود في قولهم : {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ} الآية:[64].
وقوله : {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءٌ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} [آل عمران:181].

ونقرأ في إحدى صور الإقصاء والاستحواذ التي يمارسها البعض في أرض الله ، ويريد ممارستها جورا في جنان الله :

{وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيْهُمْ قُلْ هَانُوا بُرْهَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة:111] تلك إحدى صور الآدمية الترابية ، الموغلة في الجهل والظلم ، والمحاطة بغيم الأنانية المقيمة ، حال كهذه لا يقر فيها للمحاورة قرار ، ولا يعقد فيها اتفاق بحال.

ونقرأ في إحدى تجليات الآرية الدعية : {وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مَمَنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَعْذِبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} [المائدة:18]

ونقرأ في الإفك والافتاء : {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادُ مُكْرَمُونَ} [الأنبياء:26]
ونقرأ في الدعاوى العريضة التي منشؤها سوار الكذب القائم في نفوس المدعين ، وزغل أولى النعمة المكذبين : {وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة:80]

ونقرأ في بلادة الفكرة ، وتحجير العقل :
{وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ حَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحِبِّي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ} [بس:78]

ونقرأ في أحد مشاهد الفضول ، والتدخل في مملكة الله :
{سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ} [البقرة:142] ، فالشرق ملك الله ، والمغرب ملكه ، والناس أحرار في تولي الوجهة التي أرادوا بعد أن ارتصوها ، ورضيها لهم ربهم ، وكان الأخرى عدم تحجير اختيارات الناس ، مadam أن اختيارهم مأذون به من لدن من له الملك المطلق ، ومن جانب آخر هذا اختيار لا يمس الأغيار بضرر يذكر ، ولا يمتد إلى حوزة وجودهم ، فيسطو على ممتلكاتهم ، أو يشغب على شيء هو لهم .

وهكذا هو الحال في كثير من الحوارات التي خلدها القرآن الكريم ذكرا ، برغم شناعتها ، وعدم أهليتها أن تحكم وتذكر ، فيما يبدو أول الوهله ؛ لكن الممعن في سياقاتها ، وأساليب محاججتها ، يقطع بفرادة المنهج الحواري القرآني

ومآلاته، لأنه بذلك يفتح باباً عريضاً من النقاش والتحاور والمحاورة والجدال ، ويؤرخ للأفكار في سياقاتها ، ليشتعل العقل حول مصاديقها ، وازنا إياها بمكاييل معقولة ، وليأوي بها إلى حيث الحقيقة المطلقة التي لا يمكن دفعها أو تعميיתה ، وعرض حوارات المتحاورين ، ومقول القائلين على هذا النحو ، ليدرك العاقل بالتأمل والنظر ، كيف ينشئ جسراً آمناً ، تحيا فيه البشرية بأمان ، وتسلم من فوضى الأفكار، وردى العقائد ، ثم يسعى في مرحلة تالية إلى تضمين العقيدة التي بها التمكين والاستخلاف ، في كل تفاصيل الآدميين وحياتهم ؟ و" تلك هي المعادلة الصعبة ، والممتدة طوال الحياة الإنسانية " ¹.

فأي منهج هو منهج القرآن؟ وأي إنصاف أعظم من هذا الإنفاق؟

ثالثاً: تساوي الأطراف الحوارية في امتلاك الصواب مبدأ:

والمقصود بذلك أن الحقيقة من حيث هي حقيقة لا تحابي طرفاً على حساب طرف آخر ، بل تفترض أن الخصمين كليهما يمكنهما ادعاء الحق والصواب مبدئياً ، ثم البرهنة تصدق ذلك أو تکذبه ، فالراجح أن طريق الحق ليس واحداً لا ثانياً له، وإنما طرقاً شتى لاحد لها ²، وهذه الحقيقة يصورها القرآن من خلال تنزيل الرسول الكريم المتalking بوجي ، والحال أنه المصنون برداء العصمة ، المتنزه عن كل غلط ، المتجرد من غرض الرعامة و الداء، حيث يقول الله تعالى : (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } [سبأ: 24]. قال السعدي : (أي: إحدى الطائفتين منا ومنكم، على الهدى، مستعملة عليه، أو في ضلال مبين، منغمرة فيه، وهذا الكلام يقوله من تبين له الحق، واتضح له الصواب، وجزم بالحق الذي هو عليه، وبطلان ما عليه خصمه) ³.

يقول الماوردي : (فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ اسْمَهُ بِبَلِيجِ حُكْمِهِ وَعَدْلِ قَضَائِهِ جَعَلَ النَّاسَ أَصْنافًا مُّخْتَلِفِينَ وَأَطْوَارًا مُّتَبَاينِينَ لِيَكُونُوا بِالْخِتَالِفِ مُؤْتَلِفِينَ وَبِالتَّبَاينِ مُتَفَقِّينَ) ⁴.

الفصل الثاني : القيم الحوارية الدينية : النموذج والمنهج.

لاريب أن إحدى مياميس القيم الحوارية في الشريعة الإسلامية ، هو انتهاجها سبيلي التأصيل والنمدجة في آن واحد ، وهو ما اصط祿حت عليه في مفتتح هذه الورقة بالانتقال من (بيئة التحليل) إلى (بيئة التجيلى) ؛ أي انتقال النص الديني من مجرد التأسيس والتقنين، إلى التوظيف ، ما يجعل النص مفعماً بالحياة ، ذا مصداقية ظاهرة ، تهبه مشروعية (المرجعية) .

¹ محمد الخطيب ، قيم الإسلام الحضارية، نحو إنسانية جديدة ، ص 11

² طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديده علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، ط2، 2000م، ص 20 .

³ ابن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج 1 ص 314. الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى 1420هـ - 2000م.

⁴ الماوردي، تسهيل النظر وتعجیل الظفر في أخلاق الملك، دار النهضة العربية: بيروت، ص 3 .

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

وسيماء (النموذج) في الإسلام ، ملمح يفتح للمتلقي آفاق استلهام البلاغ الرسالي ، مثلاً ومنهجاً ، ولهذا لم تقف النصوص عند حدود الدعوة إلى الحوار ، وتمكين وصلة التعارف ، والتقارب ، وترسيخ مبدأ التناقض ، وإنما اعتملت قواعد هذا الحوار وأصوله، وقواعد التقارب وقوانينه ، وفق منهج قيمي خالد ، بنماذج حية شاهدة ، في مقامات مختلفة ، وسياقات متباعدة ، حتى يسهل على الناس الاعتيار بها ، ولايري أحد في تلك القواعد والأصول تجريداً وضئولاً ، فإنهم متى استناموا إلى ذلك . أوشكوا أن يتخدوا نهجاً لاحباً، وسيرة يأتsson بها، فبذلك يتحقق الغرض من سرد تلك القصص الحوارية ، والمشاهد السجالية .

المبحث الأول : حوار إبراهيم وأبيه : مشهد العاطفة والمحاججة.

من المشاهد الحوارية التي امتنجت فيها ثنائية (العقل والعاطفة) ، حوار خليل الله إبراهيم مع أقرب الناس إليه ، وأعوده بالفضل بعد الله تعالى عليه ، إنه حوار الولد مع الوالد ، والعادة أن الوالد أرجح عقلاً، وأعلم بمدارك الهلاك والنجاة ، غير أن ذلك لا يطرد في كل حال ، فإننا في هذا المشهد، نلمح الابن في مقام لا يضاهيه فيه الأب البنت ، كيف والأول رسول من أول العزم اتخذه الله خليلاً ، وأزر الوالد موغلاً في الوثنية ، أحاطت به خطيبة الشرك والصنمية ، وليس من الهلين مع تجافي المسلمين، وافتراق الديانيتين ، وتباین المذهبین ، مع اتحاد آصرة القرابة ، وصلة الأبوة ، أن تسهل على سيدنا إبراهيم المهمة ، بل احتداد اللجاج ، مع ما ذكر حتماً لا مدفع له ، غير أن من كان أفلج بحاجته ، راشداً في دعوته ، معتدلاً في منهجه ، فالعاقبة لاشك له ، والحق حليفه ، وإن لم يرجع في الخصم حق ولا حجة . إنه لا يكون درك المحاور دركاً ، حتى ينهض في تأسيس ما أراد ، بأصول محكمة ، تكون في كل حال مرعية ، تقى من الزلل ، وتدرء مغبة الفرط والمجاوزة ، وتصون الكرامة ، هذا مع صدق في النية ، وعزيمة على الرشد ، ورحمة تنبعث من ثنيا الخطاب ، وذاك ملاك التوفيق ، فإن المحاور متى تزود بمثل ذلك ، أوشك أن يُخرج العقل من كهوف الوهم ، ويسلك به مسلك الحقيقة التي لا مرية فيها .

ولما كان سيدنا إبراهيم حيزت له من الكلمات البشرية ماتفرق في غيره ، من الإمامة المشهودة ، والرسالة والنبوة ، فضلاً على حُصْنَّ به - إلى جانب محمد سيد البشرية - من الخلة الكريمة؛ كان في محاورته الأَبْ أَحسَنَ ما يكون خلقاً ، أوحدياً في طريقته ، فريداً في منهجه ، ولهذا حث القرآن على التحدث بحاله حال مناظرته ، والتذكير بمنهج محاورته ؛ فقال سبحانه : {وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا} [مريم: 41] والمراد بالذكر هنا التحدث بحال هذا النبي¹ ، لجميل صنعته ، وأصلح منهجه ، حيث مزج بين لغة العقل والعاطفة ، فتعالى صوت الفطرة مع مقتضى الحكمة ، ولذا كان عليه السلام أسعد بالحججة . {والسبب في ذكر قصة إبراهيم هو أنه أبو العرب، وكانوا معتبرين بملته ودينه :} مَلَّةٌ أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ } [الحج: 78] فنبههم تعالى إلى منهجه إبراهيم من خلال حاجاته مع أبيه آزر². ويمكينا الكشف عن هذا المنهج الرياني العريق أصالة ، المكتسي مدد التوفيق شكلاً موضوعاً، من خلال السمات التالية :

¹ ابن الجوزي ، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، مؤسسة الرسالة ، لبنان / بيروت ، الطبعة الأولى ، 1404 هـ - 1984 م ، ص 126.

² وهبة الرحيلي ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، 1418 هـ ، ج 16 ، ص 103.

حيازة الصديقية وصفا :

لقوله سبحانه: {إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّيًّا} [مريم: 41] ، وذلك من مقتضيات الفعالية ، و رسم من رسوم الأهلية ، وصون للحوارات أن يتصدى لها من ليس له مصداقية ، وذلك أجدى في حصول المطلوب ، وأجلب للمقصود ، إلا أن يشاء الله مالا يملك رده ، ولله في خلقه شؤون . قال الزمخشري: (والمراد، فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله،... لأن ملاك أمر النبوة الصدق، ومصدق الله بآياته ومعجزاته حرى أن يكون كذلك)¹.

رحاب المؤانسة :

وهو الذي عبر عنه ابن الأثير بالاستدرج، وتقديمة التوడد بين يدي المخاطبة ظاهرة، نظمتها أربعة مواضع سلفت مقطع الهجر والبراءة ، وذلك مؤشر على نبل المقصود ، وسلامة الطوية ، وهو المتعين لا سيما مع آصرة القرابة الشديدة ، وإنما كان ذلك كذلك (لأن الله تبارك وتعالي نظم الشكر له بالشكر لذى النعمة من خلقه، وأبى أن يقبلهما إلا معاً؛ لأن أحدهما دليل على الآخر، وموصول به. فمن ضيع شكر ذي نعمة من الخلق فأمر الله ضيئع، وبشاهده استخف).². ومن تجليات الشكر المأمور به شرعا ، بسط خطاب الرحمة والمحبة حتى مع تناهى الوجهتين ، أملأ في بلوغ المأمول . يقول الزمخشري : (انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصا فيه أمر العقلاء وانسلخ عن قضية التمييز، ومن الغباء التي ليس بعدها غباء : كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق، وساقه أرقى مساق ، مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن)³.

البعد العقلي في الحوارية:

قد لا يكون الأنسب حال اختلاف المرجعيتين استدعاء المنقول أولا ، ولهذا خاطب إبراهيم عليه السلام في أبيه عقله أصالة ، ليثور فيه داعي الرشد ، ويوقظه من غفلة الغباء ، قال تعالى : {إِذْ قَالَ لَأَبِيهِ يَا أَبَتِ لَمْ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا} [مريم: 42] و(الاستفهام دخله معنى التعجب) ⁴. وهذا المقطع مع المقاطع التي تليه استدلالي بامتياز ، وهو هنا من الصنف التقهرى الذى تأتى فيه النتيجة قبل بيان المقدمات ⁵.

والوارد العقلي في المحاورات، يؤسس لعمق في النظر، و يحمل تبريرا للمطالبات التي بحويها فحوى الخطاب، ولهذا توسل به سيدنا إبراهيم لتغير نتائجة حتمية : "من لا يملك ضرا ولا نفعا أبدا، لا يستحق أن يعبد" . يقول ابن القيم : (إِنَّ الْعَابِدَ إِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَعْبُودِ لِمَا يَرْجُو مِنْ نَفْعٍ، وَإِلَّا فَلَوْ لَمْ يَرْجُ مِنْهُ مَنْفَعَةٌ لَمْ يَتَعَلَّقْ قَلْبُهُ بِهِ، وَحِينَئِذٍ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْمَعْبُودَ مَالِكًا لِلأَسْبَابِ الَّتِي يَتَعَفَّعُ بِهَا عَابِدٌ، أَوْ شَرِيكًا لِمَالِكِهَا، أَوْ ظَهِيرًا، أَوْ وزِيرًا، أَوْ مَعَاوِنًا لَهُ، أَوْ وَجِيلًا ذَهَرَةً وَقَدْرَ يَشْفَعُ عَنْهُ، فَإِذَا انتَفَتْ هَذِهِ الْأَمْوَالُ الْأَرْبَعَةُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ وَبَطَلَتْ انتَفَتْ أَسْبَابُ الشَّرْكِ وَانْقَطَعَتْ مَوَادُهُ؛

¹ الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للله، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة: 1407 هـ، ج 3 ص 18.

² الجاحظ، الرسائل، تحقيق عبد السلام هارون، 1964م، مكتبة الحانجي، القاهرة، ج 1 ص 94.

³ الزمخشري ، المصدر السابق ، ج 3 ص 19.

⁴ عبد الخالق عضيمة ، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، د.ط، ج 3 ص 97.

⁵ ينظر: أصول الحوار، لطه عبد الرحمن ص 31

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

ففى سبحانه عن آلهتهم أن تملك مثقال ذرة في السموات والأرض ، فقد يقول المشرك هي شريكة لمالك الحق. فنفى شركتها له ، فيقول المشرك : قد تكون ظهيراً أو وزيراً ومعاوياً ، فقال : وما له منهم من ظهير ، فلم يبق إلا الشفاعة فنفاها عن آلهتهم ، وأخبر أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه¹.

ميسىم العلم:

سلف الإقرار بأهمية العلم مطلبا في حومة الحوارية ، وقد بينما نقدم أن العيشة والنزاع والاتفاق ، ثلاثتها تربوي من ثدي الجهل ، وأن العلم على عكس ذلك يقيم إزاء الضياف المتنائية، قنطرة تقرب المسافات أولاً ، وتصل الجانبين ثانياً ، وتدفع حجب الغباؤة ثالثاً ، ولهذا أقام سيدنا إبراهيم هذا الجسر مبدأ الكلام ، تذكيراً للوالد بأن المنطلق في بناء تلك القضية العقدية ، علمي برهاني فطري . فقال : {يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءْنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبَعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا} [مريم:43] ، ولازم الإقرار بالمقدمة الأولى (العلم) ، الخضوع للمقدمة الثانية (الإتباع) ، ثم الإذعان للنتيجة المتحتمة ، وهو أن العلم مآلٍ إلى حيث الصراط السوي ، وهذا المسلك في الاستدلال غاية في البرهانية.

التعليلية:

كان من الطبيعي أن يعلل سيدنا إبراهيم موقفه ، لعل التعليل يكون داعياً آخر لتبصر البلاغ ، فعبادة غير الله عبادة للشيطان ، والشيطان عصي للرحمان ، عصي للفطرة ، عصي للعقل ، وهذا النكوص سبب كل شقاء ، فلذا قال : {يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِرَحْمَنَ عَصِيًّا} [مريم:44]

العاطفية:

وها هنا يستدعي الخليل خلة الشفقة ، والخوف على الوالد من سوء المصير ، قال الزمخشري: ربّع عليه السلام بتخويفه سوء العاقبة، وبما يجره ما هو فيه من التبعية والوبال. ولم يخل ذلك من حسن الأدب، حيث لم يصرّح بأن العقاب لا حق له، وأن العذاب لاصق به، ولكنه قال أَخَافُ أَنْ يَمْسِكَ عَذَابٌ ذُكْرُ الخوف والمس ونكر العذاب. وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه، أكبر من العذاب. وصدر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله يا أَبَتِ توسلاً إليه واستعطافاً².

{يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسِكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا} [مريم:45]

الطعن والمعارضة:

حين تغيب شمس العقل ، يرفض الخصم أن يعتمل آلة تفكيره ، فإذا فقدت سمة الإنسان الأولى ؛ وهي كونه عاقلاً مفكراً ، جن قراره ، وعلا صوت الهجر والسباب ، وهذا شأن آزر مع الخليل ، كما حكى الله عنه إذ قال : {قَالَ أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ لِأَرْجُمَنَكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا} [مريم:46]

الاستئناف:

¹ ابن قيم الجوزية ، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة ، دار العاصمة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1408هـ ، ج 2 ص 461.

² الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، دار الكتاب العربي ، بيروت الطبعة: الثالثة ، 1407هـ ، ج 7 ص 101.

9-8 نوفي بزار، جمهورية صربيا

من عظمة هذا الدين أنه لا يجازف بجواهر بلاغه ، فحتى مع تباين وجهات المتحاورين ، وانسداد أفق التقارب ، وببروز لغة العدوانية ، يستأنف الخليل خطاب السلام ، فيقول : {قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا} [مريم: 47] ، لأن هذا الدين دعوته قائمة على السلام ، مبدأً وانتهاءً، ولئن جاء حظر الاستغفار ، وذاك حق الرب العلي {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنباء: 23] ، فلقد تقررت دعوة السلام، لتبقى خالدة ، حتى مع الخلاف.

الاعتراض:

إذا لم يبق بد من الانفصال ، ولم تسufff الحجج والبيانات في تحقيق التقارب المنشود ، فحينها لابد من قرار بفرض المواربة ، ليقى الحق حق ، وبالباطل باطلًا ، فلا تختلط الوسوم ، ولا تشتبه الرسوم ، ولذلك قال الخليل آخر المطاف {وَأَعْتَرِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا} [مريم: 48] يقول الماوردي (وأما الحادثات عن العوارض البشرية من أفعال العباد فهي التي يساس فسادها بالحزم حتى تتحسم وبالاجتهاد حتى تنتظم فليئس ينشأ الفساد إلا عن أسباب خارجة عن العدل والاقتصاد ولا تتحسم إلا بحسن أسبابها).

المبحث الثاني : حوار النبي صلى الله عليه وسلم وعتبة بن ربيعة : مناهج الاستدلال، ومسالك الفهم

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرطي ، قال : حدثت أن عتبة بن ربيعة - وكان سيدا - قال يوما وهو جالس في نادي قريش ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس في المسجد وحده: يا معاشر قريش ، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه شاء ويكف عننا ؟

وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يزيدون ويكررون . فقالوا : بل يا أبا الوليد قم إليه فكلمه ، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا ابن أخي ، إنك منا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبدت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لها بعضها .

قال : فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : قل يا أبا الوليد أسمع قال : يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا ، جمعنا لك من أموالنا ، حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تزيد به شرفا سودناك علينا ، حتى لا نقطع أمرا دونك ، وإن كنت تزيد به ملكا ملكتنا علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يستمع منه قال : أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم، قال : " فاسمع مني " قال : أفعل قال : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حم ﷺ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﷺ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﷺ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثُرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﷺ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَفُرُّ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ) [فُصِّلَتْ 1 -

¹ الماوردي، تسهيل النظر وتعجيز الظفر في أخلاق الملك، دار النهضة العربية، بيروت، ص 216.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

[5] ، ثم مضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيها يقرؤها عليه فلما سمعها منه عتبة أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها ، يسمع منه ، ثم انتهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى السجدة منها ، فسجد ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك. ققام عتبة إلى أصحابه فقال : بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟

قال : ورأي أني قد سمعت قوله والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة . يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتللوه فهو الله ليكون لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفitemوه بغيركم ، وإن يظهر على العرب ، فملكه ملككم وعزه عزكم وكتتمم أسعد الناس به. قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بسانه ، قال : هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم .¹

أولاً : مناهج الاستدلال :

- القرآن المرجع :

إن النبي عليه الصلاة والسلام يعلم أن لكلام الله تعالى سطوة على القلوب ، وأبو الوليد ضليع في البيان ، عروف بالفصاحة ، لا يغوت من كان في مثل مقامه أن يلتفت كرها لجزيل ما يسمع ، فلذا كان منطلق الحوار ، كلام تناهى في الجلال والجمال والكمال ، مع هيبة المحدث به وكمال صدقه صلى الله عليه وسلم ، فلم يملك عتبة إلا الاستسلام ب رغم غفله عن وعي ماسمع ، لكنه أدرك أن الأمر جلل ، وأن ما سمع أرفع وأجل من أن يكون زخرف قول ، أو سحر بيان ، بل هو الفصل ليس بالهزل ، فكانت هذه الانطلاقـة مهـداً لانتصار الحق ، لأنـها انبـتـتـ في مرـحلـتهاـ الأـسـاسـ علىـ مشـترـكـ ، لـابـدـ أـنـ يـخـضـعـ الـطـرـفـ الآـخـرـ لـمـقـضـيـاتـهـ وـإـنـ عـانـدـ.

- السنة المعصومة :

كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وحاله، صدق كله ، وقد شهد بذلك المشركون أنفسهم ، ولذا لم يكن كافياً صدق الكتاب المنزل ، وهو المصدر الأول للاحتكام ، بل لابد مع ذلك من صادق يحمله ، ولذا اقترب صدق المحمول مع صدق الحامل ، ليكون أدعى للقبول ، وأحوط في التبليغ ، وأسعد بالبيان . قال الله تعالى : {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [آل عمران: 33].

- العقل الصحيح :

وذلك أن العقل جعله الله تعالى على الرشد دليلاً ، وإلى الحقائق هادياً ، وللنفس قائداً ، فلذا أوكـلـ رسولـ اللهـ صلىـ اللهـ عليهـ وسلمـ عـتبـةـ إـلـىـ عـقـلـهـ ، وأـسـلـمـهـ إـلـىـ مـرـوعـتـهـ فـقـالـ :ـ "ـ فـأـنـتـ وـذـاكـ"ـ .ـ وـهـذـاـ أـصـلـ آـخـرـ تـرـدـهـيـ بـهـ الـمـحـاـوـرـاتـ الـنـبـوـيـةـ ،ـ وـهـوـ عـدـمـ التـحـجـيرـ بـعـدـ اـسـتـبـابـ الـبـيـانـ ،ـ وـاـكـتـمـالـ الـحـجـةـ .ـ وـرـيمـاـ كـانـ ذـلـكـ سـبـباـ لـاـسـتـجـلـابـ شـهـادـةـ الـخـصـومـ بـحـقـ مـارـأـواـ وـسـمـعواـ طـوـعاـ أوـ كـرـهـاـ .ـ

- ثانياً : مـسـالـكـ الـفـهـمـ :

¹ ينظر: الروض الأنف للسهيلي (46/2) ، والسيرة لابن إسحاق ص 92 ، وقد حسن الألباني في صحيح السيرة النبوية = ص 159 وذكره في فقه السيارة ص 106 ، وقال : حسن.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مهمته المركزية هي البيان؛ إلا أنه في هذا المشهد الحواري بينه وبين عتبة، نهج طريقة الاكتفاء، فكثافة النص المختار في سياق هذه المحاججة نذارةً، واف بتجليله المراد، محقق للغرض المقصود من داخله، بما يكتنزه سياقه الداخلي، وكذا ما ينطق به سياق الحال. ولذا لم يكن مستغرباً أن ينشد الرحم، ويطلب التوقف، لأن هذا البلاغ القرآني، أخذ بمجامع قلبه وعقله ولولا الحجب التي تمنع من اعتمال مقتضى الانبهار، لأسلم عتبة ومن معه، ولكن الطبيعة العنادية تحمل أصحابها على العنت، وتحول بينهم وبين الرضى والاستسلام.

الفصل الثالث : القيم الحوارية الاجتماعية : ملاحقة الواقع واستشراف المستقبل.

إنه لا مناص من الإقرار بالتردي السافر الذي أضحت تشهده ميادين كثيرة من مععمر الأدميين، ما جعل المجتمعات تعيش انفصاماً قيمياً تماماً على مستوى التقارب، وصناعة الالتقاء، وهو واقع أليم، بلغ فيه الصراع ذروته، فصارت الشعوب منسلحة من سيماء الأدب، تعلى أصواتها، واحتدت حروبها، ولم يعد للغة الحوار مكان، إلا على نطاقات محدودة غير بريئة في كثير منها.

المبحث الأول : حوار شعيب مع قومه: سيماء الصلاح والإفساد.

من المعلوم أن مهمة الأنبياء والمرسلين سياسة العباد بمنهج إصلاحي متكملاً بعقيدة وشريعة، ولا ينهض بمثل هذه المهمة إلا من امتدت له يد التوفيق الرباني، وحاطته العناية الإلهية الكاملة، وكلما طغا الفساد بأشكاله، وعم طوفان التطفييف بمختلف ألوانه، واتسعت ويلاته، قوي الإلحاد على تكشف جهود الإصلاح، وتحديث مناهج المصلحين، للحد من استطارة الفساد والمفسدين. ويشكل البعد العقدي أولى مداخل الإصلاح العميق، فإن فساد العمران من فساد الإنسان، كما قال سبحانه: {ظَاهِرُ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقُهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: 41]، ولهذا جاءت الشريعة بدرء المفاسد وجلب المصالح، لأن بالصلاح تستعمم الأرض بحق، ويقوم داعي الاستخلاف والتمكين، بلا نزع ولا استحواذ.

وهاهو شعيب يحاور قومه كاشفاً قضيته الأساسية، وهي توحيد الله وعبادته وحده، قائلاً لهم ما حكاه الله عنه {وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتُكُمْ بِيَنَّةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكِيلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [الأعراف: 85]. ولئن كانت دعوة المرسلين والمصلحين قائمة في الأساس على التوحيد، وتعبيد الناس لله، ولأجله بعثوا، ومن أجله أنزلت الكتب، وقام سوق الجنة والنار؛ بيد أن منظومة الإصلاح المأمور به، لاتفك حلقاتها، في كل مجالات الناس وأحوالهم، في العقائد والديانات والاقتصاد والسياسة والاجتماع وهلم جرا، ولهذا استأصل شعيب الفساد من جذرها، وحاربه في أصله، فإن خراب القلوب، وعدم الوفاء بميثاق الله، أصل كل نقض، ومنه تسري ألوان الفساد في كل المناحي، إذ لاعاصم من البهيمية التواقة إلى الغلبة والاستحواذ، إلا بتحديد وجهة التولي الصحيحة، ومتى غاب حق الله عقيدة وممارسة بين الناس، انتهت كل وسيلة غير مشروعة، فلم تتحقق المعاطب والمتألف، ومن تتبع ما حصل في أحوال الشعوب والأمم، من الأزمات الاقتصادية، والانتكاسات السياسية، والمعابر الاجتماعية، والاندحرات النفسية، أيقن أن أصلها هو انتكasa الفطرة عن تولي الوجهة الصحيحة، بخيانة الميثاق الأول، ميثاق العبودية، وصونها باعث على صون المسؤوليات التي تناط بالأفراد والمؤسسات في الولايات العامة والخاصة.

واستيعاب هذا المنطلق أساسياً في صياغة الحوار المطلوب ، وتحديد آلياته ، ولذا كان هو منطلق سيدنا شعيب في محاورة قومه؛ وبعد دعوته إياهم إلى إصلاح عقائدهم ، قرن ذلك بتصحيح أحوالهم لما لمح من تأهلهم لقبول الشرائع الفرعية التي بها نظام حياتهم . يقول ابن عاشور مبيناً القضايا الحوارية بين شعيب وقومه : (وحصل ما أمر به شعيب عليه السلام قوله، بعد الأمر بالتوحيد ينحصر في ثلاثة أصول هي حفظ حقوق المعاملة المالية، وحفظ نظام الأمة ومصالحها، وحفظ حقوق حرية الاستهداء)¹. وهذه الأصول ثلاثة هي الكفيلة بقوة الدول ، ووعليها ترسى دعائم الحضارات .

المبحث الثاني : قصة المجادلة: الأبعاد والدلائل.

أخرج قصتها الإمام أحمد في "مسنده" ، وأبو داود في "سننه" ، ونصّ أحمد:

(عن خولة بنت ثعلبة، قالت: والله في، وفي أوس بن صامت، أنزل الله - عَزَّ وَجَلَّ -، صدر سورة المجادلة، قالت: كنت عنده، وكان شيخاً كبيراً، قد ساء خلقه، وضَحِّرَ، قالت: فدخل عليّ يوماً، فراجعته بشيء، فغضب، فقال: أنت علىّ كظهر أمي، قالت: ثم خرج، فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل عليّ، فإذا هو يريدني على نفسي، قالت: فقلت: كلاً، والذي نفس خوبلة بيده، لا تخلص إلىّ، وقد قلت: ما قلت، حتى يحكم الله ورسوله فيما بحكمه، قالت: فواثبني، وامتنعت منه، فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف، فألقيته عنّي، قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي، فاستعرت منها ثيابها، ثم خرجت، حتى جئت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت منه، فجعلت أشكو إليه صلی الله عليه وسلم، ما ألقى من سوء خلقه، قالت: فجعل رسول الله صلی الله عليه وسلم ، يقول: يا خوبلة ابن عمك، شيخ كبير، فاتقى الله فيه، قالت: فوالله، ما بِرْحت، حتى نزل في القرآن، فغشى رسول الله صلی الله عليه وسلم ، ما كان يتغشى، ثم سُرِّي عنه، فقال لي": يا خوبلة، قد أنزل الله فيك، وفي صاحبك" ، ثم قرأ علىّ {قد سمع الله قولَ التي تُجادلُكَ في زوجها وَتَشْتَكِي إِلَيَّ اللهُ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [المجادلة:1] إلى قوله : {وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المجادلة:4] ، فقال لي رسول الله - صلی الله عليه وسلم : مُرِّيه، فليُعتقد رقبة، قالت: فقلت: والله يا رسول الله، ما عنده ما يُعتقد، قال": فليصم شهرين متتابعين" ، قالت: فقلت: والله يا رسول الله، إنه شيخ كبير، ما به من صيام، قال": فليطعم ستين مسكيناً وسقا من تمر" ، قالت: قلت: والله يا رسول الله، ما ذاك عنده، قالت: فقال رسول الله - صلی الله عليه وسلم ":- فإنما سنعينه بعرق من تمر" ، قالت: فقلت: وأنا يا رسول الله ساعينه بعرق آخر، قال": قد أصبت، وأحسنت، فاذبهي، فتصدقني عنه، ثم استوصي بابن عمك خيراً، قالت: فعلت)².

أولاً : بعد الحضاري

¹ ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس، د.ط، 1984 م، ج 8 ص 24.

² أخرجه الإمام أحمد 46/6 ، وابن ماجه رقم 188 - في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية - من طريق أبي معاوية، عن الأعمش، به. وأخرجه النسائي رقم 3460 - في الطلاق، باب الظهار - من حديث جرير عن الأعمش، به. وأخرجه ابن حجر في تغليق التعليق 339/5 بسنده إلى جرير بن عبد الحميد، عن الأعمش، به. ثم قال: هذا حديث صحيح، وتميم وثقة ابن معين وغيره. وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن النسائي رقم 3237، وصححه سنن ابن ماجه رقم 155.

لأشك أن الأمة تخوض معركتها الوجودية في مرحلة هي من أخطر المراحل بإطلاق ، إن لم تكن أخطرها لأسباب كثيرة ، لا يتأتى تفصيلها في هذه الورقة البحثية .

وفي هذه المحاورة الرائقة التي عرج صوتها إلى سدرة المتنهي ، دليل آخر على أن هذه الأمة عريقة بحضارتها في الحوارات المؤسسة على أصول نبيلة ، والتي يهُبُّ الخصوم اللائكون في كل نازلة إلى المزايدة علينا – عشر أهل الإسلام- في ذا الجانب وغيره ، في إحدى صور الفجور الممنهج ، لكن التاريخ لا يحابي أحدا ، والشهادة بتجذر هذه الأمة في ميدان الرقي، والكرامة الإنسانية ، تكفله قوانين الزمان والأحداث ، على مدى قرون مديدة .

وفيمما نحن بصدده تتهم الحضارة الإسلامية بمعاداتها ل (أمّة النهضة والتقدم) ، وكتبت مقالات مغرضة ، باسم (ردة في عالم المرأة)¹ ، واصطنع قوم الصراع بين الذكورة والأنوثة² ، وظهر مصطلح (تحرير المرأة) والذي يقصد به عند التحقيق : حرية التعهر ، وتحرير المرأة من الكراوة الإنسانية ، لتنعم في براثن اللحوم الرخيصة ، شأنها شأن البهائم ، فهي عندهم صورة فقط ، في حين أن الإسلام كانت عنایته بالنفس أي الكينونة والجوهر، ولذا فرض الستر على المرأة حتى لا تطغى سيماء الصورة على سيماء النفس التي هي السيماء الحقيقة والتي هي أساس التميز في الإسلام³ . وإحدى التجليات الحضارية لهذه الأمة ، تسمية سورة بوصف يختزل أسطرا من البيان والتحليل ، (المجادلة) ، ما يعني مركزية المرأة/ الأنثى في مجال التعبير، واتخاذ القرار ، ولذا جادلت هذه المرأة، وسمع الله صوتها ، وانتصر سبحانه لشكواها ، وبُث في التنزيل سورة تحوي محاورتها بتمامها ، وتلك كرامة أي كرامة!

إن قصة المجادلة تؤسس لمبدأ عظيم ، وهو حق المرأة في الحوار والاعتراض والمجادلة ، شأنها شأن الرجل ، إذ لا فرق بين الذكورة والأنوثة إلا فيما يلزم أن يكون فارقا ، وهذا عكس كل المؤتمرات التي أقيمت وتقام باسم المرأة ، وترعاها جهات ذات مقاصد براغماتية ، فإنها سلبت المرأة من كل سماتها ، فبقيت جسدا بلا كينونة ، ودمية يبعث بها باسم الفكر والمفكرين⁴ ، ولم يأذن لها بالحوار إلا وفق دائرة المصلحة للمؤتمرين، وذاك منزلق خطير في تاريخ الحضارة الإنسانية ، لأن مآل هذه المحطات التي تحكمها الشهوانية ، وتحبك تفاصيلها بوعاث البهيمية ، أن تستبدل جنسا خلقه الله مكرما بآخر لا انتماء له حتى في سلك الحيوانية ، والقضاء على المرأة / الإنسان ، قضاء على الإنسان .

ثانياً بعد السيميائي :

وأقصد به كونها (أنثى الإنسان) ، بتعبير فريد الأنصاري⁵ ، وكونها أنثى لها من خصوصية الستر ما ينبغي التقيد به ، والقيم الحوارية في القرآن تجري في فلك منظومي ، فللحوار أدبياته وأخلاقه ، وله أصوله وقوانينه ، وليس من الموضوعية

¹ فؤاد بنت عبد الكريم ، قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية دراسة نقدية في ضوء الإسلام ، ص 35.

² كما فعلت نوال السعداوي في كتابها (الأنثى هي الأصل) .

³ فريد الأنصاري ، سيماء المرأة في الإسلام بين النفس والصورة ، ط 1 ، طوب بريس، منشورات ألوان مغربية، ص 20.

⁴ ينظر: وثيقة المؤتمر العالمي للمرأة / كوبتهاجن 1980 و المؤتمر العالمي للمرأة/ نيروبي 1985 ووثيقة المؤتمر العالمي الرابع المعنى بالمرأة / بكين 1995

⁵ فريد الأنصاري ، المصدر السابق ، ص 21.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

في شئ ان تنهار جدارات الحياة ، لنقيم حوارا ، لا سيما مع المرأة / الأنثى ، لتفريدها بسمات ، ولأن داعي صون الكرامة ، ملح في استدعاء أسبابها ، ودرء كل القواطع ، والموانع ، التي تجعل الحوار يجري في مجرى آخر ، يهدى فيه حق المرأة ، ويعبث فيه بخصوصياتها . ولذا جنحت هذه المرأة المتميزة في حوارها ، إلى ثوب ساتر "ثم خرجت إلى بعض جاراتي ، فاستعرت منها ثيابها ، ثم خرجت" ، ليكون جو استرجاع الكرامة من خلال المحاورة ملائما ، ولم يكن الظلم والتعدى ذريعة للتكتشف ، ولا كان مسوغا لحوار خلو من ظروفه ، وملابساته .

البعد الإنساني :

لما كانت المرأة/المجادلة ذات حق ، وكان وجودها يعني أسرة متوازنة ، وغيابها يعني غياب مفهوم (الأسرة) ، عمد الرسول الكريم ، إلى مخاطبة خولة بنت ثعلبة ، في جانبها الإنساني ، مع مراعاة جانبها الحقوقى ، وذلك ما تقتضيه الحكمة ، فإن سبق المعروف موجب للتقارب ، وإن حصل الخلاف كما قال سبحانه {وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بِيَنْكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [آل عمران: 237] ، يقول لها عليه الصلاة والسلام : (يا خويلة ابن عمك، شيخ كبير، فاتقي الله فيه)؛ وتقريب المسافة ، أولى من تعميق الخلاف ، والسعى في نبذ الخصومات ، وإحياء أسباب الوداد ، سمة العقلاء ، وذلك أن ما يحصل من الآفات بسبب تنافر الأحوال والأفكار ، عظيم مأله ، وخراب الجماعات ، مبدؤه تنافر الأفراد ، وخراب الدول مبدؤه خراب المؤسسات ، ومؤسسة الأسرة ، تشكل موقعا مركزيا ضمن المؤسسات الأخرى على أهميتها ، فإنه متى خربت الأسرة ، خربت الإنسانية برمتها ، ومفهوم الدولة قائم على سياسة الإنسان ، فإذا غاب (الإنسان) ، غابت (الدولة) ، فلم يعد مجتمع ولا سياسة .

الفصل الرابع : القيم الحوارية الإنسانية : آفاق المشروع القيمي الكوني.

نجاح هذا المشروع ضامن أن تحيا الإنسانية بسلام عادل وشامل ، لكن غياب مفهوم (العدل) ، في واقع الإنسانية المعاصر ، جعل آفاق هذا المشروع مظلمة لدى البعض ، وهذا ما تؤشر عليه كثير من الكتابات الشرقية والغربية ، وبعضها لا يسلم من خلفيات وبواعث يحق التساؤل حول طبيعتها ، ومن أشهر هذه الكتابات "صدام الحضارات" ، وإعادة تشكيل النظام "عام 1996" ، والذي ترجم إلى 39 لغة عالمية¹.

المبحث الأول : حديث السفينة : قانون التعايش.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهم، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينه، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استنقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا حرقنا في نصبينا حرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركونهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أحذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعاً"²

¹ لصامويل هنتنغيتون ، والذي اتهم بسبب هذا الكتاب بتكريس الهيمنة الغربية والدفاع عن مصالح الحضارة الغربية .

² رواه البخاري في صحيحه ، كتاب: الشركة ، باب: هل يقع في القسمة... ، رقم الحديث (2493) (139/3) ، رواه أحمد في مسنده ، مسنده الكوفيين ، مسنند النعمان بن بشير ، رقم الحديث (18361) (310/30) ، رواه الترمذى في سننه ، كتاب: الفتن رقم الحديث (2173) (40/4) ، رواه البزار في مسنده ، مسنند النعمان بن بشير ، رقم الحديث (3251) (211/8) .

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

هذا التصوير غاية في الإبداع ، ومحال أن تفي صورة أخرى بنحو هذه البراعة تمثيلا ووصفا، ذلك أن هذه السفينة أشبه ما تكون بمنصة الإئتمار حول القضايا المصيرية ، التي لامحيد فيها عن صياغة إعلان مشترك يضم قانونا للتعايش ، لا مجال فيه للمواربات ، ولا للحسابات الضيقية ، يصادق عليه المؤتمرون جميعهم ، ويلتزمون بمقتضياته ، حتى يعيش الكل بسلام ، في إطار مشترك كوني، يراعي الخصوصيات، ويتناجم مع القيم الوجودية، التي قامت عليها السمات والأرض، من العدل والقسط والإحسان، وهذا الحوار كاشف لموقع الحزم حين يتهدد الخطر المجتمع الأرضي بأسره، أو جماعة منه .

القانون الأول : المصلحة الجامعة

القانون الثاني: تدبير الواقع باختلاف المواقع

القانون الثالث: الحرية المسؤولة

القانون الرابع: العدل

القانون الخامس: التناصح لا التناطح

القانون السادس: الحزم سياسة النجاة

القانون السابع : التلطف لا التعسف

المبحث الثاني : مؤتمرات التعايش : الواقع والامتدادات.

قد يكون من المتعرسر تتبع تاريخ مؤتمرات التعايش ، وتتبع مجرياتها ، وتحليل توصياتها ، لكنني سأحاول الاقتصر على آخراثنين منها، إلى حين كتابة هذا البحث :

أما الأول فهو "مؤتمر مراكش لحماية حقوق الأقليات الدينية في الديار الإسلامية" ، والذي رعته دولة الإمارات العربية المتحدة، بالشراكة مع المملكة المغربية في يناير 2016، وقد عبر العلامة بن بيه في ورقة تأطيرية عن وجود أزمة حقيقة ، وقال : (الحضارات تمرض وأطباؤها العلماء ، نجتمع هذا اليوم لنناقش هذه الأزمة ، لشخص المرض ، ولبحث الحلول ، ونقدم مقاريات لمواجهة عناوين الأزمة الكثيرة المتنوعة، فمنها التكفير ، والمظالم المتبادلة ، والطائفية ، والثارات المزعومة ، والدليل المحتزا ، والدعوى ضد مجھول ، والتأويل المفضي إلى الاقتتال العبي حتى لو أليس لباس التقى)¹ ، وجعل من وسائل هذا التطبيـب ؛ "سلوك المنهجية الأصولية ... وتموقع النصوص في بيـتها الأصلـية.."². وحول إعلان مراكش 2016، أكد ابن بيه أنه وثيقة إسلامية أصلية، تستمد فحواها ومضمونها من صحيفة المدينة المنورة التي عقدها الرسول الكريم مع اليهود في المدينة .

- وأما الثاني فهو "مؤتمر واشنطن للتحالف بين الأديان" ، والذي انعقد في 5 فبراير 2019³ ، بمشاركة رجال دين أميركيـن، وعدد كبير من العلماء والأكـاديمـيين والباحثـين في الولايات المتحدة والعالم الإسلامي ، وسط

¹ الموقع الرسمي لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

² السابق.

³ كان انعقاده متزامنا مع كتابة هذه الورقة .

دعوات لنشر السلام والتسامح وتعزيز قيم التعايش المشترك، و يستلهم «مؤتمر واشنطن» الدولي أفكار «إعلان مراكش التاريخي» لحماية حقوق الأقليات الدينية في الديار الإسلامية.

هذا جانب من واقع مؤتمرات التعايش ، ويبقى السؤال الجوهرى : هل حققت هذه المؤتمرات الحوارية أهدافها؟ وهل كسبت رهان التقارب والتعايش المنشودين؟ وهل استطاعت أن تحتوي طرفا من النزاعات الإقليمية والدولية ؟ وهل توصياتها تمتلك مقومات موضوعية لأن تجد لها سبيلا لتحقيقها فعليا؟

التفاؤل بأجوبة إيجابية قد لا تسuffe الحالة الوجودية العامة، لاعتبارات متعددة، وفي رأيي أن الحضارات تخوض اليوم معركة الوعي بأهمية السلم للجميع، وأن الإنسانية تخسر جوهر سمتها الفارقة، إذا هي استمرت في الاستقواء المريع، ومن هنا أضحتى من اللازم أن تعلو أصوات الحكمة المتجردة من كل الدوائر البراغماتية المختلفة.

ولاشك أن إقامة مثل هذه المؤتمرات مطلب مشروع يتسع مع الشريعة في جانبها المقاصدي ، ويتافق مع رسالة القرآن ، في وجوب الإحسان إلى الأغيار ، على اختلاف منابتهم ، وتبادر أجنبائهم ، في ظل مقتضيات عادلة ، وواقع تتساوى فيه أطراف التحاور ، ويعلو فيه صوت العقل والحكمة ، وتساس فيه القضايا بعدلة وقسطاس، والحق أن حضارة أهل الإسلام لاتؤمن بصراع الحضارات الذي دعا له بعض من يحسب على المعسكر الغربي ، بل تدعو إلى تلاقيها في إطار يتفق مع قواعد التعايش التي ذكرنا . وإن من الفخر أن يكون لنا شاهد شامخ على سبق الإسلام إلى بناء ما يتوقع المؤتمرون إلى التواصي به ، في مختتم مؤتمراتهم ، فضلا على أن يرونه عيانا . وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم طافحة بأشكال البر والإحسان إلى الآخر ، وواقع المدينة النبوية زمن رسول الله والقرون بعده ناطقة بمعايير التميز في استيعاب الحضارة الإسلامية لكل الأجناس والأفراد والجماعات .

ولا جرم كان هذا الدين عظيما ، ومحل كرامة الإنسان فيه ذات اعتبار وأي اعتبار ، أن يأمر بالقسط والبر مع الآخر ، يقول القرافي رحمة الله " وأما ما أمر به من برهن ومن غير مودة باطنية فالرفق بضعيفهم وسد خلة فقيرهم وإطعام جائعهم وإكساء عاريهم ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة واحتمال أذيهم في الجوار مع القدرة على إزالته لطفاً منا لهم لا خوفاً وتعظيمها والدعاء لهم بالهدایة وأن يجعلوا من أهل السعادة ونصيحتهم في جميع أمورهم في دينهم ودنياهم وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيهم وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم وأن يعانون على دفع الظلم عنهم وإيصالهم لجميع حقوقهم وكل خير يحسن من الأعلى مع الأسفل أن يفعله ومن العدو أن يفعله مع عدوه فإن ذلك من مكارم الأخلاق فجميع ما نفعله معهم ينبغي أن يكون من هذا القبيل لا على وجه العزة والجلالة منا ولا على وجه التعظيم لهم وتحقير أنفسنا بذلك الصنيع لهم وينبغي لنا أن نستحضر في قلوبنا ما جبلوا عليه من بغضنا وتكذيبهم نبينا صلى الله عليه وسلم¹.

خاتمة :

إننا نخلص من خلال هذه المحاورة المصيرية على ظهر (السفينة/ منصة الإئتمار)، أن التعايش له قوانين تحكمه، والتحاور له قواعد تضبطه ، وإلا كان جوراً منظما ، واستحواذاً منهجا ، يسعى إلى تقييم الآخر، وجعله حملًا وديعا،

¹ القرافي، أنوار البروق في أنواع الفروق، عالم الكتب، د.ط، د.ت، ج 3، ص 16.

ليجد الفوضويون ، المناخ الملائم لممارسة كل ألوان الاستعباد ، وأشكال الاستقواء المشين ، وفي أحابين كثيرة باسم التقارب ، وباسم الحوار ، وباسم أحقيـة الـوصـاـية .

إن الحضارة الإسلامية أوعبت في بناء حوار راشد ، تصديقاً وتمثيلاً ، ولابد من إعادة النظر من أهل الإنصاف من سائر الملل والتحلّ ، في سماحة هذه الملة ، ونبذ عقلاّتها وعلمائها ، ديناً وديننا لكل أشكال العنف ، والتمرد ، وتدعوه في المقابل إلى تأسيس حوار يخلص إلى تأمين الإنسان ، وسلامة العمران .

الوصيات :

- النهوض بمشروع الحوار فرض متحتم ، وواجب يمليه صدق الانتماء لهذا الدين العظيم .
 - القرآن الكريم مصدر أثيل في بيان وسائل التحاور ، وآليات التقارب ، وقواعد التعايش .
 - السنة النبوية نصوص حية شاهدة على حسن التجاورة وقوانينه ، واعتمال الأصول على منصة التحاور وهي مصدر أساس لاستلهام المنهج الفريد الكفيل ببعث الأمة من لهيب الصراع الحضاري ، وجحيم الخطاب العدائي .
 - مؤتمرات الحوار ينبغي أن تستوعب كل الأصوات ، لتكميل الصياغة ، وتحقيق الأهداف .
 - رسالة القرآن الأولى بناء الإنسان ، قبل تشييد العمran ، وإحدى أدوات البناء ؛ تأسيس جسر حواري يخاطب العقل ويستوعب العاطفة .
 - إمكانات السلم متاحة في الأفق ، إذا طمست معالم الأنانية ، وتحررت المقاصد من الدوائر المصلحية الضيقة .

وصلَى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ سَيِّدُنَا مُحَمَّدَ وَعَلَيْهِ آللَّهُ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

فهرس المصادر والمراجع:

- ابن الجوزي. (1404هـ- 1984م). نزهة الأعين التواظر في علم الوجوه والنظائر. لبنان / بيروت: مؤسسة الرسالة.

- ابن قيم الجوزية. (1408هـ). ، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، الرياض، المملكة العربية السعودية : دار العاصمة.

الطبعة الأولى.

- أبو حيان. (، 1420هـ). البحر المحيط في التفسير . بيروت: دار الفكر.

- الجاحظ. (1964م، ،). الرسائل. القاهرة: مكتبة الخانجي.

- الجصاص،. (، 1415هـ/1994م). أحكام القرآن . بيروت — لبنان: دار الكتب العلمية.

- الجوهرى. (1407هـ- 1987م). الصاحح في اللغة: مادة (قوم) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور. بيروت،: دار العلم للملائين.

- الزحيلي. (1418هـ). التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. دمشق: دار الفكر المعاصر.

- الرمخشري. (1407هـ). ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الله، الطبعة: الثالثة. بيروت: دار الكتاب العربي.

- السهيلي. الروض الأنف .

- الصاحب بن عباد. (، 1414هـ- 1994م،). المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين،

- الطاهر بن عاشور. (1984). تحرير المعنـىـ السديـدـ وـتـبـرـيـعـ العـقـاـدـ الحـدـيدـ مـ: تـفـسـيـسـ الـكـتـابـ الـمـحـدـدـ . تـهـنـسـ: الدـاـرـ الـتـنـسـيـةـ

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

- القرافي. ،أنوار البروق في أنواع الفروق، . عالم الكتب.
- الماوردي. تسهيل النظر وتعجيز الظفر في أخلاق الملك، ، . بيروت: دار النهضة العربية.
- خالد بن محمد المغامسي. (1425هـ). الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية . الرياض: مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.
- طه عبد الرحمن. (2000م). في أصول الحوار وتتجدد علم الكلام . الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- عبد الحالق عصيمة. ،دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ، . القاهرة: دار الحديث.
- فريد الأنصارى. سيماء المرأة في الإسلام بين النفس والصورة ، ط1 ، طوب بريس، . المغرب: منشورات ألوان مغربية.
- فؤاد بت عبد الكريم. قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية دراسة نقدية في ضوء الإسلام. مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط، ج1، ص212. القاهرة.

الدعوة بالحوار بين مبدأ العرض والتخيير في مقام الدعوة وإشكالية الإلزام في مقام الإنكار

(دراسة تأصيلية مقارنة في المصطلح الدعوي القرآني)

د. ناصر بن خليفة اللوغاني

الأستاذ المساعد بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت

ملخص بحث:

تناول البحث حل إشكالية التعارض الفكري (الظاهري) بين حق الحرية الفطري، الذي أولاه الإسلام اهتماما بالغا وتأصيلا محكما، وبين ما يتضمنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خاصية التسلط والإلزام على أفراد المجتمع.

من خلال تأسيس نظرية الفرق بين مقام الدعوة والإنكار، وبيان المسوغ الأخلاقي والتشريعي للإلزام، ومحل الحوار من ذاك كله.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وآلهم وصحبهم أجمعين.

أما بعد:

فلا يخفى على أحد العلاقة الوثيقة للحوار بين كل من مصطلح الدعوة ومصطلح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهل هما شيء واحد، أو لكل منهما مقامه وماهيته وساحتته.

وكيف تجمع الشريعة بين المطالبة بالحوار وبالإنكار في وقت واحد، علما بأن الإنكار متسم بشيء من الإلزام فيما يبدو؟.

كما لا يخفى على المستغل بعلم من العلوم، المعالج لشيء من مضايقه، ما لوضع مصطلحاته وبيان حدودها من أهمية بالغة، فسلامة للمصطلحات شرط لسلامة المفاهيم والأفكار، وصحة النتائج، فالمدارك المختلفة والنتائج المتباعدة لا يمكن أن ترجع إلى غير ضابط، أو تُسند -عند مضاييق الترجيح- إلى مُتردّد محتمل غير محدد.

وقد لمس الباحث في مصطلحات علم الدعوة قصورا من حيث تمييز المفاهيم عن بعضها على نحو دقيق، كالدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحوار، والمجادلة، والإصلاح، والموعظة، وغيرها، مع كونها مستعملة في القرآن على ضروب مختلفة، مما يستدعي دراسة طبيعة علاقة بعضها بعض، واستخلاص الفروق

بينها، لاستعمالها في علم الدعوة في ضوء الاستعمال القرآني، وللمساهمة في تأسيس فرع جديد من فروع علم الدعوة، وهو (**علم الفروق الدعوية**)، وهذا مما يعين على فهم مقصود الحوار في الإسلام وتصحيح محل وكيفية استعماله من قبل المكلفين.

ولذا سيتناول هذا البحث الحوار من خلال دراسته ضمن أقرب مصطلحين أو قيمتين شرعيتين مرتبتين بالحوار، وهما: الدعوة، والإنكار، وذلك في حدود دراسة موضوعاتهما وخواصهما⁽¹⁾.

منهج البحث:

1. سيسلك في هذه الدراسة المنهجين: الاستقرائي المقارن، بغرض التأصيل لعلم الدعوة، إذ المقارنة السليمة تتوقف على الاستقراء السليم.

2. فأما بخصوص الاستقراء، فأعني به استقراء مصطلحي (الدعوه) و(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) في الآيات القرآنية على اختلاف تصاريفهما، استنادا إلى (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم)، لمحمد فؤاد عبدالباقي، رحمه الله تعالى، قد تم تفصيله، بحمد الله تعالى، في دراسة سابقة للباحث بعنوان: (الفروق بين مصطلحي: الدعوه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من حيشه الشريحة المستهدفة – دراسة مقارنة في المصطلح الدعوي القرآني)⁽²⁾، ولذا سيعرض الباحث في هذه الدراسة (في التمهيد) خلاصة نتائجه للبناء عليه.

3. ثم سيقوم بتحليل آيات مصطلح (الدعوه) من حيث موضوعاته، وآيات مصطلح (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) من حيث موضوعاته كذلك.

4. ومن ثم ستم المقارنة بين المصطلحين بحسب ما نتج عن التحليل السابق من ملحوظات وقضايا جزئية، لاستخلاص أحکام كلية يمكن أن توقفنا على أهم الفروق بين المصطلحين من حيث الخصائص والماهية.

الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث إلى لحظة كتابة هذه السطور على دراسة توجه لبيان الفروق بين المصطلحين: (الدعوه) و(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، وقد فُصل الكلام على ذلك في (الدراسات السابقة) وفي المبحث الأول (فرضية البحث وموقف التعريفات العلمية منها) من البحث المعون: (الفروق بين مصطلحي: الدعوه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من حيشه الشريحة المستهدفة – دراسة مقارنة في المصطلح الدعوي القرآني)⁽³⁾.

⁽¹⁾ سبق للباحث أن قام بدراسة هذين المصطلحين من حيشه الشريحة المستهدفة فقط، في بحث مستقل بعنوان: (الفروق بين مصطلحي: الدعوه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من حيشه الشريحة المستهدفة – دراسة مقارنة في المصطلح الدعوي القرآني)، منشور في مجلة العلوم الشرعية – جامعة القصيم، المجلد (12)، العدد (3)، (ربيع الآخر، 1440هـ - يناير 2019م).

⁽²⁾ نشر في مجلة العلوم الشرعية – جامعة القصيم، المجلد (12)، العدد (3)، (ربيع الآخر، 1440هـ، يناير 2019م).

⁽³⁾ ينظر تفصيله في المبحث الثاني من البحث المشار إليه في الحاشية السابقة.

فلا معنى لتكراره.

خطة البحث:

فُسّم هذا البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في دراسة مصطلح الدعوة من آياته القرآنية.

المبحث الثاني: في دراسة مصطلح (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) من آياته القرآنية.

المبحث الثالث: في تحليل نتائج المبحثين السابقين، واستخلاص أهم الفروق بين المقامين.

ثم الخاتمة لعرض أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد:

تبني هذه الدراسة في بعض جوانبها على نتائج مستفاده من الدراسة السابقة الموسومة بـ(الفروق بين مصطلحي الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من حيثية الشريحة المستهدفة – دراسة مقارنة في المصطلح الدعوي القرآني).

ولذا فيتعين إيراد ما يُحتاج إليه من نتائج وخلاصات تلك الدراسة هنا في هذا التمهيد، والتي تمثل في المطلبين التاليين:

المطلب الأول: التحليل الإحصائي لآيات المصطلحين:

في هذا المطلب نورد نتائج التحليل الإحصائي المنجز سلفا في الدراسة السابقة المشار إليها، وخلاصته:

١- وردت مادة (د ع و) في القرآن في (٢٠٣) آيات^(١)، على تصارييف مختلفة ومعان متعددة يمكن إجمالها في خمسة معان: النداء، كقوله تعالى: {والرسول يدعوكم في أخراكم} [آل عمران: ١٥٣]، والتسمية أو النسب، كقوله تعالى: {ادعوهם لآبائهم} [الأحزاب: ٥]، والقول والادعاء، كقوله تعالى: {ولكم فيها ما تدعون} [فصلت: ٣١]، وسؤال المخاطب مرغوباً يرجع نفعه للسائل نفسه استعانةً وعبادة له، كقوله تعالى: {وادعوه خوفاً وطمعاً} [الأعراف: ٥٦]، والخامس: بمعنى استمالة المخاطب إلى شيءٍ وحثه على قصده، كقوله تعالى: {قل هذه سبلي أدعو إلى الله على بصيرة} [يوسف: ١٠٨]^(٢).

^(١) وذلك بحسب تعداد الباحث له من خلال المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبدالباقي، وكذا سائر أعداد الآيات الآتية في البحث، ثم هذا العدد بالنظر لعدد الآيات التي وردت فيها مادة (د ع و)، بغض النظر عن تكرر المادة في الآية الواحدة.

^(٢) ينظر: تفسير الطبرى (١٧: ٣٨٩) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى، دار هجر، الأولى، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، وتفسير البغوى (٤: ١٦٥)، (٥: ٢٣٥) (٧: ١٧٣) تحقيق: مجموعة من العلماء، دار طيبة، الرابعة (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، ومفردات الراغب الأصفهانى: مادة (د ع و) تحقيق: صفوان عدنان داودى، دار القلم، دمشق، الثانية، (١٤١٨هـ)، والدر المصنون للسميم الحلبى (٤: ٦٢٨) (٨: ٥٦١) (٦: ٥٣٤)

٢- ومقصود هذه الدراسة هو المعنى الخامس، الذي يمكن حمله على معنى تبليغ الدين للناس واستعمالهم إلى طريق الهدایة.

٣- وقد تبين بعد الاستقراء أن الآيات التي جاءت على هذا المعنى هي (٤٣) آية.

٤- وأما مصطلح (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، فحاصل العدد الناتج عن الاستقراء (١٧) آية، تسع منها تضمنت المصطلح بجزئيه، كقوله تعالى: {الساجدون الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر} [التوبه: ١١٢]، وأربع اقتصر فيها على الجزء الأول: (الأمر بالمعروف)، كقوله تعالى: {خذ العفو وأمر بالعرف} [الأعراف: ١٩٩]، وأربع اقتصر فيها على الجزء الثاني: (النهي عن المنكر)، كقوله تعالى: {وينهى عن الفحشاء والمنكر} [النحل: ٩٠].

المطلب الثاني: عرض خلاصة نتائج دراسة تعريفات الدعوة و موقفها من التفريق بين المقامين:

سبق في الدراسة السابقة المشار إليها كلاماً مفصلاً حول تعريفات الدعوة و موقفها من التفارق بين مقام (الدعوة)، و مقام (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، و محض ذلك، وبعد تأمل هذه التعريفات، - وهي أكثر من عشرين تعريفاً - تبين أنها تعرف في الجملة بنوع تمايز بين مفهومي المصطلحين، ثم يقف الأمر بك عند هذا الحد، و يبقى ما بعده غائماً من حيث تحديد طبيعة هذه العلاقة، فهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صورة من صور الدعوة، أو نظام من أنظمتها، أو سمة من سمات بعض مراحلها، أو وسيلة من وسائلها أو ...الخ؟، آراء مختلفة^(١)، فضلاً عن أن تعالج العلاقة بين المصطلحين على وجه التحديد، هل بينهما عموم وخصوص مطلق، أو وجهي، وما هي الفروق بين المصطلحين، مما يشعر - بقوه - إلى أن المسألة لم تكن ملحوظة عند أصحاب هذه

تحقيق: الدكتور أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، الأولى (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، وإصلاح الوجوه والنظائر للدامغاني (ص ١٧٣)، (ص ١٧٤) تحقيق: عبدالعزيز سيد الأهل، دار العلم للملاتين، بيروت، الثالثة (١٩٨٠م)، وتفسير ابن كثير (٧: ١٧٧) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الثانية، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، وتفسير الحازن (٣: ١٩٠) (٤: ٢٤٨) (٦: ١١١) دار الفكر، بيروت، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (٢: ٦٠٠) تحقيق: الأستاذ محمد النجار، لجنة الأعلى للتراث الإسلامي، القاهرة، الثالثة، (١٤١٦هـ)، والتحرير والتلذيع للطاهر بن عاشور (٢٤: ١٥٣) الدار التونسية، تونس، (١٩٨٤م).

(١) ينظر على سبيل المثال: ١- مناهج الدعوة وأساليبها، للدكتور علي جريشة، (ص ١٠٩) دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، الأولى، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م)، والذي قسم الدعوة إلى ثلاث مراحل: النشر والتبلیغ، ثم البناء والتکوین، ثم المواجهة والتکمین، ثم عد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سمة من سمات المرحلة الثالثة، ٢- أصول الدعوة للدكتور عبد الكريم زيدان، (ص ١٧٣) مؤسسة الرسالة، بيروت، الرابعة، (١٤١١هـ - ١٩٩٠م)، والذي أورد الحسبة كنظام من أنظمة الإسلام: الاجتماعي، والحكم، والاقتصادي ...الخ، ٣- الدعوة إلى الله في العصر العباسي الأول مشكلاتها وأساليب مواجهتها، للدكتور علي بن أحمد مشاعل، (ص ١٩، ٢٢٨، و ٢٣٣) دار العصمة، الرياض، الأولى (١٤١٤هـ)، والذي أورد تغيير المنكر وإزالته كمظهر من مظاهر نصح العامة ومواعظ الدعوة في ذلك العصر، ٤- الدعوة إلى الله، الرسالة - الوسيلة - الهدف، للدكتور: توفيق يوسف الوعي، (ص ٣١٦) دار اليقين، مصر، الثانية، (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م)، والذي ذهب إلى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما هو إلا "وسيلة عظيمة من وسائل الدعوة"، ٥- الدعوة إلى الله في ميادينها الثلاثة، لمحمد بن حامد الغامدي (ص ١٣٥، و ١٥٤) دار الطرفين، الطائف، الأولى، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، والذي أورد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أنه صورة من صور البلاغ المبين، يقابلها صور أخرى كالعرض والبيان، وكالتصدي بالحق، ينظر على وجه التحديد.

التعريفات أو أكثرهم على أحسن الأحوال.

نعم، تبين أن ثمة تعريفا واحدا من بين التعريفات الكثيرة للدعوة الذي صرخ صاحبه بالفرق بين المقامين، وهو تعريف عبدالرحمن حبنكة، وحدد وجه الفرق في أن وظيفة الدعوة إنما تكون لغير المسلمين، ويُلحق بهم من أسلم وبعده عن الدين حتى أصبح بمثابة غير المسلم، وكذا "للمسلمين الذين يُنذبون ندباً تطوعياً للارتقاء في درجات الأبرار"، وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو وظيفة توجّه "للمسلمين العالمين بالفرض والواجبات الإسلامية"⁽¹⁾، مقتضاها على ذلك.

المبحث الأول: في جرد موضوعات مصطلح (الدعوة) من آياته

عند تتبع آيات مصطلح الدعوة لاستشفاف متعلقه، يظهر لنا أن المصطلح قد تعلق بعدة موضوعات ذات ألفاظ مختلفة، وستتناولها في مطلبين:

المطلب الأول: الموضوعات التي دلت عليها سياقات الآيات على نحو واضح محدد:

وهي ثلاثة عشر موضوعاً، يبدو أن بين بعضها تداخلاً وبين بعضها الآخر تلازم، ومع هذا التقارب والتلازم، إلا أنه قد يكون لاختلاف التعبيرات القرآنية أبعاداً دعوية، وحكمها وإشارات منهجية، تتطلب من المؤمن التدبر فيها، ليست لهم منها هدایاتٍ هذا الكتاب العظيم، في مناهج دعوته وميدان إنكاره.

الأول: الدعوة إلى ذات الله تبارك وتعالى: وقد تكرر هذا الموضوع في تسعة مواضع، كقوله تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُу إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ} [يوسف/108]، وقوله تعالى: {فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ} [الحج: 67].

أي ما يتضمن البرهنة على وجود الله تبارك وتعالى، وإقامة أدلة وحدانيته، وبيان وجوب إفراده بالعبادة، وتنزيهه عن النقص، وإثبات الكمالات له سبحانه، كما تشمل التعريف بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، وتحبيب الخلق به سبحانه، ونحو ذلك.

وهذا ما يدل عليه اللفظ بالتضمن، والله أعلم، وأما بالالتزام فالدعوة إلى الله تعالى أعم من ذلك، بل تشمل الدعوة إلى الشهادتين، والإسلام والإيمان، بأركانهما، والإحسان، على نحو مجمل⁽²⁾.

الموضوع الثاني: الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده ونبذ الشرك والكفر: وهو أخص من سابقه، وفي هذا

⁽¹⁾ فقه الدعوة إلى الله، وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، (1: 16)، (1: 63)، (1: 1)، (20)، (2: 225). دار القلم، دمشق، الأولى، (1417هـ-1996م).

⁽²⁾ ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (15: 157) تحقيق: أنور الباز وعمر الجزار، دار الوفاء، الثالثة، (1426هـ - 2005م)، والتحرير والتتوير لابن عاشور، (13: 66) تفسير سورة يوسف آية (108).

9-8 نوفي بزار، جمهورية صربيا

التخصيص زيادة بالاهتمام به، وقد تكرر في أربعة مواضع، كقوله تعالى: {تَدْعُونَنِي لِأَكُفَّرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لَيْ بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَذْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْعَقَارِ} [غافر: 42].

الموضوع الثالث: الإيمان: وقد ورد في موضع واحد، وهو قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادِونَ لَمْعِنُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَفْتِحُكُمْ أَنْفُسُكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكُفُّرُونَ} [غافر: 10].

ويلاحظ أن هذا الموضوع جاء غير مقيد، فيشمل أركان الإيمان الستة، وعليه فتكون دلالته اللفظية أعم من سابقيه، بالنظر إلى مطابقة اللفظ، لا بمجرد اللزوم.

الموضوع الرابع: الدخول في الدين أو الإسلام، وإقامته بشرائعه الكبرى وكلياته، ومنه الاجتماع والألفة ونبذ الانفصال فيه: ورد ذلك في موضعين، أحدهما قوله تعالى: {كَبَرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ} [الشورى/13] ثم قال تعالى بعدها آية: {فَلِذَلِكَ فَادْعُ} [الشورى: 15]، فال المشار إليه قد يُ بين في أول الآية الأولى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} كَبَرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ} [الشورى 13].

الموضوع الخامس: المنهج والصراط المستقيم: ورد في موضعين، قال تعالى: {وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ} [المؤمنون: 73]، وهو هنا بمعنى المنهج، والله أعلم⁽¹⁾.

الموضوع السادس: الخير: ورد في موضع واحد: {وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ} [آل عمران/104]، وهو من أجمع التعبيرات الكلية، وهو ما يرغب فيه الكل، كالعقل، والعدل، والفضل، والبر، والشيء النافع⁽²⁾.

الموضوع السابع: الهدى: وورد في موضعين: قال تعالى: {وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذَا أَبَدًا} [الكهف/57].

ومن اللطائف التي أشار إليها الراغب في مفرداته: أن (الهداية) و(الهداية) في موضوع اللغة شيء واحد، لكن في الاستعمال القرآني قد خص الله عز وجل (الهداية) بما تولاه هو سبحانه و أعطاها، نحو: {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} [البقرة: 2]، وأما (الهداية والاهتداء) فخصوص بما يتحرّك الإنسان على طريق الاختيار ويطلبها، إما في الأمور الدنيوية، أو الأخروية، كقوله: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا}، {فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدُوا} [آل عمران 20]⁽³⁾، وعليه، فالموضوع الدعوي وارد على المعنى الأول فقط، والله أعلم.

⁽¹⁾ ينظر: مفردات القرآن للراغب مادة (سل)، ومادة (صرط).

⁽²⁾ ينظر مادة (خير) من: الصاحح، للجوهري، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الرابعة، (1407هـ - 1987م)، ومفردات الراغب، وبصائر ذوي التمييز، والتوضيق على مهام التعريف للمناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الديبة، دار الفكر، بيروت، الأولى، (1410هـ)، وتاح العروس، للزييدي، تحقيق: د. عبد الستار فراج وآخرين، وزارة الإعلام بدولة الكويت، الكويت، الثانية (1986م)، وكشاف اصطلاحات الفنون، مادة (خير) تحقيق: رفيق العجم وعلى درحوج، مكتبة لبنان، بيروت، الأولى، (1996م).

⁽³⁾ ينظر: مفردات الراغب، مادة (هدي).

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

الموضوع الثامن: الرجوع إلى كتب الله تعالى السالمة من التحريف، والاحتكام إليها عند اختلاف الناس والأمم: ورد هذا الموضوع في موضع واحد، قال تعالى: {أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمْ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّ فِرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ} [آل عمران/23].

وقد اختلف المفسرون في قوله تعالى: {يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ} فقيل هو القرآن وقيل التوراة، وهذا الخلاف غير مؤثر فيما نحن بصدده، فالمراد: إلى كلام الله تعالى الحق في كتبه المنزلة، ما دام سالماً من التحريف⁽¹⁾. قال ابن عاشور: "والمعنى: يدعون إلى اتباع القرآن والنظر في معانيه ليحكم بينهم فيأبون"⁽²⁾.

الموضوع التاسع: طاعة المرسلين والاستجابة لأوامر النبيين، عليهم الصلاة والسلام: جاء ذلك في موضعين: منها قوله تعالى: {إِسْتَحِيْبُوْلَهُ وَلَرَسُولِهِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحِبِّيْكُمْ} [الأنفال: 24]، قال الطبري في تعين متعلق الدعوة: {لِمَا يُحِبِّيْكُمْ}: "أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: استجيبوا لله ولرسول بالطاعة"⁽³⁾.

الموضوع العاشر: الاستسلام إلى حكم الله تعالى وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم في مقام القضاء وفصل الخصومات:

وهذا الموضوع أخص من الموضوع السابق (طاعة الرسل)، إذ مناط هذا الموضوع هو الحكم، أي مقام القضاء والخصومات. وقد ورد في موضع واحد قال تعالى: {وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمْ بَيْنَهُمْ} [النور/48]، ثم قال تعالى بعد آيتين: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمْ بَيْنَهُمْ} [النور/51].

الموضوع الحادي عشر: تقوى الله تبارك وتعالي: جاء ذلك في موضع واحد أيضاً، وهي في آيات سورة نوح عليه السلام: {قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا} {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوْرَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَارًا} (10) [نوح: 5 - 10]، والموضوع المذكور قد صرح به في آية: {قَالَ يَا قَوْمَ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (۲) أَنِ اعْبُدُو اللَّهَ وَاتَّقُوْهُ وَأَطِيعُوْنِ} [نوح: 2 - 3].

الموضوع الثاني عشر: الاستغفار والتوبة: جاء هذا الموضوع على أنه موضوع دعوي مباشر في موضعين، وجاء جزءاً ونتيجةً للاستجابة -بل غايةً من الدعوة أيضاً- في ثلاثة مواضع أخرى. من ذلك قوله تعالى: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوْرَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَارًا} [نوح: 10].

الموضوع الثالث عشر: الجزاء الآخرمي ترغيباً بالجنة من خلال طاعة الله وأهل الإيمان، وترهيباً من النار

⁽¹⁾ ينظر: تفسير الماوردي (1: 382)، تحقيق: السيد عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، وتفسير ابن كثير (2: 28)، والتحرير والتنوير (3: 210).

⁽²⁾ التحرير والتنوير (3: 210).

⁽³⁾ تفسير الطبرى (11: 105).

من خلال التحذير من اتباع الشيطان والكفار، والإيمان باليوم الآخر يوماً للجزاء والاستيفاء:

وهذا الموضوع يعتبر نتيجة للاستجابة إلى الموضوعات السابقة، بمعنى أنه دعوة إلى أسباب هذه النتائج من التوحيد والدخول في الدين ... الخ ما سبق من الموضوعات، والله أعلم.

وورد في خمسة مواضع، منها قوله تعالى في نكاح المشركين والمشرفات: {أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ} [البقرة: 221].

قال ابن عاشور: "ومعنى الدعاء إلى النار: الدعاء إلى أسبابها... والدعاء إلى الجنة والمغفرة دعاء لأسبابهما"⁽¹⁾.

وقد لوحظ أن حاصل الآيات الخمس المصرحة بالجنة أو النار، هو الإيمان باليوم الآخر يوماً للجزاء والاستيفاء، والله أعلم.

المطلب الثاني: موضوعات دلت عليها سياقات الآيات على نحو محتمل:

أي أنها تحتمل أكثر من موضوع جديد على ما سبق.

وقد وقف الباحث من ذلك على أربعة موضوعات زيادة على ما سبق، وهي الصلاة -بمعناها الكلي- والإإنفاق في سبيل الله، والجهاد بقتال قوم أولي بأس، واجتناب الفاحشة.

وقد ترجح لدى الباحث أن اثنين منهمما

وهما: الصلاة بمعناها الكلي (المتضمن لكمال التذلل والخصوص)، والإإنفاق في سبيل الله.

وصح كون الصلاة موضوعاً دعوياً متعلقاً بغير أهل الإيمان، لأن الأمر بالصلاحة هنا راجع لأصل الإيمان، فالمقصود بها هنا تحقيق العبادة بغایة التذلل والخشوع، وليس المقصود في هذا الخطاب الدعوي الأحكام التفصيلية التكليفية المعهودة، والله أعلم.

ودعوة المشركين إلى السجود شأن معهود في القرآن: {أَفَمِنْ هُدَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحِكُونَ وَلَا يَبْكُونَ (٦٠) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ (٦١) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا} [النجم: 59-62].

ودعوة غير المؤمنين إلى الإنفاق والبذل والزكاة أمر قد عهد في القرآن والسنة، قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعْمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [يس: 47]، وفي حادثة أبي سفيان، رضي الله عنهم، مع هرقل، وفيه: قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُوكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: ((... وَيَأْمُرُنَا

⁽¹⁾ التحرير والتنوير لابن عاشور (٢: ٣٦٣).

8 أبريل 2019 - نوفي بازار، جمهورية صربيا

بالصلابة، والرُّكَّاةِ، ...)). وفي رواية: ((والصَّدَقَةِ))^(١).

وعليه فلا غرابة أن يكون الإنفاق في سبيل الله موضوعاً دعوياً، يخاطب به الناسُ عموماً، مؤمنهم وكافرهم.

وبهذا يخلص لنا من المطلبيين السابقين: خمسة عشر موضوعاً قد اقترن بمصطلح (الدعوة) في القرآن، ثلاثة عشر منها على نحو واضح، واثنان على نحو راجح.

هذا، وقد كمل لنا فيما سبق دراسته في المطلبيين السابقين: (٣٩) آية كريمة من آيات مصطلح الدعوة.

وبقي لنا ثلاثة مواضع، اتسمت بالعموم أو الشمول، يمكن حمل الآية الواحدة منها على عدة موضوعات من الموضوعات السابقة، لكنها -بعد الدراسة- لا تخرج عنها بموضوع جديد، بل يمكن حملها على الدعوة إلى ذات الله تبارك وتعالى، والدعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، أو إلى الإيمان، أو الدخول في الدين والإسلام وإقامة شرائعه أو طاعة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

ينظر: [إبراهيم: 9 - 10]، و[إبراهيم: 44]، و[فصلت: 5].

المبحث الثاني: في بيان موضوعات مصطلح (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

تقرر سلفاً (في التمهيد) أن عددة آيات مصطلح (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) سبعة عشر آية.

وقد تتبع الباحث هذه المواضع السبعة عشر، وخلص بعد دراستها إلى أن مصطلح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في سياق آياته لم يتعلق في القرآن كله بأي موضوع من موضوعاته (المعروفات والمنكرات)، بل المصطلح في جميع آياته ورد خالياً من أي تصريح بشيء من صور أفراد المعروف أو أفراد المنكر.

كقوله: {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنُهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ} [الحج/41].

فإن قيل: قد جاء في القرآن ذكر أصحاب السبت، وأن فريقاً منهم قد تولى مهمة النهي عن المنكر، وهو منكر مصرح به (الاعتداء يوم السبت بصيد السمك بحيلة فاسدة)؟!

فالجواب: أن القرآن الكريم لم يعبر في هذه الآية بلفظ (المنكر)، بل استعمل (الموعظة والنهي عن السوء): {وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لَمْ تَعِظُنَّ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ...} [الأعراف/164]، {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ} [الأعراف/165]، ونحن إنما نبحث في الاستعمال الاصطلاحي، وهذا التعبير مما يلفت النظر ويؤكد دقة القرآن في استعمال المصطلحات، ويضعف جانب الاسترواح إلى القول بالترادف في كثير منها.

والحاصل أن القرآن لم يتبعد مصطلح (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) بشيء من صور أفراده وجزئياته

^(١) البخاري (ح: ٧، و: ٢٩٤١)، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الأولى، (١٤٢٢هـ)، قوله: (والزكاة) هو في بعض نسخ البخاري كما يفاد من الطبعة السلطانية (ح: ٧).

في شيء من آياته.

وقد أشكل هذا الأمر على بعضهم وحار في سببه، أعني به الكاتب الأمريكي (مايكل كوك)، في كتابه (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي)، فقال: "قد يدفعنا ذلك إلى التفكير بأننا إزاء فريضة عامة ذات مضمون أخلاقي موجهة إلى الأمة الإسلامية أو إلى الناس قاطبة، لكن هذا غير واضح تماما"(1).

وأقول: ليس الأمر كذلك، بل السبب الذي أشار إليه وجيه، وهو لمن تأمله واضح جلي.

بيانه:

أن آيات مصطلح الإنكار في القرآن الكريم جاءت لأغراض من أجلها: تأسس وترسيخ فريضة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) كمفهوم شرعي وأخلاقي وحضارى لأى مجتمع إنسانى، وليس من أغراضها بيان أفراد وجزئيات المعروفات والمنكرات، وذلك لسبب وجيه جداً:

وهو أن حصر أفراد المعروفات والمنكرات على سبيل التنصيص عليها.. أمر متذر وضرب من العبث، فبعضها منصوص عليه ومفصل في القرآن الكريم والسنّة النبوية ضمن بيان الواجبات والمحرمات، وهي جملة وافرة يعسر حصرها وقد لا يمتنع، وبعضها الآخر يرجع إلى القياس على المنصوص، وبعض ثالث يرجع الأمر فيه إلى العرف ومراعاة مصالح العباد، ومادةً هذا الأخير هو المباحثات، فتأتي الأعراف وتنقلها إلى معروفات أو منكرات شرعية من خلال ما يتواضع الناس عليه مما يحكم شؤونهم ومصالحهم الدنيوية فتستحيل بينهم قوانين ناظمة لحياتهم، كأحكام المرور وقيادة المركبات في عصرنا.

وهذان القسمان الآخيان لا يقبلان الحصر كما هو واضح، والأخير منهما يتغير بتغير البيئات والأزمنة، لا لكونه جزئيات اجتهادية، بل لإناطة أحكامه بالأعراف المتواضع عليها بن البشر، وهي متغيرة ومتتجدة في كل أين وآن.

فظهور أن إغفال المصطلح من التعلق في سياقاته بشيء من جزئياته.. يتوافق مع طبيعته، ويشعر المتأمل بتتنوعه وشموله وتجددده، والله تعالى أعلم.

المبحث الثالث في تحليل نتائج المبحدين السابقين واستخلاص الأحكام والفرق بين المقامين من حيثية الموضوع

المطلب الأول: في التحليل الإحصائي لآيات مصطلح الدعوة من حيث الموضوع:

١- تبين من خلال تحليل آيات الدعوة البالغ عددها (٤٣) آية: أنها تعلقت ضمن سياقاتها بخمسة عشر

(1) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي، لمايكل كوك (ص 54، 55) ترجمه: د. رضوان السيد ود. عبد الرحمن السالمي ود. عماد الجلاصي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الثانية، (2013م).

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

موضوعاً، ثلاثة عشر منها قد تعلق بمصطلح الدعوة على نحو صريح، وموضوعان تعلقاً بالمصطلح على نحو محتمل راجح لدى الباحث.

٢- تجدر الإشارة إلى أن العدة السابقة لم يحتسب منها ثلاثة مواضع من القرآن، وذلك لصحة حملها على عدة موضوعات مما سبق، لا تخرج عنها.

٣- كما تجدر الإشارة إلى أن موضوع (**المغفرة والتوبة**) قد أفادت ظاهراً آيات سورة إبراهيم، عليه السلام، إلى كونه موضوعاً وارداً لجميع دعوات الأنبياء، من نوع فمن بعده، عليهم الصلاة والسلام.

قال تعالى: {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمٌ نُوحٍ وَعَادٍ وَتَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ هُمْ جَاءُهُمْ رَسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُوا أَيْدِيهِمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا ... قَالَ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَعْفُرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ} [إبراهيم: 9-10].

وقد بدأ للباحث حكمتان، على سبيل الجواز والاحتمال، إذ المقام ليس مقام قطعٍ وبثٍ.

الأولى: كون هذا الموضوع يحمل معاني الرجاء والتغريب للدخول في الدين. وهذا هو المقصود الأعظم للدعوة.

الثانية: ارتباط هذا الموضوع بالمقصد من وجود هذا المخلوق (الإنسان). قال صلى الله عليه وسلم: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلَمْ تُذَنِّبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذَنِّبُونَ، فَيَسْتَعْفِرُونَ اللَّهُ فَيَعْفُرُ لَهُمْ))⁽¹⁾.

فتوقف كمال هذا المخلوق وتمام مهمته على تتحققه بالتوبة والاستغفار منه، لا توافر على صدور الذنب منه، بل عنواناً ل العبودية الاختيار والاستسلام.

ولذا كان صلى الله عليه وسلم يستغفر في اليوم الواحد أكثر من سبعين مرة⁽²⁾، ويختتم مجالسه وبخللها بالاستغفار⁽³⁾، لا لأجل ذنب، بل عنواناً للعبودية إذ صلى الله عليه وسلم لا ينطق إلا بالوحي.

ولذا أيضاً استحب الاستغفار مع الأعمال الصالحة، كأدبار الصلوات المفروضات، والتهجد في الأسحار.

ومن لطائف شواهد ذلك: أن العبادة الأولى التي صرحت بها القرآن وأظهرها على الإنسان، هي التوبة والاستغفار: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ زَيْدٍ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [آل عمران: 37]. وتواترت ذريته، عليه السلام، على أنواع الذنوب، فتواترت عليهم أنبياؤهم بطلب التوبة والاستغفار.

⁽¹⁾ أخرجه مسلم (ح: ٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

⁽²⁾ أخرجه البخاري (ح: 6307)، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الأولى، (1422هـ)، من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

⁽³⁾ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: إِنَّ كُنَّا لَنَعْدُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةً مَرَّةً: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَثُبِّ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. أخرجه أبو داود (ح: 1518) دار الكتاب العربي، بيروت، والترمذى (ح: 3434)، تحقيق: الشيخ أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

وغير ذلك من الشواهد الدالة على أن تتحقق مقاصد خلق الإنسان، بل وتحقق كمال أعماله وأحواله، مرهون بقيامه وتحقيقه بهذه العبادة.

المطلب الثاني: في استخلاص المعاني والفروق بين المقامين من حيثية الموضوع من خلال ما سبق من نتائج المبحثين الأولين:

1- كشفَ الأسلوب القرآني عن اختلاف طبيعة المقامين على نحو بديع، وذلك حينما علّق مصطلح (الدعوة) بموضوعاته، وأخلَى مصطلح (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) في سياق آياته من التعلق بشيء من موضوعاته.

2- وكشفَ أن متعلقَ مصطلح (الدعوة) هو الكليات الكبرى والأصول والمقاصد العظمى في الدين، وهي فيما يظهر - مما يمكن حصره.

وأما (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) فمتعلقُه الجزئيات والتفصيات، التي تتسم بكونها متعددة الحصر، تتجدد بتجدد الجديدان على الإنسان.

3- ويُترشد بهداية الاستعمال القرآن على أهمية التركيز على الأصول والكليات في الحوار الدعوي، والحذر من إدخال المدعّعين في تفصيات شرعية قبل إحكام الكليات معهم، إذ الاستدراج إلى الإقناع بالفروع قبل إحكام الأصول، قد يعود على الأصول بالإبطال أو يضعف مقامها في الشريعة، فيهدِر العملية الدعوية، أو يُثْرِب بها على أحسن الأحوال، والله تعالى أعلم.

4- وفرق ثانٍ بين المقامين، وهو انحصر الحوار الدعوي في الدينيات، في مقابل شمول مقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكل من الشرعيات وشُؤون الحياة، مما ينطأ بمصالح العباد في هذه الدار، مما فوّضته الشريعة لمبدأ الشورى ونحوه، وما تواضعت عليه المجتمعات البشرية من الأعراف المُلِزمة في أبواب المعاملات والتجارات والصناعات والزراعات والسياسات، وغيرها من شُؤون تدابير الحياة، حتى سنّوا لها أنظمة خاصة، مما لم تتدخل الشريعة في تفصيلاته وإجراءاته، بعد تأسيس مبادئه وكلياته، بل أناطت تفصيلاته للنظر البشري، من أمثلته: أنظمة المرور، وقيادة المركبات.

6- ويفسر هذا الفرقُ أمراً آخر ملفتاً للنظر في تراث علم الحسبة أيضاً، وهو ما سلكه ثلاثة غير قليلة من علماء أهل السنة في تعريفاتهم لكل من (المعروف) و(المنكر)، حينما ردّوا معيارهما إلى الشَّرع والعُقْل معاً، كقول بعضهم في المعروف "ما قبله العقل وأقره الشَّرع ووافقه كرم الطَّبع، والمنكر بضده" ⁽¹⁾، فلم يقتصرُوا - كما سلك بعضُ -

⁽¹⁾ إتحاف السادة المتقين (٧: ٣)، دار الفكر، بيروت، مصورة عن المطبعة الميمينية، القاهرة (١٣١١هـ)، ونحوه في مفردات القرآن للراغب مادة (عرف) و(نكر)، وتفسير البيضاوي (٢: ٦٠)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الأولى، (١٤١٨هـ)، عند قوله تعالى {وقولوا لهم معرفوا} من سورة النساء، وبصائر ذوي التمييز للبيروزي زبادي (٤: ٥٧)، وتفسير الخازن (٢: ٣٢٦) وتفسير المراغي (٩: ١٤٨)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الأولى، (١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م)، ومحاسن التأويل للقاسمي (٥: ٢٤٢)، عند قوله: {خذ العفو وأمر بالعرف}، وتيسير الكريم المنان لابن سعدي (ص ٣١٣)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، الأولى، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، والتحرير والتنوير (٩: ٢٢٥).

8-أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

على ما ورد في الشعـر فقط⁽¹⁾، ولم يرددوه -كما توهـم بعضـهم- إلى ما يقره العـقل فقط⁽²⁾.

فهـذا قد يـُظـنـ فيـ الـوـهـلـةـ الـأـوـلـيـ أنهـ نـزـعـةـ اـعـتـارـيـةـ منـ أـوـلـئـكـ الـعـلـمـاءـ، غـيرـ أنـ شـيـئـاـ منـ التـأـمـلـ فـيـ أـعـيـانـهـ منـ جـهـةـ، وـصـرـيـحـ آـرـائـهـ الـعـقـدـيـةـ منـ جـهـةـ ثـانـيـةـ.. كـفـيلـ باـسـتـيـعـادـ ذـلـكـ الـاحـتمـالـ وـرـدـهـ منـ أـصـلـهـ.

وأرجو ألا تكون قد بالغـتـ إـنـ قـلـتـ بـأـنـيـ لمـ أـجـدـ تـعـلـيـلاـ لـمـنـزعـ أـوـلـئـكـ الـعـلـمـاءـ فـيـ تـعـرـيـفـاتـهـمـ، أـحـسـنـ مـنـ أـنـهـ قدـ لـحـظـواـ تـلـكـ السـمـةـ الشـمـولـيـةـ فـيـ فـرـيـضـةـ (ـالـأـمـرـ بـالـمـعـرـوـفـ وـالـنـهـيـ عـنـ الـمـنـكـرـ)، وـقـابـلـيـةـ أـفـرـادـهـ لـلـتـجـدـدـ وـالـاسـتـحـدـاثـ، وـالـلـهـ أـعـلـمـ.

وقد نـتـجـ عـنـ درـاسـةـ المـصـطـلـحـ الدـعـوـيـ فـيـ الـقـرـآنـ أـنـ التـخـيـيرـ جـزـءـ مـنـ مـاهـيـةـ الدـعـوـةـ وـحـقـيقـتـهـاـ وـلـيـسـ أـمـراـ عـارـضاـ، قـالـ تـعـالـىـ: {ـأـنـلـزـمـكـمـوـهـاـ وـأـنـتـمـ لـهـاـ كـارـهـوـنـ}ـ [ـهـوـدـ ٢٨ـ]ـ، وـقـالـ تـعـالـىـ: {ـفـذـكـرـ إـنـمـاـ أـنـتـ مـذـكـرـ}ـ لـكـ لـسـتـ عـلـيـهـمـ بـمـصـيـطـرـ}ـ [ـالـغـاشـيـةـ:ـ ٢١ـ-ـ ٢٢ـ].

وـفـيـ الـمـقـابـلـ فـقـدـ رـيـطـ الـقـرـآنـ بـيـنـ السـلـطـةـ وـمـفـهـومـ (ـالـأـمـرـ بـالـمـعـرـوـفـ وـالـنـهـيـ عـنـ الـمـنـكـرـ)، قـالـ تـعـالـىـ: {ـالـذـيـنـ إـنـ مـكـنـنـاـمـ فـيـ الـأـرـضـ أـقـامـوـاـ الصـلـاـةـ وـأـتـأـوـاـ الزـكـاـةـ وـأـمـرـوـاـ بـالـمـعـرـوـفـ وـنـهـيـوـاـ عـنـ الـمـنـكـرـ وـلـلـهـ عـاـقـبـةـ الـأـمـورـ}ـ [ـالـحـجـ:ـ ٤١ـ]ـ، وـالـتـقـيـيدـ بـالـسـلـطـةـ دـالـ عـلـىـ سـمـةـ الـإـلـزـامـ فـيـ مـقـامـ الـأـمـرـ بـالـمـعـرـوـفـ وـالـنـهـيـ عـنـ الـمـنـكـرـ، وـالـلـهـ أـعـلـمـ.

وـلـاـ يـتـعـيـنـ أـنـ نـقـصـ الـأـمـرـ هـنـاـ عـلـىـ السـلـطـةـ (ـالـسـيـاسـيـةـ)، بلـ تـشـمـلـ وـلـاـيـةـ الرـجـلـ عـلـىـ أـهـلـ بـيـتـهـ وـسـلـطـةـ الـعـرـفـ الـعـامـ فـيـ الـمـجـتمـعـ، وـنـحـوـ ذـلـكـ.

وـمـمـاـ يـؤـكـدـ ذـلـكـ أـيـضـاـ أـنـ الـمـرـتـبـ الـأـوـلـىـ مـنـ مـرـاتـبـ الـإـنـكـارـ وـالـتـغـيـيرـ -ـبـالـنـظـرـ إـلـىـ اـسـتـطـاعـةـ الـمـحـتـسـبـ-ـ هـوـ التـغـيـيرـ الـيـدـوـيـ، ((ـمـنـ رـأـيـ مـنـكـمـ مـنـكـاـ فـلـيـغـيـرـ بـيـدـهـ))ـ، وـالـتـغـيـيرـ الـيـدـوـيـ مـنـ أـعـظـمـ مـظـاـهـرـ الـإـلـزـامـ.

وـالـسـبـبـ فـيـ ذـلـكـ وـالـلـهـ أـعـلـمـ، أـنـ مـنـاطـ مـقـامـ الـدـعـوـةـ وـمـتـعـلـقـهـاـ إـنـمـاـ هـوـ الـإـيمـانـ وـمـاـ حـاـمـ حـوـلـهـ، وـهـوـ بـالـدـرـجـةـ الـأـوـلـىـ عـلـىـ عـلـمـ قـلـبـيـ مـنـ جـهـةـ، وـقـنـاعـةـ عـقـلـيـةـ مـنـ جـهـةـ أـخـرـىـ، وـهـذـاـ مـمـاـ لـاـ يـتـصـورـ فـيـ الـإـرـاغـ وـالـإـلـزـامـ، وـإـذـاـ كـانـ الـأـمـرـ مـنـاطـاـ بـالـقـنـاعـاتـ، فـإـنـ الـدـعـوـةـ سـتـكـونـ بـالـضـرـورـةـ مـرـتـبـطـةـ بـالـعـلـمـ وـالـمـعـرـفـةـ مـنـ جـهـةـ، وـبـالـحـرـيـةـ الـفـكـرـيـةـ وـالـحـوـارـ الـمـثـمـرـ مـنـ جـهـةـ أـخـرـىـ، وـالـسـمـاحـ بـعـرـضـ جـمـيعـ الـفـرـضـيـاتـ وـوـجـهـاتـ الـنـظـرـ، وـالـسـمـاحـ أـيـضـاـ بـوـقـعـ الـخـطـأـ الـذـيـ بـتـصـحـيـحـهـ يـتـقـرـرـ الـعـلـمـ وـيـنـمـوـ.

⁽¹⁾ يـنـظـرـ لـهـذـاـ مـسـلـكـ عـلـىـ سـبـيلـ الـمـثـالـ: أحـكـامـ الـقـرـآنـ لـلـجـصـاصـ (ـ٢ـ:ـ ٣٢٢ـ)، تـحـقـيقـ: مـحمدـ الصـادـقـ قـمـحـاوـيـ، دـارـ إـحـيـاءـ التـرـاثـ الـعـرـبـيـ، بـيـرـوـتـ، (ـ١٤٠٥ـهـ)، وـشـرـحـ الـأـربعـينـ لـلـطـوـفـيـ (ـصـ ٢٨٧ـ)، تـحـقـيقـ: أـحـمـدـ حـاجـ عـثـمـانـ، مـؤـسـسـةـ الـرـيـانـ، بـيـرـوـتـ، الـمـكـتـبـةـ الـمـكـيـةـ، مـكـةـ، الـأـوـلـىـ، (ـ١٤١٩ـهـ -ـ ١٩٩٨ـمـ)، وـالـآـدـابـ الـشـرـعـيـةـ لـابـنـ مـفـلـحـ (ـ١ـ:ـ ١٧٩ـ)، تـحـقـيقـ: شـعـيبـ الـأـنـزـوـطـ وـعـمـرـ الـقـيـامـ، مـؤـسـسـةـ الرـسـالـةـ، بـيـرـوـتـ، الـأـوـلـىـ، (ـ١٤١٦ـهـ -ـ ١٤١٦ـمـ)، وـالـكـنـزـ الـأـكـبـرـ (ـ١ـ:ـ ٤٣ـ)، مـكـتـبـةـ نـزـارـ مـصـطـفـيـ الـبـازـ، مـكـةـ الـمـكـرـمـةـ، الـأـوـلـىـ، (ـ١٤١٨ـهـ -ـ ١٩٩٧ـمـ)، وـالـشـرـحـ الـكـبـيرـ بـحـاشـيـةـ الـدـسوـقـيـ (ـ٢ـ:ـ ١٧٤ـ)، دـارـ إـحـيـاءـ الـكـتـبـ الـعـرـبـيـةـ، الـقـاهـرـةـ، وـالـتـفـسـيـرـ الـمـظـهـرـيـ لـمـحـمـدـ ثـنـاءـ الـعـمـانـيـ (ـ٥ـ:ـ ٣٦٤ـ)، تـحـقـيقـ: غـلامـ نـبـيـ الـتـونـسـيـ، مـكـتـبـةـ الرـشـدـيـةـ، بـاـكـسـتـانـ، (ـ١٤١٢ـهـ)..

⁽²⁾ يـنـظـرـ لـهـذـاـ مـسـلـكـ: الـكـشـافـ لـلـرـمـخـشـريـ (ـ٢ـ:ـ ٦٢٩ـ)، دـارـ الـكـتـابـ الـعـرـبـيـ، بـيـرـوـتـ، الـثـالـثـةـ، (ـ١٤٠٧ـهـ)، وـزـادـ الـمـسـيـرـ لـابـنـ الـجـوزـيـ (ـ١ـ:ـ ٣١٢ـ)، تـحـقـيقـ: عـبدـ الـرـزـاقـ الـمـهـدـيـ، دـارـ الـكـتـابـ الـعـرـبـيـ، بـيـرـوـتـ، الـأـوـلـىـ، (ـ١٤٢٢ـهـ)، وـبـحـرـ الـعـلـمـ لـأـبـيـ الـلـيـثـ الـسـمـرـقـنـدـيـ (ـ١ـ:ـ ٢٦٠ـ)، تـحـقـيقـ: دـ.ـ مـحـمـودـ مـطـرـجـيـ، دـارـ الـفـكـرـ، بـيـرـوـتـ، وـزـهـرـةـ الـتـفـاسـيـرـ لـأـبـيـ زـهـرـةـ (ـ١ـ:ـ ١٣٤٣ـ)، دـارـ الـفـكـرـ الـعـرـبـيـ، بـيـرـوـتـ، وـعـبـارـةـ الـأـوـلـ منـهـاـ:ـ "ـالـمـنـكـرـ:ـ مـاـ تـنـكـرـهـ الـعـقـولـ".

وأما مقام الإنكار، فمناطه السلوك البشري، بل لا يبعد أن نقده بالسلوك البشري الظاهر غير الخفي، أي الذي له نوع تعلق بالآخرين، أي بحدود حقوقهم المشتركة في المجتمع، إذ من المقرر سلفا عدم مشروعية إنكار المستور أو التجسس عليه.

ولذا نستطيع أن نقول: إن غرض الدعوة هو الهدایة، وغرض الإنكار ضبط السلوك العام.

وعليه فتكون الدعوة شرطاً لصحة الإلزام وتطبيق الإنكار وسلامة نتائجه، وهذا منسجم تماماً مع السنة الإلهية في الخلق والتشريع، أعني سنة التدرج.

وبهذا تترك الشريعة مساحة لإعمال الضمير، ويتحقق مقصدهما من مقاصد الشريعة، وهو إحياء الضمير الإنساني وتقويته، ليرفض بذاته المنكرات ولا يحتاج صاحبه لإنكار الغير عليه.

وبهذا يعلم أن الحوار الدعوي ذو طبيعة مختلفة عن الحوار في مقام الإنكار، فالحوار الدعوي جزءٌ أصيلٌ من ماهية الدعوة وحقيقةها، وأما في الإنكار، فهو مدخل ومقدمة لازمة له، أي شرط لتطبيقه.

نتائج البحث وتوصياته:

أثمر هذا البحث عن عدة نتائج، أجملها في التالي:

1- كشفت الدراسة -من خلال تتبع وتأمل الأسلوب القرآني الكريم- عن الفرق بين المصطلحين، واختلاف طبيعة المقامين من حيث الإجمال، حيث عُلّق مصطلح (الدعوة) بموضوعاته، وأُخلي مصطلح (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) في سياق آياته من التعلق بشيءٍ من موضوعاته.

2- وعليه فهذه الدراسة المتعلقة بحقيقة الموضوع، تؤكد ما سبق استنتاجه في الدراسة السابقة المتعلقة بحقيقة الشريحة المستهدفة، من إثباتٍ أصل الفرق بين المصطلحين ونفي ترادفهما، أو تداخل أحدهما في الآخر.

وأما بخصوص النتائج المتعلقة بإحصاء واستقراء موضوعات مصطلح الدعوة:

3- فقد نتج أن هذا المصطلح قد تعلق في آياته -البالغ عددها (٤٣) آية- بخمسة عشر موضوعاً.

4- وقد وقع ذلك على نحو واضح وصريح في ثلاثة عشر منها.

5- وموضوعان آخران كانا على نحو محتمل، لكنه براجحية عند الباحث، وهما: الصلاة بمعناها الكلية (المتضمن لكمال التذلل والخصوص)، والإنفاق في سبيل الله.

6- واستبعدت الدراسة القتال (قتال قوم أولي بأس شديد)، كموضوع دعوي، لكون لفظ (الدعوة) في آيته كان يمعنى النداء على ما ترجع للباحث.

7- وثمة موضوع آخر، قد توقف فيه الباحث لتعارض الأدلة فيه، وهو (اجتناب الفاحشة).

8- وكان أكثر الموضوعات تكرراً في القرآن الكريم، هو ذات الله تبارك وتعالى، حيث ورد في تسعة مواضع.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

9- يليه موضوع الجزاء الآخروي، ترغيبا بالجنة وترهيبا من النار، والإيماناليوم الآخر يوماً للجزاء والاستيفاء، حيث ورد في خمسة موضع.

10- ويليهما موضوع عبادة الله تعالى وحده ونبذ الشرك، حيث ورد في أربعة موضع.

11- وثمة خمسة موضوعات تكررت في موضوعين من القرآن، وهي:

- الدخول في الدين، وإقامته بشرائعه الكبرى وكلياته، من خلال الاجتماع وترك الافتراق فيه.

- والمنهج والصراط القويم.

- والهدى.

- وطاعة المرسلين، والاستجابة لأوامرهم، عليهم أفضل الصلاة والتسليم.

- ثم التوبة والاستغفار.

12- ثم هناك سبعة موضوعات وردت في القرآن في موضوع واحد فقط، وهي:

- الإيمان.

- والخير.

- والرجوع إلى كتب الله تعالى السالمة من التحريف، والاحتکام إليها عند اختلاف الناس والأمم.

- والاستسلام إلى حكم الله ورسوله، صلى الله عليه وسلم، في مقام القضاء وفصل الخصومات.

- وتقوى الله تعالى.

- والسجود، الآيل معناه إلى الصلاة بمعناها الإجمالي، من كمال التذلل والخصوص.

- ثم الإنفاق في سبيل الله.

13- وتتجدر الإشارة إلى أن موضوع (المغفرة والتوبة) -علاوة على مجئه موضوعا دعويا في موضوعين- فقد جاء في ثلاثة موضع على أنه ثمرة ونتيجة للاستجابة الدعوية، بل أفاد ظاهرا آيات أنه كان موضوعا لجميع دعوات الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام.

وأما فيما يتعلق بتحليل موضوعات الدعوة، من خلال دراستها بذاتها، ثم مقارنتها بمصطلح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

14- فقد تجلت الطبيعة الكلية في موضوعات الدعوة، وأن جميعها من الأصول الكبرى في الدين، بحيث يمكن أن يُعد ما ذكر في هذه الدراسة: من أهم محاور مقاصد للدعوة إلى الله تعالى، (من حيث موضوعاتها).

15- وفي هذا إشارة واضحة على أهمية التركيز في مقام الدعوة على الأصول والكليات، والحذر من إدخال

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

المدعّون في تفصيلات شرعية قبل إحكام الكلمات معهم.

16- كشفت الدراسة أن موضوعات الدعوة مما يمكن حصره، بخلاف متعلقات (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) فهي متعددة الحصر، لكونها جزئيات وتفاصيل، وقابلة للتجدد بتغير الزمان.

17- كما كشفت فرقاً مهماً بين المقامين، وهو انحصر مقام الدعوة في الدينيات، في مقابل شمول مقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكل من الشرعيات وشئون الحياة، مما ينطوي بمصالح العباد وفرضته الشريعة لمبدأ الشورى ونحوه، مما يفسر طبيعة التأليف في كتب الحسبة العملية، ويرى من جعل العقل معياراً مع الشرع في معرفة بالمعروف والمنكر.

18- كما تبين أن الحوار الدعوي ذو طبيعة مختلفة عن الحوار في مقام الإنكار، فالحوار الدعوي جزءٌ أصيل من ماهية الدعوة وحقيقة، وأما في الإنكار، فهو مدخل ومقدمة لازمة له، أي شرط لتطبيقه؛ والله تعالى أعلم.

قائمة المراجع:

- 1- إتحاف السادة المتقيين بشرح إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الحسيني الزبيدي، بيروت، دار الفكر، مصورة عن المطبعة الميمنية، القاهرة (1311هـ).
- 2- أحكام القرآن: للجصاص، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1405هـ).
- 3- الآداب الشرعية، عبد الله بن محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى، 1416هـ - 1996م.
- 4- إصلاح الوجوه والناظائر للحسين بن محمد الدامغاني، تحقيق: عبدالعزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، الثالثة (1980م).
- 5- أصول الدعوة للدكتور عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الرابعة، (1411هـ-1990م).
- 6- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، دار الفكر، بيروت، (1415هـ - 1995م).
- 7- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي، لمايكل، ترجمة: د. رضوان السيد ود. عبد الرحمن السالمي ود. عماد الجلاصي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الثانية، (2013م).
- 8- بحر العلوم، لأبي الليث السمرقندى، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.
- 9- البحر المحيط: لأبي حيان الأندلسى، تحقيق: صدقى محمد جميل، دار الفكر، بيروت، (1420هـ).
- 10- بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز: للفيروزآبادى، تحقيق: الأستاذ محمد النجار، لجنة الأعلى للتراث الإسلامي، القاهرة، الثالثة، (1416هـ).
- 11- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد الزبيدي، تحقيق: د. عبد الستار فراج وآخرين، وزارة الإعلام بدولة الكويت، الكويت، الثانية (1986م).
- 12- تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم، لأدم عبدالله الألوى، مكتبة وهبة، ومكتبة دار التضامن، القاهرة، الثالثة، (1408هـ-1988م).
- 13- التحرير والتنوير: للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس، (1984م).
- 14- تحفة الأحوذى بشرح سنن الترمذى، للمباركفورى، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 15- التعين في شرح الأربعين، للطوفى، تحقيق: أحمد حاج عثمان، مؤسسة الريان، بيروت، المكتبة المكية، مكة، الأولى، (1419هـ - 1998م).

8-أبريل 2019 -نوفي بزار. جمهورية صربيا

- 16- تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الثالثة، (1419 هـ).
- 17- تفسير البغوي، تحقيق: مجموعة من العلماء، دار طيبة، الرابعة (1417 هـ - 1997 م).
- 18- تفسير البيضاوي، المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الأولى، (1418هـ).
- 19- تفسير الجلالين: للمحلبي وللسيوطي، دار الحديث، القاهرة، الأولى.
- 20- تفسير الحازن، المسمى بباب التأويل في معاني التنزيل، دار الفكر، بيروت، (1399 هـ - 1979 م).
- 21- تفسير الطبري، لمحمد بن جرير، المسمى بجامع البيان، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الأولى، (1422 هـ - 2001 م).
- 22- تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الثانية، (1420 هـ - 1999 م).
- 23- تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الثانية، (1384 هـ - 1964 م).
- 24- تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الأولى، (1365 هـ - 1946 م).
- 25- التفسير المظہري، لمحمد ثناء العماني، تحقيق: غلام نبی التونسی، مکتبۃ الرشیدیة، باکستان، (1412 هـ).
- 26- تفسير النسفي، المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بدبوی، دار الكلم الطيب، بيروت، الأولى، (1419 هـ - 1998 م).
- 27- تفسير مفاتيح الغيب لمحمد بن عمر التيمي الشهير بالفخر الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الثالثة (1420هـ).
- 28- تنویر المقباس، للفیروزی بادی، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 29- التوقيف على مهامات التعريف، للمناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الدایة، دار الفكر، بيروت، الأولى، (1410 هـ).
- 30- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللوبيح، مؤسسة الرسالة، الأولى، (1420 هـ - 2000 م).
- 31- الدر المصور، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمین الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، الأولى (1406 هـ - 1986 م).
- 32- الدعوة الإسلامية في عهدها المكي، منهاجها وغاياتها، د. رؤوف شلبي، الهيئة العامة لشؤون المطبع الأهلية، القاهرة، (1394 هـ - 1974 م).
- 33- الدعوة إلى الله في العصر العباسي الأول، مشكلاتها وأساليب مواجهتها، للدكتور علي بن أحمد مشاعل، دار العصمة، الرياض، الأولى (1414هـ).
- 34- الدعوة إلى الله في ميادينها الثلاثة، لمحمد بن حامد الغامدي، دار الطرفين، الطائف، الأولى، (1420 هـ - 1999 م).
- 35- الدعوة إلى الله، الرسالة - الهدف، للدكتور توفيق الوعي، دار اليقين، مصر، الثانية، (1416 هـ - 1995 م).
- 36- رسالة في الكلام على آية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لترجم الدين الغزي، تحقيق: نشرات كمال المصري، المكتبة الإسلامية، القاهرة، الأولى، (1426 هـ - 2005 م).
- 37- روح البيان، لأنبي الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- 38- روضة الطالبين وعمدة المفتين، للنwoي، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الثالثة، (1412 هـ - 1991 م).
- 39- زاد المسير في علم التفسير: لابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدى، دار الكتاب العربي، بيروت، الأولى، (1422 هـ).
- 40- زهرة التفاسير: للشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، بيروت.
- 41- سنن أبي داود، دار الكتاب العربي، بيروت.
- 42- سنن الترمذى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.
- 43- الشرح الكبير على مختصر خليل، لأحمد بن محمد الدردير، مع حاشية محمد بن أحمد الدسوقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

8 أبريل 2019 - نوفي بازار، جمهورية صربيا

- 44- الصاح، للجوهري، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الرابعة، (1407هـ - 1987م).
- 45- صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الأولى، (1422هـ).
- 46- صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- 47- فتح القدر للشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الأولى، (1414هـ).
- 48- فقه الدعوة إلى الله، وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، للشيخ عبد الرحمن حسن جبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الأولى، (1417هـ-1996م).
- 49- الكافش عن حقائق السنن، للطبيبي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار الباز، مكة، الأولى، (1417هـ - 1997م).
- 50- كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، تحقيق: رفيق العجم وعلي درحوج، مكتبة لبنان، بيروت، الأولى، (1996م).
- 51- الكشاف عن حقائق غواصات التنزيل: لجار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الثالثة، (1407هـ).
- 52- الكتر الأكابر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لعبد الرحمن بن أبي بكر الصالحي الحنبلي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الأولى، (1418هـ - 1997م).
- 53- اللباب في علوم الكتاب، لعمر بن علي المعروف بابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معرض، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، (1419هـ).
- 54- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز واعمر الجزار، دار الوفاء، الثالثة، (1426هـ - 2005م).
- 55- محاسن التأويل للقاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، (1418هـ).
- 56- المدخل إلى علم الدعوة، للدكتور محمد أبو الفتح البيانوبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى، (١٤١٢ - ١٩٩١م).
- 57- معالم القرية في طلب الحسبة: لابن الأخوة، دار الفنون، كمبودج.
- 58- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، الثانية، (1418هـ).
- 59- مناهج الدعوة وأساليبها، للدكتور علي جريشة، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، الأولى، (1407هـ-1986م).
- 60- المنشور في القواعد، للزرتشي، تحقيق: د. تيسير فائق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، الثانية، (1405هـ).
- 61- موسوعة نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه، لعدد من الباحثين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الرابعة.
- 62- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، لابن بسام، تحقيق: الدكتور حسام الدين السامرائي، مطبعة المعرف، بغداد، (1968م).
- 63- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، لعبد الرحمن بن نصر الشيزري، تحقيق: الدكتور السيد الباز العربي، دار الثقافة، بيروت، الثانية، (1401هـ - 1981م).
- هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، لعلي محفوظ، دار الاعتصام، القاهرة، التاسعة (1399هـ-1979م).

دور المعلم في بناء القيم نحو الامتناع عن السلوك الخاطئ في ضوء المنهج النبوى

د. عوض بن عبدالله المنكاع

أستاذ أصول التربية المساعد بكلية العلوم والآداب بشرورة

جامعة نجران – المملكة العربية السعودية

مستخلص الدراسة

هدفت الدراسة إلى بيان دور المعلم في بناء القيم نحو الامتناع عن السلوك الخاطئ في ضوء المنهج النبوى، واستخدمت الدراسة المنهج الاستباطي، وتوصلت إلى أهم الأدوار المنوطه بالمعلم بتحقيق ذلك الهدف.

أولاً: الإطار العام للدراسة:

إن ميدان التربية والتعليم يختلف عن غيره من الميادين، إذ إنه يتوجه بكليته لرعاية الروح والجسد وتنمية العقل والعناية بالنفس عند المستهدفين من المتعلمين، بل وتعتمد نتائج مخرجاته إلى حد كبير على معالجة الأخطاء السلوكية.

وكلما كان هناك عناية بالجانب السلوكي؛ كان الأثر واضحاً على مخرجاتنا التعليمية. وإن جميع العاملين في الحقل التربوي معنيون بمعالجة الأخطاء السلوكية للطلاب، بيد أن المعلم في المدرسة يعتبر الركن القويم في معالجة هذه الأخطاء، وعليه يرتكز بقية دور العاملين، في توجيههم وبث الحيوية فيهم لتحمل مسؤولية معالجة الأخطاء السلوكية.

ومما لا شك فيه أن للمعلم أدواراً متعددة، ومنها ماسحة واسعة، فهو يعني بالجانب التربوي والتعليمي معاً، فتارة يكون موجهاً للمتعلم، وتارة مقوماً للسلوك.

وإن أعظم معين لنا في عملية التربية الإسلامية كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فهما المعين الذي لا ينضب، والمنبع الصافي الذي لا يتعكر فكيف لا يهتدى من يستقي من معين موقف النبي ﷺ؛ إذ أنها منهج مصدره الخالق ﷺ، العالم بما يسعد العبد وما يصلح سلوكه.

وقد حقق هذا المنهج الريانى رسولنا ﷺ فكان واقعاً عملياً؛ فحياته ﷺ حافلة بتصحيح سلوكيات الصحابة ، ومعالجة أخطائهم، وإذابة ما يكون قد علق في قلوب بعضهم من شوائب الجاهلية فمعالجتها عليه الصلاة والسلام بمختلف الأساليب والطرق.

لذا رأى الباحث أن يستنبط بعض أدوار المعلم في معالجة الأخطاء السلوكية من خلال معالجة النبي ﷺ

لأحد المواقف النبوية وهو موقف أحد شباب الصحابة الذي طلب الإذن بالرثنا، سائلاً الله التسديد في هذا البحث
وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم

مشكلة الدراسة:

ما من عمل أنسع للأمة من أن ينبعري خيار القوم لتقويم سلوك الأفراد، وتعديل مساره، وفي المدرسة يكون الأمر ألزم وأوجب؛ إذ لا يمكن للتقدم التعليمي والتطور المعرفي والنهوض التربوي؛ أن ينحرف عن جادة مساره ؛ عندما يكون في الكيان التعليمي أقوام قد تربعت على قلوبهم همة الإصلاح وجذوة التغيير نحو الأفضل ، مستمددين شعاعها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ العطرة ، ويأتي في مقدمة أصحاب هذا الكيان التعليمي المعلم .

والطالب بطبيعة حاله ومرحلته العمرية والمتغير والعوامل المؤثرة فيه؛ معرضٌ للوقوع في العديد من الأخطاء السلوكية ؛ ولكن هذه الأخطاء ستؤثر على التحصيل العلمي والتربوي إذا لم تتم معالجتها (الفيفي ، 2016 .(25،

وقد أثبتت العديد من الدراسات التي أجريت في هذا المجال أن الأخطاء السلوكية تنتشر بين طلاب التعليم (الشمرى ، 1422 ، 73) ؛ ولا غرابة في وجود ذلك ؛ ولكن المشكلة حينما يغيب دور المعلم التربوي في معالجة هذا السلوك.

لكن الملاحظ كما يشير أحمد جمال (2006، 51) أن بعض المعلمين يوجهون كل جهودهم نحو تزويد الطالب بالمعرفات والمهارات ، دون أن يكون هناك اهتمام بالجوانب التربوية والسلوكية ؛ بل إن بعضهم يظن بأن "وظيفته هي التلقين العلمي فحسب ، دون أن يحرصوا على نفع الطلاب في بقية الجوانب.

ومنهج التربية الإسلامية في أهم مركباتها التربية النبوية مليئة بالمواقف النبوية التي تحت وتوصل على ضرورة معالجة الأخطاء السلوكية ومن هنا أراد الباحث معالجة هذا الأمر من خلال دور المعلم في معالجة الأخطاء السلوكية في ضوء بعض المواقف النبوية.

أهمية البحث:

ولعل الباحث يسلط الضوء على أهمية هذه البحث من خلال الجوانب التالية:

1- يشرف موضوع البحث بشرف مصدره، ويعظم بعض غایته، فإنه يستقي دور المعلم في معالجة الأخطاء السلوكية ، في ضوء ثانى مصادر التشريع سنة رسول الله ﷺ، وفي ضوء أحد المواقف النبوية ، ويشرف البحث من جهة المعنى بها المستفيد منها ، فالملجم هو المعنى بالبحث ، وفلذات الأكباد وأمل الأمة هم العائد التربوي من هذه البحث.

2- دور المعلم – مع تداخل النظريات والمناهج التربوية الحديثة- بحاجة إلى أن يربط دوره بسالف عهد هذه الأمة ، فيستلمون دوره من ذلك المنبع الصافي ، الذي غير أمماً وحول المجتمعات نحو الهدى والحق.

3- ترتكز أهمية هذا البحث في كونه يسهم في تأصيل بعض الأدوار والأساليب التي يمكن للمعلم أن يستفيد منها أثناء علاجه لبعض الأخطاء السلوكية.

4- يعالج البحث مشكلة شهوانية لا تكاد مدرسة تخل منها ، ولا بد وأن يواجه المعلم شيئاً منها ، فالبحث يسهم في دور المعلم من خلال النظر في جزئيات موقف تفصيلي للنبي ﷺ.

أهداف البحث:

يتمثل الهدف الرئيس للدراسة في (بيان دور المعلم في القيم نحو الامتناع عن السلوك الخاطئ في ضوء المنهج النبوى).

ويتفرع من هذا الهدف الرئيس عدد من الأهداف الفرعية.

1- بيان نص حديث موقف المراد .

2- تحليل موقف النبوى واستبطاط الأدوار التربوية منه

2- توضيح أسلوب الحوار من خلال نص الحديث.

3- تجلية أسلوب الإقناع العقلي من خلال موقف النبي ﷺ مع الشاب .

4- بيان دور المعلم في استقبال مقترب الخطأ السلوكي وفن التعامل معه.

5- إبراز أثر الاحتواء والتقبيل لصاحب الخطأ السلوكي.

7- وضع أبرز التوصيات والمقترنات لمعالجة أصحاب الأخطاء السلوكية.

مصطلحات الدراسة:

السلوك الخاطئ: في هذه الدراسة هي كل ما يصدر من الطالب من سلوك سواء كان السلوك مخالفًا للشرع أو للأنظمة المدرسية وغيرها.

وأما المراد بالمنهج النبوى: فالمراد هو موقف النبي صلى الله عليه وسلم مع الشاب الذي طلب الإذن بالزنا منه صلى الله عليه وسلم

حدود الدراسة:

الحدود الموضوعية: دور المعلم في ضوء تحليل موقف النبي صلى الله عليه وسلم مع الشاب الذي طلب الإذن بالزنا.

الدراسات السابقة:

دراسة مطلق العتيبي (1428هـ) دور المعلم في معالجة المخالفات السلوكية من وجهة نظر مديرى المرحلة المتوسطة في ضوء التربية الإسلامية ، هدف هذا البحث إلى توضيح دور المعلم في معالجة المخالفات السلوكية من وجهة نظر مديرى المرحلة المتوسطة. واستخدم الباحث المنهج المسحي ، وكان من نتائج الدراسة : عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في محاور الدراسة ترجع لمتغير المؤهل ، وكذلك في محوري المخالفات السلوكية والبرامج المقدمة.

دراسة النعيمي(2007) أثر التوجيه النبوى فى تقويم سلوك الفرد : وهدفت الدراسة إلى بحث أثر التوجيه النبوى فى سلوك الفرد وخاصة الأطفال ومبادئ التوجيه النبوى ؛ واستخدمت الدراسة المنهج التحليلي وتوصلت إلى أهم آثار ذلك التوجيه وخاصة السلوك العبادي.

دراسة شادي عبد الرحيم (2010) منهج القرآن الكريم في تقويم سلوك الأفراد: وهدفت الدراسة لاستنباط المنهجية القرآنية في تقويم سلوك الأفراد وخاصة العصاة في مجال الأمم السابقة والحديث القرآني عنها، واستخدمت الدراسة المنهج الاستنباطي.

التعليق على الدراسة السابقة:

تفق الدراسة السابقة والبحث الحالى على أن كل منهما يبحث في دور المعلم في معالجة الأخطاء السلوكية.

تفق دراسة العتيبي وهذه الدراسة على الحديث عن دور المعلم في معالجة الأخطاء السلوكية وأن نظرية كل منهما للأدوار نابعة من وجهة نظر التربية الإسلامية؛ ولكنها اختلفت عن الدراسة السابقة في أن البحث الحالى يبحث دور المعلم في ضوء حديث نبوي واحد وموقف واحد للنبي ﷺ ، في حين أن الدراسة السابقة تبحث عن دور المرشد كفاعلية من وجهة نظر مديرى المدارس.

كما اتفقت الدراسة ودراسة النعيمي وشادي على تأصيل موضوع التوجيه النبوى في معالجة السلوك؛ إلا أن الدراسة الحالية تفرد بمعالجة الأخطاء السلوكية في ضوء الأدوار التربوية للمعلم من خلال الموقف النبوى مع الشاب الذى طلب الإذن بالرزا.

منهج البحث:

يفرض البحث في مجال التربية الإسلامية أن يكون منهجه متميزاً عن غيره من المناهج، وذلك لكونه ينطلق من مسلمات ثابتة يسعى لتحديد أدوارها التربوية والتعليمية وإظهار مفاهيمها وأبعادها ووسائل تعميمتها لتجتمع بين عمق الأصالة ومعاصرة التربية وفق الثوابت الأصيلة والمتغيرات المعاصرة.

هذه الدراسة تركز على المنهج الاستنباطي: وهو في اللغة مأخذ من الفعل الماضي (نبط) وقد عُرف الاستنباط على جهة العموم بأنه: "بذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة"(عبدالرحمن صالح وحلمي فودة ، 1420، 43).

الجزء الثاني: نص الحديث المتعلق بالموقف النبوى وتحريجه:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ فَتَّى شَابًاً أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِي الزِّيَّا؟ قَالَ: فَصَاحَ الْقَوْمُ بِهِ وَقَالُوا: مَهْ مَهْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَفَرُوهُ وَادْعُهُ" فَدَنَتْ حَتَّى كَانَ فَرِيَّا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَتَحِبُّهُ لِإِمْلَكَ؟" فَقَالَ: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَمْهَاتِهِمْ" قَالَ: "أَتَحِبُّهُ لِإِمْتِنَاكَ؟" قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِإِخْوَاتِهِمْ" قَالَ: "فَتُحِبُّهُ لِإِحْتِكَ؟" قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخْوَاتِهِمْ" - ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي الْعَمَّةِ وَالْخَالَةِ كَذَلِكَ - قَالَ: فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ لِي، قَالَ: فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ" قَالَ: فَكَانَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ بَعْدُ.

تحريج الحديث:

هذا الحديث رواه الإمام أحمد عن أبي أمامة في مسند الأنصار حديث رقم (22211)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (162/8). وعزاه إلى الطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح (129/1)، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة حديث رقم (370) (1422 هـ ، 114/2).

الجزء الثالث: أهم أدوار المعلم في تقويم السلوك في ضوء الموقف النبوى:

هذا شاب تعتمل في صدره نار الغريزة ، وفيه قوة ورجولة ، وعنه ميل ورغبة ، وفيه إيمان وخشية ، تحرق الرغبة أوصاله ، وتشوش عليه حياته (سليمان قيمان ، 1432، 146)، في النفس رغائب جامحة ، ونوازع قوية ، لكن هذه النوازع وتلك الرغائب لم تكن لتدفعه للوقوع في محرم يومن بتحريره قبل أن يأخذ الإذن في مقارفته ، فاضطراب أمره فلم يطق صبراً عن إحباط النفس إلى ماتريد ، ولم يجد سبيلاً إلى مرادها سوى أخذ الإذن والرخصة من صاحب الرسالة ﷺ .

فجاءه مستأذناً عالماً بالتحرير قطعاً ؛ وإنما يطلب إذناً خاصاً من المعلم الأول وهو يرى أنه ليس على وجه البساطة إنسانٌ يلاقي من العنت ولهمب الشوق مايعاني ، فقال لها في صراحة وجرأة (يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِي الزِّيَّا) هكذا قالها بغير مقدمات ولا شفيع!!

موقف الصحابة من الطالب وما طلب: الصحابة ينظرون إليه ويسمعون مطلبه فيجزرونـه (مهـ مـهـ) ، أـتـطـلـبـ الإـذـنـ في النزول من رجل العلوـ ، أـتـطـلـبـ الإـجـازـةـ فيـ الـخـبـثـ منـ رـجـلـ الـطـهـرـ ، فـلـمـ زـجـرـوـهـ حالـ دونـهـ المـعـلـمـ الـهـادـيـ ، صـلـىـ اللـهـ عـلـيـكـ ياـ أـحـسـنـ الـمـعـلـمـينـ ، وـصـفـوـةـ الـمـرـبـيـنـ وـسـلـمـ تـسـلـيـمـاـ كـثـيرـاـ، بلـ طـلـبـ مـنـهـ الـقـرـبـ مـنـهـ ﷺـ ثمـ بدـأـ معـهـ الـحـوـارـ النـبـويـ.

والمتأنل في هذا الموقف النبوى يجد أن من أهم الأدوار المستنبطة لدور المعلم في تقويم السلوك ما يلي:

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

1- الحوار التربوي:

إذ أن الدور الأسمى الذي يأخذه المعلم عند معالجته لأي مشكلة سلوكية، هو مبدأ الحوار على أساس نبوي ، وللحوار عدة تعريفات بعضها مجمل وبعضها مفصل ؛ ومن هذه التعريفات: "أن يتناول الحديث طفان أو أكثر، عن طريق السؤال والجواب، بشرط وحدة الموضوع أو الهدف، فيتبادلان النقاش حول أمر معين، وقد يصلان إلى نتيجة، وقد لا يقنع أحدهما الآخر"(النحلاوي ، 1424، 33)، ومن أشملها تعريف زمزمي (2003، 22)ن الحوار" مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين، بطريقة متكافئة فل يستأثر أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب".

ولقد استخدم الرسول ﷺ أسلوب الحوار في تربيته لأصحابه عن طريق السؤال والمناقشة، يقول النحلاوي(2003، 72): "كان رسول الله ﷺ حريصاً على تعليم الصحابة بطريق الحوار، وكانت رغبته أشد في أن يكون الصحابة هم البادئون بالسؤال".

ولقد تعددت أشكال الحوار النبوي، ومن هذه الأشكال التي استخدمها النبي ﷺ في معالجة أخطاء أصحابه رضوان الله عليهم، وهذا الحوار "يقوم على سؤال المتعلم أو المخاطب عما يعرفه بالحس والبداهة، ثم يبني السائل على الجواب ما يريد بناءه من استجواب آخر، حتى يصل على الإقناع بكل ما يريد تعليمه إيه أو إقناعه به"(النحلاوي ، 2003 ، 77).

ومن خلال تحليل الموقف النبوي ، وتأمل حديث أبي أمامة وحوار النبي ﷺ مع الشاب يمكن ملاحظة الأدوار الآتية أيضاً:

2- تقبل النبي ﷺ للشاب كما هو ، فيما عنقه ولا وبخه ، بل إنه زجر من صاح به من الصحابة، إذ قال لهم النبي ﷺ (مه مه)، ويعيد التقبل من أهم مبادئ عمل المعلم ، وبدونه لا يمكن لعملية العلاج أن تتم ، ولا يمكن لأبعاد المشكلة أن تظهر.

3- ضبط النفس وبعد عن الغضب: مع قبح تلك المسألة ، وأنه يطلب الإذن بانتهاك محارم الله ؛ إلا أن رسول الله لم يغضب ، لمعرفته بما وقر في قلب ذلك الشاب ، وإلا ما كان ليستأذن لولا إيمان في قلبه . وعلى المعلم عند محاولته لمعالجة أخطاء الطلاب ، أن يضبط نفسه وأن يتعد عن الغضب كيلا يحول الغضب سلوك تعامله مع طالب العلاج ، نحو طريق مسدود، يقول ابن قدامة-رحمه الله-: "واعلم أنه من قويت نار الغضب والتثبت، أعمت صاحبها وأصمته ؛ لأن الغضب يرتفع إلى الدماغ ، فيعطي معادن الفكر ، وربما تدعى إلى معادن الحس ، فتظلم عينه حتى لا يرى بها ، وتسود الدنيا في وجهه."(1413 ، 110)

4- أكرمه النبي ﷺ بأمرین : إكرامه بالطعام وتقديم الضيافة له على قبح طلبه وشين مسألته فقال ﷺ (أَئْرُوهُ) ؛ وإكرامه بتقريبه ﷺ من مجلسه ، وإنائه له بجواره مع طلبه الفاحش بالإذن بالرنا فقال ﷺ (وَادْنُه)

9-8 نوفي بزار، جمهورية صربيا

5- إشعاره بأهميته وذلك متمثل في إعراض النبي ﷺ عن غيره ، والتوجه نحو الشاب بكل كليته ، وتوجيهه .

6- الرفق بالشاب ، مع غلظة سؤاله ، ونکير مسأله ، فالرفق والرحمة صفتان لا زمان للمرشد الطلابي ، قبل أن تكون أدواراً يقتضي حاله سلوكها والتتمثل بها ، فهاتان الصفتان تقتضي إيصال النفع للطالب ، والحرص على تقويم سلوكه ، وتعديل مساره، فقدوته في ذلك نبينا ﷺ في تعامله مع الشاب، ومن قبل ذلك الموقف ؛ فإن رب العز والجلال زakah بقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} سورة الأنبياء 107: قال الطبرى فى تفسيره (335/18 ، 2004) عنى بالرحمة هنا جميع العالم المؤمن والكافر .

7- الدنو الجسدي دليل على القرب النفسي: طلب النبي ﷺ من الشاب أن يقترب منه ، بل أدنى منه كما مرّ معنا في إكرامه له ، وفي هذه اللفته ، تتبين معاني الحب له ، وشديد الحرص عليه ، ومؤانسته بعد ضجة الصحابة به ، ورفع منزلته بالقرب منه مع وجود منه أفضل منه من الصحابة ؛ وهذا من أهم أدوار المعلم عند معالجته للأخطاء السلوكية وهو القرب من الطالب جسداً وفكراً ، فلا يصلح العلاج من أبراج عاجية .

8- الإصغاء الجيد: وذلك متمثل كما ذكر خضر الخالدي (96 ، 2014) في شباباً الحوار واستماعه له ﷺ منذ لحظة دخوله إلى انتهاء الحوار النبوى معه ، وهذا مطلب هام في الحياة ، ودور أهم للمعلم يتمثل في حسن الإنصات والاستماع للطالب ، وترك الحرية لسانه ليطلق كوامن مشاكله .

9- الإقناع العقلى: ويعتبر الإقناع من أهم أساليب التربية الإسلامية، وهو من الأساليب التي وردت في القرآن الكريم والسنة المطهرة. يقول مرسى (46 ، 2003) هو "من الأساليب التي تقوم عليها التربية الإسلامية في توجيه ذ4 نحو الحق والخير ... عن طريق العقل والمنطق"؛ ولذا يتضح لنا جلياً أهمية الإقناع العقلى من خلال هذا الموقف النبوى مع الشاب، وكيف حاوره النبي ﷺ حتى اقتنع ، وبعد أن مهد ﷺ - كما سبق في مبحث الحوار - لقاعدة يمكن من خلالها إقناع الشاب ، بدأ بسؤال مثير للانتباھ ، وموظف للحواس في أعلى مستوياتها :فيأتي جواب الشاب سريعاً وحاسماً ومشفوعاً بالقسم بالله العظيم: (لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ) متبعاً بإعلان محبة (جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَّاَكَ).

والشكل (1-1) يوضح الأدوار التربوية للمعلم في ضوء موقف النبي ﷺ وحواره مع الشاب الذي طلب الإذن بالزنا:



ومن أهم ما يجب على المعلم في ضوء خطوات الإقناع ما يلي:

- الاستعانة بالله عز وجل.
- تحديد الهدف من الخطأ المراد علاجه.
- التركيز على القضية أثناء محادثة الطالب.
- إثارة النفس والعقل تجاه القضية المراد علاجها.
- إعمال العواطف وتحريكها عند معالجة الأخطاء الجنسية.
- مخاطبة صاحب المشكلة على قدر عقليته.
- التأكيد على القضية من أكثر من جهة.
- الدعاء أولاًً وآخرأً.

الخاتمة:

أهم النتائج والتوصيات والمقترنات:

أهم النتائج:

- الحوار أسلوب ناجع لعلاج كثير من المشكلات السلوكية.
- الإقناع العقلي لا بد منه لعلاج الأخطاء السلوكية المتعلقة بالشهوات والشبهات.
- التقبل للمتربي والرفق به سبيل جيد لاحتوائه، وطريق نافع لأن يتقبل النصح والوعظ.
- أعظم وسائل العلاج للأخطاء السلوكية ربط المتربي بريه.

- إثارة العواطف مناسب استخدامها عند الإقناع العقلي.

الوصيّات:

- على المعلم الارتباط بريه، واللجوء له قبل الخوض في حل الأخطاء السلوكية.
- على المعلم استعمال أدبيات الحوار كما استعملها النبي ﷺ.
- يجب على المعلم إعطاء فرصة للطالب أثناء الحوار.
- الإقناع العقلي يحتاج لقدرة فائقة من المعلم ، وتمهيد أرضية مشتركة للإقناع
- مبدأ التقبل للطالب مبدأ هام في عمل المعلم، يجب عليه عدم الاستغناء عنه.

المقتراحات:

- عمل دراسة حول دور المعلم في معالجة الأخطاء السلوكية لعدد من الانحرافات الأخلاقية والسلوكية في العهد النبوى، وذلك من أجل أن يكون الاستقصاء شاملًا ووافياً.
- عقد دورات للمرشد الطلابي حول دوره في ضوء بعض المواقف النبوية

وصلى الله وسلام على نبينا وعلى آلـه وصحبه وسلام تسلیمًا كثیراً

قائمة المصادر والمراجع:

- أبو جعفر الطبرى ، جامع البيان فى تأویل القرآن ، تحقيق أحمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت الإمام أحمد ، مسنـد الإمام أـحمد ، تخـریج شـعيب الأرنـاؤـوط ، دار الرسـالـة ، بيـرـوـت ، 1424هـ
- الراغب الأصفهانـي: المفردـات في غـرـبـ القرآنـ ، دارـ المـعـرـفـةـ ، بيـرـوـتـ ، 1426هـ
- الطـبرـانـىـ ، المعـجمـ الـكـبـيرـ ، تـحـقـيقـ التـرـكـىـ ، دارـ الرـسـالـةـ ، بيـرـوـتـ ، 1412هـ
- إـبرـاهـيمـ مـصـطـفىـ وـآخـرـونـ ، المعـجمـ الـوـسـيـطـ ، دارـ إـحـيـاءـ التـرـاثـ الـعـرـبـىـ ، بيـرـوـتـ ، (دـ. تـ)
- إـيمـانـ عـبـدـ المؤـمنـ سـعـدـ الدـينـ ، الـأـخـلـاقـ فـيـ الإـسـلـامـ الـنـظـرـيـ وـالـتـطـبـيقـ ، طـ 4ـ ، 1428هـ ، مـكـتـبةـ الرـشـدـ ، الـرـيـاضـ
- أـحمدـ بنـ قـدـامـةـ ، مـخـتـصـرـ مـنهـاجـ الـقاـصـدـيـنـ ، الـمـكـتـبـةـ الـتـجـارـيـةـ ، مـكـةـ الـمـكـرـمـةـ ، 1413هـ
- أـسـامـةـ طـهـ حـمـودـةـ ، سـلـوكـيـاتـ مـرـفـوضـةـ ، 1422هـ ، دـارـ الـيـقـيـنـ ، الـمـنـصـورـةـ ، مـصـرـ
- دـبـورـ وـآخـرـونـ ، الإـرـشـادـ الـمـدـرـسـيـ بـيـنـ الـنـظـرـيـ وـالـتـطـبـيقـ ، دـارـ السـلـامـ ، 2007مـ ،
- سـلـیـمـانـ قـیـمـانـ ، أـسـرـارـ الـحـوـارـ وـالـإـقـنـاعـ ، مـرـكـزـ الـمـلـكـ عـبـدـالـعـزـیـزـ لـلـحـوـارـ الـوـطـنـیـ ، 1432هـ

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

سيد مرسي، أزمة الهوية في المراهقة وال الحاجة للإرشاد النفسي، مكتبة النهضة المصرية 1977م

عبد الرحمن التحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر ، بيروت ،

عبد الرحمن الوافي، قاموس مصطلحات علم النفس، د. ت، دار الرسالة، الجزائر

عبد الرحمن بن أحمد علوش، فقه التعامل مع الأخطاء على ضوء السلف، ، ، دار الأندلس الخضراء ، السعودية ،

عبد الرحمن صالح ، وحلمي فودة ، المرشد في كتابة الأبحاث ، دار الشروق جدة ، 1412هـ

علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1411هـ

فهد بن ناصر العبدودي، الحوار منهج وسلوك، ، دار أطلس الخضراء، السعودية ، 1426هـ

محروس الشناوي، نظريات الإرشاد والعلاج النفسي ، دار غريب للطباعة والنشر ، مصر ، 1980م

محمد الرازي ، مختار الصحاح ، دار السلام ، مصر ، 1421هـ .

محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، الدار المصرية للطباعة والنشر، 1975م

محمد بن شاكر الشريف ، نحو تربية إسلامية راشدة من الطفولة حتى البلوغ ، سلسلة تصدر عن مجلة البيان ،

محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، 1424هـ

محمد جمل الليل ، أساسيات في الإرشاد النفسي، مكتبة خوارزم العلمية ، ط1، السعودية ، 2010م

محمد ناصر الدين الألباني : خطبة الحاجة ، الطبعة الرابعة ، المكتب الإسلامي بدمشق

محمد ناصر الدين الألباني ، السلسلة الصحيحة ، دار الفكر ، الأردن ، 1422هـ

مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم ، عناية صالح آل الشيخ ، دار الفكر ، بيروت ، 1422هـ

مطلق العتيبي ، إسهام المعلم في معالجة المخالفات السلوكية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ، قسم

نور الدين الهيثمي ، مجمع الزوائد ، دار الفكر، بيروت ، 1411هـ

واضحة السويدي، تنمية القيم الخاصة بمادة التربية الإسلامية، دار الثقافة بقطر، 1409هـ

يعيي بن محمد حسن زمزمي: الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، دار المعالي، عمان، 1422هـ

الموقع الإلكترونية:

[منتدى الإرشاد النفسي / http://khmubarakedu.maktoobblog.com/](http://khmubarakedu.maktoobblog.com/)

القيم والمبادئ الحوارية من خلال حوارات إبراهيم عليه السلام العائلية في القرآن

ذ. خيرة شويبة

طالبة دكتوراه بجامعة الوادي، معهد العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين / الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين الذي جعل لنا القرآن نوراً ومنهاجاً للسعادة في الدارين،
والصلة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين وحامل الرسالة للناس أجمعين محمد وآلـه وصحبه ومن تبعه بإحسان
إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الإنسان يعتبر اجتماعياً بطبيعة، فلا يمكنه أن يعيش منعزلاً عن العالم حوله، ولذلك جعل له المولى عز
وجل الحواس ليكتشفه بها، ول以此 بواسطتها بغيره، فكان الكلام وسيلة منها بحيث يخاطب من خلاله معهم،
ويعبر عن آراءه، وأفكاره وقد قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَّقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: 13) فلا يكون هذا
التعارف وتبادل الأفكار والثقافات والخبرات بين البشر إلا بالحوار، الذي بات عنصراً مهماً جداً في بناء مجتمعات
حضارية متقدمة كل أمورهم مبنية على التحاور والتفاهم، لا على الغلبة والسيطرة وفرض الرأي على الآخرين.
والمتأمل في أحوالنا اليوم وما تعانيه المجتمعات من مشاكل اجتماعية وسياسية واقتصادية يقف على حقيقة مفادها
غياب الحوار البناء. وهذا ليس على مستوى المجتمع وحسب، بل حتى في نواته التي مرت بها المشاكل وفرق بين
أهلها في كثير من الأحيان غياب الحوار أو الحوار غير المتوازن، والمخالف لأصوله وآدابه.

ولهذا أرادنا التعرف على التوجيه القرآني والمنهج الرياني للحوار، وخاصة الحوارات العائلية، واستخلاص ما فيها من
 عبر ودلائل، فجاءت الدراسة بعنوان: **القيم والمبادئ الحوارية من خلال حوارات إبراهيم عليه السلام العائلية**
في القرآن الكريم، في محاولة منّا الإجابة عن الإشكال الآتي:

- ما هي الأصول والمبادئ التي بنيت عليها الحوارات العائلية في القرآن الكريم؟

- ما هي الآداب والقيم التي جاء القرآن العزيز يرسخها في الحوارات العائلية؟

ونسعى بهذه الدراسة إعطاء أنموذجًا يحتدأ به في الحوارات العائلية، وهو سيدنا إبراهيم عليه السلام،
وذلك بإبراز الأصول التي يقوم عليها الحوار العائلي، مع ملاحظة الآداب التي يجب التحليل بها أثناء الحوار حتى
يكون بناءً، وفعلاً، وذا نتيجة، وقد كان الأنماذج على أعلى درجات القدوة، وخاصة وأننا مأمورون بالعمل بما في
القرآن الكريم، وكذا الاقتداء بالأئباء والرسل.

وستتبع في هذه الدراسة المنهجين الاستقرائي، والتحليلي، وذلك بالاطلاع على تفسير الآيات التي هي محل الدراسة في العديد من التفاسير على اختلاف اتجاهاتها، وكذا الاطلاع على عدد من الكتب المؤلفة في الحوار، وستكون خطة الدراسة كالتالي:

مقدمة

1- المبحث الأول: تعريف الحوار.

2- المبحث الثاني: أصول الحوار من خلال الآيات المدروسة.

3- المبحث الثالث: آداب الحوار من خلال الآيات المدروسة.

وخاتمة فيها: أهم النتائج.

الآيات القرآنية التي هي بقصد الدراسة:

قال تعالى: ﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِيقًا نَبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيئًا (42) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّعِنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِرَحْمَنِ عَصِيًّا (44) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسِكَ عَذَابًا مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45) قَالَ أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لِأَرْجُمَنَكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَقِيقًا (47) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيقًا (48)﴾ (مريم: 48.41)

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعُلْ مَا تُؤْمِنُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصفات: 102)

المبحث الأول: تعريف الحوار

المطلب الأول: الحوار لغة

المحور: الرجوع عن الشيء، وإلى الشيء، حار إلى الشيء وعنه حواراً، ومحاراً، ومحارة، ومحوراً: أي رجع عنه، وإليه، وتقول: كلمته فما أحار إلى جواباً، وما رجع إلى حويراً، ولا حويرة، ولا حواراً، ولا حوراً، ولا محاورة، ولا محوراً، بضم الحاء بوزن مشهورة، أي ما ردّ جواباً، وأحار عليه جوابه ردّه. وأحرت له جواباً، وما أحار بكلمة. والاسم من المحاورة، المحوير تقول: سمعت حويرهما، وحوارهما، والمحاورة: المحاوبة، والتحاور التجاوب⁽¹⁾.

وتحاوروا ترجعوا الكلام بينهم، والمحاورة، والمُحَوْرَة، والمُحَوْرَة: الجواب ومراجعة النطق⁽²⁾.

والمحاورة، وال الحوار: المراد في الكلام، ومنه التحاور⁽¹⁾.

⁽¹⁾ لسان العرب: ابن منظور، دار المعارف، القاهرة، (د، ط)، (د، ت)، 1042، 1043/13.

⁽²⁾ القاموس المحيط: الفيروز آبادي، دار العلم للجميع، بيروت، (د، ط)، (د، ت)، 2/15.

المطلب الثاني: الحوار اصطلاحا

عُرف الحوار بعدة تعريفات منها:

- الحوار: هو الكلام وتبادل الرأي من أجل الوصول إلى معرفة الحقيقة، وال الحوار ليس بمعنى المkalمة والقول فقط، بل فيهما معنى الاستمرار أو التكرار والمراجعة وإرادة الإقناع وإثبات الكيان⁽²⁾.
- الحوار: مراجعة الكلام والحديث بين طفين أو أكثر دون أن يكون بينهما ما يدل بالضرورة على الخصومة، بهدف الانتقال من تصور إلى تصور، ومن قول إلى قول وصولاً إلى التصورات الشاملة والمبادئ العليا⁽³⁾.
- الحوار: محادثة بين شخصين، أو طفين حول موضوع محدد، لكل منهما وجهة نظر خاصة، هدفها الوصول إلى الحقيقة، ولو ظهرت على يد الآخر⁽⁴⁾.
- الحوار: هو تجاوب ومراجعة بين طفين أو أكثر، أي كان عددهم أو نوعهم، حول موضوع يهم كلا الطفين أو أحدهما، وبأي وسيلة من وسائل الاتصال المناسبة لأطراف الحوار وظروفه، بهدف الإقناع أو تقرب وجهات النظر⁽⁵⁾.

والتعريف الأخير هو المختار، لظهور المعنى اللغوي للحوار فيه، وهو أكثر ضبطاً وأدق.

وهذا الأخير هو تعريف للحوار بصفة عامة، وإذا ما أردنا تعريفاً للحوار العائلي، أو الأسري فيمكننا القول: هو التجاوب والمراجعة بين فردين أو أكثر من الأسرة الواحدة بتبادل الأفكار والآراء حول موضوع يهم الأسرة الأساسية أو أحد أفرادها بغية الوصول إلى تقارب وجهات النظر، أو الإقناع، أو اتخاذ قرار.

المطلب الثالث: الحوار في القرآن الكريم

لفظ الحوار والمحاورة بهذا المعنى لم ترد في القرآن الكريم إلا في ثلات مواضع⁽⁶⁾ مرتين في سورة الكهف والثالثة في مطلع سورة المجادلة، وهي كالتالي:

- قال تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثُرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفْرًا﴾ (الكهف: 34)

⁽¹⁾ مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، ط5، 1433هـ/2011م، ص262

⁽²⁾ مفهوم الحوار في القرآن الكريم وانعكاساته التربوية: محمد عدنان علي القضاة، إ: حسن أحمد الحياري، جامعة اليرموك، الأردن، 1423هـ/2003م، ص13

⁽³⁾ منهجة الحوار في القرآن الكريم: محمد عبد اللطيف، عن مجلة الشريعة والقانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة، ع: 35، 1429هـ/2008م، ص184

⁽⁴⁾ الحوار والمناظرة في الإسلام: إبراهيم بن عبد الكريم السنيدى، مجلة جامعة أم القرى، ع: 46، 1430هـ ، ص21

⁽⁵⁾ حوار الآباء مع الأبناء في القرآن الكريم وتطبيقاته التربوية: سارة بنت هليل، إ: السعيد محمود السعيد عثمان، جامعة أم القرى، 1428هـ/2009م، ص57

⁽⁶⁾ المعجم المفهوس لأنفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، القاهرة، (د،ط)، 1364هـ، ص220

8-9 أبريل 2019 -نوفي بزار، جمهورية صربيا

(وهو يحاوره) أي يجادله ويخاصمه ويفتخر وبترأس⁽¹⁾، والجملة في موضع الحال من القائل أي يراجعه الكلام في إنكاره البعض وإشراكه بالله تعالى، وجوز أن تكون الجملة حالاً من صاحبه فضمير هو عائد عليه، وضمير صاحبه عائد على القائل أي: والصاحب المؤمن يراجع بالوعظ والدعوة إلى الله عز وجل ذلك الكافر القائل له (أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً)⁽²⁾، أي: قال لصاحب المؤمن حين حاوره وراجعي الحديث مذكراً له بالإيمان بالله والبعث والقيمة⁽³⁾.

- قال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقْتَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾ (الكهف: 37)

أي يقول تعالى ذكره: قال لصاحب الجنين صاحبه الذي هو أقل منه مالاً وولداً وهو يخاطبه، ويكلمه أكفرت بالذي خلقك من تراب⁽⁴⁾.

فالمولى عز وجل يخبر عما أجاب به صاحبه المؤمن واعطا عما هو فيه من الكفر⁽⁵⁾، "وقفه على جهة التوبیخ على الكفر وقرأ أبی بن كعب⁽⁶⁾ (وهو يخاصمه)⁽⁷⁾.

- قال تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجَهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾ (المجادلة: 01)

جاء في المحرر الوجيز أن "في مصحف عبد الله بن مسعود⁽⁸⁾ (تحاورك في زوجها)، والمحاورة مراجعة القول، ومعاطاته"⁽⁹⁾. أي ترافق الكلام في شأنه، وفيما صدر عنه في حقها من الظهور، (والله يسمع تحاوركم) والتحاور المراد في الكلام، وجوز أن يراد به الكلام المردد⁽¹⁰⁾.

⁽¹⁾ تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ت: مصطفى السيد محمد وآخرون، مؤسسة قرطبة، حجية، ط1، 1421هـ/2000م، 9/136.

⁽²⁾ روح المعاني: الألوسي، دار إحياء التراث العربي وإدارة الطباعة المنيرية، بيروت، ط2، (د، ت)، 15/275.

⁽³⁾ تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي، مطبعة مصطفى الباعي الحلبي، مصر، ط1، 1365هـ/1946م، 15/149.

⁽⁴⁾ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ابن جرير الطبرى، ت: عبد الله التركى، هجر للطباعة، ط1، 1422هـ/2001م، 15/149.

⁽⁵⁾ تفسير القرآن العظيم: 9/137.

⁽⁶⁾ أبي بن كعب بن قيس بن عبيد، شهد العقبة الثانية، وبایع النبي صلی الله علیه وسلم فیها، ثم شهد بدرا، وكان أحد فقهاء الصحابة، وأقرأهم لكتاب الله، واختلف في وفاته بين خلافة عمر رضي الله عنه، وخلافة عثمان رضي الله عنه، والأكثر على أنه مات في خلافة عمر، قيل سنة 19هـ، وقيل سنة 20هـ، وسنة 22هـ. ينظر في الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البر، دار الأعلام، (د، م)، ط1، 1423هـ/2002م، ص44.42.

⁽⁷⁾ المحرر الوجيز: ابن عطية، ت: عبد السلام عبد الشافى محمد، دار الكتب العلمية، (د، م)، ط1، 1422هـ/2001م، 3/517.

⁽⁸⁾ عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب، كان يعرف في الصحابة بصاحب السواد والسواك، وهاجر الهجرتين جميعاً، الأولى إلى أرض الحبشة، والهجرة الثانية من مكة إلى المدينة، فصلى القبلتين، وشهد بدرا والحدبية، مات بالمدينة سنة 32هـ، ودفن بالبقع، وصلى عليه عثمان، وقيل: بل صلى عليه الزبير، وكان يوم توفي ابن بضع وستين سنة. ينظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ص407.411.

⁽⁹⁾ المحرر الوجيز: 5/273.

⁽¹⁰⁾ روح المعاني: 3/28، 2.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بزار، جمهورية صربيا

- فيستفاد من تفسير الآيات: أن الحوار يأتي بمعنى المجادلة إلا أنه أوسع منه، باعتبار تضمن الكلمة الجدل معنى الصراع، بينما نجد الكلمة الحوار تتسع له، ولغيره مما يراد منه إيضاح الفكرة⁽¹⁾، وذلك لما جاء من تفسير آية الكهف بالمخاخصة، والمجادلة، وما جاء في القراءة الشاذة لآية المجادلة (تحاورك) بدل (تجادلك).

كما أكدت ما تقرر من تعريف للحوار لغة من حيث كونه مراجعة الكلام، ويؤكد هذا كذلك ما ورد من آثار في سبب نزول الآية، وفي مجادلة الرسول صلى الله عليه وسلم في زوجها الذي ظاهر منها وتشتكي إلى الله، حيث أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم وعائشة⁽²⁾ تغسل شق رأسه، فقالت: يا رسول الله، طالت صحبي مع زوجي، ونفضت له بطني، وظاهر مني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "حرمت عليه". فقالت: أشكو إلى الله فاقتني، ثم قالت: يا رسول الله طالت صحبي، ونفضت له بطني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "حرمت عليه". فجعل إذا قال لها "حرمت عليه" هتفت وقالت: أشكو إلى الله فاقتني، فنزل الوحي وقد قامت عائشة⁽³⁾ تغسل شق رأسه الآخر، فأوْمأت إليها عائشة أن اسكنتي، قالت: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السبات، فلما قُضي الوحي قال: "ادع زوجك"، فتلها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركم) إلى قوله (والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا...) الحديث⁽³⁾.

وكذلك من تعريف الحوار اصطلاحاً وأنه يكون بين طرفين أيًّا كان عددهم وأنواعهم ومتزلمهم حول موضوع يهم الطرفين أو أحدهما وبأي وسيلة من وسائل الاتصال المناسبة.

والقرآن الكريم رغم قلة ورود لفظة "الحوار" فيه إلا أنه استعمل مادة (قول) عوضاً عن الحوار بما يزيد عن ألف وسبعمائة مرة⁽⁴⁾.

وقد حفل القرآن الكريم بالعديد من المواقف الحوارية التي بمعنى المراجعة، حيث بلغت قرابة مائة وعشرين موقفاً حوارياً، شغلت نحو ألف آية من كتاب الله، أي ما يعادل سدس آي القرآن، هذا سوى الآيات الخطابية المصدرة بـ (يا أيها الناس) وـ (يا أهل الكتاب) وـ (يا أيها الذين آمنوا)، وسوى آيات المسائلة، والمحاجة التي لا يعقبها

(1) الحوار في القرآن: محمد حسين فضل الله، دار الملاك، بيروت، ط5، 1417هـ/1996م، ص52.

(2) عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق بن أبي قحافة، أمها أم رمان بنت عامر، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، وهي بنت 6 سنين، وقيل بنت 7 سنين، وابتلى بها بالمدينة وهي بنت 9 سنوات، ولم يتزوج بکرا غيرها، وهي من رواة الحديث، وقد نزل القرآن ببراءتها في حادثة الإفك، توفيت سنة 57هـ، وقيل سنة 58هـ، ليلة الثلاثاء 17 ليلة خلت من رمضان. ينظر الاستيعاب في أسماء الأصحاب: 545/2.

(3) ينظر في المحرر في أسباب نزول القرآن: خالد بن سليمان المزيني، دار ابن الجوزي، السعودية، 1427هـ، ص957. وجامع البيان في تأويل آي القرآن: 446/22، 446/13، 447، 447. وتفسير القرآن العظيم: 446/13.

(4) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ص554-578.

جواب، وأيات الإخبار عن المقالات التي لا تتضمن مراجعة في الكلام وإن كانت هذه جميعاً في الواقع تحمل طبيعة الحوار، ولو جرى حسبانها لصار القرآن الكريم كتاب حوار⁽¹⁾.

وقد كانت الحوارات في القرآن الكريم متنوعة، من ذلك ما كان بين المولى عز وجل وملائكته، وبينه سبحانه تعالى وأنبيائه عليهم السلام، وحتى ما كان بينه تعالى والشيطان الرجيم، وفي هذا حيث لنا على التحاور مهما كانت الفروق بين المتحاورين واختلاف آرائهم ومللهم.

وكذلك نجد حوار الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم في دعوتهم للحق المبين مع تحملهم وصبرهم في حواراتهم معهم، وكذا تسلحهم بالحجج، وقدرتهم على الإقناع وكذا ما كان بينهم وعوائلهم.

والقصص القرآني عن الأنبياء وأقوامهم هي في الحقيقة حوارات أنموذجية للمسلم الداعية في كل زمان ومكان ليتعلم منها كيف يحاور الآخرين⁽²⁾.

والقرآن الكريم فيه نماذج للحوار العائلي، وهي متنوعة، ومناسبة لكل نمط أسري يمكن أن يوجد، وكان الحوار فيها يستخدم للتتفاهم بين أفراد الأسرة⁽³⁾.

ومن حوارات القرآن الكريم حوارات جرت بين أنماط من الناس مثل ما كان بين بلقيس وحشمها، وحوار المؤمن مع فرعون وملئته، ناهيك عن الحوارات التي هي كائنة في اليوم الآخر.

وكل هذا يؤكد أن الحوار في المنظور القرآني هو الأصل الذي يجب أن يتخلل كل العلاقات، لأن القرآن الكريم يريد للإنسان أن يحصل على القناعة الذاتية المرتكز على الحجة، والبرهان في إطار الحوار الهادئ العميق، ويجعل ذلك بديلاً للمقارعة بالحديد والنار، تلك المقارعة التي تُسحق فيها الطاقات، وتهدّر فيها الإمكانيات⁽⁴⁾.

ولقد تنبأ القرآن عن أن يقول أي شيء غير ذي بال، أو يساق لأي غرض يخالف الأخلاق، بل هو مملوء بالعبر والمواعظ التي تقترن بالغرض لذا كان حواره تعليمياً، فالحوار القرآني حوار من نوع خاص، صاغه المولى عز وجل ليكون مثلاً للناس⁽⁵⁾.

وقد كان الحوار في القرآن الكريم بأساليب مختلفة متعددة، ففي بعض الآيات تظهر الدعوة إلى الحوار، أو إلى شيء من مستلزماته وأصوله، وفي نصوص أخرى حيث على التزام آداب عامة للحوار، وفي قسم منها بيان

⁽¹⁾ الحوار في القرآن والسنة أنسه وأهدافه:أحمد بن عبد الرحمن القاضي، بحث مقدم لمؤتمر مكة الخامس "الحوار الثقافي أهدافه و مجالاته" ، بمكة المكرمة، 1425هـ/2005م، ص 161، 162.

⁽²⁾ أهداف الحوار مع الغرب ومحاذيره: سعد بن علي الشهري، بحث مقدم لمؤتمر "العالم الإسلامي والغرب الحواجز والجسور"، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، 1427هـ/2006م، ص 08.

⁽³⁾ ينظر: أسلوب الحوار في القرآن الكريم: عبد الله الجيوسي، عن المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، ع:2، 1427هـ/2006م، ص 8.

⁽⁴⁾ منهجية الحوار في القرآن الكريم: ص 185.

⁽⁵⁾ الحوار في الإسلام: عبد الله الموجان، مركز الكون، مكة، ط 1، 1427هـ/2006م، ص 46.

آداب خاصة من آداب الحوار⁽¹⁾. وفي هذا الصدد سنلقي الضوء على الآيات القرآنية التي وردت فيها حوارات سيدنا إبراهيم عليه السلام العائلية في محاولة منا لاستخراج ما دلت عليه من أصول وآداب للحوار.

المبحث الثاني: أصول الحوار العائلي من خلال الآيات:

الأصل أسطل كل شيء، وجمعه أصول⁽²⁾، فيقال: قعد في أصل الجبل، وأصل الحائط، وقلع أصل الشجر، ثم كثر حتى قيل: أصل كل شيء ما استند وجود ذلك الشيء عليه⁽³⁾. والأصل هو ما يبني عليه غيره⁽⁴⁾، ما يفهم منه أن فقده يؤدي إلى انعدام حقيقة الحوار حسياً، بأن لا يسوغ ابتداءً، أو لا يستمر إذا احتل أصل من الأصول، فلا يكون له ثمرة مجده، ولا نتيجة طيبة⁽⁵⁾.

ويمكن من خلال الآيات استخلاص المبادئ والأصول الآتية:

المطلب الأول: الإيمان بالله تعالى

وهو أصل لكل أمور الحياة وسبيل السعادة في الدارين، ذلك أن الأسرة المؤمن أفرادها، أكثر اتصالاً، وارتباطاً، وألفة، وتفاهمها فيما بينهم، ولما كان إبراهيم عليه السلام ووالده مختلفتين في المعتمد، لم يصل إلى نتيجة من حاورهما، وانتهى إلى ما انتهى إليه من بُعد وفراق ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيقاً﴾ (مريم:48) على غرار حوار إبراهيم وابنه عليهما السلام.

فالله تعالى اتخذ إبراهيم خليلاً، فلما سُأله ربُّه ولد، وهبه له، فتعلقت شعبه من قلبه بمحبته لولد، فأمر بذبح المحبوب ليظهر صفاء الخلّة، فامتثل أمر ربِّه، وقدم محبة الله تعالى على محبة الولد⁽⁶⁾. وكان بلاءً مبيناً فُصّد منه إظهار عزم إبراهيم عليه السلام وإثبات علوّ مرتبته في طاعة ربِّه⁽⁷⁾، كما أن الأمر كان مناماً لا يقظة حتى يكون الامتثال أظهر وأدل على كمال الانقياد والإخلاص⁽⁸⁾، وفعلاً كانت نتيجة الحوار الانقياد لأمر العزيز الحكيم وكان جواب ابنه عليه السلام: ﴿أَفْعَلْ مَا تُؤْمِنُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصفات:102)

فعدل عن أن يقول: (اذبحني) إلى (افعل ما تؤمن) للجمع بين الإذن والتعليق: أي أذنت لك أن تذبحني لأن الله أمر بذلك، ففيه تصديق أبيه، وامتثال لأمر الله فيه⁽⁹⁾.

⁽¹⁾الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: يحيى زمزمي، دار التربية والتراث، مكة، ط1، 1414هـ/1994م، ص48.

⁽²⁾ لسان العرب: 1/89

⁽³⁾ تاج العروس، محمد مرتضى، ت: علي هلالى، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1407هـ/1987م، 27/447.

⁽⁴⁾ التعريفات: محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، (د-ط)، 1985م، ص28.

⁽⁵⁾ الحوار أصوله وآدابه: موسى يحيى الفيفي، ت: عبد الغفور عبد الحق البلوشي، دار الخضيري، المدينة النبوية، (د، ط)، 1427هـ، ص121.

⁽⁶⁾ التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: نخبة من العلماء، إ: مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، ط1، 1431هـ/2011م، 6/396.

⁽⁷⁾ التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار التونسية، تونس، (د، ط)، 1984م، 23/150.

⁽⁸⁾ روح المعاني: 23/129.

⁽⁹⁾ التحرير والتنوير: 23/152.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

فالإيمان هو الذي يغير الإنسان، وينشئه نسأة جديدة، ويفجر اليانيع الكامنة في النفس إذا ذاق حلاوة الإيمان، واطمأن إلهي نفسه وتفاعل معه به حركته لأنه نور، نور في القلب، نور في الجوارح، نور في الحواس، نور يكشف حقائق الأشياء، والقيم، والأحداث، وما بينهما من ارتباطات، ونسب وأبعاد، فالمؤمن ينظر بهذا النور، نور الله تعالى فيرى الحقائق ويتعامل معها، ولا يتخطى في طريقه ولا يعثر في خطواته⁽¹⁾.

المطلب الثاني: الاحتراام المتبادل

الحوار أسلوب راقٍ للتفاهم بين الأطراف المختلفة للوصول إلى الحق، ولكي يحقق أفضل النتائج لابد فيه من الاحتراام⁽²⁾، وهو ما يظهر جلياً في الآيات، فإن إبراهيم عليه السلام علم أن طبع أهل الجهة تحقرهم الصغير كيما بلغ حاله في الحدق، وبخاصة الآباء مع أبناءهم فتوجه إلى أبيه بخطابه بوصف الأبوبة إيماءً إلى أنه مخلص له النصيحة⁽³⁾، وصدر كل نصيحة بقوله (يا أبا) توسلاً إليه، واستعطافاً، وإشعاراً بوجوب احترام الأب، وإن كان كافراً⁽⁴⁾. كما أنه قابل إساءة أبيه له بلطف وإحسان وأنهى الحوار معه بمشاركته بالسلام⁽⁵⁾. ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيَّا﴾ (مريم: 47).

لذا ينبغي في الحوار العائلي التأكيد على الاحتراام المتبادل، وإعطاء كل ذي حق حقه، والاعتراف بمنزلة الابن ومقامه، وعدم المساس بذاته عند السلوك الخاطئ مع تذكر حق البنوة من قبل الآباء لأنهم موضع القوة غالباً، فيخاطبوا أبنائهم بالعبارات اللائقة، والألقاب، والكلني المحببة، والأساليب المهدبة⁽⁶⁾. وهذا هو إبراهيم عليه السلام يخاطب ابنه بـ(يا بنى) على سبيل الترحم، فيقابله ابنه بـ(يا أبا) على سبيل التوقير والتعظيم⁽⁷⁾. فمناداة الطرف الآخر باسمه وبأحب الأسماء إليه دليل على الاحتراام والتقدير لشخصه⁽⁸⁾، أما انتقاد الابن بصورة دائمة مستمرة والتريض له أثناء كل حركة تصدر منه أو كلمة يتفوه بها، واستدعاء أخطائه السابقة، يولد لديه إحساساً بأنه مرفوض، وبصبيه بالإحباط وخيبة الأمل، وينزع منه الثقة بقدراته وإمكاناته، ويقتل روح المبادرة عنده⁽⁹⁾.

⁽¹⁾ الحكمة والحوار علاقة تبادلية: عباس محجوب، جداراً للكتاب العالمي، عمان، (د، ط)، 2006م، ص 210، 211.

⁽²⁾ الحوار في الإسلام: ص 102.

⁽³⁾ التحرير والتنوير: 16/113.

⁽⁴⁾ مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو بركات عبد الله النسفي، ت: يوسف علي بدبو، دار الكلم الطيب، (د، م)، ط 1، 1419هـ/1998م، 339/2.

⁽⁵⁾ التفسير الموضوعي: 4/452 بتصريف.

⁽⁶⁾ حوار الآباء مع الأبناء في القرآن الكريم: ص 92، 91.

⁽⁷⁾ روح المعاني: 23/129. بتصرف.

⁽⁸⁾ الحوار في القرآن الكريم: معن محمود عثمان ضمرة، إ: محمد حافظ الشريدة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2005م، ص 103.

⁽⁹⁾ حوار الآباء مع الأبناء في القرآن الكريم: ص 91.

على المحاور أن يحترم الأطراف التي يحاورها، ويمنحها حقها المستوجب لها من التقدير، والتوقير، دون تملق أو نفاق، أو كذب أو نحوه، فهذا يجعل المحاور أقدر على الإقناع، ويجعل فرصة استماع الآخرين له أفضل⁽¹⁾.

المطلب الثالث: التواضع

قال تعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يُأْتِكَ فَاتَّعِنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ (مريم: 43).

أي قال: إبراهيم عليه السلام لأبيه: يا أبا إني قد آتاني الله من العلم ما لم يؤتوك، فاقبل مني نصيحتي، أبصرك هدى الطريق المستوي الذي لا تضل فيه إن التزمته، وهو دين الله الذي لا اعوجاج فيه⁽²⁾.

فبعدما سأله إبراهيم عليه السلام أباه عن العلة في عبادة الصنم، ولا يمكن أن يجد جواباً، انتقل معه إلى إخباره بأنه قد جاءه من العلم ما لم يأته، ولم يصف أباه بالجهل إذ يعني عنه السؤال السابق، وقال: (من العلم) على سبيل التبعيض⁽³⁾، فلم يسم أباه بالجهل المفرط، ولا نفسه بالعلم الفائق، ولكنه قال: إن معي شيئاً من العلم ليس معك⁽⁴⁾، تواضعاً مع أبيه، واستمالة له إلى سبيل الرشاد.

كما يظهر تواضع إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَرِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَا أَكُونَ بِدْعَاءَ رَبِّي شَقِيًّا﴾ (مريم: 48).

فتتصدير الكلام بعسى إظهار التواضع، ومراعاة الأدب، والتنبيه على حقيقة الحق من أن الإثابة، والإجابة بطريق التفضيل منه عز وجل، لا بطريق الوجوب، وأن العبرة بالخاتمة، وذلك من الغيوب المختصة بالعلماء الخبرير⁽⁵⁾.

وكذلك تواضع ابنه عليه السلام حين قال: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات: 102) فقوله (من الصابرين) دون صابر⁽⁶⁾ وإن كانت رؤوس الآي تقتضي ذلك من التواضع ما فيه⁽⁶⁾، كما قدم المشيئة تأدباً وتواضعاً لله عز وجل، فهو لم يقل ستجدني من الصابرين، ولكنه قدم مشيئة الله سبحانه وتعالى، وهو من الأدب الجم من الابن وهو يستقبل أمر ربه لأبيه بأن يذبحه⁽⁷⁾.

فالفار والكبير ليسا من شأن أهل الإسلام⁽⁸⁾، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)⁽⁹⁾.

⁽¹⁾ الحوار وأدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: ص 265، بتصرف.

⁽²⁾ تفسير الطبرى: 550/15.

⁽³⁾ البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي: دار الفكر، بيروت، ط 1413، 1413هـ/1993م، 182/6.

⁽⁴⁾ تفسير النسفي: 388/2.

⁽⁵⁾ روح المعانى: 102/16.

⁽⁶⁾ روح المعانى: 129/23.

⁽⁷⁾ موافق إيمانية من قصة الخليل إبراهيم عليه السلام: مهاب محمد عثمان، (دفن)، (دفن)، ط 1، 2003م، ص 34.

⁽⁸⁾ أدب الحوار: سعد بن ناصر الشري، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ط 1، 1427هـ/2006م، ص 20.

⁽⁹⁾ صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الكبر وبيانه، رقم: 91، 93/1.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

فالمحاور أجد الناس بالبعد عن الكبر بشتى صوره، فإن الطرف الآخر إذا رأى منه ازدراء له، واحتقاراً بالقول، أو الفعل فإن ذلك ينفره منه، ويؤدي إلى كراهته، وكراهة ما عنده من الحق، لأن الناس جبلوا على محبة المتواضعين وكراهة المتكبرين⁽¹⁾، فعليه دائماً أن يتذكر أنه إنسان فلا يضع نفسه فوق موضعها لئلا ينزلق إلى هاوية الغرور البغيض، فتصبح جهوده غير مشمرة، وذهنه متحجرًا لا يقبل المعلومات الجديدة ويفقد بذلك ميزة الاستمتاع إلى آراء الآخرين⁽²⁾.

المطلب الرابع: الموضوعية

من كمال الموضوعية الابتعاد عن التعصب للأراء، أو للأشخاص، أو إلى غير ذلك، ولهذا لما تعصب والد إبراهيم عليه السلام لآلهته، وأشار التقليد على الاستدلال الصحيح، لم يشمر الحوار بينهما ولم يوصل إلى نتيجة. قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأُرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ (مريم: 46) فعندما دعا إبراهيم عليه السلام أباه إلى التوحيد، وذكر الدلالة على فساد عبادة الأواثان، وأردف تلك الدلالة بالوعاظ البليغ المقربون باللطف، قابله أبوه بجواب يضاد ذلك، فقابل حجته بالتقليد فإنه لم يذكر في مقابلة حجته إلا قوله: (أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم)، فأصر على ادعاء إلهيتها جهلاً وتقليداً، وقابل عظه بالسفاهة حيث هدده بالضرب والشتم، وقابل رفقه بالعنف⁽³⁾، وهذه عادة الكفار المتعصبين لأصنامهم كلما أفحموا بالحججة القاطعة لجأوا إلى استعمال القوة⁽⁴⁾، فكان جوابه بمنتهى الجفاء والعنجهية⁽⁵⁾ بعكس ما في كلام إبراهيم من اللين، والرقابة، فدل على أنه كان قاسي القلب، بعيد الفهم، شديد التصلب في الكفر⁽⁶⁾.

فالتعصب لوجهة نظر مسبقة، والتمسك بفكرة مع رفض نقضها، أو مخالفتها تبادل مع مبدأ الحوار في تبادل الأفكار، وتداول القضايا المطروحة، وسماع الرأي الآخر الذي يمكن أن يفتح عنه فكرة أو أفكار جديدة⁽⁷⁾، فلا يتعصب الإنسان إلى شخص، أو إلى رأي، بل ليبيان قوله بأوضح حجة، فلا يكون مراده تعصباً لشخص، أو انتصاراً له، في مقابلة الحق، وإنما يُعرف الحق من خلال دليله، ولا يعرف من خلال المتكلمين الذين يتكلمون⁽⁸⁾.

⁽¹⁾الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: ص 170.

⁽²⁾ المرجع نفسه: ص 174.

⁽³⁾ مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1401هـ/1981م، 228/21، بتصرف.

⁽⁴⁾ أضواء البيان في إيضاح القرآن: محمد الأمين الشنقيطي، إ: بكر عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد، (ط، ط)، (د، ت)، 361/4.

⁽⁵⁾ العنجهية: تعني الكبر والعظمة، ويقال: الجهل والحمق. ينظر لسان العرب: 2830/32.

⁽⁶⁾ التحرير والتنوير: 118/16.

⁽⁷⁾منهجية الحوار في القرآن الكريم: ص 217.

⁽⁸⁾ أدب الحوار: ص 37.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

فالمحاور الناجح شخصية سوية، لذلك فهو لا يتعصب لرأي، وإنما يبحث عن الحق ويدعو إليه ويتمسك به⁽¹⁾. وإن من الموضوعية في الحوار أن يتناول الفكرة بالبحث، والتحليل، والنقد والتقصي بعيداً عن أصحابها أو قائلها، وذلك حتى لا يتحول الحوار إلى مبارزة كلامية، طابعها الطعن والتجريح، والعدول عن مناقشة القضايا والأفكار إلى مناقشة التصرفات والشخصيات⁽²⁾، وهذا كذلك ظاهر في الآيات فقد دعا إبراهيم عليه السلام والده بكل أدب واحترام، ولم يتعرض لشخصه بتجريح أو خدش لمشاعره، بل أظهر له قبح صنيعه بالحججة القاطعة والدليل الساطع. ومن موضوعية إبراهيم عليه السلام أن أعطى الحق لابنه، واستشاره **﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾** (الصافات: 102) لأن إعطاء الطفل حقه، وقبول الحق منه، يغرس في نفسه شعوراً إيجابياً نحو الحياة، ويتعلم أن الحياةأخذ وعطاء، وإنه كذلك تدريب للطفل على الخضوع للحق، فيرى أمامه قدوة صالحة، وإن بتعوده العدل في قبول الحق، ورضوخه له، تتفتح طاقته لترسم طريقها في التعبير عن نفسه ومطالبته بحقوقه ، وعكس هذا يؤدي إلى كبتها وضمورها⁽³⁾.

المطلب الخامس: الرفق واللين والمعاملة بالحسنى

فإبراهيم عليه السلام حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطأ العظيم استعمل المجاملة، واللطف، واللين والأدب الجميل، وحسن الخلق⁽⁴⁾، فإن قوله في مقدمة كل كلام (يا أبتي) دليل على شدة الحب والرغبة في صونه من العقاب، وإرشاده إلى الصواب⁽⁵⁾، ومن تأدبه وترفقه بأبيه لم يصر له بجهله، وإنما عبر بالأسلوب الذي يحقق المطلوب دون أن يجرح مشاعر أبيه، وينفره من دعوة الحق⁽⁶⁾.

كما قابل عليه السلام غلطة وجفوة أبيه برقه وحنان ورفق ولين **﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾** (مريم: 47) فقابل الهجر والخصام باللين والسلام، ووعده بأن يستغفر له ربه الذي تعود منه الحفاوة والإكرام⁽⁷⁾، فقوله (سلام عليك) توديع ومتاركة على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة، فإن ترك الإساءة للمسيء إحسان⁽⁸⁾، وهذا من حلم إبراهيم عليه السلام إذ كانت مatarكته أباه مثوبة بالإحسان في معاملته في آخر لحظة⁽⁹⁾.

⁽¹⁾ الحوار في القرآن الكريم: ص 115.

⁽²⁾ المرجع نفسه: ص 107.

⁽³⁾ منهاج التربية النبوية للطفل: ص 98.

⁽⁴⁾ الكشف: جار الله أبو القاسم الرمخشري، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد مغوض، مكتبة العبيكان، (د،م)، ط 1، 1418هـ/1998م، 23/4.

⁽⁵⁾ مفاتيح الغيب: 21/227.

⁽⁶⁾ التفسير الموضوعي: 4/449.

⁽⁷⁾ التفسير الموضوعي: 4/450.

⁽⁸⁾ روح المعاني: 16/99.

⁽⁹⁾ التحرير والتنوير: 16/121.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

فالواجب على المحاور العاقل توطين النفس على لزوم العفو عن الناس كافة، وترك الخروج لمجازاة الإساءة، إذ لا سبب لتسكين الإساءة أحسن من الإحسان، ولا سبب لنماء الإساءة وتهييجها أشد من استعمال مثلها⁽¹⁾. ويتأكد الرفق واللين بخاصة في حوار الأبناء وتربيتهم، لأن تحcir الولد وتعنيفه بشكل مستمر دائم . ولاسيما أمام الحاضرين . هو من أكبر العوامل في ترسيخ ظاهرة الشعور بالنقص ... ومن أعظم الأسباب في انحرافات الولد النفسية والخلقية... وخير علاج لهذه الظاهرة هو تنبيه الولد على خطئه إذا أخطأ برفق ولين مع بيان الحجج التي يقتنع بها في اجتناب الخطأ⁽²⁾، وقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم على أهمية اللين والرفق فعن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه)⁽³⁾.

فالحوار الذي يقوم على التواضع والاحترام المتبادل بين الأطراف، وعلى الأسلوب المهدب الحالي من كل ما لا يليق، كانت نتائجه طيبة، وآثاره حميدة لأنه . في الأعم الأغلب- يوصل إلى الحقيقة المرجوة، وإلى الاتفاق ولو على معظم المسائل التي دار من أجلها الحوار⁽⁴⁾. فنجاح الحوار العائلي متوقف على مراعاة أصوله من توافق المعتقد وهو الإيمان بالله وحده، والاحترام، والتواضع، والموضوعية، والرفق واللين والمعاملة بالحسنى .

المبحث الثالث: آداب الحوار العائلي من خلال الآيات

الأدب: الذي يتأنب به الأديب من الناس، سمي به لأنه يأدب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح⁽⁵⁾. وهو عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ⁽⁶⁾. كما عُرف بأنه اجتماع خصال الخير في العبد⁽⁷⁾. والأداب جمع أدب وهي تدل في اللغة العربية والشريعة الإسلامية، واستخدام السلف لها على الشيء الذي يحمل بالمرء فعله أو تركه، وهذه الأداب مراعاتها من شأنه أن يضفي على الحوار الموضوعية والتوازن والاستمرار بفائدة،

⁽¹⁾الحوار في القرآن الكريم: ص 125.

⁽²⁾تربيـة الأولـاد فـي الإسـلام: عبد الله ناصـح عـلوـان، دار السـلام (د، م)، ط 1412، 21 هـ/ 1992 م، ص 210.

⁽³⁾صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل الرفق، رقم: 2594، 2004/4.

⁽⁴⁾أدب الحوار في الإسلام: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، (د، ط)، 1997 م، ص 30.

⁽⁵⁾تاج العروس: 12/2.

⁽⁶⁾التعريفات: ص 16.

⁽⁷⁾مداـرج السـالـكـين بـين منـازـل إـيـاك نـعـبد وـايـاك نـسـتـعين: ابن القـيم الحـوزـي، تـ: مـحمد المـعـتصـم بـالـلـه الـبغـادـي، دـار الـكتـاب الـعـربـي، بـيرـوت، ط 1416 هـ/ 355 م، 1996 م.

والخروج بنتيجة وثمرة⁽¹⁾. وإن فقد أدب من آداب الحوار لا يؤثر على الحوار في أصله وجوهره وإن كان قد يدخل فيه النقص والخلل⁽²⁾.

ويمكن تصنيف الآداب إلى آداب نفسية، وآداب علمية، وأخرى لفظية.

المطلب الأول: الآداب النفسية

وهي الآداب المتعلقة بنفسية المتحاورين، لأنه يمكن أن يطأ على الحوار ظروف نفسية فتخرج بالحوار العائلي عن مساره الصحيح وتتأثر سلبا عليه، لأجل ذلك يجب مراعاتها حتى يحقق الحوار غايته⁽³⁾. ويمكن استخلاص من الآيات الآداب الآتية:

الفرع الأول: الرحمة والشفقة

إن الحوار مبدأ رفيع، ووسيلة للوصول إلى غاية حميدة وهدف سام، والمحاور المسلم المخلص الصادق لا يتصور منه إلا الحرص على إظهار الحق للطرف الآخر، والشفقة عليه من البعد والضلال، والخوف عليه من أن تتفرق به السبل، ورحمته باعتباره إنسانا قامت عليه الحجة، وخاصة إن كان كافرا، فعندما تتأكد الشفقة والرحمة⁽⁴⁾.

ولهذا دعا إبراهيم عليه السلام أباه، وحاوره بكل شفقة ورحمة، فتلك المناصحات تدل على شدة تعلق قلبه بمعالجة أبيه والطماعية في هدaiته⁽⁵⁾، وصدر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله (يا أبت) توسلا إليه واستعطافا⁽⁶⁾.

وها هي الشفقة والرحمة تلف حوار إبراهيم وابنه عليهما السلام فمناداة الأب ابنه (يابني) نداء رحمة،⁽⁷⁾ وشفقة وكذلك رد ابن الحليم «يا أبتي افعل ما تؤمن ستجدني إن شاء الله من الصابرين» (الصفات: 102) فيه إغراء لأبيه عليه السلام على الصبر لما يعلم من شفنته عليه مع عظم البلاء حيث أشار إلى أن لله تعالى عبادا صابرين⁽⁸⁾. وفيه مزيد للطمأنينة في نفس الأب وأنه سيعينه على تنفيذ أمر الله لأنه مستعين بالله على الصبر وعلى طاعة أبيه⁽⁹⁾.

وإن الرحمة جسر بين المحاور والطرف الآخر، ومفتاح لقلبه وعقله وخاصة عندما يشعر بها ويلمسها، فتخرج ما في نفسه من أمراض الكبر والبطر والحقد والحسد ونحوها. فهي بذلك وسيلة لجمع القلوب وتأليف الأفenders، وكلما

⁽¹⁾ الحوار أصوله وآدابه: موسى يحيى الفيفي، ت: عبد الغفور عبد الحق البلوشي، دار الخصيري، المدينة البوية، (د، ط)، 1427هـ ، ص 127.

⁽²⁾ المرجع نفسه: ص 121. بتصرف.

⁽³⁾ الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ص 116، بتصرف.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه: ص 202.

⁽⁵⁾ البحر المحيط: 6/183.

⁽⁶⁾ الكشاف: 4/24.

⁽⁷⁾ روح المعاني: 23/129.

⁽⁸⁾ المرجع نفسه: 23/130.

⁽⁹⁾ حوار الآباء مع الأبناء: ص 136.

ظهرت الرحمة على المحاور، واتضحت معالمها، كلما انشرح صدر الطرف الآخر واقترب من محاوره فأوشك على الإذعان والإقناع⁽¹⁾.

وقد قال صلى الله عليه وسلم (جعل الله الرحمة في مائة جزء فأمسك تسعه وتسعين جزءاً وأنزل في الأرض جزءاً واحدا، فمن ذلك الجزء تراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه)⁽²⁾. فعلى المحاور أن يستقي رحمته من ربه الذي وسعت رحمته كل شيء، ويقتدي بالرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال فيه المولى عز وجل: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبية: 128).

وعلى كل حال فالرحمة أدب مهم جداً في الحوار إذ يجب على المحاور أن يسع لهداية الآخرين، واستقامتهم كما يجب عليه أن ينصح لهم ويجتهد، وأن يشفق عليهم، ويرحم فإن ذلك أدعى إلى استجابتهم وأقرب إلى نجاح الحوار⁽³⁾.

الفرع الثاني: المحبة رغم الاختلاف

فرغم اختلاف إبراهيم عليه السلام وأبوه في المعتقد إلا أن ذلك لم يمنعه من محبته وإرادة الخير له، وحرصه الشديد لهدايته، ويلمس ذلك في مناصحاته له التي كانت بكل رفق ولين وحسن خلق.

فقد ذكرت لفظة (يا أبا) على لسان إبراهيم عدة مرات لتبقى على الجو جانب العاطفة والحرص على أبيه ولو كان كافرا، فهذه اللفظة تشعر أنه يخاطب إنساناً عزيزاً عليه⁽⁴⁾، ومع ذلك قابله أبوه بحوار سلطي. وهو الحوار الذي يستخدم فيه المحاور سلطته في تهديد الطرف الآخر ويظهر فيه إلغاء كيان الطرف الآخر⁽⁵⁾. منطلاقاً من الشعور بالسلطة الأبوية التي تسمح للأب بالضغط على الابن، ليسير على خطى أبيه وتهديده بالقوة والطرد والهجران إن خالف ذلك، فلا حوار في علاقتها، إنما أمر وطاعة، فلأب أن يعلن عن رغبته وللابن أن ينفذ دون تردد أو تفكير، إنها الشريعة السائد آنذاك التي تجعل من علاقة الآباء بالأبناء علاقة تشبه العبودية⁽⁶⁾، ومع هذا لم يرد الإساءة بمثلها بل ﴿فَالَّذِي سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَعْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيَّا﴾ (مريم: 47) وفي هذا دليل على جواز مشاركة المنصوح إذا ظهر منه اللجاج⁽⁷⁾، ويجوز أن يكون دعا له بالسلامة استمالة له⁽⁸⁾، فقد حرص إبراهيم

⁽¹⁾ الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ص 207.

⁽²⁾ صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب جعل الله الرحمة مائة جزء، رقم: 6000، 8/8.

⁽³⁾ الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ص 206

⁽⁴⁾ أسلوب الحوار في القرآن الكريم، ص 19.

⁽⁵⁾ المرجع نفسه: ص 4.

⁽⁶⁾ الحوار في القرآن: ص 264

⁽⁷⁾ اللجاج والملاحة التمادي في الخصومة. ينظر لسان العرب: 3999/44

⁽⁸⁾ مفاتيح الغيب: 21/229.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

على جانب التأثير النفسي، فاستخدام أسلوب تلمس الدعاء له ليكون ضاغطاً نفسياً على أبيه لينشغل بهذا الدعاء وما يحمله من معانٍ⁽¹⁾، فبعدما ودعه بقوله (سلام عليك) ضم إلى ذلك ما دل على أنه وإن بعد عنه إشفاقه باقي عليه كما كان⁽²⁾.

فعلى المحاور دائماً أن لا يخرج من الحوار معنا الخصومة على محاوره أو موسعاً الهوة بينه وبين إخوه، مهما كلفه الأمر من الليق والتواضع وخفض الجناح⁽³⁾.

الفرع الثالث: الهدوء والثقة بالنفس

قال تعالى: «فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنْيَإِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعُلْ مَا تُؤْمِنُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ» (الصفات: 102)

في هذا الحوار القصير ييرز الحالة النفسية التي استقبل بها كل من الأب والابن أمر الله وهو التسليم والطاعة، وهو منسجم تماماً مع الهدوء في أمر الرسالة⁽⁴⁾، فإبراهيم عليه السلام لا يلبي في انزعاج، ولا يستسلم في جزع، ولا يطيع في اضطراب... كلا إنه القبول والرضى، والطمأنينة والهدوء، يبدو ذلك في كلماته لابنه وهو يعرض عليه الأمر الهائل في هدوء وفي اطمئنان عجيب، وكانت كلماته كلام الملك لأعصابه المطمئن للأمر الذي يواجهه، والواشق بأنه يؤدي واجبه، وهي في الوقت ذاته كلمات المؤمن الذي لا يهوله الأمر فيؤديه في اندفاع وعجلة ليخلص منه ويتهي، ويستريح من ثقله على أعصابه!... وهذا هو الابن البار يرتقي إلى الأفق الذي ارتقى إليه من قبل أبوه، فهو يحس ما أحسه من قبل قلب أبيه، يحس أن الرؤيا إشارة، وأن الإشارة أمر، وأنها تكفي لكي يلبي وينفذ بغير لجلجة ولا تمحل ولا ارتياح⁽⁵⁾. فكان كلامه كلام من أوتي الحلم والصبر والامتثال لأمر الله والرضى بما أمر⁽⁶⁾، فهو على غضاضة سنه وتقلبه في حد الطفولة كان فيه من رصانة الحلم، وفساحة الصدر ما جسره على احتمال تلك البلاية العظيمة، والإجابة بذلك الجواب الحكيم⁽⁷⁾، و قوله (من الصابرين) من المبالغة في اتصافه بالصبر ما ليس في الوصف بصابر لأنه يفيد أنه سيجد أنه عدد الذين اشتهروا بالصبر وعرفوا به⁽⁸⁾، وأخرج الكلام على وجه لا يشعر بوجود صابر سواه لم يتيسر له الصبر مع أنه لم يهمل أمر الاستثناء⁽⁹⁾.

⁽¹⁾ أسلوب الحوار في القرآن الكريم: ص 19، 20.

⁽²⁾ مفاتيح الغيب: 21/229.

⁽³⁾ الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: ص 248.

⁽⁴⁾ أسلوب الحوار في القرآن الكريم: ص 20.

⁽⁵⁾ في ظلال القرآن: سيد قطب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 5، 1386هـ/1967م. 23/63، 64. بتصرف.

⁽⁶⁾ البحر المحيط: 6/355.

⁽⁷⁾ الكشاف: 6/221.

⁽⁸⁾ التحرير والتنوير: 23/152.

⁽⁹⁾ روح المعاني: 23/130.

فعلى المحاور أن توحى شخصيته بالهدوء والصفاء والتوازن، وقبل الدخول في الحوار عليه أن يتأكد من قدرته على قيادة نفسه، وضبط أعصابه، إذ لا يمكن لمن لا يسيطر على نفسه أن يسيطر على الآخرين أو يخضعهم للحق الذي معه، مهما كان وائقاً من صحته وصدق أفكاره، فإنه إن لم يخضع نفسه ويمتلكها، تعذر عليه أن ينقل أفكاره إلى الغير⁽¹⁾.

المطلب الثاني: الآداب العلمية

وهي التي تتعلق بمادة الحوار الأصلية وموضوعاته الأساسية، من حيث إيراد المعلومات وترتيبها وتقريرها أو ردتها⁽²⁾.

وهذه الآداب المستنبطة من الآيات:

الفرع الأول: العلم بموضوع الحوار

العلم بموضوع الحوار من أهم أسباب نجاح الحوار، وبدونه يكون الضرر كبيراً، إذ يصبح تضييعاً للوقت والجهد⁽³⁾. والإحاطة بقضية الحوار قبل البدء فيه تضمن عدم بعثرة الأفكار وضبابيتها، وتجعل المحاور يعلم كيف يبدأ الحوار وكيف ينتهي منه في وضوح وهدوء وقوه⁽⁴⁾، وهذا ما كان من إبراهيم عليه السلام إذ كان حواره مع أبيه عن علم، علم النبوة فقوله (قد جاءني) يدل على أن هذه المحاورة بعد أن نبأ⁽⁵⁾، وقد قال تعالى: **﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾** (مريم: 41)

وللمحاور إظهار علمه وتصريحه بأنه أعلم، توثيقاً لقوله، إذا كان في ذلك مصلحة ظاهرة، شريطة ألا يؤدي ذلك إلى الكبر والغرور فإن هذا يتنافى مع الإخلاص ولا يستقيم مع العلم⁽⁶⁾، ومن ذلك قول إبراهيم عليه السلام يا أبا إني قد جاءني من العلم ما لم يأتِك فاتبعني أهديك صراطاً سوياً (مريم: 43)

فالملام المحاور بقضية الحوار يقود إلى الإيجابية والتفاهم... وهذا يقتضي ألا يباشر الإنسان حواراً في موضوع لا يملك حوله المعلومات الكافية والحقائق الثابتة، أو موضوع قد تكون معلوماته فيه ناقصة، أو أفكاره غير صحيحة⁽⁷⁾، إلا أن يكون على سبيل الاستعلام وطلب المعرفة بالمسألة مثلاً، غالباً ما تكون من الأبناء للآباء، وليس هناك فضاضة في أن يتبع الوالد ولده إذا كان الولد على علم⁽⁸⁾.

⁽¹⁾ الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: ص 259.

⁽²⁾ المرجع نفسه: ص 276.

⁽³⁾ المرجع نفسه: ص 176. بتصرف.

⁽⁴⁾ الحوار في الإسلام، ص 77.

⁽⁵⁾ المحرر الوجيز: 18/4.

⁽⁶⁾ الحوار في الإسلام: ص 78.

⁽⁷⁾ الحكمة وال الحوار علاقة تبادلية: ص 201.

⁽⁸⁾ في ظلال القرآن: 16/41. بتصرف.

الفرع الثاني: الإقناع بالدليل والتدرج في الحوار

إن ما يشد في حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه الطريقة الحكيمة التي سلكها لإقناع أبيه حيث حاكمه إلى مقدمات مسلمة وثوابت لا مجال لإنكارها، وذلك من باب النصح والإرشاد النابع من قلب صادق وعاطفة رقيقة وعقل راجح⁽¹⁾.

فقد سلك في دعوته أحسن منهاج واحتج عليه بأبدع الحجج بحسن أدب وخلق لئلا يركب متن المكابرة والعناد، ولا ينكب بالكلية في سبيل الرشاد، حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف به عقل كل عاقل من عالم وجاهل ويأبى الركون إليه فضلا عن عبادته⁽²⁾، لأن الأصل في العبادة أن يتوجه بها الإنسان إلى من هو أعلى من الإنسان، وأعلم وأقوى، وأن يرفعها إلى مقام أسمى من مقام الإنسان وأسنى، فكيف يتوجه بها إذن إلى ما هو دون الإنسان بل إلى ما هو في مرتبة أدنى من مرتبة الحيوان⁽³⁾ "فالقى إليه حجة فساد عبادته في صورة استفهام عن سبب عبادته، وعمله المخطئ، منبها على خطئه عندما يتأمل عمله، فإنه إن سمع ذلك، وحاول بيان سبب عبادة أصنامه لم يجد لنفسه مقالاً، ففطن بخطل⁽⁴⁾ رأيه وسفاهة حلمه، فإنه لو عبد حياً ممیزاً لكان له شبهة ما، وابتدا بالحججة الراجعة إلى الحس إذا قال له ﴿لَمْ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ (مريم:42) فذلك حجة محسوسة، ثم أتبعها بقوله ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾ (مريم:42)⁽⁵⁾

كما أن تفريح أمره بأن يتبعه على الإخبار بما عنده من العلم دليل على أن أحقيـة العالم بأن يتبع مركوزة في غريزة العقول، لم يزل البشر يتقصون مظان المعرفة والعلم لجلب ما ينفع واتقاء ما يضر⁽⁶⁾.

وقد تدرج إبراهيم عليه السلام في الحوار مع أبيه حيث ابتدأ بالاستفهام الإنكارـي، ثم بالتقـرير الخبرـي، ثم بالنهـي الصـريح، ثم بالترهـيب، وذلك لما يعلـمه من تشـبـيث أبيه بالـشـرك والإـصرـارـ علىـه، وـمع التـدرج يـلـمـسـ التنـوعـ فيـ الغـرضـ فـمرةـ يـكـشفـ لـهـ عنـ زـيفـ مـعـتقـدـهـ، وـأـخـرىـ يـقـرـرـ لـهـ الـعـقـيـدةـ الصـحـيـحةـ، وـثـالـثـةـ يـحـذـرـهـ مـنـ كـيدـ الشـيـطـانـ، وـرـابـعـةـ يـحـذـرـهـ مـنـ غـضـبـ الرـحـمـنـ وـعـذـابـهـ⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: 4/448.

⁽²⁾ روح المعاني: 16/97.

⁽³⁾ في ظلال القرآن: 41/16 . بتصرف.

⁽⁴⁾) الخطل: خفة وسرعة، والخاطل: الأحمق العجل. ينظر لسان العرب: 14/1202.

⁽⁵⁾ التحرير والتنوير: 16/113, 114.

⁽⁶⁾ المرجع نفسه: 115/116.

⁽⁷⁾ التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: 4/452.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

على المحاور الناجح أن يبحث عن الأدلة البرهانية، والحجج الصحيحة التي هي حقائق في ذاتها، ثم يستدل بها للإقناع، وعليه أن يختار منها ما يلائم مدارك محاوره، ومستواه العلمي وحالته النفسية فإذا احتاج إلى تبسيط الأدلة وتسييرها، بسطتها له ويسّرها، وتسلاسل معه فيها وفق النظام العقلي الذي فطر الله تعالى عقول الناس عليها⁽¹⁾. فالتدريج في الحوار، والبدء بالأمور المتفق عليها . كالمسلمات والبدويّات - يقلل الفجوة، ويوثّق الصلة بين الطرفين ويشعر كلاًّ منهما أن هوة الاختلاف ضيقة، وهذا له أثره الإيجابي ومردوده النفسي في الحوار⁽²⁾.

الفرع الثالث: الصدق

قال تعالى: ﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ (مريم: 41) أي: كان من أهل الصدق في حديثه وأخباره ومواعيده لا يكذب⁽³⁾، ووصف به إبراهيم عليهما السلام لفروض صدقه في امتحان ما يكلفه الله تعالى، لا يصدقه من ذلك ما قد يكون عذرًا للمكلّف مثل مبادرته إلى محاولة ذبح ولده حين أمره الله بذلك في وهي الرؤيا⁽⁴⁾. ووصفه عليهما السلام بالصدقية قبل وصف النبوة إشارة إلى أن الصدق سجية فيه، وأنه كسائر الأنبياء عليهم السلام عرفوا بين الناس بالصدق قبل بعثهم، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى قبل بعثه بالصادق الأمين، فاستقامة الداعية وحسن سيرته أدعى إلى قبول دعوته وثقة الناس به⁽⁵⁾.

فلا بد عند الحوار من احترام الحقيقة، والقيام بمسؤولية الكلمة، وال الحوار الهداف المبارك هو الحوار الصادق الذي يطمئن كل طرف فيه إلى الآخر، أما اللجوء إلى الغموض والمراوغة فإنه قلة في الإخلاص، وضعف في النفس، يؤدي إلى فقدان الثقة بين الطرفين ومن ثمة إلى فساد الحوار⁽⁶⁾.

والصدق مع كونه أدباً في الحوار، فهو مبدأ إسلامي رفيع وخلق نبيل لا خيار للمسلم إلا التحلّي به، ولا يليق به إلا التخلّق به، فهو من مقتضيات إخلاصه وتقواه⁽⁷⁾.

المطلب الثالث: الآداب اللفظية

وهي الآداب التي تتعلق بالألفاظ والكلمات المختارة، والعبارات المناسبة والتي تطرح، وتدور في أثناء الحوار من قبل طرفين أو أطراف الحوار⁽⁸⁾.

(1) الحوار في القرآن الكريم: ص 151 ..

(2) الحوار وآدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: ص 228.

(3) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 15 / 548.

(4) التحرير والتنوير: 16 / 112.

(5) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: 4/451.

(6) الحوار في الإسلام: ص 79.

(7) الحوار وآدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: ص 342.

(8) المرجع نفسه: ص 426.

وها هي الآداب المستخلصة من الآيات:

الفرع الأول: حسن اختيار العبارات ووضوح الكلام

إن قوة التعبير، وفصاحة اللسان والبيان وجودة العرض من عوامل نجاح الحوار، ويكون له الأثر الأكبر في إيضاح الفكرة، وقبول الطرف الآخر بها، وربما ضاع الحق لسوء التعبير، وظهور الباطل لفصاحة قائلة وبلاعنه⁽¹⁾.

والمحاور الجيد ينافق بتلطف وأناة، ويقدم لكلامه ويختمه بعبارات تذوب رقة، ولطافة، وتبلغ من الأثر في نفس السامع ما لا تبلغه الحجة الدامغة⁽²⁾، فالكلمة الطيبة تأسو⁽³⁾ جراح القلوب وتندي جفافها، وتجمعها على الود الكريم⁽⁴⁾.

وإبراهيم الشكيل في حواره مع أبيه رتب الكلام في أحسن اتساق وساقه أرشق مساق مع استعمال المجاملة، واللطف، واللين والرفق، والأدب الجميل والخلق الحسن⁽⁵⁾.

ومن حسن اختياره للعبارات التعبير بالخوف الدال علىطن، دون القطع تأدبا مع الله تعالى، بأن لا يثبت أمراً فيما هو من تصرف الله، وإبقاء للرجاء في نفس أبيه لينظر في التخلص من ذلك العذاب بالإفلان عن عبادة الأوثان⁽⁶⁾.

وقد أتى كذلك بلفظ المس الذي هو أخف من المعاقبة، ونكر العذاب، ورتب على مس العذاب ما هو أكبر منه وهو ولاية الشيطان⁽⁷⁾.

وكذلك اختياره الكلمة الاعتزال مقابل تعبير أبيه بالهجر، فالهجر أشد من الاعتزال، إذ الاعتزال يعني الابتعاد، وعدم المشاركة والموافقة في الرأي مع تكرار المحاولة إذا سُنحت الفرصة، أما الهجر فيحمل معنى القطيعة والجفاء⁽⁸⁾.

ومن العبارة المناسبة حسن المناداة للطرف الآخر، و اختيار أحب الأسماء إليه أو كنيته أو لقبه ، بحيث يشعره بالتقدير وحسن الاهتمام به، أو نحو ذلك مما يقتضيه المقام ويناسب المخاطب⁽⁹⁾، وإبراهيم الشكيل خاطب أباه بتلطف وناداه بـ (يا أبت) ونادى ابنه بـ (يابني) وكان كلامه في غاية الوضوح.

(1) الحوار وآدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: ص 325.

(2) الحوار في الإسلام: ص 106.

(3) تأسو: من أسا، والأسا: المداواة والعلاج. ينظر لسان العرب: 82/2.

(4) الحوار وآدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: ص 429.

(5) الكشاف: 23/4.

(6) التحرير والتنوير: 118/16.

(7) البحر المحيط: 183/6.

(8) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: 452/4.

(9) الحوار وآدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: ص 434.

ذلك أن الوضوح في الكلام يجعل موضوع الحوار مفهوماً ومئثراً ومقنعاً، ومن الوضوح وضوح اللغة والصوت والألفاظ، وسهولة العبارات المستخدمة، ويجب أن يراع هذا خاصية في الحوار مع الأبناء وذلك بما يوافق المرحل العمرية لهم مع استعمال وسائل إيضاح حسية تقرب المعنى لهم⁽¹⁾.

فاختيار العبارات المناسبة، وانتقاء الألفاظ اللطيفة مع لين الكلام، وطيب المقال من الأدب الرفيع الذي يطمئن خواطر الآخرين ويستل ما قد يكون في نفوسهم من عناد أو حقد أو مكابرة⁽²⁾.

الفرع الثاني: التعريض والتلميح بدل التصريح

وهو واضح ظاهر في حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ (مريم:43) فلم يسم أباه بالجهل المفرط، وإن كان في أقصاه، ولا نفسه بالعالم الفائق وإن كان كذلك، بل صور نفسه في صورة رفيق له يكون أعرف بأحوال ما سلكاه من الطريق، فاستماله برفق⁽³⁾.

وكذلك في قوله: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسِكَ عَذَابًا مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ (مريم:45) لم يصرح بأن العقاب لاحق به وأن العذاب لاصق به، بل قال ﴿أَخَافُ أَنْ يَمْسِكَ﴾ بالتنكير المشعر بالقليل كأنه قال: إنني أخاف أن يصييك نفيان - قليل . من عذاب الرحمن) وجعل ولادة الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب، كما أن رضوان الله أكبر من الصواب نفسه⁽⁴⁾.

وحيث قال: ﴿وَأَدْعُу رَبِّي عَسَى أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيقًا﴾ (مريم:48) ففي إعلانه هذا الرجاء بين ظهرانيهم، تعريض بأنهم أشقياء بدعاهم آلهتهم⁽⁵⁾.

فلفت النظر إلى الأخطاء من طرف خفي، وتجنب اللوم المباشر، وعدم تحطيم الطرف الآخر بعبارة صريحة، كل ذلك له أثره في التسلیم للحق، والرجوع عن الخطأ فالنفوس غالباً لا تتحمل أن تواجه بقوة وصرامة. وهناك من الألفاظ الموجبة، والكلمات اللطيفة والتي تؤدي الغرض نفسه، دون جرح لمشاعر الآخرين، أو إشعارهم بالذل والهزيمة⁽⁶⁾.

فالتلمين من بعيد، والتعريض بالخطأ، بدلًا عن التصريح، يجعل من الهين على الشخص الآخر أن يصحح خطأه، ويحتفظ له بكبريائه ويشيع فيه إحساساً بأهميته، ويسلس قياده، ويدفعه إلى التعاون بدلًا من أن يحفزه إلى الثورة والعناد، وهو أفضل من نقد صريح، وإصدار أوامر بوجوب الاعتراف بالأخطاء والرجوع إلى الحق⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ حوار الآباء مع الأبناء في القرآن الكريم: ص 92.

⁽²⁾ الحوار وأدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: ص 436.

⁽³⁾ روح المعاني: 97/16

⁽⁴⁾ تفسير النسفي: 339/2

⁽⁵⁾ التحرير والتنوير: 123 / 16

⁽⁶⁾ الحوار وأدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: ص 445.

⁽⁷⁾ المرجع نفسه: 451

فهذه جملة من الآداب التي على أفراد العائلة مراعاتها فيما بينهم أثناء حوارتهم.

وعلينا التأسي بسیدنا إبراهيم عليه السلام في حوارتنا، فقد قال تعالى: ﴿فَقُدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ (المتحنة: 4)، فهو عليه السلام حاور أباء الكافر، ولم يصدر منه إلا الاحترام، والتوقير، وصدق النص، ورغم لجاج أبيه لم يقابلها بالمثل بل أنهى الحوار معه بكل أدب، وطيب. وكذلك حواره مع ابنه الذي كان على مستوى عال من المثالية، والكمال.

خاتمة:

أهم ما توصلت إليه الدراسة أن القرآن الكريم قد اهتم بالحوار اهتماماً يليغاً، وجعل منه منهاجاً يتبع في كل المجالات، ذلك أنه أسلوب راقٍ للتواصل بين مختلف الأطراف، والتواصل فيما بينهم. وقد اشتمل القرآن العظيم على العديد من المواقف الحوارية، التي بمعنى مراجعة الكلام والمرادّة فيه، وخاصة منها الحوارات العائلية التي تكون بين أفراد الأسرة الواحدة (أب، أم ، أبناء)، وهذا لمدى أهمية الحوار في الأسرة التي هي نواة المجتمع وأساسه، وصورتها تعكس عليه. فالحوار هو منطلق الأسرة السعيدة لأنّه من أنجح الأساليب لحل المشاكل فيما بين أفرادها، كما يعده صمام أمان في مواجهة الانحرافات المحتملة، فمن خلاله يوجه الأبناء إلى كل ما هو معقول وصواب، وتبني شخصيتهم، وتزداد الثقة في أنفسهم.

كما بيّنت الدراسة أن الحوار الأسري لا يختص بموضوعات محددة بل يشمل كل ما فيه مصلحة ومنفعة للأسرة، أو لأحد أطراها، وأنه يجب مراعاته أصوله من مراقبة الله تعالى واحترام متبادل، وتواضع ومعاملة بالحسنى، واللتزام بالموضوعية، فلا تعصب ولا حجر للأفكار، بل رد على الأساليب الغير أخلاقية التي من بينها الاستهزاء بالأصغر وعدم احترامه.

كما أبرزت جملة من الآداب التي ينبغي التحلّي بها أثناء الحوار العائلي وغيره، وإن كانت آكدة فيه.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم :

برواية حفص عن عاصم.

- السنة الشريفة:

1- الجامع المسند المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه: محمد بن إسماعيل البخاري، ت: محمد زهير ناصر، دار طوق النجاة، (ت، م)، ط 1، 1422هـ.

2- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د، ط)، (د، ت).

- التفاسير وعلوم القرآن:

1- أصوات البيان في إيضاح القرآن: محمد الأمين الشنقيطي، إ: بكر عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد، (ط، ط)، (د، ت).

2- البحر المحيط: أبو حيان الأندلسبي: دار الفكر، بيروت، ط 1413هـ/1993م.

9-8 نوفي بزار، جمهورية صربيا

- 3 التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار التونسية، تونس، (د، ط)، 1984م.
- 4 تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، مؤسسة قرطبة، جيزة، ط1، 1421هـ/2000م.
- 5 تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى الباعي الحلبي، مصر، ط1، 1369هـ/1946م.
- 6 التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من العلماء، إ: مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، ط1، 1431هـ/2011م.
- 7 جامع البيانن تأویل آی القرآن: محمد بن جریر الطبری، ت: عبد الله عبد المحسن التركي، هجر للطباعة، (د، م)، ط1، 1422هـ/2001م.
- 8 روح المعانی: الألوسي: دار إحياء التراث العربي وإدارة الطباعة المنبرية، بيروت، ط2، (د، ت).
- 9 في ظلال القرآن : سید قطب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط5، 1386هـ/1967م.
- 10 الكشاف: جار الله أبو القاسم الزمخشري، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، (د، م)، ط1، 1418هـ/1998م.
- 11 المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسی، ت: عبد السلام عبد الشافی محمد، دار الكتب العلمية، (د، م)، ط1، 1422هـ/2001م.
- 12 المحرر في أسباب نزول القرآن: خالد بن سليمان المزینی، دار ابن الجوزی، السعودية، 1427هـ.
- 13 مدارك التنزيل وحقائق التأویل: أبو بركات عبد الله النسقی، ت: يوسف علي بدیوی، دار الكلم الطیب، (د، م)، ط1، 1419هـ/1998م.
- 14 مفاتیح الغیب: فخر الدین الرازی، دار الفکر، بيروت، ط1، 1401هـ/1981م.

• المعاجم:

- 1 تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ت: علي هلالی، مطبعة حکومة الكويت، ط2، 1407هـ/1987م.
- 2 التعريفات: محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، (د، ط)، 1985م.
- 3 القاموس المحيط: الفیروز آبادی، دار العلم للجميع، بيروت، (د، ط)، (د، ت).
- 4 لسان العرب: ابن منظور، دار المعارف، القاهرة، (د، ط)، (د، ت).
- 5 المعجم المفہرس لأنفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية القاهرة، (د، ط)، 1364هـ.
- 6 مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهانی، ت: صفوان عدنان داودی، دار القلم، دمشق، ط5، 1433هـ/2011م.

• كتب متنوعة:

- 1 أدب الحوار في الإسلام: محمد سيد طنطاوي: دار نهضة مصر، (د، ط)، 1997م.
- 2 أدب الحوار: سعد بن ناصر الشري، دار كنوز اشبيليا، الرياض، ط1، 1427هـ/2006م.
- 3 الاستيعاب في أسماء الأصحاب: ابن عبد البر، دار الفكر، بيروت، (د، ط)، 1427هـ/2006م.

9-أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

- 4- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البر، دار الأعلام، (د، م)، ط 1، 1423هـ/2002م.
 - 5- تربية الأولاد في الإسلام: عبد الله ناصح علوان، دار السلام (د، م)، ط 21، 1412هـ/1992م.
 - 6- الحكمة والحوار علاقة تبادلية: عباس محجوب، جدار للكتاب العالمي، عمان، (د، ط)، 2006م.
 - 7- الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: يحيى بن محمد زرمي، دار التربية والتراجم، مكة، ط 1، 1414هـ/1994م.
 - 8- الحوار أصوله وآدابه وكيف نربي أبناءنا عليه: موسى يحيى الغيفي، ت: عبد الغفور عبد الحق البلوشي، دار الخضيري، المدينة النبوية، (د، ط)، 1427هـ .
 - 9- الحوار في الإسلام: عبد الله الموجان، مركز الكون، مكة، ط 1، 1427هـ/2006م.
 - 10- الحوار في القرآن: محمد حسين فضل الله، دار الملائكة، بيروت، ط 5، 1417هـ، 1996م.
 - 11- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن القيم الجوزي، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3، 1416هـ/1996م.
 - 12- منهج التربية النبوية للطفل: محمد نور بن عبد الحفيظ سويد، دار طيبة، مكة، ط 3، 1421هـ/2000م.
 - 13- مواقف إيمانية من قصة الخليل إبراهيم عليه السلام: مهاب محمد عثمان، (د، ن)، (د، م)، ط 1، 2003م.
- رسائل الماجستير والبحوث والمجالت:**
- 1- أسلوب الحوار في القرآن الكريم خصائصه الإعجازية وأسراره النفسية: عبدالله الجيوسي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، ع: 2، 1427هـ/2006م.
 - 2- أهداف الحوار مع الغرب ومحاذيره: سعد بن علي الشهرياني، بحث مقدم لمؤتمر "العالم الإسلامي والغرب الحواجز والجسور" بالجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، تنظيم المعهد العالمي لوحدة الأمة الإسلامية في الفترة 12-14/08/2006/9/7-5م.
 - 3- حوار الآباء مع الأبناء في القرآن الكريم وتطبيقاته التربوية: سارة بنت هليل المصيري: إ: السعيد محمود السعيد عثمان: جامعة أم القرى، السعودية، 1428هـ/1429هـ.
 - 4- الحوار في القرآن الكريم: معن محمود عثمان ضمرة، إ: محمد حافظ الشريدة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2005م.
 - 5- الحوار في القرآن والسنة، أنسه وأهدافه: أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي، بحث مقدم لمؤتمر مكة الخامس "الحوار الثقافي أهدافه و مجالاته" ، بمكة المكرمة، 1425/12/14 الموافق 15/01/2005م.
 - 6- الحوار والمناظرة في الإسلام: إبراهيم بن عبد الكريم السندي، مجلة جامعة أم القرى، ع: 46، محرم 1430هـ.
 - 7- مفهوم الحوار في القرآن الكريم وانعكاساته التربوية: محمد عدنان علي القضاة، إ: حسن أحمد الحياري، جامعة اليرموك، الأردن، 1423هـ/2003م.
 - 8- منهجية الحوار في القرآن الكريم: محمد عبد اللطيف، مجلة الشريعة والقانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة، ع: 35، رجب 1429هـ/يوليو 2008م.

الأساليب النبوية في التواصل الأسري

د. العربي لخنيك

أستاذ بجامعة مولاي اسماعيل مكناس المغرب

ملخص:

تشكل الأسرة النواة الصلبة في المجتمع، في فهي المحضن الساس لزرع القيم وبناء الشخصية، وعلى قدر نجاح هذه المؤسسة في وظائفها تكون الشمرة والنتائج مرتبطة في مختلف عناصرها، فضلاً عن أثر ذلك على محیطها. ولكي تنجح هذه المؤسسة في أداء رسالتها الإنسانية والكونية، لا بد لها من قواعد وطرائق في الفهم والسلوك، بمعنى آخر لا بد لها من أن تتسلح بمنظومة مرجعية موثوق بها ومحرجة. قوام هذه المنظومة، التجربة التاريخية للبشرية عند الآخر. وهي عندنا –نحن المسلمين– تمسك بما جاء به الوحي بشقيه، واجتهد بإزائه فهما واستنباطاً وتنتزلاً.

ومن القيم التي وجب النظر فيها في هذا الصدد، قيمة التواصل والحوار من خلال السلوك النبوي، من حيث كونه بشراً ورسولاً مسدداً بالوحي. وهذا ما يستدعي استقراء أساليبه صلى الله عليه وسلم في بيت النبوة مع أزواجها وأبنائه وأحفاده.

مقدمة:

شاءت حكمة الله تعالى أن يجعل بشراً رسولاً، ليبني رحمة الله إلى العالمين، ومن فضل الله في ذلك أن تتجسد تعاليمه في شخص نبيه صلى الله عليه وسلم، تربية وسمة ومنهجاً، "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا" (الأحزاب 21)، والأسوة هي القدوة في كل شيء كما قال المفسرون¹. ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم القدوة في كل شيء فإن الفهم والتنزيل العمليين إنما يكون من خلال استقراء قواعد ذلك في أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته. فقد سئلت عائشة - رضي الله عنها - عن خلق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالت : كان خلق رسول القرآن يرضى لرضاه وبسخطه². وفي رواية قالت "كان خلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن" ألمت تقرأ القرآن؟ قلت بلى،

¹ - تفسير البغوي(معالم التنزيل) 6/336 و التفسير الكبير للرازي 7/222.

² - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان 1360 وقال حدث حسن.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

قالت فإن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن¹. كما وصفه ربه بأنه على خلق عظيم، "وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ حُلُقٍ عَظِيمٍ" القلم 4 ، ومعناه عند أهل التفسير: "وَإِنَّكَ يَا مُحَمَّدَ لَعَلَىٰ أَدْبَرَ عَظِيمٍ، وَذَلِكَ أَدْبَرُ الْقُرْآنِ الَّذِي أَدْبَرَهُ اللَّهُ بِهِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ وَشَرَائِعُهُ"². ذكر الرازبي في بيان هذه الآية: "الخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصرف بها الإتيان بالأفعال الجميلة. واعلم أن الإتيان بالأفعال الجميلة غير ، وسهولة الإتيان بها غير ، فالحالة التي باعتبارها تحصل تلك السهولة هي الخلق ، ويدخل في حسن الخلق التحزز من الشح والبخل والغضب والتشديد في المعاملات ، والتحبب إلى الناس بالقول والفعل ، وترك التقاطع والهجران ، والتساهل في العقود كالبيع وغيره ، والتسامح بما يلزم من حقوق . وهذا الذي ذكر الرازبي هو التواصل وجوبه و ثمرته³ .

لذلك نجد سيرته - صلى الله عليه وسلم - غنية بأساليب تواصله مع غيره من الناس ، وتبين فيها الصبغة القرآنية في الجوهر والظاهر ، حكمة ورحمة وحزم ، مع الأهل وعامة الناس بمختلف حياثاتهم النفسية والاجتماعية والعمرية.

أولاً: مفهوم التواصل:

جاءت مادة وصل في المعاجم اللغوية بمعنى الالئام والملاسة والإعلام والبيان. وهو ضد التصارم والهجران والانقطاع. جاء في مقاييس اللغة الواو والصاد واللام : أصل واحد يدل على ضم شيء إلى شيء حتى يعلقه . ووصلته به وصلا . والوصل : ضد الهجران ... والوصلة في الحديث : التي تصل شعرها بآخر زورا⁴. ومن الباب الوصيلة : العمارة والخشب ، لأنها تصل الناس بعضهم بعض ، وإذا أجدبوا تفرقوا . والوصيلة : الأرض الواسعة ، كأنها وصلت فلا تقطع ، "والوصل ضد الهجران وقال ابن سيده : الوصل خلاف الفصل"⁵ . وهو خلاف التصارم⁶ . وبينهما وصلة ، أي اتصالٌ وذرعة⁷ .

وحينما ترتبط هذه المادة اللغوية بجانب العلاقات الإنسانية، فإنه يقصد بها علاقة تفاعل بين شخصين أو أكثر بوسائل وأساليب متنوعة، تشمل كل أشكال التعبير والبيان اللغوية الحسية والمعنوية والإشارية . وعلى قدر إحكام هذه الطرائق والفنون يكون الأثر والجدوى.

¹ - رواه مسلم 746² - تفسير الطبرى 530/23³ - التفسير الكبير 16 / 72.⁴ - مقاييس اللغة : مادة وصل.⁵ - لسان العرب: مادة وصل.⁶ - المعجم الوسيط: مادة وصل.⁷ - نفسه.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

أما التواصل اصطلاحاً فساقتصر فيه على الدلالة القرآنية عطفاً على ما ذكرته آنفاً من أن منهاج رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الانعكاس العملي لتعاليم الوحي في كل ما صدر عنه صلى الله عليه وسلم. وأنه هو يشكل المرجع للأمة من خلال أقواله وأفعاله وتقريراته.

ومما يدرج ضمن المساحة الدلالية لمفهوم التواصل في القرآن الكريم ما ورد في قوله تعالى "ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون" (القصص: 52). فقد جاء في تعريف "وصل القول" أنه الإخبار ووصل ذهن السامع بأنباء غيره على سبيل التذكير والعبارة. قال الطبرى: "ولقد وصلنا يا محمد ، لقومك من قريش ولليهود منبني إسرائيل القول بأخبار الماضين والنباً عما أحللنا بهم من بأسنا ، إذ كذبوا رسالتنا ، وعما نحن فاعلون بمن اقتفي آثارهم ، ليتذكروا فيعتبروا ويتعظوا" ¹.

ويراد بوصل القول تفصيله تفسير الطبرى². وإلى هذا المعنى ذهب ابن عباس³. وذهب سفيان بن عيينة إلى أن وصل القول يراد به البيان⁴.

وفسّر توصيل القول بمعنى اتباع الكلام بعضه بعض حتى تحصل التذكرة والفالح⁵ . وقال ابن زيد : وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كأنهم في الآخرة في الدنيا وقال أهل المعاني : والينا وتابعنا وأنزلنا القرآن تبع بعضه بعضاً : وعدا ووعيدها وقصصاً وعبرًا ونصائح ومواعظ ؛ إرادة أن يتذكروا فيفلحو وأصلها من وصل الحبال بعضها بعض⁶ . وإلى هذا المعنى ذهب الفراء⁷.

ويقول العالمة الطاهر بن عاشور في تفسير الآية: " والتوصيل : مبالغة في الوصل ، وهو ضم بعض الشيء إلى بعض ، يقال : وصل الحبل إذا ضم قطعه بعضها إلى بعض فصار حبلًا... وللتوصيل أحوال كثيرة فهو باعتبار الفاظه وصل بعضه بعض ، ولم ينزل جملة واحدة ، وباعتبار معانيه وصل أصناف من الكلام وعدا ، ووعيدها ، وترغيبها ، وترهيبها ، وقصصاً ومواعظ عبرا ، ونصائح يعقب بعضها بعضًا ، وينتقل من فن إلى فن ، وفي كل ذلك عون على نشاط الذهن للتذكر والتدبر"⁸.

1 - الطبرى: 100/19

2 - نفس المصدر.

3 - الجامع لأحكام القرآن 13/229.

4 - نفس المصدر.

5 - تفسير البحر المحيط 7/126.

6 - نفسه.

77 - تفسير البغوي 6/213 تفسير البغوي 6/213

8 - التحرير والتنوير 20/144.

يستخلص من كل هذه الأقوال أن توصيل القول في القرآن الكريم يراد به تكرير القول وتنويع أصنافه وأشكاله بغرض البيان والعبرة لفهم المخاطب أو إقامة الحجة عليه.

ثانياً وظائف التواصل:

للتواصل وظيفتان رئستان ؛ الأولى تعليمية يراد بها إيصال المعرف والمهارات والقيم إلى المتلقى ، والثانية تربوية وجدانية يراد منها إحداث التفاعل الروحي أو العاطفي، أما الوظيفة الثالثة فهي الحوار الفكري المبني على الاقناع والمحاكمة . وكل هذه الوظائف لها قواعدها وطرائقها وشروطها التي يتوقف عليها نجاح العملية التواصيلية. ومن خلال هذه الوظائف، فإن أساليب التواصل منها ما هو مرتبط بلغة الخطاب ونبرته وألوانه، ومنها ما هو مرتبط بالحملة الفكرية للرسالة التواصيلية، ومنها ما هو مرتبط باللغة الحسّية (لغة الجسد). وفي كل ذلك لا بد من مراعاة العناصر السياقية والمقامية فضلاً عن خصوصية المتواصلين.

وترتبط طرق التواصل الناجعة بنوعية المنخرطين في العملية التواصيلية، و يمكن تقسيم الناس بهذا الاعتبار إلى ثلاثة أنواع: نوع تغلب لديهم حاسة البصر في التواصل التقاطاً للرسالة وتعبيرها عنها، وهناك ما يغلب لديهم ما يتبادر إلى السمع على ما يرى أو يلمس، وهناك من يغلب لديهم الجانب الحسّي في التواصل على سائر المداخل الأخرى. وبناء على هذا الاعتبار فإن من يغلب عليه الجانب البصري قد تؤثّر فيه النّظرّة الحانّية أو الصارمة الحادة حسب السياق والمقام. وكذلك تقسيم الوجه. فهي خير سفير لهذا النوع من الناس. لذلك جاء في الحديث الشريف "ابتسامتك في وجه أخيك صدقة"¹. أما فئة الناس ذوي الصبغة اللغوية فإن إيصال الرسائل إليهم والتأثير فيهم وإقناعهم يستلزم حشد أفضل أساليب الخطاب إما مشافهة أو كتابة ، مع المواءمة بين نوع العبارة وما يتضمنه المقام من مضامين. أما الفئة ذات الصبغة الحسّية فإن لغة الجسد تمثل أفضل سفير لتوصيل الرسائل وإقناع الطرف الثاني ، ومن ذلك مارواه أبو أمامة رضي الله من قصة الشاب الذي أتى النبيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طلباً للرخصة في الزنا فأقبل القوم عليه فزجروه، لكن النبيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، دنا منه قريباً، وهذه أول خطوة لنجاح التواصل، وقدد المدخل الأول وهو، الضرب على وتر العقل ، فصور له مشهداً نقله من كونه فاعلاً مستفيداً ، إلى الحالة التي تكون فيها تلك الفاحشة منصبة على أعز ما عنده وأكثر من يغار عليهم، وهن الأم ثم البنت كونه فقال: ثم الأخت ثم العم ثم الخالة، وفي كل ذلك السياق كان يقول: لا والله، جعلني الله فداءك، وبعد استنفاد سلاح العقل والمنطق، أعمل صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدخل المعنوي فوضع يده عليه، ودعا له : "اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصّن فرجه" ، فحصل الانقلاب في روع ذلك الفتى وسلوكه بما عاد يتشهى سيئاً من الزنى².

¹ - رواه الترمذى 1956 وصححه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى 1956 وشعيـب الأرناؤـوط فى تحقـيق صحيح ابن حبان 2/287.

² - رواه أـحمد 5/256، والطبراني في المعجم الكبير 8/162، (183)، والبيهقي في شعب الإيمان 4/362 (5415)، قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار 1/592: رواه أـحمد بإسنـاد جـيد، ورجالـه رجالـ الصحيح، وقال الهـيثـمي في مـجمـع الزـوـائد 1/129: رجالـه رجالـ الصحيح.

فبعد ان استعمل النبي صلى الله عليه وسلم وسائل الاقناع الفكرى والعاطفى دعا لهذا الشاب ومسح على صدره، هذه المسحة المصحوبة بالدعاء أطفأ نار الشهوة وخلصت الشاب من أسرها وجعلت قلبه ينفر من الفاحشة ويتعلق بما صدر من صاحب الرسالة. فالخطاب الشرعى في بعض المواطن قد لا يكون وحده مؤثراً، مع جميع الناس وفي كل المواطن، لذلك لا بد من هذا الفن الذي أسميه بتحقيق المناط الخاص في العملية التواصلية، وهذا ما يحتاج فضلاً عن المعرفة بالطرائق والأساليب إلى هذه الملكة التي تكتسب بالتأسيي بالنمذج الخالد: "عليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضواً عليها بالنواجد"¹.

و ضمن هذا الإطار العام المندرج ضمن سنة النبي صلى الله عليه وسلم بمفهومه الواسع، تدرج أعمال كثيرة جمعها العلماء ضمن شعب الإيمان فنجد صلة الرحم، وحسن معاملة الأهل، والتزاور في الله وعيادة المريض، وحسن الجوار وإصلاح ذات البين، وتبادل الهدايا، ومراعاة حظوظ النفس في ما ليس فيه مخالفة شرعية، وغير ذلك.

وللتواصل الإيجابي فوائد جمة، فهو فضلاً عن كونه سبيلاً لنيل مرضاه الله وحشد الثواب الجزييل من الله بالدخول تحت سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فيه قضاء الحاجات المادية والمعنوية، وهو قوام تماسك بنيان المجتمع ولبناته، وخصوصاً الأسرة.

ثالثاً: أساليب التواصل من خلال السلوك النبوى في أهله:

أ-أسلوبه في التواصل مع نسائه:

ويشمل الألوان الآتية:

1-عدم الاسترسال بالحديث والاستئثار به:

اتسم الخطاب النبوى بعدم الاطنان في الكلام، مراعاة لسعة المخاطبين، وقدرتهم على التتبع والاصغاء، فسئلته صلى الله عليه وسلم تجمع بين صغر المبنى وغزارة المعنى؛ فعنْ جَابِرِ بْنِ سَمُّرَةَ رضي الله عنه قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُطِيلُ الْمَوْعِظَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، إِنَّمَا هُنَّ كَلِمَاتُ يَسِيرَاتٍ"².

فقد روت عائشة رضي الله عنها "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدث حديثاً لو عده العاد لأحصاء"³ ، وقد ذكر صلى الله عليه وسلم أن ميزاته⁴، حيث يعبر عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة جامدة

¹ - رواه أبو داود 4607، والترمذى 266 وقال: حديث حسن صحيح.

² - سنن أبي داود 93.

³ - صحيح البخارى 3375.

⁴ - جوامع الكلم، مسلم 853.

شاملة. ومن ثمرات الإيجاز مع قوة البيان ضمان إصغاء المخاطب ووصول الرسالة كاملة، وتجابو المخاطب معها قبل نفاذ تركيزه.

2- النظر بعين التعظيم وتغليب المحسن على المساوى في كل شيء:

حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم في علاقته بعامة المسلمين وخصوصاً مع أهله يوازن بين الحسنات والسيئات ويعظم المور الإيجابية، لأن المدح تقوي الدافعية نحو الخير وتحفز السلوك الإيجابي. وهو مصدق قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر، أو قال غيره".¹ فالوقوف مع السلبيات يحجب الرسالة التواصيلية، ويکبح تفاعل المتلقي مع الرسائل والتوجيهات والإشارات التي يريد المرسل إيصالها إلى الطرف الثاني. كما أن النظر بعين التعظيم لأفعال الناس وعدم تسليط الأضواء على الهفوات وتتبع العورات، من شأنه أن يعكس اثره على صاحب الرسالة، فقها واستثماراً لسلوك المتلقي ، فمن نظر إلى الأشياء بعين التعظيم استمد منها وكان أثراً فيها عظيماً ومن نظر إلى الأشياء بعين التحقيق نالت منه وحرم من كل فائدة.

3- الإطراء من غير غلو:

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم، يستعمل أسلوب الإطراء عندما يقتضيه السياق والمقام، فالنفس البشرية بطبيتها تحب المدح، وهي إحدى الحوافر المعنوية لإثارة الطاقات الإيجابية وتوجيه الاهتمام نحو السلوك الإيجابي والتعديل الذاتي والتلقائي لكل فهم أو سلوك غير قويمين. وفي هذا الصدد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من الإشادة بأهله وبعامة مخاطبيه من المسلمين وإقرارهم على أفعالهم، وليس غريباً أن تتحتل التقريرات ومواقفات الصحابة جزءاً معتبراً من الوحي بشقيه، المตلو وغير المตلو. فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم مزايا كل من أهله دون غلو أو ظلم، والمزية طبعاً لا تعني بالضرورة الأفضلية، لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم أبغ الأساليب لوضع كل في نصابه، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام".²

تعظيم آثار الطرف الآخر:

ومن جمالية الأساليب النبوية في التواصل، تعظيم آثار أكل وشرب أزواجه، حيث كان صلى الله عليه وسلم يتبع آثار في عائشة على الآنية فيضع فمه هناك، بعد أكلها أو شربها، وفي ذلك تعظيم لما قد ينفر منه عامة الناس وهو السؤر وغيرها، وفيه إظهار لوجه من أوجه الامتزاج العاطفي بين النبي صلى الله عليه وسلم وأهله، و إزاحة

¹ - صحيح مسلم 1469

² - صحيح البخاري 3230

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

للانطباعات المنقرّة ، وهذا مما يسبّب قوة في التماسك، ولابسة بين الزوج وزوجه. فقد روي عن عائشة انها قالت: "كنت أشرب وأنا حائض ثم أناوله النبي صلى الله عليه وسلم فipsum فاه على موضع فيّ، وكنت أترقّع العرق وأنا حائض ثم أناوله النبي صلى الله عليه وسلم فipsum فاه على موضع فيّ¹".

حفظ الود:

يشكل حفظ الود امتداد أثر التواصل الإيجابي في الزمن، حيث تستمر العلاقة حتى ما بعد الموت، من خلال صلة ما كان يصله الطرف الذي غيبته الوفاة، وتقدير ما كان يقدّره، وإدامة الود لأهل وده؛ فضلاً عن استحضار كل جميل فيه، وبهذا يحس كل طرف الزوج بأن الصلة والرابطة غير مرتبطة بأغراض دنيوية عاجلة، وإنما هي صلة لا يحدها الزمان والمكان. ومن أنفع الأمثلة على ذلك ما كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم في شأن خديجة بعد وفاتها؛ فقد كان يُذكرها حتى غارت السيدة عائشة وصارت تقول له عليه الصلاة والسلام إن الله أبدله خيراً من خديجة وتقصد نفسها، فردد عليها بما امتازت به السيدة خديجة وراح يعدد مناقبها فقال لها: "إنها كانت، وكانت، وكان لي منها ولد"².

ومن فرط ذكر خديجة وآثارها وحفظ ودها، أن عائشة كانت تشتد بها نار الغيرة من ذلك، فتقول رضي الله عنها: ما غِرْتُ على أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما غِرْتُ على خديجة قطٌ، وما رأيْتها قطٌ، ولكن كان يُذكرها، وربما ذبح الشاة، ثم يُقطّعها أعضاء، ثم يَبْعَثُها في صدائق خديجة.³

عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندي، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أنت؟" قالت: أنا جثامة المزينة، فقال: "بل أنت حسانة المزينة، كيف أنت؟" كيف حالكم؟ كيف كنتم بعذنا؟ قالت: بخيّر ياً بي أنت وأمي يا رسول الله ، فلما حرجت قلت: يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: إنها كانت تأتينا زمان خديجة، وإن حسنه العهد من الإيمان⁴.

ونظراً لقيمة هذا الأمر في ديننا، فإن النبي صلى الله عليه وسلم عده من الإيمان، ثم إن هذا السلوك النبوي في حق خديجة رضي الله عنها، فيه إشارة وتعليم، إشارة إلى أهل بيته أئّه لا ينسى لهم عهداً ولا وداً، وفي هذا رفع لمنسوب الثقة ودفع لكل الوساوس وكل ما يشوب صفو العلاقة، وفي تعليم لlama، فهذا الأمر ليس لازماً للرسول صلى الله عليه وسلم مع أهله بل يتعدّاه لكل من كانت له أسوة فيه.

الملاحظة بالتعبير الجميل:

¹ - صحيح البخاري 3230 و صحيح مسلم 300.

² - صحيح البخاري: 3818

3 - صحيح البخاري: 3607 ، و صحيح مسلم: 2436.

4 - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: 8701، والحاكم في المستدرك، رقم: 40، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين"

يكتمل سرور النفس وطيبة الخاطر بالتفاهم الرقيق، والكلمة العذبة، واختيار الوقت الأنسب، وجمالية التعبير.

"فَعِنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَلْتِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتِ لَوْ نَزَّلْتُ وَادِيَا وَفِيهِ شَجَرَةٌ قَدْ أَكَلَ مِنْهَا وَوَجَدْتُ شَجَرًا لَمْ يَؤْكِلْ مِنْهَا فِي أَيِّهَا كَنْتُ تَرْتَعِنْ بِعِيرِكَ قَالَ فِي الَّذِي لَمْ يَرْتَعْ مِنْهَا تَعْنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكَرًا غَيْرَهَا"¹.

وكان يقول لها: "كُنْتُ لِكَ كَأْبِي زَرَعَ لِأَمِّ زَرَعَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أُطْلِقُكَ"² ، وحديث أَمِّ زَرَعَ مشهور، وفيه أَنَّ أَبا زَرَعَ كَانَ يُكَرِّمُ أَمِّ زَرَعَ أَبْلَغَ الْإِكْرَامَ، وَيَقْدِمُ لَهَا مِنْ أَلوَانِ الْكَرْمِ وَاللَّذَائِذِ، وَصَنُوفِ السَّخَاءِ مَا جَعَلَ الرَّسُولُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يَخْتَارُهُ فِي هَذَا التَّشْبِيهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْعَرَبِ.

امتدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجه عائشة رضي الله عنها، وبلغ ما اختصها الله به من فضل ورفعة، فقال "إن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام . " وقد اختار الرسول ضرب المثل بالثرید لتقریب المعنى وزيادة بيانه، قال ابن القیم : الثريد مركب من لحم وخبز وللحم سيد الآدم، والخبز سيد الأقوات، فإذا اجتمعوا لم يكن بعدها

الترويج عن النفس والصبر على المباح من اللهو:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ عَلَى فِي سَفَرٍ قَالَتْ: فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رَجُلَيِّ، فَلَمَّا حَمَلْتُ الْلَّحْمَ سَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ، فَقَالَ: "هَذِهِ بِتْلُكَ السَّبَقَةِ"³ .

هذا الأمر فضلاً عما فيه من إدخال الزوج الفرحة والأنس على أهله، وهي سبقته في المرة الأولى؛ لأنها كانت فتاة شابة خفيفة ، فصبر النبي صلى الله عليه وسلم رغم صغر سنها ، فلما جاءت مناسبة أخرى سابقها، وكانت في هذه المرة قد سمنت وثقلت، فسبقها في هذه المرة. وفي جميع الحالات لم يأبه صلى الله عليه وسلم بما يقوله الناس، صلى الله عليه وسلم تطبيقاً لخاطرها: "هذه بتلك" ، يعني: هذه السبقية مني مقابل سبقتك الأولى لي؛ فحصل التعادل.

جاء في صحيح البخاري: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ بِاللَّيْلِ سَارَ مَعَ عَائِشَةَ يَتَحدَّثُ".⁴

قد يقول قائل ما فائدة اصطحاب الزوجة في نزهة والمشي معها خارج البيت، فكيف يصدر هذا السmer من النبي ، ويأتي الحديث ليدل على أن هذه وسيلة من وسائل توطيد العلاقات بين الزوجين، بعيدا عن الروتين اليومي.

¹ - صحيح البخاري: 4789.

² - صحيح البخاري: 4893.

³ - رواه أحمد (6/39)، وأبو داود (2578)، والنمسائي في (الكبير) (5/303، 304)، وابن ماجه (1979)، وابن حبان (4691).

⁴ - البخاري 4913

8-أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

وهذا منه صلى الله عليه وسلم من حسن خلقه مع أهله، ولطفه لهم، وحسن المعاشرة، وفيه إدخال الرجل السرور على زوجته بما يؤنسها. وهذا من أعظم مفاتيح التواصل.

الممازحة والمداعبة:

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: أتى النبي صلى الله عليه وسلم بخزينة قد طبختها له، فقلت لسودة والنبي صلى الله عليه وسلم بيئني وبينها: كلي، فأبنت، فقلت: لتأكلن أو لألطخ وجهك، فأبنت، فوضعت يدي في الخزينة، فطليت وجهها، فصحيحت النبي صلى الله عليه وسلم، فوضع بيدي لها، وقال لها: "الطخي وجهها"، فصحيحت النبي صلى الله عليه وسلم لها، فمر عمر، فقال: يا عبد الله، يا عبد الله، فظن آن سيدخل، فقال: "فوما فاعسلا وجوهكم"، فقالت عائشة: "فما زلت أهاب عمر ل晦يبة رسول الله صلى الله عليه وسلم".¹

اللين والمطاوعة:

لم تكن الدعوة وقيادة الأمة، وحمل أعبائها، لتشغل النالي صلى الله عليه وسلم عن تخصيص حيز مهم من اهتمامه ، وعناته بأهله، تلطفا ومطاوعة حتى شهد له بقوله: ﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ﴾². وهذه الآية عامة الدلالة ، فهي تشمل الأمة جموعا ومن ضمنها أهله صلى الله عليه وسلم، فالليلين وخفض الجناح استطاع النبي صلى الله عليه وسلم العدد الذي انجمع تحته من النساء، وذلك لخصوصية فيه صلى الله عليه وسلم، وفيه رسالة لأمته، بأن يتأسوا في ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم، في معاملة الواحدة من الأزواج، إن خيف عدم العدل، وفي ذلك رعي لما في ما دون مقام الأنبياء من الضعف والنقص. فالليلين وخفض الجناح هو اللحمة والناظم لمكونات الأسرة، وفيه ظله تستغل الكوامن وتتحرر الطاقات وتنقشع الغشاوات وتتصفو الأحوال، وتهدأ النفوس وتطمئن؛ عن جابر رضي الله عنها قال: "ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء قط فقال: لا".³

وعن عائشة رضي الله عنها ، أنّها سئلت كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا في بيته ، فقالت : "كان ألين الناس ، وأكرم الناس ، كان رجلا من رجالكم إلا أنه كان ضحاكا بساما ".⁴ وعنها أيضا قالت: "ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده حادما له قط ، ولا امرأة ، ولا ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده شيئا قط ، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا حير بين أمرتين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثناما ، فإذا كان إثناً كان أبعد الناس من الإثم ، ولا انتقام لنفسه من شيء يتوتى إليه حتى تنتهك حرما ثم الله عز وجل ، فيكون هو ينتقم لله عز وجل ".⁵

¹ - سنن النسائي 8599

² - سورة آل عمران: 159

³ - صحيح البخاري: 6034 . و صحيح مسلم: 2311

⁴ - رواه إسحاق بن راهويه في مسنده، وذكره الألباني في ضعيف الجامع 4386

⁵ - رواه أحمد في مسنده النساء، رقم: 25956، وإنناه صحيح على شرط الشييخين.

خدمة أهل البيت:

لما سئلت إحدى نساء بيت النبوة عن البرنامج اليومي للنبي صلى الله عليه وسلم في بيته، قالت: "كان بشراً من البشر، يفلت ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه"¹. وفي رواية أخرى "ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته".²

هذه الأعمال على قلتها، ورغم عدم اضطرار الأهل إليها فيها، من الناظم ما به تزداد الألفة والقرابة والانسجام العاطفي والامتناع المعنوي، فهي التي تبني المودة وتزرع الألفة، وترتيد في منسوب المحبة وتطيل عمر العشرة ، فهذه الأعمال على قلتها وبساطتها لها الواقع الجليل على فكر ونفسية الزوجة، فهي تحس بكنف زوجها، ويزرع فيها الأنس والاطمئنان، فيزيدها حنوه وبساطته قوة وعظمته في عينيها.

الإحاطة بالخصائص النفسية للأهل:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنني لأعلم إذا كنت عنني راضية، وإنما كنت على عصبي"، قالت: فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: "أما إذا كنت عنني راضية فإنك تقولين: لا ورَبِّ مُحَمَّدٍ، وإنما كنت على عصبي، قلت: لا ورَبِّ إبراهيم". قالت: قلت: أجل والله يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك. أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب غيرة النساء ووجدهن، رقم: 5228.

مراعاته مشاعر أهله:

من رحمته ورقة إحساسه ملاحظة شعور غيره؛ ويبين ذلك بجلاء في سلوكه مع صفية حين قتل أهلهما في إحدى المعارك ، ومر بها بلال على قتلها، فقال لبلال: "أنزعت الرحمة من قلبك حين تمر بالمرأتين على قتلاهما".³.

فكان عليه الصلاة والسلام يراعي مشاعر أزواجه ويهتم بعواطفهن، فقد كان يوماً مسافراً ومصطحبًا معه السيدة صفية رضي الله عنها، فقد جاء في الحديث أنه "في إحدى الغزوات انطلقت القافلة تاركة السيدة صفية سهوا، وكانت صغيرة ومدللة ولا تجيد ركوب البعير، فأبطأه في المسير وجعلت تبكي، فذهب إليها عليه الصلاة والسلام واحتكت إلى أنها حملوها على بعير بطيء، فأخذ يواسيها ويسكتها ويمسح دموعها عن خديها بيديه الشريفتين. فاستدعي ذلك الموقف أن يجلس عند بعيره فيضع ركبته، وتضع صفية رجلها على ركبته حتى ترکب".⁴ فلم يخجل النبي صلى الله عليه وسلم من أن يرى جنوده هذا المشهد وهو يظهر الحب والمودة لزوجته.

الإنصاف من غير كسر للخواطر:

¹ - أخرجه الإمام أحمد، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة 670.

² - رواه أحمد في باقي مسند الأنصار 24813.

³ - أخرجه البيهقي في دلائل النبوة(4 / 232)، وذكره ابن حجر في الإصابة (4 / 346 – 347).

⁴ - صحيح البخاري 4211.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار، جمهورية صربيا

لم يكن حبُّ رسول الله - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لبعض نسائه ، مانعاً له من إحقاق الحق ومن مِن إنصاف مَن يجُب إنصافها منهُنَّ ، والقضاء لها على مَن يَتَقَصُّها أو يُسْبِئُ إِلَيْها؛ فقد أخرج الترمذِيُّ وغيره أن صفةَ بلغها أن عائشة وحفصة قالتا: "نحن أكرم على رسول الله منها" ، فذكرت ذلك للنبي - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: "ألا قلتِ: وكيف تكون خيراً مني، وزوجي محمد، وأبي هارون، وعمي موسى"¹.

وفي موقف آخر من صراع الأنفس على الاستئثار بقلب النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، نبذت عائشة صفة بالقصر ، فحضرت البلاغة النبوية في بيان حجم هذا الخطأ ، حيث قال لها "القد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته"². وفي هذا التهويل جبر لخاطر الخصم المتمثل في صفة رضي الله عنها . والمشهد كله دل بمفهوم الموافقة على أن هذا إن صدر من أمهات المؤمنين ، فمن باب أولى أن يصدر ما هو مثله أو أكثر منه من عامة نساء المسلمين ، وفي ذلك تربية نبوية لعامة ، باحتمال وقوع هذا النوع من الغيرة ، وباتباع الأسلوب النبوى في علاج هذا الأمر.

تجميل صيغ النداء:

ومن صيغ النداء المعبرة عن الحب والتودد، تجميل صيغ النداء بتصغير الأسماء وتجويدها، فكان ينادي على عائشة رضي الله عنها " يا عائش" ويقول لها : "يا عائش! هذا جبريل، يقرأ عليك السلام"³، كما كان يناديهما بالحميراء، وهي تصغير حمراء الحميراء و هي البيضاء⁴، والعرب تسمى الأبيض أحمر والعرب تطلق على الأبيض الأحمر كراهة اسم البياض لكونه يشبه البرص ولهذا كان صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لعائشة يا حميراء.

وقد ورد وصف عائشة بهذه الصفة في رواية النسائي من طريق أبي سلمة عن عائشة قالت :دخل الحبشة يلعبون فقال لي النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا حميراء أتحبين أن تنظرني إليهم. فقلت: نعم"⁵.

عن عائشة قالت: لما وُلد عبد الله بن الزبير أتيتُ به النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتَقَلَّ فِي فِيهِ، فكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ دَخَلَ جَوْفَهُ، وَقَالَ: "هُوَ عَبْدُ اللَّهِ، وَأَنْتِ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ، فَمَا زَلَّ أَكْنِي بِهَا، وَمَا وَلَدْتُ قَطْ"⁶.

¹ - أخرجه أحمد (3 / 135) والحاكم في المستدرك (4 / 9) وقال حديث حسن صحيح.

² - الترمذى 2502 و أبو داود 4875

³ - صحيح البخارى 3045

⁴ - كما قال ابن منظور في اللسان، مادة "حمر".

⁵ - سنن النسائي 8628

⁶ - صحيح ابن حبان 7272

ومن الأسرار العجيبة في هذه الكلمة ، أن عائشة لم ترزق الولد، وهذا مما يشق نفسياً على المرأة، فكناها النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة مواساة لها وتطيباً لخاطرها، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلقبها بالموفقـة، ففي سنـن الترمذـي عن ابن عباس يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ كَانَ لِهِ فَرَطْ مِنْ أَمْتَكَ؟ قَالَ: "وَمَنْ كَانَ لِهِ فَرَطْ يَا مُوقَفَةً؟ قَالَ: فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فَرَطْ مِنْ أَمْتَكَ؟ قَالَ: "فَأَنَا فَرَطْ لِأَمْتَكَ، لَنْ يُصَابُوا بِمِثْلِي".¹

حسن الإصغاء:

جاء عن عمرو بن العاص: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل بوجهه وحديثة على شر القوم يتآلفة بذلك ، وكان يقبل بوجهه وحديثة على حتى ظنت أنني خير القوم"². وقال صلى الله عليه وسلم: "من أخلاق المؤمن حسن الحديث إذا حدث ، وحسن الاستماع إذا حدث ، وحسن البشر إذا لقى ووفاء الوعد إذا وعد".³

لم يكن صلى الله عليه وسلم يفهم أهله بالثرثرة حين إسهابهن بالحديث، ولا بتضييع وقته الثمين وهو من حيث مكانته وهامته ومشاغله، ولا بصغر ما تحكيه أمم عظمة ما يشغل فكره وروعيه، بل كان يصغي ويتفهم ويقدر كل ما كان يصدر منها. وكان يلتقط إشاراتهن ، وينتقل معهن، حتى كأنه ليس في ذهنه غيرهن.

الجهر بحبه لأهله:

لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يتجرّح في التصريح بحبه لأهله حتى أمام الملائكة ، فقد كان هذا السلوك منه صلى الله عليه وسلم أمراً بدبيها وطبعها ومؤلفاً، لذلك لم يكن لديه في ذلك أي حرج ، ولا يشكل في حقيقته أي تقيص من شأن الرجل الزوج، بل فيه تعبير عن قوة الشخصية، ونضج العاطفة، والتربية على امتداح كل ما وافق الشرع والفطرة . فقد كان يكثر من التعبير عن حبه لخديجة رضي الله عنها حتى بعد وفاتها حيث كان يقول : "إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا".⁴

وسألت عائشة ذات يوم : "يا رسول الله، كيف حبك لي؟" ، وكأنها تزيد أن تطمئن على وقوره ذه المحبة في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلمه من حولها، فأجابها : "كعقدة الجبل". ولم تكتف أمها عائشة بهذا، ولعل هذا راجع إلى طبع المرأة وميلها إلى الاستماع الدائم لهذه الكلمات من زوجها، ودوم الاطمئنان على منزلتها عنده، فكانت لا تفتّأ تسأله : "كيف العقدة يا رسول الله؟"؟ فيقول : "هي على حالها".⁵ فهذه المطاولة من

¹ - رواه الترمذـي في الشـمائـل 391، ورواه في السنـن كتاب الجنائز 1062، وقال: حسن غريب.

² - رواه الترمذـي في الشـمائـل 339.

³ - الجامـع لأخـلاق الرـاوـي وآدـاب السـامـع للخطـيب البـغـدادـي 332.

⁴ - صحيح مسلم 2534.

⁵ - حلية الأولياء لأبي نعيم، باب عائشة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم، الحديث رقم: 1496

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار، جمهورية صربيا

النبي صلى الله عليه وسلم، فيها صبر ذلك منها ثرثرة أو حرصا فوق ما يلزم، بل كان يكرّمها بتطييب خاطرها وطمأنتها، ولم يكن ذلك منه مداراة لها بل كان تعبيراً قلباً صادقاً، لما رزقه الله من سعة خاطر ورحابة صدر.

وعن أبي عثمان رضي الله عنه قال: حدثني عمرو بن العاص رضي الله عنه: "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ عَلَى جِيشِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: أَبُوهَا، فُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَعَدَ رِجَالًا".¹

المشورة والاستئناس بالرأي:

كان النبي حريصاً على مشاركة زوجاته فيما يحدث معه ويحكى لهن، وبدا ذلك واضحاً عندما حكى للسيدة خديجة ما حدث معه في الغار عندما نزل عليه الوحي للمرة الأولى واستجده بها،

"لما نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء لأول مرة، رجع إلى خديجة رضي الله عنها فأخبرها الخبر وقال: "لقد خنتي على نفسي!"، فقالت له رضي الله عنها: "كلا! والله ما يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحمة، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكتسب المدعوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق".²

ولم يكن صلى الله عليه وسلم يستشيرهن تطبيباً لخاطرهم فقط بل كان يأخذ برأيهن من ذلك استشارته زوجته أم سلمة يوم الحديبية في أمر من أهم أمور المسلمين؛ فقد عاهد النبي - صلى الله عليه وسلم - المشركين على ترك القتال عشر سنين، ووافقتهم على شروط ظاهرها غلبة المشركين على المسلمين، فهال ذلك صحابته الكرام، وشق عليهم أن يتخللوا بالحلق أو التقصير من إحرامهم بالعمرمة والعودة إلى المدينة، ولم يذعن أي واحد منهم لهذا الأمر النبوى الذى لم يسبق مثله، منهم وضي الله عنهم، فعاد إلى أم سلمة يستشيرها، فأشارت عليه بأن يخرج إليهم ويحلق رأسه، ليقتدوا به، وقد كان رأيها سديداً، حيث سارع كل الصحابة إلى اتباعه في فعله صلى الله عليه وسلم، واعتذروا عما صدر منهم³. وفي هذا الموقف عبرة عظيمة، فاستشارة الأهل فيها اثر طيب على المستشير والمستشار، فالمستشار يحصل الرأي، والمدد بالدخول تحت أمره تعالى بالشوري، والمستشار ، ينال التقدير والرفعة والدعم النفسي، والاحساس بالقرب والملائسة مع الطرف الآخر. استحسن رأى أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، فكان خيراً وبركة على الأمة كلها.

التعامل مع الغيرة باعتبارها أمراً طبيعياً:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعامل مع غيرة أهله بما يقتضيه المقام من حكمة ورحمة ، فكان يدبر الخلافات ويفصل بينهن دون أن يجح أياً منها، فقد عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضررت التي النبي صلى الله عليه وسلم في

¹ - صحيح البخاري 3662 و صحيح مسلم 2384.

² - صحيح مسلم: 160.

³ - صحيح البخاري: 2581، و صحيح ابن حبان 4872.

بيتها يد الخادم، فسقطت الصحفة، فانفلقت، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم فلقَ الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: "غارت أُمكم"¹.

قوله صلى الله عليه وسلم "غارت أُمكم" إقرار منه صلى الله عليه وسلم بوقوع هذا العرض، وفي قوله "أُمكم" إشارة منه صلى الله عليه وسلم، إلا أن هذا الذي صدر منه لا يخرجها عن مكانتها ضمن دائرة أمهات المؤمنين، وأن ينظر إليها بما ينfer به إلى الأم حينما يصدر منها بعض من ذلك. ودل بمفهومه على أن هذا السلوك أولى أن يصدر ممن هن دون مقام أمهات المؤمنين وهن عامة نساء الأمة.

الوساطة والتحكيم بالتواضي:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهم قال : استأذن أبو بكر رحمة الله عليه على النبي صلى الله عليه وسلم فسمع صوت عائشة عاليًا فلما دخل تناولها ليلطمها ، وقال : لا أراك ترعن صوتك على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يحجزه ، وخرج أبو بكر مغضبا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج أبو بكر : كيف رأيتني أنقلذك من الرجل ؟ قال : فمكث أبو بكر أياما ثم استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدهما قد اصطلحا ، فقال : لهما أدخلاني في سليمكما كما أدخلتني في حربكما . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قد فعلنا قد فعلنا².

ب- تواصله صلى الله عليه وسلم مع الأبناء:

تحفل السنة بالكثير من مواقف العناية بالأبناء في جميع مراحلهم وال عمرية؛ فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كثير الاهتمام بأبنائه وأبناء الصحابة، ومرعاياً لحاجاتهم بحسب مراحلهم عمرهم، وكان يغمرهم بالعاطف والحنان والحب، ويحثّهم على التحلي بالأخلاق الفاضلة، متجاوزاً عن الكثير من أخطائهم وزلاتهم، مشاركاً إياهم في مجالس الكبار.

الإعلاء من مكانة البنات:

كانت معاملة الرسول -صلى الله عليه وسلم- الحسنة تعمّ أهل بيته جميعاً، بما في ذلك أبناءه وبناته وخدمه أيضاً، فقد كان يحب فاطمة رضي الله عنها حباً خاصاً، ويسعد إليها، تقول "عائشة رضي الله عنها ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها، فقبلها، ورحب بها، وكذلك كانت هي تصنع به"³. ولم يكن يخرج من المدينة حتى يكون آخر عهده بها رؤية

¹ - صحيح البخاري 5225

² - سنن أبي داود 4999 ، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" : 2901

³ - صحيح مسلم 2424

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

فاطمة الزهراء، فإذا عاد من سفره بدأ بالمسجد فصلى ركعتين ثم ذهب إلى فاطمة وقد كان يقول فإنما هي بضعةٌ متنّي ، يُرِيبُنِي مَا أَرَابَهَا ، وَيُؤْذِنِي مَا آدَاهَا¹.

الحزن النفيس:

من أشكال التواصل العاطفي، تعبيه صلى الله عليه وسلم عما كان يلم بأبنائه وأحفاده وعامة صبيان المسلمين من مصائب، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، على أبي سيف القين، وكان ظُفراً لإبراهيم عليه السلام، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم، فَبَلَّهُ وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يوجد بنفسه، فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تدран، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟ فقال: "يا ابن عوف إنها رحمة ثم أتبعها بأخرى، فقال . صلى الله عليه وسلم . : "إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنما بفارقك يا إبراهيم لمحزونون"².

زرع قيم الفطرة:

هذه الرحمة بالصغرى التي استقرت في قلبه صلى الله عليه وسلم لم تخربه عن مقتضيات الرسالة التي جاءت للعالمين، فقد كان يرشدهم إلى ما فيه نفعهم وصلاحهم، فهذا مقتضى النبوة والرحمة؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: أخذ الحسن بن علي رضي الله عنه تمرة من تمر الصدق، فجعلها في فيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كَجُحْ كَجُحْ ارم بها، أما علمت أنّا لا نأكل الصدق؟"³.

وحيينما أتته ابنته فاطمة رضي الله عنها تشتكى مما تلاقيه من عمل المنزل، وتطلب منه خادماً يخدمها، أرشدها النبي صلى الله عليه وسلم إلى التسبيح ثلاثة وثلاثين، والتحميد ثلاثة وثلاثين، والتکبير أربعًا وثلاثين، تم قال لها ولعلي رضي الله عنهم : "هو خير لكما من خادم"⁴؛ فقد علم صلى الله عليه وسلم بنته بإثارة العمل الذي يبقى على العمل الذي يفني، فلم تمنعه عاطفة الأبوة، وشفقته على ضيق حالها من الموازنة بين مراتب المنافع والمصالح، وترجح ما هو أعلى مالا، وقد كان بإمكانه هو "الامر بالصرف" بلغة العصر ان يفرض لابنته، ولصهره ما به يستعينون على متطلبات حياتهم المعيشية، وما به ينعمون بالرفاه، لكنه من موقع النبي المربي والمعلم اعطى النموذج الذي به تكون الأسوة والفالح.

الرأفة بالصبيان:

كان صلى الله عليه وسلم شديد الرحمة والشفقة بالأطفال، يحملهم ويحنو عليهم برأف بهم ، ويضمهم في حضنه الشريف ، ويقبلهم، ويلعبهم ويعانقهم ويزاحهم ويمسح على رؤوسهم.

¹ - صحيح البخاري 5230 ، و صحيح مسلم 2449.

² - صحيح البخاري 1303، ومسلم 2315. والقين: الحداد، والظفر: المرضعة غير ولدتها.

³ - صحيح البخاري : 1420، و صحيح مسلم : 1069.

⁴ - سنن أبي داود : 2989.

8-9 أبريل 2019 - نوفي بازار، جمهورية صربيا

روى البخاري في باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "أني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجده من بكائه".¹

وكان صلى الله عليه وسلم لا يستثنى الصبيان من عيادة المريض، فعن أسامه بن زيد رضي الله عنهما أن ابنة للنبي صلى الله عليه وسلم أرسلت إليه . . . فرفع الصبي في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ونفسه تقعق، ففاضت عينا النبي، فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال : "هذه الرحمة وضعها الله في قلوب من شاء من عباده، ولا يرحم الله من عباده إلا الرحماء".²

ممارحته ومداعبته للصبيان:

روى البخاري عن محمود بن الربع قال : "عقلت من النبي صلى الله عليه وسلم مجحة مجحها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلو"³; أي أن النبي عليه الصلاة والسلام ملأ فمه بماء دلو ثم أفرغه في وجه الطفل الصغير محمود بن الربع من باب المزاح والمداعبة.

وكان لأخ أنس الصغير وكنيته أبو عمير طائر يلعب به، فمات، فحزن عليه. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يشاركه شأنه وانشغالاته ويهمتهم بموهبتها على بساطتها، فقد قال أنس: كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا، وكان لي أخ يقال له أبو عمير، وكان إذا جاء قال : "يا أبا عمير، ما فعل النغير؟".⁴

مداعبته وملاطفته للصغار:

عن أنس -رضي الله عنه- قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يلاعب زينب بنت أم سلمة ويقول : يا زينب، يا زينب مراراً.⁵

روى الطبراني عن جابر -رضي الله عنه- قال: كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فدعينا إلى الطعام، فإذا الحسين يلعب في الطريق مع صبيان فأسرع النبي - صلى الله عليه وسلم- أمام القوم ثم بسط يده فجعل -الغلام- يفر هاهنا وهناك، فيضاحكه رسول الله - صلى الله عليه وسلم- حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه، والأخرى بين رأسه وأذنيه، ثم اعتنقه وقبله، ثم قال : حسین مني وأنا منه، أحب الله من أحبه، الحسن والحسين سبطان من الأسباط⁶. ودخلت عليه زينب بنت أم سلمة وهو في مغسلة، فنضح الماء في وجهها،

¹ - صحيح البخاري 709، وصحیح مسلم 470.

² - صحيح البخاري 5655.

³ - صحيح البخاري 77.

⁴ - صحيح البخاري 4971، وصحیح مسلم 2150، واللفظ لأبي داود 4971، والنغير: طائر يشبه العصفور .

⁵ - رواه الضياء المقدسي، وصححه الألباني في الصحيح : 2141.

⁶ - رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم، وحسنه الألبانى، فى صحيح الجامع ، 3146 .

فكان في ذلك من البركة في وجهها أنه لم يتغير، فكان ماء الشباب ثابتاً في وجهها ظاهراً في رونقها وهي عجوز كبيرة¹.

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في الفتح: إن هذا الحديث (النعي) فيه جواز الممازحة وتكرير المذاх، وأنها إباحة سنة لا رخصة، وأن ممازحة الصبي الذي لم يميز جائز وتكرير زيارة الممزوح معه².

التربية الرحيمة:

أما في مقام التربية فما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلك سبيل التقرير أو التعنيف فضلاً عن اتباع طريقة الضرب، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها فيما رواه الإمام مسلم قالت: "ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله"³. وقال أنس بن مالك الذي خدم رسول الله عشر سنين: فخدمته في السفر والحضر، ما قال لي لشيء صنعته لم صنعت هذا هكذا؟ ولا لشيء لم أصنعه لم تصنع هذا هكذا؟"⁴.

وقال عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كنت غلاماً في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله: يا غلام سُمِّ الله وكل بيمينك وكل مما يليك"، فما زالت تلك طعمتي بعد⁵.

وكان عليه الصلاة والسلام يشعر الأطفال بمكانتهم، ويرفع من قدرهم وقوه شخصيتهم، وكان يعطيهم مثل ما يعطي الكبار من الاهتمام ، فكان حين يمر على الصبيان يسلم عليهم ويمسح على رؤوسهم ، ويشاركون اهتماماتهم، فقد ذكر ابن حجر من رواية النسائي : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور الأنصار فيسلم على صبيانهم ويمسح على رؤوسهم ويدعو لهم"⁶.

تقبيل الأطفال:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الأقرع بن حابس أبصر النبي صلى الله عليه وسلم يُقَبِّلُ الحسن، فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنه من لا يرحم لا يُرحم"⁷. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم في طائفة النهار لا يكلمني ولا

¹ - الموهاب الدينية بالمنج المحمدية، شهاب الدين القسطلاني: 2/354.

² - فتح الباري (10/584).

³ - صحيح مسلم .4303

⁴ - صحيح مسلم مسلم .4277

⁵ - صحيح البخاري: 5061، صحيح مسلم: 2022.

⁶ - سنن النسائي: 8291، وصححه الألباني انظر صحيح الجامع رقم 4947.

⁷ - صحيح البخاري: 5997

9-8 نوفي بزار، جمهورية صربيا

أكلمه، حتى أتى سوقبني قينقاع، فجلس بفناء بيت فاطمة، فقال: "أَئْتَ لُكْعَ، أَئْتَ لُكْعَ، أَينَ الْحَسْنُ؟"، فحسبته شيئاً، أحقرته، فظننت أنها تلبسه سخاباً (فلادة) أو ثغسله، فجاء يشتد حتى عانقه وقبله، وقال: "اللهم أحبه وأحب من يحبه"¹. وهكذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يخصص بعضها من وقته لحفيده، وينبئه.

حسن المواساة:

لما ماتت زينب؛ أشفق النبي صلى الله عليه وسلم على حفيده أمامة، بعد فقد أمها، وحزن لها، فكان يخرج بها أحياناً إلى المسجد، فيحملها وهو في الصلاة، فإذا سجد وضعها على الأرض، وإذا قام حملها على كتفه صلى الله عليه وسلم. عن أبي قتادة الأنباري رضي الله عنه: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأنبي العاص ابن الربيع بن عبد شمس، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها"².

التسليم عليهم والمسح عليهم:

عن أنس -رضي الله عنه- قال: كان رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يزور الأنصار، ويسلم على صبيانهم ويمسح على رؤوسهم³. وعن عبد الله بن جعفر -رضي الله عنهما- قال: مسح رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بيده على رأسه، فلما مسح قال : اللهم اخلف جعفرأ في ولده⁴.

وعن جابر بن سمرة قال: صليت مع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صلاة الأولى ثم خرج إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً واحداً. قال: وأما أنا فمسح خدي قال: فوجدت ليده بردأ أو ريحأ كأنما أخرجها من جونة عطار⁵.

خاتمة:

خلصت هذه الدراسة إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم يمثل في سيرته صلى الله عليه وسلم منظومة متكاملة لأساليب التواصل الأسري، وأن أفضليته على من سواه في معاملته أهله شملت الجوانب الحالية والمقالية، حيث كان يستعمل أنجع التقنيات وأنفذها في إقناع الطرف الآخر قيادته لما فيه مصلحته المعتبرة. وان أسلوبه هذا

¹ - صحيح البخاري: 2122، و صحيح مسلم: 2421.

² - صحيح البخاري: 516، و صحيح مسلم: 542.

³ - صححه الألباني في صحيح الجامع : 4947 .

⁴ - أخرجه الحاكم في المستدرك، (1/372).

⁵ - صحيح مسلم: 2329 .

لم يقتصر على جنس بعينه أو على فئة عمرية بعينها ، بل كان يشمل أسلوبه الحكيم الرحيم الكبار والصبيان. فقد شكل من خلال مفرداته التواصيلية عقدة الحبل التي لا تنفرط والتي بها تماسك الأسر واستمرارها. ومن تلك الأساليب:

1- أسلوب البشر والدعاية؛ ذلك لأن البشر يلطف الأجواء ويطفئ نار الغضب، ويخرج الطرف الثاني عن دائرة العناد ويخلصه من التوتر الذي يحجب التعقل والروية والمطاوعة.

2- غض الطرف عن العثرات دون غفلة، ذلك أن استقصاء الأخطاء : وترصد العيوب، يجعل الطرف المقابل في حالة تأهب مستمر لاستقبال العتاب ، وذلك مما يخرج العلاقة عن دائرة الثقة والتقارب، ويسود جو الندية المفضية إلى السامة والمملل و فساد العلاقة، ويولد ردود الفعل المضادة مما يؤثر سلبا على لحياة الأسرية.

3- المزاوجة بين الحكمة والرحمة في الحوار: لإقناع الطرف الآخر بعدم صحة تصرف ما أو تصور خاطئ، لا بد من اختيار أفضل الأوقات والمداخل. وال الحوار في هذا المقام يجب أن يكون متعدد الاتجاهات، مع الصبر في الإصغاء وعدم تبخيس مواقف الطرف الآخر، وانتقاء ما يقتضيه المقام من عبارات وإشارات.

4- أسلوب التذكير: ويستعمل هذا الأسلوب في حال التقصير في أداء الحقوق التي عليها، سواء كانت حقوقا لله تعالى أو حقوقا للعباد. وعندما يكون الأمر متعلقا بالواجبات الأسرية فإن تقدير ذلك يجب أن يكون بالمعروف(تحقيق المناطق الخاص).

5- أسلوب العتاب: ويستعمل هذا الأسلوب في المواقف التي تقتضي التقويم، خصوصا حينما يتحول السلوك إلى صورة الطبع المستمر.

6- أسلوب التبيين وتقديم حسن الظن: يجب أن تكون الأحكام متأخرة عن الدليل، هذا هو المنطق، وهذا أفضل أسلوب، في معالجة معظم الخلافات الزوجية، خصوصا التي تمس في طبيعتها ناحية العرض، وقصة الافك خير مثال على ذلك. وللشيطان وأعوانه من المنافقين في مثل هذه المشكلات مجال لا ينحصر من التريصات.

7- أسلوب العدل والانصاف، ويستعمل هذا الأسلوب حينما ينشب خلاف بين طرفين أو أكثر من نفس الأسرة، بسبب غيرة أو صراع أقران أو ما شابه ذلك، وقد استعمل النبي صلى الله عليه وسلم مع السيدة عائشة عندما كسرت إماء أم سلمة رضي الله عنها بسبب الغيرة وقال لها صلى الله عليه وسلم: "إماء كإماء".

8- أسلوب الهجر المحدود: وقد شكلت قصة التحرير التطبيق العملي لهذا السلوك، حيث إنه أخف الضررين، ولا يلجأ إليه إلا حين استنفذ ما دونه من حلول، وهو محدود في الزمان والمكان، والغرض منه إعطاء كل طرف فرصة للتrocوي ولمراجعة سلوكه، وليحس كل طرف بما صدر منه وبإمكانية الطرف الثاني منه. وقبل اللجوء إلى هذا الحل لا بد من استنفاد ما قبله من مقدمات.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

9- الرفق وتجنب العنف: أثبتت الدراسة أن النبي صلى الله عليه وسلم ما ثبت أن عالج مشكلة من المشاكل الأسرية بالضرب والتعنيف. وقد جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادمًا له قط، ولا امرأ له قط، ولا ضرب بيده إلا أن يجاهد في سبيل...".

10- على الرغم من حجم الدعوة التي يقوم بها الرَّسُول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ورغم كثرة المشاغل التي تواجهه والعبادات التي يقوم بها من عبادة وتربيه وجهاد وتسيير أمور الدولة الإسلامية إلا أنه جعل له وقتاً ل التربية أطفال المسلمين، وهذا الوقت المستقطع يعتبر بحد ذاته مكسباً تربوياً.

11- استخدام الرَّسُول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أسلوب التكنية للطفل الصغير، وهذه التكنية تشعره، بالنضج وقوه الشخصية.

12- التعامل مع المستوى العقلي والعاطفي للطفل ومراعاته في اساليب التواصل، مما كان يتمثل التفاعل بين الرَّسُول والطفل ، فالحرمان من هذا الحنو والعطف وخفض الجناح، هو الواقي من مجموع الأمراض النفسية كالانطواء والتوحد وضعف الشخصية وغيرها.

13- ممازحة الأطفال والتصابي لهم.

14- بناء شخصيتهم من خلال إشراكهم في الأمور الجامعة وعدم تحقيير دورهم أو رأيهم.

موقع التواصل الاجتماعي كوسائل للتواصل وال الحوار وآثارها الإيجابية والسلبية

أ.د. مزاحم مهدي إبراهيم التجار

جامعة تكريت/العراق

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

فإنه يشرفني ويسعدني أن أكون أحد المشاركين في مؤتكم وفي المحور الرابع موقع التواصل الاجتماعي كوسائل للتواصل وال الحوار وآثارها الإيجابية والسلبية تحت عنوان (موقع التواصل الاجتماعي كوسائل للتواصل وال الحوار وآثارها الإيجابية والسلبية).

لقد جاءت الشريعة الإسلامية من خلال آيات القرآن الكريم والسنة النبوية بأحكام تؤكد على أهمية العلم والعلماء بل إن أول آية نزلت على قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم (اقرأ)، ثم جاءت الآيات القرآنية تحت على طلب العلم وتعليق من مكانته قال تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ⁽¹⁾).

وقد أجمع علماء المسلمين على أنه لا تعارض بين الدين والعلم كيف لا وأنه سبحانه وتعالى أمرنا بتعلم العلوم ونشرها.

لقد تطورت العلوم في وقتنا الحاضر تطويراً كبيراً وفي شتى المجالات ومن هذه العلوم علم الاتصال والذي أصبح اليوم من الأمور الضرورية للإنسان ولا يمكن للكثير من الناس الاستغناء عنه، وأصبحت وسائل الاتصال في متناول كل انسان الصغير والكبير رجالاً ونساءً، ولا يقتصر على فئة دون أخرى حيث أصبح شائعاً لكل انسان.

ومن البديهي أن جميع المخترعات منها ما هو مفيد للإنسان ومنها ما هو ضار له وذلك حسب وكيفية استخدام هذا المنتج أو ذاك، بل إن بعض هذه المخترعات أصبح ضررها أكثر من نفعها مما يتطلب من أصحاب العلم والمعرفة دراسة هذه الأمور من أجل الوقوف على هذه الأضرار والمنافع وللحذر من هذه المساوىء أو تقليلها حفاظاً على صحة الإنسان ، ذلك أن الإنسان هو الهدف الأساسي الذي تسعى الشريعة إلى الحفاظ عليه .

¹ : سورة الزمر آية 9

من أجل ذلك جاء هذا البحث ليبين مساوىء وايجابيات موقع التواصل الحديثة كونها من أكثر الوسائل شيوعا واستخداما في وقتنا، لعلي بهذا ان أوضح للقارئ هذه المساوىء حتى يتبع عنها وبذلك أسمهم في حماية الإنسان من الضرر المحقق به من جراء الاستعمال الخاطئ لهذه الوسائل الحديثة.

هذا وقد اطلعت على بعض الابحاث والدراسات الخاصة في هذا الموضوع لكي تغنى البحث وقد اقتضت طبيعة البحث ان يكون على مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة لخصت اهم النتائج والتوصيات.

المقدمة وقد بينت فيها أهمية الموضوع وسبب البحث فيه.

المبحث الاول: مفاهيم العنوان.

المبحث الثاني: أهم موقع التواصل الحديثة.

المبحث الثالث: أصول الحوار وأدابه.

المبحث الرابع: آثار موقع التواصل الاجتماعي.

المبحث الخامس: الضوابط الشرعية للاتصال.

الخاتمة وتشمل أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الاول: مفاهيم العنوان

قبل أن أبدأ بالبحث لابد من أن أوضح مفردات العنوان ليكون البحث واضحا للقارئ .

اولا: موقع:

تعريف الموقع لغة: الموقع مفرد وجمعه موقع، قال الليث: موقع : موقع لكل واقع. ⁽¹⁾ وهو مصدر ميمي من

وقع، وجاء في معجم اللغة العربية : اسم مكان من وقع، موقع الغيث : المطر، موقع القتال: الجيش مواضعه⁽²⁾

ثانيا: وسيلة:

1: الوسيلة لغة: ورد في مقاييس اللغة: الواو والسين واللام كلمتان متباينتان جدا الاولى: الرغبة والطلب، يقال وسل اذا رغب ، الواسل الراغب إلى الله عز وجل.⁽³⁾ ، والوسيلة : المنزلة عند الملك والدرجة والقرابة، وسل إلى الله وسيلة: أي عملت عملا اتقرب به اليه.⁽⁴⁾ والوسيلة: هي ما يتقرب به إلى الغير والجمع وسل ووسائل.⁽⁵⁾

2: الوسيلة اصطلاحا:

هناك تعاريف عده منها:

عملية نقل الأفكار والتجارب وتبادل المعارف والمشاعر بين الذوات والأفراد والجماعات ، وقد يكون هذا التواصل ذاتيا شخصيا أو تواصلا غيريا وقد يبني على الموافقة أو على المعارضه والاختلاف.⁽¹⁾

¹: تهذيب اللغة، الاذهري، 26/3، العين، الفيروز ابادي/2 178/2

²: معجم اللغة العربية، 2482/3

³: مقاييس اللغة، 110/6

⁴: العين 98 ، لسان العرب 10/724 ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية 5/1841 ، المحكم والمحيط الاعظم 8/612

⁵: تاج العروس 31/75 ، المصباح المنير 2/660 ، شمس العلوم 11/716 ، لسان العرب 11/754 ، المحكم والمحيط الاعظم 8/612

8-9 أبريل 2019 -نوفي بزار، جمهورية صربيا

وعرفا آخر: بناء علاقة بين فردین أو دولتين أو مجتمعين ما يحقق المنفعة المتبادلة بين الطرفين.⁽²⁾

وفي الموسوعة الحرة الالكترونية : عملية تبادل الافكار والأراء والمعلومات والقناعات والمشاعر عبر وسائل متنوعة لفظية وغير لفظية كالكلام والكتابة والأصوات والصور والألوان والحركات والإيماءات أو بواسطة رموز مفهومة (ذات دلالات) لدى الأطراف المشاركة.⁽³⁾

ثالثاً: التواصل:

تعريف التواصل لغة: الواو والصاد واللام اصل واحد يدل على ضم شيء إلى شيء حتى يعلقه⁽⁴⁾ والوصل ضد الهجران.⁽⁵⁾، والتواصل ضد التصارع والوصل رسالة ترسلها إلى صاحبك.⁽⁶⁾

التواصل اصطلاحاً: له معنيان:

1: مفهوم يعني استمرار العلاقة المتينة بين طرف العلاقة المشاركين فيها.⁽⁷⁾

2: افتتاح الذات على الآخر في علاقة حية لا تقطع حتى تعود من جديد.⁽⁸⁾

وعرفا الدكتور عمر نصر الله : أنها علاقة بين فردین على الأقل كل منهما يمثل ذات نشيط.⁽⁹⁾

وعرفا ماجد رجب العبد) علاقة بين فردین أو دولتين أو مجتمعين مما يحقق

المنفعة المتبادلة بين الطرفين).⁽¹⁰⁾

رابعاً: الحوار:

1: الحوار لغة: قال ابن فارس: الحاء والواو والراء ثلاثة أصول: أحدها اللون ، والآخر الرجوع ، والثالث ان يدور الشيء دورانا.⁽¹¹⁾

أما الرجوع : يقال حار إذا رجع ، قال تعالى: (إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ) ⁽¹²⁾ (13)

والحور مصدر حار يحور إذا رجع.⁽¹⁾

¹: منتدى http://ibnhazm.formactif.orgK ,shzg hgj,hwg ,hevi hgn hgvt] ,وسائل التواصل الاجتماعي واثرها على الفرد والمجتمع ، عزيز رشيد هندي²

²: التواصل الاجتماعي انواعه ضوابطه اثاره معوقاته، ماجد رجب العبد العسكري 22، رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية 1432هـ

³: الموسوعة الحرة orgalwiki تواصل htt://llar.wikipedia.org

⁴: معجم مقاييس اللغة 6/115

⁵: لسان العرب 11/726

⁶: تاج العروس 31/86

⁷: المدخل إلى الاتصال الجماهيري، د عصام سليمان الموسى، 22، مكتبة الكتاني، ط 1 1998م

⁸: المصدر السابق 25

⁹: مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير، د محمود حسن اسماعيل 30، ط 1 2003م، الدار العالمية للنشر والتوزيع

¹⁰: التواصل الاجتماعي انواعه ضوابطه اثاره معوقاته، ماجد رجب العبد العسكري 8

¹¹: مقاييس اللغة 11:2:115

¹²: سورة الانشقاق آية 14

¹³: الاشتراق 14

8-أبريل 2019 -نوفي بزار، جمهورية صربيا

وقال ابن منظور: **الحور الرجوع عن الشيء والى الشيء.**⁽²⁾

وفي القاموس: **تحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم.**⁽³⁾

والتحاور : التجاوب، وتحاوروا تراجعوا الكلام بينهم.⁽⁴⁾

والمحاورة : المعاوقة ، مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة.⁽⁵⁾

والحوار: يأتي بمعنى المخاطبة ، قال الطبرى في قوله تعالى (وهو يحاوره)⁽⁶⁾ وهو يخاطبه ويكلمه.⁽⁷⁾

وعرف الحوار بعض صوره في الأعمال الأدبية : حديث يجري بين شخصين أو أكثر في العمل القصصي أو بين ممثلين أو أكثر على المسرح.⁽⁸⁾

2: الحوار اصطلاحا: مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين.⁽⁹⁾ وعرفه بعضهم: نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر أحدهما دون الآخر ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب.⁽¹⁰⁾

وهو ضرب من الأدب الرفيع وأسلوب من أساليبه.⁽¹¹⁾

خامسا: الاجتماعي:

1: تعريف الاجتماعى لغة: الاجتماع على زنة افعال من المادة الثلاثية (جمع) تدل على تضام الشيء، والفعل اجتماع مطابع (جمع) كما قال الرازي جمع الشيء فاجتمع.⁽¹²⁾

2: تعريف الاجتماع اصطلاحا: عبارة عن نسيج مكون من صلات اجتماعية تلك الصلات التي يحددها الإدراك المتبادل بين الجانبيين.⁽¹³⁾

¹: مقاييس اللغة 117/2، جمهرة اللغة 525/1

²: لسان العرب 217/4

³: القاموس المحيط 381:::1

⁴: المصدر السابق، تاج العروس 108/11

⁵: لسان العرب 215/4، تاج العروس 11/608، مختار الصحاح 1/84، تفسير الكشاف 4/484

⁶: سورة الكهف آية 37

⁷: جامع البيان 15/27

⁸: المعجم الوسيط 1/205

⁹: الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى زمزمي 20

¹⁰: في أصول الحوار، 11، الحوار في الإسلام، عبد الله الموحان، 18، أداب الحوار في الإسلام، حامد صقر 12، فنون الحوار والاقناع، محمد راشد ديماس، دار ابن حزم، ط 2 1420هـ - 1999م، ص 11، الندوة العالمية للشباب 12، الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية، خالد المغامسي 20، الحوار في القرآن الكريم، معن محمود عثمان، ص 3، جامعة النجاح الوطنية 2005م، رسالة ماجستير، الحوار في القرآن الكريم، معن محمود عثمان، معن محمود عثمان، جامعة النجاح الوطنية 2015م ، رسالة ماجستير

¹¹: مناهج الجدل، د ناصر الالمعي 30، الحوار في الإسلام، عبد الله الموحان 18

¹²: مختار الصحاح 46، الجوهري 3/1498

¹³: المجتمع الإسلامي ، محمد أمين المصري 12، دار الارقم، الكويت، ط 1 1400هـ

وبتعريف آخر: الاجتماع أو الامة أو المجتمع مجموعة من الناس يشتركون في التقاليد والعادات العامة وفي المؤسسات الجماعية والمصالح المشتركة.⁽¹⁾

وقال آخر (مجموعة من الأفراد يربط بينهما رابط مشترك يجعلها تحت عيشة مشتركة تنظم حياتها في علاقات منتظمة معترف بها فيما بينهم).⁽²⁾

موقع التواصل الاجتماعي:

هناك تعريفات عدة ومنها:

منظومة من الشبكات الالكترونية عبر الانترنت تتيح للمشترك فيه انشاء موقع خاص به ومن ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم نفس الاهتمامات والهوايات.⁽³⁾

وبتعريف آخر: هي موقع الشبكة الاجتماعية والخدمات على شبكة الانترنت التي تسمح للأفراد إنشاء ملفه الشخصي والعام في إطار نظام محدد ووضع قائمة المستخدمين الآخرين الذين يشتركون في التواصل.⁽⁴⁾

ويعرف زاهر راضي موقع التواصل الاجتماعي بأنها: "منظومة من الشبكات الإلكترونية التي تسمح للمشترك فيها بإنشاء موقع خاص به، ومن ثم ربطه عن طريق نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الاهتمامات والهوايات نفسها".⁽⁵⁾

ويعرفاها "بريس" « preece » و مالوني كريشمار maloney krichmar (2005) موقع التواصل الاجتماعي على أنها مكان يلتقي فيه الناس لأهداف محددة وهي موجهة من طرف سياسات تتضمن عدد من القواعد والمعايير التي تقتربها المواقع وتعزز على أنها موقع الانترنت التي يمكن للمستخدمين المشاركة والمساهمة في إنشاء أو إضافة صفحاتها بيسر وبسهولة.

ويعرفاها الحسيني 2012 بأنها خدمات يتم إنشاؤها وبرمجتها من قبل شركات كبرى لجمع أكبر عدد من المستخدمين والأصدقاء ومشاركة الأنشطة والاهتمامات وللبحث عن تكوين صداقات والبحث عن اهتمامات وأنشطة لدى أشخاص آخرين يتشاركون معهم بأحدى الاشتراكات الفكرية أو غيرها وتتوفر هذه الخدمات ميزات مثل المحادثة الفورية والتراسل العام والخاص ومشاركة الوسائط المتعددة من صوت وصورة وفيديو والملفات وقد استقطبت هذه الخدمات ملايين المستخدمين من شتى بلاد العالم.

ويعرفاها "زائد" على أنها تجمعات اجتماعية تظهر عبر شبكة الانترنت عندما يدخل عدد كاف من الناس في مناقشات عبر فترة كافية من الزمن، يجمع بينهم شعور إنساني كاف، بحيث يشكلون موقع للعلاقات الشخصية عبر الفضاء الإلكتروني. وعرفت أيضا على أنها تلك المجتمعات الافتراضية وتجمعات اجتماعية تظهر عبر شبكة

¹ : الفيس بوك والشباب العربي، ليلي جرار، 37، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت ط 1 2012 هـ

² : المجتمع الإسلامي المعاصر، د محمد المبارك 7

³ : موقع التواصل الاجتماعي واثرها على الفرد والمجتمع 2

⁴ : الاعلام الجديد في المجتمع واثرها على الشباب الهنود ، الدكتور ايم نيلا مالار و الدكتورة بي شترا، كلية الاعلام، جامعة تشيناهي، الهند 3

⁵ : استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في العالم العربي، زاهر راضي (2003)

الإنترنت، تشكلت في ضوء ثورة الاتصالات الحديثة، تجمع بين ذوي الاهتمامات المشتركة بحيث يتواصلون فيما بينهم ويسعون لأنفسهم في مجتمع حقيقي.

وعرفها كاتب فارس وعقول دنيا: هي موقع وخدمات إلكترونية توفر سرعة توصيل المعلومات على نطاق واسع فهي موقع لا تعطيك معلومات فقط، بل تزامن وتتفاعل معك أثناء إمدادك بتلك المعلومات في نطاق شبكتك وبذلك تكون أسلوب لتبادل المعلومات بشكل فوري عن طريق شبكة الأنترنت.⁽¹⁾

خامساً: الأثر:

1: الأثر لغة: له معانٌ عدّة منها:

بقية ما ترى من كل شيء وما لا يرى بعد أن تبقى فيه غلته.⁽²⁾

والآخر إبقاء الأثر في الشيء وأثر في الشيء ترك فيه أثرا.⁽³⁾

والتأثير إبقاء الأثر في الشيء.⁽⁴⁾

2: الأثر اصطلاحاً: هو التغيير الذي يطرأ على مستقبل الرسالة كفرد، فقد تلفت الرسالة انتباهه ويدركها وقد تضيف إلى معلوماته معلومات جديدة وقد تجعله يكون اتجاهات جديدة أو يعدل اتجاهاته القديمة وقد تجعله يتصرف بطريقة جديدة أو يعدل سلوكه السابق، فهناك مستويات عديدة للتأثير ابتداءً من الاهتمام بحدوث تدعيم داخلي لاتجاهات إلى حدوث تغيرات على تلك الاتجاهات ثم في النهاية إقدام الفرد على سلوك علني.⁽⁵⁾

إجرائياً: مجموعة من التغيرات التي تطرأ على سلوك الشباب وذلك من خلال المضامين المختلفة من معلومات ورسائل وفيديوهات التي يتلقاها من موقع التواصل الاجتماعي المختلفة.⁽⁶⁾

المبحث الثاني: أهم موقع التواصل الحديثة

هناك أكثر من عشرين موقعًا وسوف أتطرق إلى بعضها المستخدمة في العراق

واذكر أسماء المواقع الأخرى خشية الإطالة⁽⁷⁾

1- الفيسبوك: Facebook شبكة اجتماعية أسسها مارك زوكربرغ، بمساعدة كل من داستين موسكوفيتز، وإدواردو سافرين، وأندرو ماكولوم ، وكريس هيوز عام 2004م، ويعد فيسبوك من أكثر مواقع التواصل الاجتماعي استخداماً وأكثرها شهرة أيضا ، يبلغ رواده أكثر من مليار مستخدم من جميع الفئات العمرية وجميع الطبقات الاجتماعية والثقافية ومن حول العالم كله. يقدم فيسبوك لمستخدميه خصائص عديدة

¹: أثر استخدام موقع التواصل الاجتماعي على سلوك الشعب الجزائري، كاتب فارس وعقول دنيا، 34، رسالة ماجستير 2015-2016

²: العين 8/236، لسان العرب 4/5

³: لسان العرب 4/5، المعجم الوسيط 1/5، تاج العروس 7/13، معجم متن اللغة 1/143

⁴: مختار الصحاح 1/13، لسان العرب 4/5

⁵: الموسوعة الاعلامية، محمد منير حجاج 533، مجلد 2، دار الفجر 2003م

⁶: أثر استخدام موقع التواصل الاجتماعي على سلوك الشعب الجزائري 33

⁷: مجلة رواد الاعمال، موقع التواصل الاجتماعي، محمود سامي، إنترنت

ومتنوعة ومتعددة، تمكنهم من سهولة استخدامه، وسهولة التواصل بمن حولهم ؛ عن طريق الرسائل النصية أو الصوتية، أو الفيديو وغيرها من خصائص كثيرة تتسم بالسهولة والتطور.

2- يوتيوب YouTube : من المواقع العالمية الشهيرة والمهمة، والأكثر استخداماً على شبكة الإنترنت في عالم الفيديو. أسس يوتيوب كل من "تشاد هيرلي، وستيف تشين، وجاود كريم" ، وكانوا "بالي بال paypal" يعملون عام 2005 بولاية كاليفورنيا الأمريكية. وقد قامت "جوجل" عام 2006 بشرائه مقابل 1.65 مليار دولار. ويُعد يوتيوب من الجيل الثاني؛ أي من موقع الويب ، وأصبح عام 2006 شبكة التواصل الأولى حسب اختيار مجلة "تايم" الأمريكية.

يتيح لك يوتيوب تحميل مقاطع الفيديو منه أو عليه ،وله امتيازات خاصة تخدم المشاركين ، ومتاح لكل من يرغب في الحصول على قناته الخاصة به لكل الفئات العمرية والاجتماعية، وفي شتى جوانب الحياة.

3- تويتر Twitter : هو ثاني أشهر موقع للتواصل الاجتماعي عالمياً، أطلقه في عام 2006 كل من جاك دورسي ، ونوح غلاس ، وإيفان ويليامز بيز ستون. و صاحب فكرة تأسيسه هو جاك دورسي، وهو رجل أعمال أمريكي. يضم تويتر حوالي 500 مليون مستخدم، أغلبهم من المشاهير السياسيين الذين يفضلون استخدامه لإبقاء متابعيهم على علم بأخر أخبارهم ونشاطاتهم. عرف تويتر باستخدام مفتاح الهاش تاج # وهو رمز الكلمات الأكثر تداولاً بين مستخدمي تويتر.

يتيح تويتر لمستخدميه كتابة تغريدات قصيرة بحد أقصى 140 حرفاً، وهو أمر يفضلها غالبية المستخدمين؛ إذ يجبرهم على استغلال تلك المساحة الصغيرة لتدوين ما يرغبون؛ ما يضطرهم إلى تقليص محتوى التغريدة بشكل قد لا يستوعب فكرتهم، ولا يجدون راحة في ذلك بالطبع، لكنهم يتحايلون على ذلك بتكميلة التغريدة برابط على فيسبوك يقولون فيه فكرتهم كاملة.

4- انستغرام Instagram : أطلقه مايك كريجر ، وكيفن سيسنرون عام 2010، ويضم أكثر من 300 مليون مشترك. وهو موقع لتبادل الصور والفيديوهات عبر الهاتف المحمول أو الكمبيوتر. ويتبع للمستخدم ربط حسابه بأي حساب آخر له كفيسبوك، ومن ذلك الاختيار يمكنه بمفرد نشر صورة له على إنستجرام أيضاً تنشر على باقي المواقع التي تم الرابط بها في الوقت نفسه. ومع ظهور إنستجرام، ظهرت سمات عديدة في مقدمتها السيليفي.

5- جوجل بلس Google plus : أطلقته شركة جوجل عام 2011. ويمكن إنشاء حساب عليه، مع قبول عدد غير محدود من الأصدقاء، علاوة على سعة غير محدودة للتخزين، ومن أهم مميزاته خدمة قمت بخيارك لها ، و مكالمات hangouts "الصوتية والدردشة الاجتماعية".

6- ماي سبيس My space : أطلقه توماس أندرسون عام 2003 كأول موقع تواصل اجتماعي على الإنترنط ما أهلته لاكتساب قاعدة مشتركيـن كبيرة، خاصة داخل الولايات المتحدة الأمريكية يقع مقر الموقع

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

في سانتا مونيكا بولاية كاليفورنيا الأمريكية ثم انتقل إلى نيويورك بعد أن اشترته شركة نيوز كوربوريشن؛ ليفقد بعدها الكثير من خاصية زواره عقب ظهور Facebook.

7- واتس اب WhatsApp: تأسست واتساب على يد يان كوم وبrian أكتن اللدان عملاً معًا في شركة Yahoo حيث بلغ مجموع سنوات خدمتهم عشرين عاماً. انضمت واتس اب إلى فيسبوك عام ٢٠١٤ لكنها استمرت في العمل كتطبيق مستقل مع التركيز على بناء خدمة مراسلة تعمل بسرعة ويمكن الاعتماد عليها في أي مكان في العالم. هنالك أكثر من بليون شخص في أكثر من ١٨٠ بلدًا يستخدمون واتساب للبقاء على اتصال مع أصدقائهم وأفراد أسرهم في كل مكان و zaman. واتساب برنامج مجاني يوفر اتصالات ومراسلات فورية ومضمونة وآمنة على الهواتف الخلوية في كافة أنحاء العالم.

ابتدأت مسيرة واتس اب كتطبيق بدليل للرسائل النصية القصيرة أما الآن فبات واتس اب يتضمن إرسال واستقبال أنواع متعددة من الوسائل منها الرسائل النصية والصور ومقاطع الفيديو والمستندات والموقع الجغرافي والرسائل الصوتية. إن الرسائل والمكالمات محمية من خلال التشغيل التام بين الطرفين أو ما يعرف بـ end-to-end encryption. أكثر ما يدفع فريق واتساب لتطوير كل خاصية أطلقها هو رغبتهم في إبقاء الناس حول العالم على تواصل فيما بينهم ومن دون عقبات..

9- فايير Viber: هو تطبيق يعمل على الهواتف الذكية متعدد المنصات متواجد لأكثر من نظام مثل الاندرويد iOS وبلاك بيري، ويندوز فون، وسيمبيان سيريس، وماك ونوكيا ، يتيح للمستخدمين المراسلة الفورية وإجراء مكالمات هاتفية مجانية وإرسال رسائل نصية، صور، فيديو ورسائل صوتية بشكل مجاني إلى أي شخص يقوم باستخدام هذا البرنامج،تمكن فايير من تطوير شركة فايير ميديا في 2 ديسمبر 2010. يعمل على الشبكات الخلوية الجيل الثالث والجيل الرابع والشبكات اللاسلكية و الواي فاي على حد سواء، كما يتوفّر البرنامج بـ 10 لغات من بينها اللغة العربية في أبريل 2014 وصل عدد مستخدمي فايير 600 مليون مستخدم مسجل و 230 مليون مسجل نشط شهريا.

وهذه أسماء بعض المواقع الأخرى:

quora كورا

Digg ديج

Vine فين

Periscope بريسكوب

Tumblr تمبرل

Flickr فلايكرا

Good reads جود ريدز

[لينكedin](#)[Pinterest](#)[orkut](#)[BizoGhar](#)[Snapchat](#)

المبحث الثالث: أصول الحوار وآدابه

المطلب الأول: أصول الحوار

لابد للحوار من أصول وآداب حتى يكون التحاور مفيداً ومن أصول الحوار:

1: أن يراد به وجه الله تعالى:

أي أن يراد به إظهار الحق والوصول إليه وهذا عند الطرفين المتحاورين، وهذا يتطلب أن يكون الحوار بعيداً عن التعصب خالياً من العنف والانفعال.

2: العلم:

لابد للمحاور أن يكون عالماً بالمسألة التي يتحاور بها، فموضوع الحوار والعلم بتفاصيله والتسلح بالحجج والبراهين المؤيدة له سلاح فعال في يد المحاور الناجح.

3: التكافؤ بين المتحاورين:

أي أن يكونان متقاربين من الناحية العلمية والثقافية وفي العقل والفهم وإن الغلبة ستكون للجاهل، قال الإمام الشافعي (ما ناظرت عالماً إلا غلبته ، وما ناظرني جاهلاً إلا غلبني).⁽¹⁾

4: تحديد موضوع الحوار ونقطة الخلاف:

قد يختلف المتحاوران في مسائل عديدة ثم يحدث الحوار في مسألة أخرى بدون اتفاق على المسألة الأولى، فيتشعب الحوار ويطول أمور فرعية بعيدة عن موضوع المعاودة وبذلك يكون الحوار عائماً ولا ينتهي إلى نتيجة.

5: قطعية النتائج ونسبيتها:

من الواجب معرفته أن الرأي الفكري نسبي الدلالة على الصواب أو الخطأ، وليس من شرط التحاور الناجح أن ينتهي أحد الطرفين إلى قول الآخر، فإن اتفقا فهو منتهي الغاية.⁽²⁾

المطلب الثاني: آداب الحوار

علمنا الإسلام الالتزام بالأداب المرعية في المعاودة لكي ينجح ومن آداب الحوار:

¹: الحوار في القرآن الكريم والسنّة النبوية، ناصر بن سعيد السيف نقلاً عن الحوار في القرآن الكريم، محمد كمال الحوبل 24

²: ينظر، الحوار في القرآن الكريم والسنّة النبوية، ناصر بن سعيد السيف، انتزت، لحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية ، احمد الصوبيان 64،

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

- 1- المحاجرة بالحسنى بالقول والمجادلة قال تعالى: (وَقُلْ لِعَبَادِي يَقُولُوا أَتَتْهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلنَّاسِ عَدُوًّا مُّبِينًا) ¹.
- 2- التواضع بالقول والفعل: ومن التواضع ترك استخدام الألفاظ الدالة على التعالي والكبر كأن يقول: نرى كذا وعندى كذا ونحو هذه.
- 3- حسن الاستماع: وهذا يترك أثرا طيبا لدى المقابل فإن أكثر الناس يفضلون المستمع الجيد على المتكلم الجيد.
- 4- العدل والانصاف: على المحاور أن يكون منصفا وأن يدي إعجابه بالأفكار الصحيحة والأدلة الجيدة والمعلومات الجديدة وهذا له أثره في قبول الحق، قال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِيْنَ إِنْ يَكُنْ عَيْنًا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَبَعَّدُوا هُنَّ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلُوْوا أَوْ ثُغْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ حَسِيرًا) ².
- 5- الحلم والصبر: على المحاور ان يكون صبورا حليما، فلا يغضب لأتفه الاسباب فان ذلك يؤدي إلى النفرة منه والبعد عنه فان الغضب لا يؤدي إلى اقناع الشخص والحلم من صفات المؤمنين قال تعالى: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْعَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) ³.
- ومن أعلى مراتب الصبر مقابله الاسوء بالإحسان
- 6- أن يكون موضوعيا: الحوار الإيجابي الصحي هو الحوار الموضوعي الذي يرى الحسنات والسلبيات في ذات الوقت، وهو الحوار المتكافئ الذي يعطي لكلا الطرفين فرصة التعبير ويحترم الآخر ويعرف حتمية الخلاف في الرأي بين البشر. ⁴

المبحث الرابع: آثار موقع التواصل الاجتماعي

إن لموقع التواصل الاجتماعي آثارا على جميع الأصعدة والمستويات، فهناك آثارا إيجابية وهناك آثارا سلبية وذلك حسب طبيعة الاستخدام، وسوف أذكر الآثار الإيجابية اولا ثم بعد ذلك اذكر الآثار السلبية.

المطلب الأول: الآثار الإيجابية

لموقع التواصل الاجتماعي آثارا إيجابية في مجالات متعددة وهي:

اولا: المجال الاجتماعي:

¹ : سورة الاسراء آية 53

² : سورة النساء آية 135

³ : سورة آل عمران آية 134

⁴ : ينظر، الحوار في القرآن الكريم والسنة النبوية، ناصر بن سعيد لسيف، انترنيت

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

1: تسهم موقع التواصل الاجتماعي في البقاء على تواصل دائم مع الأهل والأصدقاء وإزالة الحدود والمسافات، كما تتيح البقاء على تواصل مع أهم المواقع الإخبارية لمعرفة ما يدور حولنا من أحداث مهمة تؤثر في مسار حياتنا.

2: تسهم موقع التواصل الاجتماعي على تبادل الخبرات والثقافات حول العالم من خلال نشر ثقافات الأمم والشعوب، وهذا يسهم بصورة كبيرة في نشر مفهوم قبول الآخر من خلال التعرف على عادات الشعوب المختلفة.

3: التأثير في سلوك افراد المجتمع واكتسابهم قيمًا جديدة تساهم في التنمية المستدامة للأفراد والمجتمع.⁽¹⁾

ثانياً: مجال الثقافة العامة والتعليم

من إيجابيات موقع التواصل الاجتماعي أنها تساعده على الوصول لكافة البحوث العلمية والاستفادة منها، كما تسهم في زيادة المعرفة والثقافة العامة.

ثالثاً: المجال الأمني:

1: لموقع التواصل الاجتماعي دور كبير في استقرار أمن الدولة والمجتمع والفرد.

2: توفر الإرشادات ولوائح العمل لرجال الأمن بأقصى سرعة .

3: تقوم بتقريب المسافات بين الإعلام والأمن.

4: تقديم النصائح للمجتمع لحماية الأفراد والممتلكات.⁽²⁾

رابعاً: توفر موقع التواصل الاجتماعي مزيداً من فرص العمل من خلال تصميم الصفحات الخاصة التي توفر لأصحابها دخلاً ثابتاً، كما يمكن استعمالها للترويج للمنتجات وبالتالي الاستفادة من التجارة الإلكترونية التي أصبحت توفر فرصاً متعددة للعمل.

خامساً: تحاول العديد من مواقع التواصل الاجتماعي نشر السلام بين الأديان عن طريق إنشاء صفحات خاصة للتعايش بين الأديان وتقارب وجهات النظر والأفكار⁽³⁾

سادساً: تحقيق التواصل الاجتماعي السريع وغير المكلف مع الأصدقاء والأقارب.

سابعاً: تبادل الخبرات الحياتية في مجالات الحياة المتعددة وذلك عبر الاطلاع على منشورات الأصدقاء.

ثامناً: اكتساب معلومات موجهة من مصادرها التي توفرها من خلال تسجيلات الاعجاب بصفحات علمية أو سياسية أو دينية أو ما أشبه ذلك.

¹ : وسائل التواصل الاجتماعي واثرها على الفرد والمجتمع، عزيز رشيد هندي،

² : المصدر السابق نقلًا عن دور وسائل اعلام المدينة في التوعية، وجدي حلمي عبد الطاهر، موقع جامعة أم القرى

³ : صوت ultra ، موقع التواصل الاجتماعي من اهم مظاهر وثمار التطور العلمي، انتربث

تاسعاً: افساح المجال امام الابداع فيرسم اجتهادات فكرية وثقافية وسياسية من خلال التواصل في مجموعات متعددة.

عاشرًا: اكتساب الوعي المناسب بما يدور حول الإنسان من أحداث ومستجدات وفي مختلف الميادين.⁽¹⁾

المطلب الثاني : الآثار السلبية

تشير الدراسات العلمية الحديثة رغم قلتها إلى أن لموقع التواصل الاجتماعي آثار سيئة واضرار تصيب مستخدمي هذه المواقع ، وسبب ذلك أن هذه المواقع تعد حديثة نسبيا في حياتنا وهذه هي المساوى التي تصيب الإنسان:

1- التوتر: إن أحد أسباب استخدام موقع التواصل الاجتماعي هو للتنفيس عما يدور في داخل الإنسان ، إلا أن من مساوى استخدام هذه المواقع هو التعليقات من قبل المستخدمين وهذه التعليقات تشبه موجة في الغالب لا تنتهي من التوتر والضغط، ففي دراسة عام 2015 اقامها باحثون بمركز (بيو) للدراسات ومقره واشنطن دي سي بالولايات المتحدة حول ما اذا كانت موقع التواصل الاجتماعي تزيد من حدة التوتر لدى المستخدمين وكانت النتيجة أن النساء يشعرن بتوتر وضغط أكثر من الرجال، كما توصل باحثون إلى أن موقع تويتر يعد مساهما قويا في هذا الشعور.

2- الحالة المزاجية: توصل باحثون في النمسا عام 2014 إلى أن المشاركون في إحدى دراساتهم تحدثوا عن تراجع في الحالة المزاجية عقب استخدامهم موقع فيس بوك لمدة 20 دقيقة، وسبب هذا الشعور عندهم لأنهم رأوا أنهم أهدروا وقتهم في استخدام فيس بوك، كما توصل الباحثون إلى أن منشوروا واحدا سلبيا عن حالة الطقس السيء من شخص يعيش في منطقة ممطرة على سبيل المثال أثر على منشورات أخرى لأصدقاء له يعيشون فيمدن جافة.

3- الشعور بالقلق والاضطراب: لقد توصلت دراسة نشرت في دورية (الكمبيوتر والسلوك البشري) إلى أن الأشخاص الذين يستعملون سبعة أو أكثر من منصات التواصل يكونون أكثر عرضة لمستويات مرتفعة من القلق بنسبة تزيد على ثلاثة أضعاف مقارنة بأشخاص يستعملون منصة أو منصتين من منصات التواصل الاجتماعي أو الذين لا يستعملونها.

4- الشعور بالاكتئاب: توصلت بعض الدراسات إلى أن هناك صلة بين الاكتئاب مثل الحاجة المزاجية السيئة والشعور بعدم قيمة للذات واليأس وبين استخدام موقع التواصل الاجتماعي. وقد توصلت دراسة شملت أكثر من 700 مستخدم إلى أن هناك مخاطر بنحو ثلاثة أضعاف للتعرض للاكتئاب والقلق بين الأشخاص الأكثر استخداما لموقع التواصل الاجتماعي.

5- النوم: توصل باحثون إلى أن الأضواء الصناعية التي تحيط بنا ليلا ونهارا يمكن أن تؤثر على إنتاج الجسم لهرمون الميلاتونين والذي يساعد في الأساس على النوم، ويقولون أيضا أن الضوء الأزرق الناتج عن شاشات الهواتف وأجهزة الكمبيوتر المحمولة والأجهزة اللوحية يمكن أن يكون أسوء شيء لصحتنا وبمعنى آخر، إذا كنت تخلد إلى الفراش ليلا وأنت تتصفح فيس بوك وتويتر، فاعلم أنك مقبل على نوم مضطرب.

¹ : جريدة اللواء، مخاطر موقع التواصل الاجتماعي على الشباب، كتبه محرر التحقيقات، 2018

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

6- إدمان موقع التواصل الاجتماعي: إن إدمان موقع التواصل الاجتماعي ما هو الا إدمان الانترنت نفسه، وهو اضطراب مصنف طبيا في الوقت الحالي. وقد ابتكر علماء من هولندا مقياسا للتعرف على أي إدمان محتمل لتلك المنصات. وفي عام 2011 حل باحثان من جامعة نوتنغهام ترينت بالمملكة المتحدة دراسة سابقة حول هذا الموضوع، وخلصوا إلى أن إدمان موقع التواصل الاجتماعي يعد مشكلة صحية عقلية قد تتطلب علاجا.

7- الاعتداد بالنفس: لقد باتت وسائل التواصل الاجتماعي مصدر رئيسي للقلق لما تؤثر سلبا على الاعتداد بالنفس، إذ تسهم وسائل التواصل الاجتماعي في جعل أكثر من نصف مستخدميها غير راضين عن أشكالهم وفقا لاستطلاع شمل 500,1 مستخدم أجرته مؤسسة (سكوب) للأعمال الخيرية لخدمة المعاين، وفي دراسة أجراها باحثون في جامعة (بن ستيت) الأمريكية عام 2016 توصلوا إلى أن رؤية صور سيلفي لأشخاص آخرين يقلل من الاعتداد بالنفس لدى المستخدمين، كما توصلت دراسة أجرتها ثلاث جامعات في الولايات المتحدة وهي جامعة ستريكلاند واوهايو وايوا إلى أن النساء يقارن أنفسهن بشكل سلبي بصور السيلفي التي يشاهدنها لنساء آخريات.

8- العلاقات الاجتماعية: نشرت دراسة صغيرة أن مجرد وجود الهاتف يمكن أن يؤثر على علاقاتنا بالآخرين وخاصة عندما تكون تتحدث معهم في أمور ذات أهمية، وقد ثبتت دراسة قام بها باحثون كنديون عام 2009 أن المرأة تشعر بالغيرة أكثر من الرجل، كما خلص الباحثون إلى أنهم يعتقدون أن بيئه فيس بوك خلقت لدى النساء مثل هذه المشاعر، وعززت لديهن مخاوف بشأن مدى قوة علاقتهم بشركائهم.

9- الحسد: في دراسة ضمت 600 شخص، قال ثلثهم أن وسائل التواصل الاجتماعي تشكل لديهم مشاعر سلبية وخاصة اليأس، وأن السبب وراء ذلك هو الحسد.

10- العزلة والوحدة: في عام 2017 توصلت دراسة نشرت في المجلة الأمريكية للطب الوقائي شملت آراء 7000 ألف شخص تتراوح أعمارهم بين 19 و 32 عاما إلى أن الأشخاص الذين يقضون وقتاً أكثر على موقع التواصل الاجتماعي، يصبحون أكثر عرضة مرتين للشكوى من العزلة الاجتماعية.⁽¹⁾
وذكر كل من محمد حنفي وماجد المطيري إلى أن هناك أسباب تجعل من موقع التواصل الاجتماعي سيئة للغاية وهي:⁽²⁾

1- التضليل ونشر الأخبار المغلوطة وغير الصحيحة: ليس كل ما يكتب في موقع التواصل الاجتماعي حقيقة، فقلة هي التي تتميز بالأمانة، فالبعض يكتب الأكاذيب والبعض الآخر يروجها، فهناك عدد كبير من الأخبار غير صحيحة تنتشر عبر موقع التواصل الاجتماعي.

2- البلاهة: أثارت موقع التواصل الاجتماعي الكثير من الناس نشر الأفكار والتعليقات الغبية، التي تنم عن جهل كبير.

¹ : بحث في بي بي سي عنوانه ماذا يقول العلم في أضرار وسائل التواصل الاجتماعي، شباط/2018، انترنت، تأثير سلبي لموقع التواصل الاجتماعي على المجتمع، يمن سكاي، 2015

² : سلبيات لموقع التواصل الاجتماعي، انترنت

- 3- الكسل: هذه المواقع تعلم الناس الكسل، ولا تشجعهم على الرياضة، فهذه الواقع لا تتطلب جهدا، يمكنك أن تعلق وأنت في سريرك أو حتى وأنت في الحمام.
- 4- خطر على الأطفال: موقع التواصل الاجتماعي تحتوي على مواد لا ينبغي للأطفال التعرض لها مثل الأفلام الإباحية.
- 5- لا وقت للتفكير: تنشر المعلومات على موقع التواصل الاجتماعي في كل لحظة، وهذا لا يمنحك المواطن وقتاً للتفكير.
- 6- تقتل الإبداع: تعتمد موقع التواصل الاجتماعي على تشجيع ردود الفعل بسرعة، وهذه تقتل الإبداع في ذهنك.
- 7- خطر أثناء القيادة: الكثير من الأشخاص ينظرون إلى هواتفهم أو يردون على المكالمات أثناء قيادة السيارة مما قد يؤدي إلى أضرار بالسائق ومن معه.
- 8- لا مهارات حقيقة: إن البقاء ساعات طويلة على الهاتف النقال يحرم الإنسان من التعلم أو تنمية أية مهارات.
- 9- يعرفون كل شيء: لقد خلقت موقع التواصل الاجتماعي جيلاً يعتقد أن كل ما يقوله على موقع التواصل الاجتماعي له أهمية كبيرة.
- 10- الهرس بالمشاركة: موقع التواصل الاجتماعي أصابت الناس بالهرس بالمشاركة بالصورة والكلمات.
- 11- انعدام الخصوصية لمستخدمي الشبكات الاجتماعية: الأشخاص المشاركون في موقع التواصل الاجتماعي يدونون الكثير من معلوماتهم الشخصية حول السكن والشهادة والوظيفة وغيرها مما يجعل بعض المحتالين استغلال هذه المعلومات.
- 12- الاستخدام المفرط لموقع التواصل الاجتماعي يؤثر على درجات الطلاب: أظهرت الدراسات أن الطلاب الذين يستخدمون موقع التواصل الاجتماعي تتحسن نتائجهم بنسبة 20٪. في الاختبارات عن الأشخاص الذين لا يستخدمون موقع التواصل.
- 13- قطع علاقات الصداقات: من مميزات موقع التواصل أنها تزيد من علاقات الصداقات إلا أنها ربما تكون سبباً في مشكلات تؤدي إلى قطع العلاقات بين الأصدقاء.
- 14- تضييع الوقت: رغم المميزات التي تقدمها موقع التواصل إلا أنها تؤدي إلى تضييع الوقت وذلك في التواصل مع الأصدقاء والرد على تعليقاتهم بالإضافة إلى فضاء وقت كبير في الألعاب غير المفيدة وقد تكون ضارة.
- 15- تؤثر على المستقبل الوظيفي: أظهرت الدراسات أن 54٪ من المشاركات توضح الضعف اللغوي للمستخدمين و61٪ منها تظهر الألفاظ غير اللائقة لهم بالإضافة إلى المحتويات الأخرى التي تعتبر خارجة ويرفضها ارباب العمل فتؤدي إلى طرد الموظفين من وظائفهم.
- 16- تؤثر على الترابط الأسري: أظهرت الأرقام أن موقع التواصل الاجتماعي تؤثر على الترابط الأسري فقد ارتفعت نسبة الأشخاص الذين لا يقضون وقتاً مع عائلاتهم من 8٪ عام 2000 إلى 34٪ عام 2011، إضافة إلى أن نسبة 32٪ من الأشخاص يتناولون الوجبات أثناء تصفحهم موقع التواصل الاجتماعي.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

- 17- تؤثر على إنتاجية الموظفين في العمل: أثبتت الدراسات أن حوالي 51%. من الموظفين الذين تتراوح أعمارهم بين 25 و 34 عاما يستخدمون موقع التواصل الاجتماعي أثناء العمل مما يؤدي إلى ضعف الإنتاجية.
- 18- مستخدمو موقع التواصل الاجتماعي عرضة للقرصنة: تتعرض البيانات الشخصية الموجودة على أجهزة الموبايل لمستخدمي موقع التواصل الاجتماعي إلى القرصنة من قبل الكثير من القرصنة.
- 19- استخدام موقع التواصل الاجتماعي تعرض المستخدمين إلى المشاكل: موقع التواصل الاجتماعي تعرض المستخدمين إلى الكثير من المشاكل وذلك لأن جميع بياناتهم معروضة ومتوافرة للجميع، فيجعلهم عرضة للنصب والاحتيال.⁽¹⁾
- 20- انتشار العنف بين المراهقين بسبب نشر بعض العادات السلبية بينهم بالإضافة لنشر بعض الأفكار التخريبية مثل الترويج لبعض الأفكار الإرهابية بين الشباب.
- 21- الترويج للأفكار الهدامة وانتشارها بين الشباب بالإضافة لنشر معلومات مغلوطة عن الأديان.⁽²⁾

المبحث الخامس: الضوابط الشرعية في التعامل مع شبكات التواصل الاجتماعي

أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي اليوم حاجة ضرورية للفرد في المجتمع ولا يمكن الاستغناء عنها، وبما أن هذه المواقع لها أضرار على المستخدمين سواء كانت صحية أو اجتماعية أو غيرها، ومن أجل التقليل من هذه الأضرار إن لم يكن القضاء عليها فهناك جملة ضوابط لابد لمن يستخدم هذه المواقع الالتزام بها خدمة لصالحه وهي:

1: القصدية والنية: لا بد لمن يستخدم هذه المواقع أن يكون قصده وإرادته من وراء هذا الاستخدام الاستفادة وفادحة غيره، فكل عمل في الإسلام مcroftون بنيته وعليه يثاب أو يعاقب على قدر نيته قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرٍ ما نوى).⁽³⁾

2: حفظ الحواس: في استخدامنا لوسائل التواصل الاجتماعي نوظف بعض حواسنا وهي البصر والسمع والنطق، وهذه الحواس شاهدة لنا أو علينا يوم الحساب، قال تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادُ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً)⁽⁴⁾، فعلى المتصل أن يحفظ البصر من الرؤية إلى ما حرمه الله تعالى أو أن يصور ما حرمه الله، وأن يبسط سمعه فيما يسمع أو يسجل بدون علم الأخ، ولا يتكلم بسوء بل عليه أن يستعمل وسائل الاتصال بما ينفع.

3: التبيين في نقل الأخبار: على من يستخدم هذه الوسائل أن يتحرى الصدق فيما ينشر وأن يتتأكد من صحة الخبر قبل أن ينشره، وهذا ما أمرنا به سبحانه وتعالى ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والآيات والأحاديث واضحة في ذلك خدمة للمجتمع الذي نعيش فيه.

¹: تأثير سلبي لموقع التواصل الاجتماعي على المجتمع، مجلة يمن سكاي، 2015

²: صوت ultra ،موقع التواصل الاجتماعي من اهم مظاهر وثمار التطور العلمي، انترنت، وسائل التواصل الاجتماعي وأثرها على الفرد والمجتمع، عزيز رشيد هندي،

³: صحيح البخاري 3/1

⁴: سورة الاسراء آية 36

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

4: إعمار الوقت: الكثير من الأشخاص الذين يستخدمون هذه الوسائل يقضي أكثر وقته فيما لا نفع فيه، علماً أن الإنسان محاسب على قضاء وقته كما بينه لنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم (لا تزول قدمًا عبد يوم القيمة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفقاه وعن جسده فيما أبلاه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه). ⁽¹⁾

5: كتمان الأسرار: أمرنا الله سبحانه وتعالى ونبيه الكريم صلى الله عليه وسلم بحفظ السر وعدم إشاعته وخاصة إذا طلب منه ذلك، فالتستر أمر محمود.

6: تجنب الخضوع واللين في القول: لا خلاف بين الفقهاء على جواز محاادة المرأة الرجل الغريب عنها للضرورة وضمن آداب الحديث، وعليه لا يجوز للمرأة عند الحديث مع الرجال الخضوع في القول واللين، والابتعاد عن الكلام الفاحش والبذيء فيه قال تعالى (ولا تخضعن في القول). ⁽²⁾

7: تجنب الخلوة: كما أمر الله سبحانه وتعالى ونبيه الكريم المرأة بعدم الخلوة مع الرجل كذلك على المرأة ان لا تختلي مع الرجل عند كلامها معه والمقصود بالخلوة هنا أن تتفق مع الخلوة بمعناها الشرعي وأن يكون الكلام بمعرفة الأهل وعلمهم وليس بغرض مغلقة لا يعرف ولا يسمع ما يقولون. ⁽³⁾

الخاتمة:

وتشمل أهم النتائج والمقترنات

أولاً: النتائج:

لقد تبين من هذا البحث أمور عدّة وهي:

1: أن موقع التواصل الاجتماعي سلاح ذو حدين: له فوائد وله مساوىٌ وذلك حسب طبيعة الاستعمال وكيفيته.

2: أن موقع التواصل الاجتماعي أصبحت ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها.

3: التواصل والحوار مطلوب من الجميع ولا يمكن أن يعيش الإنسان بدون أخيه الإنسان، إلا أن هذه الوسائل قد قلللت كثيراً من التواصل وجهاً لوجه مع الأهل والأقرباء والأصدقاء.

4: جهل الكثير من مستخدمي هذه المواقع بأضرارها الصحية والاجتماعية والعلمية وغيرها.

ثانياً: المقترنات

1: الالتزام بالضوابط الشرعية في التعامل مع موقع التواصل الاجتماعي.

2: تأمين الحساب والوصيب من الدخول غير المسموح والاختراق والتتأكد من شخصية من يريد إضافته إلى قائمة الأصدقاء.

3: احترام الآخرين والانتباه عند التعليق.

4: الاحتياط في وضع الصور والمشاركات على الموقع.

¹: سنن الترمذى 612/4

²: سورة الأحزاب آية 32

³: الضوابط الشرعية لاستخدام وسائل التواصل الحديث، الشيخ محمد احمد حسين ، 1435 هـ، 16.10 ، الضوابط الشرعية في التعامل مع شبكات التواصل الاجتماعي ، عمر الصوصي ، انتربيت

8-9 أبريل 2019 - نوفي بزار، جمهورية صربيا

5: التوعية بأهمية وسائل التواصل الاجتماعي والتعريف بالمستويات الاجتماعية والتعبير عن الأفكار والآراء بأدب واحترام الآخرين.

6: عرض تجارب الآخرين الذين تعرضوا للأذى عن طريق هذه الأجهزة.

7: الرقابة الأسرية والجهات المزودة للخدمة والجهات الرسمية بضبط تلك المواقع من الناحية الفنية والتكنولوجية.

8: تدخل الدولة على مراقبة هذه المواقع وضرورة وضع قانون خاص يحدد طريقة وكيفية استخدام هذه المواقع وغيرها من الأمور المهمة وخاصة حجب المواقع المشبوهة.

9: التأكيد على وسائل الإعلام المرئية والمسموعة بضرورة وضع برامج لبيان مخاطر هذه المواقع، وكذلك مسؤولية العلماء والمدرسين وأساتذة الجامعات بذلك.

10: ضرورة توجيه الجيل الجديد بالحفاظ على هوية الأمة، وعدم الأخذ بكل ما يشاع وينقل عبر هذه المواقع لأن منها ما لا يتفق ومجتمعنا وعاداتنا وتقاليدنا.

المصادر والمراجع:

- أثر استخدام موقع التواصل الاجتماعي على سلوك الشعب الجزائري ، كاتب فارس و عقون دنيا، رسالة ماجستير 2016

- آداب الحوار في الإسلام، حامد صقر

- الاشتقاد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ) ،دار النشر: مكتبة الخانجي - القاهرة / مصر -
الطبعة: الثالثة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون

- استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في المجتمع العربي، زاهر راضي

- الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى بن محمد حسن بن احمد رمزي ،دار التربية والترااث، مكة المكرمة، رمادي للنشر، الدمام، رسالة ماجستير 2013هـ

- الضوابط الشرعية في التعامل مع شبكات التواصل الاجتماعي، عمر صوصي، إنترنت

- الاعلام الجديد في المجتمع واثره على الشباب الهنود، الدكتور ايم نيلامالار والدكتورة بي شترا، كلية الاعلام ، جامعة تشينامي، الهند

- تأثير سلبي لموقع التواصل الاجتماعي، مجلة يمن سكاي، إنترنت

- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الربيدي (المتوفى: 1205هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهدایة

- تفسير الكشاف، الكشاف عن حقائق غوامض التزييل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1407 هـ

- تفسير الطبرى = جامع البيان عن تأويل آى القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملی، أبو جعفر الطبرى (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر

الدكتور عبد السندي حسن يمامه، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م

- التواصل الاجتماعي أنواعه ضوابطه أثاره معوقاته ، ماجد رجب العبد العسكري، الجامعة الاسلامية، 1432هـ ، رسالة ماجستير

- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الھروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى، 2001

- جمهرة اللغة ،أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملائين – بيروت، الطبعة: الأولى، 1987م

8-أبريل-2019 -نوفي بزار، جمهورية صربيا

- الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ، يحيى بن محمد حسن بن احمد زمزمي ، دار التربية والترا ، مكة المكرمة، رمادي للنشر ، الدمام، رسالة ماجستير 2413
- الحوار في الإسلام ، ا. د عبد الله بن حسين المohan ، الناشر: مركز الكون، ط 1 2006 مط المohan
- الحوار في القرآن الكريم، معن محمود عثمان، جامعة النجاح الوطنية، 2005م، رسالة ماجستير
- الحوار في القرآن الكريم والسنة النبوية، ناصر بن سعيد بن سيف السيف، انترنيت
- الحوار أصوله المنهجية و آدابه السلوكية، احمد الصويان، دار الوطن، ط 1 1418هـ
- دور وسائل اعلام المدينة في النوعية، وجدي حلمي عبد الطاهر، موقع جامعة ام القرى
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت ،الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م
- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، الناشر: دار ومكتبة الهلال
- الغيس بوك والشباب العربي، ليلى جرار، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، ط 1 2012
- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقُوسي ، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ،الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنباري الرويfceي (المتوفى: 711هـ) ،الناشر: دار صادر - بيروت ،الناشر: دار صادر - بيروت
- مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير، د محمود حسن اسماعيل، ط 1 2003
- المجتمع الإسلامي، محمد أمين المصري ، دار الارقم، الكويت، ط 1 1400هـ
- المجتمع الإسلامي المعاصر، د محمد المبارك ، دار الفكر ، بيروت، 1971
- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، المحقق: يوسف الشیخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت صيدا ،الطبعة: الخامسة، 1420 هـ / 1999 م
- المدخل إلى الاتصال الجماهيري، د عصام سليمان الموسى ، مكتبة الكنانى، ط 1 1988
- معجم اللغة العربية المعاصرة:، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل ، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م
- معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق) ،الناشر: دار مكتبة الحياة – بيروت، عام النشر: [1377 - 1380 هـ]
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن ركرا ،المحقق : عبد السلام محمد هارون، الناشر : اتحاد الكتاب العرب، الطبعة : 1423 هـ = 2002م.
- المعجم الوسيط ، مجتمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة
- الموسوعة الإعلامية، محمد منير حجاب، الفجر، 2003م

الانترنت

- جريدة اللواء، انترنيت
- مجلة صوت ultra انترنيت
- موقع التواصل الاجتماعي من اهم مظاهر وثمار التطور العلمي، انترنيت

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار .جمهورية صربيا

- موقع التواصل الاجتماعي، افضل 23 موقع اجتماعي للتسجيل مباشرة، محمود سامي، 2018م، انترنت
- الندوة العالمية للشباب ، انترنت
- وسائل التواصل الاجتماعي واثرها على الفرد والمجتمع، عزيز رشيد هندي، مدونة الاستاذ عزيز رشيد هندي، انترنت

"دور مناهج العلوم الطبيعية في تنمية القيم الحوارية"

د. هذال بن عبيد عياد الفهيد

أستاذ المناهج وطرق تدريس العلوم المساعد - كلية العلوم والآداب بشرورة / جامعة نجران

المستخلص:

تقع هذه الدراسة في ثلاثة مباحث بالإضافة إلى نتائج الدراسة وتوصياتها، حيث يتناول المبحث الأول المفاهيم الأساسية المتعلقة بالحوار على المستوى اللغوي والاصطلاحي، وكذلك أهمية الحوار، وأهدافه بشكل عام، وأصول الحوار، والخصائص المميزة للحوار، وأيضاً الآداب التي يجب أن يتسم فيها المتحاورون، وعناصر القوة في الحوار، وتوضيح للمعوقات التي قد تحد من فائدة الحوار.

ويلقي المبحث الثاني نظرة موجزة على الحوار في العملية التعليمية من حيث المفهوم، وأهداف الحوار في العملية التعليمية.

أما المبحث الثالث والأخير فيوضح دور مناهج العلوم الطبيعية في تنمية القيم الحوارية، وذلك من خلال بيان الصفات التي تسعى مناهج العلوم الطبيعية لإكسابها للطلاب، والتي تدعم عملية تنمية القيم الحوارية، وفي هذا المبحث يتم توضيح دور أهداف ومحنتوى مناهج العلوم الطبيعية، والتي تؤكد وتعمل على تنمية القيم الحوارية لدى الطلاب، وفي نهاية هذا المبحث تم بيان مفهوم طريقة التدريس الحوارية التي من خلالها يتحقق هدف مناهج العلوم الطبيعية في تنمية القيم الحوارية بشكل أفضل، وكيفية تنظيم الجلسة الحوارية، ومزايا الطريقة الحوارية.

وفي نهاية هذا البحث تم تقديم عدد من النتائج، والتوصيات بناءً على ما تم عرضه من معلومات مختلفة عن الحوار بشكل عام، والحوار في العملية التعليمية، وكذلك الحوار في مناهج العلوم الطبيعية ودورها في تنمية القيم الحوارية.

المبحث الأول: الحوار نظرة عامة

الحوار في اللغة: جاء في لسان العرب لابن منظور (2008) الحوار يعني "الرجوع عن الشيء، والمحاورة تعني مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، والحوْرُ يعني النقصان بعد الزيادة لأنَّه رجوع من حالٍ إلى حال". ص 264.

الحوار في الاصطلاح: يعرفه العبودي (2005) بأنه "نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر ويغلب عليه الهدوء وبعد عن الخصومة والتعصب". ص 12، كما يعرفه زيدان (2008) بأنه: "القدرة على التفاعل المعرفي والعاطفي والسلوكي مع

الآخرين". ص 8، ويعرفه القحطاني (2011) بأنه " تفاعل لفظي أو غير لفظي بين اثنين أو أكثر من البشر بهدف التواصل الإنساني وتبادل الأفكار والخبرات وتكاملها".ص 17.

والحوار مبدأ سامي، وطريقة راقية في التعامل مع الآخرين، وثمرة من ثمرات المجتمعات الإنسانية التي أدركت أهمية الحوار في حياة البشر، ودوره الرئيس فيها، وأدركت أن هذا الإنسان يستجيب للحوار، ويفاعل معه، ويرتاح إليه، وأن الحوار هو السبيل الأمثل لعيش حياة كريمة هائمة يسودها الحب، والتفاهم البناء بين جميع أبناء العالم الكبير على اختلاف أسلوبهم وألوانهم وأديانهم وانت茂اتهم الاجتماعية . (الحسين ،2011)، ويعرفه الجوير (2013) بأنه "محادثة بين طرفين أو أكثر حول قضية معينة لتبادل المعرفة والأفكار والأراء مدعماً كل طرف رأيه بالأدلة والحجج لمعرفة الحقيقة بعيداً عن التعصب والخصومة والغضب بحيث يراعي كلا الطرفين الأساليب التربوية والعلمية والاجتماعية والاستعداد التام لقبول رأي الطرف الآخر عند اتضاح الحق" ص 37.

بالتالي فالحوار حديث يدور بين شخصين أو أكثر ويأخذ أشكالاً متعددة منها الحوار الشفهي أو الكلام المطبوع أو غيره، ويكون على شكل عرض وجهات نظر مختلفة، أو إضافات أو مداخلات وتعقيبات، وله ركائز هما: وجود أكثر من محاور، ووجود قضية يجري الحوار بشأنها، ويهدف للوصول إلى نتيجة إيجابية في نهاية الأمر. (صلبي ، 2010)

أهمية الحوار: تبرز أهمية الحوار في أنه يعد من أفضل الوسائل في الإقناع وتغيير الاتجاه الذي يدفع إلى تعديل وتغيير السلوك إلى الأحسن، فالحوار يؤدي إلى تعويد النفوس على تقبل النقد واحترام الرأي الآخر، ودعم النمو النفسي والتخفيف من مشاعر الكبت وتحرير النفس من المشاعر العدائية والقلق من المستقبل كما أنه يعد وسيلة علاجية لكثير من المشكلات التي يصعب حلها بالطرق التقليدية. (السليمان، ٢٠٠٥)

إن الإنسان اجتماعي بطبيعة لا يستطيع أن يعيش لوحده دون أن يكون لديه اتصال بالآخرين، وهذا الاتصال يتحقق له وجوده ذاته ويسمح له بتبادل الأفكار والخبرات مع الآخرين. (خوجة ١٤٣٠) ، وتمثل أهميته كذلك باستخدام أساليب الحوار البناء لإشباع حاجة الإنسان للاندماج في الجماعة، فالحوار يحقق التوازن بين حاجة الإنسان للاستقلالية، وحاجته للمشاركة والتفاعل مع الآخرين، كما يعكس الحوار الواقع الحضاري والثقافي للأمم والشعوب، حيث تعلو مرتبته وقيمة وفقاً لقيمة الإنسانية لهذه الحضارة وتلك الشعوب. (جامعة الجزيرة ، 2016)، ولكي يكتمل نمو المتعلم فكريًا فإنه يتطلب من المعلم والمربى أن يستخدم أسلوب الحوار معه من أجل أن يكتسب الثقة بنفسه ويتحول إلى عنصر فاعل ومشارك في العملية التعليمية والتربوية قادر على تحمل مسؤولية نفسه بكل ثقة وقناعة تامة، وهذا لن يتحقق إلا إذا ألم المتعلم بشقاقة الحوار ومهاراته. (الجوير .2013،

أهداف الحوار: إن للحوار أهدافاً عديدة يسعى إلى تحقيقها ومن الأهداف التي يمكن أن يتحققها الحوار ما يلي:

- فهم المتحدث واستجلاء مراده.
- التوجيه لسلوك معين.
- تصحيح مفهوم.
- غرس أو تعميق مفهوم.
- التثبت من حقيقة ما أو خبر.
- تحقيق الطمأنينة والأنس للطرف الآخر.
- التعليم.
- الإرشاد لطالب الاستشارة. (زمزمي، 1422)

وتضيف طالب (2016) أن من أهداف الحوار ما يلي:

- يساعد الحوار على عرض الأفكار بين المتحاورين والحجج والأدلة على صحة الطريق الذي يمشون فيه، فهو يدفع الشبهات ويجعل المحاور قادراً على عرض أساليبه وغياباته وتوضيح الأمر.
- طريقه لدعوة الآخر بشكل حضاري وفعال، حيث إنه يقوم بعرض كل ما لديه بشكل مريح.
- يعمل على تقارب وجهات النظر، ويزيل الفجوات بين الم المتحاورين ويعيد التباغض والتناحر فيما بينهم.
- إظهار الحقائق، وكشف جميع الأكاذيب.
- ينشر المعارف والثقافات، ويعزز من كمية معلومات الم المتحاورين حول موضع معينة.
- نشر الألفة والمحبة بين البشر، وصنع العلاقات الجيدة والصداقات.
- يعمل على بيان الخيارات والحلول أمام المحاور، مما يسهل عليه عملية الفهم والاختيار السليم.

أصول الحوار: أصول الحوار هي عبارة عن القواعد الرئيسة الثابتة التي تضبط مسار الحوار، وأما الآداب فهي طريقة الحوار والقواعد السلوكية التي ينبغي مراعاتها قبل الحوار أو أثناءه أو بعده، والتي تساعد على نجاح الحوار (زمزمي، ١٤٢٢)، ومن أبرز تلك الأصول:

1. تحديد الهدف من الحوار.
2. الاتفاق على منطلقات ثابتة وقضايا مسلمة.
3. الالتزام بآداب الحوار.
4. بناء الحوار على الفرضيات والنظريات (فلمبان، 1430).

خصائص الحوار: يُعدُّ الحوار كغيره من مهارات الاتصال له خصائص مميزة، ومنها كما ذكر زممزمي (1422):

9-8 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

- الحوار عملية هادفة.
- الحوار عملية عادلة.
- الحوار عملية مستمرة.
- الحوار عملية إنسانية.
- الحوار لغة.
- الحوار وسيلة تقويم.
- الحوار مهارة.

آداب الحوار :

- **الآداب النفسية للحوار:** ليكون الحوار مقبولاً من الناحية النفسية لابد أن يتسم بما يلي:

- الصدق.
- الحلم والصبر.
- حسن الاستماع.

• الاحترام . (جامعة الجزيرة ، 2016)

- **الآداب اللفظية:** الإنسان لا بد أن يكون حذراً في التحدث في الحوار لما يتلفظ به من كلمات ويستخدم من ألفاظ. لكي تصل رسالته بالشكل المطلوب، بعيداً عما قد يثير الفتنة والمشاكل، وبعد عن الألفاظ المبهمة.

- **الآداب العلمية:** لنجاح الحوار لابد أن من الالتزام بالآداب العلمية، ومنها:

- العلم.
- البدء بالأهم.
- الدليل.

• طرح الأمثلة. (كامل ، 2011)

عناصر القوة في الحوار: لكي يكتسب الحوار القوة الالزمة التي تجعل منه حواراً هادفاً ومثمناً على المحاور أن يلم بعناصر تجعل حواره أكثر جدواً ومن هذه العناصر كما ذكر طاهر (2014) ما يلي:

- 1-معرفة مشكلة الحوار بشكل جيد من جميع النواحي.
- 2-الاستشهاد بالنصوص الدينية، عندما يتعلق موضوع الحوار بذلك.
- 3-استخدام المعلومات التاريخية من أجل تأكيد معلومة معينة، أو دحض معلومة أخرى لدى المحاور الآخر.

9-8 نوفي بزار، جمهورية صربيا

4-استخدام لغة الأرقام والإحصائية الموثوقة، مما يضفي الكثير من المصداقية على حديث المحاور.

5-التوضيح بالحجج المنطقية، كلما استخدمها المحاور بوضوح كانت أقوى تأثيراً.

6-استمداد الأمثلة من الحياة الواقعية، لشرح وتفسير الحقائق العلمية والنظريات.

7-استخدام اللغة العلمية الواضحة.

8-إجادة طرح الأسئلة على المحاور.

9-عدم إهمال الإجابة على أي سؤال يطرحه المحاور الآخر.

10- توافر معلومات كافية عن المحاور.

معوقات الحوار:

- ضعف القناعة بأهمية الحوار كمهارة فعالة للتربية.
- الاستبداد بالرأي.
- تجاهل الحقائق.
- ضعف مهارة الإنصات.
- ضعف اللغة الحوارية.
- تباين الثقافة.
- عدم المرونة.
- سوء الظن بالطرف الآخر.
- اللهجة الاتهامية. (الزهراني ، 2007)

المبحث الثاني: الحوار في العملية التعليمية

مفهوم الحوار في العملية التعليمية: الحوار في العملية التعليمية هو عبارة عن الاتصال الفكري وللغوي بين المعلم والمتعلم من خلال طرح الأفكار والآراء وبيان تفاعಲها بين المجموعة الموجودة في حجرة الصف بهدف تحقيق أهداف الدرس. (البصیر، 2014)

إن تطبيق الحوار في العملية التعليمية يسهم في تحقيق غايات إيجابية للمتعلم من أبرزها أنه يسهم في تنمية تفكير الطالب ويساعدهم على تشكيل أفكارهم فمناقشة الطلاب في أي موضوع من الموضوعات ومحاورتهم فيه يساعدهم على تقوية معرفتهم وزيادة قدرتهم على الفهم والتفكير كما أن مواقف الحوار الإيجابية

8-أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

داخل المدرسة تدعم المشاعر الإيجابية في نفس الطالب وتزيد من شعوره بالثقة في النفس والفخر والاعتزاز وتحقيق الذات. (جابر ١٩٩٩)

أهداف الحوار في العملية التعليمية: إن للحوار داخل المدرسة عدة أهداف، من أبرزها كما ذكر الحسين (2011) ما يلي:

- 1 تربية الطلاب على منهجية الحوار، وفهم وجهات نظر الآخرين، واحترامها لكي يسلكوا هذا المسلك في حياتهم داخل المدرسة وخارجها.
- 2 تربية الطلاب على منطق العقل، وعلى المنهج العلمي الذي يقوم على الحجة والدليل والقناعة، وليس التسليم المطلق لكل ما يسمع ويقال من قبل المعلم أو غيره.
- 3 تخريج جيل صالح قادر على النقد الهادف والبناء من خلال تشجيعهم على إبداء آرائهم بكل حرية وجرأة.
- 4 غرس القيم في نفوس الطلاب من خلال الممارسة والسلوك وليس من خلال تلقين المعلومات فقط.
- 5 اكتشاف الطلاب المبدعين وتنمية موهابتهم، وبالتالي يتم الاعتناء بهم، ووضع الخطط لصقل هذه المواهب وتجوبيتها الوجهة الصحيحة.
- 6 تخريج جيل وسطي معتدل ينبذ العنف والتعصب للرأي.
- 7 الوصول إلى الحقيقة حتى لو لم تتناسب مع رغبة الطالب ورأيه.
- 8 تعزيز ثقة الطالب بنفسه، من خلال منحه الفرص والوقت الكافي للتعبير عن أفكاره، والتخلص من عقدة الخوف ومواجهة الآخرين.
- 9 تنمية روابط الألفة والمحبة بين المعلم والطالب وبين الطالب أنفسهم.
- 10 تبسيط المعلومات العلمية، وجعلها مفهومة للطلاب.
- 11 تمكين الطالب وإعطاؤه الفرصة للمشاركة في صياغة القرارات المدرسية وقوانينها، وبالتالي احترامها والالتزام بها.
- 12 تهيئة الطالب وتبصيرهم بخصائص المراحل القادمة التي سيقدمون إليها.

المبحث الثالث: دور مناهج العلوم الطبيعية في تنمية القيم الحوارية

إن المناهج الدراسية لها دور كبير في تنمية القيم الحوارية من خلال دمج هذه القيم في أهدافها، ومحوهاها، وطرق تدريسها، وأنشطتها، وأساليب التقويم، ويتحقق ذلك بشكل كبير في مناهج العلوم الطبيعية

لاعتمادها على التعلم النشط واستراتيجياته المختلفة لإيصال المعلومات والمهارات للطلاب واستيعابها لهم بشكل أكبر، وهذا يعتمد على ممارسة القيم الحوارية بشكل صحيح لذا كان لزاماً على مصممي مناهج العلوم الطبيعية الأخذ بهذا الاتجاه، لرفع مستوى العملية التعليمية، وهذا يبدأ من تخطيط المنهج، وقد لاحظ الباحث من خلال تحليل محتوى بعض مناهج العلوم ضعفاً في دمج تلك القيم في تلك المناهج؛ لذلك رأى أهمية بيان كيفية دمج القيم الحوارية في مناهج العلوم الطبيعية لتمييزها بالخصائص العلمية ، وكذلك تراكم المعرفة العلمية السريع ومستجداتها في عصرنا الحالي، مما يتطلب ضرورة تعريف الطلاب بهذه القيم، وكيفية ممارستها بشكل واقعي من خلال مناهج العلوم، وبالتالي تطبيقها في شتى مجالات الحياة.

ومنهج العلوم الطبيعية بمفهومه الواسع يشمل المحتوى المقدم في المواد العلمية (الأحياء، الكيمياء، الفيزياء، الجيولوجيا) والأهداف والطريقة التي يقدم بها، وكذلك الأنشطة الصافية واللاصفية المصاحبة للتعلم والاختبارات وأساليب التقويم. (سعادة ، وإبراهيم ، 2004)

لذلك يكون الحوار في مناهج العلوم الطبيعية محصلة لتضافر جهود جميع المعنيين بمناهج العلوم الطبيعية، بدءاً من فريق إعداد المناهج في وزارة التعليم الذي يرصد الأهداف التعليمية العامة والخاصة للمنهج، مروراً بمؤلفي المنهج الذين يختارون المحتويات بعناية ودقة، وانتهاءً بالمعلمين الذين يدرسون مناهج العلوم الطبيعية، والطلاب الذين يدرُّسون المنهج، والجهاز الإداري الذي يشرف على سير العملية التعليمية وانتظامها، فضلاً عن مساندة جميع المؤسسات الثقافية والإعلامية في المجتمع. (الحسين ، 2011).

ومناهج العلوم الطبيعية تسعى لإكساب المتعلمين صفات تَمَيِّزُ القيم الحوارية لديهم ومن هذه الصفات ما يلي: (زيتون ، 1985)

- 1- الموضوعية في التفكير والمناقشة.
- 2- حب الاستطلاع والاستفسار العلمي.
- 3- التحرر من الخرافات والمعتقدات الخاطئة.
- 4- تفتح الذهن والرغبة في قبول الحقائق.
- 5- التأني في إصدار الأحكام، وعدم التسرع في إبداء الرأي.
- 6- الإيمان بقيمة العلم، وتقدير جهود العلماء.
- 7- الأمانة العلمية والتواضع العلمي.
- 8- احترام وجهات نظر الآخرين، وتعديل الرأي في ضوء ظهور أدلة جديدة.
- 9- فهم العلاقة بين السبب والنتيجة.
- 10- الاعتماد على النفس واكتساب روح التعاون.
- 11- البعد عن الجدل المبني على أساس غير علمي.

- 12- الإيمان بأن النظريات العلمية قابلة للتعديل أو التغيير.
- 13- عدم التعصب، والبعد عن الجمود العقلي.
- 14- فحص ما يعرض عليه من آراء واقتراحات.
- 15- استخدام الطريقة العلمية في التفكير.

وعند مراجعة أهداف تعليم العلوم الطبيعية نجد أنها تركز على إكساب الطلاب مهارات التفكير المختلفة وتنميتها، وعلى تدريب الطلاب على مناقشة الأمور، والبحث عن الأسباب وذلك لتنمية المنهجية العلمية لديهم للأخذ باليقين، وعدم السير وراء الأوهام والشكوك، وتعويد الطلاب على التجدد العلمي الذي يدعو إليه الإسلام بعيداً عن الهوى والتحيز. (الحسين ، 2003)

لذلك لابد أن يكون عرض محتوى المادة العلمية في صورة حوار يساعد الطلاب على الاستنتاج والتفكير بدلاً من تقديم معلومات جاهزة تعتمد التلقين ومن ثم الاستظهار.

ويعد محتوى مناهج العلوم الطبيعية الأكثر فاعلية في تنمية القيم والمهارات الحوارية لدى الطلاب، ويعود ذلك إلى طبيعة تلك المواد، وموضوعاتها التي لابد أن تدرس من خلال منهج حواري تواصلي، وهذه هي السمة الظاهرة في محتوى هذه المناهج لاحتواه على موضوعات، وأنشطة مختلفة تتطلب أن يتم تدريس هذا المحتوى بالطرق التفاعلية والتي من أهمها الطريقة الحوارية والتي عرفها إبراهيم(1987) بأنها "طريقة تفاعلية تقوم على أساس الحوار بين المعلم وتلاميذه بقصد إيصالهم تدريجياً، وعن طريق الاستجواب إلى كشف حقيقة لم يكونوا يعرفونها من قبل، فهي ترمي إلى توصيل المعلومات إلى المتعلمين بالمساءلة والمناقشة". ص 16

وإن استخدام معلم العلوم لطريقة الحوار في التدريس يعمل على تنمية القيم الحوارية لدى الطلاب، وال الحوار طريقة ناجحة في زيادة فاعلية التعلم والتعليم نحو تحقيق الأهداف المعرفية بمستوياتها المختلفة، وجعل المتعلم في موقف المواجهة والتحدي والمشاركة، الأمر الذي يجعله يشعر بأهميته كفرد فاعل ونشيط، ويرتقي به وبالعملية التعليمية نحو الأفضل. (صلبي، 2010)

وفي موضوعات العلوم الطبيعية كما ذكرنا سابقاً يكون المجال رحباً للتفاعل والحوار بين المعلم والمتعلمين، حيث يتشوق الطالب للحوار فيها مع المعلم، فيستمتع بلذة الوصول إلى المعرفة بنفسه والاقتناع بها بعد الحوار، وكذلك توافر القاعدة الجيدة لدى المتعلمين للحوار والتفاعل مع المعلم ، وذلك بحكم التصاق موضوعات العلوم الطبيعية بحياة المتعلمين، وبيئتهم وسلوكهم، فطريقة الحوار طريقة تفاعلية تعلم التفكير الموضوعي والنقد مما يحقق تعلمأً أفضل، وهذا ينعكس إيجابياً على تنمية قيم الحوار وعلى التحصيل المعرفي، ذلك الهدف الذي تسعى إليه العملية التعليمية كهدف قابل للقياس والتقويم. (الحصري، 1995)

8-أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

كما أن العلاقة الشخصية الإيجابية بين المدرس والطالب تعد عنصراً مهماً بالتدريس، ولكي تقوم هذه العلاقة لابد للمدرس والطالب من أن يحاور كلّ منهما الآخر بطريقة من شأنها أن توجد الثقة والاحترام المتبادلين بينهما، ويتم مثل هذا التفاعل عندما يتبادلان الرأي والعمل المشترك. (القلا، 1990)

تنظيم جلسة الحوار: وتتضمن: (حمدان، 1997)

أ. الإعداد للحوار: ويشمل:

- اختيار موضوع الحوار: يجب أن يكون الموضوع خصباً وغنياً للحوار، ويتم فيه تبادل الأسئلة والأجوبة، وموضوع التغذية فيه مجال جيد للحوار، تتوافق فيه الخبرة الحياتية، ويحدث بعض معلومات مرحلة التعليم الأساسي.
- تنظيم محتويات الموضوع حسب تسلسل منطقي يتماشى مع الحوار.
- تحديد مصادر موضوع الحوار.
- بيان كيفية إجراء الحوار وتحديد أسلوبه.

ب . تنفيذ الحوار ويشمل:

- الإثارة والتسويق للمتعلمين: وتم بأشكال متعددة باستخدام الوسائل التعليمية .
- كتابة عنوان الدرس على السبورة، أو السبورة الضوئية.
- يبدأ الحوار بعد ذلك حسب التخطيط المعد، ويستمر الحوار وطرح الأسئلة وتبادلها ليشمل نقاط الدرس كاملة، وبإشراف المعلم.
- التعميم والتقويم.

مزايا الطريقة الحوارية في تدريس العلوم الطبيعية:

تمتاز الطريقة الحوارية بمزايا متعددة منها: (الشهابي، 1992)، (الحصري، 1995)

- تهتم بإثارة التفكير عند المتعلمين وتنمية قدراتهم.
- احترام شخصية المتعلمين وتنميتها.
- التعلم فيها أكثر ثباتاً وديومة.
- تهتم بتبادل الأسئلة والأفكار.
- جعل التعلم أكثر فاعلية.
- أن الحوار طريقة تفاعلية تحفز المتعلمين على المشاركة، وتحرك دوافعهم، وتشير اهتمامهم.
- تجعل الطالب في موقف المشارك الإيجابي فتساعد على تحقيق الفهم الصحيح.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار. جمهورية صربيا

- تعويد المتعلمين على التفكير والاكتشاف، وتوقظ انتباهم، وتزيد من شغفهم بالدرس.
 - تبني القيم الحوارية لدى الطلاب ومنها الصدق، التسامح، العدل، والصبر، واحترام الآخرين.
 - تؤمن التغذية الراجعة الضرورية لتصحيح مسار عملية التعلم.
 - تؤكد الاستقلال الفكري، وترفض التعصب الأعمى.
 - تفسح المجال أمام الطلاب لتأكيد ذاتهم.
 - تدفع الطلبة إلى استخدام النقد والتحليل بدلاً من السلبية في تقبل الآراء أو رفضها بدون أي تعليل منطقي.
 - تشيع بين الطلاب روح الديمقراطية.
 - تخلق عند الطلاب حب التنظيم والقدرة على التخطيط.
 - تضفي جوًّا من الحيوية على الصف.
 - يصبح المدرس موجهاً وقائداً للحوار بدلاً من كونه ناقل حرفياً للمادة والمعارف.
- ومن خلال ما سبق عرضه يكون لزاماً على معدى مناهج العلوم الطبيعية العمل على زيادة المجال للحوار في تلك المناهج لإكساب الطلاب القيم الحوارية، وعلى معلمي العلوم الطبيعية تفعيل قيم الحوار الموجودة في محتوى تلك المناهج لكي يتمثلها الطلاب في ممارساتهم السلوكية، وفي تعاملهم مع الآخرين.

نتائج الدراسة:

من خلال ما تم عرضه في هذا الدراسة نصل إلى النتائج الآتية:

- 1 يعد الحوار من أفضل الطرق في الإقناع وتغيير الاتجاه الذي يدفع إلى تعديل وتغيير السلوك إلى الأفضل.
- 2 أن للحوار أهدافاً يجب أن تحدد قبل البدء بالحوار لتوجيه الحوار بالاتجاه الصحيح، والوصول إلى الغاية من الحوار بأقل جهد و وقت.
- 3 تعمل أصول الحوار على ضبط مسار الحوار وهي عبارة عن قواعد ثابتة.
- 4 أن للحوار آداباً نفسية، لفظية، وعلمية ينبغي مراعاتها قبل الحوار وأثناءه وبعده، والتي تساعده على نجاح الحوار.
- 5 إن تطبيق الحوار في العملية التعليمية يسهم في تحقيق غایات إيجابية للمتعلم ومنها تنمية التفكير بمختلف أنواعه، وتنمية معرفتهم، ومشاعرهم الإيجابية نحو المدرسة وما يقدم داخلها، وتزيد من شعورهم بالثقة في النفس والفخر والاعتزاز وتحقيق الذات.

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

6- إن المناهج الدراسية لها دور كبير في تنمية القيم الحوارية من خلال تضمين هذه القيم في أهدافها، ومحتهاها، وطرق تدريسها، وأنشطتها، وأساليب التقويم.

7- تعد مناهج العلوم الطبيعية الأكثر فاعلية في تنمية القيم والمهارات الحوارية لدى الطلاب، ويعود ذلك إلى طبيعة تلك المواد، وموضوعاتها.

توصيات الدراسة:

- 1- يجب تفعيل ونشر ثقافة الحوار بشكل أكبر داخل المجتمع من خلال مختلف مؤسساته.
- 2- على المؤسسات التعليمية وضع خطط شاملة لتفعيل الحوار في الجامعات والمدارس.
- 3- على معدى مناهج العلوم الطبيعية تضمين القيم الحوارية في هذه المناهج من خلال دمج هذه القيم في أهدافها، ومحتهاها، وطرق تدريسها، وأنشطتها، وأساليب التقويم.
- 4- تقديم دورات تدريبية للمعلمين والطلاب لإكسابهم مهارات الحوار المختلفة.
- 5- تفعيل الطريقة الحوارية في تدريس مقررات العلوم الطبيعية.
- 6- إجراء أبحاث لتقييم واقع تضمين القيم الحوارية في مناهج العلوم الطبيعية، ومدى تطبيق الطريقة الحوارية بشكلها الصحيح في الفصول الدراسية.

المراجع:

1. ابراهيم، جمعة حسن (1987). دراسة فاعلية مجموعات الوسائل المتعددة لتدريس الكيمياء، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة دمشق، سوريا .
2. ابن منظور (2008). لسان العرب، ط6م، 4، دار صادر ، بيروت ، لبنان.
3. البصیر ، عمار مفتاح (2014). مفهوم الحوار ودور المحاور في العملية التعليمية والاجتماعية ، مجلة عالم التربية ، س 15 ، ع 48 ، 239-259.
4. جابر، عبدالحميد (1999) استراتيجيات التدريس الفعال، (ط1) دار الفكر العربي، القاهرة، مصر .
5. جامعة الجزيرة (2016) " مبادرة الجامعة عن الحوار المجتمعي والوطني" السودان ، تم الرجوع إليها بتاريخ /http://uofg.edu.sd/incd 2019/2/29 من الموقع
6. الجوير ، عبدالله فراج (2013). واقع ثقافة الحوار لدى طلاب المرحلة الثانوية بمنطقة القصيم وعلاقتها بعض القيم من وجهة نظرهم ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة القصيم ، المملكة العربية السعودية .
7. الحسين ، بدر محمد (2011). الحوار المدرسي ، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، المملكة العربية السعودية.
8. الحصري، علي (1995). طرائق تدريس الجغرافية، منشورات جامعة دمشق، سوريا.
9. الحصين ، عبدالله علي (2003) . تدريس العلوم ، ط5 ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

8-9 أبريل 2019 -نوفي بازار، جمهورية صربيا

10. حمدان، محمد زياد(1997). الحوار والأسئلة الصحفية، دار التربية الحديثة، عمان، الأردن.
11. خوجة، محمد شمس الدين (١٤٣٠هـ) الحوار وآدابه و منطقاته و تربية الأبناء عليه، (ط٦)، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض ، المملكة العربية السعودية.
12. زمزمي، يحيى محمد (١٤٢٢هـ) الحوار وآدابه مكة المكرمة وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ، (ط٢)، دار المعالي، عمان، الأردن.
13. الزهراني، صالح احمد (2007) . الحوار الاسري وعلاقته بإشباع الحاجات النفسية لدى طلاب وطالبات المرحلة الثانوية بالإدارة العامة للتربية والتعليم بالعاصمة المقدسة بالمملكة العربية السعودية ، رسالة ماجستير ، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي ، جامعة أم درمان ، السودان .
14. زيتون ، عايش محمود (1985) . طبيعة العلم وبنائه ، دار عمار ، عمان ، الأردن .
15. زيدان(2008)،الحوار النفسي كيف يؤثر في علاقاتنا الروجية،الكتب الإلكترونية.
16. سعادة ، جودت احمد ، وإبراهيم عبدالله محمد (2004) . المنهج المدرسي المعاصر ، ط ٤ ، دار الفكر ، عمان ، الأردن .
17. السليمان، هاني إبراهيم (٢٠٠٥م) كيف تعاور الآخرين، دار الإسراء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
18. الشهابي، صالح (1993). طائق تدريس العلوم الطبيعية ، منشورات جامعة دمشق، دمشق، سوريا .
19. صليبي، محمد سليمان (2010) . أثر الطريقة الحوارية على المستوى التحصيلي في مادة علم الأحياء لطلبة الصف الأول الثانوي ،مجلة جامعة دمشق، سوريا، م 26، ع 2+1 ، 677-704 .
20. طالب ، هديل (2016) . أهداف الحوار . موقع الكتروني تم الرجوع له بتاريخ 30/2/2019
https://mawdoo3.com/%D8%A3%D9%87%D8%AF%D8%A7%D9%81_%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%88%D8%A7%D8%B1
21. طاهر ، حامد (2014) . الحوار - مفهومه ، أصوله ، وأنواعه، موقع الكتروني تم الرجوع اليه بتاريخ : 30/2/2019
http://www.hamedtaher.com/index.php?option=com_content&view=article&id=488&Itemid=323 .a
22. العبودي، فهد بن ناصر(2005م). الحوار منهج وسلوك، ط ١، دار أطلس الخضراء، للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.
23. فلمبان، هلال حسين (١٤٣٠هـ) دور الحوار التربوي في وقاية الشباب من الإرهاب الفكري ،(ط٤)، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، المملكة العربية السعودية.
24. القحطاني ، فاطمة مصلح (2011) . الحوار الذاتي مدخل التواصل الإيجابي مع الآخرين، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، المملكة العربية السعودية.
25. القلا، فخر الدين ، وناصر، يونس(1990). أصول التدريس، الجزء الأول، منشورات جامعة دمشق، دمشق ، سوريا.
26. كامل، عمر (2011)، آداب الحوار وقواعد الاختلاف ، المؤتمر العالمي حول موقف الإسلام من الإرهاب ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

البيان الختامي للمؤتمر

نظم المركز الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية بشراكة مع كلية الدراسات الإسلامية بنوفي بزار بصربيا يومي 8/9/أبريل 2019 المؤتمر الدولي الثاني في موضوع: "منظومة القيم وأثرها في تنمية الحوار وتعزيز الإرشاد التربوي والوساطة الأسرية"؛ وقد انتظم المؤتمر في تسع جلسات علمية فضلاً عن الجلستين الافتتاحية والختامية، عرضت ضمنها خمسة وأربعون ورقة بحثية تم انتقاءها بعد التحكيم العلمي من بين أكثر من مئتي بحث قدمت للمؤتمر.

وقد ركزت المحاور الأساسية للمؤتمر على ما يلي:

1- إبراز أهمية الحوار في تدعيم المشترك الإنساني بين الثقافات.

2- إشاعة ثقافة التسامح والتعايش السلمي بين المجتمعات.

3- الاهتمام بأهمية الأسرة في ترسيخ القيم وتجاوز التحديات التي تواجهها.

4- الاهتمام بحقوق الأقليات الإسلامية والحفاظ على قيمتها وخصوصياتها.

وقد اقترح المؤتمرون مجموعة من التوصيات أهمها:

1- الدعوة إلى تعزيز الاهتمام بالقيم والمحافظة عليها في الأسرة والمدرسة والإعلام والمناهج التربوية والتعليمية.

2- تعزيز التعاون مع المؤمنين من مختلف الأديان لحماية القيم الأخلاقية في مواجهة التحديات التي تهدد الإنسانية. 3- الدعوة إلى العمل على نبذ أفكار التطرف والعنف والإقصاء بجميع أشكالها ومصادرها، وتشجيع قيم الحوار والتعاون والتعايش.

ولا يفوتنا في الأخير أن نتقدم بالشكر الجزيل لحكومة دولة صربيا، والمشيخة الإسلامية في صربيا، وكلية الدراسات الإسلامية في نوفي بزار على تيسير تنظيم هذا المؤتمر العلمي الدولي المتميز.

الفهرس

فهرس المجلد الأول		
5	كلمة الدكتور مصطفى بن أحمد الحكيم (رئيس المؤتمر)	
7	كلمة الدكتور أنور غيتسيتش (عميد كلية الدراسات الإسلامية بصربيا)	
10	كلمة الدكتور رشيد كهوس (منسق المجلس الأكاديمي الاستشاري للمركز)	
11	ورقة تعريفية بالجهتين المنظمتين	
12	أرضية المؤتمر	
15	أعضاء الهيئة العليا للمؤتمر	
15	أعضاء اللجنة التنظيمية	
16	أعضاء اللجنة العلمية	

الأوراق البحثية المحكمة المجازة من طرف اللجنة العلمية

الصفحة	الباحث	عنوان الورقة العلمية
20	د. أحمد عبد الكريم شوكيه الكبيسي	دور القرآن الكريم في تعزيز ثقافة التسامح وترسيخها بين أبناء المجتمع
40	أ.د. إدريس اجوبلل	الإنسان والقيم في ظل التحديات المعاصرة
50	د. توفيق العمراني	مرتكزات الحوار في القرآن الكريم
67	د. أحمد بن علي الحندودي الغامدي	خلق التسامح في ضوء السنة النبوية
80	ذ. سيرين داده ذ. ليلي شبرو	القيم الحوارية من خلال حوارات النبي صلى الله عليه وسلم وأثرها في تنمية النّشء: نماذج مختارة
100	د. إبراهيم بن عبدالله المعثم	مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات وأثره في تنمية ثقافة الحوار
115	د. محمد شافعي مفتاح بوشية	وسائل التواصل الاجتماعي وأثارها السلبية على عقيدة الأسرة المسلمة وفى رحها وكيفية التصدّي لها
136	د. بلخير رشيد	ممارسة القيم بنوعيها التقليدي أو العصري وعلاقتها بتوسيع الذات لدى الطالب الجامعي
152	أ.د. عواريب الأخضر	دور المؤسسات التربوية في تنمية قيم الحوار
164	د. نورية سوالمية د. كلثوم صدراتي	تعزيز وتنمية الحوار لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية بالجزائر

177	ذ.إيمان حليم	الوساطة الأسرية بال المغرب رهانات المأسسة وآليات التفعيل
190	ذ.ادريس الكاميри	دور التربية الإسلامية في ترسیخ قيم الحوار والوسطية والتسامح: منهاج التربية الإسلامية بالمغرب أنموذجاً
206	د.ياسر بن عبد الرحمن بن محمد اليحىاء	منظومة القيم في الحوار مع المخالف عبر التاريخ: حوارات الصحابة رضي الله عنهم مع الخوارج أنموذجاً
221	د. عبدالله بن عبدالرحمن الميمان	الباعث العقدي للقيم الحوارية: دراسة تحليلية للنصوص من الكتاب والسنة
233	د. رجاح فريدة زوجة بوروبي ذ. فطيمة شعاعل	المناخ الأسري وعلاقته بظهور كل من الضغوط الأسرية و مواجهتها لدى الطالبات لمقيمات بالإقامة الجامعية - دراسة ميدانية بولاية تيزي وزو الجزائر
257	د. محمد البويسفي	القيم المؤسسة للمشترك الإنساني في القرآن الكريم دراسة في الخطاب القرائي العام
272	د. أحمد الفراك	آليات التنشئة الاجتماعية والأسرية وأثرها في الانفتاح التفافي والتعايش الإنساني
283	أ. د. علي لاغا	التسامح حق وليس منة وكرماً
291	د. أحمد بن محمد التويجري	مستوى تضمين مقررات الثقافة الإسلامية لقيم الحوار الواجب توافرها لدى طلاب الجامعة (جامعة القصيم نموذجاً - دراسة وصفية تحليلية)
311	د. عبدالله بن فهد اللحيدان	الحوار وأثره في تحقيق السلم الاجتماعي
319	ذ.ة. ميمونى شهرزاد	دور القيم الاجتماعية والدينية في تعزيز الارشاد التربوي الأسري وتنمية ثقافة التضامن في المجتمع الجزائري مقاربة سوسيولوجية في مدينة معسكر أنموذجاً
359	د. يوسف العايب	قيمة العدل الإلهي في القرآن الكريم ودورها في تعزيز قيم الحوار الديني
377	د. عادل بن عبد الله السعوي	أثر الفقهاء المسلمين في تعزيز مفهوم الحوار مع المخالف
391	ذ.تمالت إبراهيم	القيم في المنهاج المدرسي وآليات التطبيق والفعالية الاجتماعية: قراءة استقرائية تحليلية لأنموذج منهاج التربية الإيمانية لمؤسسة الشيخ عمي سعيد
407	د. حسن بن أحمد بن بكري السميري	الأحكام الفقهية المعززة لقيمة العدل في فقه الأسرة
440	د. طالب بن أحمد الهمامي	قيمة العدل والإنصاف ودورها في الدعوة إلى الله من خلال كتاب سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي
463	ذ.ة. زوانى نزيفه د. وندلوس نسيمة نسيبة	البناء القيمي والتوافق النفسي لدى المراهقين مستخدمو موقع التواصل الاجتماعي
492	أ.د. علي بن عمر السحيبياني	التسامح في الإسلام: المفهوم والضوابط
512	ذ. أنس بوابرين	رهان القيم وتحديات الحوارات المعاصرة
532	د. ناصر بن خليفة اللوغاني	الدعوة بالحوار بين مبدأ العرض والتخيير في مقام الدعوة وإشكالية الإلزام في مقام الإنكار (دراسة تأصيلية مقارنة في المصطلح الدعوي القرآني)

550	د. عوض بن عبد الله المنكاع	دور المعلم في بناء القيم نحو الامتناع عن السلوك الخاطئ في ضوء المنهج النبوى
560	ذ. خيرة شويبة	القيم والمبادئ الحوارية من خلال حوارات إبراهيم عليه السلام العائلية في القرآن
583	د. العربي لخنيك	الأساليب النبوية في التواصل الأسري
603	د. مزاحم مهدي إبراهيم النجار	موقع التواصل الاجتماعي كوسائل للتواصل والحوار وآثارها الإيجابية والسلبية
622	د. هذال بن عبيد عياد الفهيدى	"دور مناهج العلوم الطبيعية في تنمية القيم الحوارية"
634		البيان الختامي للمؤتمر
635		فهرس كتاب المؤتمر



الموقع الرسمي للمركز: www.icefs.net

بريد المركز: www.icefs.net

الهاتف: 0044747018865

العنوان: United Kingdom, London , 27 Old Gloucester street ,WC1N3AX

الموقع الإلكتروني للكلية : <http://fis.edu.rs>

البريد الإلكتروني: sekretar@fis.edu.rs

الهاتف: 0038120316904